من فضل الله سبحانه
العبد الفقير إلى الله
حافظ ثناء الله الزاهدي
١٤٠٩ هـ

غاية المأمول في تفسير الكلام الربّاني

تأليف

العلامة أحمد بن إسماعيل

الكوراني

كناية عن غاية الخشوع وما قيل لان اول ما يلقى الارض من الساجد ذقنه
خلاف للواقع واشار اللام والظاهر حرفا الاستعلاء للدلالة على شدة
الاتصال والالصاق ويزيدهم سماع القران خشوعا لله تعالى لزيادة
ايمانهم المقتضى لذلك قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت لما قرأ على المشركين
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لا نعرف الا رحمن اليمامة وقيل لما سمع
ابو جهل رسول الله يقول يا الله ويا رحمن وقالا ان محمدا ينهانا ان نعبد الهين
وهو يدعو الها اخر والدعاء بمعنى التسمية اذ لو كان بمعنى النداء يلزم
الاشراك ان تغاير مدلولا الاسمين وعطف الشئ على نفسه ان اتحدا
والمفعول الاول محذوف اى سموه بهذا او بذاك وقيل لما قالت اليهود
لرسول الله ان الله قد اكثر في التوراة ذكر الرحمن وما بذاك تكثر منه والغرض
التسوية بين الاسمين في الحسن والاقتضاء الى المقصود ايا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى اى اى الاسمين ذكرته فهو من احسن الاسماء عد لعنده
الى المنزل سلوكا لطريق البرهان لان اسماءه تعالى اذا حسنت كلها اندرج
فيها هذان الاسمان ضرورة وايا للتخيير والتنوين عوض عن المضاف اليه
وما يؤكد ابهامه اى وضمير له للمسمى وحسن اسمائه تعالى لدلالتها على الجلال
والاكرام ولا تجهر بصلوتك بقراءتك في الصلوة لان الجهر لا يوصف به
سائر اركانها عن ابن عباس كان رسول الله وهو مختف بمكة اذا قرأ في الصلوة
رفع صوته فسمع المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جاء به فقال الله
له لا تجهر بقراءتك بحيث يسمع المشركون ولا تخافت بها بحيث لا يسمع
من خلفك اصل الخفة الضعف وفي الحديث نوم المؤمن سبات وصومه خفات
وابتغ بين ذلك سبيلا قراءة بين قراءتين دون الجهر وفوق المخافة روى
عن عايشة انها نزلت في الدعاء روى ابن جرير عن ابن سيرين مر رسول الله
على ابي بكر وهو يقرأ خفيا ومر على عمر وهو يقرأ على الجهر وكان جوهر
الصوت فقال لابي بكر لم تقرأ هكذا فقال لقد سمعت من اناجي وقال لعمر
لم تقرأ جهارا قال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فامر ابا بكر ان يرفع
قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات
نهارا وجهارا بالليل وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ناصر يمنعه من الذل
او لم يوال احدا ليدفع به الذلة عن نفسه وانما محبته لمن احب محض لطف
وعناية فانه الغني المطلق وانما نبه الحمد على نفي الاوصاف الثلثة لكونه
كناية عن الوصف بكمال الجود لان الولد مبخلة والشريك مانع من التصرف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي على عبده الكتاب لما كان القران
مشتملا على الارشاد الى اقامة الدين بمعنى التوجه الكلي الى جناب قدسه
او الاذعان القلبي والاعتراف باللسان وكلا القسمين من اجل نعمائه رتب
الحصار الحمد على انزاله ولم يجعل له عوجا شبانا من العوج واصله الميل
قال ابن السكيت ما كان ينتصب كالحايط والعود قيل فيه عوج بالفتح وما
كان في الارض او في دين او معاش يقال فيه عوج بكسر العين والمراد نفي
الاختلال عنه من جهة اللفظ والمعنى قيما مستقيما لا زيغ فيه من
الحق الى الباطل او قائما بامور الدين كافلا به من قام بالامر ومنه قيم اليتيم
وهو الوجه لقوله تبيانا لكل شئ ولان الاستقامة علمت سابقا منصوب
بفعل مضمر اى جعله قيما او حال على ان لم يجعل ايضا حال اخر كانه قال
منتفيا عنه العوج مستقيما ويجوز ان يكون ولم يجعل له عوجا عطفا
تفسيريا من تمام الصلة كقوله تعالى وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد
الحرام على الاوجه هناك لان المراد منه الكتاب الكامل فيكون حالا من الكتاب
لعدم الفاصل بالاجنبي ومن حمله على التقدم والتاخر فقد عدل عن الظاهر
من غير نكتة لينذر بأسا شديدا اى الذين كفروا عذابا شديدا حذف
المفعول الاول لان الغرض هو انذار الناس ليندرج المؤمن والكافر بدلالة
اعادة الانذار بعد التبشير مذكورا معه المنذر من لدنه من عنده
في محل النصب حاله او صفة تهويل العذاب وقرأ ابو بكر بسكون الدال
مع الاشمام وكسر النون لان لدن كعضد يجوز في مثله اسكان الوسط
تخفيفا واشيرا بالاشمام الى ان اصله الضم وكسر النون لالتقاء الساكنين
والمختار هو الضم لانه الاصل والشايع ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا هي الجنة عبر عنها بالاجر اعتدادا بالاعمال
كما مر منه ماكثين فيه ابدا من غير انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله

وَلَدًا خصّهم بالذكر وإعادة الانذار اشارة الى عظم كفرهم وانما لم يذكر المنذر به اكتفاء بما تقدم ما لهم به من علم بالولد او باتخاذه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فيه لان المراد نفي العلم بنفي المعلوم لكونه مستحيلا لا يصح تعلق العلم به لانه ممكن والجهل في الطريق كبرت كلمة عظمت تلك المقالة تنصب على التمييز تخرج من افواههم صفة لها معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة لان ما يكون فيه شين بتعاظم الانسان ان يتفوه به اذا وسوس اليه الشيطان فكيف بشيء من ليس كمثله شيء بالحيوانات في التوالد المحتاج الى الازدواج وفي تخرج من افواههم اشارة الى انها مجرد صوت وحروف ان يقولون الا كذبا تصريح بما علم ضمنا واشارة الى ان عدم العلم لا يخرج الكلام والمتكلم عن الكذب اذا كان غير مطابق للواقع فلعلك باخع نفسك قاتلها من البخاع وهو عرق في صلب الحيوان متصل بعنقه فاذا وصل الذبح اليه كان غاية على اثارهم شبه توليهم عن الايمان بارتحال احبته الانسان عن منازلهم فهو يتلهف عليهم ويقتل نفسه وجدا ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اى القران اسفا مصدر في موضع الحال من فاعل باخع او مفعول له وهو اشد الحزن انا جعلنا ما على الارض زينة لها ما عليها من زخارفها ازاله لما كان يتعاظمه من بسط الدنيا عليهم مع ذلك الكفر المتبالغ كما تعاظم موسى في قوله ربنا انك اتيت فرعون وملاءه زينة واموالا ليضلوا هم ايهم احسن عملا تعاملهم معاملة المختبر لتميز الزاهد فيها من المغتر بها لا ارشادا لهم ثم زهد فيها بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا نجعله كالارض البيضاء سمحا فيحا بامانة الحيوان وتخفيف النبات فيتبدل الزين شينا او نجعله خطاه مساويا للارض والجرز الارض التي لا نبات بها وقيل ما كان فيها نبات ثم قطع فلا يقال للسباخ جرز ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ذكر ما يشتمل على امهات العجايب في صدر السورة من تزيين الارض بما خلق فوقها من الانواع والاجناس الغايبة الحصر ثم اعدامها كان لم تغن بالامس تمهيدا لذكر قصة اصحاب الكهف التي كانت من اعاجيب الدهر عندهم ولما مر للاضراب الدال على ان ذلك اعظم من ابقاء اشخاص احياء مدة متطاولة فان قلت الاضراب انما يحسن اذا كان الثاني اغرب واعجب وما ذكرته على عكس ذلك قلت تعجبهم من هذا دون ذلك هو المنكر الاغرب فالاضراب ما شرع على ذلك السنن الخطاب له والمقصود السائل المتعجب اذ هو صلى الله عليه وسلم يعلم من قدرته ما لا يتعاظمه والرقيم قيل لوح على باب الكهف مكتوب

عليهم اسماؤهم وقيل الوادي الذي فيه الكهف وقيل اسم قريتهم وقيل اسم مكانهم وهو مكان يقرب فلسطين وقيل اسم كلبهم فال امية بن الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هجد وقيل اصحاب الرقيم غير اصحاب الكهف وعجبا وصف بالمصدر اى كانوا اية عجبا من اياتنا او ذات عجب وسبب النزول ان قريشا ارسلوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى يهود المدينة يتعرفون منهم نعت رسول الله هل هو ذاك المنعوت في التورية ام لا فقالت اليهود سلوه عن ثلثة اشياء عن رجل ملك مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن الروح وسلوه عن طائفة فارقوا قومهم وقروا بدينهم ووصفوا لهم اصحاب الكهف وقالوا ان اخبركم عن الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي اذ اوى الفتية الى الكهف شبان من اشراف الروم وكان ملكهم دقيانوس اراد هم على الكفر فهربوا منه فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة من خزائن رحمتك بلا واسطة شاملة للامن والرزق والمغفرة وهيئ لنا من امرنا رشدا الذي نحن بصدده رشدا اصابة الطريق الموصل اليه او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت اسدا واصل الهيئة احداث هيأة الشيء فضربنا على اذانهم انمناهم انامة ثقيلة تبهتهم الاصوات كما ترى من القي عليه نومة ثقيلة يصاح به فلا يسمع ضربا لحجاب كاية عن سد طرق الصوت واستحكامه فالمفعول الاول محذوف كما في بنى على امرأته اى القبة في الكهف سنين عددا معدودة اى كثيرة فان القليل يعرف بدون العد او قليلة فان الكثير عند الله قليل ان يوما عند ربك كالف سنة او بالنظر الى مدة اقامتهم احياء الى اخر الدهر ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امدا اى ليتعلق علمنا تعلقا جاليا كما كان متعلقا به تعلقا استقباليا او مجاز عن لازمه وهو التميز واى لتضمنه معنى الاستفهام علق عنه العلم فهو مبتداء واحصى فعل ماض خبره وما في لما لبثوا مصدرية وامدا مفعول احصى والمعنى انهم ضبط امدا وقاده لبثهم بالتهم لما استيقظوا اختلفوا في ذلك وقيل اختلافا فالحزبين من قومهم وقيل احصى افعل التفضيل وفيه ان افعل التفضيل وان كان قياسا من المزيد عند سيبويه الا انه لا يعمل النصب وتقدير فعله ناصبا تطويل بلا طائل ونصبا امدا بلبثوا لا يساعد عليه المعنى لان الاحصاء والضبط انما هو لمدة اللبث لا للبث في الامد ولان سائلهم في وقت الانبياء انما كان عن العارف لا عن الاعرف لقولهم ربكم اعلم بما لبثتم نحن

نقص عليك نبأهم بالحق حديثهم ملتبسا بما هو ثابت في الواقع ايماء الى ان
ما ينقله اهل الكتاب من قصتهم لم يسلم عن اختلال بزيادة او نقصان
انهم فتية امنوا بربهم قيل كانوا شبانا متقاربي الاسنان من قبيلة
واحدة وزدناهم هدى على الفطرة التي يولد عليها كل مولود وربطنا
على قلوبهم اذ قاموا بين يدي ملكهم وانربط تمثيل لافراغ الصبر في قلوبهم
وتثبيت جاشهم فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه
الها لقد قلنا اذا شططا بعيدا عن الحق غاية في الظلم من شط الدار اذا
بعد وفي الحديث اعوذ بك من الفتنة في السفر والشطة هؤلاء قومنا
اتخذوا من دونه الهة قالوه منكرين لولا يأتون عليهم بسلطان بين
ببرهان واضح دال على استحقاقهم الالوهية فان العقائد لا يجوز
التقليد فيها وما لا دليل عليه مردود فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا لا اظلم ممن قال ان له شريكا واذا عتزلتموهم وما يعبدون الا الله
ما موصولة اي ومعبودهم او مصدرية اي وعبادتهم او نافية اخبار
من الله تعالى كلام معترض ثناء على الفتية بانهم صادقون في الاعتزال
فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته جزموا بذلك الهاما من الله تعالى
او علموا ذلك من مشاهدة توالي الرزق على سائر الحيوانات او كان فيهم
نبي او اخبرهم نبي موجود في زمانهم ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما
ترفقون به اي تنتفعون من الرفق وهو لين الجانب ضد العنف اسم آلة
كالمفتح والمبرد وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء وهما لغتان
وفتح الميم افصح لانها لغة الحجاز وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم
له او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل من الزور وهو الميل
ومنه الزور للكذب لانه ميل عن الصدق اصله تتزاور فادغمت التاء
في الزاي وقرأ الكوفيون بتخفيف التاء مضارع تزاور على وزن تباعد
حذفت احدى التائين ابن عامر تزور كتحمر والاول ابلغ ذات اليمين
الجهة المسماة باليمين ولفظ الذات مقحم واذا غربت تقرضهم تركهم
ذات الشمال قيل كان باب الغار مستقبل بنات النعش فتميل عنهم الشمس
عند طلوعها وتتركهم عند غروبها فلا يصل اليهم حرها وهم في فجوة
منه في مكان يصل اليهم روح الهواء او هم في فجوة من الغار اي مكان
متسع معترض للشمس لولا ان الله يحجبها عنهم يؤيده قوله ذلك من آيات
الله اي كونهم معرض الشمس ولا تصيبهم وتصيب كل ما كان في ذلك
السمت اية من آيات الله على اختصاصهم بتلك الكرامة وعلى الاول شأنهم

وحديثهم من آيات الله من يهد الله بالتوفيق والارشاد فهو المهتدي
الذي سلك طريق الصواب واصاب الفلاح ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله
وصدعوا بالحق وثناء على الله تعالى بانه الهادي والولي المرشد لقوله و
زدناهم هدى والاول اوجه لان الكلام لبيان حالهم وانهم اهل للولاية
ومن يضلل بخذله فلن تجد له وليا مرشدا يدل على طريق الصواب و
تحسبهم ايقاظا خطاب لكل احد جمع يقظة وهم رقود والحال انهم
ينام وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الارض اجسادهم
قيل في كل سنة تقلبتان وقيل تقلبة واحدة ليلة العاشراء وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد بفناء الغار وقيل العتبة وقيل الباب وانما
نصب باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية قيل مروا بكلب فتبعهم
فطردوه فقال لم تطردوني انا احب احباء الله ناموا انتم وانا احرسكم
وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم يؤيده قراءة جعفر الصادق وكالبهم
لو اطلعت عليهم لو نظرتهم لوليت منهم فرارا ادبرت من خوفهم فارا
مصدر في موقع الحال اذ التولية فيها معنى الفرار ومفعول له ولملئت
منهم رعبا وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول شعرهم واظفارهم
وعظم اجسادهم والرعب خوف يملأ الصدر من رعبت الحوض ملأته قال
شعر هذي هيدب ايما الربى تحت ودقه وايما ماء كل واد فترعب وقرأ نافع
وابن كثير ملئت بتشديد اللام وهو ابلغ معنى والتخفيف شهر روي
ان معاوية غزا الروم فمر على الكهف فقال لو علمنا خبر هؤلاء فقال ابن
عباس قد منع الله عن ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت
منهم فرارا فقال لا انتهى حتى اعلم حالهم فبعث جماعة فلما دخلوا الغار
هبت عليهم ريح واحرقتهم وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم تلك
النومة التي تشبه الموت كذلك بعثناهم تلك البعثة التي تشبه احياء الموتى
او كما انمناهم اصحاء كذلك بعثناهم من غير نقص في تلك المدة المتطاولة
ليتساءلوا بينهم يسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم حتى اذا وقفوا
عليها ازدادوا يقينا وشكرا على تلك الكرامة التي خصوا بها قال قائل منهم
كم لبثتم مذ نمتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم كما هو المتعارف لان
اقصى ما ينام الانسان يوما كاملا وعن الحسن دخلوا الكهف غدوة
واستيقظوا وقت الظهيرة فظنوا انه ذلك اليوم او اليوم الذي بعده
ومبنى الكلام على الظن فلا كذب فلما نظروا طول اظفارهم وشعرهم قالوا
ربكم اعلم بما لبثتم لما رأوا الامر امرا عجيبا اخذوا فيما يهمهم قائلين

فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت
او غير مضروبة قرا ابو عمرو وابو بكر وحمزة باسكان الراء وهما لغتان
كعنق وعنق والكسر اصل والاسكان اخف والمدينة قيل هي طرسوس
وفي حملهم الورق دلالة على ان حمل الزاد ولا ينافي التوكل قيل ان بعض
اهل العلم كان شديد الحنين الى زيارة بيت الله وكان معدما لا استطاعة
له فتوعلم منه ذلك وكان كلما قصد فوج من اغنياء بلدة الحج اتوه وبذلوا
له المؤنة الحج من الزاد والراحلة يتعذر بمعاذير فاذا تولوا عنه قال لمن
حضره ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن فلينظر
ايها اى اهلها كقوله واسال القرية ازكى طعاما احل وارخص قليتاتكم
برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من الشراء لئلا
يغبن فان طلب الربح كالعرض رسول الله قد حا على البيع فقال رجل عندى
فيه درهم فابى فقال الاخر عندى فيه درهمان فقال نعم اوليتكلف
اللطف في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا لا يفعل ما يكون
مؤديا الى الاشعار سماه اشعارا لكونه سببا له انهم ان يظهروا عليكم
يطلعوا عليكم من ظهرت على فلان علسه يرجموكم يقتلوكم شر قتلة
قيل كانوا يرمونهم بالحجارة حتى يموتوا او يعذبوكم في ملتهم يصيروكم اليها والاعادة
بمعنى التصيير شايعة وقيل كانوا على دينهم اولا ولكن تعلموا انا ابدا لان
الارتداد شر انواع الكفر وكذلك اعثرنا عليهم اى وكما انمناهم
وبعثناهم اطلعنا عليهم غيرهم من العثور وهو الاطلاع ليعلموا ان
وعد الله حق اى المعثرون وان الساعة لا ريب فيها في وقوعها
من عطف الخاص على العام توكيدا لوقوعها لان حال الفتية في نومهم
وبعثهم دليل ظاهر على جواز الموت والبعث لما دخل المبعوث للطعام المدينة
واخرج الدراهم فوجدا لبياع عليها اسم دقيانوس اتهمه بانه قد وجد
كنزا فرفعه الى الملك وكان مؤمنا بعيسى عليه السلام فساله الملك
فقال من اين لك هذه الدراهم قال خرجت بها امس من هذه المدينة فقال
الملك اظن بك جنونا فقال بعض الشيوخ الحاضرين انا قد سمعنا ان فتية
في زمن دقيانوس هربوا بدينهم منه لعلهم هؤلاء فركب الملك اليهم فوجدهم
في الكهف فسالهم عن حالهم فقصوا عليه القصة ثم قالوا للملك يمنعك
من شر الجن والانس فعادوا الى مضاجعهم فاماتهم الله تعالى فاتخذ
الملك لكل واحد تابوتا من ذهب ثم راهم في المنام انهم يكرهون التابوت
من الذهب فابدلهم تابوتا من خشب وقيل لما قربوا المكان الذي هم فيه

فقال المبعوث للملك مكانك حتى اخبرهم بمجيئك فلما دخل عليهم القى الله
النوم عليهم وعمي الكهف على الملك واصحابه وهذا هو الصواب لقوله
وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ولقوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
اذ يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم متعلق باعثرنا او ببعثناهم وكان
بعضهم يقول انما بعثنا الارواح وبعضهم يقول يبعثان معا او امر الفتية
فقال بعضهم ناموا نومتهم اول مرة وقال اخرون بل ماتوا وقال طائفة
بنى عليهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس كما بنى على قبر رسول الله الحجرة
الشريفة فقالوا ابنوا عليهم بنيانا وقوله ربهم اعلم بهم من كلام
المتنازعين فانهم لما تذاكروا حديثهم ولم يهتدوا الى حقيقة الحال احالوا
العلم الى الله تعالى او هو كلام الله تعالى رد لكلام المتنازعين قال الذين
غلبوا على امرهم كانوا اولى بهم وهم الملك وحاشيته لنتخذن عليهم مسجدا
يصلى الناس فيه تبركا بمكانهم سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم اخبار
بما سيقع بين اهل الكتاب والمؤمنين في عدتهم روى ان السيد والعاقب
كانا عند رسول الله وهما من نصارى نجران فتذاكروا اصحاب الكهف
فقال السيد كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب كانوا
بسطوريا كانوا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب استفاد
جعل الكلام الغايب عن القائل على حاله بمنزلة الرجام المرمى به بجامع قلة الاصابة
فان الرجا قلما يصيب المرمى على السداد واما ايثار الرمي في قوله والذين
يرمون المحصنات لاعتبار التاثير في العرض تاثير السهم في الرمية او
الرجم بمعنى الظن بشيوع استعماله فيه قال زهير وما هو عنها بالحديث
المرجم ولم يذكر السين اكتفاء بذكره في الاول فان المعطوف في حكمه ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم سبعة خبر مبتداء محذوف اى هم سبعة وثامنهم
كلبهم صفته والواو لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في قولهم جاءني
رجل ومعه اخر ومررت برجل وفي يده سيف وذلك لان الصفة والحال
متغايران الا يرى ان صفة النكرة اذا تقدمت صارت حالا وجدوى
هذه المبالغة والتاكيد ان هذه العدة هي الصواب ولذلك اتبعه بقوله
قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل قال ابن عباس رضي الله عنه انا
ممن علم عدتهم وكانوا سبعة نفر اسماؤهم بملخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب
يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير
هؤلاء الستة والسابع الراعي الذي تبعهم فلا تمار فيهم في الفتية

اهل الكتاب الامراء ظاهرا الا بمجادلة بالتى هى احسن بان نقص عليهم
ما اوحى اليك ولا تستفت فيهم منهم احدا لان السئوال اما للاسترشاد
وقد كفيت عنه واما للتعنت وليس ذلك من شانك فانك بعثت لمحاسن الاخلاق
مبشرا وميسرا ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا لم يرد النهى عن الوعد المتعارف
بل الزمان المستقبل كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر الا ان يشاء الله
متعلق بالنهى اى لا تقل انا عزمت على فعل فى الزمان المستقبل انى فاعله الا
مقرونا بقولك ان شاء الله او لا يقل لشئ افعله غدا الا ان يذكر ان الله لك
فاذا لم تاذن لك لا تقل اذا عزمت وعلى هذا المراد بالشئ ما يكون من امر الدين
لا ما يتعلق بافعال الحيلة وكذا قوله ان شاء الله كلمة تاييد كانه قيل لا
تقولنه ابدا ولا يجوز تعلقه بانى فاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل
فاسد واستثناء اعتراض المشبهة دون الفعل وان صح الا انه لا يتوجه
اليه النهى وهذا تاديب له من الله تعالى فانه لما سالة المشركون عن الروح
وعن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء
الله فعاتبه الله على ذلك بان اخر عنه الوحى ايئسا وكذبته قريش واذكر
ربك اذا نسيت تدارك ما فرط منك بان تقول ان شاء الله اذا تذكرت
انك نسيت ولا دلالة فيه على ما نقل عن ابن عباس من جواز الاستثناء بعد
سنة لان الكلام التدارك فيما يرجع الى التعويض لا اخراج الحكم عن الجزم
روى ان المنصور لما بلغه اياحنيفة خالف ابن عباس فى ذلك دعاه و
ساله عن ذلك فقال يا امير المؤمنين ضرر ذلك عائد اليك فانك تاخذ
البيعة بالايمان افترضى ان تخرجوا من عندك ويقولوا استثناء ما استحسن
منه ذلك او اذكر ربك بالاستغفار كانه جرمة توجب الاستغفار لها
او اذكر ربك اذا نسيت شيئا فان ذكره يتسبب لتذكره وقد حمل على اداء
الصلوة المنسية لقوله اقم الصلوة لذكرى وقل عسى ان يهدينى ربى
لاقرب من هذا رشدا اى قل عند نسيان شئ لعل ربى ان يهدينى الى
ما هو خير من هذا المنسى لقوله ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها
او هذا اشارة الى خبر اصحاب الكهف اى عسى ان يهدينى ربى الى ما هو
اعظم دلالة على صدقى فى دعوى الرسالة وقد وقع ذلك حيث اتاه الله
من القصص والاخبار بالمغيبات الى اخر الدهر ما يضمحل بناء اصحاب
الكهف عنده ولبثوا فى كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا
بيان لما اجمل فى قوله فضربنا على اذانهم وفيه اشارة الى ان اهل الكتاب
كما اختلفوا فى عدة الاشخاص اختلفوا فى مدة لبثهم الى وقت الانتباه

ايضا وانما اخر البيان ليكون معجزة استقلالا وقراء حمزة والكسائى باضافة
مائة اشارة الى الاصل والاصل فى تمييز ما بين الجمع كثلثة واربعة اوثر المفرد
للتخفيف ومن لم يصف جعل سنين بدلا قل الله اعلم بما لبثوا وقد اخبرك
به هذا التذهيل كالتذييل بقوله قل ربى اعلم بعدتهم له غيب السموات
والارض علم ما غاب عنكم فيهما وامر اصحاب الكهف فوز من ذلك
ابصر به واسمع فلا تعجبا ريد بتعجيب المخاطبين اى ما ابصره واسمعه
فانه لا يخفى عليه شئ مما يدرك بهما والهاء يعود الى الله تعالى ومحل الرفع
على الفاعلية عند سيبويه والتاء مزيدة اصله ابصر نقل الى صيغة الامر
بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم قابلية الصيغة له والنصب على المفعولية
عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانا همزة
للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات
والارض من دونه من ولى من يتولى امورهم ايجادا وكلاءة ولا يشرك
فى حكمه احدا من خلقه قرا ابن عامر ولا تشرك بالخطاب التفاتا على صيغة
النهى والنفى ابلغ واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك فان تلاوته اقرب
الوسائل اليه واشرف العبادات لديه وفيه بيان كل مشكل وهو اشرف
مفاخرك فالواجب عليك القيام بحقه لا مبدل لكلماته لا احد يقدر
على تبديله لكونه معجزا بخلاف سائر الكتب ولذلك وقع فيها التحريف ولن
تجد من دونه من دون الله ملتحدا ملجا تميل اليه ان هممت بالتبديل
فانهم كانوا يدعونه اليه وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا
او بدله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى وهذا
ايضا مما كانوا يدعونه الى خلافه قالوا ان اردت مجالستنا فاخرج هؤلاء
العبيد والصعاليك من عندك يريدون بلالا وعمارا وصهيبا واضرابهم
والغداة والعشى كناية عن جميع الاوقات وقيل صلوة الفجر والعصر او
الدعاء فى هذين الوقتين فانهما اشرف الاوقات وقرا ابن عامر بالغدوة
والوجه انه علم لما قبل الضحى قد دخل فيه اللام كما فى قوله والزيد زيد المعارك
وعليه الرسم والمختار قراءة الجمهور لعدم التاويل لكونه اسم جنس دخل عليه
اللام والرسم بناء الاصل كالزكوة والصلوة يريدون وجهه مخلصين
له العبادة ولا تعد عيناك عنهم متعد بنفسه عدى بعن لتضمينه معنى
التبرق والمعنى لا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم وفى اقحام العين واسناد
الفعل اليه مضمنا معنى فعل اخر ليكون مؤديا مجموع معنى الفعلين مبالغة
لا تخفى تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف كما فى قوله واتبع ملة ابرهيم

حنيفا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا جعلناه غافلا عنه من اغفلته
اذا صيرته غافلا وجعله من اغفلت الرجل وجدته غافلا لا اصل له ومن
اغفلت الدابة اذا تركتها من غير سمة تردّه كلمة عن واتبع هواه ما سولته
نفسه وكان امره فرطا متجاوزا الحد اسم من افرط اذا تجاوز الحد في حديث
على الجاهل اما مفرط او مفرط وقل الحق خبر مبتداء محذوف اى ما تلوته
عليكم من ربكم حال مؤكدة او خبر بعد خبر او الحق مبتداء ومن ربكم خبره
والاول اوجه لقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لانه لما امره
بتلاوة كتابه والصبر مع الذين يتلونه حق تلاوته مريدين وجهه ونهاه عن
الالتفات الى زخارف الدنيا فكانه قال هذا الذى اوحى الى هو الحق من ربكم
فمن شاء فليدخل فى زمرة الفائزين بهذه السعادة ومن شاء فليكن فى زمرة
الهالكين منهما فى الضلالة وانما ابرز الكلام فى صورة التخيير ازاحة
للعلل انا اعتدنا للظالمين الكاملين فى الظلم نارا احاط بهم سرادقها
ما يحيط بالخيم والبيوت معرب سرابرده قيل هو دخان يحيط بهم قبل دخول
النار وقيل حايط من النار لطيف يمنعهم من الخروج وان يستغيثوا
من العطش يغاثوا بماء كالمهل هو النحاس المذاب وعن ابى عمرو هو ردى
الزيت وعنه ايضا القيح والصديد يشوى الوجوه اذا قدم للشرب من
فرط حرارته اعاذنا الله منه بئس الشراب انشا ذم بعد الاخبار عن
الاوصاف مبالغة فى الانذار والوعيد وساءت مرتفقا النار والمرتفق
ما يتكأ عليه شبه الوسادة يسمى مرفقه ولا ارتفاق لاهل النار فهو على
المشاكلة لقوله حسنت مرتفقا وقيل الارتفاق الاتكاء على المرفق وهى
هيأة المتحزن المتحسر ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر
من احسن عملا ان الثانية بما فى حيزها خبر ان الاولى واستغنت الجملة
عن العايد لان من احسن عملا يعم الذين امنوا وعملوا الصالحات والخبر
اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض
وعلى الاول اما استيناف لبيان الاجر او خبر اخر يحلون فيها من اساور
من ذهب من الاول للابتداء او مزيدة لقوله وحلوا اساور والثانية
بيان والاساور جمع اسورة جمع سوار وتنكيرها لعظم حسنها ويلبسون
ثيابا خضرا الخضرة احسن الالوان ولذلك استعارها للدنيا فى قوله ان
هذه الدنيا حلوة خضرة من سندس وابرق الاشرف والادنى
فان الابرق ما غلظ من الحرير معرب ابرك او السندس الظهارة
البطانة لقوله بطائنها من ابرق وهذا اليق متكئين فيها على الارائك

جمع اريكة وهى السرير الذى عليه الحجلة وقيل كل ما يتكأ عليه من وسادة
او منصة وفى الحديث عسى رجل متكئ على اريكته يأتيه الحديث مما يقوله بينى
وبينكم كتاب الله الا انى اوتيت مثل القران او اكثر نعم الثواب المذكور
وحسنت الارائك مرتفقا واضرب لهم مثلا مثل للمفتخرين بزخارف الدنيا
القائلين لك لا نجالسك حتى تطرد الصعاليك والعبيد حالهم وحال
هؤلاء الفقراء بحال رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب قيل كانا
اخوين من بنى اسرائيل احدهما كافر واسمه قرطوس والاخر مؤمن اسمه
يهوذا قيل هما المذكوران فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا
من ابيهما ثمانية الاف دينار فسا طرها فكان كلما انفق الكافر فى
الدور والبساتين والنساء وسائر ما يمتنع به انفق المؤمن فى سبيل الله
وابواب البر نظيره راجيا من الله ثوابه وحففناهما بنخل جعلنا
الجنتين محفوفتين بالنخل من حففت الشئ بالشئ اذا الحفته به يتعدى
الى مفعول والى الثانى بالياء ويجئ لازما وتر الملائكة حافين من حول العرش
وجعلنا بينهما زرعا لتكونا جامعتين بين الاقوات والفواكه مع حسن
النظر والترتيب لانبق كلتا الجنتين اتت اكلها ما يوكل منها وهو الثمر
ولم تظلم منه شيئا ولم تنقص فرد الضمير حملا على لفظ كلتا لكونه مفردا
وفجرنا خلالهما نهرا فانه ملاك الامر ومادة الحسن فى الكروم والبساتين
وكان له ثمر سائر انواع الاموال من الذهب والفضة قاله مجاهد وسائر
الاثاث قراءاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم
تخفيف ثمر والباقون بضمتين والمختار قراءة عاصم للخفة وتناول الجنس
الانواع فقال لصاحبه وهو يحاورها يراجعه فى الكلام كما يفعله الاصحاب
والرفقه قيل اخذه بيده يريه شيئا فشيئا مفتخرا انا اكثر منك مالا واعز
نفرا هم رهط الانسان وعشيرته يطلق على الرجال خاصة من الثلثة الى
العشرة وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون مع الاب دون الاناث فان
قلت قد ذكرت انهما كانا اخوين فلم اثر لفظ الصاحب على الاخ قلت لان
المؤمن ليس اخا للكافر وان اتحد به نسبا ودخل جنته افردها اشارة
الى انه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المتقون لان الاضافة تفيد الاختصاص
وقيل انما دخوله كل واحدة اولا تصالهما كانهما جنة واحدة والاول
هو الوجه وهو ظالم لنفسه لانه غرها بالفانى وعرضها للعذاب الدائم
قال ما اظن ان تبيد هذه تفنى ابدا لكمال غفلته وعدم تامله فى العواقب
الخالية والعصور الحاوية وما اظن الساعة قائمة ولئن ردد تالى ربى

على سبيل الفرض والتقدير لأجدن خيرا منها منقلبا مرجعا قراء نافع وابن
كثير وابن عامر بضمير المثنى عائدا الى جنتين قال له صاحبه وهو يحاوره
اكفرت بالذى خلقك من تراب يريد مادته واصله السابق ثم من نطفة
ثم سواك رجلا معتدلا لاكامل القوى انما كفره لكونه شك فى قيام الساعة
والشاك فى قيام الساعة كافر من وجوه لكنه هو الله ربى ولا اشرك بربى
احدا اصله لكن انا فنقلت حركة الهمزة الى النون ثم حذفت وادغم النون
فى مثلها واثبت ابن عامر الالف فى الوصول وحذفها الباقون قال الزجاج
اثبات الالف جيد جبرا للكلمة واشارة الى الاصل قلت المختار حذفه
جريا على الاصل فى الضمير المنفصل نحو انا يوسف والوقف ببين الرسم
وهو ضمير الشان والجملة بعده خبره وهو مع خبره خبرانا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر لكنى مؤمن ولولا اذ دخلت جنتك وقت
دخولك قلت ما شاء الله لامه على ترك هذه الكلمة اى ما شاء الله كان
على ان ما موصولة او اى شئ شاء الله كان على انها شرطية لا قوة الا بالله
اعتراف بالعجز وان ما تيسر لك بارادة الله ومعونته من غير حول ولا قوة
منك وفى الحديث من ارى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله
لم يضره شئ ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا ضمير الفصل ويجوز
ان يكون تاكيدا للمفعول فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك فى الدنيا او
فى الاخرة جواب الشرط ويرسل عليها حسبانا من السماء افة سماوية
مثل الصاعقة والبرد والريح وعن يحيى بن يعمر كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم لا تجعلها حسبانا او مصدر بمعنى الحساب
والمراد التقدير بحرابها او جمع حسبانة وهى السهام او الوسايد الصغار
والمراد ارسال اشياء يشبهها فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء لا نبات
بها او يصبح ماؤها غورا غائرا فى الارض مصدران وصف بهما مبالغة
ويصبح امّا فعل ناقص والمنصوب بعده خبره وامّا بمعنى الدخول فى الصباح
فان طروق العذاب بالليل اشد فلن تستطيع له طلبا للماء الغائب
جعل طلبه غير مقدور لان طلب المحال كالمحال لا يصدر عن عاقل واحيط
بثمره كناية عن الهلاك رأسا من احاط به العدو واختلف فى القراءة ذكر
انفقا فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها كناية عن غاية الاسف والندم
فان النادم يفعل ذلك ولتضمنه معنى الندم عداه بعلى وهى خاوية
على عروشها ساقطة كرر منها على ما كانت مقررة عليه من الاخشاء
لزيادة الحزن والكمد اذا رآها كذلك واختصاص الكروم لانها اصل

الجنة والنخيل الحافة بها كالتوشيح لها ويقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا لما
فى نفسه اوجها ولم تكن له فئة تنصرونه من دون الله احد ينصره حالة
العذاب وانما اثر لفظة الفئة لان اكثر الانتصار بالشبان الاقوياء فى الشدايد
وما كان منتصرا دفع لما يتوهم انه بذلك الندم صار تايبا فيدركه رافة
ربه القادر على نصره فان قلت قوله يا ليتنى لم اشرك بربى احدا ظاهر فى التوبة
والايمان وقد قال كان حقا علينا نصر المؤمنين قلت ندمه انما كان اسفا على
الدنيا والله لو لم يشرك لم يصب جنته ما اصابها ولين كان مخلصا فى توبته
فانما لم تقبل لانها كانت بعد ظهور الاية فلو لا كانت قريبة امنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس وقرا حمزة والكسائى بذكر الفعل وهو المختار لوجود
الفاصل هنالك الولاية لله الحق فى تلك الحالة التى حل فيها غضب الله لا
نصرة ولا قدرة لاحد غيره وقرا حمزة والكسائى بكسر الواو وعن الفراء
انهما لغتان والمشهور ان الكسر معناه السلطنة والفتح النصرة وهو المختار
لقوله وما كان منتصرا وقرا ابو عمرو والكسائى بجر الحق صفة لله كقوله
مولاهم الحق وهو المختار لسلامته عن الفصل بين الصفة والموصوف وقيل
هنالك اشارة الى الاخرة ولا يحق بعده هو خير ثوابا وخير عقبا قراء
عاصم وحمزة بسكون القاف وهما لغتان بمعنى العاقبة واضرب لهم
مثل الحيوة الدنيا اتبع المثل الاول لمن اغتر بالدنيا وزخارفها بما هو
اظهر فان ذلك كان على طريقة الحكاية دون المشاهدة وهذه امور مشاهدة
لهم على التوالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض خالط
بعضه بعضا بسببه وتكاثف وقيل نفع فى النبات حتى روى ورف للدخول
الماء فى اجزائه وكان الظاهر على هذا فاختلط بنبات الارض وانما عكس
مبالغة وصفا للشئ بوصف ما يجاوره فاصبح هشيما مهشوما مكسرا
محطما والهشم الكسر ومنه قيل لجد رسول الله هاشم واسمه عمرو قال
شاعرهم عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
تذروه الرياح تعرقه شبه حال الدنيا فى نضرتها وما يتعقبها من الهلاك
والفناء سريعا بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يصير عن قريب حطاما
يطيره الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا كامل القدرة وذلك من اثار
تلك القدرة المال والبنون زينة الحيوة الدنيا خصهما بالذكر لانهما
مناط الغرور وجعلت له ما لا ممدودا وبنين شهودا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا الاعمال الصالحة وصف للشئ بوصف اثره وما يترتب
عليه لان الباقى ثوابهما قيل هى الصلوة الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله

وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله وهو الوجه وخيرا املا لعدم خيبة الامل بخلاف امل الدنيا فانه تارات ويوم نسير الجبال تهويل ليوم القيمة بعد التنفير عن الاغترار بالدنيا وزخارفها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالتاء على بناء المفعول ورفع الجبال والباقون بالنون وهو المختار لكونه اشد تهويلا وتسيير الجبال امّا فعلها وطيرانها في الجو لقوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وامّا اذهابها وجعلها ترابا كقوله وكانت الجبال كثيبا مهيلا وكلا المعنيين بحسب الاوقات وترى الارض بارزة ليس عليها جبل ولا نبات وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف اثر الماضي اشارة الى تحقق وقوعه كما في قوله ونادى اصحاب الجنة وقيل للدلالة على ان الحشر قبل تسيير الجبال وليس بسديد لقوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي بعد قوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولما روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس على ارض بيضاء عفراء ليس فيها علم فلم نغادر منهم احدا لم نترك ومنه يسمى نقض العهد غدرا لكونه تركا للوفاء وعرضوا على ربك صفا كما تعرض الجنود على الملوك صفا صفا لقد جئتمونا فرادى فرادى على اضمار القول وهو العامل في يوم ويجوز تقديره اذكر كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة لا مال ولا ولد بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اضراب الى ما هو اعظم من التعزز بالاموال وهو انكار البعث ووضع الكتاب اي كتاب كل واحد وهو صحيفة عمله فترى المجرمين مشفقين مما فيه من الذنوب الاشفاق الخوف من الشفق وهو الشيء الردي ويقولون يا ويلتنا يا هلكتنا المختصة بنا تعال هذا اوانك ما لهذا الكتاب استبنافا للتعجب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ضبطها لا يشذ منها شيء فان قلت كان الظاهر تقديم الكثرة كما يقال فلان لا يملك دينارا ولا درهما قلت ليس وزنا هما واحدا لان محل المسامحة الصغيرة فكان مظنة عدم احصائها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس حال الدنيا وزخارفها وكان الشيطان قد اقسم في بداءة العداوة لازينن لهم في الارض اشار الى ان الاغترار بها من تزيين ذلك العدو كان من الجن استيناف بجري مجرى العلة كانه قيل لم لم يسجد قيل لم لم يسجد لانه كان جنيا مطبوعا على الفساد ففسق عن امر ربه الفاء دالة على سببية ما قبله اي كان فسقه لكونه من الجن افتتخذونه ابعد ما وجد ذلك منه تتخذونه انكار وتعجيب وذريته اولاده ان صح ان له اولادا او اتباعه

مجازا اولياء من دوني بدلا مني وهم لكم عدو حال يؤكد التوبيخ فان موالاة بدلا من موالاته تعالى منكر يتعجب منه كيف وقد انضم اليه كونه عدوا لكم قديم العداوة بئس للظالمين بدلا ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم لم يحضروا خلق شيء من المخلوقات فضلا عن الاعانة في التاثير فكيف يستحقون العبادة واشهاد خلق انفسهم اشهاد بعضهم خلق بعض كقوله ولا تلمزوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا ابليس وذريته وضع المضلين موضع الضمير ذما لهم والعضد مظهر القوة استعمل في المعوان والنصر كاستعمال الظهر فان قلت الوصف بالاضلال مشعر بغلبة الاشقياء فيوهم جواز الاعتضاد بغير المضلين قلت الاعتضاد في الايجاد والخلق محال دلت القواطع عليه واما في اظهار الدين والشرايع فلا مانع منه يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وينصرون الله ورسوله ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم ابليس وذريته او من عبد من دون الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم بل تبرا منهم وقالوا ما كانوا ايانا تعبدون وجعلنا بينهم موبقا مكانا هلاكا يشتركون فيه يقال المال بين زيد وعمرو اسم مكان من وبق هلك الموبقات كبائر الذنوب وعن الحسن عداوة في الشدة كالهلاك وعن الفراء البين الوصل اي جعلنا تواصلهم هلاكا وان اريد بالشركاء الملائكة وعيسى وعزير فالموبق البرزخ البعد الذي يهلك فيه الاشواط للفرط بعده وفي المثل بلد يهلك فيه اشواط الرياح ورأى المجرمون النار ظنوا انهم مواقعوها ايقنوا ولا يجدون عنها مصرفا مكانا يعدلون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل كررنا كل معنى في الحسن مثل ضرب به وتقديم الجار على الناس في هذا المسوق حقه دون سائرها للاهتمام لانه السورة مصدرية وكان الانسان اكثر شيء جدلا مراء باطلا وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما في لحاف فقال الا تصليان قلت انا نفوسنا بيد الله متى شاء ان يبعثها بعثها فضرب يده على فخذه ثم قرأ وهو مولى وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس اذ جاءهم الهدى هو القرآن او محمد ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم لذنوبهم السالفة الا ان تاتيهم سنة الاولين وهو هلاك الاستيصال اذ لم يبق لهم عذر او تاتيهم العذاب قبلا معاينة اي عذاب الاخرة وقرأ الكوفيون بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع والمختار الكسر لخفته

وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل
الذين كفروا بالباطل عنادا باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ليدحضوا
به الحق ليزيلوه من ادحضه القدم ازلقها والدحض المكان الزلق وفي الحديث
دون دحض جهنم طريق ذا وحض واتخذوا اياتي معجزاتي التي صدقت بها
رسلي وما انذروا والذي انذروا به هزوا مهزوا به قرأ حمزة بإسكان
الزاء والباقون بالضم وهما لغتان وابدل حفص الهمز واوا ومن اظلم ممن
ذكر بايات ربه فاعرض عنها لا اظلم منه لانه كفر بعد ظهور الحق مع كونه
له لا عليه ونسي ما قدمت يداه من المعاصي وكان عليه ان يبادر الى قبولها
لانه يذهب بالذنوب قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
انا جعلنا على قلوبهم اكنة علة للاعراض اذ لا قصور في تلك الايات
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يمنعهم عن استماع
الحق وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا لسد طرق الادراك
عليهم اذا جواب للرسول على تقدير سؤال كانه قيل مالي لا ادعوهم وجزاء
لكونهم مطبوعا على قلوبهم فدعوتهم لا ينجع وربك الغفور ذو الرحمة
الواسعة لو يؤاخذهم بما كسبوا من الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب
اي عذاب الاستيصال لقلة لامهالهم بعد ما تحققوا انهم من اهل النار
بل لهم موعد لابد من مجيئه فالتاخير لذلك لو غير لا لاهمال لن يجدوا
من دونه موئلا ملجا يوم بدر او يوم القيمة وتلك القرى قرى عاد وثمود
واصحاب الايكة اشار اليها لانهم شاهدوها اهلكناهم خبر بتلك لما ظلموا
كذبوا الرسل كقريش وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم مصدر اضيف
الى المفعول او لوقت اهلاكهم اسم زمان وقرا عاصم في رواية ابي بكر بفتح
اللام والميم مصدر هلك او اسم زمان وفي رواية حفص بكسر اللام مصدر
او اسم نحو المرجع على غير القياس والمختار قراءة الجمهور لقوله اهلكهم
واذ قال موسى لفتاه اذكر وقت قول موسى لفتاه يوشع بن نون او وزير
تلمذ موسى مع الخضر قال لو علم انه اعلم منه لما استطال الرحلة قد عوام الشيوة
وحد لالة على جهل اليهود الذين امتحنوه فاله موسى بينهم وقصة هذه من
اعظم وقايده وهم لا يعرفونها وعقفة على ما رواه البخاري عن سعيد بن جبير
قال كنت عند ابن عباس في بيته اذ قال سلوني قلت اي يا ابن عباس جعلني الله
فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم ان موسى ليس موسى بني اسرائيل
انما هو موسى اخر قال ابن عباس كذب عدو الله حدثني ابي بن كعب انه سمع
رسول الله يقول ذكر موسى يوما وفي رواية قام خطيبا في بني اسرائيل حتى

قاضت العيون ورقت القلوب فقال رجل اي رسول الله هل في الارض رجل اعلم
منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فقال بلى لي عبد بمجمع البحرين هو
اعلم منك فسأل السبيل الى لقيه فقال اجعل حوتا في مكتل فحيث فقدت الحوت
فهو ثمه فقال موسى لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما
كلفت كثيرا فانطلقا حتى اتيا الصخرة فوضع موسى راسه فنام وكان في اصل
الصخرة عين الحيوة فاصاب الحوت منها شيء فاضطرب وانسل من المكتل فسقط
في البحر فامسك الله الجرية عن الحوت فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ
موسى نسي فتاه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان
من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فقال
فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان
اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغي ولم يجد موسى نصبا في
سفره حتى جاوز الصخرة فارتدا على اثارهما قصصا يقصان اثرهما حتى انتهيا
الى الصخرة فاذا رجل مسجى ببرده وفي رواية كان على طنفسة خضراء على كبد
البحر فسلم عليه موسى فقال له الخضر وانى بارضك السلام قال انا موسى
قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال يا موسى انك
على علم علمك الله لا اعلمه وانا على علم علمنيه الله لا تعلمه انك لن تستطيع معي
صبرا قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا فان اتبعتني
فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمر
بهما سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم ووقع عصفور على
البحر فاخذ من الماء بمنقاره فقال الخضر لموسى ما علمني وعلمك وعلم الخلائق
الا بمقدار ما غمس هذا العصفور بمنقاره فلم يخرم موسى الا والخضر قد قلع
لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى
سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا وكانت هذه
من موسى نسيانا ثم خرجا من السفينة يمشيان على الساحل فاذا بالخضر غلاما
يلعب مع الغلمان فاخذه فاقتلع راسه فقال موسى اقتلت نفسا زاكية
بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه
اشد من الاولى قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من
لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه الخضر وقال بيده هكذا فقام وكان
مايلا فقال موسى قوم ابوا ان يضيفوا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا

فراق بيني وبينك فقال رسول الله ودد نا لو صبر موسى حتى يقص الله علينا من امرهما لا أبرح لا ازال احذف الخبر لدلالة حاله السفر عليه ولقوله حتى أبلغ مجمع البحرين لان الغاية يستدعي ما هي غاية له أي لا ابرح اسرا ولا يبرح سيري فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الفعل من الغيبة الى التكلم فالخبر حتى ابلغ وليس الاسناد مجازيا كما توهم ويجوز ان فعلا تاما اي لا ازول عما انا عليه من السير ولا يستدعي خبرا او امضي حقبا ثمانين سنة فان ما بعدها ازول عليه العمر او دهرا طويلا فلما بلغا موسى وفتاه مجمع بينهما المكان الذي وعده الله وهو ملتقى بحر الروم وفارس مما يلي المشرق وقيل طنجه وقيل افريقية من بلاد العرب وتفسير البحرين بموسى والخضر باطل نسيا حوتهما اي فقداه الناسي فتاه واسناده الى موسى لادنى ملابسة فاتخذ سبيله في البحر سربا طا مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا قال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اشارة الى سفرهم بعد فقد الحوت لانه قبله لم ينصب ولعل الحكمة ان ذلك كان في طلب العلم وهذا كان خاليا عن الفائدة قال فتاه ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت اي فقده وما انسانيه الا الشيطان بوسواسه وقرأ حفص بضم الهاء مراعاة للاصل المرفوض ان اذكره بدل من الضمير واتخذ سبيله في البحر من كلام فتاه عجبا مفعول اي فعجب موسى وفتاه عجبا لما روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان البحر للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل مفعول ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله في البحر عجبا اي اتخذا عجبا وقيل هو قول موسى اي قال يا عجبا كيف نسيت بعد تلك المشاهدة وامساك الماء قال ذلك ما كنا نبغ نريد يحوت فانه دليل المطلوب فارتدا رجعا في الطريق الذي جاءا منه على آثارهما قصصا يتبعان آثارهما من قصصت الاثر اتبعته فوجدا عبدا من عبادنا هو الخضر كما صرح به في الحديث آتيناه رحمة من عندنا نبوة ان كان نبيا وكرامة ان لم يكن وعلمناه من لدنا علما مختصا بنا لا يمكن الوصول اليه بالاكتساب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا علما ذا رشد وقرأ ابو عمرو بفتح الراء والشين وهما كالبخل والبخل قال انك لن تستطيع معي صبرا لاني اراك امورا لا اوافقك شرعك وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا الخبر علم الباطن بشعر فلما النعتا صدق الخبر الخبير نصب على التمييز او على المصدر لان الاحاطة بمعنى الخبرة

قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا لانه في تاويل المفرد اي غير عاص او على ستجدني مقولا للقول وانما علق بالمشية لان افعال العباد بمشيته تعالى ممنى اشارة الى ان الصبر على ما يخالف الحوّ بظاهره وان كان في نفسه حسنا جميلا في غاية الصعوبة قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء تنكره ويخفى عليك سببه حتى احدث لك منه ذكرا حتى اكون انا البادي فان المعلم ادرى بحال المتعلم من نفسه كالطبيب مع المريض ولذلك قال رسول الله دعوني ما تركتكم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم فانطلقا على هذا الشرط حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها استفهام انكار وقرأ حمزة والكسائي بياء الغيبة وفتح الراء ورفع اهلها والخطاب بضم التاء ابلغ انكارا لقد جئت شيئا امرا عظيما من امر بكسر الميم عظم وكبر وفي حديث هرقل قال ابو سفيان لقد امر ابن امر ان كبشة يريد رسول الله قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ذكره بما اعتذر اليه قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته فان النسيان لا عتاب عليه نسيت والنسيان مغتفر فان اول ناس النار ولا ترهقني من امري عسرا بالمضايقة وتكليف ما لا يطاق مفعول ثان يقال رهقه بالكسر اذا غشيه وارهقه اذا اغشاه فانطلقا بعد الخروج من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله بان اقتلع راسه كما سبق وقيل وجه وقيل ضرب راسه في الحائط قيل كان اسمه جيسور قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو زاكية وهما لغتان والتشديد ابلغ وعن ابن عيينة الزاكية التي لم تذنب قط فتختلفان والرسم مختلف لقد جئت شيئا نكرا ذا نكر مبالغة في الانكار وهذا اشد من الاول ولذلك قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا بزيادة لك مكافحا اياه بالعتاب على قلة الثبات بعدم تقدم الوصية ووقوع المخالفة عن قريب وقرا نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان وعاصم في رواية ابي بكر بضم كاف نكرا والباقون بالاسكان وهما لغتان قال ان سالتك عن شيء بعدها بعد هذه الواقعة فلا تصاحبني وان سالت صحبتك فقد بلغت من لدني عذرا تعذرت به لعجائب فعلك وقرا نافع وابو بكر بنون مخففة لان اصله لدن فحركت نونه الساكنة بالكسر واشم ابو بكر الدال الساكنة ضمة اشارة الى الاصل فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل هي الايلة وقيل هي ابعد ارض من السماء وقيل برقه وقيل ارمينية بربر وقيل جرزان وقيل باخروان استطعما اهلها طلبا اطعاما في الحديث اهل قرية لئاما بخلاء

فابوا ان يضيفوهما يقال ضافه نزل به ضيفا من ضاف السهم اذا مال وضيفه
انزل ضيفا فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض مشرفا على السقوط من القض
وهو الكسر استعارة تبعية كقوله ان دهرا يلف شملي بسعدى لزمان يهم بالاحسان
فاقامه بان اشار اليه بيده من غير مباشرة وعلاج قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا لاحتياجنا وعدم استحقاقهم الاكرام بالتبرع وقرا ابن كثير وابو عمر
تخذت عليه من تخذ مراد فاخذ وهي لغة هذيل قال شاعرهم وقد تخذت رجلى
لدى خيب غرزها وقراه الجمهور افصح وابلغ قال هذا فراق بيني وبينكم
اشارة الى الفراق الموعود او الى وقته او الاعتراض والبين الوصل اى هذا
وقت فراق المواصلة او ظرف بمعنى الوسط اضيف اليه المصدر اتساعا
سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا تلك لوقايع الثلث اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانوا عشرة خمسة زمنى وخمسة يعملون
في البحر استدل به على ان المساكين يطلق على من يملك شيئا وقيل سماهم مساكين
لزمانتهم وعدم القدرة على دفع الملك فاردت ان اعيبها وكان وراءهم
ملك امامهم او خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه ياخذ كل سفينة غصبا
كل سفينة سالمة لدلالة الكلام عليه وكان الظاهر تقديمه على ارادة العيب
لانه مسبب عنه وعن كون الملاك مساكين لكن لما كان متمسكة الملاك هو اقوى
الجزاءين رتب عليه المسبب المعنى بشانه تنبيها على ان في التامل ما يدل على
الاخر فاردت به على سبيل التهيم او على ان لا يهتدي اليه الخاطر واما
الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا يغشيهما
لانه كان كافرا فيوجب حب الابوين والرقة على الاخوال فيما هو فيه كذا عن سعيد
ابن جبير وابن جريج وعن مقاتل والكلبي كان غلاما طاغيا يقتل ويسرق وكان
ابواه في عز وشرف فاطولب بجنايته يخلق ابواه انه لم يفعل وقيل فخشينا
حكاية قوله تعالى واخشية بمعنى الكراهة وكان سؤال موسى ومخاطبته مع
الله والخضر واسطة ولا يخفى بعده وكذا ما قيل فخشينا ان يجتمع مؤمنان
وكافر في بيت واحد فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة طهارة
ونقاء من الذنوب وقرا نافع وابو عمر وبدلهما بالتشديد وهو ابلغ واكثر
في القرآن واقرب رحما الرحم الرحمة والعطف وقرا عبد ابن عامر بسكون الحاء
وهما لغتان دوى انه ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا فهدى الله
على يديه امة من الامم وقيل سبعين نبيا وقيل ولد لهما بنو مؤمن واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم وكان تحته كنز
لهما هو المدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت

لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا
وتقلبها كيف يطمئن لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا اشارة
الى علة الحفظ وعن جعفر الصادق رضى الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب
السابع سبعة اباء فيل جرى بين حسين بن علي وبين بعض الخوارج كلام فقال
الحسين ثم حفظ الكنز للغلامين قال بصلاح ابيهما فقال الى وجدى خير منه
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما غاية القوة وهو ما بين ثمانين عشرة الى ثلثين
مفرد وعن سيبويه جمع شدة ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مفعول له
او مصدر منصوب باراد لانه في معنى رحمهما وقد رعى في المقالات الثلث
ما يليق فان خرق السفينة لما كان عيبا واقعا بما شرنه اسنده الى نفسه و
ابدال الغلام بما هو خير منه كان بقتله وايجاد الله اسنادا لارادة الى نفسه و
الى الله وبلوغ الغلامين وحفظ الكنز لهما لم يكن له في ذلك مدخل اسنده
اليه تعالى وقيل هو باعتبار حال العارف في النظر الى الوسايط وارتفاعها
وما فعلته ما شاهدته عن امري صادرا عن شاني بل بامر الله ذلك
المذكور من الحكم الخفية تاويل ما لم تستطع عليه صبرا اصله تستطع حذف
منه التاء تخفيفا واختص به دون الاول لانه اخر الغصة فيدل الاختصار
على الاقتصار وهذا من غامض اسرار كلامه تعالى وسيأتي في اخر الشعراء
نظيره وقد اشتملت القصة على جملة من الاداب وهي ان العالم وان كان فريدا في
زمانه لا يحجب بعلمه اذ ربما يكون اعلم منه وفي المثل في الرواية خبايا وان لا يبادر
الى انكار ما لا يستحسنه اذ ربما كان فيه سر لم يطلع عليه ويراعي الادب مع
المعلم ولا يبادر به بالسؤال واذا راى خلاف الشرع ينكره وان كان من صدر
عنه اجل منه ويعفو عن صاحب الجريمة اذا رجع واعتذر فان قلت موسى كان
اعظم رتبة ام الخضر قلت بل موسى فانه من اولى العزم والخضر مختلف في نبوته
ولا يقدح في ذلك اتباعه اياه في جزئيات لم يتوقف عليها شريعته وكم من مسئلة
استفادها ابو بكر وعمر من اعماء الصحابة فان قلت ما تقول في الخضر هل هو
حي الان قلت العلم عند الله في ذلك اذ لم يرو نص يدل على حيوته ولا موته و
اكثر اهل القلوب واصحاب الكشوف مستغنون على حيوته اكثرهم يخبر عن الاجتماع
به ويدفنا الله الوصول الى ذلك ويسالونك عن ذي القرنين ثالث القصص التي
امتحنت اليهود بها وقد اشتملت القصة على جملة من الاباب وهي ان العالم وان كان فريدا في
زمانه لا يحجب بعلمه اذ ربما يكون اعلم منه وفي المثل في الرواية خبايا وان لا يبادر
الى انكار ما لا يستحسنه اذ ربما كان فيه سر لم يطلع عليه ويراعي الادب مع
المعلم ولا يبادر به بالسؤال واذا راى خلاف الشرع ينكره وان كان من صدر
عنه اجل منه ويعفو عن صاحب الجريمة اذا رجع واعتذر فان قلت موسى كان
اعظم رتبة ام الخضر قلت بل موسى فانه من اولى العزم والخضر مختلف في نبوته
ولا يقدح في ذلك اتباعه اياه في جزئيات لم يتوقف عليها شريعته وكم من مسئلة
استفادها ابو بكر وعمر من اعماء الصحابة فان قلت ما تقول في الخضر هل هو
حي الان قلت العلم عند الله في ذلك اذ لم يرو نص يدل على حيوته ولا موته و
اكثر اهل القلوب واصحاب الكشوف مستغنون على حيوته اكثرهم يخبر عن الاجتماع
به ويدفنا الله الوصول الى ذلك ويسالونك عن ذي القرنين ثالث القصص التي
امتحنت اليهود بها وقد اشتملت القصة على جملة من الاباب وهي ان العالم وان كان فريدا في
فلستي تلميذ لارسطاطاليس قيل كان في زمن ابراهيم وانما سمي بذي القرنين لانه
ملك المشرق والمغرب وقيل لانه راى في نومه كانه اخذ بقرني الشمس وقيل كان

فى رأسه شبه القرنين وقيل كان له ضفيرتان وقيل كان لناجة قرنان وسأل ابن الكوا
علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه فقال كان عبدا صالحا احبّ الله فاحبّه ضرب على
قرنه الايمن فى طاعة الله فمات ثم بعثه الله ثم ضرب على قرنه الايسر فسمّى
ذا القرنين وفيكم مثله يريد نفسه فانه ضرب على قرن رأسه يوم الخندق وضرب
على قرنه الاخر ابن ملجم لعنه الله او اراد انه يحبّ الله ويحبّه وهو الظاهر
لقوله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحبّ الله ورسوله
ويحبّهما قل سأتلوا عليكم منه من شأنه وجاله ذكرا قرانا او ما يذكر على
وجه الزمان الماخر الدهر لعدم اختلاله انا مكنّا له فى الارض جعلناه
متمكنا يتصرّف فيها بالامانع قيل ملك بسيط الارض مؤمنان سليمان وذو القرنين
وكافران نمرود والضحاك وآتيناه من كل شئ سببا ما يتوصّل به الى مقصوده
من علم وقدرة وسائرا لالات فاتبع سببا اراد سفرا لمغرب فاتبع طريقا
يوصل اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر اتبع من الافعال معدّى الى مفعول كقوله
فاتبعه شهاب او احد المفعولين محذوف اى امره او سببا سببا والافعال
أبلغ مع عدم الحذف حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة
ذات حمأة وهى الطين الاسود قال البريدى قرأ معاوية فى عين حامية فقال
له ابن عباس رضى الله عنه حمئة فقال لابن عمرو كيف تقرأ فقال حمئة فارسل
الى كعب الاخبار كيف تجدها فى التورية قال تغرب فى ثاط وهو الحمأة وقد
رآه تبع فى شعره يصف ذا القرنين فرأى معاذ الشمس عند غروبها فى عين
ذى صلب وثاط ترمدى وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر حامية
من حمى كرضى اى فى عين حارة وعن ابى ذر كنت ردف رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند غروب الشمس فقال هل تدرى اين تغرب الشمس قلت الله
ورسوله اعلم قال انها تغرب فى عين حامية وعن ابن عمر انّ رسول الله نظر
الى الشمس حين غابت فقال فيما نرأى الله الحامية لولا ما يزيحها من امر الله
لاحرقت ما على الارض ولا تنافى لامكان الوصفين ووجد عندها قوما
كارا ليأسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظ البحر قلنا يا ذا القرنين
نلقوه ان كان نبيا او سطة وهو الظاهر فهو نبىّ والا فيأ لهام او على لسان
نبىّ اما ان تعذّب واما ان تتخذ فيهم حسنا خيّره بين القتل والدعوة الى
الاسلام قال اما من ظلم بالاصرار على الكفر فسوف نعذّبه بالقتل
ثم يرد الى ربه فيعذّبه عذابا نكرا عذاب النار الذى لم يعهد مثله واما
من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى حسنات افعاله او الكلمة الحسنى
وهى كلمة الايمان وقرأ حمزة والكسائى وحفص جزاء منصوبا منونا

على المصدر او الحال من الفاعل او المفعول او غيره وسنقول له من امرنا يسرا
ايسر وسهوله لا مشقة فيه ويجوز ان يكون خبرا لتخيير بين القتل والاسر
واتخاذ الحسنى ابقاء ازواجهم وعلى هذا جوابه من الاسلوب الحكيم لانه تعرّض
للايمان الذى خلا عنه التخيير وعلى الوجهين راعى تقديم ما من الله على ما منه
ثم اتبع سببا طريقا موصلا الى المشرق وفى لفظ ثم اشارة الى انه انما
توجه بعد تمهيد جانب الغربى وضبط احواله حتى اذا بلغ مطلع الشمس
الموضع الذى تطلع على الشمس اول ما من معمورة الارض وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قيل ارضهم لا تمسك البناء لهم اسراب
يدخلونها عند طلوع الشمس فانهم لا يقدرون على حرّها فاذا ارتفعت خرجوا
وتردّدوا فى امر المعاش روى انّ رجلين وصلا اليهم وهم وراء الصين
فاذا احدهم يفترش اذنه ويتغطى بالاخرى وقيل الستر اللباس وقد
شاهدنا نحن ببلاد مصر ما يجلب من السودان لا لبس لهم اصلا بل وفى طريق
الحجاز خلق كثير كذلك امر ذى القرنين كما ذكر فى القوة ورفعة الشأن
او بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها او مثل ذلك القوم الذين تغرب عليهم
الشمس فى الكفر والضلال وقد احطنا بما لديه خبرا زيادة لعظيم امره
على الاول وانه فوق ما وصف له اسباب لا يحيط بها الا علم اللطيف الخبير
وعلى الثانى تعظيم للاسباب الموصلة له الى ذلك المكان الشاسع الذى لم يصل
اليه احد قبيلة وعلى الثالث تتميم يؤكد انه سن بهم ما سن باولئك الذين عند
مغرب الشمس ثم اتبع سببا طريقا الى صوب الشمال حتى اذا بلغ بين السدّين
وهما الجبلان اللذان بنى السدّ بينهما قيل هما جبلا ارمنية واذربيجان وقيل
منقطع ارض الترك من وراءهما ياجوج وماجوج وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وحفص بضمّ السين وهما لغتان وعن ابى عبيد الضمّ لفعل الخالق والفتح
لفعل المخلوق وبينهما رصّان وبه استقام وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقرأ حمزة والكسائى بضمّ الياء وكسر القاف
اى لا يكادون افهام الغير لغرابة لغتهم قالوا يا ذا القرنين انّ ياجوج و
ماجوج مفسدون فى الارض اتى فى ارضنا هاطائفتان عظيمتان وراء
السدّ روى انه لا يموت احدهم حتى يولد له الف نفس هما من ولد يافث بن نوح
وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الخيل والديلم وقيل ياجوج الاكراد
وماجوج الاناث وهما اسمان عجميان كهاروت وماروت وعن الاخفش انهما
عربيان من همز وهو عاصم جعل الالف اصلا فياجوج يفعول وماجوج
مفعول ماخوذ من اجيج النار ومن لم يهمز جعل الالف زائدة فمأجوج

مِنْ يَجُوجَ وَمَاجُوجَ مِنْ يَجَجْتُ وَعَدَمُ الْانْصِرَافِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّانِيثِ فَهَلْ
نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى اَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا بِحَجْرِ بَيْنَنَا وَقَرَأَ حَمْزَةُ
وَالْكِسَائِيُّ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجًا وَالْخَرْجُ وَالْخَرَاجُ وَاحِدٌ كَالنَّوْلِ وَالنَّوَالِ
وَالْحَصْدِ وَالْحَصَادِ وَقِيلَ الْخَرْجُ الْجُعْلُ وَالْخَرَاجُ مَا يُضْرَبُ عَلَى الْاَرْضِ وَقِيلَ
الْخَرْجُ مَصْدَرٌ وَالْخَرَاجُ اِسْمٌ وَقِيلَ الْخَرْجُ مَا تَبَرَّعْتَ بِهِ وَالْخَرَاجُ مَا لَزِمَكَ وَقِيلَ
الْخَرَاجُ اَعَمُّ بِنَاءً عَلَى اَنَّ زِيَادَةَ الْبِنَاءِ لِزِيَادَةِ الْمَعْنَى هٰذَا وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُسْتَعْمَلُ
فِي مَوْضِعِ الْاٰخَرِ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ مَا جَعَلَنِي فِيهِ مُكَيِّنًا مِنَ الْمَالِ وَلَيْسَا
خَيْرًا مِمَّا تَبْذُلُونَ لِي وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ مَكَّنَنِّي بِالْاِظْهَارِ اِعْتِبَارًا لِلْاَصْلِ لِاَنَّ نُونَ
الْوِقَايَةِ كَلِمَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ وَعَلَيْهِ رَسْمُ الْمُصْحَفِ الْمَكِّيِّ وَعَلَى الْاِدْغَامِ سَائِرُ الرُّسُومِ
فَاَعِينُونِي بِقُوَّةٍ مِنَ الصُّنَّاعِ وَالْاٰلَاتِ اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا حَاجِزًا
حَصِينًا مَوْثُقًا مِنْ قَوْلِهِمْ ثَوْبٌ مَرْدُومٌ اَيْ دِقَاعٌ فَوْقَ رِقَاعٍ وَارْدِمْتُ الْحُمَّى دَامَتْ
اٰتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ قِطَعَهُ وَاحِدُهَا زُبْرَةٌ وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْكَبِيرَةُ مِنَ الزُّبْرِ
وَهُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ وَهٰذَا لَا يُنَافِي رَدَّ الْخَرَاجِ لِاَنَّ الْاِيتَاءَ بِمَعْنَى الْمُنَاوَلَةِ
اَوْ بِمَعْنَى الْاِتْيَانِ كَقَوْلِهِ اٰتِنَا غَدَاءَنَا تَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ اَبِي بَكْرٍ اٰتُونِي بِهَمْزَةِ
الْوَصْلِ حَتَّى اِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ بَيْنَ رَأْسَيِ الْجَبَلَيْنِ صَدَفًا شَيْئًا عَالِيًا
وَلَا يُقَالُ اِلَّا اِذَا قَابَلَهُ مِثْلُهُ كَالزَّوْجِ وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَاَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ
بِضَمَّتَيِ الدَّالِ وَالصَّادِ وَاَبُو بَكْرٍ بِضَمِّ الصَّادِ وَاِسْكَانِ الدَّالِ وَالْفَتْحُ لُغَةُ الْحِجَازِ
الْاَفْصَحُ قَالَ انْفُخُوا فِي الْاَكْوَارِ وَالْحَدِيدِ حَتَّى اِذَا جَعَلَهُ نَارًا كَالنَّارِ قَالَ
اٰتُونِي اُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا نُحَاسًا مُذَابًا سُمِّيَ بِهِ لِاَنَّهُ يَقْطُرُ وَقَدْ حُذِفَ مَفْعُولُ الْاَوَّلِ
لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَكْسِرُوا لِاَنَّ الضَّمَّ فِي الثَّانِي عَلَى مَا هُوَ الْمُخْتَارُ وَقَرَأَ حَمْزَةُ
بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ وَلِاَبِي بَكْرٍ وَجْهَانِ قِيلَ حَفَرَ الْاَسَاسَ حَتَّى بَلَغَ الْمَاءَ وَجَعَلَ الْاَسَاسَ
مِنَ الصَّخْرِ وَالنُّحَاسِ الْمَذَابِ وَالْبِنَاءَ مِنْ زُبَرِ الْحَدِيدِ بَيْنَهَا الْحَطَبُ وَالْفَحْمُ حَتَّى سَدَّ
مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ اِلَى اَعْلَاهُمَا ثُمَّ وَضَعَ الْمَنَافِخَ حَتَّى اِذَا صَارَتْ كَالنَّارِ صَبَّ النُّحَاسَ
الْمَذَابَ عَلَى الْحَدِيدِ فَاخْتَلَطَ وَالْتَصَقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ فَصَارَ جَبَلًا صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ
عَلَيْهِ قِيلَ بَعْدَ مَا بَيْنَ السَّدَّيْنِ مِائَةُ فَرْسَخٍ فَمَا اسْطَاعُوا اَنْ يَظْهَرُوهُ لِغَايَةِ
عُلُوِّهِ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا لِغَايَةِ صَلَابَتِهِ وَمَتَانَتِهِ وَقَرَأَ حَمْزَةُ فَمَا اسْطَاعُوا
بِالْاِدْغَامِ اَصْلُهُ اسْتَطَاعُوا مَعَ الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ اِجْرَاءً لِلْوَصْلِ مُجْرَى الْوَقْفِ
رَوْمًا لِلْخِفَّةِ قَالَ هٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي عَلَيْكُمْ لَيْسَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْهُ فَاِذَا جَاءَ وَعْدُ
رَبِّي وَقْتُ خُرُوجِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ جَعَلَهُ دَكًّا مَدْكُوكًا مِنْ دَكَكْتُ الشَّيْءَ كَسَرْتُهُ
وَسَاوَيْتُهُ بِالْاَرْضِ وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ دَكَّاءَ فَعْلَاءَ اَيْ اَرْضًا مُسْتَوِيَةً وَعَنِ
الْفَرَّاءِ هُمَا مَصْدَرَانِ كَالْبَاسِ وَالْبَأْسَاءِ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ثَابِتًا لَا مَحَالَةَ

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ اَيْ وَقْتَ مَجِيءِ الْوَعْدِ جَعَلْنَا يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ
يَمُوجُونَ مُخْتَلِطِينَ مَاجَ الْبَحْرُ اِضْطَرَبَ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَاجُ الْاِنْسِ وَالْجِنِّ يُؤَيِّدُهُ
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ جُمِعْنَاهُمْ جَمْعًا لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ
عَرْضًا يُشَاهِدُونَهَا وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ الَّذِينَ كَانَتْ اَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي
اَيْ عَنِ النَّظَرِ فِي الْاٰيَاتِ الْمَتْلُوَّةِ فِي الْاٰفَاقِ وَالْاَنْفُسِ لِبُعْدِ هِمَمِهِمْ اِلَى الذِّكْرِي بِكُلِّ جَمِيلٍ
اَوِ الذِّكْرِ هُوَ الْقُرْاٰنُ وَالْاَعْيُنُ الْبَصَائِرُ وَالْغِطَاءُ التَّغَافُلُ وَالْاِعْرَاضُ عَنِ التَّاَمُّلِ
فِيهِ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا كِنَايَةٌ عَنِ الْاِعْرَاضِ اَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ صُمٌّ لِاَنَّ الْاَصَمَّ
اَنَاصِيحُ بِهِ يُسْمَعُ وَهٰؤُلَاءِ سُلِبَ عَنْهُمُ الْاِقْتِدَارُ اَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا اَنْ يَتَّخِذُوا
عِبَادِي مِنْ دُونِي اَوْلِيَاءَ عَطْفٌ عَلَى كَانَتْ وَالْمَعْنَى اَبَعْدَ ذٰلِكَ التَّعَامِي وَالْتِصَامِ
يَعْتَقِدُونَ اَنَّ وِلَايَةَ الْمَلٰٓئِكَةِ وَعِيسَى نَافِعَةٌ لَهُمْ وَضَعَ الْمُظْهَرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ
دَلَالَةً عَلَى اَنَّ مَنْشَأَ ذٰلِكَ الْحُسْبَانِ هُوَ الْكُفْرُ وَقَدْ نُسِبَ اِلَى اَبِي بَكْرٍ وَهِيَ قِرَاءَةُ عَلِيٍّ
رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ اَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِسُكُونِ السِّينِ وَالْمَعْنَى اَضَكَافِهِمْ ذٰلِكَ وَعِدَّهُ
لَهُمْ مِنْ دُونِ سَائِرِ الْعَقَائِدِ وَعَلَى هٰذَا اَنَّ مَعَ مَا نَفَى حَيِّزَهُ فَاعِلُ الْفِعْلِ اِنَّا اَعْتَدْنَا
جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا طَعَامًا يُهَيَّأُ لِلضَّيْفِ اِذَا نَزَلَ بِهِمْ وَاِشَارَةٌ اِلَى اَنَّ بَعْدَهُ
عَذَابٌ يَسْتَحْقِرُ هٰذَا دُونَهُ وَعَنِ الزَّجَّاجِ هُوَ الْمَنْزِلُ وَالْمَادَّى قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ
بِالْاَخْسَرِينَ اَعْمَالًا تَمْيِيزٌ جُمِعَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْاَنْوَاعِ وَاِنَّ كُلَّ نَوْعٍ كَافٍ لِزِيَادَةِ خُسْرِ
اَنْفُسِهِمْ وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ سَاَلْتُ اَبِي عَنْهُمْ اَهُمُ الْحَرُورِيَّةُ
قَالَ لَا هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارٰى اَلَّذِي ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ضَاعَ وَبَطَلَ
خَبَرُ مُبْتَدَاٍ مَحْذُوفٍ لِاَنَّهُ جَوَابُ سُؤَالٍ اَوْ نَعْتٌ لِلْاَخْسَرِينَ وَالْجَوَابُ اُولٰٓئِكَ
وَهُمْ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا بِاِتْعَابِ اَنْفُسِهِمْ فِي اَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ
مَعَ فَوَاتِ شَرَائِطِهَا اُولٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيَاتِ رَبِّهِمْ بِالْقُرْاٰنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ
التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ مُسْتَأْنَفٌ جَارٍ مَجْرَى التَّعْلِيلِ وَلِقَائِهِ لِعَدَمِ اِعْتِقَادِهِمْ
بِالْبَعْثِ فَحَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ سَقَطَتْ وَلَمْ يَعْتَدَّ بِهَا فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا
مِيزَانًا لِعَمَلِهِمْ اِذْ لَيْسَ لَسَيِّئَاتِهِمْ مُقَابِلٌ بِخِلَافِ الْمُوَحِّدِ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا
اَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُؤْتَى بِرَجُلٍ مِنْ اُمَّتِي فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ
وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ بَصَرِهِ ثُمَّ يَقُولُ اللّٰهُ هَلْ ظَلَمَكَ الْحَفَظَةُ فَيَقُولُ
لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ لَكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ اِنَّ لَكَ عِنْدَنَا لَحَسَنَةً فَتَخْرُجُ لَهُ
بِطَاقَةٌ فِيهَا اَشْهَدُ اَنْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هٰذِهِ
الْبِطَاقَةُ مَعَ هٰذِهِ السِّجِلَّاتِ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ
السِّجِلَّاتُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللّٰهِ شَيْءٌ اَوْ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْاِزْدِرَاءِ بِهِمْ يُقَالُ لَيْسَ لِفُلَانٍ
عِنْدَ الْمَلِكِ وَزْنٌ اَيْ مِقْدَارٌ وَعَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ اَنَّهُ لَيَاْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ

يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَا نُزُنُ عِنْدَ اللّٰهِ جَنَاحُ بَعُوضَةٍ فَاقْرَوا وَاِنْ شِئْتُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ
وَزْنًا ذٰلِكَ اى الامر ذلك جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ مبتدا وخبر او ذلك مبتدا وجزاؤهم
خبره وجهنم عطف بيان او ذلك مبتدا والجملة خبر والعايد محذوف اى به او له
بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا اٰيٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا مَهْزُوًا بِهِمْ اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ
كَانَتْ لَهُمْ جَنّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا هُوَ اَوْسَطُ الْجَنَّةِ روى مسلم والبخارى اَنَّ
رَسُولَ اللّٰهِ قال اذا سالتم الله الجنة فسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة ومنه
يتفجر الانهار الجنة وهو حكمه رومنه خَالِدِينَ فِيهَا حال مقدرة لَا يَبْغُونَ
عَنْهَا حِوَلًا لانقطاع الاماني فلا مطلب بعده قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمٰتِ
رَبِّى المداد اسم لكل ما يمد به والمراد هنا ما يمد به الدواة لَنَفِدَ الْبَحْرُ
جنس البحر بحيث لم يبق منه شئ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰتُ رَبِّى لانفد ابدا لانها
تعالى محققا او مقدرا على ما يتوهم من معنى القبلية وانما عدل اليه فى المنزل
للمزاوجة وان ما لا ينفد عند العقول العامية ينفدون نفادها وقرا حمزة
والكسائى ينفد بالتذكير والتانيث هو المختار لعدم الفصل وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ
مَدَدًا عونا اذ لا نسبة للمتناهى الى غيره قُلْ اِنَّمَا اَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحٰى اِلَىَّ اَنَّمَا
اِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَاحِدٌ لا افوقكم الا بذلك دفع لطمعهم لما ابطا فى جواب السوال
الذى هو سبب نزول السورة فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ رويته او ثواب لقاءه
عند العرض فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ اَحَدًا لا يرى بعمله
روى البخارى وابن ماجة واحمد بن حنبل ان رسول الله قال اذا جمع الله الناس
يوم القيمة نادى مناد من كان اشرك فى عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله
فان الله اغنى الشركاء واما اذا حمده الناس من غير رياء فلا عليه لما روى مسلم
عن ابى ذر انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يعمل الخير ويحمده الناس عليه قال تلك
عاجل شرى المومن تمت والحمد لله كما هو افضا والصلوة على محمد واله ما ملع القاع بقاع

سورة مريم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ كٓهيعٓصٓ اسم السورة او حروف التهجى ايقاظا وتنبيها
وامال ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى يا من هذه الحروف والسوسى فى
وجه وامال ابو عمرو وابو بكر والكسائى ها وامال نافع الفها ويا اماله
تقلله لان هذه الحروف اسماء واصل الفها الياء بدليل الانقلاب فى التثنية
ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ خبر مبتدا محذوف اى فيما يتلى عليك او خبر ما قبله اجعل
اسم السورة عَبْدَهُ مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعل على ان
الاسناد مثل ذكرنى جود زيد زَكَرِيَّا بدل او عطف بيان فواحمزة والكسائى

بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ مَقْصُورًا وَهِىَ لُغَةٌ اِذْ نَادٰى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا لان
الخفاء والجهر عند الله سيان ولانه يشعر بالضعف المناسب للاجابة ولانه
ادخل فى الاخلاص ولئلا يلام على طلب الولد فى ايان الكبر او لانه خاف من موالية
الذين خافهم من ورائه فاسره فان قلت النداء رفع الصوت فكيف يستقيم
فيه الخفاء قلت النداء ممدودا مطلق الصوت والذى هو مقيد برفعه مقصورا
قيل نادى وسنه خمس وستون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قَالَ
رَبِّ اِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ منى خصه بالذكر لانه عمود البدن واشد ما يتركب منه
الجسد فاذا وهن كان سايرا جزايه اوهن وافرده لان العرض ان هذا الجنس
مع صلابته وشدته نطرق اليه الوهن ولو جمعه لكان المعنى ان الوهن قد اضاء
كل فرد منه لا بعضا وليس هو بصدد بيان ذلك لانه قصدا لاستغراق وهو
فى المفرد اشمل فانه مع كونه ليس بغرض غير مسلم فى المعرف واشتعل الراس
شَيْبًا شبه انتشار الشيب فى الراس باشتعال النار فى الحطب والجامع للشمول
والظهور ثم اخرجه فى صورة الاستعارة مبالغة والقرينة اسناد الاشتعال
الى الراس او شبه الشيب بالنار والوجه الانبساط فالاستعارة مكنية والاشتعال
تخييل وانما اطنب لان مقام اظهار الضعف يقتضيه ولولا ذلك لكفى ان يقول رب
شخت وَلَمْ اَكُنْ بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا فطفيما سلف وطلب الولد من مثل وان لم
يكن معتادا متعارفا ولكن جودك واجابتك دعوتى متعارف مستمر وفعل
على كريم فقال له مَنْ اَنْتَ قال انا الذى احسنت اليه وقت كذا قال مرحبا بمن توسل
الينا بنا وَاِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَايِى موالية بنو عمه كانوا شرار بنى اسراييل
فخاف ان يبدلوا بعده والجار يتعلق بمعنى الولاية فى الموالى لا بخفت لفساد المعنى
وَكَانَتِ امْرَاَتِى عَاقِرًا فيما مضى لا تلد فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ منك كما قدرت لنا التى
تخترع بها الاشياء وان لم تكن حصول الولد من العاقر والشيخ معتادا وَلِيًّا
ولدا من صلبى لقوله مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً يرثنى ويرث من ال يعقوب وقرا
حمزة ابو عمرو والكسائى بالجزم على انه جواب الامر الرفع على الوصف يَرِثُنِى
زكريا قبل يحيى على الاكثر او على التقييد نظنه كما فى قوله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن فى جواب ذى اليدين اقصرت ام نسيت مع انه كان ناسيا والحمل
على الاستيناف علة للسوال غير داخل فى المسوول بعيد والوراثة النبوة
والعلم لا المال لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث وَيَرِثُ مِنْ اٰلِ
يَعْقُوبَ هو اسراييل بن اسحق اذ لا يرث من اله الملك او العلم والنبوة ويكون من
للتبعيض لان اله ليسوا كلهم انبياء ولا علماء وقيل يعقوب بن ماثان اخو
زكريا وقيل يعقوب وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا

صدقه على ابويه او زكوا به الناس ويطهرون من الذنوب او جعلناه زكيا طاهرا من قبيل رجل عدل روى ابن حرير واحمد بن حنبل عن ابن عباس ما من احد الا وقد عمل سيئة او هم بها الا يحيى بن زكريا وكان تقيا شديد التقى وبرا بوالديه شديد البر بهما ولم يكن جبارا عصيا عاليا بخبر الناس على مراده نفى صبيحا فاعلم ضمنا مبالغة فى وصفه واشار عصيا على عاصيا مع كونه اوفق مراعاة لرؤس الاى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ثناء عليه واخبار بان خاتمته على وفق فطرته التى يولد عليها كل مولود وعن ابن عيينة خصها بالذكر لانها اوحش المواطن واذكر فى الكتاب مريم ابنة عمران اذ انتبذت اعتزلت غير مبالية بنفسها من النبذ وهو الطرح وانما اتبع قصة زكريا بقصتها لانها اغرب ترقيا من اهلها مكانا شرقيا شرقى بيت المقدس او شرقى دارها وعن ابن عباس لذلك اتخذت النصارى المشرق قبله فاتخذت من دونهم حجابا حائطا او نحوه كان موضعها المسجد فاذا حاضت انتقلت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فارسلنا اليها روحنا جبريل لانه الاى بالوحى الذى هو سبب الحيوة الابدية فتمثل لها بشرا سويا تام الخلق قيل جاء فى صورة امرد وضيئ الوجه جعد الشعر اذ لو بدا لها فى صورته لم تقدر على سماع كلامه وقيل لتتحرك شهوتها فيتحذر الى الرحم قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ان التقوى هى الملاذ فى مثل ذلك المقام واشار ان لبعد الرجاء مع التعرض والدخول عليها فى خلوة بعيدة عن الناس من غير اذن قال انما انا رسول ربك الذى استعذت به لاهب لك غلاما جئت لاكون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع وقرا ابن عامر ليهب لك بالياء مسندا الى الضمير وعليه رسم المصاحف قالت قد ذكر فى آل عمران ان الملائكة بشروها بغلام اسمه المسيح وهنا ذكر انه المباشر لذلك هو جبريل وحده قلت كلام الملائكة والمشافهة به مع ذكر باسمه ولقبه انما كان بعد قصة جبريل ولذلك اقتصر على الاستبعاد ولم نستوف على الكلام بذكر ايمنى وما جرى بينها وبين القوم من المحاورة زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والصلاح قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر يريد النكاح فان التفاح لا يكنى عنه ولذلك ازدوجه بقولها ولم اك بغيا فعول او فعيل لا لمقابلة بغيه وحمله على المبالغة تشبيها بفعول او على النسب كطالق وحائض تكلف قال كذلك قال ربك هو على هين قد سبق تقريره ولنجعله اية للناس معطوف على محذوف اى فعلنا ذلك

مرضيا عندك او راضيا بقضائك وقدرك يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى سماه الله باسم غريب من عنده تشريفا له والبشارة على لسان الملائكة لقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك لم نجعل له من قبل سميا لم يسم قبله احد بهذا الاسم وكذلك رسول الله لم يسم احد قبله بمحمد وقيل لم نجعل له من قبل شبيها كقوله هل تعلم له سميا قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا استبعد عادة وان كان موقنا بان الله قادر على ذلك او الاستبعاد ليسر راجعا اليه بل الى غيره فاذا اجيب بما اجيب ازداد المؤمنون ايقانا والمبطلون ازدراعا وعن الحسن ليسر هناك استبعاد بل انما سأل كيفية الحصول اهو على تلك الحالة او بعد عود الشباب يؤيده قوله واصلحنا له زوجه والعتى نهاية السن من عتا الشيخ اذا كبر وولى اصله عتود كقعود ما استثقلوا توالى الضمتين فكسروا التاء فقلبت الواوا لاولى ياء الكسرة ما قبلها فاجتمعتا الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء وقرا حمزة والكسائى وحفص بكسر العين على الاتباع وهو اخف والمختار لاتفاقهم فى عصيتهم قال كذلك اى الامر على ما ذكرت قال ربك هو على هين وان كان مستبعدا عادة ويجوز ان يكون الكاف فى محل النصب مفعول قال الثانى وهو مع قوله مفعول الاول وقوله هو على هين مفسر لما اشير اليه بذلك والخطاب لزكريا لقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قط او شيئا لتعتد به كقولنا ابى الطيب شعرا اى غير شئ ظنه رجلا وهذا مجاز شايع فلا يدل على كون المعدوم ليس بشئ وقرا حمزة والكسائى خلقناك قال رب اجعل لى اية علامة تدل على وقوع المبشر به على القيام بشكره قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلث ليال مع ايامها لقوله فى آل عمران ثلثة ايام سويا لا يسر بك آفة من خرس او الاية ليقوم بالشكر فسلب قدرة الكلام مع الناس لئلا يشوب بذكر الله غيره فخرج على قومه من المحراب من مصلاه حين اعتقل لسانه فاوحى اليهم اشار اليهم بقوله الا رمزا وعن ابن عباس كتب على الارض ان سبحوا بكرة وعشيا صلوا او نزهوا فى الوقتين كانهم امروا الذى فوا فى العبادة ان مفسره لان الوحى فيه معنى القول يا يحيى خذ الكتاب بقوة اى قلنا له بعد ولادته وبلوغه حد الفهم والكتاب هو التوريه واتيناه الحكم صبيا العلم والعقل وفى الحديث الصمت حكم قيل دعاه اترابه الى اللعب خلقنا او النبوة احكم الله عقله وارسله الى الناس وحنانا من لدنا رحمة وبركة على الناس تبركون به لما راى ورقة بن نوفل بلالا يعذب قال والله لئن قتلتموه لاتخذته حنانا اراد احد قبوره مزارا وذكوة

وهو مع العلة معطوف على قوله وهو على هين وفي ايثار الاولى سمية دلالة
على لزوم الهون ازالة للاستبعاد وقيل او عطف على مضمر اي لنبين به قدرتنا
ولنجعله اية وفيه تطويل بلا طائل ورحمة منا على العباد بارساله وكان
امرا مقضيا لا محالة لسبق العلم به او تحقيقا بان يكون لكونه اية من ايات
الله فهو من تتمة العلة فحملته بان نفخ في الدرع لقوله فنفخنا فيه من روحنا
فانتبذت به حاملة به كقوله تدوس بنا الجماجم والتربا مكانا قصيا بعيدا
من اهلها قيل كان لها ابن عم يسمى يوسف وقد سمعت له فلما ظهر الحمل
عليها هرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بقتلها فاتاه جبرائيل
فقال انه من روح القدس اياك ان تفعل فانثنى عزمه فاجاءها المخاض الى
جذع النخلة الجاءها وضع الولادة قال الفراء اصله المجيء وقد جعلته
العرب الجاء قال زهير شعر وجار سار معتمدا اليكم اجاء به المخافة والرجاء
والجذع ما بين العرق والغصن والام للجنس او العهد اذ لم تكن هناك غيرها
قيل كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا جثة ما حضرت واثمرت رطبا وهو
خرسة النفساء وشان النخل ان يثمر بدون التلقيح وكان الوقت شتا حتى اذا راوا
ذلك ارتدعوا عن اتهامها وايقنوا بان شانها في الولادة من غير زوج شان
النخلة من غير تلقيح في غير او ان الثمر قالت يا ليتني مت قبل هذا حياء من الناس
لاكراهة لحكم الله قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت بضم الميم
من قات يموت وهو المختار لاكثر وكنت نسيا شيئا حقيرا شانه ان ينسى
وقيل مصدر وسمي به وقرا حمزة وحفص بفتح النون قال الفراء وهما لغتان
ومعظم العرب على الكسر منسيا لحقارته لا يخطر بالبال فناداها من
تحتها من تحت ثيابها يريد عيسى او جبرائيل فانه كان بمنابة القابلة لها او
من مكانها اسفل منها وعن قتادة الضمير للنخلة وقرا نافع وحمزة والكسائي
وحفص بكسر الميم وحفص تحتها في نادبها ضمير عيسى او جبرائيل والفتح هو
المختار لحقته واعنائه عن الاضمار الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا
نهرا صغيرا سريعا هو عيسى من سرو الرجل ساد في حديث ام زرع زوجت سريا
اي شجيا او جدول ماء يؤيده قوله وهزي اليك بجذع النخلة اميله اليك
والباء صلة للتوكيد او على معنى افعلي الهز كقوله يجرح في عراقيها نصلي
تساقط عليك تتساقط ادغمت التاء في السين وقرا حمزة بحذف التاء
رطبا جنيا على الوجهين وقرا حفص تساقط مضارع ساقط ونصب رطبا
مفعولا والتشديد ابلغ جنيا طريا مجتنى من الشجر قيل ما للنفساء
خير من الطرب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر الولاد لم يكن

لذات الطلق خير من الرطب فكلي من الرطب واشربي من السري او من
شراب الرطب وقري عينا طيبي بما تيسر لك من الاكل والشرب واشتقاقه
من القر وهو البرد فان العين تدمع بالدمعة عند غاية السرور ومنه قرة عين
فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا او نذرت
صوما فلن اكلم اليوم انسيا وكان الكلام حراما على الصائم اخبرتهم
بالاشارة لقوله فاشارت اليه وقيد البشر لاخراج الملائكة فاتت به قومها
بعدما طهرت من النفاس تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيا فريا بديعا منكرا
اصل الفري القطع كانها اخترعته من عندها يا اخت هرون اراد وا اخا
موسى لانها كانت من اعقاب من كان في طبقته وكان بينهما الفسحة وعن
السدي لها كانت من اعقاب هادون وقولهم يا اخت كقولهم يا اخا العرب
اي واحدا منهم وقيل كان في زمانها رجل صالح يسمى هارون شبهوها به
اما حقيقة او تهكما وقيل كان رجلا فاجرا ما كان ابوك امرا سوء وما
كانت امك بغيا من ابن سري اليك هذا الفعل اشارة الى ان ارتكاب المعاصي
من اولاد الصالحين اقبح فاشارت اليه اي اطلبوا الجواب منه فقالوا
لسخريتها بنا اشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا
كان صلة من اي كيف نكلم الذين كانوا بالامس صبيانا ولم نزل عنه الصبا او
صفة ما كلمنا موصوفا بالصبا حتى نكلم هذا والعدول الى المضارع لتصور
الاستمرار او زائدة او بمعنى صار وعلى الوجوه كيف للتعجب قال اني عبد الله
اتاني الكتاب استنطقه زكريا وقيل كان بن يضع فلما سمع مقالتهم ابكى
على يساره ورفع اصبعه وكان اول ما نكلم به الاقرار بالعبودية تكذيبا
لمن يدعي فيه الالوهية والكتاب هو الانجيل قيل اوتيه الله في الصبا
مثل يحيى وقيل هو باعتبار الماء وجعلني نبيا وجعلني مباركا واجدني
اعظم من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى اعاد الفعل للدلالة على
كمال الصفتين حيث استقلت كل واحدة بجعل اينما كنت صرت او كنت
وايثار الماضي دلالة على تحقق الوقوع واوصاني بالصلوة والزكوة زكوة
المال او طهارة النفس على الرذائل وايثار الابضاء على الامر للدلالة على الزوم
حتما ما دمت حيا دوام حياتي وبرا بوالدتي عطف على مباركا وتوسيط
الامر بالصلوة والزكوة للاهتمام ولم يجعلني جبارا متكبرا شقيا عند
والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا اللام فيه للجنس
تعريضا باللعن على اعدائه كقوله والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض
باتباع العذاب على من كذب وتولى وجعله للعهد لتقدم سلام يحيى غير بعيد

لان ذلك السلام لا يكون لعيسى روى سعيد بن ابى عروة عن قتادة عن الحسن
ان عيسى ويحيى التقيا فقال عيسى ليحيى استغفر لى فقال انت خير منى استغفر
كيف اكون خيرا منك وسلم الله عليك وسلمت على نفسى وجعله من قبيل هذا
الذى رزقنا من قبل يرده ايقطاع هذا الكلام عن ذلك واستقلال القصة
ذلك عيسى بن مريم مبتداء وخبر المقرر بالعبودية الموصوف بصفات المخلوقين
من الحمل والولادة لا ما يصفه النصارى بصفات الالوهية ولا ما يصفه اليهود
ولد من غير رشدة قول الحق كلمة الله خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتداء محذوف
وقرأ ابن عامر وعاصم بالنصب على انه مصدر مؤكد اى قلت لكم فى شانه
قول الصدق او على المدح والحق هو الله والرفع ابلغ مع سلامته من الحذف
الذى فيه يمترون يشكون او يجادلون اى اليهود والنصارى ما كان لله
ان يتخذ من ولد استينافا لتكذيب النصارى سبحانه نصب بفعل
لازم الحذف اذا قضى امرا تعلقت ارادته به فانما يقول له كن فيكون
ومن هذا شانه غنى عن الولد واشارة الى ان يكون عيسى وكلمة كن اما حقيقة
لان سنة الله جرت بان ايجاد الاشياء يكون متسببا بها او لما كان يكون
الاشياء لازما لتعلق ارادته بها شبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد
على المامور الممتثل وان الله ربى وربكم قرأ الكوفيون وابن عامر بكسر ان
على الاستيناف او عطف على انى عبد الله والباقون بالفتح عطفا على الصلوة
او لان الله ربى وربكم فاعبدوه والكسر ابلغ هذا صراط مستقيم
لا زيغ فيه فاختلف الاحزاب من بينهم الذين عادتهم التحزب على الانبياء
وهم اليهود الذين لم يصدقوه واراد واقتله او الذين تحزبوا بعد رفع
عيسى وهم الفرق الثلث من النصارى نصطورية قالوا هو ابن الله
يعقوبية قالوا هو الله وملكانية قالوا هو عبد الله ورسوله وهؤلاء
انما كفروا بانكار نبوة محمد فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
من الشهود مصدرا او زمان او مكان والمعنى من شهود الحساب وهوله
فالاضافة بمعنى فى على الاتساع او مكان الشهود فيه وهو الموقف فالاضافة
للملابسة او وقت الشهود فالاضافة بمعنى من او من الشهادة مصدرا وزمانا
او مكان والمعنى من شهادة الانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم عليهم بالمعاصى
او من وقت الشهادة او من مكانها والاضافة على التفضيل اسمع بهم وابصر
ما اسمعهم فى ذلك اليوم وابصرهم بعد ما كانوا فى الدنيا صما عميا او المعنى
شانهم حقيق بان يتعجب منه المتعجبون او لا وقيل لا تعجب بل خطاب له بان
يسمعهم مواعيد ذلك اليوم ويبصرهم والجار والمجرور محذوف من الثانى

لدلالة الاول عليه وعن ابن مالك انه مستتر فيه وانما يستقيم عند من يجعل
المجرور فاعلا وهو مذهب سيبويه واما اذا جعل مفعولا او جعل الخطاب
امرا فلا وجه له يوم ياتوننا يوم القيمة لكن الظالمون اليوم فى ضلال
مبين الكاملون فى الظلم مستغرقون فى الضلال المبين باغفال النظر
وانذرهم يوم الحسرة لعلهم يتفكرون فيه عن ابى سعيد الخدرى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بالموت فى صورة كبش املح فينادى مناد
يا اهل الجنة فيشرابون فينظرون فيقول لهم هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا
هو الموت وكلهم قد عرفه ثم ينادى يا اهل النار فيشرابون فينظرون
فيقول لهم هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا هو الموت وكلهم قد راوه فيذبح
بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود
فلا موت ثم قرأ رسول الله وانذرهم اذ قضى الامر بدل من يوم او ظرف
الحسرة وهم فى غفلة عطف على الظالمون فى ضلال او حال من الضمير فى
الظرف وانذرهم اعتراض يوكد ما هم فيه من الضلال او متعلق باذكر هم
اى انذرهم غافلين غير مومنين حالان فيهما معنى التعليل ولا يرد انما انت
منذر من يخشاها لان ذلك بالنظر الى النفع كقوله انما تنذر من اتبع الذكر
وهذا بالنظر الى التنبيه لقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وهم لا يومنون
انا نحن نرث الارض ومن عليها فى ذلك اليوم لا ملك ولا ملك لاحد لمن
الملك اليوم والينا يرجعون للجزاء واذكر فى الكتاب ابراهيم قدوة
الموحدين تبكيتا لمن يدعى الانتساب اليه من اليهود والنصارى والمشركين
والذاكر وان كان هو الله الا انه اسند اليه لانه المبلغ عنه والناطق باوامره
ونواهيه او الذكر بمعنى التلاوة صديقا بليغ الصدق لانه صدق بكتب الله
ورسله ومن كان كثير التصديق كان كثير الصدق فى تصديقه فيفيد المبالغة
كما وكيفا نبيا مخبرا عن الله من باب التفعل لان النبوة اعلى فذكر الصدق
تمهيدا لها اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض ومتعلق باذكر اى اذكر
جامعا بين الوصفين وقت دعوة ابيه او تصديقا وهو وجه حسن لدلالته
على كمال صدقه فى نصحه لابيه يا ابت هذه تاء التانيث لحقت المنادى
عوضا عن المضاف اليه ووقف عليها ابن كثير وابن عامر بالهاء على ما هو
الاصل فى تاء التانيث والباقون بالتاء مراعاة للرسم لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا لم يصرح بخطاوه مع كونه موقنا به سلوكا
لطريقة الادب وامتثالا لقوله وصاحبهما فى الدنيا معروفا قابل سماحته
سوال متنبه على تمادية فى الغى وافراطه فيه وتناهيه مشيرا ان المعبود

لو كان سميعا بصيرا نافعا ضارا الا انه يكون مخلوقا كسائر المخلوقات لا
يستحق العبادة لانها غاية الخضوع فلا يستاهل لها الا من له غاية الكبرياء
ونهاية العلو والسناء فكيف بجماد لا شعور له بعبادة من يعبده فضلا عن
الثواب او دفع العقاب ثم دعاه الى الحق مترفقا به مستلطفا يا ابت اني قد
جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا لم يسم جاهلا ولا
وصف نفسه بالعلم الفائق بل ان عنده شيئا من العلم وذلك علم الدلالة
على الطريق السوي وكانه قال هبا اني واياك في مسير الى مقصد ولي علم
طريقه فلا يستنكف عن اتباع الدليل انه امر متعارف لم يزل ذلك دابا الملوك
في قطع الفيافي والمفاوز يقيدون بالادانى ولا يرون ان ذلك يعود عليهم
بنقص يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومن
كان عصيا له حقيق بالمعاداة فلا تتخذ من كان عدوا له صديقا واقتصر
على كونه عدوا لله دون ادم لاستلزامه اياه وقيل لترقيه في الديانة يا ابت
اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا لم يجزم بالحكم
العذاب بل ذكر خوفه والمس الدال على القلة مع تنكير العذاب المؤذن بتهيين
منه مع استحقاقه اشد العذاب لو استمر على الكفر جريا على مسلك الادب في السنن
السابق واثر ذكر الرحمن لتقدمه اولا ان ذلك ايضا مشعر بعلته لدلالته على وفور
الرحمة وسبقها الغضب وما قيل ان تنكير العذاب للتعظيم وايثار لفظ الرحمن
للمبالغة في ذلك على ما يقولون نعوذ بالله من غضب الحليم مما ياباه المقام وانما
ذكر ولاية الشيطان بعد العذاب لانها اشد كما ان رضوان الله من الجنة اكبر
قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم ناداه باسمه ولم يقابل قوله يا ابت بيا
بني والاستفهام للتعجب قيل قدم الخبر لكونه اهم عنده والاولى جعله
مبتدا وانت فاعل ساد مسد الخبر لئلا يقع الفصل بين اراغب ومعموله
بالاجنبي لئن لم تنته لارجمنك بالشتم واللعن ومنه الرجيم للشيطان
او لاقتلنك شر قتلة بالحجارة واهجرني عطف على مقدر دل عليه لارجمنك
مليا دهرا طويلا من الملاوة او سالما من ملبت عمري اي شبعت به
قال سلام عليك متاركة الجاهل بالحسنى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما سا ستغفر لك ربي بالتوفيق للتوبة او لم يكن له علم بان الله
لا يغفر لمن اشرك به ومنه قول عيسى عليه السلام وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم وهو الوجه لانه نهى عن الاقتداء به وبين ان ذلك كان
لموعدة وعدها اياه والا فالاستغفار بالتوفيق للايمان لا انكار فيه
انه كان بي حفيا بالغ البر من الحفاوة وهي المبالغة والاستقصاء في الشيء

ومنه في الحديث امر ان يحفى الشارب واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالهجرة
الى الارض المقدسة كان بارض بابل وادعو ربي خاصة ولا اشرك به عسى
ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي عبادته فان الدعاء مخ العبادة وفي اثارة عسى
اشارة الى ان العبادة امارة النجاة لا حرز معها وفيه ينضم النفس فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب عاش حتى راه
ولم يكن مظنة الولد لكونه شيخا وزوجه عجوزا ولذلك لم يذكر اسمعيل
وقيل ذكر اسمعيل منفردا اشارة الى فضله وكلا جعلنا نبيا كلا من الولد
والخافد لما هاجر في الله ابدله من الكفار الاعداء اولادا انبياء ووهبنا لهم
من رحمتنا بعضها وهي النبوة وقبل الاولاد والاموال وجعلنا لهم لسان
صدق ثناء حسنا فان اللسان مظهره كاطلاق اليد على النعمة لذلك عليا داعما
الى اخر الدهر في الصلوات على ما ورد في التشهد ادعاما في جميع الملل فانه
ليس من محق ومبطل الا وهو يدعي انه من حزبه واذكر في الكتاب موسى انه كان
مخلصا موحدا في عبادته وقرا الكوفيون بفتح اللام اي مختارا وهو المختار
لكون الاول موقوفا عليه وكان رسولا نبيا بشرا ارسل بالنبوة وناديناه
من جانب الطور الايمن من الايمن والبركة او كان عن يمين وقربناه نجيا
رتبة وشرفا كما يقال فلان مقرب الملك وقيل رفع فوق السموات ولا يشعب
لان السبعين سمعوا كلام الله معه في الطور ووهبنا له من رحمتنا اخاه
هرون نبيا شددنا به ازره وجعلناه معونا بالمعجزة دعاء يصدقه واذكر
في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد اعن ابن عباس رضي الله عنه واعدا
صاحبا له في مكان فاخلف صاحبه الوعد فانتظره سنة ولانه صبر على
الذبح بعد الوعد به ووصف بما غلب عليه والا فالانبياء كلهم مشتركون
في صدق الوعد وكان رسولا نبيا وفيه دلالة على ان الرسول لا يلزم
ان يكون صاحب كتاب او شريعة مستقلة وانما قدم الرسول لان الانباء
عن الله موقوف على الرسالة منه او ليوافق رؤوس الاي وكان يامر اهله
بالصلوة والزكوة امته لانهم اهل دينه وقيل اهل بيته خاصة كقوله
وانذر عشيرتك الاقربين فانهم اولى بالبر والاحسان ولانهم اذا صلحوا
اقتدى بهم غيرهم وكان عند ربه مرضيا لاتيانه من الافعال بما يرضيه
واذكر في الكتاب ادريس اسمه اخنوخ قيل لقب له لكثرة دراسته ويرده
انه ايجمعي ولذلك منع من الصرف الا ان يكون من توافق اللغتين انه كان
صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا راه رسول الله في السماء الرابعة او
في السماء السادسة او رفعناه بالنبوة وما يلفقه الدعاظ من انه اخا

ملك الموت ومات ودخل الجنة كذب مختلق لان اول من يدخل الجنة رسول الله
وامته قيل انه اول من خط بالقلم وخاط الثياب وكان قبله يلبس الجلود
وانزل الله عليه ثلثين صحيفة اولئك الموصوفون الذين انعم الله
عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية من للتبيين بيان الموصول
من ذرية ادم بدل باعادة الجار او من تبعيضية لان ذريته اعم من الانبيا
والكل داخلون في المنعم عليهم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية من حملنا
مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل يعقوب وقد دخل عيسى في الذرية
لان مريم من ذرية اسرائيل ولزم منه ان يكون اولاد فاطمة ذرية رسول
الله وانما ذكر انسابهم دلالة على انهم حازوا فضله الحسب والنسب لان
من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه وممن هدينا واجتبينا زيادة مدح لهم
كما تقول زيد من اولاد الامراء وهو من الصالحين اذا تتلى عليهم ايات الرحمن
خبر اولئك ان جعل الذين وصفا وان جعل خبرا فاستينا في لبيان اجتباهم
وخضوعهم لله تعالى مع علو طبقتهم بجيازتهم شرف الحسب الفاخر واللب
الزاهر خروا سجدا حال مقدرة لان الخرور قبل السجود وبكيا في الحديث
اذا تلوتم القرآن فابكوا فان لم تجدوا البكاء فتباكوا فخلف من بعدهم خلف
خلفه اي عقبه والخلف صفة منه الا انه بالتحريك يستعمل في الخير و
بالتسكين في الشر والمراد بنو اسرائيل من اليهود والنصارى او اعم فيشمل
المشركين من بني اسمعيل اضاعوا الصلوة اما بالترك او بالتاخير عن
الوقت او بنقص شيء من ابعاضها واتبعوا الشهوات عن ابن عباس هم
اليهود والنصارى تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمور واستحلوا
نكاح الاخت من الاب وعن علي رضي الله عنه بنوا المشيد وركبوا المنظور
ولبسوا المشهور فسوف يلقون غيا كل شر عند العرب غي قال المرقش
من يفعل الخير يجد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج
جزاء كقوله يلق اثاما وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه اودية فيها وعن قتادة
هو في هذه الامة الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة
قرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بضم الياء وفتح الخاء من الادخال وهو ادخل
في الاكرام وافق لقوله وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات ولا يظلمون
شيئا ادنى شيء لان الايمان والتوبة يمحوان ما قبلهما جنات عدن
بدل بعض من الجنة لانها يشمل على جنان ثمانية على ما روى ابن عباس وعدن
علم لمعنى الاقامة كامس وسحر لموقتين ولولا ذلك لم يقع جنات بدلا لان
النكرة لا تبدل عن المعرفة ولم يوصف بالموصول التي وعد الرحمن عباده

بالغيب غاية عنهم او وهم غايبون عنها الباء للملابسة والحال عن الضمير المحذوف
من الصلة او عن عباده او بايمانهم بالغيب فالباء للسببية والغيب بمعنى الغائب
انه اي الله او الشان كان وعده مأتيا ايفا فان كل شيء اتيته فقد اتاك
او الوعد بمعنى الموعود وهو الجنة فانه لما اتى على ظاهره لا يسمعون فيها لغوا
فضولا من الكلام ومما حقه ان يلغى ويطرح الا سلاما استثناء متصل اي
ان كان يعد السلام لغوا كقوله ولا غيب فيهم غير انهم سيوفهم بهن فلول ولكن
يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فمنقطع وعن المبرد السلام
دعاء بالسلامة اريد به الاكرام لنشوه فيه لان الدعاء في دار السلام بالسلامة
لا معنى له ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا طرفي النهار على ما هو دأب
الا فاضل توسطا بين الزهادة والرغاية او اريد دوامه ودروره تقولا
عند فلان صباحا ومساء تريد اتصال الصحبة تلك الجنة التي نورث من عبادنا
من كان تقيا متقيا من الشرك لقوله ويغفر ما دون ذلك ومن قال لا اله
الا الله دخل الجنة عبر عن الادخال بالايراث لان الارث ملك لازم لا يمكن
رده وقيل لان الجنة جزاء الاعمال الفانية فكانها ارث وقيل لانهم يرثون
من الكفار منازلهم المعدة لهم لو امنوا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين
ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا قالوا كالك كما زعمت الكوة
روى البخاري عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرائيل لولا
تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وقيل نزلت لما ترك ذكر المشية حين سالوه
عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف فابطا عليه الجواب وقال المشركون
ودعه ربه وقلاه رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر
لعبادته تسلية له عما نسب اليه والا يحيى جبرائيل ليس بارادته بل عبده
مأمور منقاد لامر ربك فعليك بعبادته واصطبر على اذا سمعه وقيل
الرب على سائر الاسماء الحسنى اشارة الى ان ذلك الابطا تربية له وتكميل
وتحته فوايد هل تعلم له سميا شبيها يعدل الى عبادته او توجه اليه
وقيل لا شريك له في الاسم فان لفظة الجلالة لم يطلق الا على ذاته المقدسة
وكانه انعكس اليه اشعة التوحيد فملات عين المشركين عن الحوم حوله ويقول
الانسان اللام للعهد وهو العاص بن وايل او الجنس لوقوع الفعل بينهم
كقولهم بنو فلان قتلوا زيدا قال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به
بنا بيدي ورقاء عن راس خالد اذا ما مت يسوف اخرج حيا من الارض
او من الفناء او هو من قولهم خرج فلان في العلم وخرجه فلان اذا صار فيه
ماهرا او هذا منهم على وجه التهكم والاستهزاء وتقديم الظرف وايلاؤه

حرفا الانكار لان انكار الوقت مستلزم لانكار الحيوة فيه على وجه البرهان
وتعلق الظرف بفعل يدل عليه المذكور لان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله وهي
مجردة عن معنى الحال للتوكيد ولذلك صح دخولها على حرف الاستقبال كما
جردت في يا الله عن معنى التعريف وقرا ابن ذكوان في احد الوجهين اذا بالاضا
او لا يذكر الانسان عطف على يقول وسطت الهمزة بين العاطف والمعطوف عليه
الاصل فيها التقدم عليهما لان الواو للجمع والمقصود انكاره وان ذلك القول
لاجتماع التذكر لان الاعادة اهون من البدء عرفا وقرا نافع وابن عامر وعاصم
يذكر من الذكر ضد النسيان والتشديد ابلغ انا خلقناه مفعول على لا اول
ويقدر الباء على الثاني من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا فوربك
لنحشرنهم اقسم بنفسه على تحقيق البعث بعد اقامة البرهان توكيدا لوقوعه
واضافة الى بنيه تشريفا له واثر لفظ الرب اشارة الى ان في الحشر ايصالا له
الى كماله المتوقع وهو المقام المحمود والشياطين عطف على الضمير المنصوب
وجعله مفعولا معه ابلغ لما في الحديث انهم يحشرون مقرنين في الاصفاد
مع الشياطين مشاة على وجوههم والضمير ان كان للكفرة فاصة فالمعنى
ظاهر وان كان للناس عموما فالمعنى انهم يحشرون والكفرة بينهم مقرنين
مع الشياطين يتشفى المؤمنون برويتهم ثم لنحضرنهم حول جهنم الكفار
او الناس جميعا لبرى السعداء ما نجاهم الله منه وليشمتوا باعدائهم فيزدادوا
مساءة وحسرة جثيا حال مقدرة من المفعول والمعنى انهم يجاثون عند
موافاة بشاطئ جهنم المؤمن والكافر لما يدهمهم من هول المطلع وان كان الضمير
للكفرة خاصة فربما يحشرون جثاة على ركبهم كما كانوا في الموقف لقوله وترى
كل امة جاثية وقرا حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم على الاتباع صله
جثوى جمع جاث كقعود جمع قاعد ثم لننزعن من كل شيعة فرقة من المشايعة
فان كل واحد منهم يشايع الاخر ويتابعه ايهم اشد على الرحمن عتيا اي
اعصاهم فاعصاهم فاعتاهم الى ان يحاط بهم من كل شيعة لان المعنى على التمرد
النزع او زد سناء الكفرة وعتهم فلا احاطة ولا استمرار وارتفاع ايهم على
الحكاية عند الخليل اي الذين يقال فيهم ايهم اشد وعن سيبويه معناه لنحضرنهم
الى صدر صلته المحذوف وعن يونس معلق لكون النزع سببا للتمييز
مسبب عن العلم فاجرى مجراه والظاهر ما ذهب اليه سيبويه ويجوز ان يجعل
من التبعيضية مفعولا كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي بعض كل شيعة
وكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صليا اي نزعهم واجتماعهم نحن اعلم بمراتبهم ودركاتهم فيقدم الاولى

فالاولى ونحملهم من العذاب بقدر اعمالهم وقرا حمزة والكسائي وحفص
بكسر الصاد على الاتباع وهو مصدر صلى النار لازمها وان منكم التفات
من الغيبة الى الخطاب فان المكالمة بالوعيد اشد زجرا او هو ابتداء كلام
من غير التفات الى المذكور سابقا الا واردها حاضرها الورود لغة الحضور
قال تعالى ولما ورد ماء مدين اذ لا يشك عاقل في ان موسى لم يدخل الماء وقال
تعالى في حق فرعون يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار اي احضرهم من غير
دخول ولذلك قال للملائكة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وما روي عن ابن عباس
الورود هو الدخول ان صح عنه فالمراد المرور على الصراط فوق جهنم هذا الذي
يجب اعتقاده والا يلزم دخول الانبياء في النار ولا يجترئ عليه من في قلبه
مثقال ذرة من ايمان فان قلت اذا كان معنى الورود الحضور فاي فائدة
في ذكره وقد قال ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قلت ان كان الضمير في لنحضرنهم
للكفار خاصة فظاهر وان كان عاما فالمبالغة في الانذار ولذلك غير الاسلوب
من الغيبة الى الخطاب وبالغ في التوكيد بقوله كان على ربك حتما واجبا
اوجبه على نفسه مقضيا حكم في الازل لا يمكن تبديله ثم ننجي الذين اتقوا
الشرك ونذر الظالمين الكافرين فيها جثيا كما كانوا حولها فانها بنيت
دينهم في النار ويفارقهم المؤمنون الى الجنة واذا تتلى عليهم ايات بينات
واضحات المعاني ظاهرات الاعجاز فيه وفي نظائره الحمل على الحال المؤكدة لان
ايات الله لا يكون الا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي في حقهم او
معهم مواجهة اي الفريقين خير مقاما واحسن ندیا اي اذا الحموا ولم يقدروا
بعد التحدي على المعارضة اخذوا في الحرفات التي لا مساس لها بالمقام يفتخرون
بما لهم من الرئية والخطوط الناقصة والندي والنادي موضع الاجتماع ويطلق
على الجماعة المجتمعين ايضا وفي الحديث ما كانوا ليقتلوا عامر ابني سليم وهم
الندي وعن ابي سعيد الخدري كالانداء فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانداء جمع النادي وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا وقرنا
لانها مميز وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم من قرن الشيء وهو
اعلاه هم احسن اثاثا ورئيا الاثاث متاع البيت لا واحد له وقال ابو زيد
الاثاث المال والغنم والعبيد والمتاع الواحدة اثاثه وقيل هو ما جد من الفرش
والحرثي ما لبس منها وانشد تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا ومصانا اثاثك
البيت حرثيا والرئي حسن المنظر فعل من الرؤية بمعنى المفعول كالطحن والذبح
وقرا قالون وابن ذكوان بالتشديد بابدال الهمزة ياء ساكنة على قياسه فاجتمع
المثلان فادغم الاول في الثاني او هو من رويت من الماء واستعير لحسن المنظر

وَالتنعم وَالاول هُوَ المختار لكونه نصا فى المطلوب قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ لَهُ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا لما قصروا نظرهم على الفانى واغتروا به مَدَّ الله لَهُمْ فى العمر لئلا تبقى لهم عذر يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حين يقال لهم اَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ وَاخرج الخبر فى صورة الامر الدال على الوجوب مبالغة وقلعا للمعذرة ويحتمل اَنْ يكون دعاء كقوله ربنا ليضلوا والمضيان متقاربان حَتّٰى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ مِنْ نظر المؤمنين اَوِ العذاب غاية المد اَلْعَذَابَ وَقِيلَ غاية القول الذين كفروا اى يستمر بهم ذلك القول والافتمار الى ان يروا ما يوعدون وَالْآيَاتِ اعتراض فى البين للايقاظ وتوكيد الوعيد وحتى هى التى يحكى الجمل بعدها وكذلك وقعت الشرطية بعدها إِمَّا الْعَذَابَ فى الدنيا بِالْقَتْلِ وَإِمَّا السَّاعَةَ بدل من ما يوعدون فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا واضعف جُنْدًا اذا عاينوا غلبة المسلمين وقتلوهم شر قتله او انكشف العطاء عند قيام الساعة ايقنوا ان الامر على عكس ما كانوا يقدرونه وانهم شر مقاما واضعف ناصرا لاخير مقاما واحسن ندیا وذكر الجند دل على ان المراد بالندى الجماعة ويحتمل ان يراد به المحل وقائل به الجند لان حسن الندى باجتماع وجوه القوم فيه واعيانهم وفى المثل السر فى السكان الاول اظهر وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى عطف على قوله فليمدد لانه خبر فى المعنى كانه قيل من كان فى الضلالة يزيد الله ضلاله ويزيد مقابلة هدى والاولى عطفه على الشرطية بعد القول ليكون ذكر المقابل محكما ايضا اصالة وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ الايمان وسائر الاعمال الصالحات خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا مما متع به الكفرة من الحطوط المحدجة او سيم عقابهم ثوابا تهكما على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع وَخَيْرٌ مَرَدًّا نفعا مصدر رد نفع يقال هذا الامر اردّ له اى انفع او من الرد بمعنى الصرف اى عقابا واسم التفضيل امّا ان يراد به مطلق الزيادة او هو من قبيل قولهم الصيف احر من الشتاء والمعنى ثواب هؤلاء اكثر من عقاب اولئك ولا محل بالتهديد لان الكلام ليس مسوقا له بل لبيان حال اهل الجنة فى مقابلة اى القريق خير مقاما واحسن ندیا اَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا كانه قال له بعدما قصصت حال الكفار فى عقايدهم اخبر بقصة هذا الكافر فانها اعجب وانما كانت اعجب لكونها على وجه الاستهزاء ولما كانت مشاهدة الاشياء من اقوى طرق الاحاطة بها علما والاخبار عن الشئ مسبوق بالعلم به استعملوا الرؤية فى الاخبار نزلت فى العاص بن وابل قال خباب بن الارت كنت قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وايل دين فاتقاضاه فقال لا اعطيك حتى يكفر محمد فقلت لا اكفر به حتى يميتك الله ثم تبعث فقال انى لميت ثم مبعوث

قلت نعم حتى اموت ثم احيى فساوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت وقرأ حمزة والكسائى ولدا بضم الواو وسكون اللام وهى لغة كالبخل والبخل اطلع الْغَيْبَ ام اتخذ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا لا يمكن الوصول الى ما ادعاه الا باحد هذين الامرين الاطلاع هو الاشراف على الشئ فكانه زاعم انه مشرف مستعل على علم الغيب المخصوص بعلام الغيوب لفرط وقاحته وقيل العهد لكلمة الشهادة فانها عهد بين الله وبين عباده كَلَّا ودع له وتنبيه على انه مخطئ فيما يعتقده سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ السين لمجرد التاكيد اى قد كتبنا او يستظهر له مقالبة يوم القيمة كقوله اذا ما انتسبنا لم يلدنى لئيم وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا نطوله الى ما نهاية له او نزيده عذابا فوق العذاب من المدد وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ مسمى قوله بان نروى عنه ما هو فيه من الاموال والاولاد فضلا عن الزيادة وَيَأْتِينَا فَرْدًا منفردا او تحول بينه وبين هذا القول فيأتينا رافضا له او نضبط قوله هذا فى ديوان الكتبة لنضرب به وجهه فى الموقف زيادة فى حزيه وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ليكونوا لهم عزا لِيَتَعَزَّزُوا بهم وصلة بينهم وبين الله فَإِنْ قلت كانوا كافرين بالبعث فما معنى اتخاذ الآلهة وصلة وشفعاء قلت كانوا يقولون ان صح ذلك على سبيل الفرض تشفع لنا او هذا مقول طائفة وتلك مقالة اخرى وهم الدهرية القائلون ما يهلكنا الا الدهر كَلَّا ردع وتكذيب لمقالتهم سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ بقولهم ما كانوا ايانا يعبدون او المشركون ينكرون عبادتهم كقوله والله ربنا ما كنا مشركين وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا اى ذلا تعكيسا لعزهم او عونا فى العذاب توقدهم النار عليهم والعون يسمى ضدا لانه نظير المعان والتوحيد لوحدة المعنى الذى به يضادهم كقوله صلى الله عليه وسلم فى المؤمنين وهم يد على من سواهم وان رجع الضمير فى سيكفرون الى المشركين فمعنى كونهم ضدا كفرهم بعبادتها والتبرؤ عنها اَلَمْ تَرَ اَنَّا اَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تسلطناهم عليهم تؤزهم ازا تزعجهم وتهيجهم على المعاصى قال الحرالى الاز ان تحمل انسانا على مرجيله ودفع من الازيز صوت المرجل عند غليانه والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفرة واغترارهم بتسويلات الشياطين بعد وضوح الايات وتمادیهم فى الغى وعدا ارعوائهم فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ بانزال ما تهلكهم فتستريح انما نعد لهم عدا اى بان ما تطلب وبينك ايام معدودة وساعات وانفاس محصورة فعن قريب وتنقضى وعن ابن عباس انه كان اذا قرأ الآية بكى ويقول الآخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وَيَوْمَ نَحْشُرُ المتقين الى الرحمن الى من غمرهم بالبر والاحسان نصب باذكر او بمقدر اى تفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف

وَيجوز تعلقه بلا يَمْلِكُونَ وَفْدًا جَمْع وَافِد وَهُوَ الوارد على الملوك بالرسالة
الْمنتظرة لعطاياهم وَنَسُوق الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّم كَمَا تُسَاق الْبَهَائِم وِرْدًا
عطاشًا لِأَن الْوَارِد على المَاء لَا يرَوْه إِلَّا لِلْعَطَشِ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَة الطَّائِفَتَانِ
إِلَّا من اتخذ عِنْد الرَّحْمَن عَهْدًا اما بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَل الصَّالِح أَو اذن مِنْهُ إِلَيْهِ
بِكَذَا اذن لَهُ فِيهِ وَأمره بِهِ وَقَالُوا اتخذ الرَّحْمَن وَلَدًا قَول المشركين الْمَلَائِكَة
بنَات الله لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا منكرا عَظِيمًا وعَن على رَأَيْت رَسُول الله صَلَّى الله
عَلَيْهِ وَسلم فِي الْمَنَام فَقلت مَا تَالقيت بَعْدك من الادد والاود أَي الشدة
وَالِاعْوِجَاج وَالْتفت إِلَى الْخطاب لتكافح بمقالتهم الشنيعة تَكَاد السَّمٰوٰت
قَرَأَ نَافِع وَالْكسَائِي بِالْيَاءِ وَالْبَاقُونَ بتاء التَّأْنِيث وَهُوَ المختار لعدم الْفَاصِلَة
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَقَرَأَ أَبُو عمر وَحَمْزَة وَأَبُو بكر بِالنُّونِ من الانفطار وَالتَّفَطُّر أبلغ
مَعْنَى كالتهدم وَتَنْشَقّ الْأَرْض وَتخر الْجبَال هَدًّا مكسورة مضغضة من هدة
كسرة أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا مجرور بَدَل من الْهَاء فِي مِنْهُ أَو منصوب بِحَذْف الْجَار
وَإِفْضَاء الْفِعْل علة لِيَكَاد أَو لتخر أَو لهدا أَو مَرْفُوع بهدا أَي هد دُعَاء الْوَلَد للرحمن
وَالدُّعَاء بِمَعْنى التَّسْمِيَة أَو النِّسْبَة من الدعوة وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يتخذ وَلَدًا
مَا يَلِيق بِهِ وَلَا يدْخل تَحت الصِّحَّة لاقتضائه الازدواج وَالْمجَانَسَة وَهُوَ مستحيل
فِي حَقه هُوَ إِن أَرَادَ تولده وَإِن أَرَادَ التبني فَكَذَلِك لعدم احْتِيَاجه وَفِي إِيثَار
لفظ الرَّحْمَن إِشَارَة إِلَى أَن بَقَاءَهُم مَعَ تِلْكَ المقالة يقتضي تِلْكَ الرَّحْمَة ثمَّ قرر ذَلِك
وَبَين لقَوْله إِن كُل من فِي السَّمٰوٰت وَالْأَرْض إِلَّا آتِي الرَّحْمَن عَبْدًا أَي فَاعل
من المواتاة وَهِي المطاوعة أَو من أَتَى إِلَيْهِ دَرَجَ وَالْمعْنَى كل من الْمَلَائِكَة وَالثَّقَلَيْنِ
منقاد مطيع لأوامره يقر بعبوديته أَي يكون لَهُ ولدا لَقَدْ أحْصَاهُم ضَبطهمْ
وحفظهم وَعدهمْ عدا أشخاصهم وأفعالهم وأنفاسهم لم يخرج عَن
عِلْمه وَملكُوته أَو غَلَبَة شَيْء وكلهم آتِيه يَوْم الْقِيَامَة فردا وَحده لَا أتباع
وَلَا أَمْوَال مَعَه يُقَال جَاءَ الْقَوْم فرادى تحاتى وَاحِدًا وَاحِدًا إِن الَّذين آمنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَات سيجعل لَهُم الرَّحْمَن وُدًّا محبته فِي قُلُوب الْعباد من غير اكتساب
وَلَا بشارة أَسبَاب روى البُخَارِيّ عَن أبي هُرَيْرَة أَن الله إِذا أحب عَبْدًا نَادَى
جِبْرِيل إِنِّي أحب فلَانا فَأحبه فيحبه جِبْرِيل ثمَّ ينَادي جِبْرِيل أهل السَّمَاء إِن الله
يحب فلَانا فأحبوه فيحبه أهل السَّمَاء ثمَّ يُوضَع لَهُ الْقَبُول فِي الأَرْض وَالسِّين لأن
السُّورَة مَكِّيَّة وَالْمَوْعُود كَانُوا لَهَا معدودين بَين الْكفْرَة وَقيل ذَلِك يَوْم الْقِيَامَة
عِنْد عرض حسناتهم وَيُؤَيِّدهُ الحَدِيث عَن ابْن عَبَّاس يحبهم وَيحبُّونَه فالسين
للتأكيد فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بلسانك بلغتك وَهِي الْعَرَبِيَّة المبين كَلَام مُسْتَأْنف
إِشَارَة إِلَى عظم مَوْقِع هَذِه السُّورَة لما فِيهَا من براهين التَّوْحِيد وَالرَّد على الْفرق

الضالين المبطلين وَدلَائِل النُّبُوَّة وَأَن الْقُرْآن كَلَامه تَعَالَى وَإِنَّمَا يتلوه بتيسيره منه
فانتظم آخر السُّورَة بأولها المشير إِلَى إعْجَاز الْقُرْآن على طَرِيق الِاحْتِبَاك وَالْبَاء
إِمَّا بِمَعْنى على أَو ضمن التيسير مَعْنَى الْإِنْزَال لتبشر بِهِ الْمُتَّقِينَ يَوْم نحشر الْمُتَّقِينَ
إِلَى الرَّحْمَن وَفْدًا وَلَا حَاجَة إِلَى تَأْوِيل الْمُتَّقِينَ بالصابرين إِلَى التَّقْوَى وَتُنْذِر بِهِ قَوْمًا
لُدًّا وتسوق الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّم وِرْدًا وَاللدد جمع الألد وَهُوَ الشَّدِيد الخصومة
وَفِي الحَدِيث أبغض النَّاس إِلَى الله الألد الْخَصِم وَكم أهلكنا قَبلهم من قرن ترهيب
للكفرة وتشجيع لَهُ على التبليغ هَل تحس مِنْهُم من أحد هَل ترى مِنْهُم أحدا
أَو تسمع لَهُم ركزا صَوْتا خفيا فَضْلا عَن الْقوى على الرُّؤْيَة بأحد مِنْهُم
وَالسَّمَاع بهم مُبَالغَة لِأَن انتفاء الرُّؤْيَة عَن أحد يسْتَلْزم انتفاءها عَن الْكل
وَالسَّمَاع بالعكس وَالركز الْخَفَاء وَمِنْه الركاز للمال المدفون تمت وَلَله
الْحَمد وَالْمنَّة وَالصَّلَاة على شمس فلك السُّنَّة وَأَصْحَابه نجوم الدّين

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم طه أمَال حَمْزَة وَأَبُو بكر وَالْكسَائِي الْفَاظ من طه
وَالْمَال دُرُوس وَأَبُو عمر وَحَمْزَة وَالْكسَائِي وَأَبُو بكرهَا لِأَن أَصله يَاء بدَلِيل
الِانْقِلَاب فِي التَّثْنِيَة وَالْحرفَانِ اسْم السُّورَة أَو من حُرُوف التهجي للايقاظ
وَالتَّنْبِيه على الاعجاز وَعَن ابْن جُبَيْر مَعْنَاهُ يَا رجل بالنبطية وَقيل هِيَ لُغَة عك
ابْن عدنان وَقيل كلمة سُرْيَانِيَّة وَقيل أَصله طاها من وطئ وَالْهَاء كِنَايَة
عَن الأَرْض فَإِنَّهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانَ يقف على رجل فِي تهجده حَتَّى وَرمت
قدماه فَالْمَعْنَى مَا أنزلنا هَمْزَة الْفَا وَعَلِيهِ كتبناهما على صُورَة الْحَرْف فِي الْمَوَاقِف الْأَوَّل
سَائِر السُّورَة مَعَ أَن خط الْمُصْحف لَا يقَاس وَقيل الْحرفَانِ على حِسَاب الْجمل
أَرْبَعَة عشر فَكَأَنَّهُ قَالَ يَا بدر مَا أنزلنا عَلَيْك الْقُرْآن لتشقى جَوَاب
الْقسم إِن جعل طه مُقْسما بِهِ وَاسْتِئْنَاف إِن كَانَا من حُرُوف التهجي أَو جملَة
فعلية وَمُنَادى لَهُ إِن كَانَا نِدَاء وَخبر مُبْتَدَأ إِن جعلا اسْم السُّورَة غير مُقْسم
بهما سَوَاء أريد بِالْقُرْآن السُّورَة أَو الْجِنْس لقِيَامه مقَام الْعَائِد للايجاز أَو
الْإِدْمَاج وَالشَّقَاء التَّعَب وَمن أمثالهم أشقى من رَاعِي ضَأْن مهرة وَلَا يقدم شقي
مهرا إِمَّا لِأَنَّهُ كَانَ يتعب نَفسه بِالْقيَامِ فَقيل لَهُ مَا أنزلنا عَلَيْك الْقُرْآن لتشق
وتتعب هَذَا التَّعَب المفرط الْخَارِج عَن حد الِاعْتِدَال أَو لما قَالَ لَهُ أَبُو جهل وَ
النَّضر بن الْحَارِث إِنَّك شقي بترك دين آبَائِك فَرد ذَلِك بِأَن الْقُرْآن سلم إِلَى
كل فوز وَسَعَادَة فَالْمُرَاد بِهِ الْخسْرَان فِي الدّين إِلَّا تذكرة اسْتِثْنَاء منْقَطع
علة للْفِعْل الْمَذْكُور بِدُون اللَّام لاستجماع شَرَائِط الْحَذْف أَو مَصْدَر فِي مَوْقِع

الحال من الكاف أو القرآن ولا يجوز أن يكون احالا لابدال أو المعنى ما اشقيناك
بمتاعب التبليغ ومقاساة الملة بانزال القرآن عليك الا للتذكرة أو الحال
كونك مذكرا فلا يكون الشقاء منفيا كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا
لمن يخشى لمن قلبه خشية فانه المنتفع به وقيل لمن علم الله منه الخشية
ويؤل امره اليه على منوال هدى للمتقين تنزيلا بدل من تذكرة انتصب
حالا لا اذا جعل مفعولا له لفساد المعنى ونصب باضمار فعله أو على المدح
أو يخشى ممن خلق الارض والسموات العلى الى قوله له الاسماء الحسنى
صفات سيقت لتفخيم شان المنزل لانه كلام من هذه صفاته والعلى جمع
العليا تانيث الاعلى وصف للسموات دال على عظم قدرة موجدها ولما
قدم الارض لكونها اقرب الى الحس وصف السموات جبرا لما فاتها من شرف
السبق والتفت من التكلم الى الغيبة لان هذه الصفات انما يأتي سردها
مع لفظ الغيبة ولانه لفخم شان المنزل باسناده الى المتكلم الواحد على وجه
التعظيم ثم سنى بالاسناد الى الموصوف بتلك الصفات فافاد التفخيم من
وجهين الرحمن على العرش استوى وقع على المدح والجملة بعده خبر بعد خبر
أو خبر مبتداء محذوف والاستواء على العرش كناية عن نفاذ التصرف واجراء
تدبير الكائنات على وفق ما اقتضته الحكمة كما ان بسط اليد كناية عن الجود له
ما في السموات وما في الارض وما بينهما من الاجزاء الداخلة فيها والموجودات
الخارجة عنها وما تحت الثرى وما تحتا الارض من الموجودات التي لا يحيط بها
الا علمه الشامل والثرى التراب الندى لان ما فوق الارض يعتبر به اليبس
احيانا ولما كان ايجاد الكائنات وتدبير امرها لا يتم الا بالعلم اشار الى ثبوته
بالكمال طريق وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى منه ما خطر بالبال من
هو احسن التفسير والمعنى فان تجهر بالقول فان الله غني عن جهرك لاستواء
الحالات عنده وفيه اشارة الى ان ذكر اللسان جهرا انما هو لاستماع الغير
فيما خلق له واسماع الغير ليقتدي به ويشهد له يوم القيمة وايماء الى ان
الاخفاء افضل الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فيا اي اسم ذكرته
فهو ذكر جميل ذيل به الكلام دلالة على استواء مآبه الذكر من اسمائه الحسنى
كما استوى عنده كيفيات الذكر وهل اتيك حديث موسى الاستفهام بمعنى
النفي ان كان اول ما تلي عليه من قصته وان سبق ذكرها للتقرير والمراد تذكير
ليوطن نفسه على تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة ومقاساة الشدايد لما
قضى موسى الاجل استاذن شعيبا في زيارة امه وكانت بمصر ولما كان اوحي
اليه بعد فاذن له فتوجه باهله وكان له منها ابنان فلما وصل الى الوادي

الايمن وكانت ليلة شاتية ذات مطر وثلج مظلمة اخذت زوجته في الولادة فصل
الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده فطفق يقدح الزند فصلد زنده
اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث يصلح ان يكون متعلقا او منصوبا
باذكر او بمضمر حين رأى نارا كان من الامر كيت وكيت فقال لاهله امكثوا
اي اقيموا مكانكم وقرا حمزة بضم الهاء اشارة الى الاصل والكسر لموافقة
ما قبله وهو الافصح اني انست نارا ابصرته ابصارا لاشبهة فيه يستعمل
في مظان الوحشة لعلي اتيكم منها بقبس بشعلة لما كان ابصارها مستيقنا
بنى الاخبار على البت والتحقيق والاتيان بالقبس كان متوقعا اذ ربما يحول
دونه مانع لم يجزم به او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق
او مرشدا يدلني الى جناب القدس فان انكار الابرار مصروفة اليه مغمورة
به في جميع الاحوال ومعنى الاستعلاء الاشراف عليها من مكان قريب قال
الاعشى وبات على النار الندى والمحلق فلما اتاها قيل كانت نارا بيضاء تقد
في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك روي انه لما دنى منها بعد سمنه
فلما رأى ذلك خاف ورجع فلما رجع ونت منه فازداد رعبا فالقيت عليه
السكينة ثم كلم وتكرير الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة وقرا ابن كثير
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في بقاع تحرق نشبت المغرور فيه
يصطلينها وابو عمرو اني بفتح الهمزة اي باني والباقون بالكسر لان النداء
ضرب من القول استدل على انه كلامه تعالى بانه سمعه من الجهات وبجميع اعضائه
وعن الاشعري انه سمع الكلام القديم ولعل فيه تجوزا والا كيف يعقل سماع
ما قام بذاته تعالى فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس اخترامها للبقعة
كما يحترم الحرم والمساجد وسائر الاماكن الشريفة وقيل كانا من جلد الحمار
غير مدبوغين والتعليل ناب عنه وقيل نعليك المال والولد وقيل الدارس
وذلك بنهاية مقامات العارفين طوى بدل من الوادي علم لذلك المكان
تونه ابن عامر والكوفيون ومن لم يتونه لم يصرفه باعتبار البقعة وقيل معدول
عن طاو وانا اخترتك للنبوة والرسالة وقرا حمزة انا مشددا بايدغام
ان على الضمير واخترناك بالتون المختار والتخفيف لمناسبة ما تقدم وما تاخر
فاستمع لما يوحى من الاحكام هذا كان اول بعثته صلى الله عليه وسلم
انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى حاكيا للكلام وجمع فيه بين
العقائد والفروع اهتماما بكمال القوة النظرية والعملية واقم الصلوة
وافردها بالذكر لانها افضل الاعمال بعد التوحيد لذكري تعليل لذلك
الشرف لكونها مشتملة على ذكري الذي هو المقصود من شرع العبادة والذكر

هو الملك المقرون بذكر القلب روى البخارى من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل لذكرى اى لاذكرك بالثناء عليك كقوله يقيمون الصلوة اقاموا الصلوة فى معرض المدح او لانى ذكرتها فى الكتب المنزلة او لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة وهذا انما يستقيم اذا كان فى شرعهم صلوات موقته او لذكرها صلوا تى اذا فاتتك نوما او نسيانا بتقدير المضاف لما روى انس ان رسول الله صلى الصبح قضاء وقال لا تفريط فى النسيان من نام على صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ثم قرا الاية ان الساعة اتية جار مجرى التعليل للامر فانه وقت المجازات اكاد اخفيها عنكم والمعنى بالغ فى اخفائها فلا اخبر بالاتيان ايجابا لاكاد لم اخبر بذلك مفضلا وقيل اكاد اخفيها عن نفسى مبالغة فى اخفائها حتى بنى على امر مستحيل وايد بان الاخفاء عن الغير حاصل فتعين ذلك والحق انه بعيد والاخفاء الواقع انما هو عن الفصل لتجزى كل نفس يتعلق بآتيه على الاول وبه او باخفيها على الثانى بما تسعى بما تعمل وفى ايثاره اشارة الى الجد والمسارعة فى العمل فلا يصدنك عنها عن الايمان بالساعة او اقامة الصلوة من لا يؤمن بها بالساعة او بالصلوة المقصود نهى موسى عن الانصداد اطلاقا للسبب على المسبب او العكس عدم تصلبه يورث صد الكافر واتبع هواه لان عدم ايمانه لم يستند الى برهان بل مجرد هوى فتردى من ردى بالكسر هلك من الردى مقصورا وما تلك مبتداء وخبر بيمينك حال والعامل فيه معنى الاشارة وقيل تلك موصول والجار والمجرور صلته يا موسى ناداه للاستيناس قال هى عصاى توكاء عليها واهش بها على غنمى احنط بها الشجر فيتناثر منه الورق فيكون علفا لها اصل الهش الخفة واللين وعمر بن الخطاب هششت يوما فقبلت امراتى وانا صائم ولى فيها مارب اخرى قيل كان ظاهر الجواب لما سئل ان يقول عصى او هى عصا وانما اطنب لان الكلام بطال مع الاحبة فكيف به والمخاطب رب العزة والحق انه لم يقع منه اطناب فانه لم يسال عن ماهية العصا وحقيقتها بل عما فيها من الاوصاف فاذا ذكرها مستوفاة ثم اوجد الله فيها من الصفات ما يضمحل تلك الصفات بالنظر اليها ازداد اطمانينة بانظمام عين اليقين الى علم اليقين فهو لم يستوف الصفات تفصيلا بل اجمل بقوله ولى فيها مارب اخرى سالكا طريقة الادب فى تلك الحضرة التى يحق الخضوع لها والمارب التى اجملها قيل كانت ذات محجن وسعبتين فاذا طال العصيين حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق عليها اداواته وان كان فى البرية ذكرها وعرض الزند بن على شعبتيها

والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر الرشاء وصلة بها وكان يقاتل بها السباع وقد ذكروا اشياء اخر والله اعلم قال القيها يا موسى فالقيها فاذا هى حية تسعى المشى بسرعة وخفه قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وغلظت ولذلك سماها تارة ثعبانا وهى العظمة وتارة جانا وهى الرقيق من الحيات وتارة بالاسم الجنس الشامل لهما وهى الحية قال خذها ولا تخف لما راوها حية خاف منها بمقتضى البشرية قيل لما انقلبت حية تسعى ما كانت تمر بشجر ولا حجر الا ابتلعته سنعيدها سيرتها الاولى السيرة فعله من السير ثم اتسع فيها فنقلت الى المذهب والصفة يقال من طابت سريرته حمدت سيرته وانتصابه على الظرفية او بدل الاشتمال او على المصدر اى سنشاها عصا كما كانت تسير سيرتها الاولى التى تنتفع بها ما كنت تنتفع سابقا واضمم يدك الى جناحك مستعار من جناح الطائر شبه يدى الانسان بجناحى الطائر لانه بهما قوام تعيشه والمعنى اضمم احدى يديك وهى اليمنى تحت الاخرى وهى اليسرى وقيل جناحا الانسان جنباه والمعنى اضمم يدك الى جنبك تحت العضد تخرج بيضاء قيل كان عليه مدرعة وكان رجلا ادم شديد السمرة كانه من رجال شنوءة فاخرج يده من تحت المدرعة لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر من غير سوء صفة بيضاء او حال من ضميرها او متعلق بتخرج كنى به عن البرص فانه ابغض شئ عند العرب اية اخرى بدل من الاولى او حال من الضمير فى بيضاء او فى الجار والمجرور ويجوز ان يكون منصوبا بنحو خذ او دونك لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بهذا المقدر او بما دل عليه الاية او القصة والكبرى صفة اياتنا او مفعول نريك ومن اياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الايتين انه طغى تجاوز عن حده قال رب اشرح لى صدرى اجعله واسعا بسيطا يتحمل الاذى ولا يعتريه الملل والضيق مما سالنى من متاعى التبليغ اصله الكشف والبسط ومنه شرح الكتاب ويسر لى امرى سائر ما كلفنى بتسهيل الاسباب الموصلة الى ذلك المطلوب بهم فى الموضعين ثم فصل لازادة المعنى الواحد فى صور تفاوت فى الاجمال والتفصيل المشتمل على التكرير المفيد للتوحيد واحلل عقدة من لسانى كان بلسانه رتة وذلك انه حمله فرعون فى صباه فاخذ بلحيته وعجز فرعون عن اخراجها من يده فانتهرها فامر بقتله فقالت امراته انه طفل صغير لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضر الجمر والياقوت بين يدى موسى فمد يده الى الياقوت فضرب جبرائيل على يده فوقعت على الجمر فلزمت بها جمرة فوضعها على فمه كما ترى من يحترق فيده يضع يده على فمه فاحترق لسانه وبقى به رتة قيل كان لحسين بن على رتة فقال

رَسُولُ اللهِ وَرِثَهَا مِنْ عَمِّهِ مُوسَى وَاخْتُلِفَ فِي زَوَالِ الْعُقْدَةِ بَعْدَ هٰذَا السُّؤَالِ
فَقِيلَ زَالَتْ بِالْكُلِّيَّةِ اِسْتِيدْلَالًا لَا بِقَوْلِهِ قَدْ اُوتِيتَ سُؤْلَكَ وَلَيْسَ بِنَاهِضٍ لِاَنَّهُ
لَمْ يَسْتَوْفِ الْفَصَاحَةَ الْكَامِلَةَ بَلْ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ اِلَيْهِ فِي التَّبْلِيغِ يُشِيرُ اِلَيْهِ قَوْلُهُ
يَفْقَهُوا قَوْلِي لِقَوْلِ فِرْعَوْنَ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ مِنْ لِسَانِي صِفَةُ عُقْدَةٍ وَالتَّقْدِيرُ
مِنْ عُقْدَةِ لِسَانِي لِاَنَّ الْعُقْدَةَ لِلِّسَانِ لَا مِنْهَا وَالظَّاهِرُ اَنَّ اللِّسَانَ بِمَعْنَى الْقُوَّةِ
النُّطْقِيَّةِ وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِاَحْلُلْ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ اَهْلِي اَلْوَزِيرُ
مِنَ الْوَزَرِ وَهُوَ الثِّقْلُ فَاِنَّهُ يَقُومُ بِاَعْبَاءِ الْمَلِكِ اَوْ مِنَ الْوَزْرِ وَهُوَ الْمَلْجَاُ لِاَنَّ
الْمَلِكَ يَلْتَجِئُ اِلَيْهِ فِي الْاٰرَاءِ وَالتَّدَابِيرِ اَوْ مَاخُوذٌ مِنَ الْاَزْرِ وَهُوَ الْقُوَّةُ قُلِبَتْ
وَاوُهُ هَمْزَةً لِكَوْنِهِ بِمَعْنَى الْمَوَازِرِ فَقِيسَ عَلَيْهِ هٰرُونَ مَفْعُولٌ اَوَّلٌ قُدِّمَ عَلَيْهِ
الثَّانِي بِمَنَايَةِ لِسَانِ الْوَزَارَةِ فَاِنَّهَا الْمَطْلُوبُ اَوْلِي وَزِيرًا مَفْعُولَانِ وَهٰرُونَ
عَطْفُ بَيَانٍ اَوْ بَدَلٌ مِنْ وَزِيرٍ اَخِي عَلَى الْوَجْهَيْنِ يَدُلُّ مِنْ هٰرُونَ اَوْ عَطْفُ بَيَانٍ
اٰخَرَ مِنْ وَزِيرًا اُشْدُدْ بِهِ اَزْرِي وَاَشْرِكْهُ فِي اَمْرِي فِي النُّبُوَّةِ قَرَاَ ابْنُ عَامِرٍ بِفَتْحِ
الْهَمْزَةِ فِي الْاَوَّلِ وَضَمِّهَا فِي الثَّانِي عَلَى اَنَّهُمَا ضِيغَتَا الْمُتَكَلِّمِ وَالْجَزْمُ لِكَوْنِهِمَا
جَوَابَ الْاَمْرِ وَالْاَوْلَى قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالْاَمْرِ فِيهِمَا عَلَى اَنَّهُمَا مِنْ جُمْلَةِ دُعَائِهِ لِكَوْنِهِ
اَجْرَى بِحَالِهِ وَاَدْعَى لِلْاِجَابَةِ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا فَاِنَّ التَّعَاوُنَ
فِي الْعِبَادَةِ يُهَيِّجُ الرَّغْبَةَ وَيَجْلِبُ النَّشَاطَ وَلِذٰلِكَ شُرِعَتِ الْجَمَاعَاتُ
اِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا بِاَحْوَالِنَا وَضَمَائِرِنَا وَهٰرُونَ نِعْمَ الْمُعِينُ فَاِنَّهُ اَكْثَرُ سِنًّا
مِنِّي وَاَفْصَحُ لِسَانًا وَاَحْلَمُ جَنَانًا قَالَ قَدْ اُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى مَسْئُولُكَ
فِعْلٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ كَالْاَكْلِ بِمَعْنَى الْمَاكُولِ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً اُخْرَى اِذْ اَوْحَيْنَا
اِلَى اُمِّكَ مَا يُوحَى مَا لَا يُمْكِنُ عِلْمُهُ اِلَّا بِالْوَحْيِ وَمَا يَنْبَغِي اَنْ يُوحَى وَلَا تَحْلُو بِهِ لِعِظَمِ
شَاْنِهِ وَالْوَحْيُ هُوَ الْاِلْهَامُ كَقَوْلِهِ وَاَوْحَى رَبُّكَ اِلَى النَّحْلِ وَاَرْسَلَ اِلَيْهَا مَلَكًا لَا عَلَى
وَجْهِ النُّبُوَّةِ كَاَرْسَلَ جِبْرَائِيلَ اِلَى مَرْيَمَ وَاَمَّا اَخْبَارُ نَبِيٍّ فِي زَمَانِهَا فَفِي غَايَةِ الْبُعْدِ
اِذْ لَمْ يَكُنْ بِمِصْرَ زَمَانَ فِرْعَوْنَ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ اَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
فِي الْيَمِّ الْقَذْفُ الرَّمْيُ وَيُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْوَضْعِ كَقَوْلِهِ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
وَالْمُرَادُ الْوَضْعُ فِي الْاَوَّلِ وَالرَّمْيُ فِي الثَّانِي لِقَوْلِهِ فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ
بِالسَّاحِلِ اَلضَّمَائِرُ كُلُّهَا لِمُوسَى لَمَّا كَانَتْ مَشِيَّتُهُ تَعَالَى مُتَعَلِّقَةً بِحُصُولِهِ بِالسَّاحِلِ
وَمَا تَعَلَّقَتْ بِهِ اِرَادَتُهُ وَاجِبُ الْوُقُوعِ جُعِلَ الْيَمُّ كَاَنَّهُ ذُو اِرَادَةٍ وَتَمْيِيزٍ مَاْمُورٌ
بِذٰلِكَ وَاِذَا اَرَادَ اللهُ شَيْئًا هَيَّاَ اَسْبَابَهُ بَعْدَمَا اَصْلَحَتْ لِلتَّابُوتِ وَوَضَعَتْهُ فِيهِ
وَقَيَّرَتْهُ وَاَلْقَتْهُ فِي نِيلِ مِصْرَ وَكَانَ يَدْخُلُ مِنْهُ نَهَرٌ اِلَى بُسْتَانِ فِرْعَوْنَ وَكَانَ فِرْعَوْنُ
جَالِسًا عَلَى شَاطِئِ ذٰلِكَ النَّهَرِ اِذْ دَخَلَ التَّابُوتُ فَاَخْرَجَهُ فَاِذَا فِيهِ صَبِيٌّ مَلِيحٌ
اَلْنَاسِ فَاَلْقَى اللهُ مَحَبَّتَهُ فِي قَلْبِهِ فَاَبْقَاهُ وَكَانَ قَدْ اَمَرَ بِقَتْلِ الْوِلْدَانِ لَمَّا اَخْبَرَتْهُ

الْمُنَجِّمُونَ اَنَّهُ يُولَدُ مَوْلُودٌ يَكُونُ زَوَالُ مُلْكِهِ عَلَى يَدَيْهِ فَاَخَذَهُ لَعَنَهُ اللهُ بِجَهْلِهِ
بِرَتِّيهِ لِزَوَالِ مُلْكِهِ وَكَانَ اَجْهَلَ النَّاسِ لِاَنَّ الْمُنَجِّمِينَ اِنَّمَا صَادَفُوا فَلَا يُجْدِي فَتِيلًا
اَلْاَطْفَالَ اَوْ كَاذِبُونَ فَاَوْلَى وَاَوْلَى وَالسَّاحِلُ شَاطِئُ الْبَحْرِ مِنَ السَّحْلِ وَهُوَ الْقَشْرُ
وَالْكَشْطُ وَفِي الْحَدِيثِ سَحَلْتَ اَمْ حَكَمْتَ لَهُ كَفَّا فَاَكَلَهُ ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّاْ يَاْخُذْهُ
عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ جَوَابُ الْاَمْرِ لَا نَكْرَارَ لِاخْتِلَافِ السَّبَبِيَّةِ وَاَلْقَيْتُ عَلَيْكَ
مَحَبَّةً مِنِّي كَائِنَةً مِنْ مَحَبَّتِي اَيْ خَلَقْتُ حُبَّكَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ اَوْ مُتَعَلِّقًا بِاَلْقَيْتُ
اَيْ بِاَنْ اَحْبَبْتُكَ وَمَنْ اَحَبَّتْهُ اَحَبَّهُ الْخَلْقُ فَاِنْ قُلْتَ كَيْفَ اسْتَقَامَ مَحَبَّةُ فِرْعَوْنَ
لَهُ مَعَ اِخْبَارِ اللهِ بِاَنَّهُ عَدُوُّهُ قُلْتُ لَمْ يَكُنْ حِينَ اَحَبَّهُ عَدُوًّا وَاَيْضًا الْحُبُّ مَيْلُ
الطَّبْعِ وَاسْتِحْسَانُهُ قَرُبَ مَحْبُوبٍ طَبْعًا مُنْكَرٌ شَرْعًا كَمَا قَالَ فِي وَصْفِ الْخَلِيلِ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ اَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّاَ مِنْهُ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي وَلِتُرَبَّى بِمَرْاًى مِنِّي اِسْتِعَارَةٌ
تَمْثِيلِيَّةٌ فَاِنَّ الْاَمْرَ بِاتِّخَاذِ شَيْءٍ لَهُ بِهِ اَوْ فِرْعَنَايَةٍ بِاَمْرِ الصَّانِعِ بِاَنْ يَتَّخِذَهُ بِحَضْرَتِهِ
وَمَرْاًى وَفِي اِيثَارِ عَلَى اِشَارَةٌ اِلَى كَمَالِ الْعِنَايَةِ كَاَنَّهُ فَوْقَ عَيْنِهِ لَا يُمْكِنُ تَجَاوُزُ
النَّظَرِ وَلَا زَيْغُ الْبَصَرِ عَنْهُ اِذْ تَمْشِي اُخْتُكَ كَانَتْ اِسْمُهَا مَرْيَمَ اَوْ اَسْمُهَا مَرْيَمُ اَنْ سَلَّتْهَا اُمُّهُ
تَكْشِفُ اَخْبَارَهُ فَصَادَفَتْهُمْ وَهُمْ يَفْتَشُونَ عَلَى مُرْضِعَةٍ لَهُ فَاِنَّهُ مَا كَانَ يَلْتَقِمُ
ثَدْيَ الْمَرَاضِعِ وَاِذْ ظَرْفٌ لِتُصْنَعَ اَوْ بَدَلٌ مِنْ اِذْ اَوْحَيْنَا وَهُوَ اَوْفَقُ لِمَا فِيهِ
مِنْ تَعْدَادِ النِّعَمِ فِي مَقَامِ الْاِمْتِنَانِ وَلَا يَقْدَحُ فِي ذٰلِكَ اخْتِلَافُ اَوْقَاتِ الْوَقْتِ
وَلَا يَسْتَقِيمُ تَعَلُّقُهُ بِاَلْقَيْتُ لِكَوْنِهِ مَحْبُوبًا قَبْلَهُ وَمَحْفُوظًا فَتَقُولُ هَلْ
اَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ قَالَتْ فَرَدَدْنَاهُ عَلَى اُمِّهِ فَرَجَعْنَا اِلَى اُمِّكَ وَفَاءً بِقَوْلِنَا
اِنَّا رَادُّوهُ اِلَيْكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بِلِقَائِكَ وَلَا تَحْزَنَ بِفِرَاقِهِ وَقَتَلْتَ
نَفْسًا هُوَ الْقِبْطِيُّ الَّذِي اسْتَغَاثَهُ عَلَيْهِ الْاِسْرَائِيلِيُّ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ
اَلَّذِي اَعْتَرَاكَ بِقَتْلِهِ خَوْفًا مِنَ اللهِ وَفِرْعَوْنَ بِاَنْ عَقَرَ اَمَلَكَ وَاَلْهَمْنَاكَ الْهِجْرَةَ
اِلَى مَدْيَنَ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا مَصْدَرٌ كَشُكُورٍ وَجَمْعُ فِتْنَةٍ اَوْ فَتْنًا مِنْ فَتَنْتُهُ لِتَرْكِ الْاِعْلَالِ
بِالتَّاءِ كَبَذْرَةٍ وَبُدُورٍ سَاَلَ ابْنُ جُبَيْرٍ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ مَعْنَاهُ فَقَالَ خَلَّصْنَاكَ
مِنْ فِتْنَةٍ بَعْدَ فِتْنَةٍ وُلِدَ فِي عَامٍ كَانَ يُقْتَلُ فِيهِ الْوِلْدَانُ وَهَذِهِ فِتْنَةٌ يَا ابْنَ
جُبَيْرٍ وَاَلْقَيْتُهُ اُمُّهُ فِي الْبَحْرِ وَهَمَّ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِهِ وَقَتْلُ الْقِبْطِيِّ وَاَخْرَجَ نَفْسَهُ
عَشْرَ سِنِينَ وَضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَفَرَّقَتْ مَاشِيَتُهُ وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدَةٍ
يَا اِلٰهَ جِبْرَائِيلَ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي اَهْلِ مَدْيَنَ لَمَّا اَجَّرَ نَفْسَهُ اَوْ فِي قَضَاءِ الْاَجَلِ
ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى عَلَى زَمَانٍ يَسْتَنُّ فِيهِ الْاَنْبِيَاءُ وَهُوَ اَرْبَعُونَ سَنَةً
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اَخْبَرْتُكَ مِثْلَ حَالٍ بِحَالٍ مَنْ يَرَاهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ اَهْلًا
لِلتَّقْرِيبِ فَيُقَرِّبُهُ وَيُوكِلُ اِلَيْهِ اُمُورَهُ اِذْهَبْ اَنْتَ وَاَخُوكَ بِاٰيَاتِي مَعَ مُجَرَّدِ
اَلَّتِي يَدُلُّ كُلٌّ مِنْهَا اَوْ بِاَحْكَامِ مَا اَتَى بِهَا رَسُولُنَا وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اَيْ لَا تَفْتُرَا

عَنْ ذِكْرِى مِنْ لَوْنِى وَهُوَ الْفُتُورُ فَإِنْ تَمَشِّى الْأُمُورِ لَيْسَ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ بَعْدَ مَا قَدَّمَ إِرْسَالَهُمَا مُطْلَقًا فَإِنَّهُ الْقُدْوَةُ
وَالْمَرْجِعُ يَا تَبِعَ لَهُ وَلِذَلِكَ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ
الْأَرِيسِيِّينَ إِنَّهُ طَغَى تَجَاوَزَ عَنْ حَدِّهِ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا فَإِنَّهُ نَصَحَ فِى صُورَةِ
لَهُ إِلَى الِانْقِيَادِ مِثْلَ أَنْ يَقُولَا لَهُ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى فَإِنَّهُ نُصِحَ فِى صُورَةِ
الْمَشُورَةِ كَانَ أَبُو مَنْصُورٍ الدَّوَانِيقِىُّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فِى الْمَطَافِ
وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اتَّقِ مُخَاطَبَتَكَ بِكَلَامٍ فِيهِ شِدَّةٌ لَا تُؤَاخِذْنِى بِهِ فَقَالَ
لَوْ قُلْتَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ضَرَبْتُ عُنُقَكَ قَدْ أَرْسَلَ مَنْ هُوَ عَلَى مِنْكَ إِلَى مَنْ هُوَ
أَقْسَى مِنِّى وَقِيلَ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا وَقِيلَ إِنَّمَا أُمِرَا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ حَقُّ
التَّرْبِيَةِ وَالْأُبُوَّةِ لِمُوسَى وَقِيلَ كَنَّيَاهُ وَلَا تُصَرِّحَا بِاسْمِهِ فَإِنَّهُ أَكْثَرُ إِحْتِرَامًا
وَكَانَ ثَلَاثُ كُنًى أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْوَلِيدِ وَأَبُو مُرَّةَ كُنْيَةُ إِبْلِيسَ وَالْوَجْهُ هُوَ
الْأَوَّلُ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ بِأَنَّهُ
مَخْلُوقٌ عَاجِزٌ عَنْ إِحْدَاثِ ذَرَّةٍ إِنَّى لَهُ دَعْوَى الْأُلُوهِيَّةِ أَوْ يَخْشَى أَنْ يُفْضِى
بِهِ الْإِنْكَارُ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْأَوَّلُ مَقَامُ الْمُرَاسِخِينَ وَلِذَلِكَ قَدَّمَهُ وَالْجُمْلَةُ فِى
مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْحَالِ إِمَّا مِنَ الْفَاعِلِ أَىْ رَاجِيَيْنِ مِنْهُ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ أَوِ الْمَفْعُولِ
أَىْ مَرْجُوًّا مِنْهُ ذَلِكَ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا يَعْجَلُ عَلَيْنَا وَيَحُولُ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ الدَّعْوَةِ وَأَدَاءِ الرِّسَالَةِ مِنْ فَرَطَ الْقَوْمُ سَبَقَهُمْ وَإِنَّمَا عَدَّاهُ
بِعَلَى لِتَضَمُّنِهِ الْحَمْلَ وَالتَّعَدِّى لَمْ يَكُنْ خَوْفُهُمَا مِنَ الْقَبِيلِ وَلَخَوْفُ ضَرَرٍ آخَرَ
بَلْ أَنْ يَنْسِبَا إِلَى التَّقْصِيرِ وَأَنْ لَا يَجْدِىَ سَعْيُهُمَا بِطَائِلٍ أَوْ أَنْ يَطْغَى
يَزْدَادُ طُغْيَانًا وَيَقُولُ فِيكَ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِكَ كِبْرِيَائُكَ فَإِنَّ التَّحَسُّنَ يَزْدَادُ
بِالتَّجْرِبَةِ فِيمَا قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِى مَعَكُمَا بِالْحِفْظِ وَالْكَلَاءَةِ أَسْمَعُ مَا يَجْرِى
بَيْنَكُمْ مِنَ الْقَوْلِ وَأَرَى مَا سَدَرَ مِنْهُ مِنَ الْفِعْلِ وَالْأَوْلَى أَنْ لَا يُقَدَّرَ لِلْفِعْلَيْنِ
مَفْعُولٌ وَالْمَعْنَى أَنِّى حَافِظُكُمْ سَامِعٌ بَصِيرٌ وَإِذَا كَانَ الْحَافِظُ سَامِعًا وَبَصِيرًا
اسْتَقَلَّ بِالْحِفْظِ عَلَى الْكَمَالِ وَجْهُ تَتْمِيمٍ لِلْكَلَامِ الْأَوَّلِ وَلَيْسَ مِنْ قَبِيلِ أَنْ يُرَى
مُبْصِرٌ وَيُسْمَعُ وَاعٍ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ أَفْرَدَهُ فِى الشُّعَرَاءِ
لِاتِّحَادِ الْمُرْسَلِ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِلَى الشَّامِ مَوْطِنِ آبَائِهِمْ وَمُسْتَقَرِّ
أَسْلَافِهِمْ كَانُوا تَحْتَ يَدِ الْقِبْطِ رُعَاةً يَكْلَفُونَهُمُ الْأَعْمَالَ الشَّاقَّةَ فَإِنْ قُلْتَ
إِرْسَالُهُمَا كَانَ لِدَعْوَةِ فِرْعَوْنَ لِقَوْلِهِ إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى وَقَوْلِهِ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَالْآيَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُمَا أُرْسِلَا لِطَلَبِ بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنْ
قُلْتُ كَانَ إِرْسَالُهُمَا أَصَالَةً إِلَى فِرْعَوْنَ وَابْتِدَاءً وَهُمَا بِقَضِيَّةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنْ

قِيلَ الْقَوْلُ اللَّيِّنُ وَالتَّدَرُّجُ مِنَ الْأَهْوَنِ إِلَى الْأَشَدِّ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ بِالتَّكَالِيفِ
الشَّاقَّةِ وَقِيلَ الْوِلْدَانُ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ جَاءَ فِى تَجْرِى التَّعْلِيلُ لِلْإِرْسَالِ
أَوِ التَّفْسِيرُ لِأَنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَإِنَّ دَعْوَةَ الرِّسَالَةِ إِنَّمَا تَثْبُتُ بِالْحُجَّةِ وَإِنَّمَا
وَحَّدَ الْآيَةَ وَكَانَ مَعَهُ الْعَصَا وَالْيَدُ الْبَيْضَاءُ لِأَنَّ الْقَصْدَ إِظْهَارُ الْحُجَّةِ
لَا بَيَانُ كَمِّيَّةِ الْبَرَاهِينِ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى سَلَامَةُ الدَّارَيْنِ لِمَنِ اتَّبَعَ
الْهُدَى أَوْ سَلَامٌ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ حِينَ يَتَلَقَّوْنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ
عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى سَلَكَا مَعَهُ مَسْلَكًا لَطِيفًا بَدِيعًا فِى الدَّعْوَةِ حَيْثُ عَمَّمَا
الْأَمْرَ فِى الطَّرَفَيْنِ الْهِدَايَةَ وَالضَّلَالَةَ لِئَلَّا يَقَعَ مُوَاجَهَةٌ مِنْهُمَا لَهُ بِمَا يَكْرَهُ وَكَذَلِكَ
كَانَ شَأْنُ رَسُولِ اللَّهِ فِى الْمَوَاعِظِ لَمْ يُوَاجِهْ أَحَدًا بِمَكْرُوهٍ بَلْ يَقُولُ مَا بَالُ قَوْمٍ
يَقُولُونَ كَذَا أَوْ يَفْعَلُونَ كَذَا وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْعَذَابَ مُسْنَدًا إِلَى الْوَحْىِ دُونَ السَّلَامِ
لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ الْأَصَالَةُ أَكَّدَ أَمْرَهُ بِأَنَّهُ لَا دَخْلَ لَهُمَا فِى ذَلِكَ وَأَنَّهُمَا إِنَّمَا عَلِمَاهُ
بِالْوَحْىِ وَأَنَّ لَهُمَا رَبًّا أَوْحَاهُ إِلَيْهِمَا وَلِذَلِكَ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى خَاطَبَهُ
وَحْدَهُ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَهُمَا رِدْءٌ يُصَدِّقُهُ أَوْ لِتَفْرِيعِهِ إِرَادَةَ إِهَانَتِهِ لِعِلْمِهِ
أَنَّهُ ارْتَدَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ أَمْرُنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ
قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ كُلَّ مَوْجُودٍ خَلْقَهُ صُورَتَهُ وَشَكْلَهُ اللَّائِقَ
بِهِ مِنَ الْخَلْقِ بِمَعْنَى التَّقْدِيرِ أَوْ خَلِيقَتَهُ كَالشَّىْءِ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قُدِّمَ الْمَفْعُولُ
الثَّانِى لِأَنَّهُ أَدَلُّ عَلَى الِاقْتِدَارِ أَوْ أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ زَوْجَهُ وَقَرِينَتَهُ مِنْ نَوْعِهِ فَهُوَ
الْفَرْدُ الَّذِى لَا نَظِيرَ لَهُ ثُمَّ هَدَى بَيَّنَ طَرِيقَ الرُّشْدِ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ
الْأُولَى كَذَّبُوا وَتَوَلَّوْا وَلَمْ يُعَذَّبُوا وَكَانَ ذَهْرِيًّا لَمْ يَقُلْ بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ
لَيْسَ عِنْدَهُ الْعَذَابُ الْأَعْذَابُ الدُّنْيَا قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى سُبْحَانَهُ بِهِمْ بِذَلِكَ أَوْ
مَا حَالُهُمْ فِى السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ بِنَاءً عَلَى زَعْمِكَ فِى كِتَابٍ هُوَ اللَّوْحُ
الْمَحْفُوظُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَمْثِيلًا لِحَالِ عِلْمِهِ بِحَالِ مَا كَتَبَ وَأَثْبَتَ فِى كِتَابٍ لَا يَضِلُّ
وَلَا يَنْسَى الضَّلَالُ أَنْ يُخْطِئَ طَرِيقَ الشَّىْءِ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ وَالنِّسْيَانُ ذَهَابُ
بِحَيْثُ لَا يَخْطُرُ بِخَاطِرِكَ وَفِى الْحَدِيثِ قَالَ رَجُلٌ لِبَنِيهِ لَطَمْتُ ذَرْوَتِى فِى الرِّيحِ
لَعَلِّى ضَلَلْتُ اللَّهَ أَىْ فَوَتُّهُ فَلَمْ يُدْرِكْنِى وَقِيلَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ فِرْعَوْنَ
اسْتِبْعَادًا لِإِحَاطَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِأَحْوَالِ الْأُمَمِ الْمَارِجَةِ وَبِتَفَاصِيلِ الْجُزْئِيَّاتِ
الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا قِيَاسًا عَلَى نَفْسِهِ الْخَبِيثَةِ وَيَكُونُ مَعْنَى الْجَوَابِ أَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِهَا
لَا يَفُوتُهُ شَىْءٌ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا مَرْفُوعٌ صِفَةٌ لِرَبِّى أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَإٍ
مَحْذُوفٍ وَالْأَحْسَنُ نَصْبُهُ عَلَى الْمَدْحِ قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ
مِهَادًا بِأَلِفٍ كَالْبِسَاطِ وَالْفِرَاشِ لَفْظًا وَمَعْنًى أَوْ جَمْعُ كِنْهَلٍ وَنِعَالٍ وَالْكُوفِيُّونَ
بِالْقَصْرِ إِسْمًا لِمَا يُمَهَّدُ كَمَهْدِ الصَّبِىِّ وَعَلَيْهِ صَرِيحُ الرَّتْمِ وَالْمُخْتَارُ الْمَدُّ لِاتِّفَاقِهِمْ

فى الذى جعل الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا جعل لكم فيها طرقا نافذة
من ارض الى ارض تكثيرا للمنافع من سلكت الشئ فى الشئ ادخلته فيه وانزل
من السماء ماء مطرا فاخرجنا به التفت الى التكلم لان موسى خاك كلام
ربه تعالى بدليل قوله جعل لكم دون لنا وفيه وراء الافنان الاشارة بنون
العظمة الى انه السلطان المطاع الذى لا ستابى على ارادته شئ ولا يخرج عن
قدرته ولذلك اخرج بماء واحد ازواجا من نبات شتى اصنافا متفرقة
جمع شتيت كمرضى ومريض مختلفة الالوان والطعوم والاشكال والروايح
بعضها لكم وبعضها لدوابكم ومن نعم الله ان ارزاق العباد يحصل بعمل
الدواب وما لا يصلح لهم يصلح لها علفا كلوا وارعوا انعامكم على ارادة
القول حال من فاعل اخرجنا ان فى ذلك لايات لاولى النهى لذوى العقول
الناهية عن اتباع الباطل والركون الى ما لا دليل عليه جمع نهيه وفى حديث
ابى وايل لقد علمت ان التى فى ذو نهيه منها خلقناكم ابتداء كلام منه تعالى
والمراد خلق ادم او خلق كل احد لما فى الخبر من انه تعالى اذا اراد خلق انسان من
نطفة امر الملك بان ياخذ فى كفه ويعجنها بتربة قبره وفيها نعيدكم بعد
الموت ومنها نخرجكم تارة اخرى يوم القيمة عدد الله عليهم ما علق
بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها وسلك لهم
فيها سبلا لا يترددون فيها لتنظم مصالحهم واخرج لهم منها اصناف
الثمرات اقواتا لهم وعلوفات دوابهم وهى امهم التى منها تولدوا وهى كما تهم
احياء واموانا ولذلك قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم تمتحوا بالارض
فانها بكم برة مشيرا الى معنى الاية وكان يدخل على المريض فياخذ من ريقه و
يخلطه بالتراب ويمسح به المريض ويقول بريقه ارضنا بريقة بعضنا تشفى بها
سقيمنا ولقد اريناه اياتنا كلها المعجزات التى ادتها موسى اليد والعصا
وفلق البحر والدم والضفادع والحجر والجراد والقمل وعد نتق الجبل سهوا
فكذبها موسى الجميع فى ابتداء الدعوة الى اوان الغرق وقيل المراد بالايات
الدلائل التى اقامها موسى عليه من قوله اعطى على كل شئ خلقه الى اخر ما ذكره
وقيل اراد دما اراه وما عدد عليه من معجزات سائر الانبياء لانه مطلع ولا فرق
بين خبره وفعله وفيه انه مع بعده يابا لفظ الاراءة فكذب بالايات كلها
وابى ان يقبل شيئا منها او كذب موسى وابى قبول الحق قال اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك يا موسى كلا يتالا لو من حسنه ان قرانضه ان نعدن خوفا
منه لايقانه انه الرسول المؤيد الذى لو شاء اراد الجبال سارت عن مقرها والا
فما قدر ساحر واحد حتى يخرج ملكا مثله من ارضه بعد ذلك التمكن والعدد

والعدد وكذا شان كل مبطل لا تراه عند الاحكام يتشبث الا بما يكون هادما
لدليله مظلما لدعواه فلنا تينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا
مكان وعد للاجتماع فيه لا نخلفه نحن ولا انت الضمير للوعد المدلول
عليه كما فى اعدلوا هو اقرب والجملة صفة موعدا مكانا ثانى مفعولى اجعل
سوى صفة مكانا عن ابن عباس مستويا وفا وعن مجاهد منصفا يستوى بعده
البنا والتيك وقرا ابن عامر وعاصم سوى بضم السين والكسر اخف واشهر
قال موعدكم يوم الزينة مبتدا لاسلوب الحكيم لان يوم الزينة لهم فيه مكان
معروف يجتمعون فيه كما هو شان الناس اليوم فى اعيادهم ومواسمهم وقد
دل عليه تفسير ابن عباس رضى الله عنه وقيل الموعد مصدر وهكذا نصب
على البدل من المكان المحذوف مضافا الى المصدر الذى قيم مقامه او نصب
بالمصدر الموصوف والطباق فى الجواب بتقدير مضاف فى الظرف الواقع
جوابا اى وعدكم وعد يوم الزينة وفيه تطويل عنه غنيه بما اثرناه وكذا
جعل الموعد مكانا واسناد الاخلاف اليه توسعا وطباقا فالجواب بمعنى
الزينة يوم عاشورا او يوم النيروز او يوم كسر النيل وانما عينه ليظهر
الحق على رؤس الاشهاد ويشيع به الزكاد فى الافاق وان يحشر الناس ضحى
عطف على يوم الزينة على تقدير مضاف اى وقت جمع الناس فيه فتولى فرعون
فجمع كيده ما يكيد به موسى جمع السحرة من اطراف بلاده ثم اتى الموعد بعد
ذلك الجمع ومعه السحرة قال لهم موسى للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
بنسبة ايات الله الى السحرة فيسحتكم بعذاب فيستاصلكم به وقرا حمزة
والكسائى وحفص بضم الياء وبكسر الحاء والباقون بفتحتين وهى لغة الحجاز و
الاولى صفة بجد والسحت الاهلاك والاستيصال ومنه سمى الحرام سحتا لانه
يسحت البركة وقد خاب من افترى وهو فرعون فتنازعوا امرهم بينهم
تشاوروا واخذ بعضهم القول من بعض كقوله يتنازعون فيها كاسا من التنازع
لا من النزاع واسروا النجوى فيما بينهم ولم يظهروه لموسى وفرعون اسم كلام
بين المتسارين وعن ابن عباس كان نجواهم ان كان غالبا نتبعه وعن قتادة ان كان
ساحرا وسنغلبه وان كان من السماء فله شان وعن وهب لما قال ويلكم قالوا ما
هذا بقول ساحر وقيل تشاوروا فيما يعارضون به موسى فاجالوا الراى كما ترى
اليوم اذا اهم الملوك امرا قالوا ان هذان لساحران اظهروا بعد النجوى
هذا الكلام تشجيعا لانفسهم كما يقول القران لمن يقابله قد عرفت كنه امرك قرا
ابو عمرو وهذين بالياء كما هو المعروف ومن نصب المثنى وقرا ابن كثير وحفص بتخفيف
ان هذان بالالف على ان المخففة غير عاملة نحو ان كل نفس لما عليها حافظ وشدد

نونه ابن كثير كما تقدم في سورة النساء والباقون شددوا ان مع ألف هذان وهي لغة بلحارث بن كعب وكنانة وهجيم وأهل نجد يجعلون المثنى في الأحوال الثلث بالالف فالاعراب عندهم مقدر على الالف قال الاسدي شعرا فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لنابا الشجاع لصمما وعن سيبويه ان بمعنى نعم وعن علي كرم الله وجهه سمعت رسول الله يقول ان الحمد لله وانما أخرت اللام لصورة ان أو على لغة من يجوز دخولها الخبر كقوله ام الحليس لعجوز شهربه يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى الامثل لقوله اني أخاف أن يبدل دينكم طريقة الرجل دينه ومذهبه أو أشراف قومكم أرادوا بني إسرائيل فانهم كانوا تمهروا في السحر وطريقة القوم امائلهم حكاها ابن السكيت عن الفراء ومنه قوله تعالى كنا طرائق قددا فالوصف بالمثلى من قبيل أمس الدابر فاجمعوا كيدكم فاحكموه بالاتفاق عليه وقرأ ابو عمرو بالوصل على سئن فجمع كيده والقطع أبلغ ثم ائتوا صفا صفوا واحدا فانه اهيب وقيل صفا مصلى علم لمكان معروف عندهم وقد افلح اليوم من استعلى علا وغلب والسين لتاكيد قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى خيروه كما هو شان الأقران عند المبارزة والاعلام المهرة لدى المناظرة إما لعدم المبالاة أو اظهارا لحسن الادب وان مع ما بعده نصب مفعول اخر أو رفع خبر محذوف اي الامر إلقاءنا أو القاءك قال بل ألقوا فاياهم بمثل ما بدأوه به فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي ألقوا بعدما اذنهم انا بجانبه ظرف زمان والمعنى فاجاء موسى تخيلهم وقت تخيل سعيها وان مع ما في حيزها قائم مقام فاعل يخيل وقرأ ابن ذكوان بالتاء مسندا الى ضمير الحبال والعصي وانها تسعى بدل اشتمال والتذكير أشهر وأسلم من التقدير فاوجس في نفسه خيفة موسى اضمر على طريقة الجبلة وعدم الاختيار رقيه كانوا سبعين الفا وبيد كل واحد حبل وعصا لطمعهم بالرئاسة وألقوها في دار فلما اشرفت الشمس عليها اضطربت وقيل انما خاف على الناس أن يدخلهم شبهة قبل ظهوره قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى تعليل للنهي مؤكد بالاستيناف وحرف التحقيق وتعريف الخبر وتكرير الضمير ولفظ العلو وصيغة التفضيل وألق ما في يمينك أبهمه امتحقيرا اي ألق هذا الجرم الصغير الذي في قبضتك أو تعظيما اي لاتيال بتلك الكثرة وألق هذا العظيم الشان الذي بيدك تلقف ما صنعوا من الحبال والعصي أصله تتلقف حذف منه التاء وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان بالرفع على الاستيناف أو على الحال المقدرة وحفص بالتخفيف مضارع لقف وأصل اللقف الخفة واخذ الشيء بالسرعة يقال غلام ثقف لقف اي حاذق خفيف والتشديد مع الجزم ابلغ وأسلم من التقدير إنما صنعوا ذوروه كيد ساحر قرأ حمزة والكسائي كيد سحر اي ذي سحر أو جعلوا لتوغلهم في السحر عينه أو اضافة الكيد للشان كعلم فقه والتنكير لتنكير المضاف لانه في نفسه معروف كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد قدب وانما وحد لانه اريد الجنس ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث أتى اي مكان سلك فالقي السحرة اي بعد تلقف العصا ما صنعوا سجدا شكرا لله على ان هداهم وعزعكرمة لما سجدوا رأوا في سجودهم مناز لهم في الجنة والقاء دل على انهم لم يتردوا في الايمان بعد تلقف العصا قالوا امنا برب هرون وموسى قدموا هرون لانه ردء يصدق موسى فالايمان به يستلزم الايمان بموسى من غير عكس وقيل لانه كان اكثر سنا أو لان موسى مربي فرعون فلو قدم أوهم انه ربه قال امنتم له لموسى انكارمنه واللام لتضمين الفعل معنى الادغام قبل ان اذن لكم في الايمان إنه لكبيركم الذي علمكم السحر استاذكم واهل مكة يسمون المعلم بالكبير قيل كان شبهته ان السحرة كانوا اثنين وسبعين الفا الاثنان من القبط وسائرهم من بني إسرائيل قوم موسى فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف اليمنى مع اليسرى من ابتدائه لان القطع الواقع على موضع الخلاف مخالف لما يقع على موضع الوفاق ولاصلبنكم في جذوع النخل على جذوعه شبه ملابسة له فكانه ابتداء منه ولاصلبنكم في جذوع النخل على جذوعه شبه استعلاء المصلوب باستقرار المظروف في الظرف بجامع التمكن والتروم فاستعار له في قيل هو اول من صلب واختار النخل لكونه اطول الاشجار فالمصلوب عليه اظهر وامره اشهر ولتعلمن أينا اشد عذابا انا على موسى لقوله امنتم له واللام في كلام الله مع الايمان لم يقع استعمالا له بل لله وابقى ادوم قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات المعجزات الواضحات والجمع امتا باعتبار احوال العصا من انهم تاوها حية وهو تلقفها وصيرورتها عصا بعد الاخذ ولم تزدد جمعها واما لانهم لما سجدوا وانكشف لهم عالم الملكوت رأوا امورا خارقة والذي فطرنا عطف على ما جاءنا قدم عليه اهتماما واعتناء بشان المعجزات أو قسم على عدم ايثارهم اياه وهو معنى حتى فاقض ما انت قاض الذي أنت قاضيه او مدة قضائك وإنما حكمك إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا فهذه الحيوة الدنيا تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده إنا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي لم يقولوا امنا برب هرون وموسى كما قالوه اولا بل وصفوه بانه ربهم الذي أوصلهم الى ذلك الكمال واكرمهم باجزل النوال وما اكرهتنا عليه من السحر فانهم لما رأوا العصا

تحرسه وهو نائم قالوا له ان هذا ليس بساحر فان الساحر اذا نام بطل سحره
والله خير وابقى اى خير ثوابا وادوم عذابا من عذابك الذى توعدتنا به انه
الشان ومن ياتِ ربه مجرما بان يموت كافرا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى
فيستريح ولا حياة نافعة ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فى الدنيا
فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات
لدلالته على الاقامة التى هى الملاك تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها حالان
والعامل فيهما معنى الاشارة وذلك جزاء من تزكى تطهر من الشرك عن ابن عباس
من قال لا اله الا الله قوله انه من ياتِ الى هنا ابتداء كلام منه تعالى بعد تمام
مقالة السحرة ترهيبا وترغيبا او من كلام السحرة وعلمهم بذلك اما من موسى
لما دعا فرعون الى الله واما تنا قلوه من اسلافهم من كلام الانبيا ولقد
اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى لما عالج فرعون واراه الايات ولم يزد الا
طغيانا امر ان يسرى بنى اسرائيل وقرا نافع وابن كثير بالوصل وهما لغتان سرى
واسرى ذهب بالليل والقطع اولى وفاقا للجمع عليه فاضرب لهم طريقا فى البحر
اجعل لهم من ضرب له بسهم فى ماله وضرب اللبن اتخذها من الطين يبسا
يابس مصدر وصف به مبالغة لا تخاف دركا لحوقا من فرعون وجنوده
ولا تخشى الغرق حالان من الفاعل وقرا حمزة لا تخف بالجزم خطابا على
انه نهى وجوابا مرو عطف لا تخشى اما على لغة من لم يحذف حرف العلة
بالجازم كقوله لم ياتيك والاساء يسمى فالا لف للاطلاق كقوله وتظنون
بالله الظنونا توافق رؤس الاى والجملة فى محل الحال او حى حاشيا الغرق
فاتبعهم فرعون بجنوده ادركهم ملتبسا بجنوده الباء للمصاحبة لقوله
اتبعهم فرعون وجنوده يقال اتبع القوم اذا ادركهم بعد سبقهم فغشيهم
من اليم ما غشيهم ما لا يمكن الاحاطة بكنهه تقول اذا فخمت شيئا وكان
من الامر ما كان الضمير للجنود لان فرعون القى الى الساحل واضل فرعون
قومه عن طريق الرشاد وما هدى نهكم به لقوله وما اهديكم الا سبيل
الرشاد او ما هداهم فى البحر فانه لما راه منفلقا قال ادخلوه فانه قد انفلق
خشية منى يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم خطاب لهم بعد غرق
فرعون وقيل لاعقابهم فى زمن رسول الله والاول هو الوجه لانه فى اثناء
قصة موسى وتعداد النعم عليهم بعدا لانجاء وواعدناكم جانب الطور
الايمن لانزال التورية وصف بالايمن لكونه موضع المناجات مع الحق و
ومنزل التورية ونزلنا عليكم المن والسلوى فى التيه كلوا من طيبات
ما رزقناكم على ارادة القول وقرا حمزة والكسائى بجبنكم وواعدتكم

ورزقكم بتاء التكلم والنون افخم معنى واقرب مناسبة لقوله ونزلنا ولا
تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بالشكر والتجاوز الى الشره والاشر او
فيحل عليكم غضبى يجب ويلزم ومن يحلل عليه غضبى فقد هدى هلك
من الهوى وهو السقوط من مكان عال وقيل هوى وقع فى الهاوية وقرا
الكسائى بضم الحاء فى الاول واللام فى الثانى من حل بالمكان نزل والكسر
اخف ولذلك اتفقوا امر اردتم ان يحل عليكم ويحل عليه غضبى فيهم
وانى لغفار لمن تاب من الشرك وامن مما يجب الايمان ارشدهم الى التوبة
بعد ما بين لهم حلول عقابه بمن عصى وطغى وعمل صالحا ثم اهتدى
استقام على التوبة وما اعجلك عن قومك يا موسى واعده الله تعالى
بعد غرق فرعون ان نكلمه على الطور ونوتيه كتابا فيه تبيان كل شى وامره
باختيار سبعين من نقباء بنى اسرائيل ليسمعوا كلامه الله تعالى فاختار النقباء
وخلف هرون على بقيته بنى اسرائيل وكانوا ستمائة الف فلما فارق موسى بنى اسرائيل
تعجل شوقا الى الموعود فسبق القوم سالة تعالى عن سبب العجلة والتقدم على النقبا
قال هم اولاء على اثرى وعجلت اليك ربى لترضى لما كان السؤال للانكار على العجلة
التى هى نقيصة يتضمن الانكار على السبب الباعث اجاب اولا بان ليس هناك ما يسئ
عجلة وانما قدمت بخطى يسيرة كما هو شان الوفود ويكون رئيسهم امامهم
فاما السبب فرضاتك فان المسارعة اليها من اهم الامور وتفسير القوم
بمن تخلف مع هرون بردة لفظ الاثر وان الموعد كان مشروطا بحضورهم
اختاره قال فانا قد فتنا قومك من بعدك مرتبا ى غت تقصيرك بتسليمنا
قومك المخلفين كانوا وعدهم اربعين يوما فلما مضى عشرون غدروها العباد تم
اربعين تلينا انها وكان هذا الاخبار الوحى بحدد مقدمه قبل مضى ذلك العدد
شاء على ان ذلك من الممتنع قبل المنزل لعله المتحقق او لما غاب موسى ظن السامرى
فى اثناء ذلك فكان بدا الفتنة موجودا واضلهم السامرى منسوب الى
سامرة قوم من اليهود يخالفونهم فى بعض الامور قيل كان من اهل باجرما وهو
قرية بقرب الموصل وقيل كان علجا من كرمان منافقا اظهر الاسلام واسمه
موسى بن ظفر من قوم يعبدون البقر وجمع موسى بعد ما مضى الاربعون
واوفى التورية الى قومه الذين كانوا مع هرون غضبان اسفا ممتلئا
غضبا او حزينا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا اخلف فيه او ان
نوتيكم التورية فيه تبيان كل شى افطال عليكم العهد بريد زمان مفارقته
منكرا ذلك او طال عليكم زمان العافية وتوالى النعم بعد اذ كنتم فى اسر فرعون
ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى وعدكم اياى

بالثبات على الايمان وايسناد الوعد الى موسى بمعنى وجد تم الخلف فى وعدى
يرده قولهم قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا قرأه حمزة والكسائى بالضم
وافع بالفتح مصدر ملك فهو ما لك والضم مجاز لعدم تحقق معناه ولكنا حملنا
اوزارا من زينة القوم قوم فرعون كانوا استعاروا الحلى منهم ليعيد لهم
وخافوا ان ردوها يعلموا بخروجهم ولذلك سموها اوزارا لان مال المستأمن
حرام ولان الغنائم لم تحل الا لهذه الامة قرأ نافع وابن كثير وابن عامر و
حفص بضم الحاء وكسر الميم مشددة فقذفناها تلك الاوزار فى النار
فكذلك القى السامرى كما القينا وهو انه كان اخذ من موطئ فرس جبريل
قبضة من التراب فامرهم بان حفروا حفرة وقذفوا فيها الحلى فالقى هو تلك
التربة واداهم انه انما القى الحلى فاخرج لهم عجلا على صورة العجل
جسدا له خوار كخوار البقر فقالوا السامرى ومن افتتن به اول ما رآه
هذا الهكم واله موسى فنسى فنسى موسى ان يطلبه منا وذهب لطلبه فى الطور
او نسى السامرى ما كان عليه من الاسلام وتركه والقاء فبجحة على الوجهين
افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا فضلا عن انشائه ابتداء ولا يملك لهم
ضرا ولا نفعا بوجه ابتداء كلام منه تعالى لبيان غباوة بنى اسرائيل ومخالفتهم
العقل وقول هرون وكفرهم بالله الذى خلقهم واعتقادهم الحلول فى جسم
حيوان يضرب بجهلهم المثل ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل ان يقول
السامرى هذا الهكم علم من عبادتهم اولا ما وقع عليه بصره انهم يفعلون فيما
وقعوا فيه اشارة الى تحذيرهم او قبل رجوع موسى يؤيده قوله يا قوم انما فتنتم
به وقولهم لن نبرح عليه عاكفين وان ربكم الرحمن الذى فاض عليكم جلائل
النعم فاتبعونى واطيعوا امرى بالثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه عاكفين
حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا عن طريقة ارشدت
الا تتبعن فى نصرة الدين والمحاماة له لامرتنى فعصيتنى امرى اذا قلت
لك اصلح ولا تتبع سبيل المفسدين قال يا ابن ام لحيته اليها استيقاظا
بانهما كانا فى بطن واحد وانتصاله ثم قيل بل كان اخاه من امه وقرأ
بكسر ميم ام ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى
كان موسى كما اشتهر عنه شديدا لغضب فى الله متصلبا فى امر بنى اسرائيل
قد عبدوا العجل بعد ما رأوا الايات ثم يتأتى لك ان القى الالواح وشاقه
شعيفه بما يكره واخذ بلحيته التى اشرف محاسنه كما يأخذ العدو من عدوه
ونحو ان هرون يدخل لحيته يضرب الى سرته اكراما لها المانعت فى الله ما
لعنت انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل اذ لو قاتلتهم بمن معى

كان معه ممن لم يعبد العجل اثنى عشر الفا ولم ترقب قولى فى الاصلاح فصرت
حتى ترجع اليهم ورأيت ذلك اضم للشمل واحفظ للدهماء مع انى بالغت
فى النصح حتى بلغ السيل الزبى كما اخبر الله عنه ان القوم استضعفونى وكادوا
يقتلوننى قال فما خطبك يا سامرى بعد ان ظهر له عدم اخيه توجه اليه
لانه جرثومة الفتنة اى ما كان عرضك فيما فعلت والخطب الامر الخطير الذى
يقع لاجله التخاطب قال بصرت بما لم يبصروا به بصرت بالشىء علمته
وقرأ حمزة والكسائى على الخطاب يريد موسى ومن كان معه والوجه الغيبة
لان الغرض عدم رؤية الحاضرين بعدذهابه موسى فقبضت قبضة من اثر
الرسول يريد جبرائيل وقرئ بالصاد فالاول للاخذ بجميع الكف والثانى
باطراف الاصابع وانما لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرائيل او اراد تنبيهه
على الوقت وهو وقت ارساله ليذهب به الى الطور او حين ارسل لاغراق
فرعون فانه كان راكبا فرس الحيوة وهى الرمكة التى يسمى جرموم وكان ركبها
يوم بدر مع رسول الله قال قائل ابى جهل حين ضربته سمعت ناكبا يقول
بعدم خيرموم فضربه بمقرعه على رأسه قال رسول الله ذاك جبرائيل فنبذتها
فى العجل وكذلك سولت لى نفسى زينته قال فاذهب فان لك فى الحيوة
ان تقول لا مساس ابتلاه الله ببلية عظيمة وهى انه كان اذا مس رجلا
او امرأة حصل الحمى الماس والممسوس وكان لم يزل يقول لا مساس خوفا
من حصول الحمى فبقى وحيدا طريدا كالوحش وان لك موعدا لن تخلفه
وهو عذاب يوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمر لن نخلفه بكسر اللام اى لن
يجد الله مخلف وعده من اخلفت زيدا وجدته مخلف الوعد كما حمدته
وحدته حامدا والفتح احسن واشهر ومال الكسر اليه معنى وانظر
الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ملازما على عبادته من الظلول قصته
بالذكر لانه مشاهد ولانه اذا عكف عليه بالنهار فالليل اولى لانه محل
العبادة لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه فى اليم نسفا نذريه ذرى
الرماد وهذه كانت عقوبة اخرى له ليشاهد معبوده رمادا اذ ل
من التراب انما الهكم المستحق للعبادة الله وحده الذى لا اله
الا هو المتفرد بالالوهية وسع كل شىء علما احاط علمه بكل شىء
كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق اى كقصته موسى نقص عليك
على بليغ النظام سائر القصص من احوال الامم الماضية تكثيرا لمعجزاتك
وتاكيدا للحجة على من عاندك وزيادة استبصار لمن امن بك وتابعك
وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا فيه ذكر لوقايع الماضية والامم

الدارجة او كتابا فيه ذكرك وشرفك كقوله كتابا فيه ذكركم وفيه اشارة
الى ان التفكر فيه يورث السعادة وتفسيره بالصيت والذكر الجميل لا
يلائمه قوله مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ اى عن القران والاعتبار والاتقاظ بما فيه
فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وِزْرًا عقوبة ثقيلة سميت وزرا لانها جزاء وِزْره
خَالِدِينَ فِيهِ فى ذلك الوزر وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حِمْلًا فى ساء ضمير مبهم
يفسره حملا والمخصوص محذوف لدلالة السابق عليه اى ساء حملا وزرهم
وجعل ساء بمعنى حزن واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك لان خلودهم
فى النار حزن واى حزن يفوت المبالغة مع ان اللام نائب عنه يَوْمَ يُنفَخُ فى الصُّورِ
بدل من يوم القيمة لانه اشد هولا وقرا ابو عمرو بالنون على بناء الفاعل وهو
ابلغ تحذيرا لاسناده الى ذاته مما يباشره الملائكة بامره وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
زُرْقًا زرق العيون لان الزرقة اوحش الالوان عند العرب ولذلك يقولون
فى ذم العدو ازرق العين اصهب السبال اسود الكبد او عميا لان حدقة
من ذهب تورى عنه تزاق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم
من الرعب إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا لما يعاينون
من الاهوال فيتذكرون ما كانوا فيه من الدعة والنعم فيتأسفون عليها او ايام
السرور قصارا او لانهم يوقنون بالخلود وما نسبة الفانى وان طال الى ما
لا نهاية له وقيل اراد وا اللبث فى القبور لقوله لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ مِن مدة مكثهم إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً رايا إِن لَّبِثْتُمْ
إِلَّا يَوْمًا فضله عليهم لكونه اعلم تخطاعه الامر وشدة العذاب وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْجِبَالِ قيل السائل رجل من ثقيف فَقُل يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا عن ابى زيد يقلعها
قلعا وكذا عن الخليل وابى عبيدة وقيل يجعلها كالرمل تذروه الرياح فَيَذَرُهَا
قَاعًا يترك مقارها مكانا واسعا يعلوه الماء صَفْصَفًا مستويا لَّا تَرَىٰ
فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا اعوجاجا ولا نتوا الوصفان الاولان باعتبارا لحسى
وهذا باعتبار القياس اى لو قاس ماهر فى الهندسة لم يجد عوجا فى اجزائها ولا
ادنى ارتفاع ولذلك اثر العوج بكسر العين الذى يكون فى المعانى كالدين قيل لا يفعل
فضلا عن الاحساس به وقيل لا ترى استيناف لبيان الحالين يَوْمَئِذٍ اى اذ نسفت
او بدل من يوم يحشر بدل اشتمال وَيَسْأَلُونَكَ استيناف وله موقع حسن عند ذكر
الحشر يَتَّبِعُونَ الداعى الى المحشر وهو اسرافيل يقف على صخرة ببيت المقدس و
ينادى ايتها الناس هلموا الى المحشر يقبلون الى صوته من كل اوب لا عِوَجَ لَهُ اى
لا يعوج عنه مدعو واستيفاله باللام لان الفعل كما يختص بالفاعل يقول لا
ضرب لزيد كذلك بالمفعول وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ ذوو الاصوات او استعار

للخفض فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا صوتا خفيا ومنه الهمس لصوت اخفاف الابل
او صوت اقدامهم كانهم يكمم من شدة الخوف يَوْمَئِذٍ بدل ثالث من يوم
القيمة وفيه تر قى حسن لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ رفع
بتقدير المضاف على البدل اى لا شفاعة من اذن له الرحمن او نصب على المفعول
اى لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن الرحمن ان يشفع له وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا
قول الشافع له او فى حقه يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ما تقدمهم من الاحوال وَمَا
خَلْفَهُمْ وما يستقبلونهم وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا بمعلوماته او بذاته او
بمجموع ما ذكر فانهم وان علموا منه شيئا لا يحيطون بتفصيله ولا بخفايا
بواطن ما علموه مفصلا وَعَنَتِ الْوُجُوهُ للحى القيوم ذلت وخضعت ومنه
العانى للاسير وفى الحديث اتقوا الله فى النساء فانهن عوان فى ايديكم والا
الى الوجوه لانها اشرف الاعضاء او اريد بها الذوات كقوله ويبقى وجه
ربك والظاهر العموم وقيل الوجوه عظماء الكفرة وقد خاب من حمل ظلما
كفرا الجملة حالية لكونها فى مقابلة قوله وهو مؤمن والاولى جعلها معترضة
والتقابل المعنوى كاف وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ بعضها او هو مؤمن اذ
بدونها الايمان لا يعتد بعمل فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا نقصا من ثوابه الموعود وقرأ
ابن كثير فلا تخف بالجزم نهيا وقراه الجمهور اوكد لكونها اخبارا من امر
القائلين وَلَا هَضْمًا هضم النفس وضعها عن مرتبتها والمعنى لا يخاف
نقصان الثواب ولا حط الدرجة والمنزلة اصله الكسر وقيل الظلم مع التوا
والهضم نقصانه وكذلك انزلناه قرانا عربيا عطف على كذلك نقص
عليك اى ومثل هذه الايات فى الوعد والوعيد انزلنا القران كله عودى
الى ما بدا به السورة من وصف القران بالصفات الكمالية فان حديث موسى
كان متصلا بقوله ما انزلنا عليك القران لتشقى فاعظم الكلام احسن انظما
وصرفنا فيه من الوعيد والحال انا قد كررنا فيه ايات الوعيد من بيانية
لعلهم يتقون يتلعون به التقوى التى هى نهاية مقامات العارفين او
يحدث لهم ذكرى عظة وانزجارا فى الحال او للتنويع والامر تارة على التحلية
والتخلية فتعالى الله فى ذاته وصفاته استعظاما لان يكون الامر كما يقول الملحدون
وما صرف فيه من الوعد والوعيد بالغا حدا لكمال فوقه استدعاء لمن كان له قلب
ان يقبل الى تعظيم كلامه ويتوجه اليه بشراشره الْمَلِكُ الحقيقى بالتامر
وَنَهْيِهِ وفيه دلالة على ان ما فى القران من توارع الوعيد سياسات الهية من
تحاماها فاز وسلم ومن تخطاها باد وندم الْحَقُّ الثابت اللازم الالوهية
فى ذاته وصفاته وفيه اشارة الى ان ما فى القران من الوعد وعيد حق لا يجوم

حوم حماة الباطل وان المحق من كان ممتثلا لاوامره والمبطل من لم يتيقظ بزواجره
وتمهيد للنهى عن العجلة بقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه
فان ذلك يخل بتعظيمه روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحى شدة وكان يحرك شفتيه عند تلاوة
جبرائيل عليه يبادر الى الاخذ حذرا من فوت شئ منه فنهى عن ذلك وامنه
الله من ذلك الخوف بقوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه لانه
نهى عن تبليغ المجمل قبل البيان اذ كم مجمل بلغ قبل البيان ناهيك بيان الخيط الابيض
بالفجر بعد بهمة من الزمان والبقرة من اوائل القرآن نزولا وقل رب زدنى
علما بدل العجلة فان ما اوحى اليك محفوظ لا تفوتك منه شئ لم يأمر بطلب
الزيادة قط الا فى هذه الآية اظهارا لشرف العلم ولقد عهدنا الى آدم
اى امرناه مع ما فى لفظ العهد من المبالغة لدلالته على الحفظ عطف على قوله
وصرفنا فيه من الوعيد دلالة على ان عصيانهم لا يليس لنقص منك فى التبليغ
لو لتقصيا فيما بلغتهم من القرآن بل ذلك لما يقتضيه شانهم فان اباءهم آدم
خاطبناه كفاحا وبينا له عداوة ابليس صراحا من قبل من قبل هؤلاء فنسى
العهد عن قريب ولم نثبت واعتن بقبول العدو حتى تورط فيما تورط ولم نجد
له عزما على ما امر به وتضميما وتصلبا على ما عهد اليه بحيث يؤيس الشيطان
عن اغوائه بالوسوسة اليه او لم نجد له عزما فيما اتى به بل كان ذلك خطأ
منه والوجه هو الاول ولم نجد اذ كان من وجد الشئ على فله فله عزما مفعلا
وان كان من الوجود نقيض العدم فله لحال من عزما كانه قال عدمنا عزمه
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم والمعنى اذكر ذلك الوقت لنظهر لك نسيانه
وعدم كونه تاعزم مفصلا وفيه اشارة الى ان ما ذكر مه به من اسجاد الملائكة
كان من البواعث التامة على التحفظ بالعهد فسجدوا الا ابليس قد سبق
الكلام فيه فى استكبارا استيناف كانه قيل لم يسجد فقلنا بعد
الاباء يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
تكون سببا لخروجكما النهى لهما فى المعنى عن اتباعه توكيدا للامر بالثبات
والعهد السابق فتشقى افرده بالذكر لان شقاءه مستلزم لشقائها
او لان المراد بالشقاء التعب فى طلب المعيشة وذلك الى الرجال فانهم قوامون
على النساء قيل لما اهبط جاءه جبرائيل بثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق
عن جبينه ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى لوجود المأكل والملابس من غير
سعى ومباشرة اسباب وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى لوجود الانهار والعيون
يقال ضحيت الشمس اذا برزت من الضحى والضواحى والنواحى البارزة عطف

على ان لا تجوع مع عدم جواز دخول ان على ان لان الواو نابت عنه والمستكره
دخوله صورة ذكر نقائض مطالبه منفية ولم يات بتلك المطالب صريحا لذكر
باسبابها لشقاء الذى حذره منه فان قلت لم لم يذكر الظمأ مع الجوع الذى
هو قرينه قلت الشبع والكسوة اصلان والاخيران متممان مع ان الشبع
اكثر امعنى لابرى الى قوله شعرا فاكتست عظام امرئ ما كان يشبع طاوية
وقرأ نافع وابو بكر وانك بالكسر عطفا على ان لك فوسوس اليه الشيطان انهى
اليه الوسوسة ويقال وسوس له باللام فعل الوسوسة لاجله قال يا آدم هل
ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى بيان لوسوسته فلذلك لم معطوف عليه
وشجرة الخلد من اكل من ثمرها لم يمت على زعمه وروى ابو داود عن ابى هريرة ان
فى الجنة شجرة تسمى شجرة الخلد والبلى الضعف والزوال من بلى الثوب بكسر
اللام قال العجاج والمرء مبليه بلا استرجال كر الليالى واختلاف الاحوال
فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
طفق بفعل كذا شرع من افعال المقاربة والخصف الزاق الشئ فوق اخر ومن خصف
النعل خرز عليه الخصاف والورق ورق التين قيل كان مدورا فصار من تحت
اصابعهما على هذا الشكل وعصى آدم ربه بارتكاب ما نهاه عنه فغوى
فاخطأ طريق الرشاد وحيث اغتر بقول العدو وترك نصح السيد الرؤف
ثم اجتباه قربه من الجباية وهى الجمع فتاب عليه قبل توبته بعد ما تاب اليه
او وفقه للتوبة وهدى ارشده الى الاستقامة وعدم الوقوع فى زلة
بعدها وما صدر من آدم وان كان على سبيل النسيان عبر عنه بالعصيان والغواية
اما لان حسنات الابرار سيئات المقربين واما ليكون لطفا بالسامعين و
ايقاظا لهم فان صغره الذى سجد الملائكة له اذ بدا منه صغيرة على وجه
النسيان جرى عليه هذا فانظروا ايتها المصرون على الذنوب واعتبروا
قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحواء بعضكم لبعض عدو يريد اولا
وهما لانهما اصل البشر فخوطبا مخاطبتهم فاما يأتينكم منى هدى كتاب او
رسول فمن اتبع هداى فلا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الاخرة وعن ابن
عباس رضى الله عنه ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى
فى الاخرة ثم تلا الآية ومن اعرض عن ذكرى الهدى الذى هو سبب ذكره
فان له معيشة ضنكا وذلك ان المؤمن وان قل ماله متوكل على الله شاكر
وقته بعبادته فهو بما اوتى شاكر فرح وصدره شرح والمعرض عن ذكر الله
وان اوتى ما اوتى لم يزل مكدودا ساعيا فى الجمع والازدياد لا تهنأ له معيشة محروما
لا ينال ما يريده خسر الدنيا والاخرة ونحشره يوم القيمة اعمى لا يبصر

شيئا أو لا حجة له قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا أما لحمزة
والكسائي في الوقف عليا وقالون وابن ذكوان بخلف عنه والثاني ليوافق
الأول رؤوس الآي قال كذلك أي كما نقول فعلت ثم بين ذلك وعلله بقوله
أتتك آياتنا فنسيتها تركتها وتعاميت عنها وكذلك اليوم تنسى تترك
على عماك جزاء لك من جنس عملك وكذلك نجزي من أسرف أي مثل جزاء هذا
الفاعل نجزي كل مسرف منهمك في اتباع الشهوات معرض عن تدبر الآيات
ولم يؤمن بآيات ربه بعد مجيئها ولعذاب الآخرة أشد فظاعة وألم
وأبقى وادوم من حشره أعمى بعد ضيق العيش في الدنيا أو الحشر أعمى
لا يزول أشد من ضنك العيش المنقضي أو ترككا إياه في العذاب أشد من تركه
لآياتنا وأبقى وليس بوجه ولا القول بأنه إذا دخل النار زال عماه ليرى موضعه
أفلم يهد لهم الله ورسوله كم أهلكنا قبلهم من القرون مفعول الهداية
معنى كأنه قيل أولم يبين الله لهم مضمون هذا الكلام وقد علق عنه لكونه في
معنى الاعلام أو الجملة فاعل لم يهد وا مفسر لفاعله دال عليه وهي الكثرة
يمشون في مساكنهم يريد قريشا يمرون على آثارها لكين من عاد وثمود في
أسفارهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى العقول الناهية عن التغافل والتعامي
ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير العذاب لكان العذاب لزاما ملازما
لهم لا يفارقهم طرفة عين لتكامل أسبابه قال ابن ذؤيب فلم تر غير عادية
لزاما أي ملازما وأجل مسمى لعمارهم عطف على كلمة أو على ضمير كان المستكن
لوجود الفاصل والمعنى لولا كلمة سبقت بتأخير العذاب لكان العذاب واجل
مسمى لازمين معا ولم ينفرد الأجل عن العذاب العاجل فاصبر على ما يقولون
في أمر الدعوة فيما جئت به من القرآن وسبح بحمد ربك نزهه عما لا يليق بحاله شاكرا
نعمة هدايته أو صل وأنت حامد ربك الذي وصلك إلى هذا الكمال قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها فإن الذكر فيها أشرف لكونها أشرف الأوقات أو صلاة
الفجر وصلاة العصر لقوله إن قرآن الفجر كان مشهودا وقوله صلى الله عليه وسلم
من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ومن آناء الليل ساعاته جمع إنى
بالقصر مع الكسر أو إناء بالمد والفتح فسبح نزه الله وقدسه أو صل فيها فإن
الوقت رابع والعمل فيه أجمع لعدم الشواغل والتفسير مائلة إلى الاستراحة فالعبادة
فيها أحر إن ناشئة الليل هي شدوا وقوم قيلا وأطراف النهار وقيل
الطلوع وبعد المغروب فيتكرر ذكر صلاة الصبح والمغرب وإنما جمع الطرف
والنهار طرفان لأمن الالتباس مع ما في ذلك من زيادة البيان أو لأن إرادة جنس
النهار أو التطوع في أجزاء الطرفين من نصفي النهار لعلك ترضى بما يعطيك

ربك وقرأ الكسائي وأبو بكر ترضى على بناء المفعول أي لعل الله يعطيك ما يرضيك
أو يكون مرضيا عنده والمختار ساء الفاعل ولعل للتحقيق من الصاد والمفضل
لا سيما والخطاب مع المقرب المفضل وتمام رضاه بقبول شفاعته في أمته ولا
تمدن عينيك الى ما متعنا به نظر عينيك لمن بسطه عن النظر بل عن مده وتطويله
فإن من عادة النظر إلى الشيء ليحيط به علما ثم كف النظر غير ملام وإنما المنهي
استغراق فيه إعجابا به وتمنيا أن يكون له مثله كما قالت بطارة قارون
يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير وقد
شدد العلماء وأهل التقوى في النظر إلى بنية الظلمة ومراكبهم وشارتهم
فانه إغراء لهم على طلب الزيادة والتعمق فيها أزواجا منهم أصنافا من
الكفرة مفعول متعنا ويجوز أن يكون حالا من الضمير المجرور في به أي
لا تمدن عينيك الى الممتع به وهو أصناف منهم بعضهم أو ناسا منهم على
ان من تبعيضية زهرة الحيوة الدنيا مفعول ثان لمتعنا لتضمينه معنى
الأعطاء والباء للسببية أي لا تمدن عينيك الى المال الذي أعطينا سببا صنافا
من الكفرة زهرة الحيوة الدنيا أي بهجتها وزينتها أو بدل من أزواجا بتقدير مضاف
أو من المجرور في به والابدال من العائد الى الموصول مختلف فيه والاحسن نصبه
على الذم لاضافتها الى الحيوة الدنيا المذمومة فمن أكتحل بنور الهدى يرى تحقيرها
والازدراء بها من أقرب القرب لنفتنهم فيه لنبلوهم فيه أو لنعذبهم في الآخرة
بسببه ورزق ربك خير وما رزقك من الهدى والنبوة خير من ذلك الحطام
فان الالتذاذ به روحاني مع قطع النظر عن فائدته في الآخرة وقبل ما ادخر لك
من الثواب وأبقى وادوم فان مرابيدهم يصيبه الآفات ويفنى بالانفاق
ومالك يزداد وأمر أهلك بالصلوة أهل بيتك أو أمتك فانك راع وكل راع
مسئول عن رعيته وفي أمرهم بها أعانه له أيضا فان الجماعة شد بعضهم بعضا
ويزداد الانسان نشاطا بخلافه في الانفراد فانه بورث الفتور وليشاركهم في
الثواب فان الدال على الخير كفاعله واصطبر عليها تحمل المشاق في المداومة
عليها لا نسألك رزقا أن نرزق نفسك وأهلك فان ذلك علينا فقرغ
بالك لأمر الآخرة نحن نرزقك ومن وجب عليك القيام بأمره عن عروة بن
الزبير انه كان اذا رأى ما عند الملوك قرأ ولا تمدن عينيك ثم ينادي الصلوة
رحمكم الله والعاقبة للتقوى لذوي التقوى اشارة الى ما هو في سريع
الزوال وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه على عادتهم في التعنت والتحكم
الاعتداد بما جاء به أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى يريد القرآن قائم
مع كونه معجزة له دالة على صدق دعواه برهان على صدق سائر الكتب المنزلة

وهم يقرون بصدق تلك الكتب فاقرارهم بهذا كان اولى واوجب والمراد
ببينة الصحف الاولى نعته وتمامته فيها كقوله او لم تكن لهم اية ان يعلمه
علماء بني اسرائيل وقرا نافع وابو عمرو وحفص يأتهم بالتذكير وهو احسن
لوجود الفاصل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل مجيء البينة او محمد
لقالوا ربنا يوم القيمة لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل
ان نذل في الدنيا ونخزى في الاخرة يريد ان هؤلاء لا يؤمنون ولو جاءتهم
كل اية لانهم معاندون والايات انما ينتفع بها المسترشد والارسال اليهم
انما هو لئلا يكون لهم عذر يعتذرون به يوم القيمة قل كل متربص منا و
منكم فتربصوا انتم فستعلمون عن قريب من اصحاب الصراط السوي
القويم ومن اهتدى هلك ذلك الصراط من في الموضعين استفهامية علق
عنها العلم ختم السورة بما بدأ كانه يقول له ما انزلنا عليك القران لتشقى
مع هؤلاء المعاندين فبعد التبليغ لا تنهك نفسك ودعهم في اودية
الضلال يهيمون فستعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تمت السورة
ولله الحمد على نعمة الموفورة والصلوة على من نعته في الصحف مزبوره

سورة الانبياء

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم اللام صلة اقترب اي
اقترب منهم فان الاختصاص وابتداء الغاية متقاربان او تاكيد للاضافة
والاصل اقترب حساب الناس اي لهم ثم قيل اقترب للناس الحساب للاجمال
والتفصيل ثم قيل اقترب للناس حسابهم باقامة الضمير مقام اللام الاقتراب
امر نسبي واليا في من الدنيا قليل لقوله بعثت انا والساعة كهاتين واشار
بالسبابة والوسطى ولقوله بعثت في نسم الساعة او هو باعتبار المتكلم
وان يوما عند ربك كالف سنة اولان كل اتٍ قريب وكل ماض بعيد والوجه
هو الاول لوجود الاشراط وهم في غفلة مستمرون فيها معرضون
عن التدبر والتفكر في العواقب خبر بعد خبر وجعل الظرف حالا من المستكن
في معرضون ضعيف ما ياتيهم من ذكر قران يوقظهم عن سنة الغفلة من
ربهم المربي لهم بانزال ذلك الذكر صفة ذكر محدث انزاله اية عقب اية
وسورة فرسورة الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان
مترادفان او متداخلان والمعنى ما ياتيهم الذكر المحدث المشتمل على فنون المواعظ
وانواع البصائر في حال من الاحوال الا في حال استماعهم له لاعبين مستهزئين
به يقولون لو شئنا لقلنا مثل هذا قلوبهم شاغله عن التدبر فيه والتفكر

في غريب اساليبه وبديع لطائفه واسروا النجوى اسم من التناجي ولا يكون
الا خفيا فايقاع الاسرار عليه مبالغة في اخفائه او اريد به نفس الفعل وهو
التناجي بحيث لا يفطن له ولا يعلم احد انهم يتناجون وهذا ابلغ الذين
ظلموا بدل من واو اسروا دلالة على كونهم موسومين بالظلم في تناجيهم
وقيل هو على لغة اكلوني البراغيث وهي لغة ازد شنوءة اول من تكلم بها ابو عمرو
الهذلي ووجهه انه اريد بالاكل الاستيلاء والظلم وهو من فعل العقلاء
فرشح بالحاق علامتهم به وقيل منصوب على الذم وقيل مبتداء قدم عليه
خبره هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون عطف بيان
للنجوى او بدل منه وكان حق الكلام ان يقال هذا الا ساحر او سحر فوضع
عليه الانكار لكن لما كان كون مدعي الرسالة من البشر ساحرا وكون معجزته
سحرا امرا مفروغا منه عندهم وضع المنزل موضعه لينكون ابلغ قل ربي
يعلم القول في السماء والارض القول العام الشامل للجهر والسر والاخفى
فيتناول نجواهم الذي اسروه تناولا اوليا واثرا في الفرقان قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض لانه رد لما نسبوه اليه من الافتراء على الله
فاشار الى ان ما سموه افتراء انزله من يعلم باطن امر نبيه ومقالتهم الحمقاء
وقراحمزة والكسائي وحفص قال اي ذلك البشر في جوابهم وهو المختار لكونه
مدحا له في الاهتداء الى هذا الجواب الذي طبق المفصل وهو التسميع العليم
برهان على علمه بذلك القول بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر
اما حكاية مقالتهم من غير تدرج وترق في ابطالهم والمراد انهم خابطون
متحيرون فتارة يقولون كذا وتارة كذا واما ابتداء اخبار منه تعالى عنهم
ملاحظا فيه التدرج فان قولهم القران سحر اقرب من كونه تخاليط الاحلام
لانه النظم الانيق الدال بكل منطوق وهو اقرب من كونه مفترى مختلفا لدلالة
المقاطع على صدقه وهو اقرب من كونه شعرا لكونه كلاما محتملا لاحقيقة
له اين هو من كلام جاء بالحقائق الناطقة بالدقائق العلمية التي تنطبق بها
امر المبداء والمعاد وعلق بها صلاح العالم عن الفساد فان قلت التدرج
من الكذب ههنا الى الشعر عكس التدرج من الشعر الى الكذب في سورة الطور
فما وجه ذلك قلت الكلام هنا في الذكر المحدث المنزل فكانه قيل فايا كان
بل شاعر شانه الاتيان بالاكاذيب وهما لا حقيقة له بخلافه هناك فان الكلام
في رسالته وكونه شاعرا اقرب من كونه مفتريا لاشتهاره عندهم بالامانة
والصدق فليات بآية كما ارسل الاولون كاثراء الاكمه والابرص واليد
والعصا وصحة التشبيه لان الارسال يستلزم الاتيان بالمعجزة ما

ما امنت قبلهم من قرية اهل قريه اهلكناها صفة قريه افهم يومنون
استفهام انكار واستبعاد دلالة على انهم اعنى من السابقين واذ عدم الاجابة
الى ما اقترحوه انما هو للابقاء عليهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا لانوحي اليهم
وقرا حفص بالنون وهو المختار لكونه ادل على التصديق وانسب بارسلنا
فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب ان كنتم لاتعلمون او لو كان كونه بشرا
مناف للرسالة كان اهل الكتاب اول مكذب له لذلك وما جعلناهم جسدا
لايأكلون الطعام رد لقولهم يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
وافرا وجسدا لكونه مصدرا في الاصل او بتقدير المضاف او ارادة الجنس
او تاويل الضمير بكل واحد وهو اخص من الجسم لاختصاصه بماله لون وما
كانوا خالدين كانهم كانوا يعتقدون ان الملائكة لايموتون او جواب لقولهم
يعيش كما تعيش ويموت كما تموت فلا يصلح للرسالة ثم صدقناهم الوعد
اى في الوعد كقوله واختار موسى قومه فانجيناهم ومن نشاء من المومنين
بهم او من سبق في العلم ايمانه او ايمان من سيولد منه واهلكنا المسرفين
المتجاوزين المفرطين ولقد انزلنا اليكم كتابا خطاب لقريش فيه ذكركم
صيتكم وشرفكم لانه بلسانكم منزل على نبي منكم فاهم جملته واليكم المرجع في
حل معاقده او تذكره وموعظة لكم او فيه ما يحصل به الذكر الحسن والثناء
الجميل من مكارم الاخلاق التي كنتم تسابقون اليها افلا تعقلون ترجعون
الى عقولكم فيؤمنون به وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وصفت بوصف
اهلها مبالغة والقصم اكسر مع ابانة كناية عن الاستيصال لعدم بقاء
الايتام بعده وكم للتكثير وما روى عن ابن عباس انها قرية بيلاد يمن اسمها
حصور ارسل الله اليهم نبيا فقتلوه فبعث عليهم بخت نصر فقتلهم عن اخرهم
مسناه انها من جملة تلك القرى وانشانا بعدها اى بعد اهلها المهلكين
قوما اخرين وسطه في اثناء القصة اظهارا لعظمته وكمال اقتداره كقوله
ان يشاينذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز فلما احسوا باسنا
شاهدوه اذا هم منها يركضون الركض ضرب المركوب بالرجل وكانهم حين
عاقبة العذاب هربوا عن دوابهم اوعدوهم على ارجلهم شبه بالركض
بجامع السرعة لاتركضوا على ارادة القول والقائل اما الملائكة او المؤمنون
منهم او لا قول بل هم احقاء بان يقال فهم ذلك وارجعوا الى ما اترفتم
فيه من العيش الرافق الاترافا لطافا النعمة والمترف المكثر من الملاذ الموسع
فيها ومساكنكم لعلكم تسالون عما جرى فتخبرون عن علم مشاهدة او
ارجعوا الى مساكنكم وترتبوا في المجالس مباهين بها حتى يسالكم خدمكم وحشمكم

ماذا تامرون به من المهمات او نسالكم من يستعين بكم في الامور المهمة
ويستضيء برايكم او المحاويج المستمطرون سحائب اكفكم الممترون اخلاف
معروفكم كل ذلك على سبيل التهكم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين بتكذيب
الانبياء فما زالت تلك دعويهم اى قولهم يا ويلنا سماه دعاء لان الويل
ينادى الويل وتلك مرفوع على سمته زال ودعواهم بنصب على الخبر لانه مثل
ضرب موسى عيسى ومن جوز العكس لم يلتفت الى قاعدة النحاة ميلا منه الى
المعنى حتى جعلناهم حصيدا مثل النبت المحصود خامدين ميتين من
خمدت النار وهو مع حصيدا مفعول ثان لجعل لانهما في حكم الواحد اى
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود والمتعدد في مثله كالواحد سواء كان واحدا
حقيقة كقولك جعلته حلوا حامضا اى مزا او لاكما لما شجاعا وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما لاعبين كما يفعله الجبابرة من رفع السقوف
وبناء القصور وفرش الحرير وسائر الزخارف وانما رفعنا هذا السقف
المرفوع وفرشنا هذا المهاد الموضوع وبثثنا بينهما من الخلائق مشحونة
بضروب البدايع ليكون تبصرة للمستبصرين وتذكرة للناظرين مع ما يتعلق
لهم بها من المنافع التي لاتعد والمرافق التي لاتحصى لو اردنا ان نتخذ لهوا
ما يتلهى به لاتخذناه من لدنا ما يليق بنا من الحكم الالهية التي تخذموها
انتم لهوا والمعنى ان صدورا للهو منا مستحيل سوق الكلام لدفع المطاعن
السابقة فيه صلى الله عليه وسلم بعد ما هدد بقوله وكم قصمنا من قرية فان
منكر الرسالة جاعل خلق السموات والارض من باب العبث لان خلق السماء
والارض وما بينهما انما هو لمعرفته تعالى وجزاء من قام بها ومن لم يقم ولن يتم
ذلك الا بارسال الرسل وانزال الكتب وحمل اللهو على الولد او المراة ليس بذاك
لان نفي الولد سيجيء صريحا وقوله وانا كنا فاعلين تكرير مبالغة في الاستحالة
اى ان كنا يفعل ما يوصف باللهو فهكذا يكون فعلنا والحمل على النفي ليكون
كالنتيجة للسابق ايضا معنى حسن بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ
اللهو وتنزيه لذاته تعالى عنه فيدمغه فيزيله ويقلع اثره استعار القذف
وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذي هو الوصول الى
الدماغ الموجب للهلاك تصويرا لابطاله ومحقه كانه جرم صلب قذف
على جرم رخو اجوف فاذا هو زاهق هالك ذكره ترشيحا للمجاز ولكم الويل
مما تصفون مما تصفونه به مما لايجوز عليه من اللهو واللعب وله من في
السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده من الملائكة الكروبيين اوقعهم
بالذكر اظهارا لشرفهم ولفظ عند تصوير لقربهم وتمثيل بمن يكون عند الملوك

ذا منزله قرنة لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون لا يملون من الحسور وهو الوقوف لاستحسا على الحسو لظهوره لكمال قيامهم باعباء العبادة التي حقيق ان يستحسر منها يسبحون الليل والنهار لا يفترون مستمرون على التقديس لا يفترهم فتور تقريرا وتوكيدا لما سبق من نفي الهولان من هذا شانه منزه عن مثل ذلك وتمهيدا لما بعده ام اتخذوا الهة منقطعة للاضراب او الترقي فان اتحاد الشريك اذخل في الانكار من انكار النبوة والقدح فيها وانما قدم عليه كونه مالك السموات والارض ومن فيهما يستحق العبادة منهم وان المقربين عنده قائمون بها حق القيام ليشيد وجه الانكار من الارض صفة الهة ومن ابتدائه لان الاصنام متخذة من جنس الارض كما تنحت من الحجر او يعمل من بعض الجواهر هم ينشرون الموتى من قبورهم والمشركون وان لم يقولوا باقتدارهم على ذلك ولكن لازم لادعاء الالهية لها الاقتضائها الاقتدار على كل الممكنات وفيه تهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم اختصاص الانتشار بهم لو كان فيهما الهة الا الله الاوصف الالهة حمل على غير كما حمل عليه غير في الاستثناء ولا يستقيم فيه الاستثناء ولا البدل لفظا ومعنى اما لفظا فلان الاستثناء لا يكون بعد جمع منكر لعدم الشمول واما البدل فلنفرغه على المفرغ المنفي واما معنى فلان ما سبق له الكلام انتفاء التعدد المفضي الى الفساد والاستثناء والبدل مفضيان الى ان دخوله الاله الحق في عداد الالهة تدفع الفساد لفسدتا لم تكونا او خرجا عن النظام للتمانع والتغالب وتحقيق الحق في هذا المطلب لاجل ان موجد الكائنات خارج عنها واجب دونها فلو فرض اثنان اما ان يتحدا ماهيته او يختلفا وكل باطل قطعا اما الاول فلاحتياج الى المقوم ولانه اقل الى التميز وبطلانه ظاهر للزوم غناه عند الفرق واما الثاني فلان الاثر الواحد بالشخص اما بهما او بكل منهما او باحدهما والكل باطل وبطلان الملازم يوجب بطلان الملزوم ووجه اللزوم والبطلان ظاهر هذا ان اريد بالفساد عدم التكون وان اريد الخروج عن النظام فكذلك لان حفظهما اما بهما او بكل منهما او باحدهما والكل باطل كما تقدم واما بالتوزيع واختصاص كل بالبعض فلان المختص من الخارج لاستواء القدرة والامكان وذلك غير البعض والاحتياج فالاية برهان نير ولا اختصاص له بالفاعل المختار كما ظن فسبحان الله رب العرش عما يصفون اي اذا دلت السموات والارض على عدم جواز وجود الشريك فانزهه مالك العرش عما يصفون به من الشريك لا يسئل عما يفعل لانه عالم بالخفيات ووجوه الحكم والملوك الذين يتطرق على

اراءهم الخطأ والزلل لا يسئلون عن تدبير الملك فكيف عن علم ما كان وما يكون وهم يسئلون لانهم عبيد مامورون خطاؤن ام اتخذوا من دونه الهة انكر اولا الالهة الارضية لظهور فسادها ثم الالهة مطلقا وبين عليه نفي الحجة بقوله قل هاتوا برهانكم فان ما لا دليل عليه لا ثبوت له هذا ذكر من معي وهو القرآن ومن معه امته واضافة الذكر اليهم لانهم متعبدون باحكامه وذكر من قبلي وهو التوراة والانجيل وفيها دليل على عكس مدعاهم واكتفى بالسمعي لتقدم العقلي قدمه لكونه الاصل في العقائد بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اضرب عن اقامة البرهان لكونهم فاقدي التمييز بين الحق والباطل فاي فايدة في ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كشف عما كان في ذكر من قبله ازاحة لما عسى ان تخالج المشركين شبهة على الوجه الاعم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وقد سبق انه ابلغ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قدم نفي الشريك على نفي اتخاذ الولد ليكون تمهيدا له لانه اشد استحالة لاقتضائه الازدواج وانفصال الجزء منه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا والاية نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له بل عباد بل هم كسائر العبيد مكرمون مقربون تنبيه على محل الخطأ لا يسبقونه بالقول لا يسبق قولهم قوله وانما نفى السبق عنهم اولا وجعل القول اداة ليكون اول ما يقرع السمع عدم السبق منهم مطلقا فيكون اشد واقوى في مدحهم نظيره ستعرف قدر طلبتنا فلم يجدك مثلا وهم بامره يعملون لا غير فلا قول ولا فعل الا بامره كما هو شان المقربين مع الملوك يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه شيء الجملة تقرير وتوكيد لما قبلها ولا يشفعون مع قرب مكانهم الا لمن ارتضى ان يشفع له واذن لهم في ذلك وهم من خشيته مشفقون من خوفه حالفون غاية الخوف من الشقوة وهو الستر الرقيق روي انه تعالى لما طرد ابليس بكى جبرائيل وميكائيل فقال لهما هذا البكاء قالا يا ربنا انت اعلم خشية منك واشفاقه من مكرك فقال هكذا كونا والقول بان الخشية حرقة مع تعظيم ولذلك خص به العلماء يرده يرد قوله في حق فرعون لعله يتذكر او يخشى ولا دليل في قوله انما يخشى الله من عباده العلماء لارادة الكمال كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومن يقل منهم اني اله من دونه فرضا كقوله لئن اشركت فذلك نجزيه جهنم فكيف يكون ولدا وهل احد يلقى ولده في نار جهنم كذلك نجزي الظالمين المشركين اولم ير الذين كفروا ان

أَنَّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا مَرْتُوقَيْنِ مَلْصُوقًا أَحَدُهُمَا بِالْأُخْرٰى
فَكَشَطَ السَّمٰوٰتِ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ وَاوْقَعَ بَيْنَهُمَا الْقَضَاءَ أَوِ السَّمٰوٰتُ
وَالْأَرْضُ مُتَلَاصِقَةٌ وَكَانَ الْأَرْضُونَ لَا فُرَجَ بَيْنَهَا فَفَتَقْنَاهُمَا فَجَعَلْنَا
بَيْنَهَا فُرَجًا وَالرُّؤْيَةُ فِعْلُ الْقَلْبِ فَإِنْ قُلْتَ اثْبَاتُ ذٰلِكَ الْعِلْمِ عَلٰى أَوْكَدِ وَجْهٍ
وَمَتٰى كَانَ لَا فِي جَهْلٍ وَاقْرَانُهُ عِلْمٌ بِأَنَّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا قُلْتُ
عِلْمُهُمْ بِاعْجَازِ الْقُرْاٰنِ الْمُخْبِرِ عَنْهُ مُسْتَلْزِمٌ عَنْهُ وَانَّمَا أَوْرَدَ هٰذَا الْأُسْلُوبَ وَإِنْ كَانَ
الْأَنْسَبُ بِالِاسْتِدْلَالِ بِالِاتِّحَادِ كَافِي بَيَانِ الْكَيْفِيَّةِ الِاتِّحَادُ الدَّالُّ عَلٰى كَمَالِ الِاقْتِدَارِ وَ
قِيلَ الرَّتْقُ الْعَدَمُ لِعَدَمِ تَمَايُزِ الْأَشْيَاءِ فِيهِ وَقِيلَ فَتَقْنَا السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ وَالْأَرْضَ
بِالنَّبَاتِ وَالْقَوْلُ بِأَنَّ السَّمٰوٰتِ فُتِقَتْ بِالتَّحْرِيكَاتِ الْعُلْوِيَّةِ مَعَ سَمَاحَةِ مَعْنًى
مَبْنِيٌّ عَلٰى ثُبُوتِ حَرَكَةِ الْفَلَكِ وَانَّمَا قَالَ كَانَتَا لِأَنَّ الْمُرَادَ جَمَاعَةُ السَّمٰوٰتِ وَجَمَاعَةُ
الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ اَيْ خَلَقْنَا كُلَّ حَيٍّ مِنْ نُطْفَةٍ اَبِيهِ كَقَوْلِهِ
وَاللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ اَوْ لَفْظُهُ اِحْتِيَاجُهُ الَى الْمَاءِ كَانَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْهُ اَوْ جَعَلَ
بِمَعْنٰى صَيَّرَ اَيْ صَيَّرْنَا كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ مِنَ الْمَاءِ مُتَّصِلًا بِهِ لَا يَحْيٰى دُونَهُ كَقَوْلِهِ صَلَّى
اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا انَا مِنْ دَوٍ وَلَا الدَّوُ مِنِّي اَيْ لَا اتَّصَالَ بَيْنَنَا اَفَلَا يُؤْمِنُونَ
بَعْدَ ظُهُورِ الْآيَاتِ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ جِبَالًا ثَوَابِتَ تَنْزِلُ مَعَهُمْ بِاتِّبَاعِ
الْأَظْهَرِ الْأَخْفٰى فَانَّ هٰذَا مَحْسُوسٌ وَذٰلِكَ مَعْقُولٌ اَنْ تَمِيدَ بِهِمْ كَرَاهَةَ اَنْ تَضْطَرِبَ
بِهِمْ مِنْ مَادِيَةٍ مَالٍ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِي الْجِبَالِ فِجَاجًا طُرُقًا وَاسِعَةً سُبُلًا
يَسْلُكُهَا الْمُسَابِلَةُ بَدَلٌ مِنْ فِجَاجًا يَدُلُّ ضِمْنًا عَلٰى اَنَّهُ خَلَقَهَا كَذٰلِكَ لِلسَّابِلَةِ اَوْ
حَالٌ قُدِّمَتْ وَاِنْ كَانَتْ فِي الْاَصْلِ وَصْفًا لِقَوْلِهِ سُبُلًا فِجَاجًا لِلدَّلَالَةِ عَلٰى اَنَّهُ
حِينَ خَلَقَهَا عَلٰى تِلْكَ الصِّفَةِ فَيَكُونُ بَيَانًا لِمَا اَبْهَمَ هُنَاكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ
اِلٰى مَصَالِحِهِمْ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا مِنَ الْوُقُوعِ وَالِاضْطِرَابِ
وَالْخُرُوجِ عَنِ الْأَوْضَاعِ وَالْاَشْكَالِ مَعَ عِظَمِ الْجِرْمِ وَطُولِ الزَّمَانِ قِيلَ بِالشِّهَبِ
عَنِ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ الَى اسْتِمَاعِ سُكَّانِهِ وَهُمْ عَنْ اٰيَاتِهَا الْمُودَعَةِ فِيهَا
مِنْ عِظَمِ الْجِرْمِ بِلَا عَمَدٍ وَتَزْيِينِهِ بِالْكَوَاكِبِ وَطُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا عَلَى الْحِسَابِ
الْقَوِيمِ وَالتَّرْتِيبِ الْعَجِيبِ مُعْرِضُونَ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا لِيَقُودَهُمْ
الَى الْاِيمَانِ بِوَحْدَةِ الصَّانِعِ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
تَفْصِيلٌ لِبَعْضِ تِلْكَ الْاٰيَاتِ كُلٌّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَفُلْكٍ يَسْبَحُونَ
يَسْرَعُونَ عَلٰى سَطْحِ الْفَلَكِ سُرْعَةَ السَّابِحِ عَلَى الْمَاءِ خَبَرُ كُلٍّ وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ
الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَجَازَ انْفِرَادُهُمَا بِالْحَالِ دُونَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ لِاَمْنِ اللَّبْسِ
وَالْجَمْعُ بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ الْمَطَالِعِ وَبَالُوا وَلِاَنَّ السِّبَاحَةَ فِعْلُ الْعُقَلَاءِ وَهُوَ
صَرِيحٌ فِي اَنَّ الْحَرَكَةَ لِلْكَوْكَبِ دُونَ الْفَلَكِ كَمَا نَزْعُمُهُ اَهْلُ الْهَيْئَةِ وَمَا جَعَلْنَا

لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ اَفَاِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كَانُوا يَتَرَبَّصُونَ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ
كَمَا هُوَ ذَابُ الْخَصْمِ الْمَجْهُوجِ اِنَّا لَمْ نُبْقِ مَا يَتَشَبَّثُ بِهِ بِيُمْنَى هَلَاكِ خَصْمِهِ فَقِيلَ اِنْ
مُتَّ اَنْتَ كَمَا يَتَمَنَّوْنَهُ فَاَنْتَ وَهُمْ فِي ذٰلِكَ سَوَاءٌ فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا اَفَيِقُوا سَيَلْقَى
الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ نُعَامِلُكُمْ
مُعَامَلَةَ الْمُخْبِرِ بِمَا لِنَرٰى صَبْرَكُمْ عَلَى الْبَلَاءِ وَشُكْرَكُمْ عَلَى النِّعَمِ فِتْنَةً مَصْدَرٌ
مِنْ غَيْرِ لَفْظِ الْفِعْلِ وَاِلَيْنَا تُرْجَعُونَ فَنُجَازِيكُمْ عَلٰى حَسَبِ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ
وَاِذَا رَاٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا اِنْ يَتَّخِذُونَكَ اِلَّا هُزُوًا مَهْزُوًّا بِهِ اَطْلَقُوا الْمَصْدَرَ مُبَالَغَةً
اَهٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ اٰلِهَتَكُمْ قَائِلِينَ هٰذَا الْكَلَامَ وَالذِّكْرُ بِالْخَيْرِ وَبِخِلَافِهِ اَرَادُوا عَيْبَ
اِنْتِهَائِهِمْ لِاَنَّ الْعَدُوَّ لَا يَذْكُرُ الْعَدُوَّ بِخَيْرٍ وَاَسْمُ الْاِشَارَةِ لِلتَّحْقِيرِ كَمَا فِي قَوْلِ عَائِشَةَ
عَجِبْتُ لِابْنِ عُمَرَ وَهٰذَا حِينَ اَفْتَى بِاَنْ عَلَى النِّسَاءِ نَقْضَ الظَّفَائِرِ لِلْغُسْلِ وَهُمْ بِذِكْرِ
الرَّحْمٰنِ هُمْ كَافِرُونَ اَيْ مِمَّا يَجِبُ اَنْ يُذْكَرَ بِهِ مِنَ الْوَحْدَانِيَّةِ اَوْ يُذْكَرُ الرَّحْمٰنُ مِنْ
اَسْمَائِهِ حَيْثُ قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ اَوْ بِالْقُرْاٰنِ الَّذِي نَزَّلَهُ الرَّحْمٰنُ اِلَيْكَ وَالْمَعْنٰى
وَهُمْ بِهٰذِهِ الصِّفَةِ فَهُمْ اَحْقَاءُ بِاَنْ يَتَّخِذُوا هُزُوًا وَمَا اَنْتَ فَبِمَعْزِلٍ مِنْ ذٰلِكَ وَاعِدَّةٌ
الضَّمِيرُ لَا فَائِدَةَ التَّخْصِيصِ خُلِقَ الْاِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ اَرَادَ بِالْاِنْسَانِ
اٰدَمَ حِينَ بَلَغَ الرُّوحُ صَدْرَهُ اَرَادَ اَنْ يَقُومَ وَقِيلَ لَمَّا بَلَغَ الرُّوحُ عَيْنَيْهِ رَاٰى
ثِمَارَ الْجَنَّةِ فَلَمَّا دَخَلَ جَوْفَهُ اشْتَهَى الطَّعَامَ وَالتَّحْقِيقُ اَنَّ الْمَعْنٰى اَنَّ الْعَجَلَةَ مَرْكُوزَةٌ
الْاِنْسَانُ جُبِلَ لِقَوْلِهِ وَكَانَ الْاِنْسَانُ عَجُولًا فَاِنَّهُ عَامٌّ دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ طُرُوقِ
رَسُولِ اللّٰهِ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا وَالْاٰيَةُ نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَدُلُّ
عَلٰى جَوَازِ تَكْلِيفِ الْمُحَالِ سَاُرِيكُمْ اٰيَاتِي الَّتِي تَسْتَعْجِلُونَ بِهَا فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ
وَيَقُولُونَ مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ اِسْتِبْطَاءٌ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي وُقُوعِ الْعَذَابِ
اِمَّا فِي الدُّنْيَا اَوْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ
النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ جَوَابُ لَوْ مَحْذُوفٌ اَيْ لَوْ عَرَفُوا الْوَقْتَ
حَقَّ الْمَعْرِفَةِ وَمَا يُحِيطُ بِهِمْ فِيهَا لَمَا جَسَرُوا عَلٰى مَا جَسَرُوا وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهَا بِالْحِينِ
مُنْكَرٌ وَهِيَ لِلْعِلْمِ الْمَعْرُوفِ وَتَصْوِيرُهَا بِالْوَصْفِ الْكَاشِفِ تَهْوِيلٌ لَا يَخْفٰى وَجْهُهُ
اَنْ لَا يَكُونَ لِلْعِلْمِ مَفْعُولٌ اَيْ لَوْ كَانُوا مِنْ اَهْلِ الْعِلْمِ لَمَا اسْتَعْجَلُوا وَعَلٰى هٰذَا حِينَ
مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ عَلٰى تَقْدِيرِ اسْتِئْنَافِ كَاَنَّهُ قِيلَ مَتٰى يَعْلَمُونَ فَاُجِيبَ لَوْ يَعْلَمُونَ
حِينَ لَا يَكُفُّونَ بَلْ تَاْتِيهِمْ بَغْتَةً فَجْاَةً مَصْدَرٌ وَقَعَ حَالًا فَتَبْهَتُهُمْ تُحَيِّرُهُمْ
حَتّٰى يَدْهَشَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا اِلَّتَانَا وَالْعَلَّةُ اَوِ الْقِيٰمَةُ لِاَنَّ الْحَيْرَةَ
بِمَعْنَى السَّاعَةِ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ يُمْهَلُونَ وَفِيهِ تَذْكِيرٌ بِاِمْهَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَتَسْخِيفٌ
لِلْوَقْتِ عَلَيْهِمْ وَاَنَّهُ لَا اِنْظَارَ بَعْدَ ذٰلِكَ الْاِمْهَالِ الطَّوِيلِ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ذَكَرَ الْاَجْوِبَةَ الدَّامِغَةَ لِمَطَاعِنِهِمْ فِي النُّبُوَّةِ وَاَدْمَجَ فِي ذٰلِكَ

من المعاني التي هي لباب المقاصد سلاه بان له فيما باله من الاذى اسوة باجله
الرسل فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعد له بالنصر
في العاقبة قل من يكلؤكم يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار من الرحمن
من بأسه وفي ايثار الرحمن اشارة الى ان لا كالئ لهم الا رحمته الغالبة و
ايماء الى انه وان عظمت نعماؤه ما اعظم غماءه على ما يقال نعوذ بالله
من غضب الحليم والسؤال سؤال تقريع ولذلك ضرب عنه بل هم عن
ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا عن ان يخافوا من بأسه
تسجيلا عليهم بانهم ليسوا اهلا للسماع ام لهم الهة تمنعهم من دوننا
اضرب عن اعراضهم الى ما هو اشد وادخل في الانكار كانه يقول دع اعراضهم
وانظر الى من اعرضوا من ذكر الرحمن والتجأوا اليه فان هذا اعظم لا يستطيعون
نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف لبيان سخافة عقولهم بان من تركوا
ذكر الرحمن له جماد لا يقدر على نصر نفسه ولا هو مصحوب من الله بنصر كيف ينصر
غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب الى بيان الداعي
الى كلا بتهم وهو التمتع استدراجا بما قدر لهم من الاعمار فحسبوا ان لا يزال لوا
كذلك افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها بيان وتقرير لما هم
فيه من الاستدراج وانهم سيخرجون عما هم فيه والرؤية بمعنى العلم لتعلقها
بمضمون الجملة واللام للعهد يريد ارض الكفرة وهذا اخبار بما سيقع من تسليط
المسلمين على الكفرة لان السورة مكية وقد وقع ذلك كما اخبر فالاية معجزة
مستقلة افهم الغالبون لا يكون ذلك قل انما انذركم بالوحي بعد ما
استوفى الكلام في الاحتجاج على النبوة والتوحيد ثم ان عد وابرق في الوعيد
ثم امره ان يقول ان هذا الذي تلوبه عليكم وحي من الله ليكون قد لكه كما
يقول احد خواص الملك لمن ينصحه بعد ان لم يسبق له عذل ما قلبه لك كلام
الملك ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون الظاهر لا يسمعون ما ينذرون
عدل الى المنزل للدلالة على ان عدم السماع انما هو للتصام لا لقصور في الانذار
لقد سمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي قوله ابن عامر بالخطاب
مناسبا للاعماء والغيبة من السماع انسب لدلالته على عدم القابلية اذا ما نصب
بتسمع او بالدعاء والتقييد بالاذا دلالة الكلام فيه ولئن مستهم
نفحة من عذاب ربك اد في شيء منه من نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث ان
لربكم في الدهر نفحات فتعرضوا لها وفيها مبالغات ذكر المس الذي هو اتصال
ما والنفح وبناء المرة والتنكير الدال على القلة يا ويلنا انا كنا ظالمين
ندموا حيث لا ينفع ونضع الموازين القسط يوزن بها صحائف الاعمال

او هو تمثيل للحسبان السوي والقسط هو العدل من اقسط عدل لا من قسط
وافراده لانه مصدر او ذوات القسط روي مسلم ان الله لا ينام ولا
ينبغي له بيده القسط يرفع ويخفض ليوم القيمة اللام للتوقيت كقوله
لدلوك الشمس او لاجل اهله فلا تظلم نفس شيئا من اعمالها وان كان مثقال
حبة من خردل اي وان كان العمل في الحقارة مثل تلك الحبة تصور لعلم
عمله وان القليل عنده كثير اتينا بها احضرناها قرا نافع مثقال بالرفع
على كان تامة وقراءة القوم اظهر لان المراد عمل يوازن الحبة وكفى بنا حاسبين
لكمال علمنا وشموله وانما وضع الميزان اظهارا للعدلة ولقد اتينا موسى
وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين شرع يفصل الرسل الذين استهزئ
بهم اثرا للتسلية بعد الاحاطة باحوالهم وبدأ بذكر موسى عليه السلام
لكونه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في كثرة الايات وتكاثف الامة
ولم يستوف قصة لتقدمها في السورة السابقة مستوفاة ثم ذكر قصة
ابرهيم لكونه على ملته ولكون قصته اغرب القصص ليبلوغه اقصى مراتب التوكيد
والعطف باعتبار الصفات فان التوراة لكونه فارقا بين الحق والباطل
فرقان ولاشتماله على الاحكام الدينية ضياء ولكونه موعظة ذكر وقيل
الفرقان النصر لقوله تعالى يوم الفرقان يوم بدر وقيل فلق البحر لبني موسى
وعدوه الذين يخشون ربهم صفة المتقين والاوجه النصب
على المدح بالغيب حال من الفاعل والمفعول وهم من الساعة مشفقون
حال القول غاية الخوف وفي تقديم الضمير تعريض بغيرهم وهذا ذكر مبارك
اوقع فيه التماء وزيادة الخير كلمة جامعة تشمل اوصافا التوراة وغيرها
انزلناه اقاسم له منكرون توبيخ وتقريع بعد ياد الصارف عن الانكار
ولقد اتينا ابرهيم رشده الاهتداء الى وجوه الصلاح او النبوة والحجة
على قومه واضافة الرشد الدلالة على انه رشد له شان كقوله انوله تعلمه
من قبل اي قبل البلوغ حين خرج من السرب وراعى الكوكب او من قبل موسى وهرون
او من قبل نبوة محمد عليه السلام وكانوا به عالمين بما جبل عليه من الزكاة
وبديع الاثر وقوة اليقين وكمال التسليم اذ قال لابيه وقومه بتعاله
باينا او برشده ولا لاحسن تعلقه باذ كر معتدا باعادة كرر الوقوف هذا الذي
انتم له عاكفون عبر عنها بالتماثيل التي هي الصور اشارة الى انها خالية عن المعنى واللام للتبيين
لانه صلة للمكوف على والاحسن تضمين العكوف معنى العبادة لقوله قالوا
وجدنا اباءنا لها عابدين ولانه المنكر عبادتها قال لقد كنتم انتم

وآبائكم في ضلال مبين واضح غنى عن أن يبان لان من به مسكة لا يلتفت قصدا
الى الجماد فضلا عن تعفير الوجه له قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين
استبعدوا أن يكون ما هم فيه ضلالا لانهم ما لقوله اجد وحق أم لعب وانما
أرادوا الابعدية في معاد له الهمزة مبتدأ الى ترجيحه وانه الذي يليق بحاله
وعندي ان أم منقطعة اضرابا عن كون ما جاء به فيه شائبة حق ولذلك
قابلهم بمثل ما بدأوه حيث قال بل ربكم رب السموات والارض الذي
فطرهن اضرابا عن أن يكون فيما جاء به شائبة هزل والضمير في فطرهن
للتماثيل أو للسموات والارض والاول أدخل في تضليلهم وان كان الثاني
أوفق وأنا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين الموقنين فان
علم الشهود أجلى اليقينيات وتالله لأكيدن أصنامكم في ايثار التاء
التي هي للتعجب بين حروف القسم ولفظ الكيد الدال على الاحتيال اشعار
بان التعرض لها امر خطر وكان كذلك وكونا نالله سنى عقد شيخ تيسرا
بعد أن قولوا مدبرين الى مكان عيدكم روى ان آزر وقومه خرجوا الى عيد
لهم فدخلوا بيت الاصنام وسجدوا لها ووضعوا طعاما بين يدي الاصنام
وقالوا الى أن ترجع يحصل للطعام البركة فدخل ابراهيم كما وعد بيت الاصنام
وكانوا سبعين صنما فاخذ الفاس وكسر الكل الا كبيرا لهم وكان من مذهب
وفي عنق جوهرتان فعلق الفاس في عنقه فجعلهم جذاذا قطعا فعال
بمعنى مفعول وقرأ الكسائي بالكسر وهما لغتان وقيل بالكسر جمع جذيذ كخفاف
وخفيف والضم اكثر كحطام ورفات الا كبيرا لهم للاصنام لعلهم
اليه يرجعون الى ابراهيم فانه المتفرد بعدا وتها فيبكتهم بها أو الى
الكبير فانه كبير المعبودين ورئيسهم فيبكتهم ايضا وجعل الضمير لله بعيدا
ولا فائدة في ايقاعه الكبير حينئذ قالوا حين رجعوا من فعل هذا بالهتنا
انه لمن الظالمين بجرأته وهتك ما كان يجب توقيره أو بتوريطه نفسه
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الفعل الاول مع فاعله مفعول
لسمعنا والثاني صفة فتى ورفع ابراهيم على انه نائب عن فاعل يقال لان
المراد به الاسم لا المسمى وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره
قالوا به على أعين الناس بمرأى منهم وايثار على مبالغة في تحقق الرؤية
شهوته وتمكنه في أعينهم بتمكن الراكب من المركوب لعلهم يشهدون عليه
ان أنكر أو يشهدون عقوبته ان ثبت انه الفاعل قالوا أأنت فعلت هذا
بالهتنا يا ابراهيم الاستفهام للتقرير وهو على اصله والاضراب الى قوله
قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون معناه ان السؤال

لا وجه له اذ لا يصلح لهذا الفعل غيره هذا النوع من الكلام من لطف المعاريض
اثبت لنفسه الفعل على الوجه الابلغ متضمنا فيه الاستهزاء والتضليل أو
هو من الاسناد الى السبب فانه لما كان غيظ كبيرها اشد عليه وأكبر
نسب ذلك لحظم البواقي أو هو حكاية لما يلزم مذهبهم كانه قال من يكون
الها يجب أن يقدر على هذا وأعظم روى انه لما سئل قال فعله كبيرهم
غيضا من الصغار لعدم رضاه بالاشراك معه اشارة الى ان الصنم الكبير
اذا لم يرض بالاشراك فكيف يرضى خالق الكائنات فرجعوا الى انفسهم
فقالوا انكم أنتم الظالمون باتخاذ هذه الجمادات معبودا الا من ظلم نفسه
ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون النكس جعل اسفل الشيء
أعلاه والمعنى انحرفوا عن تلك الفكرة الصالحة الى ما كانوا عليه من الضلال
بانا علمنا انها لا قدرة لها ومع ذلك اتخذناها أربابا او رجعوا عن الجدال
الباطل الى الجدال بالحق لان قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اقرار
بعدم الالهية وانما عبر عنه بالعكس وان كان حقا لانه خلاف معتقدهم
أو العكس عبارة عن غاية انطراقهم رؤوسهم خجلا وقولهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون كلمة تحيرة اتوا بها وان كانت حجة عليهم أو عن الرجوع عن الجدال
عنه في قوله انكم انتم الظالمون الى الجدال معه بالباطل في قولهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون وجوابه وهو قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
ولا يضركم معلما لهم عاينا في الالوهية بوجه الاول أف لكم ولما
تعبدون من دون الله أف صوت افاصوت به علم ان المصوت به متضجر والام
للتبيين أي تضجرت لاجلكم عوا ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء ونافع وحفص
بالكسر منونا للتنكير المفيد للتعظيم والباقون بالكسر غير منون لان لصل
بناءه السكون والكسر اصل في تحريك الساكن أفلا تعقلون قبح فعلكم
قالوا حرقوه بالنار اذ لا يتصور عذاب فوقه فاله صلى الله عليه وسلم
لا يعذب بالنار غير الله لعظمها اختص بمن لا أعظم منه وانصروا الهتكم
عطف تفسيري ان كنتم فاعلين ان ينصروا الهتكم كفى عنه بالفعل لتضمنه
هذا ذاب المحوج اذا الحزلك تجلدوا فتطيح لاحد في المنا صبة نابكا عن المعا
والمشير بالاحراق نمرود وقيل خلق من اعراب فارس قيل حبسوه شهرا
حتى جمعوا حطبا كثيرا وأججوا له نارا يكاد يحترق الطير في الجو من وهجها
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اما كلمتها على ما هو الظاهر
أو مجاز عن تعلق ارادته وعن ابن عباس رضي الله عنه لو لم يقل سلاما
لاهلكته ببرده وكانه اخذه من نون العظمة وحمل المصدر واخراج

النار عن طبعها خلافا لمعتاد فاما ان يكون على الاطلاق او يختص بمن
خصصت به وهو ابراهيم وتبقى في غيره على اصلها وعلى الوجهين معجزة له او
ارهاص لنبوته اذ قيل انه كان عمره ست عشرة سنة وارادوا به كيدا
فجعلناهم الاخسرين لانقلابا لحجة في المعارضة عليهم وظلال سعيهم
في انقاذ النار واستحقارهم عذاب الاخرة ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها هي الارض المقدسة للعالمين كافة لانها موطن الانبيا
منها انتشرت شرايعهم التي هي مبادي الكمالات الدينية التي بها نبط
بقاء الخيرات الدنيوية وهي محشرهم يوم الميعاد وقيل ما من ماء عذب الا
واصله من تحت الصخرة ووهبنا له اسحق لما دعا وطلب الولد بقوله رب
هب لي من الصالحين ويعقوب نافلة ولد الولد فانه عاش حتى راه
او زيادة على سؤاله من التفضل وهو الزيادة ومنه نوافل الطاعات لزيادتها
على الفرايض وكلا جعلنا صالحين للنبوة او صالحين في الدين كاملين
وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا صيرناهم مكملين بعد الكمال واوحينا
اليهم فعل الخيرات بان يحثوا الناس عليها تكميلا للقوة النظرية والعملية
واقام الصلوة وايتاء الزكاة من عطف الخاص على العام وخص الثناء
من الاقامة لقيام المضاف مقامها وكانوا لنا عابدين لا غيرنا كرر تنبيها
على شرف العبادة كوضعه في الصلاح ولوطا نصب على شريطة التفسير
اتيناه حكما وعلما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم ونجيناه من
القرية التي كانت تعمل الخبائث من الكفر واتيان الذكور وعدم النهي عن
المنكر والتصفار والحذف في النادي والمد في الماء الملح والصفير بوصفها بوصف اهلها
لقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين وفي اضافة القوم الى السوء مبالغة
كما في رجل سدق وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في الجنة لانها
محل الرحمة روي ابو هريرة قال رسول الله قال لما بحت النار اجنه فقال
الله للجنة انت رحمتي ارحم بك من شاء انه من الصالحين الذين صلحوا
للكرامة ونوحا اذ نادى من قبل ذكر من قبل المذكورين لاهلاك قومه رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله
من الكرب العظيم من الطوفان وما كاد فيه من تكذيب قومه ونصرناه
جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا بايتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين لم نترك الا هو ونذر يته لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم رعت
فيه ليلا بلا راع واصل النفش التفرق ومنه نعش الغطن وكنا لحكمهم

لحكم المتحاكمين والحاكمين وانما صح وانما نسبة الفعل الى الفاعل بالقيام
والى المفعول بالوقوع ارادة المطلق والا اختصما شاهدين حاضرين عالما
ففهمناها سليمان الضمير للحكومة حكم داود بالغنم لصاحب الحرث
فقال سليمان غير هذا ارفق بهما وكان عمره اذ ذاك احدى عشرة سنة
فقال داود كيف يا بني قال ارى يا نبي الله ان تدفع الغنم الى اهل الحرث
ينتفعون بالبانها واصوافها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه
حتى يعود كما كان فامضى داود حكمه لان حكم داود كان ايضا
بالاجتهاد والحمل على انهما حكما بالوحي بعيد لكون سليمان صغيرا
دون البلوغ وفي لفظ ففهمناها اشارة الى ان ذلك كان بالاجتهاد فان قلت
كيف نقض اجتهاد سليمان اجتهاد داود وقد ذكر الفقهاء ان نقض الاجتهاد
بالاجتهاد غير جايز قلت لم يكن هناك نقض بل ذلك من توافق الاجتهادين
ورجوع داود كما رجع ابو حنيفة عن كثير من اقوله الى قول صاحبيه بعد
ظهور الدليل والقول بان كلا الحكمين كان صوابا وحكم سليمان اصوب
غير سديد ونظير قول داود ما قال ابو حنيفة في العبد الجاني يدفعه
المولى بذلك او يفديه ونظير قول سليمان ما قال الشافعي في العبد المغصوب
اذا ابق من يد الغاصب يغرم القيمة للحيلولة فاذا ظهر العبد يسترد ان
واما عين المسئلة في شرعنا فابو حنيفة لا يوجب الضمان الا اذا كان
صاحب الدابة معها لقوله صلى الله عليه وسلم جناية العجماء جبار و
الشافعي يفرق بين الليل والنهار يوجب الضمان بالليل لان المعتاد ضبط
الدواب ليلا ولذلك قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضمان
لما دخلت الناقة البراء حايطا وافسدته وقال على اهل الاموال
حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وكلا اتينا حكما
وعلما مدح لهما اذ قدم ان الحق ما قاله سليمان ولا له على الاجتهاد
وان اخطا ممدوح لبذله الوسع اجتهد فاصاب فله اجران واخطا فله اجر واحد وسخرنا مع داود الجبال يسبحن اذا سبح كما سبح الحجر
في يد رسول الله وكما حن اليه الجذع وقيل سبح بمعنى سار من السباحة
اي يسرن معه حيث سار وفيه بعد وعلى الوجهين اما حال او استيناف
والطير عطف على الجبال او مفعول معه وكنا فاعلين مثل ذلك
وان كان بديعا عندكم او كنا نفعل مثل هذه الكرامات مع الانبياء
وعلمناه صنعة لبوس لكم صنعة الدرع عن قتادة كانت قبله صفايح
الحديد فاول من سردها وضم الحلق بعضها على بعض داود فجمعت الجمة

وَالنُّحَيِّن لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ لَكُمْ قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ بِالنُّونِ مُسْنِدًا إِلَيْهِ تَعَالَى وَابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ بِالتَّاءِ مُسْنِدًا إِلَى ضَمِيرِ الصَّنْعَةِ أَوْ اللُّبُوسِ تَأْوِيلُ الدِّرْوَعِ وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ مُسْنِدًا إِلَى ضَمِيرِ اللُّبُوسِ وَهُوَ الظَّاهِرُ لِكَوْنِهِ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ هَلْ انْتُمْ تَشْكُرُونَ لِأَنَّ أَصْلَ دُخُولِ هَلْ عَلَى الْفِعْلِ فَالْمَعْدُولُ عَنْهُ لَا يَبْرَأُ زَمَانًا يَتَجَدَّدُ فِي صُورَةِ الثَّابِتِ فَكَانَ أَدَلَّ عَلَى طَلَبِ الشُّكْرِ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ أَيْ وَسَخَّرْنَا هَا لَهُ وَزِيَادَةُ اللَّامِ هُنَا دُونَ الْأَوَّلِ لِأَنَّ نَفْعَهُ عَائِدٌ إِلَى سُلَيْمَانَ بِخِلَافِ تَسْبِيحِ الْجِبَالِ الطَّيْرِ عَاصِفَةً شَدِيدَةَ الْهُبُوبِ وَلَا يُنَافِي وَصْفَهَا بِالرَّخَاءِ وَهِيَ اللَّيِّنَةُ لِأَنَّهَا كَانَتْ عَاصِفَةً فِي الْعَمَلِ غَدْوُهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَفِي نَفْسِهَا رَخَاءٌ لَا تُزَعْزِعُ بَلْ تَسِيرُ عَلَى وَفْقِ مُرَادِهِ وَكَانَ ذَلِكَ آيَةً إِلَى آيَةٍ وَمُعْجِزَةً مَعَ مُعْجِزَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِهِ كَيْفَ يَشَاءُ حَالَ ثَانِيَةٌ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا هِيَ الشَّامُ فَإِنَّهُ كَانَ يُقِيمُ بِهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ فَعَلِمْنَا أَنَّهُ أَهْلٌ لِذَلِكَ الْإِكْرَامِ وَلِذَلِكَ وَصَفَهُ بِكَوْنِهِ عَبْدًا شَكُورًا وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ فِي الْبِحَارِ وَيَسْتَخْرِجُونَ لَهُ الْجَوَاهِرَ النَّفِيسَةَ مِنْ مَوْصُوفِهِ عُطِفَ عَلَى الرِّيحِ أَوْ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَا قَبْلَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُونَ إِلَى أَعْمَالٍ أُخَرَ كَبِنَاءِ الْقُصُورِ وَاتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ الْبَدِيعَةِ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُمْ فَسَادٌ وَزَيْغٌ عَنْ أَمْرِهِ وَخُرُوجٌ عَنْ طَاعَتِهِ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ قِيلَ كَانَ رُومِيًّا مِنْ وَلَدِ عِيصِ بْنِ إِسْحَاقَ اسْتَنْبَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَكَثَّرَ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ثُمَّ هَدَمَ الْبَيْتَ عَلَى أَوْلَادِهِ وَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُ وَابْتُلِيَ بِمَرَضٍ فِي بَدَنِهِ حَتَّى كَانَتِ الدُّودُ لَحْمَهُ وَبَلَغَتْ عِظَامَهُ وَاشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً أَوْ سَبْعًا وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَ سَاعَاتٍ رُوِيَ أَنَّ امْرَأَتَهُ قَالَتْ لَهُ لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ فَقَالَ لَهَا كَمْ كَانَتْ مُدَّةُ الرَّخَاءِ فَقَالَتْ ثَمَانِينَ سَنَةً فَقَالَ أَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَهُ وَمَا بَلَغَتْ مُدَّةُ بَلَائِي مُدَّةَ الرَّخَاءِ فَإِنْ قُلْتَ فَكَيْفَ سَأَلَهُ قُلْتُ رُوِيَ أَنَّ الدُّودَ أَكَلَتْ لَحْمَهُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى قَلْبِهِ فَخَافَ أَنْ تَبْلُغَهُ فَلَا يَقْدِرَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالضُّرُّ بِالضَّمِّ مَا يَلْحَقُ الْجِسْمَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَالضَّرُّ يَشْمَلُ كُلَّ ضَرَرٍ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ الطَّفُ فِي السُّؤَالِ حَيْثُ ذَكَرَ مَسَّ الضُّرِّ نَفْسَهُ وَرَبَّهُ بِغَايَةِ الرَّحْمَةِ وَلَمْ يُصَرِّحْ بِالْمَطْلُوبِ رُوِيَ أَنَّ عَجُوزًا تَعَرَّضَتْ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَشَتْ جُرْذَانٌ هِيَ عَلَيَّ لَعَصَبِي فَقَالَ الطُّفْ لَا جَعَلَهَا ثَيِّبًا وَبِكْرًا الْفُهُودُ وَمَا لَا يَنْتَهِنَهَا حِبًّا فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ أَحْيَى اللَّهُ أَوْلَادَهُ وَزَوْجَهُ وَضَعَّفَهُمْ كَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقِيلَ وَلَدَ لَهُ ضِعْفَهُمْ رَحْمَةً

مِنْ عِنْدِنَا عَلَى أَيُّوبَ وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ وَمَوْعِظَةً لِلْعَابِدِينَ بَعْدَهُ لِيَصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ فَنَالُوا بِهِ الْأَجْرَ وَحُسْنَ الْعَاقِبَةِ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ هُوَ إِلْيَاسُ أَوْ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَوْنِهِ حَاظِيًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَقِيلَ لِكَوْنِ عَمَلِهِ كَانَ ضِعْفَ عَمَلِ الْأَنْبِيَاءِ فِي زَمَانِهِ وَقِيلَ هُوَ زَكَرِيَّا، لِأَنَّهُ كَفَلَ مَرْيَمَ أَوِ الْكِفْلُ يَحْيَى لِأَنَّهُ رَزَقَ فِي غَيْرٍ أَوَانِهِ وَقِيلَ خَمْسَةٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ اسْمَانِ إِسْرَائِيلِيٌّ وَيَعْقُوبُ وَإِلْيَاسُ وَذُو الْكِفْلِ وَعِيسَى وَالْمَسِيحُ وَيُونُسُ وَذُو النُّونِ وَمُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى التَّكَالِيفِ وَمَشَاقِّ النَّوَائِبِ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا فِي النُّبُوَّةِ إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ لَهَا أَوْ كَامِلِينَ فِي الصَّلَاحِ لِعِصْمَتِهِمْ أَوْ لِلثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ لِقِيَامِهِمْ بِمَا أُوِّرَتْهُمْ ذَلِكَ وَذَا النُّونِ هُوَ يُونُسُ بْنُ مَتَّى إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا قَوْمَهُ لَمَّا سَئِمَ مِنْ طُولِ دَعْوَتِهِمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ وَقِيلَ وَعَدَهُمْ بِالْعَذَابِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَبَوْا فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَتَابُوا إِلَى اللَّهِ وَآمَنُوا فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ فَجَاءَ بَعْدَ ثُلُثِ فَنَظَرَ فَرَاءَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ وَلَمْ يَعْلَمْ بِتَوْبَتِهِمْ فَاسْتَمَرَّ وَاهِبًا حَيَاءً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَدَرِ وَهُوَ الضِّيقُ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ أَوْ مِنَ الْقَدْرِ وَهُوَ الْقَضَاءُ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ أَوْ مِثْلَ حَالِهِ بِحَالِ مَنْ نَظَنُّ أَنْ لَا يُقْدَرَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ اسْتِقْلَالِهِ وَعَدَمِ انْتِظَارِهِ لِأَمْرِنَا وَالْقَوْلُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَطَرَهُ شَيْطَانِيَّةً سَبَقَتْ إِلَى وَهْمِهِ خَطَأً لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ وَقِيَاسُهُ عَلَى قَوْلِهِ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا بَاطِلٌ وَإِطْلَاقُ الظَّنِّ عَلَى الْخَطْرَةِ وَإِنْ صَحَّ الْآنَ الْمَحْلُ بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ وَلَوْ سُلِّمَ كَيْفَ يُعَاقَبُ عَلَى الْخَطْرَةِ الَّتِي لَا اخْتِيَارَ فِيهَا فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ فِي الظُّلْمَةِ الشَّدِيدَةِ كَقَوْلِهِ شِعْرًا لَيْلٍ يَقُولُ الْيَاسَ فِي ظِلِّ لَيْلَةٍ سَوْدَاءَ صَحِيحَةِ الْعُيُونِ وَعُورِهَا أَوْ ظُلْمَةِ بَطْنِ الْحُوتِ وَالْبَحْرِ وَاللَّيْلِ وَقِيلَ اتَّبَلَعَ ذَلِكَ الْحُوتُ حُوتًا آخَرَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ أَنْ يُعْجِزَكَ شَيْءٌ نَجَّى إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ دَاخِلًا فِي عِدَادِهِمْ بِالْمُهَاجَرَةِ مِنْ غَيْرِكَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ عَقِيبَ الِاعْتِرَافِ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ الَّذِي كَانَ فِيهِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْغُمُومِ إِذَا أَعْتَرَفُوا وَأَخْلَصُوا وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ الْفَرَجَ قِيلَ لَبِثَ فِي بَطْنِهِ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ وَقِيلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ نُجِّيَ بِنُونٍ مَضْمُومَةٍ وَجِيمٍ مُشَدَّدَةٍ عَلَى أَنَّ أَصْلَهُ نُنَجِّي مُضَارِعُ أَنْجَى أُدْغِمَتِ النُّونُ فِي الْجِيمِ لِتَجَانُسِهِمَا فِي الِانْفِتَاحِ وَالِاسْتِعْلَاءِ وَالْجَهْرِ كَمَا فِي حَاصَرَ وَأَجَانَهُ وَعَنْ أَبِي عُبَيْدٍ هُوَ مُضَارِعُ نَجَّى حُذِفَتْ إِحْدَى النُّونَيْنِ الثَّانِيَةُ لِاجْتِمَاعِ الْمِثْلَيْنِ مَعَ ثَانِي الْإِدْغَامِ وَعَلَيْهِ الرَّسْمُ وَقَدْ صَحَّ التَّنْجِيَةُ تَوَاتُرًا وَانْتَصَبَ الْوَجْهُ فَالْقَادِحُ مُبَاهِتٌ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَحِيدًا بِلَا وَلَدٍ يَرِثُنِي وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

فلا يالي ان لم يرزق ولدا واستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه
بعد ان كانت عاقرا او اصلحنا خلقها لانها كانت سيئة الخلق وتقديم يحيى
وان كان متاخرا عن اصلاحها لانه المقصود انهم الانبياء المذكورين
كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون اليها ويدعوننا رغبا ورهبا
راغبين راهبين قدم الرغبة ترجيحا لجانب الرجاء وكانوا لنا خاشعين
ذا تم الوجل الخشوع فعل القلب والخضوع فعل الجوارح وعن الاعمش
سالت عنه ابرهيم فقال هو بين المرء وبين الله اذا رخى ستره واغلق بابه
والمعنى ان ما نالوه من رفعة المحل والكرامة انما نالوه بهذه الخصال ويجوز
ان يكون هذه الاوصاف لزكريا ويحيى ووالدته لتقدم سائر الانبياء مع
اوصافها والتي احصنت فرجها ذكرها بين هؤلاء الكمل واشار لفظ
الاحصان الدال على كمال التحفظ ينادي على عظم شانها وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما سئل فاطمة رضي الله عنها عن طعامها اصبح عندها
من اين لك هذا قالت هو من عند الله الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء
العالمين فحملت فيها من روحنا فنخنا في عيسى في بطنها من الروح الذي
من امرنا او من جهة روح القدس وهو جبريل اضافة اليه تعالى تشريفا له
وجعلنا وابنها اية للعالمين جنس الاية لان فيهما ايات كثيرة او اية قائمة
بهما وآلبوا في تخصيص هذا او بتلك ان هذه امتكم فعله بمعنى المفعول لانها
تطلب قال وهل يستوي ذو امة وكفور اشارة الى ملة الاسلام وان لم
يتقدم ذكرها لكونها مصورة في الاذهان ولكمال تميزها لم يوصف اسم
الاشارة امة واحدة غير مختلفة بين الانبياء يريد العقائد دون الفروع
التي تتطرق اليها النسخ والتبديل وانا ربكم فاعبدون كان الظاهر انا
الهكم لانه رتب عليه العبادة الا انه اثر لفظ الرب اشارة الى ان دعاءهم
الى العبادة تربية لهم ودعاء بلسان اللطف والبسط وتقطعوا امرهم
بينهم وتفسموا امر دينهم كما ينقسم الشركاء كل ياخذ نصيبا غير نصيب الاخر
صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة ابعادا لهم كانه نعى عليهم سبيعهم الى
مخاطب اخر وقال انظر الى هؤلاء اي دين افسدوه واي ضلال ارتكبوه
بعد ذلك الارشاد وهذا ابلغ من قوله فيقطعوا بالفاء في سورة المؤمنين
لمجيء الواو للمقارنة ولذلك امرهنا بالعبادة وهناك بالتقوى اشارة الى
بعد هؤلاء عن تلك التربية كل الينا راجعون فيجازيهم على حسب اعمالهم
فمن يعمل من الصالحات بعضها بعد ذلك التفرق وهو مؤمن اذ بدونه
لا يعتد بعمل فلا كفران لسعيه مثل في حرمان الثواب فان قلت لم ذكر

من يعمل هنا بالفاء وقد ذكره في التوبة السابقة بالواو قلت لانه ذكر ان
بعد ذلك التفرق فمن عمل صالحا لا يضع اجره وهناك ابتدا كلام ترغيبا
بعد احوال القيمة وانا له كاتبون بكتبه حفظتنا وحرام على قرية
اهلكناها عزمنا على اهلاكها وقرا حمزة والكسائي وابو بكر حرم بكسر
الحاء وسكون الراء وهما لغتان انهم لا يرجعون الى التوبة لان مراده
واقع لا محالة او اهلكناها بالفعل والمراد رجوعهم الى الدنيا كذا عن ابن
عباس وقيل للجزاء ولا اصله على الوجوه والوجه هو الاول لقوله حتى
اذا فتحت ياجوج ومياجوج فانهم في ذلك اليوم يرجعون الى التوبة وحتى
هي التي تحكى بعدها الجملة لا يكون الا ابتدائية وقرا ابن عامر فتحت مشددا
وعاصم الاسمين بالهمزة اما لانها الاصل ان كانا عربيين او جارية مجراها
ان كانا عجميين وهم من كل حدب مرتفع من الارض ينسلون يسرعون
من النسلان يقال نسل ونسل اذا اسرع قيد الحدب لان الاسراع فيه اظهر
قيل هم تسعة اعشار بني ادم واقترب الوعد الحق قيام الساعة فاذا هي شاخصة
بعد عيسى عليه السلام فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا شخوص
البصر ارتفاع اجفانه من شدة الخوف والضمير للقصة يفسره الابصار والجملة جزاء الشرطية واذا الفجائية وان قامت مقام
الفاء الا انهما اذا تظاهرتا على ربط الجزاء يكون الاتصال اكد وتوهم
اجتماع البدل والمبدل ساقط لان اذا يراد بها معناها فلم يتمحض بدلا
يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا مقدر بالقول بل كنا ظالمين اضرابا الى ما
هو اقبح وهو الاخلال بالنظر انكم وما تعبدون من دون الله هي الاصنام
وابليس واعوانه لما روي ان رسول الله لما تلاه على كفار قريش قال له ابن
الزبعرى حجتك ورب الكعبة عبد عزير والمسيح وعبد هو ملبح الملائكة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما عبدوا الشياطين التي امرتهم
بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل لما قال له ابن
الزبعرى ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك
ما لما هي لغير ذوي العقول حصب جهنم عن ابي عبيدة كل ما القي في النار
حصب من حصبت الشيء اذا رميته بالحصباء انتم لها واردون لا لغيرها
بخلاف المؤمن فانه وان وردها فهو بالعرض لو كان هؤلاء الهة كما زعموا
ما وردوها اذ لا يفعل ورود الاله على النار وكل من العابد والمعبود
فيها خالدون كانوا يرجون منها الشفاعة فاذا وجدوا الامر بالعكس لم يكن
عليهم عذاب اشد من مقارنتهم لهم فيها زفير اغتراف نفس من تراكم الغلا

كالمخنوق او هو صوتهم وعويلهم شبه بصوت الحمير فان الزفير اوله وهم
فيها لا يسمعون لانهم يجعلون فى تراهب لئلا يرى بعضهم بعضا ولا يسمع
صوته وهذا بعد البعث لقوله ونادوا يا مالك وقولهم ربنا اخرجنا منها
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى السعادة او البشرى ثانيا الاحسن
لم يعطف القصة لئلا يشعر بالتبعية اولئك عنها مبعدون عن النار لا يسمعون
حسيسها حال او استيناف فى بيان البعد والحسيس الصوت الخفى وفيه دلالة
غاية البعد فان صوتها يسمع من مسيرة سبعين عاما وهم فيما اشتهت انفسهم
خالدون مستغرقون فى النعم مع الخلود الذى هو راس النعم لا يحزنهم
الفزع الاكبر هو عند النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من
فى السموات ومن فى الارض وعن الحسن عند الانصراف الى النار وعن
الضحاك عند اطباق النار وقيل ذبح الموت وتتلقيهم الملائكة بالتبشير
والاكرام هذا يومكم الذى كنتم توعدون على لسان الرسل يوم نطوى
السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقيهم او حال مقدرة من العائد
المحذوف من توعدون والطى ضد النشر كطى السجل للكتب هو الكاتب
الكبير وفى الحديث توضع السجلات فى كفه ولا اله الا الله فى كفه والمراد به
الطومار والمناسب للكتابة النشر الا ان الطى جعل كناية عن تسويته له
حتى اذا احتيج اليه لا يحتاج الى تسويته وقيل السجل اسم ملك يطوى سجل
الاعمال والقول بان السجل اسم كاتب لرسول الله صلى الله وسلم باطل وقرا
حمزة والكسائى وحفص بضم الكاف والتاء والافراد اخف ويحصل به
الغرض كما بدانا اول خلق نعيده جملة منقطعة عن الاول اى نعيد اول
كل مخلوق ونوجده بعد العدم كما اوجدناه سابقا كذلك والمعنى ان يحقق
الاعادة مثل تحقق البداءة فالمعاد هو الاول وما كافة او مصدرية والكاف
فى محل النصب بدانا نشبيها للاعادة بالبداءة وان جعلت موصولة اى
نعيده مثل الذى بدانا ناه فالمعاد هو المثل والمطلوب هو العين وعدا علينا
نصب بنعيده لانه عدة بالاعادة انا كنا فاعلين لا محالة او قادرين
ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر فى الكتاب الذى انزل على داود بعد ان
كتبنا فى التوراة او فى اللوح المحفوظ او فى القران فان تاخر نزوله لا
يقتضى تاخر الكتبة يشير الى ان الزبور مع كونه غير مشتمل على الاحكام
بل هو تحميد وتمجيد لم يخل عن هذا الحكم وقرا حمزة الزبور بضم الزاء وهما
لغتان او جمع زبر ان الارض يرثها عبادى الصالحون امة محمد لقوله وعد
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض او عامة المومنين

فى هذا البلاغ لموعظة وذكرى اسم بمعنى التبليغ او بمعنى الكفاية قال
شعر يرح من دنياك بالبلاغ لقوم عابدين هم العبادة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين سبب لاسعادهم ومن خالفك لا يلوم الا نفسه كمن منع
نفسه عن شرب الماء حتى مات لا يقدح ذلك فى كون الماء الحيوة وقيل كونه
رحمة للكفار لانهم نجوا به عن عذاب الاستيصال روى انه صلى الله عليه وسلم
قال لجبرائل قد سمانى الله رحمة للعالمين فهل اصابك منها شئ قال واللهُ
انى اوفر نصيبا لم ازل كنت وجلا حتى انى على فى سورة التكوير وقد ختم
سورة الانبياء بخاتمهم ليكون الختام مسكا قل انما يوحى الى انما الهكم
اله واحد اى ما يوحى الى الا ان لا اله لكم الا الله الموصوف بالوحدانية
لمعنى ان المقصود الاصلى والمقصود الاقصى هو ذلك فى انما قصر الصفة على
الموصوف وفى انما بالعكس والثانى ليس كليا بل من المقام لقوله وظن داود
انما فتناه فهل انتم مسلمون بعد هذا الوحى المصدق بالحجة وفيه ان
التوحيد يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل اذنتكم على سواء
اعلمتكم من اذن بمعنى علم وقد شاع استعماله فى معنى الانذار والمعنى بعد
توليكم فقد اعلمكم اعلاما شافيا وافيا انتم مستوون فيه ان الغلبة
والعاقبة للمسلمين لا محالة وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون
وما ادرى متى يكون ذلك لان الله لم يطلعنى عليه وقيل اعلمتكم انى على
سواء اى عدل وتوحيد انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون
فهو مجازيكم على ذلك وان ادرى لعله فتنة لكم لعل التاخير ابتلاء لكم
وامتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين الى وقت قضته مشيته
قل رب احكم بالحق استدعاء المجازاة وعدك من الوعد الثابت الذى لا خلف فيه
وقد فعله يوم بدر رافعا يديه قائلا اللهم انجز لى وعدى حتى سقط رداءه وقرا
حفص قال اخبارا عن فعله وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون من
ان الغلبة لكم وان رايته الاسلام تحقق اتما فهم سكارى يهذون لغلبتكم
الاماني معرضين عن الذكر لاهية قلوبكم لتصل الخاتمة بالخاتمة والحمد لله حق حمده

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ
عظيم الزلزلة مضاعف من الزليل وهو انتقال الشئ من مكان الى آخر
والمراد بها شدة تحريك الارض وانتقال الاشياء عن مقارها ومراكزها
واضافتها الى الساعة على طريقة المجاز الحكمى او للاتساع فى الفعل او فيه

وآخرانه مجرى المفعول به كقوله بل مكر الليل والنهار واختلف فى وقتها فعن الحسن انها يوم القيمة عن علقمة والشعبى ان ذلك عند طلوع الشمس من مغربها والاضافة الى الساعة لانه من اشراطها علل الامر بالتقوى بها لما فيها من الهول حثا على التدرع بلباس التقوى الذى هو الملجأ والمنجا فى الشدائد ومن يتق الله يجعل له مخرجا يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت يوم تضبب بتذهل والذهول الذهاب عن الشئ بدهشة اثر مرضعة على مرضع لارادة الحدوث لانها انما تذهل حال الارضاع ملقمه ثديها للرضيع كان الامر فى غاية الشدة وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها فى غير اوان الولاد وترى الناس سكارى ظاهرا وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فلذلك ذهب عقلهم وطار لبهم وقرأ حمزة والكسائى سكرى على وزن فعلى وهو مطرد فى عاهات البدن كمرضى وحمقى وعن الفراء جمع سكر كمن وزمنى والمختار قراءة العوام لان فعالى قياس جمع فعلان ككسالى ولاجماعهم فى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم نزلت فى النضر بن الحارث كان جدلا يسافر الى العجم ويتعلم من اخبارهم ويتبع فى مجادلته كل شيطان مريد متجرد عن الخير اصل المردودة الملاسة يقال غصن امرد لا ورق عليه كتب عليه انه من تولاه فانه يضله مثل وتصوير كان من يتولاه مكتوب عليه اضلاله ويهديه الى عذاب السعير يوصله اليه اتباعا لهواه فانه لا يدعوه الا الى ما يؤدى به الى النار يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فى امكانه فانا خلقناكم من تراب هو خلق آدم لقوله خلقه من تراب ثم من نطفة من منى من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة دم جامد ثم من مضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ فعله بمعنى المفعول مخلقة وغير مخلقة خالية عن العيب والنقص وغير خالية يقال خلق السواك اذا سواه وجعله ملسا وعلى ذلك الاصل التفاوت بين افراد الناس طولا وقصرا تماما ونقصانا والمعنى ان ارتبتم فى شان البعث فانظروا فى هذه المقدمات لتورنكم العلم الجلى بحيث لا تبقى لكم شائبة ريبة عن انس بن مالك ان الله وكل بالرحم ملكا يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فاذا اراد ان يقضى خلقه قال اذكر ام انثى شقى ام سعيد فما الرزق والاجل فيكتب فى بطن امه لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا اذ فى كل انقلاب اية شاهدة بذلك وايراد الفعل غير معدى الى مفعول اشارة الى ان فعله هذا يتبين به من كمال علمه وقدرته ما لا يمكن الاحاطة به ونقر فى الارحام ما نشاء

ان نقره عطف على انا خلقناكم والعدول الى المضارع لتصوير الحال والدلالة على زيادة الاختصاص الى اجل مسمى الى وقت ولاده اقله ستة اشهر والاغلب تسعة اشهر ونهايته سنتان عند ابى حنيفة واربع عند الشافعى ثم نخرجكم طفلا حال من المفعول مستوفية الذكر والانثى والجمع قال او الطفل الذين لم يظهروا وثم للترقى رتبة كانه قيل ثم نخرجكم بعد تلك الاطوار الحسيسة انشاء بديعا انسانا فى احسن تقويم ثم لتبلغوا اشدكم متعلقه محذوف اى ذلك الاقرار والاخراج لتبلغوا الاشد فانه اوان الاستكمال علما وعملا فهو حقيق بان يكون المقصود من الاقرار والانشاء الذين هما له كالمقدمة للنتيجة ولذلك اسندهما الى ذاته المقدسة دونه والاشد تقدم معناه فى يوسف ومنكم من يتوفى من لا يصل الى بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى ان يكره ويحتقر استوفى الاقسام بعد الاخراج كما استوفى فى الاقسام قبله وقدمها اما نظرا الى الوجود اولانها ادل على البعث فان قلت لم طوى ذكر الشيخوخة هنا وقد ذكرها فى سورة المؤمن حين عد اطوار الانشاء بعد الاخراج قلت الرد الى ارذل العمر لا يمكن بدون التجاوز عنها ولم يكن مقصودا كليا فلما ذكرها هناك لم يعد ذكرها كما ان الاخراج طفلا لما لم يمكن الا بعد المضغة قد ذكرها هنا طوى ذكرها هناك كما هو شان الكلام البليغ فى اشارته وروعى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود الى ما كان عليه حال الطفولية ضعف البنية بتجيف العقل يشير الى انه قادر على الاشياء واضدادها على السواء فتارة يرقى الانسان فى مدارج الارتقاء الى اوج الكمال وتارة ينزله الى حضيض النقصان ودركات الوهاء ولما استوفى ادلة الانفس التى هى اقرب الى كل احد فى ادلة الآفاق ونرى الارض هامدة لا نبات لها من هما الثرى ايا ما احمرت فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وانبتت من كل زوج من كل صنف لاسناد الى المحل بهيج ذى حسن ورواء من بهج بالضم ذلك المذكور من خلق بنى آدم وما يتعدده على النمط المذكور بان الله هو الحق الثابت الوجود ولانه يحيى الموتى وانه قادر على احياء الموتى وانه على كل شئ قدير لاشتراك الامكان واستواء نسبة القدرة واتى الساعة اتية لا ريب فيها لان الصادق قد اخبر بوقوعها وقيل لان التغير دليل الانصرام وفيه ان الجنة والنار حادثان متغيران ولا انصرام لهما وان الله يبعث من فى القبور بمقتضى وعده وزيدة الكلام انما كان ذلك لانه تعالى حق قادر حكيم لا يحل بمقتضى الحكمة بل

بل يميز بين الطايع والعاصي والمحق والمبطل فاتيان الساعة وبعث من
في القبور من زواد فالحكمة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم هو
النضر بن حارث والتكرير للتاكيد كما عادة الاقاصيص مع ما زيد من قوله
ولا هدى ولا كتاب منير وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ابو جهل و
قيل الاول في المقلدين وهذا في المتقلدين يؤيده ذكر الاتباع هناك
والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى النظر والاستدلال الموصل
الى العلم والكتاب المنير الوحي ثاني عطفيه كناية عن التكبر والاعراض
عن الحق ليضل عن سبيل الله قرا ابن كثير وابو عمرو بالفتح وانما جعل
جدالهم خروجا من الهدى وان لم يكن قط في شيء منه لتمكنه منه والمختار
الضم لقوله وصدوا عن سبيل الله ولان المختار انها في المقلدين وهم
الرؤساء المضلون له في الدنيا خزي قبل واسر ونذيقه يوم القيمة
عذاب الحريق الاحتراق والنار العظيمة ذلك بما قدمت يداك من
الكفر والمعاصي يقال له ذلك او التفت اليه ليكون التوبيخ كفاحا وان الله
ليس بظلام للعبيد بان يعذب من لا جرم له بناء على ما جرت به سنته
ومن الناس من يعبد الله على حرف شبه حال من لم يطمان قلبه بالايمان
بحال من يكون على طرف العسكر في المحاربة فان رأى نصرة وطغرا قر و
والا بينه بقوله فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب
على وجهه عن ابن عباس رضي الله عنه كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت
امراته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امراته او لم
تنتج خيله قال هذا دين سوء خسر الدنيا والاخرة لانه ارتد لفقد الدنيا
ذلك هو الخسران المبين الجلي اذ لا خسران اظهر من خسران فاقد الدارين
يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه اعاد الموصول مبالغة
لدلالته على كل من الاستقلال والعطف من قبيل الصفات
ذلك هو الضلال البعيد البعد وصف الضلال بوصف به فعله مبالغة
يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه نفي الضر والنفع عن الاصنام اولا لانها
جمادات لا حراك بها اصلا كونها سببا للضر والمحقق في الدنيا والاخرة
وهي بمعزل عن النفع الذي كان يترقب منها ويدعوا ما بمعنى الذم والاعتناء
واللام متعلقة له او لمعنى القول والجملة بعده محكية والمعنى يقول الكافر اذا
راى حرمانه من نفعها وقرن معها والقي في النار لمن ضره اقرب من نفعه
او يدعوا تكرير كانه قال يدعوا من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ثم استانف
مخبرا لمن ضرها هو بين من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير فان قلت لا نفع

في الاصنام بوجه فما معنى الاقربية قلت هذا ونظائره من باب المجادات بناء
على زعم الخصم ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد لا مانع لقضائه ولا يسئل
عما يفعل من كان يظن ان لن ينصره الله لما ذكر المجادل بالباطل بانه
لا مدلى نظرية ولا وحي سماوي وبين ماله في الاخرة اتبعه بذكر من يجادل
عن دين الله بادلة قاطعة وبراهين صادقة وهو الرسول المؤيد اختصر
الكلام واشار اليه بالضمير دلالة على انه العلم المرفوع الذي لا يشتبه
وان الكلام معه وله وفيه وان غيره وان ذكر فالتبع والغرض في الدنيا
والاخرة فليمدد بسبب الى السماء الى سقف بيته ثم ليقطع ليختنق
من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع مجاري نفسه وفي الحديث اصاب
ابن عمر قطاع اي ضيق نفس او فليمدد بحبل الى السماء المظلة فليقطع
الوحي النازل عليه وزيدته ان من يغبطه بنصرة واعلاء شانه فليستفرغ
وسعه وليستفرغ جهده فلينظر فليتامل هل يذهبن كيده ما يغيظ وقيل الاية نزلت في طائفة من المسلمين استبطؤا نصر رسول الله
واظهروا القلق فالاية حث لهم على الصبر على اكد وجه وقيل لينصرن الرزق
من نصر الغيث الارض قال اذا دخل الشهر الحرام فجاورني بلاد تميم والبصري
ارض عامر وعلى هذا الغرض حث المؤمنين على الرضا بما قسم الله لا كمن يعبد الله
على حرف وكذلك انزلناه اي مثل ذلك الانزال في اثبات البعث قاطعا
دابر الشبهة انزلنا سائر القران لاثبات الاحكام والمقاصد اياتٍ بيناتٍ
واضحات وان الله يهدي من يريد ولارادة هداية من يريد هدايته او
زيادة هدايا لان القران كله كذلك ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون
والنصارى والمجوس والذين اشركوا افراد الصابئين بالذكر دل على انهم
مخالفون للنصارى في عقايدهم ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بان لا
يجمعهم في مكان واحد ولا يجازيهم جزاء واحدا بل تعاونهم بحسب تقاوت
اعمالهم او يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ان الله على كل شيء شهيد
حاضر بعلمه لا يغيب عنه الم تر الم تعلم ان الله يسجد له من في السموات ومن في
الارض شبه تاتي من فيها وقابليته لاجراء ما اراد وافتقاره حكمه
فيه بادخل فعال المتكلف في الطاعة وادخلها على الانقياد لا خضوع
فوق السجود ويتعفرا شرفا الاعضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد وفي السجود تقبل شفاعته في حق
العصاة والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب خصها

بالذكر لانها اشرف الاجرام العلوية والسفلية بعد اولى العلم فاذا
انقادت فما سواها اولى وكثير من الناس من جوز استعمال المشترك
فى المعنيين نظمه فى تلك المذكورات المتناسقة وارادَ بالسجود هنا وضع
الجبهة ومن لم يذهب الى ذلك اما ان تجعله مبتداء خبره محذوف وهو
مثاب او ما فى معناه لدلالة مقابلة عليه او مرفوعا بمضمر دل عليه الحال
او يسجد المذكور دلالة مقاديه او مبتداء ومن الناس خبره اى وكثير
من الناس الذين هم ناس حقيقة وهم المتقون اى كائن منهم او كر كثير
منهم مبالغة فى تكثير من حق عليه العذاب كانه قيل وكثير من حق عليه
العذاب والمساق يابا هما لان الكلام ليأكيد بانه وانقياد الكائنات
له احوالا وافعالا وكثير حق عليه العذاب بابانه عن وضع الجبهة
لله تعالى طاعة والقول بانه يجوز عطفه على الساجدين بالمعنى العام على
معنى ان كثيرا من المسخرين لارادته حق عليه العذاب مع دركاكته يوجب
تفكيك النظم ومن يهن الله بالشقاء فما له من مكرم اشارة الى
طاعة والاباء من الفريقين ان الله يفعل ما يشاء لامية لصنعه وان
اشتمل على حكم هذان خصمان الخصم مصدر وصف به الفوج او الفريق
ولذلك قال اختصموا نظرا الى المعنى عن ابن عباس راجع الى الادياه
الستة روى البخارى عن ابى ذر رضى الله عنه انه كان يقسم انها نزلت
فى الذين بارزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة
وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وروى ايضا عن على بن ابى طالب
انا اول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيمة وقيل ان اهل الكتاب
قالوا للصحابة نحن احق بالله منكم نبينا قبل نبيكم وقالوا المؤمنون بل نحن
لانا امنا بجميعهم ونبيكم فنزلت فى ربهم فى شانه من صفاته واحواله
او فى قربهم منه فالذين كفروا مطلقا وان كان السبب خاصا فقطعت
لهم ثياب من نار اشارة الى وجه فصل الخصومة الذى اجمله فى قوله
ان الله يفصل بينهم وتقطع الثياب من النار بان يجعل لله النار بحيط
بهم طبقات كما كانوا يلبسون فى الدنيا ثياب الحيلاء وتكسر النار للتهويل
يصب من فوق رؤسهم الحميم الماء الحار لانه الصق واشد نفوذا فى
الاعماق يصهر به بذلك الحميم اى يذاب ما فى بطونهم من الاحشاء
والجلود وفى تقديم ما فى بطونهم على الجلود ايماء الى انها من فرط حرارتها
تؤثر فى الباطن قبل تاثيرها فى الظاهر لان ذلك ابرف واشد تاثيرا وهذا
ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم لان الصب على الرؤس

الحش من السقى والانابة ابلغ من التقطيع وما فى البطون اعم من الامعاء
ولهم مقامع من حديد سياط مخصصة بهم من بين سائر ما يعذبون به كلما ارادوا
ان يخرجوا منها من النار من غم لغم عظيم بعتريهم اعيدوا فيها فى النار
فى اماكنهم ودركاتهم بعد فصدهم لان الاعادة رتبت على الارادة لا الخروج
او معنى الخروج هو الظهور لانهم يرتفعون مع اللهب الى ضحضاح النار
فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وقيل لهم وذوقوا عذاب الحريق ايماء
لهم ما يكرهونه زيادة فى العذاب من كل جهة اعاذنا الله منه بفضل
ورحمته ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها
الانهار فسيم لقوله فاما الذين كفروا غيرا لاسلوب وصدر الجملة
باسمه المقدس تنويها بشان المؤمنين واشادة لمحلهم بان المباشر لذلك
هو بذاته تعالى من غير واسطة ملك يحلون فيها حال مقدرة من اساور
جمع اسورة جمع سوار من ذهب بيان ولؤلؤا عطف على ذهب اى اساور
مركبة منهما وهو الترضيع وقرا نافع وعاصم بالنصب عطفا على محل من اساور
اى يحلون اساور ويحلون لؤلؤا وابدل ابو بكر الهمز واوا والمختار الجر
لفظا لرجحان اللفظ على المحل ومعنى لان المرصع اجمل ولباسهم فيها حرير
غير الاسلوب لانه المتعارف وهدوا الى الطيب من القول هو الكلمة
الشهادة وعن السدى هو القران وهدوا الى صراط الحميد الى دين الله
والحميد من اسمائه تعالى او المحمود فى نفسه او المحمود عاقبته وقيل هدوا
الى الطيب من القول فى الجنة مثل قولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
وقولهم الحمد لله الذى هدانا لهذا والوجه الاول اوجه لفظا ومعنى ان
الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله دين الاسلام اثر فى المعطوف المضارع
للدلالة على الاستمرار والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اى معذبون
وجعله حالا خلاف المشهور فى المضارع المثبت بالواو والمسجد الحرام
الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد هنا يمنعون زواهو به و
ابو حنيفة فى احدى الروايتين استدلالا بالاية على عدم جواز بيع دور مكة
وذهب الشافعى الى الجواز لان المذكور المرصوف بالسواء المسجد والجواب
رواه البخارى عن اسامة قلت يا رسول الله انزل غدا بدارك فقال وهل
ترك لنا عقيل من دار ولما ثبت ان عمر اشترى دارا من صفوان بن امية باربعة
الاف وجعلها سجنا ولا دلالة للاية على عدم الجواز لان المذكور هو المسجد
وسواء مصدر بمعنى مستوى مفعول ثان لجعلنا ورفعه حفص على انه خبر المبتدا
والجملة فى محل النصب مفعولا ثانيا لجعلنا ومن يرد فيه بالحاد بظلم
وان جعل للناس

مفعولا ثانيا فالنصب على الحال والعاكف المقيم والبادى الآفاقى ومن يرد
فيه حذف مفعوله لارادة العموم اى اى مراد كان بالحاد ملتبسا به وهو
العدول من الحق من الحد وهو الميل وفى الحديث هو احتكار الطعام فيه
والظاهر انه سبب النزول لعموم المراد لما روى ان ابن عمر كان له فسطاطان
احدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله خرج الى الحل فقيل
له فى ذلك فقال كنا نتحدث ان قول الرجل بلى والله لا والله فى الحرم من الالحاد
قيل لم يعلق الوعيد فى نص على ارادة ما نهى عنه الا فيه يظلم حال ثانية
او بدل عن الاول باعادة الجار واصله له اى بسبب ظلم كالشرك والاقتراف
الاثم نذقه من عذاب اليم جواب من واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
اى واذكر لقومك ذلك الوقت وما امرنا به ابراهيم الذى يزعمون انهم على ملته
ليظهر لهم انهم ليسوا على شئ من دينه يقال بوأه اتخذ له مباءة والمباءة
المنزل من باء رجع لانه يرجع اليه وقيل اللام زائدة اى نزلناه وجعلنا مكان
البيت مباءة له عن على بن ابى طالب كان فى موضع البيت البيت المعمور وهو
ياقوتة حمراء فرفع فى الطوفان فلما امر الله ابراهيم ببناء البيت ضاق به
ذرعا ولم يدر موضع البناء فارسل الله اليه السكينة وهى ريح خجوج فطوت
موضع البيت كالحجفة فظهر له الاساس فبناه عليه ان لا تشرك بى شيا تفسير
للتبوئة لان الغرض منها العبادة اى قلنا لا تشرك بى شيا وطهر بيتى للطائفين
والقائمين والركع السجود هؤلاء العابدين واذن فى الناس بالحج ناد هم
عن ابن عباس رضى الله عنه لما فرغ من بناء البيت امره الله ان ينادى الناس بالحج
فصعد ابا قبيس وقال يا ايها الناس حجوا بيت الله فاسمع الله نداءه الارواح
فى الاصلاب والارحام فكل من سمع ذلك النداء واجاب يحج لا محالة وعن الحسن
ومقاتل بن حيان ان هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع
بان يدعو الناس الى الحج والحق ان الاية مكية والسياق انما هو لقصة ابراهيم
يأتوك رجالا جمع راجل وعلى كل ضامر اتخذ بكاء على كل بعير مهزول لبعد
السفر يأتين من كل فج طريق عميق بعيد ليشهدوا منافع لهم نكر
المنافع لانها اتاه منافع دينية ودنيوية مخصوصة بالحج لا توجد فى غيره وعن
ابى حنيفة رحمة الله عليه انه كان يفاضل بين العبادات فلم يجد فضله على شئ
لما رأى تلك الخصائص ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات فى عشر ذى الحجة
فانها ايام العبادة والطواف والاعتكاف وقيل ايام النحر لقوله على ما رزقهم
من بهيمة الانعام المراد ذكر اسم الله عند النحر والذبح وانما عدل عنه
الى المنزل دلالة المنزل دلالة الى ان المقصود من شرع النحر وسائر الاعمال

هو ذكره تعالى واشار بالرزق الى انه محض فضل منه تعالى وفيه حث على الانفاق
وتشويق بالتقرب بها الى الرازق مع اشتماله على الاجمال والتفصيل فكلوا منها
امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا يحرجون من اكلها او يذبح مواساة للفقراء
واطعموا البائس هو الذى اشتدت حاجته الفقير وصف كاشف له كان
الاعسار كسر فقاره والامر فيه للوجوب ثم ليقضوا تفثهم يزيلوا ما عليهم
من الدرن وما يمنعه من قص الشارب وقلم الاظفار فان الحاج اشعث اغبر
وليوفوا نذورهم ما نذروا من التقرب الى الله فانه كثير الوقوع فى طريق
الحجاز وتلك الاماكن الشريفة وليطوفوا هو طواف الزيارة لانه ركن
الحج بدونه او الوداع لانه واجب او مطلقة لانه افضل الاعمال بالبيت
العتيق القديم لكونه اول بيت وضع للناس او العتيق من تسلط الجبابرة
عليه ما قصده جبار الا قصمه الله والحجاج لم يقصدوا هانته ولذلك بناه
بعد الانهدام وهو اليوم على ما بناه او الشريف والعرب تسمى كل حسن عتيقا
كانه عتيق على الشين والعيوب ذلك الامر ذلك كانه قيل احتفظ به ومثله
للفصل بين المقاصد انتقالا من نوع الى اخر وكثيرا ما يقع للحسنا وارباب
السباقة ومن يعظم حرمات الله كل ما لا يحل انتهاكه جمع حرمة كظلمات
وظلمة وقيل ما يتعلق بالمناسك فهو خير له عند ربه اريد به زيادة
مطلقة من غير مفضل عليه واحلت لكم الانعام كلها رفع لقاعدة اهم
الاوثان من تحريم البحاير والسوايب الا ما يتلى لكن ما يتلى عليكم من
الميتة والدم والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع حرام
فاجتنبوا الرجس من الاوثان اى اذا اجتنبتم الانجاس التى بينت فاجتنبوا
الاوثان فانها نجس ايضا من بينة بالغ فى التنفير عن عبادتها واجتنبوا
قول الزور الكذب قربة بعبادة الاوثان لفرط قبيحة روى الامام احمد
ان رسول الله قال شهادة الزور عدلت بالاشراك ثم تلى الاية حنفاء
لله حاجزين عن الباطل مخلصين له غير مشركين به تصريح بما علم ومن يشرك
بالله شيا فكانما خر من السماء فتخطفه الطير شبه حال المشرك وصورة
حال من يسقط من السماء الى الارض فاختطفته الطير من كل جانب فتفرق
مزعا فى حواصلها او شبه الايمان فى علو شانه بأوج السماء وتاركه بالساقط
من ذلك الاوج الى الكفر الذى لا حضيض بعده وقرا نافع تخطفه بفتح التاء
والخاء وتشديد الطاء مضارع تخطف وهو ابلغ او تهوى به الريح فى مكان
سحيق من باب او كصيب او بحال من عصفت به الريح فهوت به فى بعض المطارح
البعيدة او شبه الشيطان الذى يطرحه فى مهمه البوار بالريح التى تهوى

بما عصفت به الجهنام بعيدة القرار ذلك الامر والشان ومن يعظم
شعائر الله علائم دينه من الفرائض والسنن والاداب جمع شعيرة واكثر
استعماله في مناسك الحج لانها امور محسوسة او المراد الهدايا فانها من
اعظم شعائر الحج او فوق مما بعده وتعظيمها بان يختارها غالبة الاثمان عظام
الاجرام وفي الحديث سمنوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقد اهدى
صلى الله عليه وسلم في حجته مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب
واهدى عمر جملا اعطي فيه ثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب اسناد
التقوى الى القلوب اسناد الى المحل لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها
الى البيت العتيق اي لكم في تلك الشعائر ومنافع دينه الى وقت معلوم
هو اخر ايام التشريق ثم محلها اي انتهاؤها بالطواف للوداع من حل الاجل
انتهى وحمل الاجل المسمى على الموت والبيت على البيت المعمور او الجنة بعده
لا يصح وان خصت الشعائر بالهدايا فالمعنى لكم الانتفاع بها درا ونسلا و
ركوبا الى وقت وجوب النحر من حل الدين وحب والبيت العتيق هو الحرم كله
لعدم الالتباس ولقوله صلى الله عليه وسلم كله منحر ولكل امة جعلنا
منسكا مكان نسك او نسكا على انه مصدر واصله الغسل قال شعر
ولو نسكت بالماء ستة اشهر ثم اطلق على العبادة لسيانها على النظافة ثم
غلبت على اعمال الحج وقرا حمزة والكسائي بكسر السين وهي لغة اسد والفتح
الفصحى لغة الحجاز ليذكروا اسم الله علة للجعل دال على ان المقصود من
شرع المناسك ذكره تعالى باوصاف الكمال على ما رزقهم من بهيمة الانعام
فيه دلالة على اختصاص الهدى بالنعم فالهكم اله واحد اي بعد علمكم
بوحدانيته فله اسلموا اخلصوا في العبادة وذبح النسائك لا كما كان يفعله
اهل الاوثان من الذبح باسماء الهتهم وبشر المخبتين المنقادين لاوامره
من الخبت وهو المكان المطمئن ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلني
لك مخبتا الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة
الجلال عليها والصابرين على ما اصابهم من النوائب والمقيمي الصلوة
في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون وجوه البر العطف باعتبار الصفات
والبدن جعلناها لكم البدن جمع بدنة وهي من الابل ما يتقرب به ذكرا كان
او انثى سميت بذلك لبدانتها فانهم كانوا يسمنون الضحايا والنصب على شريطة
التفسير والبقرة انما قامت مقامها الحاقا من حيث المعنى لانثا ولا بحسب
الاسم من شعائر الله من معالم دينه لكم فيها خير منافع دينا ودنيا
فاذكروا اسم الله عليها عند الذبح اي اسم كان من اسماء الحسنى والمندوب

ان تقول الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قوافا
على ارجلهن هو الافصل في ذبح البدنة بخلاف البقر والغنم فاذا وجبت
جنوبها سقطت على الارض بعد النحر فكلوا منها واطعموا القانع السائل
من قنع اذا سال والمعتر المتعرض للعطاء من غير سؤال من العرة وهي
القذارة كذلك سخرناها لكم اي مثل ما وصفنا من نحرها صواف سخرناها
لكم مع عظم اجرامها وكثرة قوتها ترى الجمل انا ندا او هاج لا يقدر عليه
الجم الغفير لعلكم تشكرون نعمته لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
لن يقع منه موقع الرضاء والقبول ولكن يناله التقوى منكم بان يقصدوا
بذلك التقرب اليه من حيث الامتثال لاوامره كذلك سخرها لكم اعادة
تذكيرا بالنعمة وعلله بقوله لتكبروا الله اي لتذكروه بالتكبير والتهليل
خاصة فان ذكر اللسان اشيع وادل ولذلك جعل الحمد راس الشكر على
ما هديكم من المناسك او على هدايته اياكم الى مصالح الدين والدنيا و
بشر المحسنين المخلصين في الاعمال ختم به الكلام اشارة الى انه ملاك
الامر ان الله يدافع عن الذين امنوا متصل بقوله ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله وما وقع في البين من بناء البيت وذكر المناسك وتعظيم الشعائر
مستطرد لمزيد تهجين فعلهم لا زدياد قبح الصد بازدياد عظم ما صد عنه
وبه ظهر ان التسوية بين العاكف والباد انما هي في المسجد الحرام لان
الكلام في المناسك وقرا ابن كثير وابو عمرو بدفع مضارع دفع وعليه
الرسم وقراءة العوام ابلغ لان المفاعلة مبالغة في المبالغة ان الله لا
يحب كل خوان كثير الخيانة كفور شديد الكفران ستار للنعم علة للدفع
عن المؤمنين وايثار بناء المبالغة في الوصفين لان حق الامانة والشكر
عزيز اذن للذين يقاتلون اي في القتال حذف لدلالة يقاتلون عليه
وقرا نافع وابو عمرو وعاصم اذن بضم الهمزة مسندا الى المجرور
وقرا نافع وابن عامر وحفص يقاتلون على بناء المفعول وهو ابلغ لشموله
الاذن لمن لا يقدر على القتال بانهم ظلموا اي بسبب ظلمهم كان المشركون
يؤذون اصحاب رسول الله وكانوا بين مضروب ومشجوج فيا مرهم بالصبر
وتفرق اكثرهم الى الحبشة والى المدينة وان الله على نصرهم لقدير
وعدهم بالنصر على سنن كلام الملوك لما ذكر الاذن في القتال وعلله بان
المأذون له مظلوم ثم ذكر النصر على الوجه الاكد لم يبق للمظلوم فانه
منصور لا محالة الذين اخرجوا من ديارهم من مكة بغير حق يوجب
الاخراج الا ان يقولوا ربنا الله بدل اهلا القول الذي هو اجل المناقب

على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب لولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض بان يسلط المؤمنين على الكافرين فالتنوين
فى بعض للتعظيم وقرأ نافع وفاع بالالف وكلاهما مصدر دفع هدمت
صوامع وقرأ نافع بالتخفيف والتشديد ابلغ وبيع معابد النصارى
وصلوات كنايس لليهود اصله صلوتا اسم للمصلى بالعبرانية ومساجد
المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة المساجد نفصيلا لها ويجوز
ان يكون عاما فى الاربع وكذا يجوز ان يكون المراد تسليط اهل الملل على
الكافرين فى زمنتهم وان يكون للمسلمين على المشركين وابقاء متعبدات اهل
الكتاب بالذين لهم ذمة وليتصرن الله من ينصره ينصر دينه اى وقت
كان وكاينا من كان ان الله لقوى قادر عزيز غالب لا يعجزه شئ
الذين ان مكناهم فى الارض بدل من الذين اخرجوا اشعارا بان تمكينهم
فى الارض بعد الاخراج انما هو ليتمكنوا من القيام بما اخرجوا لاجله ولذلك
جعل جزاء الشرط اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف و
نهوا عن المنكر وكذا ان جعل بدلا عن قوله من ينصره فانه يتناول المخرجين
تناولا اوليا وايثار الشرطية لكونه جاريا على سنن كلام الملوك مع الاشارة
الى لزوم الوقوع بايقاعها صلة الموصول التى تستدعى التحقيق وفى الاية
دليل على حقية الخلافة للراشدين لان المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
والمكنون فى الارض هم الخلفاء منهم ولله عاقبة الامور اليه مرجعها
فيه تاكيد لما وعده من نصر اوليائه وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين لما ضمن النصر
لمن اخرج من امته ظلما عقبه بذكر الامم المكذبة للرسل تسلية له واشارة
الى انه اولى بالصبر منهم لانه افضلهم وافضلهم وكذب موسى غير
الاسلوب لكون اياته اظهر واشهر وقيل لان قومه لم يكذبوه بل غيرهم
وهم القبط قوم فرعون وفيه انه قد كذبه من كذبه من قومه قارون
ومن تابعه الا ان يقال تكذيبا ليس بكلا تكذيب كما ان تصديق اليسير من
هؤلاء الاقوام كلا تصديق فاملیت للكافرين امهلتهم ثم اخذتهم
استاصلتهم فكيف كان نكير ينكرى من التكرير بالضم وهو الرد اى
انكارى من انكره اذا غيره فكاين من قرية اهلكناها اى اهلها وقرا
ابن كثير كاء على وزن فاع وابو عمرو اهلكت بالتاء والنون ابلغ فى مقام
التسخط والمعنى بعدا وذلك الاقوام اهلكنا كثيرا من القرى او بدل
من كيف كان نكير لانه للتهويل فاستؤنف فيه على وجه ابسط على نحو ما تقدم

بما تعملون بانعام وبنين وهى ظالمة نصب على الحال فهى خاوية على عروشها
ساقطة عليها بان وقعت السقوف اولا ثم الجدران فوقها من خوى النجم
سقط او خالية من خوى البطن خلا قال شعر لقد كنت اختار الجوى طاوى
الحشا فالخاوى متعلق بخاوية اى خالية مع بقاء العروش او خبر بعد خبر اى
هى خالية وهى على عروشها اى كائنة على ما كانت عليه دلالة على جدة العهد
بالهلاك يؤيده ما بعده من وصفا لبئر بالتعطيل دون الخراب والجملة عطف
على اهلكناها ولا يجوز ان يكون حالا لان الخلود والسقوط لم يكن وقت
الاهلاك ولا محل لها ان نصبت كما مر على شريطة التفسير وان رفعته بالابتداء
وكذلك ان عطفته على الاسمية وان عطفت على الفعلية الواقعة خبرا فهى فى
محل الرفع وبئر معطلة اى وكم من بئر عامرة فى البوادى عطلت باهلاك
اهلها وقصر مشيد عال باق على علوه من شاد البناء رفعه او يختص من
الشيد بالكسر وقيل المراد ببئر بئر نسج حبل يخضر موت وبقصر مشيد قصر
هناك كانا لقوم حنظلة بن صفوان وكانا نبيا ارسل الى قوم صالح بعد ان
كفروا وعبدوا الاصنام فقتلوه فاهلكهم الله افلم يسيروا فى الارض
حيث لهم على السفر للاعتبار برؤية مصارع المهلكين فتكون لهم قلوب
يعقلون بها اى قلوب بهذه الصفة تستبصر وتعتبر بعد المشاهدة لان
عين اليقين لا يبقى معه ريبة او اذان يسمعون بها الاخبار المتواترة الموجبة
لزوال الريب او المعنى انهم اذا شاهدوا ذلك بعين الاعتبار يعقلون ما يجب
تعقله من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحى فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور اى الشان والقصة لا اعتداد بعمى البصر
بل العمى الذى لا عمى غيره وهو عمى القلب او المعنى عيونهم سالمة وانما الفقد
قلوبهم فعليهم السير فى الارض والنظر بعين الاعتبار فانه دواء لذلك
المرض وذكر الصدر لان عمى القلب غير متعارف فاكد وقرر ويستعجلونك
بالعذاب الموعود ولن يخلف الله وعده لامتناع منه وتنزهه عنه
وان يوما عند ربك كالف سنة فلذلك يستقصره وهم يستطيلونه او يوم
من ايام عذابه كالف سنة مما تعدون او يوم واحد من ايام عذابه كالف
سنة من سنى العذاب لشدته وفظاعته فلما ذا يستعجلون وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائى يعدون بالغيب وكاين من قرية وكم اهل قرية عطفه بالواو
ودون ما تقدم لان هناك اما تعقيبا او بدل من فكيف كان نكير وهنا مع
ما عطف عليه كالاعتراض بعيدا لانكار الاستعمال املیت لها وهى ظالمة
مثل هؤلاء ثم اخذتها بعذاب الاستيصال واليّ المصير فاجازيهم

بعذاب يستحقر ذلك الاخذ دونه قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين
اقتصر على الانذار لان قوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة ورزق كريم وما بعده تفصيل لمن جمع فيه الانذار فامن ومن بقي
على الكفر غير تاجع فيه وقيل لانه قوله يا ايها الناس نداء للمشركين خاصة
وانما ذكر المؤمنين وثوابهم ليغيظهم الكفار والذين سعوا في اياتنا
بالرد والابطال معاجزين مسابقين اما من المعاملة بمعنى فعل او بمعنى
المغالبة وقرا ابن كثير وابو عمرو بلا الف مشددا على انه حال مقدرة وعليه
الرسم اولئك اصحاب الجحيم الذين لم يبادروها وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي عطف النبي على الرسول ظاهر في المغايرة قيل الرسول
من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه وفيه انه ذكر في الكتاب بلفظ الرسول
من الكتاب له كاسمعيل ويونس والامثل ما قيل ان الرسول من جاءه الملك
بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى قرا من الامنية
وهي القراءة ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني القى الشيطان في
امنيته في قراءته شيئا يلبس به على السامعين فينسخ الله ما يلقي الشيطان
يزيله ويبطله ثم يحكم الله اياته الدالة على صدق مدعي الرسالة والله عليم
كامل العلم يميز الحق من الباطل حكيم فيما يفعله ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض فيقدحون بذلك في رسالته او يزعمون انه
كلامه والقاسية قلوبهم التي لا تتاثر فيها الايات ولا تلين لذكر الله وان
الظالمين لفي شقاق بعيد عن الحق حيث ينسبون اليه كلام الشيطان و
يعتقدون ضد ورد ذلك منه وليعلم الذين اوتوا العلم انه من ربك اي
النسخ او القران فكيف يكون فيه مدح الاصنام بل ليس الا من الشيطان
وقد روى ابن اسحق في سبب نزوله ان رسول الله كان يقراء سورة النجم
حتى بلغ ذكر اللات والعزى خلط الشيطان بقراءته تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى فظن المشركون انه هو القاري وفرحوا بانه مدح
الهتهم فبين الله ان ذلك من القاء الشيطان وان ذلك ليس مخصوصا به
بل ما تلى نبي ولا رسول قبله الا وقد القى الشيطان في قراءته لحكمة فنفت
ذلك هذا هو الحق الذي يجب اعتقاده وما عداه مما ذكره المفسرون من
انه تلاه بنفسه سهوا ثم جاءه جبريل واخبره به الى غير ذلك من الخرافات
فكذب بحت لا يحل لمسلم ان يتلفظ به على انه لو صحت الرواية انه صلى الله
عليه وسلم هو التالي لكانت الاشارة والمدح للملائكة على ما يقتضيه السياق
لقوله وان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى

فيؤمنوا به بالنسخ او بالقران فتخبت له قلوبهم بالانقياد وان الله لهاد
الذين امنوا الى صراط مستقيم بتاويل ما شاء به وتلخيص الحق عما القى
الشيطان ولا يزال الذين كفروا في مرية منه من الحق او من القران
او من القاء الشيطان حتى ياتيهم الساعة بغتة فجاة او ياتيهم
عذاب يوم عظيم يوم بدر لقيل او لاد النساء فيه فتصرن عقما او الاسر
مجازا او يوم لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا على
انه استعارة تبعية شبه ما في اليوم من مانع الخير بالعقم او هو يوم القيمة
اذ لا يوم بعده وكانه قال حتى تاتيهم الساعة او عذابها وهذا اوجه
لقوله الملك يومئذ لله اي يوم قيام الساعة او يوم يزول عنهم الشك
يحكم بينهم بين الفريقين لتقدم ذكرهما ولقوله فالذين امنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم
عذاب مهين ايثار الفاء في الخبر هنا دون الاول اشارة الى ان دخول
الجنة بفضل منه تعالى بخلاف دخول النار فانه مسبب عن اعمالهم واما
الاتيان بهن او لا واللام ثانيا فتنبيه على علية رحمته لدلالته على الاستقرار
والتمكن والذين هاجروا في سبيل الله في طلب دين الاسلام ثم قتلوا
او ماتوا حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا في الجنة وان الله
لهو خير الرازقين لانه رازق حقيقة وغيره سبب ظاهرا ولدوام رزقه
ليدخلنهم مدخلا بضم الميم وفتحها وهو الجنة بدل من ليرزقنهم الله وقرا نافع
مدخلا بفتح الميم والباقون بالضم وهو المدخل روي انا ناسا من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اصحابنا الذين قتلوا في سبيل
الله وقد علمنا ما اكرمهم الله به ونحن ان متنا معك فما يكون حالنا
فانزل الله هاتين الايتين وان الله لعليم كامل العلم بالاحوال حليم
لا يعاجل بالعقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم
يزد على حقه وتسمية الفعل ابتداء بالعقاب للازدواج والمشاكلة او
لانه سببه ثم بغي عليه ثانيا لينصرنه الله ثانيا لا محالة ان الله
لعفو غفور كثير العفو والغفران للمنتصر فانه مندوب الى العفو بقوله
ولمن صبر وغفر فان ذلك لمن عزم الامور وبقوله ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين وبقوله فمن عفى فاصلح فاجره على الله والمعنى مع انه لم يمتثل
ما ادعي عليه من الاولى والاجدر لم يواخذ بذلك بل يتصور ان بغي عليه
ثانيا ولذلك قدم لينصرنه الله على قوله ان الله لعفو غفور مع ان الظاهر
تاخيره اذ كان مظنه ان يحمل لعدم مساعدته الى المندوب اليه وفي الكلام

اشارة الى ان العفو عن الجاني بمكان عند الله فانه من اخلاقه وان خلافه مظنة
العقاب ودلالة على المحق منصور من الله في كلتا الحالتين عفى او عاقب وان
المبطل مخذول دائما مسلوك في قرن من مكان في مرية حتى تاتيه الساعة
او عذاب يوم عقيم ذلك اتخذ لك النص بان الله يولج الليل في النهار و
يولج النهار في الليل اى بانه قادر من ايات قدرته على الاشياء ايجاده
الليل موضع النهار وايجاده النهار موضع الليل او زيادته في كل واحد
ونقصه من الاخر فلا يزال احدهما غالبا والاخر مغلوبا وان الله سميع
بصير وبسبب انه يسمع اقوال العباد ويبصر افعالهم فهو عالم بمن يستحق
النصر الخذلان ومن تمة الدليل لان القادر لا بد له من الوصفين بكمال
القدرة واحاطة العلم بان الله هو الحق بسبب انه الاله الحق الثابت
الالهية وان ما تدعون من دونه هو الباطل فان قلت كونه الاله الحق
مستلزم لذلك الكمال قدرة وعلما استدلالا ما ظاهر فمن اين يلزم ان يكون
ما يدعون من دونه هو الباطل قلت لان غيره ليس بتلك الصفة اتفاقا فلا
يصلح للالوهية قرا الكوفيون الا بالياء وابو عمرو بالياء الغيبة وهو
المختار ليشمله الغايب والحاضر وان الله هو العلى عن صفات النقص
الكبير من ان يكون له شريك ولما دل على كمال قدرته بايلاج الليل في
النهار وعكسه وبتمام احاطة علمه اتبعه بانواع من الدلائل الدالة على
ذلك مع كونها محسوسا ما قال مقررا الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فتصبح الارض مخضرة اثر الماء وان كان الظاهر ثم لبراخي لاخضرار
عن نزول المطر لانه يبتدئ عقيب نزول المطر وان كان تمامه في مدة
ولذلك اتى المضارع على الماضي ورفعه عطفا على انزل لكونه مسببا عنه
ان الله لطيف علم ما في الصنع او بار بعباده خبير ببواطن الامور
علة لانزال الماء مع ما يترتب عليه ويجوز ان يكون اللطيف راجعا الى
الانزال والخبير الى اخضرار الارض مخضرة له ما في السموات وما في
الارض خلقا وملكا وان الله هو الغني مطلقا الحميد في ذاته
موصوف بكل كمال حمدا ولم تحمد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
من الدواب تسخيرا للركوب والحمل وسائر الاشياء من المعادن والنباتات
والفلك عطف على ما او اسم ان بتقدير حال او استيناف
لبيان وجه التسخير وبمسك السماء بلا عمد بحوله وقدرته ان تقع على
الارض كراهة ان تقع الا باذنه بارادته عند قيام الساعة ان الله
بالناس لرؤف رحيم حيث ادلة وجوده وتوحيده في الافاق ولم يخل

شيء منها عن ضروب من النعم وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا
ونطفة وعلقة ومضغة ثم يميتكم عند حلول الاجل ثم يحييكم
يوم القيمة للجزاء ان الانسان لكفور كثيرا الكفران ولما كانت ايات
الانفس اقرب واظهر في كونها نعما واشمل واوفر حتم الاية بالكفران
لكل امة جعلنا منسكا شرعا ودينا هم ناسكوه متخذوه منسكا مستمرون
عليه فلا ينازعنك في الامر الذي انت عليه والشرع الذي شرع لك لان
شانه اظهر من ان يمكن منه النزاع ويجوز ان يكون نهيا له صلى الله عليه
وسلم عن تمكينهم من النزاع على وجه الكناية كقولك لا ارينك هنا وعن
الزجاج نهى له عن منازعتهم لانه من نازعك فقد نازعته والاول ابلغ
بل انت في كفار خزاعة قالوا للمومنين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون
ما قتله الله يريدون الميتة وانما لم تعطف كما عطفت نظيرتها وهي قوله
ولكل امة جعلنا منسكا لان تلك في بيان الشعاير وان التسانك لم تزل
تتقرب بها الى الله كسائر العبادات واما هذه فسوق الكلام فيها للتعداد
الايات الدالة على التوحيد وادع الى ربك الى توحيده انك لعلى هدى
مستقيم طريق موصل الى الحق لا ريب فيه وان جادلوك بعد ظهور الحق
عنادا فقل الله اعلم بما تعملون وعيد فيه رقق قوله واعرض
عن الجاهلين الله يحكم بينكم اعاد كلمة الجلال للدلالتها على الالوهية
المناسبة للحكم والقضاء يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من امر
الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض من لمحة محاربة الحكم
استشهد بعلمه على ذلك كانه قيل انت تعلم ان الامر كذلك لانك عالم
ان ذلك في كتاب هو اللوح كتب فيه مقاديرا لاشياء قبل وقوعها ان
ذلك على الله ان حفظ ذلك عليه يسير لان علمه المتعلق بجميع المعلومات
مقتضى ذاته فلا يعزب عنه مثقال ذرة ويعبدون من دون الله ما لم
ينزل به سلطانا برهانا يدل على جواز عبادتها وما ليس لهم به علم
على صورته او استدلالا لان تقليدا واتباع هوى وما للظالمين من نصير
انما نزل لهم العذاب او لو يدعهم والعرض اظهار الشيء لهم حتى
لم تتلوا الى ايات الافاق والانفس وامكنوا في عبادة ما لا يدل عليه
واذا تتلى عليهم ايانا من القران بينات واضحات الدلالة على العقايد
الحقة تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لظهور الحق عندهم
منكرا تهم اى الظاهر على المضمر لدلالة على ان ذلك لانكارهم عن كفرهم
يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم ايانا من شدة الغيظ لتطاولوا

الوتوبة والبطش والجملة حال او استيناف قل أفأنبئكم بشر من ذلك
الغيظ والسطوا النار جواب سؤال كانه قيل ما هو ويجوز ان يكون
مبتداء خبره وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير النار يا ايها
الناس ضرب مثل سمعى القصة الغريبة الملتفاة بالقبول عند ذوى العقول
مثلا بتشبيهها لها ببعض الامثال السائرة فى الغرابة والحسن فاستمعوا له
لتمثيل استماع تامل وتدبر ان الذين تدعون من دون الله اى الاصنام
لن يخلقوا ذبابا لن يقدروا على خلقه ولو اجتمعوا له ولو تعاونوا
وتعاضدوا على خلق احقر حيوان واذله وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه اى ولو اختطف هذا الحيوان الاذل واجتمعوا على
استخلاصه منه لم يقدروا هذا ادل على العجز وابتناء القدرة ضعف
الطالب والمطلوب وان كان الطالب ضعف لكونه جمادا والمطلوب
حيوانا قاحس وارادة ولما اجراها مجرى العقلاء طلبت لها الطالب مع
الحيثية نهكما عن ابن عباس رضى الله عنه كانوا المشركون يلطخون الاصنام
بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب
من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره ما عظموه حق تعظيمه حيث
جعلوا ادنى الاشياء شريكا فى العبادة من قدر الشئ يقدره اذا نظر
فيه وتدبر ومنه حديث عايشة رضى الله عنها فاقدروا قدر الجارية
الحديثة السن ان الله لقوى عزيز ذو قوة وغلبة لا يعالبه شئ
وما قدروه من دونه شيئا ادل من اذل الحيوانات ان الله يصطفى من الله
رسلا ومن الناس شرع فى الاثبات الرسالة بعد هدم قواعد الشرك و
احكام دعائم التوحيد دلالة على ان له عبادا مصطفين يمكن التوسل
بهم الى معرفته تعالى ان الله سميع عالم باقوال المكلفين بصير
باحوالهم يعلم ما بين ايديهم ما مضى منها وما خلفهم وما يترقبوا
لا يخفى عليه خافية واليه ترجع الامور كلها والذى هذا شانه
لا يمثل به لفعل لاحاطة علمه بكنه الاشياء فقولهم ما انزل عليه الذكر
من بيننا وقولهم لولا انزل هذا على رجل من القريتين عظيم ناش عن
وله ليل على انهم ما قدروا الله حق قدره وقرا حمزة والكسائى وابن
عامر ترجع على بناء الفاعل يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
على الشرايع بعد اقرارهم بالرسالة فانها كالتتابع لها وبدا بالصلوة
لانها عماد الدين وعبر عنها بالركوع والسجود لانهما اعظم اركانها
لاحتوائهما على غاية الخضوع والخشوع الذين عليهما مدار العبادة

وقيل اول ما اسلموا كانوا يركعون بلا سجود ويسجدون بلا ركوع فامروا
ان يكون صلوتهم بركوع وسجود واعبدوا ربكم اخلصوا له الطاعة
وافصدوا بها وجهه وقيل حجوا وسوموا وفيه ان الاية مكية وتلك
العبادات مدنية وافعلوا الخير كله من اغاثة الملهوف وصلة الارحام
والامر المعروف لعلكم تفلحون حال كونكم راجين الفلاح فان الاعمال
امارات والاية اية السجدة عند الشافعى رحمه الله لما روى عقبة بن
عامر قلت يا رسول الله فى سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما
فلا تقرأها وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه اقرأنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم خمس عشرة سجدة منها سجدتان فى سورة الحج وروى مالك
عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان سورة الحج فضلت بسجدتين وعن
ابى حنيفة رحمه الله عليه قرانها بالركوع دليل على انها سجدة الصلوة
لا سجدة التلاوة والحق انه لا تنافى بين كون السجدة صلوتية وشرع
السجود وعبدوا ربكم فانها كما دلت عليه الروايات وجاهدوا فى الله فى احيا
دينه حق جهاده اصله جهادا حقا اضيفت الصفة الى الموصوف مبالغة
كقولك زيد عالم حق عالم واضيف الجهاد الى ضميره تعالى لان الجهاد لوجهه
فيتناول المداومة كافة ويجوز ان يتسع فى الظرف كقوله ويوم نشهد ناه
سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم وجعلكم خير امة وما جعل عليكم
فى الدين من حرج حيث شرع لكم الرخص والكفارات واحل لكم الغنايم و
وضع عنكم الاصار والاغلال التى كانت على الامم فما لطف لكم غاية اللطف
فاهدوا فيه حق الجهاد ملة ابيكم ابراهيم نصب على الاغراء والاختصاص
ولما كان ابا لرسول الله وهو ابو لامته لكونه سببا لحيوتهم الابدية حقه
لنباهتهم ويجوز ان يكون تعليقا لان قريشا كانوا من ذريته هو سماكم
المسلمين اى الله سماكم بهذا الاسم الشريف من قبل فى سائر الكتب المنزلة
قبل القران وفى هذا اى فى القران وقيل الضمير لابراهيم ومعنى من قبل
قبل نزول القران وفى هذا وفى ارسال محمد حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا
الاية وقوله ليكون الرسول شهيدا عليكم وكونوا شهداء على الناس
فانه يدل على الاختيار والتسمية كانا هذا الفرع لانهما بمثابة التركيب
فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة شكرا لتلك النعمة التى لم يسلبكم مثلها
اثره واعتصموا بالله استمسكوا به فى كل ما تاتون وتذرون وعن ابن عباس
الكمال وتهابه التقوى فانتظما لخاتمه مع الفاتحة هو مولاكم متولى
امورهم فنعم المولى ونعم النصير لانه من توليه لا يضيع ومن نصره

لا يخذل ولا يرد من نصر لا ينصر الا انا اراد فلا ناصر سواه تمت السورة
ولله الحمد والثناء والصلوة على سيدنا نبينا وعلى اله وصحبه البررة الاتقيا

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد تبسط المتوقع كما ان المتابعة
وكان المؤمنون ينتظرون نوع بشارة منه تعالى فصدر السورة بما دل
على ثبوت متوقعهم على ابلغ وجه بان ادخل قد على المضارع البارز في صورة
الماضي الدال على التحقق فكانه قيل قد تحقق ان المؤمنين من اهل الفلاح
والفوز بالامانى ويجوز ان يكون جواب قسم محذوف فيزداد تاكيدا على
تاكيد الذين هم في صلاتهم خاشعون الخشوع فعل القلب وبشراه
اثره في الجوارح ولذلك لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصليا
يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ومن الخشوع في الصلوة
ان لا يحدث بنفسه بامر لا يتعلق بالصلوة وبتوقي كف الثوب والالتفات
وقلة الحصا والسدل والاختصار وتشبيك الاصابع ويلزمه النظر موضع
السجود والذين هم عن اللغو معرضون كل ما لا ينبغي من قول وفعل
لغو من لغا الرجل اذا باطل ومنه لغو اليمين والمعنى ابن عباس طلاق المكره
اي باطله ولما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض
عن اللغو جمعا لهم بين فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي الذين عليهما مدار الكمال
فهو من تتمة الصلوة فلذلك فصل به بينها وبين الزكوة والذين هم
للزكوة فاعلون اي التركية فانه اسم مشترك بين العين والمعنى القائم بالفاعل
وعبر عن المزكى بالفاعل تحاشيا عن التكرار مع ان كل فعل يعبر عن مصدره بلفظ
الفعل ضرورة صدق العام على الخاص ومن فسره بالذين يفعلون ما يفعلون
ليزكيهم الله اولين كوا انفسهم فالصلوة بناء على بطلان تخريجه وكذا
تطيره في سورة المعارج والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم اي حافظون فروجهم في الحالات كلها الا في حال
تزوجهم على الازواج لا بعدها من ثم قبل غير حافظين الا على الازواج
تاكيدا على تاكيد فانهم غير ملومين فيه اشارة الى انه مباح لا ثواب
فيه ولا حرج وهذا اذا لم يقصد به عدم الوقوع في الزنى لما روى البخاري
انهم قالوا يا رسول الله ايانى احدنا شهوته ويكون له اجر قال نعم ارايتم
لو وضعه في الحرام اكان له وزر ونكاح المتعة باطل اجماعا فلا وجه لعد
المنكوحة بها من الازواج فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك

هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
لا يخونون فيما يؤتمنون فيه من حقوق الله او حقوق العباد ويرعون العهود
والمواثيق لا يعذرون ولم يجمعه لانه اسم للحاصل بالمصدر بخلاف الامانة
فان المراد منه الشيء المؤتمن فيه وقرا ابن كثير بالافراد والجمع اولى لتناوله
الافراد صريحا والذين هم على صلواتهم يحافظون اي المفروضة او المشروعة
يؤدونها اوقاتها مرعيا فيه الاركان والابعاض والهيئات مواظبون على
ذلك على الاستمرار وقرا حمزة والكسائي بالافراد على ارادة الجنس وعليه
الرسم والجمع اظهر لظهور تناول الافراد مفروضة كانت اولا ولانكرار
لان الاول في بيان خشوعهم والثاني في مسارعتهم اليها وقدم بيان الخشوع
لانه الاصل في العبادات اولئك هم الوارثون الموصوفون بالصفات
المذكورة احقاء باسم الوراثة وبان لا يسمى غيرهم وراثا لحقارة ما ورثوه
وانما سمي جزاء اعمالهم ميراثا دلالة على كمال الاعتداد بها وان الثواب
في مقابلتها امر لازم كالميراث فانه ملك قهري لا يقبل الرد وقيل لانهم وثوا
منازل الكفار في الجنة لو كانوا مسلمين لما في الحديث ما من احد الا وكتب له
مقعد في الجنة ومقعد في النار الذين يرثون الفردوس ابتهم او لا ثمر فسر
اظهارا للفخامة والفردوس البستان الواسع الجامع لاصنافا لثمار روى
ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل حلاها
المسك الاذفر وحشيشها الزعفران وترابها المسك الهابط وروى مسلم والبخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سالوه الفردوس قاله اوسط الجنة
منه يتفجر الانهار فوقها عرش الرحمن فيها حاجة الدون ولا انتقال اللهم اجعلنا اهل
الفردوس ولما بين ان الفائزين لديه هم المتصفون بتلك الاوصاف المرضية
المخلون بها تلك الاخلاق الزكية اشار الى مبادئه وضراتبه واسحقاقه
ذلك من عباده بقوله ولقد خلقنا الانسان ادم من سلالة خلاصة فعالة
بمعنى المفعول وبناء فعالة تابى عن القلة كالعلامة والنحامة من طين من
بيانية والاولى ابتدائية ويجوز ان يكون ابتدائية ايضا على ما روى عن الحسن
انه خلق من ماء من ظهر الى الطين او تعبيضية لان المسلول خلاصة الطين
وانما نكر الطين لكونه طينا مجهولا لاخفاء من وجه جميع الارض وهي القبضة
التي قبضها ملك الموت ثم جعلناه نطفة اي نسلة نطفة فعلة بمعنى المفعول
في قرار مكين القرار المستقر من الارض استعير لمحل النطفة ووصفه بالمكانة
مبالغة في وصف الرحم باحصانه ثم خلقنا النطفة علقة قلنا النطفة
البيضاء دما جامدا خلق بعض اجزائه بعضا فالعلقة مضغة

قِطْعَةَ لَحْمٍ مِقْدَارَ مَا يَمْضَغُ ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا صُلْبَهُ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ
لَحْمًا سَاتِرًا لَهَا كَالْكِسْوَةِ وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ الْعِظْمَ مُفْرَدًا فِي الْمَوْضِعَيْنِ
عَلَى إِرَادَةِ الْجِنْسِ لِعَدَمِ اللَّبْسِ وَالْجَمْعُ أَظْهَرُ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ مُبَايِنًا
لِلْخَلْقِ الْأَوَّلِ بِأَنْ كَانَ جَمَادًا فَصَارَ حَيَوَانًا وَنَاطِقًا بَعْدَ أَنْ كَانَ أَبْكَمَ وَسَمْعًا
بَعْدَ أَنْ كَانَ أَصَمَّ وَبَصِيرًا بَعْدَ أَنْ كَانَ أَكْمَهَ وَأَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الْقُوَى الظَّاهِرَةِ
وَالْبَاطِنَةِ وَأَنْوَاعِ الْإِدْرَاكَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَى دَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا الْأَعْلَمُهُ
الشَّامِلُ وَاحْتَجَّ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْآيَةِ عَلَى مَنْ غَصَبَ بَيْضَةً فَأَفْرَخَتْ
عِنْدَهُ يَضْمَنُ الْبَيْضَةَ وَلَا يَرُدُّ الْفَرْخَ لِأَنَّهُ خَلْقٌ آخَرُ فَإِنْ قُلْتَ لِمَ ذَكَرَ الْعَطْفَ
بِثُمَّ أَوَّلًا وَآخِرًا دُونَ الْمُتَوَسِّطَاتِ مَعَ تَسَاوِي الْمُدَّةِ كَمَا نَطَقَ بِهِ الْحَدِيثُ فَيَكُونُ
أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ثُمَّ أَرْبَعِينَ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ قُلْتُ
ثُمَّ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلتَّرَاخِي رُتْبَةً فَإِنَّ انْقِلَابَ النُّطْفَةِ دَمًا جَامِدًا بَعْدَ حَالٍ مِنْ
انْقِلَابِ الْعَلَقَةِ مُضْغَةً وَانْقِلَابُهَا عِظَامًا وَإِنْبَاتُ الرُّوحِ فَظَاهِرٌ وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ لَفًّا فِي الْكَلَامِ فَإِنَّ ابْتِدَاءَ كُلِّ انْقِلَابٍ يَتَعَقَّبُ مَا تَقَدَّمَهُ وَإِنْ كَانَ
انْتِهَاؤُهُ مُتَرَاخِيًا فَاسْتِعْمَالُ الْحَرْفَيْنِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْحَالَتَيْنِ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ تَعَالَى شَأْنُهُ وَكَثُرَ خَيْرُهُ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ حَيْثُ أَوْجَدَ مِنْ طِينٍ مُتَدَرِّجًا
فِي الْأَطْوَارِ إِنْسَانًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ
أَبِي سَرْحٍ كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ فَلَمَّا أَمْلَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَكَانَ لَبِيبًا
وَسَمِعَ مَا بَهَرَ عَقْلَهُ فَلَمَّا انْتَهَى قَالَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبْ هَكَذَا نَزَلَ فَارْتَابَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ أُنْزِلَ إِلَيَّ
مِثْلُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ فَارْتَدَّ مُدَّةً ثُمَّ عَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ أَحْسَنَ عَوْدٍ ثُمَّ إِنَّكُمْ
بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ لِاسْتِحَالَةِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَالْمَائِتِ أَنَّ الْأَوَّلَ يَدُلُّ عَلَى
الثُّبُوتِ وَالثَّانِيَ عَلَى الْحُدُوثِ تَقُولُ زَيْدٌ مَائِتٌ الْآنَ أَوْ غَدًا وَلَا تَقُولُ مَيِّتٌ
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ لِلْجَزَاءِ وَالِاسْتِدْلَالُ لِلْكَلَامِ عَلَى عَدَمِ خُلُوِّهِ أُخْرَى
فِي الْقَبْرِ وَإِنَّمَا لَمْ يُتَعَرَّضْ لَهَا لِخَفَاءِ شَأْنِهَا فَلَا يَحْسُنُ ذِكْرُهَا فِي مَعْرِضِ الِاسْتِدْلَالِ
عَلَى كَمَالِ الِاقْتِدَارِ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ سُمِّيَتْ طَرَائِقَ
لِأَنَّهُ طَوْرٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَكُلُّ شَيْئَيْنِ جُعِلَتْ أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ فَقَدْ
طَارَقَ بَيْنَهُمَا أَوْ صِفَاتُ الطَّرَائِقِ وَهِيَ الطَّيِّبَةُ أَوْ لِأَنَّهَا طُرُقٌ لِلْمَلَائِكَةِ أَوِ الْكَوَاكِبِ
فِي سَيْرِهَا وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ الَّذِي خَلَقْنَاهُ فَوْقَهُمْ غَافِلِينَ عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ بَلْ كُنَّا أَوْجَدْنَاهَا بِحِفْظِنَا
عَنْ تَطَرُّقِ الْخَلَلِ كَمَا قَالَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا أَوْ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ تَحْتَهَا فَإِنَّهُ جَعَلَهَا
مَعْدِنًا لِلْأَرْزَاقِ بِأَنْ نُزِيلَ الرَّحْمَةَ بِوُجُودِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ بِمِقْدَارٍ
مَعْلُومٍ اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ فَأَعْمَقْنَا مِنْهُ مَجَارِيَ الْعُيُونِ

كَقَوْلِهِ سَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ وَتَخْصِيصُهُ بِالْأَنْهَارِ الْخَمْسَةِ لَا وَجْهَ لَهُ وَإِيَّاهُ عَلَى
ذَهَابٍ لَقَادِرُونَ لِأَنَّهُ أَهْوَنُ فِي الْعُرْفِ مِنَ الْإِنْزَالِ وَإِنَّمَا ذَكَّرَ الذَّهَابَ بِالدَّلَالَةِ
عَلَى كَثْرَةِ طُرُقِهِ وَتَعَدُّدِ أَسْبَابِهِ مُبَالَغَةً فِي الْإِيعَادِ بِهِ وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْوَعِيدِ مِنْ
قَوْلِهِ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا قِيلَ أَبْلَغُ مِنْهُ مِنْ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ وَجْهًا
يُعْرَفُ بِالتَّأَمُّلِ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ بِالْمَاءِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا
فِي الْجَنَّاتِ فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ تَفَكَّهُونَ بِهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ تَغْذِيًا كَالتَّمْرِ وَ
الزَّبِيبِ فَإِنَّهُمَا مِنَ الْأَقْوَاتِ أَوْ تَحْتَصِلُونَ مِنْهَا أَرْزَاقَكُمْ وَأَسْبَابَ مَعَايِشِكُمْ
يُقَالُ فُلَانٌ يَأْكُلُ مِنْ حِرْفِيَهِ أَيْ مِنْهَا وَجْهُ مَعَاشِهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ إِلَى
النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لِاشْتِمَالِ ثَمَرِهِمَا عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي كُلِّهَا فَإِنْ قُلْتَ قَدْ جَاءَ فِي
الزُّخْرُفِ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ وَهُنَا جَمْعُ الْفَاكِهَةِ وَأُتِيَ بِالْوَاوِ
الْعَاطِفَةِ مَا الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ قُلْتُ تِلْكَ فِي وَصْفِ الْجَنَّةِ وَالنَّوْعُ الْوَاحِدُ مِنْ ثَمَرِهِ
يُوجَدُ فِيهِ طَعْمُ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ كَمَا بَيَّنَ فِي قَوْلِهِ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ فَأَشَارَ
بِالْإِفْرَادِ إِلَى أَنَّ نَوْعًا مِنْهُ فِيهِ غُنْيَةٌ عَنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ وَأَمَّا عَدَمُ الْعَاطِفِ
فَلِأَنَّ مَا يُوكَلُ هُنَاكَ بَعْضُ الثَّمَرِ لِدَوَامِهِ وَعَدَمِ انْقِطَاعِهِ وَيُوكَلُ تَفَكُّهًا فَلَا
يُوجَدُ مَعْنًى آخَرُ يُعْطَفُ عَلَيْهِ وَشَجَرَةً عَطْفٌ عَلَى جَنَّاتٍ هِيَ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ
أُفْرِدَهَا بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهَا قِيلَ هِيَ أَوَّلُ شَجَرَةٍ نَبَتَتْ بَعْدَ الطُّوفَانِ وَهِيَ الشَّجَرَةُ
الْمُبَارَكَةُ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ جَبَلٍ تُنْدَى مِنْهُ مُوسَى بِفَلَسْطِينَ أَوْ بَيْنَ
مِصْرَ وَأَيْلَةَ وَالطُّورُ لُغَةً الْجَبَلُ الشَّامِخُ فَيُضَافُ إِلَى سَيْنَاءَ اسْمِ بُقْعَةٍ أَوْ هُوَ
مُرَكَّبٌ كَبَعْلَبَكَّ وَحَضْرَمَوْتَ وَهُوَ الطُّورُ وَسِينِينَ وَسَيْنَاءَ لَفْظٌ عَجَمِيٌّ وَالْمَنْعُ
مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالْعُجْمَةِ أَوْ عُرْبِيٌّ وَمَنْعُ الْمَفْتُوحَةِ عَلَى قِرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ
وَابْنِ عَامِرٍ لِلتَّأْنِيثِ وَالْمَكْسُورَةِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ الْمَعْنَوِيِّ وَلَيْسَتِ
الْفُهُ لِلتَّأْنِيثِ لِعَدَمِ النَّظِيرِ وَأَمَّا عَلْبَاءُ فَالْفُهُ لِلْإِلْحَاقِ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ أَيْ
الشَّجَرَةُ مُلْتَبِسَةً بِالدُّهْنِ الْخَارِجِ وَالْمَجْرُورُ فِي مَحَلِّ الْحَالِ وَجُعِلَ التَّاءُ صِلَةً
يُفْسِدُ الْمَعْنَى وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِضَمِّ التَّاءِ مِنَ الْإِنْبَاتِ أَمَّا لَازِمًا كَالْمُجَرَّدِ وَعَلَيْهِ قَوْلُ زُهَيْرٍ رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ عِنْدَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لَهَا حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ أَوْ تَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ أَيْ زَيْتُونَهَا
وَعَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّ الْبَاءَ زَائِدَةٌ كَقَوْلِهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَعَلَيْهِ
قَوْلُهُ شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ رَفَعْتُ وَقِرَاءَةُ الْفَتْحِ أَقَلُّ تَكَلُّفًا وَصِبْغٌ لِلْآكِلِينَ
عَطْفٌ عَلَى الدُّهْنِ عَطْفَ أَحَدِ وَصْفَيِ الشَّيْءِ عَلَى الْآخَرِ كَأَنَّهُ قِيلَ تَنْبُتُ بِالشَّيْءِ
الْجَامِعِ بَيْنَ كَوْنِهِ دُهْنًا وَإِدَامًا وَأَصْلُ الصِّبْغِ الْغَمْسُ وَمِنْهُ فِي الْحَدِيثِ يُؤْتَى
بِالْكَافِرِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ هَلْ رَأَيْتَ مِنْ نَعِيمٍ قَطُّ فَيَقُولُ

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ما تعتبرون به ويستدلون على كمال علم الصانع
وقدرته نسقيكم مما في بطونها استيناف لبيان العبرة من ابتدائية
اى كائنا من العلف الذى فى بطونها او تبعيضية لان اللبن جزء من العلف
متكون منه وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر بفتح النون وهما لغتان والفتح
اخف واشهر وقد جمعهما البيد فى بيت سقى قومى بنى نجد وأسقى غيرا أو
القبائل من هلال ولكم فيها منافع كثيرة من الركوب والحمل والأوبار
والأدبار ومنها تأكلون من اعنابها او تجعلونها سببا لمعاشكم
بالبيع والاجارة وعليها وعلى الفلك تحملون فان الابل والبقر يحمل
عليهما وقيل المراد بالأنعام الابل لانها كانت غالبا لعرب وهى سفاين
البر ولذلك قرنها بالفلك قال ذو الرمة يمدح ناقته المسماة بصيدحة
سفينة برّ تحت خدى زمامها وقال اخر يمدح ناقته دعائم الزور نعمت
زورق البلد ولقد ارسلنا نوحا الى قومه بعدما شيدا ركان التوحيد
بايات الآفاق والانفس شرح احوال الامم المكذبة وابتداء بنوح فانه اول
رسول عذب قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إله غيره
استيناف لبيان علة الاختصاص افلا تتقون بأسه وسطوته الاستيفها
للحث والطلب مثل فهل انتم شاكرون فقال الملأ الذين كفروا من قومه
اى اشرافهم لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم فلذلك
يدعى الرسالة ولو شاء الله ارسال الرسول لانزل ملائكة لاعتقادهم
ان البشرية تنافى الرسالة ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين قالوه اما عنادا
واما لتطاول الفترة وبعد العهد ان هو الا رجل به جنة جنون ما يدرى
ما يقول فتربصوا به حتى حين الى ان يموت او يرجع عن دعواه قال رب
انصرنى بما كذبون اهلكهم بسبب تكذيبهم اياى فان فى اهلاكهم نصرته
او الباء بدلية والمعنى ابدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة او ما موصولة
والباء للالة اى بالذى كذبون فيه وهو العذاب الموعود بقوله انى اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم اى لجزء ذلك الوعد فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا بحفظنا وكلاءتنا ووحينا وامرنا بذلك وقدا لحفظ على الوحى
وان تأخر وجودا لكونه الاصل الذى لا يتم شئ بدونه فاذا جاء امرنا
باهلاك القوم وفار التنور بالماء قيل لنوح اذا فار التنور اركب السفينة
واختلف فى موضعه قيل بمسجد الكوفة عن يمين الداخل من باب كنده وقيل
بعين وردة بالشام وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الأرض وعن
على رضى الله عنه فار التنور طلع الفجر ولعل ذلك لان هلاكهم كان بعد

طلوع الفجر فاسلك فيها ادخل فيها يقال سلك فيها وسلك غيره قال عنترة
الهندى حتى اذا سلكوهم فى قبائله من كل زوجين من كل صنفين الذكر
والانثى اثنين ذكرا وانثى مفعول اسلك وقرأ حفص من كل بالتنوين
اى من كل جنس او من كل ذكر وانثى وزوجين مفعول واثنين صفة للتأكيد
كامس الدابر واهلك واهل بيتك اذ لم يبح غيرهم لقوله وجعلنا
ذريته هم الباقين الا من سبق عليه القول منهم وهو ابنه الذى كان
من المغرقين ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا فى استدفاع العذاب عنهم
انا ادركناه رقة الجنسية او لا تدعنى لاهلاكهم من اخرى بقولك انصرنى
ولا تدرمن الكافرين دياراً انهم مغرقون لا محالة سبق بذلك القول
فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم
الظالمين فان النجاة من العدو كل نعمة دونه وفيه اشارة الى علة النهى
عن الخطاب فى حقهم لان من هلاكهم نعمة يحمد عليها كيف يليق السعى
فى خلاصهم وقل رب انزلنى منزلا مباركا فيه مزيد خير الدارين قرأ ابو بكر
منزلا بفتح الميم من النزول مصدرا او اسم مكان وقراءة القوم اوفق بقوله
انزلنى وانت خير المنزلين ثناء اخذ من لفظ الدعاء وامره ان يشفع به
الدعاء توسلا به الى الاجابة وأورده به لانه سيد القوم لما امر به فهم
مامورون به ولان كبرياء الالوهية اجل من مخاطبة اى من كان بل لا
يصلح لذلك الا نبى مرسل او ملك مقرب ان فى ذلك فى شان نوح وقومه
لايات كثيرة لمن تأمل وتدبر وان كنا لمبتلين قوم نوح ببلاء عظيم
وعقاب شديد او محمدين بن عبادنا لننظر من يتذكر لقوله ولقد تركناها اية
فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين هم عاد قوم هود لقوله
اذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح فارسلنا فيهم رسولا منهم
اليهم وانما جعل القوم موضع الارسال تأكيدا لالزام الحجة لانه منهم
ليس اجنبيا حتى يأنفوا عن اتباعه وتشاء فهم وبين اظهرهم يعرفون ديانته
وامانته ان اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ان مفسره لان ارسلنا افلا
تتقون سخط الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة
بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب وانما عطف مقالتهم على مقالة الرسول
هناك ولم يعطف فى الاعراف وهو لان الكلام هناك فى حكاية المقالة
بين المرسل والمرسل اليه الا ترى الى قولهم انا لنريك فى سفاهة وقولهم
ما نريك الا بشرا مثلنا واستدعاذ لك الاستيناف بين كانه قيل ما قالوا
فى جوابه قيل كيت وكيت واما هنا لم يخاطبوه بل قال بعضهم لبعض كلاما

فاشيرا الى الجمع بين قوله الحق قولهم الباطل فلا مساغ للاستيناف و
اترفناهم في الحيوة الدنيا بكثرة المال والاولاد ماهذا الا بشر مثلكم
لامزية له ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون بيان لوجه المماثلة
والعايد الى الموصول الثاني منصوب محذوف وتقدير المجرور وحذفه
مع الجار ضعيف ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون حيث
تضعون انفسكم لمن لا يستحق واذ جزاء للشرط وجواب لمن قال لمن قومه
لتبعه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون من الاجداث
او من العدم حسن تكرارا انكم لطول الفصل ومخرجون خبر عن الاول والظرف
تقوية يتعلق به او انكم مخرجون مبتداء والظرف خبره والجملة خبر عن انكم
على معنى ايعدكم انكم اخراجكم كاين اذا متم او انكم مخرجون مرفوع بفعل هو
الجزاء للشرط والشرطية خبر انكم كانه قيل ايعدكم انكم اذا متم وقع اخراجكم
هيهات هيهات بعد من الاصوات المبنية لكونها بمعنى الماضي لما توعدون
اللام مزايدة وما توعدون فاعله اي بعد ذلك الموعود اي بعد وكذلك
اكدوه او هيهات معناه البعد كما نقل عن الزجاج والجار والمجرور خبره
وفي وجه بنائه على هذا تكلف او اللام لبيان المستبعد كانه لما صوت به
قيل لاي شيء هذا الاستبعاد قيل لما توعدون وفاعل هيهات على هذا
ضمير البعد كانه قيل وقع البعد لما توصفون نظيره لقد تقطع بينكم بنصب
بين اي وقع التقطع وعن ابن جني ان الفاعل مبهم وفيه ذهول عن اللام
لانه يمنع ان يكون ما توعدون مفسرا ان هي الا حيوتنا الدنيا الضمير
لمعهود ذهني عدل عنه حذرا عن التكرار اي ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا
نموت ونحيى نموت بعضنا ويولد بعض او نحيى ونموت لاحاله يعقل
سواها قدم المؤت لانه مظنة الريب وما نحن بمبعوثين كما تزعم محمد
ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اختلقه قصدا ارادة ان يفوقكم
وما نحن له بمؤمنين يوما قال رب انصرني بما كذبون بسبب تكذيبهم
او بدله قال عما قليل ما يؤكد معنى القلة او موصوفة ليصبحن نادمين
حين لا ينفع الندم فاخذتهم الصيحة ما الحق صاح بهم جبرائل فهلكوا
مكانهم ولا دلالة للصيحة على ان القوم قوم صالح لجواز ان يكون مع
الريح صيحة جبرائل تغليظا للعذاب كما مطر الحجارة على قوم لوط بعد
ان جعل عاليها سافلها يؤيده قوله ونجيناهم من عذاب غليظ اي هود
ومن امن جعلناهم غثاء شبه الغثاء وهو جميل السيل شبههم به
في البلى وتفرق الاوصال والخروج عن عدم الانتفاع فبعدا للقوم

الظالمين اي بعد ذلك العذاب النازل بهم هلاكا لهم دعاء عليهم للاشعار
والاستخفاف كانه ما نزل بهم نزر نظرا الى ما اعد لهم من عذاب الاخرة
وهو من المصادر التي يجب حذف ناصبها يقال بعد بعدا وبعدا كرشد
رشدا ورشدا ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين اي قرونا وامما
في ازمنة شتى ما تسبق من امة اجلها على كثرة القرون وما يستاخرون
عن الوقت المقدر ثم ارسلنا رسلنا تترى واحدا بعد واحد من المواترة
وهي المتابعة بين الاشياء مع فترة وبدونها مدارکة والتاء بدل عن
الواو كيجاه وتراث وتولنه ابن كثير وابو عمرو على ان الالف للالحاق
كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول اليهم لوجود الملابسة
فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا للقوم يؤمنون هلاكا لهم
ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين بحجة واضحة
قيل هي العصا افردها لكونها اشرف المعجزات باعتبار انسحابها على معجزات
شتى او هو الايات والعطف باعتبار الصفات الى فرعون وملايه اشراف
قومه خصهم بالذكر لان الرعايا والسوقة اتباع ولذلك قال رسول الله
لهرقل فان توليت فعليك اثم الاريسيين فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما
عالين ذوي شرف وعز من علا يعلو اذا كبر فهو على اي شريف ومن علوت
الرجل غلبته وعلى الوجهين جار مجرى علة الاشية كانوا قوي علا في الارض
بكبر وكانوا قوما دابهم التكبر قالوا انؤمن لبشرين مثلنا يطلقون للواحد
والتثنية والجمع وكذلك المثل وانما افرد مكراهة توالي التثنيتين وقومهما
لنا عابدين زعم ان خدمتهم له عبادة لادعائه الالوهية او اراد بهما
الانقياد والخضوع فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد اتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون اي بني اسرايل لانه التوراة نزلت بعد غرق
فرعون وقومه وجعلنا ابن مريم وامه اية قالبه على كمال القدرة والعلم
افراد الابن لانه اريد ما تعلق به من اخر الولاد او حذفت الثانية لدلالة
الاولى عليها واويناهما الى ربوة الى ارض مرتفعة هي بيت المقدس لانها
ارفع اجزاء الارض وافرها الى استواء ثمانية عشر ميلا وقيل رملة
فلسطين وقيل دمشق وقيل مصر والوجه هو الاول ذات قرار مستقر
من الارض يسكنها الناس لكثرة الثمار ومعين وماء جار من معن الماء
اذا سال بعيد لقوته ومنه امعن في الشيء واسم مفعول من غاله اذا رکه
بعينه وجعله فعيلا من المعوض لا يناسب المقام يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات المعنى اذ رسول خوطب في زمانه وارادة على هذا الوجه

ليعتقد السامع ان امرا نودي به جميع الرسل حقيق بان يوخذ به ويجوز ان
يكون هذا حكاية ما قيل لعيسى وامه عند الايواء انما علمناهم ان الرسل
كلهم مخاطبون بذلك وفيه ابطال للرهبانية التي ابتدعها النصارى
وبعض جهلة المتصوفة في زماننا والطيبات ما تستلذه النفس من المآكل
والفواكه وقيل ما حل من الرزق وهو ثلثة اقسام حلال وصاف وقوام
فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصاف الذي لا ينسى الله فيه والقوام
ما يمسك النفس ويحفظ العقل وعنه صلى الله عليه وسلم كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان السرف والمخيلة واعملوا صالحا
فانه المقصود من ذلك اني بما تعملون عليم فاجازيكم على حسبه وان هذه
ولان هذه متعلق بفاتقون وقرا الكوفيون ان بالكسر على الاستيناف
او عطفا على اني وابن عامر ان بالفتح مخففة والكسر هو المختار لعدم الحذف
والتقدير امتكم دينكم وملتكم امة واحدة في الاصول والعقايد
نصب على الحال على الوجوه الثلثة وانا ربكم فاتقون في مخالفة امري و
فبينتم لكم ان الدين واحد فتقطعوا امرهم بينهم بعد تلك الوصية خالفوا
وتوزعوا الدين وتقسموه زبرا قطعا جمع زبرة او جمع زبور وهو الكتاب
اي كل اخذ بكتابه وكفر بالاخر فهو حال من امرهم او من الواو او مفعول
ثان لتقطعوا لتضمينه معنى جعل كل حزب بما لديهم فرحون معجبون بدينهم
معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم حتى حين الى ان يموتوا او يقتلوا
مثل حالهم في استغراقهم في الجهالة بمن غمره الماء وعلاه كانه قال دعهم
في هذا الجهل الذي لا جهل فوقه دلالة على اياس وعدم نجع القول فيهم
وادمج فيه التسلية ببيان الغاية وهو قتلهم او موتهم ايحسبون
ان ما نمدهم به اي نجعله مددا شيئا بعد شيء نقرر مع الانكار من مال
وبنين بيان ما نسارع لهم في الخيرات اكراما لهم وايثارا فيما لهم فيه
خير ويجوز ان يراد جزاء الخيرات كما للمومنين في الاخرة والعايد محذوف اي
نسارع به لهم بل لا يشعرون لا شعورا لهم لينظروا اهل هم مستوجبون
للاكرام امر ذلك استدراج ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون خايفون
غاية الخوف هو اصدا السابقين والذين هم بايات ربهم المنزلة والمنصوبة
في الافاق والانفس يومنون يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون
شركا جليا ولا خفيا فان كلا منهما يحبط العمل والذين يوتون ما اتوا
يعطون من الصدقات والبر ما اعطوا وقدروا عليه قليلا كان او كثيرا
وقلوبهم وجلة خايفة هل يقبل منهم ام لا استقلالا لها فاعظام الجنا

الفدس تعالى انهم الى ربهم راجعون وهو قد احاط بما في ضمايرهم اولئك
يسارعون في الخيرات الباقية سرمدا فيه تعريض لمن تقدم ذكرهم بان
همتهم في المسارعة في الفاني او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية قيل
ثواب الاخرة بتلك الاعمال لقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وهذا وان
كان احسن طباقا للاية المتقدمة فانه اثبت لهولاء ما نفى عن اولئك
الا انه قاصر لان ثواب الدنيا بالعرض لقوله من عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة وهم لها سابقون اي لتلك الخيرات
سابقون الناس او فاعلون السبق او سابقون بها اي ياتونها قبل الاخرة
واللام لتقوية الاسبق لتقدم مفعوله ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض
للترغيب لانه امر سهل لا حرج فيه من تقاعد وهو المقصر او المعنى ان التكليف
على قدر الوسع فمن بذل جهده ولم يبلغ تلك الرتبة فلا عليه ولدينا كتاب
ينطق بالحق هو اللوح او كتاب الحفظة لا يضيع فيه مثقال ذرة فمن لم
يسلم همته الى الاول ولا ينبغي ان تقعد به عن الثاني وهم لا يظلمون بنقص
ثواب او زيادة عقاب الضمير للفريقين بل قلوبهم في غمرة في غطاء وستر
اضراب عن الاضراب الاول ترقيا في وصفهم بالفعل فان عدم الشعور قد
يكون لعدم التوجه واما المستور بالغطاء ولا يمكن الوصول اليه ولو توجه
وبذل الوسع من هذا اي مما وصف به المومنون ولهم اعمال من دون
ذلك الذي وصف به المومنون او متخطيه عما وصفوا به من الشرك هم
لها عاملون معتادون بها منهمكون فيها لا يرعوون حتى اذا اخذنا مترفيهم
بالعذاب حتى هذه وهي التي تبتدا الكلام بعدها والعذاب قتل المترفين
يوم بدر وقيل القحط لما دعا عليهم رسول الله فقال اشدد وطاتك على
مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الجيف ووردة
قوله اذا هم يجارون يعرضون بالاستغاثة لا تجاروا اليوم انكم منا
لا تنصرون لا يمنعون القحط قد ارتفع عنهم بدعائه صلى الله عليه وسلم
لما جاءه ابو سفيان وقال يا محمد انك تامر بصلة الارحام وقد نزى ما
اصاب قومك فدعا فقال الله تعالى انا كاشف العذاب قليلا انكم عايدون
قد كانت اياتي تتلى عليكم هي القران الدال باعجازه على انه كلامه تعالى
فكنتم على اعقابكم تنكصون ترجعون القهقرى كالخايف من الشيء شيا
غاية الى الشيء اعراضهم مستكبرين بالبيت الحرام زعما منهم انهم
ولاة البيت لا يواخذون شهرته اغنت عن سبق الذكر او بالتكذيب او
بالايات وتذكير الضمير لانها في معنى الكتاب والقران او الجار متعلق بقوله

سامرا والضمير للقرآن والسمر حديث الليل اصله منوء القمر فانهم
كانوا يجتمعون حول البيت ويأخذون في مثالب القرآن وسب الرسول
تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وتارة يقولون القرآن اساطير
الاولين انما يعلمه بشر والسامر اسم الجمع يقال هم سمار وسامر تهجرون
من الهجر بضم الهاء وهو الفحش من القول او من الهجر بالفتح وهو الهذيان
والتخليط في الكلام وقرا نافع بضم التاء من اهجر انا اتى بالهجر اى الفحش
او الهذيان فلا تايد في قراءة نافع لاحد المعنيين افلم يدبروا القول
اى القرآن ليعلموا انه كلام الله المعجز بل تدبروا مدة متطاولة ام جاءهم
ما لم ياتِ اباءهم الاولين بل اجاءهم الكتاب والرسول ولم ياتِ اباءهم
الاولين وليس ذلك موضع الانكار اذ قد نوا تر عندهم مجيء الرسول وانزل
الكتب الى سائر الامم او جاءهم من الامن من عذاب الله ما لم ياتِ اباءهم
الاولين كاسمعيل واعقابه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا
تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا ولا الحرث
ابن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا مسلمين وما شككتم
في شيء فلا تشكوا في اسلام تبع فانه كان مسلما على شرطه سليمان بن داود
ام لم يعرفوا رسولهم دينه وامانته وصدقه لبهجته وشرف نسبه حيث قعد
غار بالمجد وحل في سطة هاشم فهم له منكرون لفقد شيء من تلك الكمالات
ام يقولون به جنة فلا يبال بكلامه كلا قد كانوا يعلمون انه ارجح الناس
عقلا واثبتهم رايا ومن وقف على خطبة ابي طالب عند نكاح خديجة علم ما
كان فيه من صفات الكمال من اول نشاته بل جاءهم بالحق بالتوحيد الذي
لم يالفوه وقد اندرج على الشرك اباءهم واكثرهم للحق كارهون فبذ
بالاكثر لان قليلا منهم ما كان نكره الايمان ولكن يمنعه الاستنكار وخوف
لائمة الناس كابي طالب كان يمدحه ويمدح دينه ومات على الكفر خوفا من
لوم الناس ان يقولوا في كبر سنه تبع يتيمه وانما اعاد المظهر لئلا يتوهم عود
الضمير اليه ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن
لفساد النظام لان الاهوا مختلفة والدواعي متباينة اولو اتبع الحق اهواءهم
انقلب باطلا ولابقاء للعالم مع الباطل بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي
فيه شرفهم او تذكيرهم وعظهم او الذكر الذي كانوا يتمنونه يقولون لو
ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فهم عن ذكرهم معرضون
جهلا منهم وعنادا ام تسالهم خرجا فيمسهم لقوله ام يقولون به جنة وما
بينهما اعتراض برهانا على انه منزه من الجنون بل ما جاء به هو الحق الابلج

فخراج ربك خير فالاجر الذي وعدك ربك خير من الفاني الذي نبذهم وقد
رضيت بذلك فلا وجه لتفريقهم وقرا ابن عامر بقصرهما وحمزة والكسائي
بمدهما والباقون بقصر الاول ومد الثاني وهما لغتان وقيل الخرج الجعل
والخراج الضريبة وقيل الاول مصدر والثاني اسم والاوجه القصر
لانه اخف والمعنى عليه اظهر وزيادة المباني لزيادة المعاني انما هو اتحاد
المعنى وعدم المعارض وهو خير الرازقين لدوام رزقه وسعته وعدم شوبه
بمنه تقرير لكون خراجه خيرا وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم لا عوج
فيه وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون عادلون عنه لان
اتباع الحق وسلوك طريقه انما هو من خوف العقاب ومن لا يؤمن بالاخرة
امن من ذلك ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر هو الجوع والقحط للجوا
في طغيانهم لتمادوا فيه يعمهون يتحيرون عن الهدى ولقد اخذناهم
بالعذاب بالقحط والجوع فما استكانوا لربهم ما انتقلوا من كونهم الاول
الى اخر استفعال من الكون او افتعال من السكون وما يتضرعون بل
استمروا على عتوهم الذي كانوا عليه حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
وهو القتل يوم بدر او عذاب جهنم اذا هم فيه مبلسون ايسون من ابلس
اذا ايس هذا وتفسير العذاب الشديد بالجوع وقول ابي سفيان قتلت بعضهم
بالسيف يوم بدر وبعضهم بالجوع لما منع ثمامة الميرة عن اهل مكة كلمه
لان القحط وقع ورسول الله بمكة ووقعة بدر بعده بالمدينة وكذا اسلام
ثمامة رواه البخاري وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة
خص السمع والابصار والافئدة بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع الدينية
والدنيوية ما يتعلق بغيرها وقدم السمع والابصار لانهما الآلات الادراك
وبهما يكمل المجزات قليلا ما تشكرون تصرفها الى ما خلقت له وهو
الذي ذراكم في الارض بثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون
بعد ذلك التفرق للجزاء وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار
مختص به لا يقدر عليه احد سواه افلا تعقلون تستعملون عقولكم
في التفكر والتدبر فيما خلقهم له قبل فوات الوقت بل قالوا مثل ما قال
الاولون اعرض عن خطابهم ناعيا عليهم جهلهم وجهل اسلافهم
الذين اقتدوا بهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون
اى انه منكر محال لقد وعدنا نحن وابا ونا هذا من قبل قبل وجودنا
وبمحي محمد يريدون انه ما يقوله قول قيل قبله بدهر وقد ظهر لمن لقدمنا
بطلانه ان هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم المختلفة جمع اسطورة

كالاعجوبة والاضحوكة وهذا البناء لما يتلهى به وقيل جمع اسطار جمع
سطر كاقراس وقرس والسطر صف من الكتابة والاحسن واوفق فلمن
الارض ومن فيها من المخلوقات من للتغليب العقلاء ان كنتم تعلمون
ذلك اهانة لهم حيث لا يعلمون هذا الواضح الجلي فهم عن علم التوحيد
ودقايقه بمعزل او ان كنتم من اهل العلم حيث زعمتم ان ما يقوله من اساطير
الاولين سيقولون لله بلا ريب لانه لا يتوقف على فكر قل افلا تذكرون
بعد هذا الاقرار فان توجه التذكر الذي هو ايسر الاشياء كاف في حل عقدكم
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قراه ابو عمرو
والذي بعده باللام وجرا الهاء وهو طبق السؤال معنى من رب الدار
لمن الدار وعليه رسم الامام والبصري قل افلا تتقون عقاب من هذا
صنعه قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير يغيث ويجرت من يشاء
ولا يجار عليه ولا يغاث منه احد وتعديته بعلى لتضمين معنى التصرف ان
كنتم تعلمون اعاده زيادة في التوبيخ سيقولون لله قل فانى تسحرون
تخدعون عن الرشد مع ظهوره ساق الايات الثلث على اسلوب بديع ذكر
الارض اولا لانها اقرب اليهم ومنها نشاتهم ثم ترقى الى السموات والعرش
العظيم التي الارض بالنسبة اليها كلا شيء ثم الى من بيده ملكوت كل شيء
فاتى باعم العام وكله الاحاطة ولفظ الملوك الدال على سعة الملك وغاية
الاختصاص وذكر اليد تصويرا لعظمة وان الكائنات تحت قدرته كلمه
في يد قادر يقلبها كيف يشاء وراعى في الفواصل ايضا ذلك حيث ذكر بعد
ذكر الارض التذكر الذي هو ايسر النظر ثم اتقاء الدال على الوعيد ثم التعجيب
من خدع عقولهم وتخيل الباطل حقا والحق باطلا بعد الاقرار والاعتراف
بتلك المقدمات القواطع وكانها تقرير للسابق من ابطال شبهة منكري
البعث كذلك تمهيد للاتي من اراحة اوهامهم اهل الشرك وراء فصل التوحيد
بل اتيناهم بالحق بالبرهان الدال على البعث والتوحيد وانهم لكاذبون
في انكارهما ما اتخذ الله من ولد قط لتقدسه عن المماثلة والمجانسة وما
كان معه من اله يشاركه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق جواب
لمن حاجة من المشركين وجزاء لشرط محذوف دل عليه قوله وما كان معه
من اله اي لو كان معه الهة لذهب كل اله بما خلق ولغلب بعضهم على بعض
كما يروى من ملوك الدنيا قد تقدم الكلام عليه وافيا في قوله لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا سبحان الله عما يصفون من اتخاذ الولد والشريك
عالم الغيب والشهادة برهان اخر دال على بطلان شركهم لان من تدعون

له الالوهية حاد ليس من شانه الادراك فتعالى عما يشركون وقرا ابن
كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عالم بالجر على الوصف وهو المختار
لسلامته عن الحذف قل رب اما ترينى ما توعدون بقولك واما نرينك
بعض الذي نعدهم رب فلا تجعلنى في القوم الظالمين داخلا في زمرة
المعذبين وهذا كسائر او عينه هضما لنفسه واظهارا للتواضع والعبودية
مع علمه بانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكرر لفظ الرب اشارة
الى ان التضرع والحوار عنده بمكان وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
كانوا يقولون متى هذا الوعد فقيل ان الله قادر على ان ينجز ذلك الوعد
ولكن لكل امر وقت مقدر اقتضته الحكمة وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم ولان في اصلابهم من سبق في العلم انه سيومن ادفع بالتي هي
احسن السيئة اي ادفع السيئة بالحسنة التي هي احسن من غيرها
من الحسنات فانها متفاوتة والملابق بك اشارا كمل الاخلاق وهي
الصفح والاحسان بعده وبذل الوسع فيه ومن عود نفسه بهذا هان
عليه الصفح عن السيئات واتباعها الحسنات نحن اعلم بما يصفون اي
بصفونك به على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد شديد لهم وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين ونزغاتهم ونخسهم واعزانها على المعاصي
الهمز النخس ومنه مهماز الرائض تشبيه المغفول بالمحسوس بجامع الحث
والجمع اما لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون
اي يحومون حولي فضلا عن الوسوسة حتى اذا جاء احدهم الموت غايته
لقوله اذفع دال على كون الاية غير منسوخة وان المداراة مرغب فيها
ما لم تؤد الى ثلم دين او الى ان يهموا او ليصفون على معنى ان طعنهم فيك
وسوء مقالته مستمر الى حين الموت وعلى الوجهين ما بينهما اعتراض يوكد
شان الاعاذة والصفح مستعينا بالله على الشيطان ان يزله عن الحلم او
لقوله وانهم لكاذبون وقوله ما اتخذ الله من ولد الى هنا كالاعتراض يوكد
كذبهم ويحقق انتحالهم البراءة منهم قال رب ارجعون اي انا عاين
الموت اذ كنه الحسرة على ما فرط فيه من الايمان وعمله صلى الله عليه وسلم
انا عاين المومن الملائكة يقولون ترجعك الى الدنيا بقوله الى دار الهموم
والاحزان بل قد وما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون وخطا
الله بلفظ الجمع على قصد التعظيم كقوله الا فارحمون يا اله محمد ويجوز
ان يكون الخطاب للملائكة ورب جر على اضمار حرف القسم لعلى اعمل
صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته او في المال الذي خلفته

كلا ردع له عن تلك المقالة واستبعاد إنها كلمة هو قائلها لا محالة
لاستيلاء الندم عليه كما نشاهد الواقع في بلية يتكلم بما هو موقن بعدم
قبوله منه والكلمة طائفة من الكلام ومن ورائهم برزخ امامهم
حاجز عن الرجوع البرزخ ما بين كل شيئين إلى يوم يبعثون اقناط
كلي اذ بعد البعث لا رجعة فإذا نفخ في الصور نفخة البعث فلا انساب
بينهم يومئذ لا نفع لها وانما النافع هي الاعمال الصالحة روى احمد
ابن حنبل عن المسور ان رسول الله قال إن الانساب تنقطع يوم القيمة
الا نسبي وبنسبي وصهري او لفرط الحيرة لا يتذكر احد نسبة ولا
يتساءلون اي لا يسئل بعضهم احوال بعض لشدة الامر كيف ويقراء
المرء من اخيه وامه وابيه وهذا في اول الامر لقوله واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون وفي الحديث يشفع المؤمن في سببين من اقاربه وخلانه فمن
ثقلت موازينه موزونات اعماله الصالحة فاولئك هم المفلحون
الفائزون بكل بغيه ومن خفت موازينه ومن لم يكن له عمل يوزن لقوله
فلا يقسم لهم يوم القيمة وزنا عبر عنه بالخفة لوقوعه في مقابلة
الثقل الذي هو ضده فيحسن الطباق فاولئك الذين خسروا انفسهم
حيث اوردها مورد هلاك الابد وفوتوا حظوظها في جهنم خالدون
بدل من الصلة لا محل له من الاعراب او خبر اخر لاولئك تلفح وجوههم
النار تصيبها على الدوام اللفح والنفح جر النار ووجهها واعلاها اشد
وهم فيها كالحون عابسون تتقلص شفاههم وتبدو اسنانهم روى
الترمذي تتقلص شفة الكافر العليا حتى تبلغ وسط رأسه والسفلى
حتى تبلغ سرته الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون تذكير
لهم بما لاجله استحقوا هذا العذاب وجمع بين عذاب النار وعذاب
الندامة قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا حتى بلغت بنا هذا الحال
قرا حمزة والكسائي شقاوتنا بفتح الشين والمد وهما لغتان كالشقاء
والكآبة والقصر اخف واشهر وهي لغة الحجاز وكنا قوما ضالين
عن طريق الرشاد ربنا اخرجنا منها من النار فإن عدنا الى الما كنا
فيه فإنا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها انزجروا كما ينزجر
الكلاب يقال خسأت الكلب زجرته فخسأ انزجر لازم ومتعد ولا تكلمون
في دفع العذاب او مطلقا وعن ابن عباس رضي الله عنه لهم ست
دعوات اذا دخلوا النار ينادون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا فيجابون حق القول مني فسادون الف ربنا امتنا اثنتين

فيجابون ولكم بانه إذا دعي الله وحده كفرتم فينادون الفا يا مالك
ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا
فيجابون او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فينادون الفا
اخرجنا نعمل صالحا فيجابون او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فينادون
الفا ربنا ارجعون فيجابون اخسئوا فيها فلا كلام لهم بعد الا
الزفير والشهيق وعواء الكلاب وعن ابن عمر ينادون ربنا غلبت علينا
شقوتنا ربنا اخرجنا منها فقدر مدة الدنيا مرتين لم يجبهم بقوله اخسئوا
فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي هم المؤمنون كافة او الصحابة
او اصحاب الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي بضم السين وهما
مصدرا سخر استهزاء وياء النسبة للمبالغة وعن يونس والفراء ان الضم
من العبودية والكسر من الاستهزاء وهو المختار لكونه نصا في المراد وانسوكم
حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون انا سخرتم بكم الشاغل بالاستهزا
الحاء جركم الى ترك ذكري في اوليائي فلم تخافوني وفيه دلالة على كمال اختصاص
المسخور منهم إني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم وفي هذا الاكرام
زيادة خسا لاولئك الاضداد انهم هم الفائزون ثاني مفعولي جزيتهم
وقرا حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف والمفعول محذوف اي الخير
او الجنة قال كم لبثتم في الارض عدد سنين اي قال الله تعالى او الملك
الموكل بعذابهم وقرا حمزة وابن كثير والكسائي قل على صيغة الامر
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم لان ايام السرور
قصار او لان المحنة تستطيل ايام المحنة وتستقصر ايام الدعة او لانة
المنقضي في حكم ما لم يكن فاسئل العادين الملائكة الذين كانوا يعدون
اعمار العباد او فاسئل من يقدر على العد فانا في شغل شاغل من ذلك الا انا
على التخمين فظنته يوما او بعض يوم قال إن لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم
تعلمون تصديق لهم على نقال المدة وتوبيخ على غفلتهم التي كانوا فيها
وقرا حمزة والكسائي قل على صيغة الامر والمامور من في النار والافراد
لارادة الجنس وافقهما ابن كثير في الاول وعليه رسم المكي والمدني
او فوق لقوله قال إن لبثتم افحسبتم انما خلقناكم عبثا تقرير فيه توبيخ
على ظنهم الفاسد وعبثا حال اي عابثين او مفعول له اي للعبث وانكم
إلينا لا ترجعون عطف على انما خلقناكم ويجوز عطفه على عبثا ان جعل
مفعولا له اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرا حمزة والكسائي بفتح التا

من الرجوع فتعالى الله الملك الحق الثابت الملك الذى لا يزول ملكه من
البعث وكيف يليق به لا اله الا هو رب العرش الكريم وصفه بالكرم لانه
مظهر الاحكام ومعدن البركات او لانه عرش اكرم الاكرمين ووصف
بوصفه مجازا حكميا كما يقال بيت كريم اذا ساكنوه كراما ومن يدع مع الله
الها اخر شريكا له فى الالوهية لا برهان له به صفة ثانية للتوكيد لا
ان فى الالهة ما يجوز قيام البرهان عليه او اعتراض بين الشرط والجزاء
فانما حسابه عند ربه فيجازيه على قدر استحقاقه انه لا يفلح الكافرون
ان الشان لا يفلح الكافرون ومفهوم ان المؤمنين مفلحون كما نطق به صدر
السورة فاستطرد الى الفاتحة مع الخاتمة وقل رب اغفر وارحم وانت
خير الراحمين الامر له والمراد امته ليتوسلوا بهذا الدعاء الى ذلك
الفلاح وعن عمر بن الخطاب قال سمعنا دويا كدوى النحل فمكثنا ساعة
فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ورفع يديه وقال اللهم
زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر
علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت على عشر ايات من اقامهن
دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون تمت السورة ولله الحمد

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتداء محذوف اى هذه سورة
انزلناها صفته او مبتداء موصوف والخبر محذوف اى فيما اوحينا
اليك سورة انزلناها وفرضناها الزمناكم ما فيها من الاحكام اصل
الفرض القطع والتقدير وشدد ابن كثير وابو عمرو اما للمبالغة والتاكيد
او لان فيها فرائض شتى قصة بواعة الاستهلال كما فى اوفوا بالعقود
او بمعنى فصلنا وقيل لكثرة المفروض عليهم وفيه انه جار فى سائر القرآن
وانزلنا فيها ايات بينات واضحات لا يتوقف على فكر وتامل لعلكم
تذكرون فتتعظون المحارم الزانية والزانى مرفوعان على الابتداء
والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه اى فيما يتلى عليكم اى حكم هما
ويجوز ان يكون فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ودخول الفاء
لتضمن الموصول معنى الشرط قدم الزانية على الزانى فى عكس اية السرقة
لان بواعث الزنى تبدو اولا من المراة ولانها المحل فلو امتنعت لم يمكن
وقوعه والجلد هو الضرب على الجلد وفيه اشارة الى التخفيف هذا حكم
الغير المحرر والعبد يجلد نصفه واما المحصن فالرجم لقوله الشيخ والشيخة

اذا زنيا فارجموهما وكان قرأنا نسخ لفظه وزاد الشافعى على الجلد
تغريب عام على الحر لما روى مسلم والبخارى مرفوعا البكر بالبكر جلد
مائة وتغريب عام ولم يقل به ابو حنيفة لان خبر الواحد لا يزاد به
على الكتاب وشرط ابو حنيفة الاسلام فى الاحصان لقوله صلى الله
عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن وللشافعى ما فى البخارى
ومسلم ان رسول الله رجم يهوديين قبل ان المحصن فى ذلك الحديث
من يقتص له من المسلم ولا تاخذكم بهما رافة هى شدة الرحمة وقرا
ابن كثير بفتح الهمزة وهما لغتان فى دين الله فى نصره ورفع شانه
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان بهما يقتضى ذلك
وايثاران وايمانهم مقطوع به لان الجنسية وميل الطبع على المسامحة
والمساهلة وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين فان الحكمة فى شرع
الحد الزجر عن المعاودة والتفويض الى الائمة لتزجر بالتشهير اكثر من الضرب
والعذاب لا سيما بين قومه واهل حرفه ولذلك قيد بالمؤمنين والطائفة
الجماعة التى يمكن ان يكون حافة حول الشىء من الطواف وعن ابن عباس من
الاربعة الى الاربعين ولا ينافى هذا ما روى عنه من واحد فصاعدا لان الغرض
هو التشهير ولا يحصل الا بالجم وذلك بحسب اللغة وهو الطوف والدوران
الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حرم
عائشة رضى الله عنها ان حكمها باق وان من تزوج بالزانية فهو زان على
الدوام وبه قال الامام احمد وعن سعيد بن المسيب ان الامر كان على ذلك
فنسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم وقيل نزلت الاية فى اصحاب الصفة كانوا
فقراء وكان بالمدينة بغايا مواسرات فارادوا نكاحهن فاستاذنوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والاصح انه تنفير عن نكاح البغايا وتوهين
والاشارة الى ان اهل الايمان والصلاح لا يليق بهم الرغبة الا فى العفائف
فان الاخلاق تسرى والمصاحبة توثر عن المرء لا تسئل وحمل على قريبة و
تعليم الزانى عكسها فى صدر السورة لان النكاح صفة الرجال وهم الاصل
فى ذلك وحرم ذلك على المؤمنين كراهة تحريمة ابو حنيفة على القولين والذين
يرمون المحصنات يقذفون العفائف من النساء لان رد على ذكر
الاحصان وتقييد الشهود بالاربعة وقرا الكسائى بكسر الصاد ثم لم
ياتوا باربعة شهداء ليشهدون ترى فى المقذوفه بانهم زوا واذ كر الزانى فى
فرجها كالميل فى المكحلة فاجلدوهم ثمانين جلدة لما كان المقذوف محصنا
والاحصان بالبلوغ والحرية والعقل والاسلام والعفة من الزنا ولا فرق

بين الذكور والاناث وتخصيص المحصنات لنزول الايات فيهن اولان قذف النساء
اغلب ولا يشترط اجتماع الشهود وكذا لا يقبل شهادة الزوج عند الشافعي
خلافا لابي حنيفة فيهما واشد الضرب التعزير ثم حد الزنى ثم شرب الخمر ثم
القذف لتفاوت اسبابها فان قلت قوله الحدود تدراء بالشبهات يقتضي
ان لا يحد القاذف لكون خبره يحتمل الصدق قلت تلك الشبهة مضمحلة
حفظا لاعراض المسلمين التي هي كدمائهم ولذلك اكده بقوله ولا تقبلوا
لهم شهادة ابدا اي شهادة كانت زيادة في عقوبته حيث لم يستر على
المؤمن عورته المامور بسترها قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مؤمن
ستر الله عليه يوم القيمة ولا يتوقف رد الشهادة على استيفاء الحد عند
الشافعي لان العطف بالواو لا يقتضي الترتيب ولانه قبل الحد اسوء حالا
لكون الحدود كفارات ابدا مدة حياتهم عند ابي حنيفة او ما داموا قاذفين
عند الشافعي رحمه الله واولئك الموصوفون هم الفاسقون الكاملون
فيه الا الذين تابوا من بعد ذلك راجع الى الاخيرة عند ابي حنيفة لانها
منقطعة عن الاولين فيتعلق الاستثناء بها لا محالة والا بد مرة حيوة
القاذف وعند الشافعي الاستثناء من الضمير المجرور واولئك هم الفاسقون
اعتراض يجري مجرى التعليل غير منقطع عن الاول ولذلك توسط بين المستثنى
ويجوز ان يكون الاستثناء عنده ايضا راجعا الى الاخيرة لان الحكم
يزول بزوال علته وان يرجع الى الجمل الثلث كما هو الاصل عنده من ان
الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة عائد الى الكل كقولك وقفت على ولدي
واولادي واولاد الاغنياء منهم فان قلت كيف يستقيم رجوع الاستثناء
الى الجملة الثالثة مع ان الجلد لا يسقط بالتوبة اتفاقا قلت الجلد اريد به
يقوم مقامه من الاستحلال من تمام التوبة او لان ذلك الاصل ملحوظ
بالاجماع على وجوب الجلد وخص منه لانه حق العباد وليوافق ما ذهب
اليه عامة العلماء روى الحارثي ان عمر حد ابا بكرة ونفعا حين
شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنى ولم يوجد الرابع ثم قال ومن تاب منكم
قبلت توبته واليه ذهب عمر بن عبد العزيز وطاوس والزهري والشعبي
وشريح وسعيد بن جبير واصلحوا اعمالهم فان الله غفور لما فرط منهم
رحيم بقبول التوبة والذين يرمون ازواجهم ولم يكن شهداء الا انفسهم
روى البخاري عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته بشريك بن سحماء
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال هلال
والذي بعثك بالحق اني لصادق وليترلن الله في امري ما يبرئ ظهري من الحد

فارسل رسول الله الى هلال وامراته فاتيا فتلاعنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فلما بلغتا المراة الى
الخامسة فقالوا لها انها الموجبة فعلصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت
لا افضح قومي سائر اليوم فمضت في الخامسة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابصروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج
الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به على النعت فقال رسول الله صلى
الله عليه لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شان وروى مسلم
والبخاري عن سهل بن سعد ان عويمرا جاء الى رسول الله وذكر انه راى
رجلا مع امراته فوجده قد نزلت عليه فدعاهما فتلاعنا فقال عويمر
كذبت عليها ان امسكها فطلقها فكانت سنة المتلاعنين فقال رسول
الله ابصروها فان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين فلا راه
الا قد صدق وان خاب به احمر كانه وخره فلا اراه الا كاذبا فجاءت به
على النعت المكروه فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
فيما رماها به من الزنى قرا حمزة والكسائي وحفص اربع بالرفع على انه
خبر شهادة لنصب على المصدر والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من
الكاذبين فيما رماها به هذا لعان الرجل وحكمه سقوط الحد عنه وحصول
الفرقة بينهما على سبيل الابد لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان
ابدا وعند ابي حنيفة رحمه الله لا بد من تفريق القاضي على انه طلاق
ويدرؤ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماها به من الزنا والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
قرا نافع ان مخففة في الموضعين وكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله توان حكيم حذف الجواب اي
لعاجلكم بالعقوبة او لفضحكم ان الذين جاءوا بالافك هذه ثمانية عشر
اية نزلت في عايشة رضي الله عنها حين قال فيها اهل الافك ما قالوا له
روى البخاري عن عروة بن الزبير ان عايشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سافر اقرع بين نسائه فمن خرجت قرعتها سافر
معه فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فسافرت بها فلما فعل وذلك من المدينة
اذنه الليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني
وغادنت القطع عقدها فانبعثت لالتماسه فاحتمل الرهط الذين كان
يرحلون هودجها فرحلوه على البعير وهم يحسبون انها فيه واستمر الجيش
فلما عادت الى مكان الجيش وليس به داع ولا مجيب قامت بمنزلها الذي

كانت به ظاهة انهم يستفقدونها وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء
الجيش متخلفا فرأى سواد انسان فلما دنى منه عرفها وكان قد راها
قبل الحجاب عظم عليه ذلك وقال انا لله وانا اليه راجعون حرم صلى الله
عليه وسلم فنزل من راحلته وناجها ثم ولى ظهره حتى ركبته ام المؤمنين
فجاء بها وهم قد نزلوا في منزل فرآوها معه وكان في الجيش رأس المنافقين
عبد الله بن ابي بن سلول فخاض في حديث الافك واذاعه وبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر فصعد رسول الله المنبر وقال ايها الناس
ما بال اناس يخوضون في عرض اهلي والله ما علمت على اهلي الا خيرا ويذكرون
رجلا ما علمت منه الا خيرا فوقع اللفظة وهمتا الانصار بالقتال واستمر
الامر على ذلك حتى نزلت الايات عصبة منكم هو ابن سلول وحسان ومسطح
واخرون والعصبة الرجال من العشرة الى الاربعين لا تحسبوه شرا لكم
الى الافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم ولكونه سببا لنزول
الايات مشتملة على الحكم ومحاسن الاخلاق لطفا بالسامعين والتالين الى يوم
القيمة الخطاب لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله وابي بكر
وعايشة وصفوان لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم جزاء له بقدر
خاضه فيه وافاض والذي تولى كبره معظمه منهم من اولئك الخائضين
له عذاب عظيم مكافاة على خيبته العظيمة لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا باخوانهم واخواتهم جعل المؤمنين كنفس واحدة
كقوله ولا تلمزوا انفسكم روي ان ابا ايوب الانصاري قال لزوجته يا ام
ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت انت بدل صفوان اكنت تظن يخرم
رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عايشة ما خنت رسول الله
فعايشة خير مني وصفوان خير مني وانما لفت الى الخيبة ليوبخ بالاعراض
وليصرح بالايمان الذي يوجب الاشتراك فيه الاتحاد والمحاماة وقالوا
هذا افك مبين اصريح جازمين بذلك حملا على الصلاح كما تقول المستيقن
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء كما هو الحكم في مثله فاذ لم يأتوا بالشهداء
فاولئك عند الله اي في شرعه هم الكاذبون ولولا الذي اوجب عليهم
الحد ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه لاشاع
الشيء لوجود غيره والاولى للتخصيص والمعنى ولولا اني قضيت ان
تفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم وفي الاخرة بالعفو والمغفرة
لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم لعاجلتكم على ما خضتم فيه من
الافك بعذاب يستحقر دونه الحد واللوم اذ تلقونه بالسنتكم اذ ظرف

لمسكم او افضتم وتلقي القول وتلقفه اخذه من الغير ومنه قوله تعالى
فتلقى ادم من ربه كلمات وتقولون بافواهكم من غير ان يستند الى ما
في القلب ما ليس لكم به علم بل مختص بافواهكم يجري على السنتكم لبسرة الا
وتحسبونه هينا سهلا وهو عند الله عظيم لنبيكم حبيبة حبيبه بما
هي عنه برتبة وقصدكم بذلك القدح في عرضه وخفض رفيع جنابه رتب
مس العذاب على الاثام ثلثة تلقي الافك بالالسنة والتحدث به من غير تحقق
واستحقار ذلك وعده هينا لا تقولون لذنب انه حقير فلعله عظيم عند الله
وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
اي لو لا قلتم وقت سماعكم المعنى كان الواجب عليكم اول ما سمعوه ان
تعرضوا عنه وتقولوا ما ينبغي لنا ان نتكلم به ولا يصح كقوله ما يكون لي
ان اقول ما ليس لي بحق سبحانك هذا بهتان عظيم تعجبا من شناعته
او تنزيها لله من ان يكون حبيبه موسوما بشين فضلا عما ذكروه فانه
هادم لعرضه منفر عن اتباعه بخلاف الكفر فانه ليس مما ينفر ولا يعود
شناعته عليه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ما دمتم ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يستدعي الاتصاف بما يلائمه من الصفات الجميلة
والاداب الحسنة وفيه توبيخ وتقريع على ما وقع منهم ويبين الله لكم
الايات الدالة على الحكم والاداب ومحاسن الاخلاق والله عليم كامل
العلم بالاشياء حكيم في كل ما تعلقت به ارادته ان الذين يحبون ان
تشيع الفاحشة اي تشيعوها عن قصد ومحبة في الذين امنوا لهم عذاب
اليم في الدنيا بالحد والاخرة بعذاب النار ان لم يتوبوا والله يعلم
وانتم لا تعلمون فان المحبة فعل القلب ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله رؤف رحيم كرره مع حذف الجواب لكونه معلوما وفي ايثار الرؤف
الرحيم ما يدل على ان هذا الذنب لا ينوسل الى رفعه الا بمحض رأفته وانه
اعظم من ان يرتفع بالتوبة اذ شتان بين ما يتعلقونه بافواههم ويجترئون
بقلوبهم يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اثاره
وما يدعوكم اليه من المعاصي قرأ بضم الطاء ابن عامر والكسائي وحفص
والقبل وهي لغة الحجاز والباقون بسكون الطاء وهي لغة تميم والضم
افصح واشهر ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر
علة للنهي عن اتباعه والفحشاء ما فرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع من
عطف العام على الخاص ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة
وشرع الحد ما زكى منكم من احد ابدا اخر الدهر اي ما ظهر من دنس الفا

الّتي ارتكبتموها لعظمها ويجوز ان يكون الخطاب عامًّا لهم ولغيرهم
اشارة الى ان من لم يحض فيها وظهر من دنسها انما كان بتوفيق الله
ولكن الله يزكي من يشاء بتوفيق التوبة او بالعصمة والله سميع
لاقوالهم عليم بالضمائر ولا يأتل اولوا الفضل منكم في الدين كان
من اهل الافك مسطح بن اثاثة وكان ابن خالة ابي بكر فلما نزلت الايات
في براءة عايشة حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان ينفق عليه فنزلت
والايتلاء افتعال من الالية وهي الحلف او من الالو وهو التقصير والمعنى
لا يحلفوا على عدم الاحسان او لا تقصروا فان تحسنوا والسعة في المال
ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف
واحد وهو مسطح فانه كان جامعا لها ويجوز ان يراد هو ومن يتصف بها
كايتاء من كان وليعفوا وليجاوزوا عما فرط منهم وليصفحوا وليعرضوا
عنه ولا يذكروه فانه يورث الوحشة بين المؤمنين الا تحبون ان يغفر الله
لكم كما غفر لهم سيئة اخيكم المؤمن ولما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الصديق فقال بلى احب ان يغفر الله لي واعاد النفقة على مسطح والله
غفور ذنوب عباده رحيم يجزل الثواب فتخلقوا باخلاقه ان الذين
يرمون المحصنات العفائف الغافلات عن الفاحشة او سلمات
الصدر الفطنات كقوله اكثر اهل الجنة بله المومنات بما يجب الايمان
به قدم عليه الغافلات لاقتضاء المقام ذلك لعنوا في الدنيا بان المومنين
والاخرة عند الله ولهم عذاب عظيم لا يقادر قدره يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يوم ظرف لعظيم
او لمعنى الاستقرار في لهم وقرا حمزة والكسائي بناء الغيبة وهو
اولى للفصل يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم اللائق بهم الثابت
ويعلمون ان الله هو الحق الثابت ذاته المبين الظاهر الواضح دلت
عليه ذوات الوجود ومن هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم ولقد
بالغ في ايعاد قاذفه عايشة بما لم يوعد به اهل الشرك وعبدة الاوثان
حيث اجمل وفصل وجمع بين انواع العذاب لعن الدارين والعذاب الذي
لا يحاط به في الاخرة والتفضيح الذي كل عذاب دونه في مشهد يوم
عظيم وعن ابن عباس انه كان يفسر القران بالبصرة فسئل عن هذه
الايات فقال كل من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا قاذفة
عايشة ولعله اراد التغليظ كقوله في قاتل المسلم عمدا انه يخلد
في النار الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين

والطيبون للطيبات اي الكلمات الخبيثات مثل القذف وسائر اقوال الفحش
مختصة بالرجال الخبيثين وكذلك الرجال الخبيثون مختصون بها وكذلك
الطيبات والطيبون هذا كلام مرجاري مجرى المثل كقوله ان الباطل كان زهوقا
فيتناول العايشة والقاله فيها ولا اولئك اي الخبيثات من النساء للخبيثين
من الرجال وكذلك الطيبات منهن للطيبين منهم وعايشة زوجة اشرف
الطيبين فاولى ان يكون طيبة اولئك اي اهل البيت او عايشة ورسول
الله وصفوان مبرءون مما يقولون اي اهل الافك من قاله السنو لهم
مغفرة من الله لذنوبهم ورزق كريم في الجنة قيل براء الله اربعة بارىء
براء يوسف بشاهد من اهلها وموسى من قول بني اسرائيل انه ادر بان فرا الحجر
بثوبه حتى راوه عريانا ما به باس ومريم بانطاق ولدها وعايشة بانزال
هذه الايات قلت هناك خامس وهو جريج الراهب حيث جاءت نعته من
بغايا بني اسرائيل بولد فقالوا لها ممن هذا فالت من جريج فاتوه وهدموا
صومعته واراد وا قتله فاستلهم عن سببه فاخبروه فتوضا وصلى
لله ركعتين ثم قال للطفل يا ابوس من ابوك قال الجالرا فقالوا ابنى صومعتك
بالذهب قال لا اعيدوها كما كانت يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا كان منشا حديث الافك وجود الخلوة في
موضع التهمة اردف الحديث بما يلايمه والاستيناس استفعال من الانس ضد الوحشة
فالمعنى حتى تودن لكم وضع الاستيناس موضعه لانه يراد فالاذن او
استفعال من ايناس اذا ابصر والمعنى لا تدخلوا حتى يستيقنوا بل يراد دخولكم
ام لا ومنه بيت النابغة على مستانس وحد ويجوز ان يكون من الانس
كانه يتعرف هل ثمة انسان ام لا وتسلموا على اهلها في ذلك الاستيذان
بان يقول ثلث مرات السلام عليكم فان اذن له والا رجع لما روي ابو موسى
ان رجلا استاذن على رسول الله فقال لخادمه اخرج الى هذا فعلمه
الاستيذان فقال له قل السلام عليكم ادخل وروى ابن جريج ان ابا موسى
الاشعري استاذن على عمر في خلافته ثلثا فلم يوذن له فانصرف فقال
عمر الم اسمع صوت عبد الله بن قيس فقالوا انصرف يا امير المومنين فاستدعاه
فلما حضر سئله عن الانصراف فقال كذا امرنا رسول الله فقال عمر اقم على
ذلك بينة والا ارجعتك ضربا فجاء ابو موسى الى جمع من الانصار واستشهدهم
فقالوا لا يشهد لك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري فصدق مقالة
ابي موسى وهذا عام في المحارم والاجانب لما روي ان رجلا قال يا رسول الله
اتاتي ليس لها خادم استاذن كلما دخلت قال ايحب ان تراها عريانة

قال لا قال فاستاذن ذلكم خير لكم الاستيذان والتسليم خير لكم من
الدخول بغيبه وتحية الجاهلية فانهم كانوا يدخلون بلا اذن ويقولون
حييتم صباحا وحييتم مساء كما فعله الجهلة اليوم فربما اصاب الرجل مع
امراته في اللحاف لعلكم تذكرون اى قيل لكم ذلك او انزل عليكم لكى
تتعظوا وتعلموا به فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم لان المنع عن الدخول ليس منحصرا ضرره في وقوع البصر
على ما لا يحل بل امانه او لان لا يطلع على امور لا يريد صاحب البيت اطلاع
احد عليها ولانه شبه الغصب والتغلب واذ قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا
تلحوا فانه يؤذى صاحب البيت ويجلب الوحشة والخجل هو ازكى لكم
اظهر من الدخول بغير اذن والوقوف على الباب لانه محل بالمروة والله
بما تعملون عليم وعيد ووعد ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير
مسكونة من الخانات والربط الموقوفة والخرب التى تدخلها لا لحاجة
فيها متاع لكم تمتع ومنفعة والله يعلم ما تبدون وما تكتمون تحذير
لمن اذن له في الدخول ان تدخل لغرض غير صالح قل للمؤمنين يغضوا من
ابصارهم ويحفظوا فروجهم عن ان يقع عليها بصر من لم يجز نظره وانما
زاد من في الاول واطلق الثانى لان وجوه الحل في الاول اكثر والامر
بالحفظ عن الابداء امر بالحفظ عن الافضاء الا على الازواج او من في
حكمها من الاماء لانه لا يوجد بدون الابداء انما حرم لكونه وسيلة الى
ذلك الافضاء وعليه ينطبق ما روى عن ابى زيد وابى العالية ان كل ما
في القرآن من حفظ الفروج اريد به الزنى الا هذا فانه اريد به التستر
وفي جعل الغض عن بعض المبصر غض لبعض البصر كناية لطيفة ذلك
ازكى لهم ابعد من الريبة ووساوس الشيطان إن الله خبير بما
يصنعون فعليهم الاتقاء في كل حركة وسكون ولما في خلقة الاعين
من الحكم فصل الآية بالتحذير الدال على العلم ببواطن الاشياء والصنع
الذى فيه مزيد اعتمال وفيه اشارة الى ان النظر هو الاولى من غير تعمد
لا يؤاخذ بها كما روى انه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى
رضى الله عنه الاولى لك والثانية عليك وقل للمؤمنات يغضضن من
ابصارهن ويحفظن فروجهن خصهن بالذكر وان كان الحكم معلوما لان
ما يحرم من الرجال يحرم منهن بالطريق الاولى لترتب عليه ما بعده من الاحكام
المختصة بهن ولا يبدين زينتهن كالحلى والثياب فصلا عن مواضعها
الا ما ظهر منها عندهن او له الاشياء كالثياب والحاجم وقيل المراد بالزينة

مواضعها على حذف المضاف وما ظهر منها الوجه والكفان عند عامة العلماء
ومنع ذلك الشافعى الا عند الضرورة والاصح ان هذا في الصلوة لا في النظر
كما سنذكره مفصلا وما ظهر منها في الصلوة هو الوجه والكفان وليضربن
بخمرهن على جيوبهن سترا للاعناق عن عروة بن زبير عن عايشة رضى
الله عنها قالت رحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزل وليضربن بخمرهن
على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها ولا يبدين زينتهن مواضعها
الا لبعولتهن ازواجهن فانهم المقصودون بكل زينة او اباءهن
او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن
او بنى اخواتهن لعدم خوف الفتنة لان الطباع ينفر عن مقاربة
الاقارب ولذلك يستحب ان لا يتزوج بقرابته قريبة وما يحل نظرهؤلاء
عليه ما يبدو في العادة عند الخدمة كالساعدين والساقين وما فوق
السترة وتحت الركبة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال اكتفاء بالاخوان
لانهم في معناهم او لان الافصل الستر منهم لئلا يصفوهن لابنائهم
فيورث الفتنة او نسائهن اى المؤمنات دلت عليه الاضافة وعن
ابى حنيفة الاطلاق لان المنع للفتنة ولا فتنة في نظر المرأة الى المرأة
واللفظ لا يساعده اذ لا فائدة في الاضافة حينئذ او ما ملكت ايمانهن
يشمل الاماء والعبيد وبه قال مالك والشافعى لما روى ابو داود ان
رسول الله وهب لفاطمة عبدا وكان عليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ
رجلها واذا غطت رجلها لم يبلغ راسها فقال ليس عليك بأس انما هو ابوك
وغلامك وعند ابى حنيفة هو كالاجنبى او التابعين غير اولى الاربة من
الرجال كالشيوخ الهرم ومن لا حاجة له في النكاح كالمخنث والبله الذين
لا يعرفون شيئا من امور النساء والاربة الحاجة او العقل والدهاء من ارب
الرجل بالضم اذا صار ذا خبرة او الطفل الذين لم يظهروا على عورات
النساء لم يطلعوا عليها ولم يعرفوا ما العورة لعدم التمييز من ظهر
على كذا اطلع لا من ظهر على كذا قوى عليه بمعنى انهم لم يقدروا على الوطى
لعدم توقف الحرمة على ذلك بل اذا صار مميزا حرم اتفاقا والطفل يقع
على الذكر والانثى مفردا كان او جمعا ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما
يخفين من زينتهن كانت النساء ذوات خلاخل فلما نهين على اظهار الحلى
نهين عن اظهار صوته ايضا لان الغرض دفع الفتنة وصوت الحلى
اليهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يخلوا حا
لان الاستقامة متعسرة او متعذرة او عما كنتم تفعلونه

فان الاسلام وان حبه فالاستمرار على الندم لازم الى ان يلقى عبد اربه
لعلكم تفلحون يفورون فى الثانين وانكحوا الايامى منكم خطاب للاولياء
والامر للوجوب عند الطلب وظهور الحاجة والا فالنكاح مستحب ابقاء
للنوع وفى الحديث تناكحوا تكثروا فانى ابا هى منكم الامم يوم القيمة ولو سقط
ولانه سنته صلى الله عليه وسلم وقد رغب فيه قال النكاح سنتى فمن
رغب عن سنتى فليس منى والايامى جمع ايم على القلب اصله ايايا ثم لان فيعلا
لا يجمع على فعال والايم من لا زوج له ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا
من ام الرجل اذا فرطت شهوته وفى الحديث نعوذ بالله من الايمة والعيمة
والصالحين من عبادكم وامائكم ذكر الصلاح للترغيب فى تحصين من همته
التحصن وليس بشرط كقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وفى الاية دليل
على ان المراة لا تلى النكاح والعبد بغير اذن مولاه ان يكونوا فقراء يغنهم
الله من فضله اى لا تكن فقر الخاطب والمخطوبة مانعا من الانكاح فان
فى فضله تعالى ما يغنى والمال غاد ورايح وليس الوعد به على اللزوم لانحاله
وان كل من تزوج يحصل له الغنى بل مشروط بمشيته تعالى لقوله يغنهم الله
من فضله ان شاء وعن عمر رضى الله عنه ابتغوا الغنى فى النكاح والله
واسع فضله بيده الخير كله عليم بمن يصلح له الغنى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا فى الارض وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا اى ليجتهد
فى العفة وقمع الشهوة من لا يجد اسباب النكاح روى مسلم والبخارى
عن عبد الله بن عمر ان رسول الله قال يا معشر الشباب من استطاع منكم
الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فانه له وجاء حتى يغنيهم الله من فضله تقدمه وعدهم من فضله والسعة
ان صبروا واستعفوا ومن يتوا الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
لعما ولا يغض ليصرا يعادا عن موقع الفتنة ثم بالنكاح الذى هو سبب التناسل
وتحصين الدين ان امكن ثم بالصبر وانتظار فضل الله الواسع والذين يبتغون
الكتاب مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
ترغيب فيه فى كتابة من يرى فيه اثار الخير والصلاح وليس بشرط وقيل المراد
بالخير القدرة على اداء بدل الكتابة ويسمى هذا العقد كتابة لانه يكون منجما
مؤجلا وجوبا كما قاله الشافعى او غالبا كما قاله ابو حنيفة والمؤجل يكتب
وآتوهم من مال الله الذى اتاكم من مال الصدقة وبيت المال لقوله تعالى وفى
الرقاب والكاتبون وعند الشافعى يجب حط شئ من بدل الكتابة ولا
يمنع ندب لاته القران فى الذكر ليس قرانا فى الحكم واليه ذهب

عمر بن الخطاب وانما حمل امر الكتابة على الندب لان عقود المعاوضة على الاختيار
ولفظ اتوهم يساعد ابا حنيفة لان وضع الدين لا يسمى ايتاء فان قلت من اين
للشافعى وجوبا التنجيم وعدم جواز الحلول قلت من ان المكاتب فى الحال لا يملك
شيئا ولا يقدر على البدل الا بالسعى والتكسب فلو كان حالا او غير منجم لصير
عليه وللشارع اغتنا بفك الرقاب ولذلك من اعتق شقصا سرى الى المجموع
وعليه خصته شريكه ان كان قادرا والا سعى العبد فى خلاصة بخلاف البيع
جزاء منه او وهب والاية نزلت فى حويطب بن عبد العزى كان له مملوك اسمه
الكاتبة ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء كانوا فى الجاهلية يشترون الاماء
يسا عين على هوا ليهن وكان لعبد الله بن سلول ست جوار معاذة ومسيكة
وامية وعمرة واروى وقتيله يكرههن على الزنى والفتيات جمع فتاة وهو
الامة روى البخارى ان رسول الله قال لا يقل احدكم عبدى وامتى كلكم
عباد الله والاماؤه ولكن ليقل فتاى وفتاتى ان اردن تحصنا ليس لكلام
مفهوم اما لان الاكراه انما يتصور عند ارادة التحصن او لانه معارض
بالاجماع وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالنادر وفيه بنى
على من اكرهها بان امته خير منه ولسه اولم يرد التحصن اكتفى ولم يرض بضده
لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا علة للنهى لا للنفى ومن يكرههن فان الله من
اكراههن غفور رحيم للمكروهات او له ان تاب فان قلت المكره لا يواخذ
بالاثم فما معنى المغفرة فى حقهن اسقاط العقوبة والاثم بعد الاكراه
وفيه اشارة الى ان المكرهة اذا كانت مع قيام العذر بصدد العقاب فما ظنك
بالمكره والمقول بان المراد بالاكراه ما لم يبلغ حد الاكراه الشرعى شئ لا يدل
عليه الكلام وكذا القول من الاكراه لا يمنا فى المواخذة بالذات استند لا لان
القصاص على المكره لانه حق العباد ولذلك سقط عنه حد الزانى والذى هون
عليه ان حق الله يسقط بالاكراه والخطاء والنسيان لقوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتى الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه دون حقوق العباد ولقد
انزلنا اليكم ايات مبينات موضحات فى الدلالة على الاحكام وقرا حمزة
والكسائى وابن عامر وحفص بكسر التاء اى يبين الاحكام والحدود ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم وهى قصة لعائشة رضى الله عنها فى العرابة تشبه غرابة
قصص الاولين كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين وليدا ما وعظ به فى
تلك الايات من قوله ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله وقوله لولا اذ سمعتموه
وقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا وقيل الايات القران والاخبار عن
صفاته الله نور السموات والارض اى منورهما هو الهادى

وَالْأَرْضِ بِنُورِهِ يَهْتَدِي ذُو الْعِنَايَةِ وَيُرْشَدُ ذُو الْغِوَايَةِ كَقَوْلِكَ زَيْدٌ كَرَمٌ وَعَمْرٌو
عَدْلٌ اَيْ ذُو كَرَمٍ وَعَدْلٍ دَلَّ عَلَيْهِ مَثَلُ نُورِهِ بِالْاِضَافَةِ اِلَيْهِ كَمِشْكٰوةٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ الْمِشْكٰوةُ الْكُوَّةُ فِي الْجِدَارِ غَيْرُ النَّافِذَةِ وَالْمِصْبَاحُ سِرَاجٌ ضَخْمُ ثَاقِبُ
فِي زُجَاجَةٍ فَتِيلُهُ مِنَ الزُّجَاجِ الزُّجَاجَةُ كَاَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ تَشْبِيهٌ كَوْكَبًا اَوْ هُوَ
اللَّوْنُ مَنْسُوبٌ اِلَى الدُّرِّ لِصَفَائِهِ وَتَلَأْلُؤِهِ كَهْرَةٍ وَسُهَيْلٍ وَالْمِرِّيخِ يُوقَدُ مِنْ
شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ اَيِ ابْتِدَاءُ ثَقْوِبِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ يُرِيدُ رُوِيَتْ ذُبَالَتُهُ
نُزِعَتْهَا وَمَعْنَى كَوْنِهَا مُبَارَكَةً اَنَّهَا نَبَتَتْ فِي الْاَرْضِ الْمُبَارَكَةِ وَهِيَ الْاَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ
الَّتِي بَارَكَ اللّٰهُ فِيهَا لِلْعَالَمِينَ وَقِيلَ بَارَكَ فِيهَا سَبْعِينَ نَبِيًّا زَيْتُونَةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ
فَاِنَّ الشَّامَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَقِيلَ لَا فِي مَشْرِقِ الشَّمْسِ عَلَى الدَّوَامِ وَلَا فِي
مَغْرِبِهَا بَلْ يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْهَا وَقِيلَ لَيْسَتْ مِمَّا يَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ فِي وَقْتٍ شَرْقِيَّةً
اَوْ غَرْبِيَّةً بِهَا فَقَدْ بِلَ تُصِيبُهَا بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَهِيَ شَرْقِيَّةٌ وَغَرْبِيَّةٌ يَكَادُ
زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ لِفَرْطِ صَفَائِهِ نُورٌ عَلَى نُورٍ اَيْ نُورٌ مُتَضَاعِفٌ
مِنْ وُجُوهٍ قَدْ تَنَاصَرَ فِيهِ الْمِشْكَاةُ وَالزُّجَاجَةُ وَالزَّيْتُ وَالْمِصْبَاحُ وَلَمْ تَبْقَ
مِمَّا يَزِيدُ النُّورَ وَيَمُدُّهُ بِالْاِضَاءَةِ بَقِيَّةٌ وَذٰلِكَ اَنَّ الْمِصْبَاحَ اِذَا كَانَ فِي مَكَانٍ
ضَيِّقٍ غَيْرِنَافِذٍ كَالْمِشْكَاةِ كَانَ اَجْمَعَ لِنُورِهِ وَالْقِنْدِيلُ اَعْوَنَ شَيْءٍ عَلَى الْاِضَاءَةِ
وَكَذٰلِكَ الزَّيْتُ الْمَوْصُوفُ مِثْلُ التَّوْحِيدِ وَشَرَائِعِ الْاِسْلَامِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الشَّمْعُ
وَالْعَقْلُ بِالنُّورِ فِي الْاِضَاءَةِ ثُمَّ بَالَغَ فِي الْمُشَبَّهِ بِهِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ دَلَالَةً عَلَى
الْمُبَالَغَةِ فِي الْمُشَبَّهِ فَكَمَا اَنَّ هٰذَا غَايَةٌ فِي الْمَحْسُوسِ مَا وَرَاءَهُ شَيْءٌ فَكَذٰلِكَ ذَاكَ
اَيْضًا غَايَةٌ فِي الْمَعْقُولِ لَيْسَ اَجْلَى مِنْهُ مَعْقُولٌ وَاِلَيْهِ اَشَارَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ
اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ نَشَرَ فِيهَا الْحَقَّ وَبَثَّهُ فَاَضَاءَتْ بِنُورِهِ قُلُوبُ اَهْلِهَا
وَقِيلَ الشَّجَرَةُ الْمُبَارَكَةُ رَسُولُ اللّٰهِ وَمَعْنَى كَوْنِهَا لَا شَرْقِيَّةً وَلَا غَرْبِيَّةً عَدَمُ
اخْتِصَاصِ دِينِهِ بِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ اَوْ مَكَانٍ غَيْرِ اٰخَرَ وَالْمِشْكَاةُ صَدْرُهُ وَالزُّجَاجَةُ
قَلْبُهُ وَالْمِصْبَاحُ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَا اَنَّ نُورَ الزَّيْتِ لَا دُخَانَ لَهُ وَكَذٰلِكَ عِرْفَانُهُ وَالْحَقُّ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ لَا يَشُوبُهُ بَاطِلٌ وَقِيلَ الشَّجَرَةُ الْمُبَارَكَةُ اِبْرٰهِيمُ لَا شَرْقِيَّةً وَلَا
غَرْبِيَّةً مَا كَانَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَالْمِصْبَاحُ الْمُتَوَقَّدُ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ رَسُولُ
اللّٰهِ وَقِيلَ فِيهِ تَاوِيلَاتٌ اُخَرُ وَهِيَ تَخَيُّلَاتٌ فَاَعْرَضْنَا عَنْهَا يَهْدِي اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ
اَيْ يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ لِاِصَابَةِ الْحَقِّ بِالنَّظَرِ وَالتَّدَبُّرِ وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ
بِاَنْ اَتَى بِالْمَعْقُولَاتِ فِي صُوَرِ الْمَحْسُوسَاتِ تَوْضِيحًا وَتَبْيِينًا وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
سِيَّانِ عِنْدَهُ الْمَحْسُوسُ وَالْمَعْقُولُ وَاِنَّمَا يُصَوِّرُ الْمَعْقُولَاتِ فِي صُوَرِ الْمَحْسُوسَاتِ لِيَسْهُلَ
فَهْمُهَا عَلَى الْمُتَوَسِّمِ قَرَاَ اَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ دُرِّيٌّ بِكَسْرِ الدَّالِ وَالْهَمْزِ عَلَى فُعِّيلٍ مِنَ الدَّرْءِ
لِكَوْكَبٍ دَفَّاعٍ اِذَا طَلَعَ بِغَتَةً مَعَ تَوَقُّدٍ وَانْتِشَارِ ضَوْءٍ وَقَرَاَ حَمْزَةُ وَاَبُو بَكْرٍ

بِضَمِّ الدَّالِ وَالْهَمْزِ عَلَى وَزْنِ فُعُولٍ كَسُبُّوحٍ وَالْبَاقُونَ بِضَمِّ الدَّالِ وَالتَّاءِ الْمُشَدَّدَةِ
مَنْسُوبًا اِلَى الدُّرِّ لِصَفَائِهِ وَبَيَاضِهِ وَزْنُهُ فُعِّيلٌ وَالْكَسْرُ مَعَ الْهَمْزِ اَفْصَحُ وَقَرَاَ
نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ بُورِقَ بِيَاءِ التَّذْكِيرِ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَاَبُو بَكْرٍ بِتَاءِ
التَّاْنِيثِ وَابْنُ كَثِيرٍ وَاَبُو عَمْرٍو تُوقَدُ مَاضِ تَفَعَّلَ فِي بُيُوتٍ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ
اَيْ كَمِشْكٰوةٍ فِي بَعْضِ بُيُوتِ اللّٰهِ وَهِيَ الْمَسَاجِدُ كَاَنَّهُ قِيلَ مَثَلُ نُورِهِ كَمَا تُرَى
فِي الْمَسَاجِدِ نُورُ الْمِشْكَاةِ الَّتِي مِنْ نَعْتِهَا كَيْتَ وَكَيْتَ اَوْ بِمَا بَعْدَهُ وَهُوَ يُسَبِّحُ اَيْ
يُسَبِّحُ لَهُ رِجَالٌ فِي بُيُوتٍ وَالتَّكْرِيرُ لِلْمُبَالَغَةِ وَالتَّوْكِيدِ كَقَوْلِكَ زَيْدٌ فِي الدَّارِ
جَالِسٌ فِيهَا اَوْ مَحْذُوفٌ نَحْوُ سَبَّحُوا اَوْ بُيُوتٌ قَيْدٌ تَقْيِيدًا لِلْمُمَثَّلِ بِهِ بِمَا يَزِيدُهُ مُبَالَغَةً
لِاَنَّ قَنَادِيلَ الْمَسَاجِدِ اَعْظَمُ وَمَصَابِيحَهَا اَضْوَاءُ لَا سِيَّمَا اِذَا اُرِيدَ الْمَسَاجِدُ
الثَّلٰثَةُ وَحُمِلَ التَّنْكِيرُ عَلَى التَّعْظِيمِ كَمَا قِيلَ اِذْنَ اللّٰهُ اَنْ تُرْفَعَ اَيْ بَنَى كَقَوْلِهِ
وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ اَوْ تُعَظَّمَ وَتُرْفَعَ قَدْرًا وَاِكْرَامًا كَذِكْرِ عَنِ
الْحَسَنِ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ لِيَشْمَلَ كُلَّ ذِكْرٍ حَتَّى الْمُنَاظَرَةَ فِي الْعِلْمِ اِذَا اُرِيدَ بِهَا
اِظْهَارُ الصَّوَابِ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْاٰصَالِ رِجَالٌ صِفَةُ مَدْحٍ ثَانِيَةٍ
لِبُيُوتٍ اَيْ يُنَزِّهُونَهُ وَتُقَدِّسُونَهُ فِي هٰذِهِ الْاَوْقَاتِ الشَّرِيفَةِ اَوِ الصَّلَوَاتِ
الْخَمْسِ فَالْغُدُوَّاتُ وَالْعَشَايَا لَمْ يُجْمَعِ الْغُدُوُّ لِكَوْنِهِ مَصْدَرًا فِي الْاَصْلِ وَالْاٰصَالُ
جَمْعُ اَصِيلٍ كَاَشْرَافٍ وَشَرِيفٍ وَقَرَاَ ابْنُ عَامِرٍ وَاَبُو بَكْرٍ يُسَبَّحُ بِفَتْحِ الْبَاءِ عَلَى بِنَاءِ
الْمَفْعُولِ مُسْنَدًا اِلَى اَحَدِ الظَّرْفَيْنِ الثَّالِثَةُ وَاِسْنَادُهُ اِلَى الْاَوَّلِ اَوْلَى وَرِجَالٌ
مَرْفُوعٌ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ يُسَبِّحُ كَقَوْلِهِ لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ التِّجَارَةُ تَشْمَلُ الْبَيْعَ وَالشِّرَى لِلرِّبْحِ وَاِنَّمَا اُفْرِدَ الْبَيْعُ لِاَنَّهُ
اَدْخَلُ فِي الْهَاءِ اِذِ الرِّبْحُ فِيهِ نَاجِزٌ مُسْتَيْقَنٌ وَفِي الشِّرَاءِ مَضْمُونٌ مُتَرَقَّبٌ وَاُطْلِقَ
التِّجَارَةُ عَلَى الشِّرَى اِظْلَاقًا لِلْجِنْسِ عَلَى النَّوْعِ بِقَرِينَةِ ذِكْرِ الْبَيْعِ وَقِيلَ التِّجَارَةُ
الْجَلْبُ يُقَالُ تَجَرَ اِذَا جَلَبَ الْمَتَاعَ نَزَلَتْ فِي الْمُهَاجِرِينَ فَاِنَّهُمْ كَانُوا تُجَّارًا قَالَ عُمَرُ
شَغَلَنِي الصَّفْقُ بِالْاَسْوَاقِ وَفِي الْحَدِيثِ التَّاخِيرُ فَاجِرٌ اِلَّا مَنْ اَتَى اللّٰهَ وَاَقَامَ
الصَّلٰوةَ حُذِفَتِ التَّاءُ الَّتِي كَانَتْ عِوَضًا عَنِ الْعَيْنِ لِقِيَامِ الْمُضَافِ اِلَيْهِ مَقَامَهَا
وَاِيتَاءِ الزَّكٰوةِ الْمَفْرُوضَةِ يَخَافُونَ حَالٌ كَوْنُهُمْ خَائِفِينَ اَوْ صِفَةٌ لِتِجَارَةٍ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ
الْقُلُوبُ وَالْاَبْصَارُ تَضْطَرِبُ مِنْ اَهْوَالِهِ كَقَوْلِهِ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْاَبْصَارُ
اَوْ تَتَقَلَّبُ مِنْ حَالٍ اِلَى حَالٍ فَيَعْقُبُهُ الْقُلُوبُ الَّتِي كَانَتْ فِي اَكِنَّةٍ وَتَبْصُرُ الْاَبْصَارُ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ لِيَجْزِيَهُمُ اللّٰهُ مُتَعَلِّقٌ بِيُسَبِّحُ اَوْ لَا تُلْهِيهِمْ اَوْ يَخَافُونَ
اَحْسَنَ مَا عَمِلُوا جَزَاءَ اَحْسَنِ اَعْمَالِهِمْ بِاَنْ يَجْزِيَ عَلَى الْاَدْنَى كَمَا يَجْزِي عَلَى الْاَعْلَى
وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ فَوْقَ جَزَاءِ الْاَعْمَالِ مَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِمْ تَفَضُّلًا وَاللّٰهُ
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ تَقْرِيرٌ لِسَعَةِ فَضْلِهِ وَاِشَارَةٌ اِلَى كَمَالِ الْحَدِيثِ

ونفاد مشيته وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ لما بين حال المؤمن وسعته سعيه في الدنيا وفي الآخرة من النعيم المقيم أردفه بذكر الكافر الذي يكد في العمل من غير أن يكون على الشرط من الايمان والاخلاص نشبه تلك الأعمال بالسراب وهو ما يلمع وقت الظهيرة في المفاوز عند شدة الحر من سرب اذا جرى كأنه ماء يجري والقيعة جمع قاع وهو المستوى المنبسط من الأرض يحسبه الظمآن ماءً فيسارع اليه ويحتمل الجهد والمشقة حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً من الأشياء لا ضحلا له وبلا شبه أو لم يجد ما كان نظنه من الماء ووجد الله عنده اي عقابه عند ذلك الموضع الذي كان يظنه ماء فإن قلت الضمير في قوله جاءه ولم يجده ووجد الله للظمآن فكيف رتب عليه قوله فوفيه حسابه وذلك انما هو للكافر قيل الغيمة قلت المراد بالظمآن هو الكافر الذي غلبه العطش بالساهرة وقد غشيها السراب من شدة الحر فيحسبه ماء فاذا جاءه لم يجد ما رجاه بل يرى الزبانية فيأخذونه الى جهنم ويسقونه ماءً حميماً والله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن وفي الحديث يسأل الخلائق في مقدار حلبه شاة وقيل كناية عن قرب الساعة كقوله اقترب للناس حسابهم أو كظلمات عطف على كسراب أو للتخيير كما في قوله أو كصيب شبه او لا تلك الاعمال بالسراب المرئي من مكان بعيد في عدم النفع مع الجهد البالغ والكد في الطلب ليته كان كما قال بل وجد خلاف ما كان يرجوه من الحميم والغساق وثانيا بالظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض طلوعها عن نور الايمان وضياء الحق عكس عمل المؤمنين الموسسته على الايمان والاخلاص التي هي نور على نور في بحر لجي عميق شديد العمق منسوب الى اللج وهو معظم البحر يغشاه اي البحر موج ما يرتفع عند اضطرابه البحر من فوقه موج اعظم منه وأعلى من فوقه سحاب غمام فدرك الموج وجب انوار النجوم ظلمات بعضها فوق بعض قرأ ابن كثير بإضافة سحاب وجر ظلمات في رواية البزي وبالتنوين وجر ظلمات على انه يدل من الاولى في رواية قنبل إذا أخرج يده لم يكد يراها لم يقرب رؤيتها فضلا عنها كقوله ذي الرمة اذا غير الهجر المحبين لم يكد رسيس الهوى من حبة منه يبرح الضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة الكلام عليه ومن لم يجعل الله له نورا لم يرفعه ولم يهده فما له من نور شيء منه وكما وصف نور الحق بست صفات دالة على كماله وصف ظلام الباطل بست جحاب دالة على شدة ظلمته وغاية شحمته ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض استطرد بعد ذكر تسبيح

الرجال تسبيح اهل السموات والأرض تعميما واظهارا للعظمة والكبرياء الاستغهام للتقرير وعلمه بذلك من قوله وإن من شيء الا يسبح بحمده وفي ذكر من تغليب لذوي العقول وقيل المراد الملائكة والانس والجن وبردها قوله والطير صافات اي حال كونها في الهواء باسطة اجنحتها فاذا كانت تسبح في تلك الحالة وهي مظنة الاشتغال فما ظنك بغيرها وفيه الدلالة على كمال قدرة الصانع لان وقوف الاجرام السفلية في الجو دليل ظاهر على ذلك كل قد علم صلوته وتسبيحه كل من المذكورات قد علم الله دعاءه وتقديسه ولكن لا يفقهون تسبيحهم أو كل واحد قد علم صلوة نفسه لله تعالى وتقديسه والله عليم بما يفعلون لا يغرب عنه شيء تذييل على الاول يؤكد علمه بخلقهم وتكميل على الثاني لانه دل على العلم البالغ بعد ما قدم ما يدل على القدرة الكاملة ولله ملك السموات والأرض مختص به لا شريك له فيه والى الله المصير للجزاء ألم تر ان الله يزجي سحابا يسوقه ومنه التضاعة المزجاة لانها غير مرضية يرجيها كل احد الى آخر دليل آخر على كمال صنعه تعالى ثم يؤلف بينه بين اجزائه المتفرقة ثم يجعله ركاما مركوما بعضه فوق بعض فترى الودق يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال جمع جبل والودق المطر من ودق اذا قطر قال شعرا فلا من له ودقت ودقها وينزل من السماء من جبال فيها فالسماء الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الأوليان للابتداء والثالثة للتبعيض والمفعول محذوف اي ينزل منها بردا فيصيب به البرد من يشاء صفوية له ويصرفه عمن يشاء سلامته وقيل الضمير للودق اي يسوقه من يشاء يسقيه ويصرفه عمن يشاء حرمانا والأول هو الوجه يكاد سنا برقه ضوء برق السحاب يذهب بالابصار لفوته يقلب الله الليل والنهار يذهب باحدهما ويأتي بالاخر أو يخالف بينهما بالطول والقصر او النور والظلمة أو يعتور احدهما على الآخر فيهما اي في ذلك لعبرة لاولي الابصار لدلالته يعتبر بها اهل العلم بوجود الصانع القادر ذوي البصائر والله خلق كل دابة من ماء مثل خلقه ويسقي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل أو لاختلاف السماء والارض على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وثانيا باختلاف الاثار العلوية وثالثا باختلاف الحيوانات المختلفة الانواع والاشكال والاختلاف مع اتحاد الاصل والمنشأ فان قلت كيف خلق من غير ماء آدم من تراب وعيسى من نفخ جبريل والجن من النار اصل الكل من الماء على ما روي ان الله تعالى اول ما خلق جوهرة فنظر اليها

بالهيئة فدابة ماء فمن ذلك الماء يكون النار والنور والهوى والتراب
فليس من ماء صفه دابة وليس صلة خلق والمعنى كل دابة متولدة من ماء
فهي مخلوقة لله تعالى وهذا اوجه حسن واوفق بكبير الماء المراد به نطفة
ابنه اول الماء المختص بتلك الدابة فان قلت فعلى هذا المعنى كل دابة متولدة
من ماء مخلوقة لله تعالى ومفهومه ان ما ليس كذلك ليس مخلوقا له قلت
ذلك المفهوم ملقى في مقابلة القاطع ولان الماء الذي به الحيوة اذا كان
المتولد منه يحتاج الى الصانع فالغير من باب الاولى فمنهم من يمشي على
بطنه كالحية ومنهم من يمشي على رجلين كالانسان ومنهم من يمشي
على اربع كسائر الحيوانات قدم الابدع واطلاق المشي على الزحف للكل
او استعمال المقيد في المطلق استعارة او مجازا مرسلا يخلق الله ما يشاء
ما تعلقت به ارادته كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير كامل القدرة
سواء كان الشيء حقيرا او خطيرا لقد انزلنا ايات بينات هي المذكورات
من قوله الله نور السموات الى هنا قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
بكسر التاء والله يهدي من يشاء هدايته الى صراط مستقيم موصل
اليه وان كانت الايات الدالة عامة للكل فان ملاك الامر التوفيق ويقولون
امنا بالله وبالرسول اشارة في اثناء قصة المنافقين الى الجملة من دلائل
التوحيد الدالة على النعم الجسام والوعيد الشديد توكيدا للتوبيخ ثم عاد
الى عد طائفة اخرى من مثالبهم والاية نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه
اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا المنافق الى كعب بن الاشرف
وقيل نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه
خصومة في ماء وارض فقال المغيرة لا احاكم الى محمد فانه يبغضني فاخاف
ان يحيف علي وكان يظهر انه مؤمن به واطعنا اي الله والرسول ثم
يتولى فريق منهم من بعد ذلك ثم للاستبعاد بعد ذلك القول وما اولئك
بالمؤمنين رد لقولهم كانهم لا المتولي وحده وان كان التولي اول على
واغرق في الكفر او نعي التولي وفائدة الاخبار عنهم بانهم ليسوا مؤمنين
مع العلم بانهم بعد التولي لا يفارقهم البتة عليهم بانهم يقولون شيئا ثم
ينوونه بما بعده واذا دعوا الى الله ورسوله ذكر الله للتعظيم والحاكم
رسوله للقرينة ليحكم بينهم كقولك اعجبني زيد وكرمه اذا فريق منهم
معرضون اذا كان الحق عليهم اذا فجائية دالة على فرط كفرهم حيث لم يتوقفوا
بعد علمهم ان الحق عليهم لحجة طرف وان يكن لهم الحق ياتوا اليه الى رسوله اقبل
او متعلق بمعرضون يقوله مذعنين اي ان يات ان الحق لهم لم يرضوا الا لحكمك

اليك يسرعون لا الى غيرك وهذا اوجه لدلالته على شدة نفاقهم افي قلوبهم
مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله قسم الامر في ضلالهم
ثلثة اقسام لان الخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما موجود او مترقب
ومنصب النبوة ينافي الاخيرين فتعين الاول فالاضراب عن الاخيرين بل
اولئك هم الظالمون اشارة الى القسم الاول واثبات لمرض القلب وهو النفاق
على ابلغ وجه او اضراب عن الاخير وحده بدليل انهم يسارعون اليه اذا كان
الحق لهم وذلك ناقض لتوهم الخيف منه بل اعراضهم لكونهم منافقين مرتابين
او اضراب عن نفس التقسيم والمعنى دع التقسيم واحكم بانهم الجامعون
لتلك الاوصاف الكاملون في الظلم انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا سواء كان الحق عليهم او لهم
واولئك هم المفلحون لا غير ومن يطع الله ورسوله فيما يامران به كائنا
من كان اي وقت كان وقع لتوهم اختصاص الفلاح بمن كان في عصره ويخشى
الله اي عقابه ويتقه بامتثال اوامره والاجتناب عن المعاصي وعن ابن
عباس رضي الله عنه من يطع الله في فرايضه ورسوله في سننه ويخشى الله
على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما بقي من عمره قرا ابو عمرو وابو بكر وحفص
وعن حمزة في وجه بسكون الهاء اما لان العرب تسكن هاء الضمير اذا تحرك
ما قبلها نحو ضربته على ما نقل الفرا او حملا على تاء الضمير على ما قاله الفارسي
واجراء للوصل مجرى الوقف والباقون بالكسر مع الاشباع الا حفصا وهشاما
وقالون روما للتخفيف والاشباع هو القياس والقرد حفص بايكا القاف
قاسا على كنف فاولئك هم الفايزون بكل بغيه وافسموا بالله جهد ايمانهم
الضمير للمنافقين فان ذكر المؤمنين كان استطرادا للتقابل وتباين
والمعنى استغرقوا جهدهم في الايمان الكاذبة بعد ذلك التولي والاعراض
كما هو دابهم في النفاق وجهد مصدر مبين بفعل منهم كصوب الوقاب لئن امرتهم
ليخرجن جواب القسم والمعنى انهم كاملون في الايمان بحيث لو امرتهم
بالخروج عن الديار وفي الاموال لفعلوا قل لا تقسموا كاذبين فان ذلك
تحمل انتم فوق اخر طاعة معروفة المطلوب منكم طاعة معروفة كطاعة
المخلص او طاعتكم معروفة باقوالها لا بالقلوب دون الفعل فلا حاجة الى الايمان
او طاعة معروفة امثل بكم من هذه الايمان الكاذبة ان الله خبير بما تعملون
مطلع على ضمايركم فيجازيكم عليها قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واتركوا
النفاق لم يقل واطيعوني اشارة الى ان كونه رسولا هو المقتضي للاطاعة
فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ابتداء كلام منه تعالى لقوله

فانما عليه دون عليك والمعنى ان توليتم لاضر عليه لانه ادى ما عليه وعليكم غضب الله وسخطه باعراضكم وان تطيعوه تهتدوا الى الحق وتحرزوا نفوسكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الموضح لما كلفتم به وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب لرسول الله ومن بيانية وقيل تبعيض لقوله وان تطيعوه تهتدوا بيانا لما لهم في العاجل والاجل ترغيبا ومن للتبعيض وفيه ان امنوا بالاباء وحمله على المترقب لا يلائم مع ان الخلفاء لم يكونوا من اولئك المقسمين فان قلت لم وسط الجار والمجرور بين الايمان والعمل الصالح هنا واخره في سورة الفتح قلت اشارة الى ان الاصل في الاستخلاف هو الايمان ولذلك لا ينعزل الامام بالفسق وتصح ولاية ذي الشوكة الفاسق خلافا للمعتزلة والاجر الموصوف بالعظيم فان الايمان والعمل الصالح اصلان فيهما ليستخلفنهم في الارض يجعلهم خلفا فيها جواب قسم مقدر كما استخلف الذين من قبلهم بني اسرائيل اورثهم ملك فرعون بمصر والعمالقة بالشام وناهيك ملك داود وسليمان وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم دين الاسلام لقوله ورضيت لكم الاسلام دينا وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا فان رسول الله واصحابه لما كانوا بمكة حالهم في الخوف ومقاساة الاعداء معروفة ولما كانوا بالمدينة كانوا خائفين من ملك غسان وكان اهل النفاق يرجفون الاخبار حتى انزل الله فيهم لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة فانجز الله وعده ونصر عبده فاورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم يطؤها وكان الله على كل شيء قديرا يعبدونني لا يشركون بي شيئا حال من الذين لتقييد الوعد بثباتهم على التوحيد والاستيناف لبيان مقتضى الاستخلاف والامن ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق حيث كفروا تلك النعم العظام واقيموا الصلاة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون عطف على اطيعوا الله والفاصل ليس باجنبي بل هو وعد على المامور به مع ان الاصل في العطف مغايرة المعطوف عليه والفاصل يؤكدها اذ في المحاورة مظنة الانصال وكررت طاعة الرسول مبالغة في ايجابها وليرتب عليه الرحمة ثانيا كما رتب عليها الهدى اولا لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض خطاب لرسول الله توكيد لذلك الوعد وقرا ابن عامر وحمزة بياء الغيبة اما باسناد الفعل الى الذين كفروا على ان معجزين في الارض مفعولاه كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض او على حذف المفعول الاول اى لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين او في الفعل ضمير الرسول لتقدم ذكره

والخطاب وجه لعدم الحذف ولكونه ابلغ تسلية ومن جوز ان يكون الفاعل في قراءة الياء الذين كفروا لم يصب لان قراءه الخطاب لا احتمال فيها للغير رسول الله ولا يمكن تانيث الفعل المسند الى الذين ومأواهم النار عطف على مقدر كانه قيل مقهورون في الدنيا بالاستيصال مجزيون في الاخرة بعذاب النار او في محل النصب على الحال كانه قيل مراتى لك او للكافر هذا الحسبان والحال ان النار معدة لهم ولبئس المصير المأوى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم متصل بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول والافراد بالذكر لانه من الآداب فربما يتساهل فيه وقيل رجوع الى الاحكام السالفة التي صدرت السورة بها بعد الفراغ من الاشتيات والوعد والوعيد والخطاب للرجال وتدخل النساء بالطريق الاولى لان التستر بهن اولى نزلت في عمر بن الخطاب كان قائلا وقت الظهر متحرزا عن الثياب فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو غلاما من الانصار فدخل على عمر من غير اذن فقال عمر وددت ان الله نهى اولادنا وخدمنا من الدخول في هذه الساعات الا باذن فلما جاء رسول الله وجده قد نزلت عليه وقيل نزلت في اسماء بنت مرثد دخل عليها غلام كبيرها فكرهت دخوله في ذلك الوقت فشكت ذلك الى رسول الله فنزلت والذين لم يبلغوا الحلم منكم اى الصبيان من الاحرار الذين لم يبلغوا حد الرجولية فعبر عنه بالحلم لانه احد دلائله ثلث مرات في ثلث اوقات من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع والثياب فيه التجرد عن ثياب اليقظة وحين تضعون ثيابكم للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من الثياب والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اى هذه ثلث عورات او ثلث عورات مبتدا خبره لكم وقرا حمزة والكسائي وابو بكر ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات وتسميتها بالعورات لكونها مظنة لها وكل عيب وخلل عورة ومنه في الحديث لا يوخذ في الزكاة هرمة ولا ذات عوار اى عيب وخلل واعور الفارس اذا وجد منه خلل في لبسه وسلاحه ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد الاوقات الثلث صفة ثلث عورات اى قرئ بالرفع ابتداء وتعليم اياهن عورات مخصوصة بالاستيذان ليس وراءهن جناح واستيناف يوكد الامر بالاستيذان في تلك الاوقات اى قرئ بالنصب فان قلت هلا جعل وصفا في قراءة النصب كما في قراءة الرفع قلت اذا امر بالاستيذان في الاوقات الثلثة فقد حصل الغرض سواء وصفت بان لا حرج وراءها او لم توصف فيضيع الوصف بخلاف الرفع فان الوصف للخبر المقصود والاستيناف على

على اطلاقه كما فى النصب والاية فى الصبيان والمماليك وايته الاستيذان الثلثة
فى الاحرار البالغين فلا تناقى فلا نسخ طوافون عليكم التعليل لدفع الحرج
اذ كثرة المداخلة مع الاستيذان فى الاوقات كلها يوجب الحرج بعضكم على
بعض مبتداء وخبر اى بعضكم يطوف على بعض كذلك يبين الله لكم الايات
سائر الايات فى الوضوح والجلاء والله عليم كامل العلم حكيم فيما
شرع لكم من الاحكام واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن
الذين من قبلهم اى الذين بلغوا من قبلهم السن الذى يبلغ فيه الغلام عند
ابى حنيفة ثمانى عشرة سنة والجارية سبع عشرة والشافعى وعامة العلماء
خمس عشرة سنة فى الغلام والجارية وروى عن على رضى الله عنه انه كان يقدر
العامة خمسة اشبار واليه اشار الفرزدق فى قوله وادرك خمسة الاشبار
واستدل به من اوجب الاستيذان على عبد البالغ اذا دخل على سيدته ولا دليل
له فيه لان المراد بهم ما عدا المماليك من الاحرار لتقدم المماليك فى الذين
ملكت ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره مبالغة
فى شان الاستيذان واضاف الايات اليه تعالى زيادة توكيد لان الاستيذان
مما يتساهل فيه وعن ابن عباس رضى الله عنه ثلث ايات جحدهن الناس الاذن
كله وان اكرمكم عند الله اتقاكم وانا حضر القسمة اولوا القربى وعن ابن مسعود
رضى الله عنه عليكم ان يستاذنوا على اباتكم وامهاتكم واخواتكم والقواعد
من النساء جمع قاعدة اى خانات فعود كطالق وحارض وهى المسنة من النساء
يقعدن فى البيت لعدم استطاعة الدخول والخروج اللاتى لا يرجون نكاحا لعدم
رغبتهن فيه او لعدم رغبة الرجال فيهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن
الثياب الظاهرة كالجلباب والملحفة دخول التاء فى الخبر لان اللام فى القواعد
موصولة غير متبرجات بزينة الزينة الخفية لسبق العلم باختصاص الحكم بها
والتنكير لافادة الشيوع وان زينة ما وان قلت داخلة فى الحكم والتبرج
التكلف فى اظهار الزينة من البرج بفتح الراء وهو سعة العين اى اظهار احداق
بياضها بسوادها وفى الحديث فى وصف عمر بن الخطاب كان طوالا ابرج
وان يستعففن خير لهن من وضع الثياب رغب فى الافضل والتقوى بعد
بيان الاباحة على نمط الفتوى والله سميع اقوالهن عليم باحوالهن
تحذير لهن عن التجاوز فى الاقوال والافعال وقدم ما يتعلق بالقول اهتماما
كما فى الحديث ان معاذ بن جبل قال رسول الله هل نؤاخذ بما نقول بالسنتنا قال
ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم
لا سيما النساء فان الغالب عليهن كثرة اللغو فى الكلام والخوض فيما لا يعنى

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كان المؤمنون
لا يتحاشون فى ادخال ذوى العاهات على فرباتهم وانصدقائهم واطعامهم
مما يطعمون ثم كره الطاعم والمطعم ذلك فانه اكل مال الغير بالباطل فتحرجوا
فقيل لهم ليس ذلك من الاكل بالباطل وقيل كان ذوو العاهات يتحرجون من مواكلة
الاصحاء استقذارا لانفسهم لان الاعمى لا يحسن تناوله الطعام عن نوع شين
وكذلك الاعرج فى جلوسه والمريض عن كراهة رائحة ونحوها اولان الاعمى
لا يرى الطعام والمريض لا يستوفى الاكل والاعرج لا يتمكن من الجلوس وربما
يخرجوا ليلا يظلمونهم وقيل كانوا اذا غزوا خلفوا على اموالهم وتعلقاتهم
القاعدين عن الغزو وكانوا ياذنون لهم فى الاكل منها فيتحرجون حكى ان للزهرى
ابن عمر وخرج غازيا وخلف على امواله مالك بن زيد فلما رجع راه مجهودا
فساله عن ذلك فقال لم تكن عندى شئ ولم اكل من مالك شيئا وقيل الاية
فى القاعدين عن الغزو والاعذار وعلى هذا وجه العطف فى قوله ولا على انفسكم
ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او
بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم الجامع بين المعطوف والمعطوف عليه كون كل منهما منفيا عنه
الحرج كما انا استغناك مسافر عن جواز الافطار وحاج عن تقديم الرمى على
الحلق قلت ليس على المسافر حرج فى الافطار ولا عليك ايها الحاج فى تقديمك
فان الفضيلتين وان تباينتا كل التباين اذا تقاربتا فى الاحتياج الى البيان قوى
الجامع والذى دعا الى ذكر بيوتكم امران ان يعطف عليه غيره واكتفاء بذكره
عن ذكر بيوت الابناء للحديث المشهور انت ومالك لابيك او ما ملكتم مفاتحه
كناية عما تحت يد الوكيل والقيم والامين او صديقكم يطلق على الواحد
والجمع كالخليط والقطين وهذا اذا دل الحال على الرضا كما كان ذا بالسلف
حكى ان الحسن دخل دار بيوما فراى جماعا من اصحابه قد اخرجوا من تحت سريره
سلالا فيها اطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فاستاذن وجعل وقال
هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة من البدريين وقد روى
ان الشافعى كان يذهب الى بيت الزعفرانى ويقيم عنده فى بيت الكتب تماما
وكان ذاب الزعفرانى ان يكتب صبيحة كل يوم ما يطبخ فى بيته على ورقة دينا
ولها جارية ليسلمها الى الطباخ فوجد يوما فى السماط طعاما لم يكن كتبه
فسال عن ذلك فاخبرت الجارية ان الضيف اخذ منها الورقة وزاد فيها ذلك
الطعام فقال ان كنت صادقة فانت حرة لوجه الله على بالورقة فاتوا بها
فوجدا الامر كما اخبرته عليها ملحق بخط الشافعى وعن ابن عباس رضى الله عنه

الصديق اكبر من الوالدين الا يرى ان اهل النار لم يذكروا الاباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا نزلت في بني عمرو بن ليث من كانة كانوا يحرجون ان ياكل الرجل وحده وقيل من الانصار كانوا لا ياكلون الا مع الضيف وقيل كانوا يحرجون من الاجتماع على الاكل لتفاوت تهمة الناس فاذا دخلتم بيوتا من هؤلاء البيوت وغيرها ولذلك نكره فسلموا على انفسكم على من فيها فان المؤمنين كنفس واحدة تحية من عند الله مشروعة باذنه او متعلق بتحية لان السلام دعاء بالسلامة والحياة للمسلم عليه من الله وانتصابه على المصدر كقعدت جلوسا مباركة يرجى بركتها طيبة يوجب الانس ويطيب بها قلب السامع وليس كل روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اي افضل خصال الاسلام فقال اطعام الطعام افشاء السلام وهذا السلام مشروع سواء كان في البيت احد او لا وقيل اذا لم يكن فيه احد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد وليس فيه احد فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كذلك يبين الله لكم الايات كررته تفخيما للاحكام المذكورة وجعل الفاصلة للاولين العلم والحكمة المقتضيان لتبيين الاحكام وهذا اما هو المقصود من ذلك البيان وهو قوله لعلكم تعقلون اي يفقهون في الدين في البخاري من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله يريد الكاملين في الايمان واذا كانوا معه على امر جامع وصف الامر بالجامع مجازا والمراد ما يكون الاجتماع لاجله كالجمعة والعيد والمشاورة في مهم لم يذهبوا حتى يستاذنوه لقوة ايمانهم لا يأتون ولا يذرون الا باذنه ان الذين يستاذنونك اولئك يؤمنون بالله ورسوله صدر الكلام اولا بانما المعتد للحصر واوقع الموصول خبرا عنه محيطا بالايمانين ثم اعاد الكلام على وجه دل على ان مصداق الايمان هو الاستيذان وفيه تعريض بان المنافق المعلل ليس من الايمان في شيء فاذا استاذنوك لبعض شانهم لمهم تعرض لهم فاذن لمن شئت منهم واستصوبت له الاذن فوض الامر اليه في الاذن والمنع اجلالا له واستغفر لهم الله مكافاة لهم على بذل الطاعة لك وفي الحديث من اسدى اليكم معروفا فجازوه بمثله فان لم يقدروا فكافوه بالدعاء وقيل الاستغفار لهم على الاذن فانه ترك الافضل لانه اشتغال بامر الدنيا ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بهم حيث بنا امرهم على اليسر وارسل اليهم من يستغفر لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فتتفرقون بغير اذنه توكيد لامر الاستيذان اولا

اولا تجعلوا دعاءه كما اياه كما هو المتعارف يا فلان يا فلان تدعونه باسمه باسمه بل قولوا يا رسول ويا نبي الله بالفاظ تدل على التعظيم كما خاطبه الله بها يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر لم يخاطب الله نبيا من الانبياء الا باسمه العلم يا نوح يا ابرهيم يا موسى الا هذا المختار فانه لم يخاطبه الا بتلك الالقاب الشريفة اولا تجعلوا دعاء الرسول واستغفاره لكم مثل دعاء بعضكم لبعض والاستغفار له فانه مستجاب حتما قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قليلا مثل تدرح وتدخل مصدر لاوذ الرجل تستر بغيره ادخل قد على الفعل تحقيقا وتوكيدا لثبوته ليكون ذريعة الى تحقق الوعيد فليحذر الذين يخالفون عن امره يعرضون عن طاعته فيشمل الامر الجامع وغيره وعن الاخفش ان عن صلة وقيل بمعنى بعد كقوله طبقا عن طبق وقيل يخالفون عن امره اي يصدون عنه المؤمنين فحذف المفعول لعدم تعلق المقصود به ان تصيبهم فتنة في الدنيا بالقتل والاسر او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة ظاهر الاية ان الامر للوجوب عند عدم الصارف الا ان لله ما في السموات والارض خلقا وملكا قد يعلم ما انتم عليه الخطاب للمنافقين او عام لهم ولغيرهم ويوم يرجعون اليه اي المنافقون للجزاء التفات على الاول فينبئهم بما عملوا بالتوبيخ والمجازاة والله بكل شيء عليم افتتح السورة بقوله انزلنا فيها ايات بينات وختمها بقوله انما المؤمنون اشارة الى ان المنتفع بتلك الايات المؤمن الذي سلم كله الى صاحب الشريعة لا يعلم دون اشارته ولا يجرم وقد اوردت بعض كلام المشايخ هذه في بحث اذا بالمريد مع الشيخ تمت السورة والحمد لله على ما انعم

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تعالى وتزايد خيره من هذا فعله اصله من برك البعير اذا الق بركه وهو الصدر ففيه معنى الكروم ومنه البروكاء لمكان الحرب والبركة لمجلس الماء ولما كان القرآن الكريم خيره ومنافعه لا يحصى وهو اصل الدين والشريعة الدائمة الى انقراض الزمان وصف به من نزله تعالى ولا يوصف به غيره ولا ينصرف فيه والفرقان علم للقرآن لانه يفرق بين الحق والباطل او لانه مفصول بعضه عن بعض بحسب الاحكام او في النزول منجما ليكون للعالمين نذيرا اي للعبد او القرآن والتاء للمبالغة او الضمير لقولهم بعده اساطير الاولين الذي له ملك السموات والارض بدل من الموصول الاول او مدح مرفوع

أو منصوب ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك كما توهمه أهل الضلال
وخلق كل شيء اوجده مراعى فيه التسوية فقدره تقديرا هيأه لما ينبغي
به من الافعال والمكلفات وان شئت فتامل في الانسان لما كان مكلفا بمعرفة الصانع
والقيام بعبادته كيف أفاض عليه القوى المدركة والنطق للافهام وقبل
قدره للبقاء الى اجل مسمى واتخذوا من دونه الهة اليهود والنصارى
والمشركون والمجوس لما بين انه تفرد بالالوهية اتخذ في مقابلة من ضل عن
السبيل واتخذ له شريكا لا يخلقون شيئا قط وهم يخلقون مخلوقون
وايثار المضارع لاستحضار تلك الحالة ولا يملكون لانفسهم ضرا دفع ضر
ولا نفعا ولاجلب نفع قدم دفع الضر لانه اهم عند العاقل وعكس في قوله
يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم لان غرض العبد من عبادته
هو النفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا وانما لم يقدروا على دفع
الضر عن انفسهم وجلب النفع لها فهم عن هذه الامور بمعزل ولا يصلح للالوهية
الا من هذا شانه وافعاله وقد روعي الاقرب فالاقرب في الترتيب وقال الذين
كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه اثر المظهر اشارة الى ان الباعث
على هذا القول هو الكفر افتراه اختلقه قصدا واعانه عليه قوم آخرون
اراد وا العداس مولى الحويطب بن عبد العزى ويسارا مولى العلاء بن الحضرمي
وابا فكيهة الرومي وقوما آخرين من اهل الكتاب فراوا قصاصا نصارى الامم الدارجة
فقد جاؤا ظلما عظيما حيث جعلوا الكلام المعجز مفترى وزورا حيث نسبوا
الافك به الى الزور وقالوا اساطير الاولين انما اتى به جمع اسطورة كاحدوثة
جمع احدوثة كانوا حيانى في مرة نارة يقولون شعر ونارة سحر واخرى مفترى
واساطير الاولين وهكذا شان المبطل لا يستقر على حال اكتتبها فهي تملى
عليه بكرة واصيلا اراد كتبها لنفسه فهي تلقى عليه طرفي النهار وهو
يكتبها او قد كتبها فهي في كتاب عنده تلقى اليه طرفي النهار للحفظ قل انزله
الذي يعلم السر في السموات والارض مشتملا على المغيبات التي لا يعلمها
غيره مما خلا عنه كتب الانبياء فكيف يكون اساطير الاولين او مختلقا انه
كان غفورا رحيما ولذلك انزله اليك وارسلك به نذيرا او لكونه غفورا رحيما
لزيغهم بالعذاب مع استحقاقهم وقالوا مال هذا الرسول اتفقت المصاحف
على فصل اللام والوقف فيه ان اللام الجارة كلمة مستقلة فنبهوا على ذلك في
مواضع ياكل الطعام ويمشي في الاسواق كسائر الناس وهذه شبهة واهية
ذكروها في مواضع بعبارات مختلفة ردها الله تعالى بانواع الاجوبة القاطعة
منها ما سياتي عن قريب قوله وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون

الطعام ويمشون في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا يعاونه
على الانذار ويكون مصدقا له او يلقى اليه كنز يستغني به عن التسعي في الامور
والبرد في طلب المعاش او يكون له جنة ياكل منها اقل الاحوال ان يكون
له قوت يكون قواما لديه فضلا عن الكنز وقال الظالمون وضع الظالمين
موضع الضمير تسجيلا عليهم بانهم ظالمون في مقالتهم ان تتبعون الا رجلا
مسحورا اصيب بالسحر ولا يدري ما يقول انظر كيف ضربوا لك الامثال
الاقوال العربية التي تضرب بها المثل لفرط بعدها عن حالك ورفعه محلك عن
الاتصاف بها فضلوا في تلك المقالات فلا يستطيعون سبيلا الى شيء
يستقرون عليه او فضلوا عن طريق الحق فهم يخبطون خبط عشواء تبارك
الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الذي ذكروه من الكنز والجنة في الدنيا
جنات تجري من تحتها الانهار كما وعدك في الاخرة ويجعل لك قصورا وابثا
ان للدلالة على عدم وقوع ذلك في الدنيا وانها ليست محلا له لسرعة الانتقال عنها
قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع
ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول
لاغلبن مالي ولاحرمن او استبينا فا على معنى وهو يجعل لك في الاخرة قصورا والاول
اوجه بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم من قولهم ما لهذا الرسول
ياكل الطعام اضراب الى ما هو اطم فان ذلك تكذيب الرسول وهذا تكذيب
تعالى او متصل بقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك انكارا منهم
لذلك على ابلغ وجه فان من كذب بها كيف يصدق هذا الخبر واعتدنا لمن
كذب بالساعة سعيرا النار الشديدة الاستعار وعن ابن حسنون انه من اسماء
جهنم فصرفه اما لاعتبار المكان او ليوافق القواصل كما في سلاسلا واغلالا
اذا رات انهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا روي ان النار تبدي لهم
من مسيرة مائة عام ولها تغيظ وزفير قيل شبه صوت غليانها بصوت المتغيظ
وزفيره والحق انه على الحقيقة وقد روى البخاري رحمه الله صلى الله عليه وسلم
قال ان النار اشكت الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين
نفس في الصيف ونفس في الشتاء فهو اشد ما تجدون من الحر وما تجدون من الزمهرير
ان البنية ليست بشرط في الحيوة فلله ان يخلق في اي شيء كان واذا القوها
مكانا ضيقا كما يلقى الحجر عن ابن عباس رضي الله عنه يضيق عليهم كما يضيق
الزج في الرمح ليشتد عليهم الكرب مقرنين حال كونهم مقرنين في السلاسل
قرنت ايديهم الى اعناقهم وقيل يقرن كل انسان مع شيطانه في سلسلة وفي
ارجلهم الاصفاد ادعوا هنالك ثبورا هلاكا يقولون واثبوراه تعالى

هذا أو أنت لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا يقال لهم أو هم احقاء بذلك القول
وادعوا ثبورا كثيرا لعدم انقطاع العذاب أو لتكثير انواعه قل أذلك
خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون الذين اتقوا الشرك لانهم قوبلوا
بالمشركين المكذبين والاستفهام للتقريع والتفضيل على وجه التهكم كما يقول
من يضرب عبده لمخالفة امره هذا اطيب ام ذلك كانت لهم جزاء ومصيرا
اى تكفيرا والتعبير بالماضي لجعل المترقب كالواقع وانما ذكر المصير مع الجزاء
كما في قوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وقوله بئس الشراب وساءت مرتفقا
لان لذة النعيم لا يكمل الا اذا انضم اليه طيب المنزل لهم فيها ما يشاؤن
كل ما يتمنونه فان قلت الجزاء على قدر الاعمال فكيف يكون ادنى المؤمنين
مثل اعلاهم وقد روى ابن عباس رضي الله عنه ان في الجنة مائة درجة بين
كل درجتين مسيرة خمسمائة عام قلت ادنى المؤمنين اذا كان له مثل ملك الدنيا
عشر مرات فيرضى بذلك ولا يشتهي زيادة على ما هو فيه خالدين حال من
فاعل ما يشاؤن كان على ربك وعدا مسئولا موعودا حقيقا ان يسأل
ويطلب أو يسأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة
ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم نحشرهم اى الكفرة لان ذكر
المتقين اسطرا ولا طها رمقام الفريقين على وجه التقابل وقرأ ابن كثير وحفص
بالياء على ان الفاعل ضمير ربك والباقون بالنون التفاتا وما يعبدون من دون
الله بكل معبود سواه واستعمال ما في العقلاء اما لكون وضعه على العموم أو
لاعتادة الوصف كقوله والسماء وما بناها أو تغليبا أو تنزيلا للعقلاء في مقام
الالوهية منزله غيرهم فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل
سؤال تقريع وتوبيخ للعبدة حتى اذا اجاب المعبودون بما اجابوا ترادبذلك
حشرتهم ويفصحون على رؤس الاشهاد وتقديم المسند اليه لكون الفعل واقعا
بلا ريب وانما الكلام في الفاعل قرأ ابن عامر فيقول بالياء قالوا سبحانك
ايعاد له عن الاندادا أو تعجب من نسبة الاضلال اليهم لانهم اما ملائكة أو انبياء
معصومون أو جمادات لا جريرة لها ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء
ما يليق بنا ان نتولى احدا دونك فكيف نامر احدا بان يتولانا دونك ولكن متعتهم
وآباءهم بانواع النعم حتى نسوا الذكر حتى سبب ذلك التفضل الذي كان
حقه الشكر للسان ذكرك بالتوحيد والتدبر في آلائك وآياتك وكان حق الكلام
بل انت اضللتموهم بالفاضة النعم عليهم ولكن عبروا عن اللازم بالملزوم تاديا
وكانوا قوما بورا هالكين في قضائك السابق جمع بائر كهود وهايد او مصدر
وصف به فقد كذبوكم ايتها العبدة التفت اليهم كفاحا بالتوبيخ والتقريع

بما يقولون اى في قولكم انهم آلهة أو هؤلاء اضلونا ويجوز ان يكون الجار
والمجرور بدل اشتمال لان كذبه وكذبت به واحد معنى فما تستطيعون
صرفا دفعا للعذاب عنكم بعد ما كذبوكم أو حيلة من صرف اذا احتال وقرأ
حفص بالتاء خطابا للعبدة والغيبة أبلغ بنكتة الالتزام يعني من ادعوا
الاستطاعة فيه ولا نصرا ولا اعانة لما انتم فيه ومن يظلم منكم
ايها المشركون نذقه عذابا كبيرا اصل الكلام نذيقهم أو بذيقكم وضع ومن
يظلم موضع الضمير وقيل الخطاب لغرقا المكلفين وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب عن شبههم ما لهذا
الرسول يأكل الطعام والجملة بعد الا صفة محذوف اى احد كقوله وما منا الا له
مقام معلوم اى احد وجعلنا بعضكم لبعض فتنة محنة وابتلاء اتصبرون
حث على الصبر بعد بيان موجبه كقوله فهل انتم منتهون بعد تحريم الخمر وقيل
علة للجعل اى لنعلم أتكم يصبر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وكان ربك بصيرا
بمن يصبر وبمن لا يصبر أو بمن يصلح للرسالة والاصطفاء وقال الذين لا يرجون
لقاءنا جزاءنا على الاعمال الصالحة أو رؤيتنا أو عقابنا بلغة تهامة على ان
الرجاء بمعنى الخوف لولا انزل علينا الملائكة بالرسالة لعدم اعتقادهم
جواز ارسال البشر أو يصدقون محمدا والاول هو الوجه لقولهم لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا أو نرى ربنا فيأمرنا دينها تا بلا واسطة ولا
حجاب لقد استكبروا في انفسهم اضمروا الكفر في قلوبهم وعقايدهم وعتوا
وتجاوزوا الحد عتوا كبيرا تجاوزا مفرطا اللام جواب قسم محذوف كانه
قيل ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم يوم يرون الملائكة منصوب باذكر
او يعذبون دل عليه ما بعده أو نتنزل دل عليه قولهم لولا انزل علينا الملائكة
لا بشرى يومئذ للمجرمين لكل مجرم أو لهم فوضع موضع الضمير ليدل على علة
عدم البشرى ويقولون حجرا محجورا من المصادر التي يجئ ذكر ناصبها والوصف
للمبالغة كليل أليل هذه كلمة كانوا يقولونها عند النوايب وشدائد النوازل
في مقام الاستعاذة والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة واذا نزلت استعاذوا
من نزولها فانهم يلاقونهم بما يكرهون وقيل هو من كلام الملائكة اى حراما
عليكم محرما الغفران والجنة والبشرى واصل الحجر المنع ومنه قيل للعقل
الحجر لانه يمنع ارتكاب الرذايل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا كانوا يسابقون الى المكارم من قرى الضيف وفك الغاني وسايرانواع
البر ويحسبون انها ذخر لهم عند الله ولما لم يكن لبنائهم اساس اذ الاعمال
بدون الايمان كبناء يلا استرداد الله عليهم في ذلك الحسبان ابلغ رد بان مثل اعمالهم

بحال قوم خالفوا امر سلطانهم واغضبوه غاية الاغضاب فعدم الى تاديبهم
وانا ماتحت ايديهم وجعلها كان لم تغن بالامس والهباء ما يرى من الذرات
عند دخول الشمس في الكواكب شبهه الغبار والمنثور المفرق صفة هباء او
مفعول ثالث لجعلنا على انه في الاصل خبر ثان اي جعلناه جامعا للحقارة و
التفرق بحيث لا يحصل منه على طائل اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا
يستقرون فيه للمحاورة والمفاكهة مع الاصحاب كقوله على سرر متقابلين و
احسن مقيلا مكانا للاستراحة والتمتع بالحور والازواج تسميه مقيلا
على التشبيه اذ لا قيلولة في الجنة كقوله رزقهم فيها بكرة وعشيا مع ان في
الجنة لا ليل ولا نهارا والمقيل عبارة عن الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم
احسن ما يتصور والتفضيل اما ان يراد به الزيادة المطلقة او بالاضافة الى
ما للمترفين في الدنيا وفي ايثار الاحسن مع المقيل اشارة الى زيادة المحاسن هنا
من الزخارف والوجوه الحسان كما يكون للملوك في الدنيا في اماكن انسهم ويوم
تشقق السماء بالغمام اي تنشق بسبب طلوع الغمام منه قيل هو غمام فوق
السموات سمكة مثل سمك السموات وثقلة مثل ثقلها فانا كان يوم القيمة القاه
الله على السموات فتشقق منه قرا الكوفيون وابو عمرو بتخفيف الشين بحذف
احدى التائين ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بايديهم صحائف الاعمال
وقرا ابن كثير ننزل بزيادة النون مضارع انزل ونصب الملائكة وعليه رسم
المكي وعلى حذفه سائر الرسوم الملك يومئذ الحق للرحمن اي الثابت له دون
غيره من الملوك لمن الملك اليوم الملك مبتدا ويومئذ ظرفه والحق نعت والرحمن
خبره وكان يوما على الكافرين عسيرا اي يكون شاقا عليهم لسقوط حجتهم
ويوم يعض الظالم على يديه كل ظالم كناية عن شدة الندامة فان النادم المتحسر
يعض على الانامل وجمع اليدين اشارة الى قرطه عن ابن عباس نزلت في عقبة بن
ابي معيط كان اذا قدم من سفر اتحد طعاما ودعا اليه الناس فدعا من جملتهم
رسول الله فلما قدم الطعام اخذ ان يتشهد له الا ان يشهد له بالرسالة فتشهد له
بذلك وهو متمنع الكفر وكان صديقا لابي بن خلف فعابه ابي وقال له صبات
فعال حاشاك ولكن كرهت ان يرجع ولم يطعم من طعامي دعوته اليه فقال وجهي
من وجهك الحرام ان وطئت محمدا ولم تبزق في وجهه فعلت ذلك فعلى هذا للام
في الظالم للعهد والحق انه للجنس وان كان هو سبب النزول اذ لا ظالم الا هو عاض
يديه في ذلك اليوم يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او
طريقا واحدا وهو طريق الجنة فالتنكير للافراد تحسرا او طريقا من الطرق
اشارة الى ان ما كان يسلكه لم يستحق ان يسمى طريقا والقصد الى صفة السبيل

اوما هيته يا ويلتى اصله الياء قلبت الفا كما في يا غلاما وامال الفه حيث وقع
الدوري عن ابي عمرو وكذا حمزة والكسائي على ما عرف في اصولهم يا ويلتى
ليتني لم اتخذ فلانا خليلا فلان كناية عن علم المذكر يريد ابيا ان اريد العهد
وان اريد الجنس فكل من اتخذ خليلا لا بد وان يكون له علم فجعله كناية عنه
لقد اضلني عن الذكر ذكر الله او القران انا نحن نزلنا الذكر وكلمة الشهادة
والذكر بمعنى العهد لانه عهد بين الله وبين عبده بعد اذ جاءني ولم يبق له
عذر وكان الشيطان للانسان خذولا ابى لعقبه سماه شيطانا لكونه
مضلا مثله او ابليس لانه الذي حمله على ذلك او من اضل عن طريق الحق من الجن
والانس شيطان حكاية كلام للظالم او هو ابتداء كلام من الله تحذيرا للناس
عن الاغترار والخذلان ضد النصرة وقال الرسول يريد محمدا صلى الله عليه
وسلم يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا متروكا غير ملتفت اليه
او مهجورا فيه من الهجر بمعنى جعلوه هذيانا وسموه سحرا او اباطيل الاولين
او خلطوا هجرهم به اذا قرئ لئلا يفهمه المستمعون وقال الذين كفروا لا
تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
كما جعلنا لك اقبل عليه بعد سماع شكواه مسليا له بان هذا شان الرسل
مع الكفار وليس لوجدك الموجبة العظمى وكفى بربك هاديا الى مرامك
منهم ونصيرا معاونا لك عليهم فلا يبال واصبر وقال الذين كفروا لو
لا نزل عليه القران نزل بمعنى انزال لقوله جملة كما سيجيء ولا كان
مثلا فما كذلك جوابهم اي كذلك النزل مفرقا لان فؤادك لنثبت به فؤادك
عليه القران جملة يتضمن انكار انزاله مفرقا لنثبت به فؤادك اي مفرقا
منجما قدرت كل نجم من نجومه قوي قلبك وازداد يقينك كراهة ان
جملة واحدة مرة واحتجهم لم يكن له ذلك الوقع ولا ذاك الظهور القاء
واعلم ان القلب واتاه ذا اليه جبريل في الوقائع ان اراد ذلك قوة
وتوالت عليه الافراج كما يفعله الملوك مع الخواص المقربين او امثالهم
تاثر سائل والكتب وقيل انه كان امينا بان حمله الى موسى وعيسى وداود
عليهم السلام فانهم كانوا قراوا وكتبوا فلو انزل اليه جملة لتحير عن حفظه
فعلنا ان انزاله مفرقا على ان يجعل له القوة على حفظه في لحة طرف كما ذلك
معجزة اخرى له ورتلناه ترتيلا فصلنا بعضه عن بعض في الانزال
بفصول لاهتمامنا بشانه بين السكوت والقدر من زمن الانسان وهو بعد ما بين
الثنايا والرباعيتين وقيل رتلناه امرنا بترتيله في القراءة لقوله ورتل
القران ترتيلا ولا ياتونك بمثل بكلام هو مثل في ابطاله يجاء لونك به

الاجتناك في مقابلته بالحق جوابا عنه واحسن تفسيرا كشفا عن المقصود
من الفسر وهو الكشف وصيغة التفضيل للمبالغة وذلك انهم قاسوه بموسى
وعيسى فانزال الكتاب جملة واحدة وقد جهلوا ما في تنزيله مغرقا من الحكم
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم رفع او نصب على الذم روى البخاري عن
انس ان رجلا قال يا رسول الله كيف يقال اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا
قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة اولئك شر مكانا منزله واضل
سبيلا ممن قدحوا في رسالته اى لو علموا حالهم ليعلموا انهم اشر مكانا وقيل
متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وصف السبيل بالضلال على
طريق المجاز الحكمي مبالغة في ضلال سالكه ولقد اتينا موسى الكتاب لما
سلاه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا فصل بعض احوال مشاهيرهم وقدم
موسى لان امته اكثر وعناه مع الجهال الوفر واشهر وجعلنا معه اخاه
هرون وزيرا موازرا له معاونا اياه في تبليغ الرسالة ولا ينافي بين النبوة
والوزارة فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهبا فكذبوهما
فدمرناهم تدميرا استئصلناهم وقلعنا شافتهم ولما كان الغرض التسلية و
انه سينزل بالمشركين ما انزل بأولئك اختصر الكلام بذكر طرف في القصة وكذلك
سلك في القصص بعدها وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا من قبله
من الرسل او نوحا وحده ومن كذب رسولا فقد كذب سائر الرسل لاتحاد دعوتهم
واشتراكهم في الاصول اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس اية
عبرة الى يوم القيمة واعتدنا للظالمين عذابا اليما لكل ظالم او لهم وايثار
المظهر للدلالة على علية الحكم وعادا وثمود عطف على هم او الظالمين بحسب
المعنى مرو على الظالمين وهؤلاء الاعلام في الظلم وقرا حمزة وحفص ثمود
غير منون على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم شعيب والرس اسم بئر هم
كذبوا شعيبا فيبسنا هم حول البئر جلوسا خسفا لهم الارض وقيل قرية عظيمة
بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقيل هم اصحاب حنظلة بن
صفوان وكانوا مقتلين على العنقاء وهي طير عظيم سمي بذلك لطول عنقه وكانت
تخطف اولادهم فدعا عليها حنظلة النبي فاصابتها صاعقة فتركتهم
قالوا حنظلة فاهلكهم الله وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود
وقيل الرس ارض بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل اسم بئر وانما سمي
ربا لانهم قتلوا نبيهم ورسوه فيه اى دسوه وقرونا بين ذلك المذكور
كثيرا لا يعلمه الا الله روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا الاية
قال كذب النسابون يقول الله وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال

اى كل قرن بينا له القصص الغريبة مما جرى على الامم المكذبة للرسل انذارا و
تحذيرا وكلا تبرنا تتبيرا حيث لم يعتبروا ولم ينجع فيهم ذلك الانذار التبار
الكسر من التبر وهو قطع الذهب قبل الضرب وكلا الاول منصوب بما دل عليه
ضربنا اى انذرنا وانثاني بتبرنا الفراغ الفعل له ولقد اتوا على القرية التي
امطرت مطر السوء يريد قريشا في مسايرهم في التجارات الى بلاد الشام و
القرية اسمها سدوم اعظم قرى قوم لوط سميت بابيم قاضيها وكان اية
في الظلم والجور حتى صار مثلا هذا قضاء سدوم ومطر السوء الحجارة
افلم يكونوا يرونها الاستفهام للانكار الداخل على النفي فيفيد الاثبات اى
قد رأوها بل كانوا لا يرجون نشورا فلذلك لم يتاملوا ولم يتعظوا
فان الانسان انما يتكلف النظر والتدبر اذا كان راجيا ثواب الاخرة خائفا
عقابها او لا يخافون على اللغة التهامية واذا رأوك اى المشركون ان
يتخذونك الا هزوا انى لم يرضوا بترك الايمان حتى جعلوك مكان هزوا و
مهزوا به اهذا الذي بعث الله رسولا ايثار الاشارة للتحقير كما في حديث عائشة
يا عجبا لابن عمرو هذا حين افتى بنقض الظفائر انما اخرجوا بعثه في معرض
التسليم لجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكما به ان كاد ليضلنا عن الهتنا
بكثرة الدعاء الى التوحيد وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية
القصوى في الدعوة الى الله حتى شارفوا ظنوا عمهم ان يتركوا دينهم ايانهم مع
وفرط عنادهم وشدة لجاجهم ان مخففة من المثقلة وضمير الشان تحذف و
اللام هي الفارقة لولا ان صبرنا عليها وتثبتنا لولا هذه للدلالة على
انتفاء شيء لوجود غيره كما في لولا علي لهلك عمر فسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلا انت او هم جوابه عن قولهم ان يكاد ليضلنا الاية
من يضل غيره لابد وان يكون ضالا في نفسه ارأيت من اتخذ الهه هواه
تعجيب ممن هذا شانه في الجهل قدم المفعول الثاني للعناية به والقرينة معينة
كما في قوله بنونا بنو ابنائنا افأنت تكون عليه وكيلا مسلطا بجبره على
الاسلام انكار اى لست كذلك بل انت مبلغ ولا اكراه في الدين ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون حتى يسمعوا كلامك او يفهموا خطابك
وهذا اشد مذمة ولذلك اضرب عن الاول قيد بالاكثر لان منهم من كان
يأتي عنادا واستكبارا ان هم الا كالانعام في عدم الادراك وفهم الاية
بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها يعرف بعض المحسن اليها والمسيء ويتعلم
بالتعلم لا يرى اجهل من الحمار وقد رأينا قد تعلم انواعا من الحيل وهؤلاء
قد اتبعوا الشيطان وهو اعدى عدو هم الذي يجلبهم شقاء الابد

ألم ترى إلى ربك كيف مد الظل اشار الى صنعه البديع الدال على كمال العلم والقدرة بل على الكمال المطلق من كل وجه على كمل وجه بالمحسوسات لا الخصم بعيد عن ادراك المعقولات والتدبر فى علم الملكوت ولم يخاطبهم بل وجه الكلام اليه توكيدا لما قدمه من انهم اضل من الانعام فليس من شانهم الحظ والاستيفاء للانكار دخل النفى فاذا التقرير انى قد رأيت صنع ربك كيف بسط الظل لمنافع العباد ولو شاء لجعله ساكنا لاحقا باصل ذى الظل كالشجر والبناء والجبال وفيء الظل الذى مده ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فانه اطيب الاوقات اذ الظلمة الخالصة ينفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر اصل الكلام الم ترالى الظل كيف مده ربك وانما عدل الى المنزل اشارة الى ان المفعول من هذا الكلام كالمرئى لوضوح برهانه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا متبوعا يتبعه الظل يزيد به وينقص ويمتد ويقلص ثم قبضناه الينا رفعناه بايقاع شعاع الشمس موقعه قبضا يسيرا على التدريج لما فى ذلك للعباد من المصالح وثم فى الموضعين للترقى من الادنى الى الاعلى او على اصله وذلك ان الله خلق السماء كالقبه المضروبة ثم خلق بعد ذلك الشمس وسلطها على ذلك الظل وجعله تابعا لها ويجوز ان يراد قبضة يوم القيمة يوم تطوى السماء ولفظ اليسار يمما يدله وكذلك يسيرا كما فى قوله حشر علينا يسير هو الذى جعل لكم الليل لباسا ساترا كاللباس والنوم سباتا راحة من السبت وهو القطع وانتصابه فى يوم المريض عند العرب والشيخ المسن قال عمرو بن مسعود رضى الله عنه لمعاوية لاتسال عن شيخ نومه سبات وليلة هبات او موتا لقوله وجعل النهار نشورا اى بعثا شبه بعثهم من النوم بالبعث بعد الموت قال لقمان لابنه يا بنى كما ينام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وعلى الاول النشور بمعنى الانتشار لاسباب المعاش وهو الذى ارسل الرياح بشرا بسكون الشين فى قراءة الكوفيين وابن عامر جمع ناشر وجمع نشور كصبور خفف بإسكان العين وابن كثير ونافع وابو عمرو بضمتين على الاصل وحمزة والكسائى بفتح النون على المصدر لما فى الارسال من معنى النشر او على الحال وقرأ عاصم بالباء جمع بشور بمعنى مبشر كصبور وصبور او بشير كقليب وقلب وقرأ ابن كثير الريح بالافراد على ارادة الجنس الجمع هو المختار لكون المبشرات ثلثا صبا وشمالا وجنوبا وعليه حمل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وهى الدبور قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور بين يدى رحمته امامه جعل الريح مبشرا لقدومه تعظيما له فانه سبب بقاء العالم وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا للاجساد والاحياء

فعول من ظهر اسم آلة كالوقود والسحور لان الماخوذ من اللازم لا لكون متعديا وقول الفقهاء بمعنى المطهر تسامح وسالب الطهورية عند ابى حنيفة ان كان الماء راكدا وقوع النجاسة قليلا كان او كثيرا وعند مالك اذا غير طعمه او ريحه او لونه وعند الشافعى كابى حنيفة فيما دون القلتين وكمالك اذا بلغ قلتين والجارى عنده كالراكد وعند ابى حنيفة الجارى لا ينجس اذا لم ير للنجاسة فيه اثر وفى الاية اشارة الى ان الله تعالى لما اكرمهم بانزال الماء الطهور المزيد للخبث والحدث عن ظواهرهم فعليهم ان يطهروا بواطنهم التى هى محل الاسرار عن فاذورات القلوب وسائر الرذائل لنحيى به بلدة ميتا بالانبات وتذكير ميتا لكون البلدة معنى البلد لقوله فسقناه الى بلد ميت او لانه غير جار على الفعل فالحق بالجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما وانا سى كثيرا وصف الانعام والاناسى بالكثرة لان اكثر الناس يسكنون بقرب الانهار والاودية فهم فى اكثر الاوقات فى غنية من المطر وكثير منهم سكان البوادى لا يعيشهم وانعامهم الا المطر وماء الغدران وقدم الانعام فالاهم وصف الماء اولا بالطهور لان المقصود الاصلى من انزاله تطهيرهم ليكونوا فى حال المناجات مع ربهم على اكمل الاحوال ثم احياء الارض بالنبات لانه ابدع ولانه سبب معاشهم ومعاش انعامهم ثم قدم الانعام على الاناسى لذلك اولان الماء انا وجد لاجلها واما ثنى والانعام قلهم من باب الاولى فذكر الاناسى للانعام والاناسى جمع انسان او جمع انسى اصله اناسين قلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم اى هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب والصحف المنزلة اشارة الى انه من الادلة القاطعة على وحدة الصانع ومن الطهور بحيث لا يختص بهذه الامة التى فاقت سائر الامم فى الفهم والذكاء او الضمير للمطر والمعنى قسمناه بينهم على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان المطر لا يختلف كل عام قلة وكثرة ولكن يقع تارة هنا وتارة هناك على وفق ما اقتضته الحكمة ومنه تشاء جواب اخر عن تنكير البلد والانعام والاناسى اى لنحيى به بعض البلاد وبعض الانعام وبعض الاناسى ليذكروا يصرف المطر اليهم وعنهم ليعلموا كمال القدرة وغاية الرأفة بهم ليصيروا اذا فقدوا ويشكروا اذا وجدوا ولما كان من المحسوس الذى لا يحتاج الى تامل جعل الفاصلة التذكر الذى هو ملاحظة الحاصل المغفول عنه وقرأ حمزة والكسائى ليذكروا بالتخفيف من الذكر فابى اكثر الناس الا كفورا بتلك النعم الجسيمة يراها من الغير ولا يرضى اناسيا شاكرا قائلا مطرنا بنوء كذا واما من يرى الكل منه تعالى ويجعل النوء من جملة الاسباب والعلامات فذلك لا يقدح فى الايمان ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا

ليخف عنك بعض اعباء التبليغ سلاه تعالى غاية التسلية بان جعلهم اضل من الانعام وانه ليس عليهم بوكيل وعجبه من حال من اتخذ الهه هواه فاشار الى ان عموم رسالته وتكليفه التبليغ الى كافة الناس اجلال له لتلا يشاركه في منصبه احد فامره بالمصابرة على المجاهدة وجعل بها لكه على ايمانهم كالطاعة لهم فقال فلا تطع الكافرين وجاهدهم به بالقران جهادا كبيرا فان الجهاد بالحجة اعظم من الجهاد بالسيف لاسيما مع السفهاء الذين شانهم المرء والمكابرة قيل راى الشافعي يوما مسرورا فساله بعض اصحابه فقال الزمت عاميا قيل له انت اجل من ذلك فقال لاشيء اشد واشكل من الخام الجاهل وقيل كبيرا موقعه عند الله وهو الذي مرج البحرين نوع اخر من دلائل التوحيد والمرج الارسال اي ارسلهما خلاهما متجاورين متلاقيين هذا عذب فرات قامع للعطش كاسره وهذا ملح اجاج شديد الملوحة وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته غير محسوس وحجرا محجورا حثا محذوفا او هي الكلمة التي يقولها المتعوذ كان كلا من البحرين يستعيذ من الاخر بهذه الكلمة كقوله بينهما برزخ لا يبغيان لا يظلم احدهما الاخر بالمزاحمة قيل ان دجله تصب في بحر فارس ويذهب فراسخ لا يتغير طعمه وهو الذي خلق من الماء بشرا شرع ايات الانفس بعد ايات الافاق والبشر ادم خلقه من تراب خلق من الماء فهو اصله وما ادته الاولى او من طين خمره بالماء او اولاده فالماء النطفة فجعله نسبا ذا نسب ينسب اليه فلان بن فلان اي ذكرا وصهرا ذات صهر اي انثى فالك قطرب ما كان من قبل زوج البنت اصهار وما كان من قبل المراة احماء وكان ربك قديرا كامل القدرة يخلق من ماء تارة ذكرا وتارة انثى وتارة يجمع بين النوعين بان يخلق من نطفة واحدة توامين ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم بخلاف ظهور دلائل واحدة الصانع وكان الكافر على ربه ظهيرا معاونا للشيطان فعيل بمعنى الفاعل كالكليم بمعنى المكالم وهو ابو جهل فانها نزلت فيه او جنس الكافر لان الظهير كالصديق يطلق على الجمع كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير وهينا لا عبرة به كانه ملقى وراء الظهر قال الاخطل وجدنا بني البرصاء منهن ولد الظهر وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قدم المبشر رعاية للفاصلة قل ما اسالكم عليه على التبليغ من اجر لا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا الا فعل من اراد ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى لديه جعل الايمان المنجي للمؤمن اجرا له على اداء الرسالة قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث جعل تعرضهم للثواب وتخلصهم عن العقاب نفعا عائدا اليه وفيه اشعار بان له في ايمانهم ثوابا جزيلا لانه الدال المرشد

قال لعلي بن ابي طالب يوم خيبر حين اعطاه الراية ادعهم الى الايمان او لا لان يهدي الله رجلا على يديك خير لك من الدنيا وما فيها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت فهو كافيك عن اجورهم او يتصل بقوله وجاهدهم به جهادا كبيرا اي فهو ناصرك وحافظك من شرورهم وسبح بحمده ونزهه عما لا يليق بحضرة قدسه ممتثلا بصفه به هؤلاء الجهلة من الشريك والولد مثنيا عليه باوصاف الكمال شكرا للسوابغ نعمه وطلبا للمزيد وكفى به بذنوب عباده خبيرا ببواطنها وظواهرها فلا عليك بعد التبليغ امنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش نصب على الاختصاص او خبر مبتدا محذوف اي هو الذي او مبتداء خبره الرحمن ذكر هذه الاوصاف بعد الامر بالتوكل دلالة على ان من هذا شانه حقيق بالتوكل عليه والمراد بالايام مقدارها العدا الليل والنهار حينئذ او ايام الاخرة والتقدير بالستة دون غيرها مما استاثر تعالى بعلمه كعدد الزكوات ونصب الزكوات وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وكان قادرا على خلقها في لمحة طرف تعليما للعباد ان ترفعوا في امورهم وبتخلقوا باخلاقه فاسئل به خبيرا الباء صلة السؤال والمعنى سل عنه رجلا عارفا به يخبرك عن سعة رحمته قال الاخفش يقال خرجنا نسال عن فلان وبفلان او صلة خبيرا اي سال خبيرا به يخبرك او خبيرا به اي سال يسؤاله خبيرا على معنى انك ان سالته وجدته خبيرا او الضمير لما تقدم من خلق السموات والارض وما بينهما امر بالسؤال عنها خبيرا كامل العلم بما فيها من الاجزاء والصفات والاسرار المودعة فيها حتى يظهر له كمال قدرته ودقة حكمته ونهاية نافته بعباده حيث خلق لهم الكائنات بهذه مشتملة على حكم لا تحصى ونعم لا تستقصى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن مسؤول عن مسماه فانهم ما كانوا يطلقونه عليه او عن معناه لانه كان مذكورا في الكتب السالفة وعلى هذا معنى قسال به خبيرا اسال بهذا الاثيم من اهل الكتاب فانهم عارفون به وفي الاية اشارة الى ان الرحمن الذي شملتهم رحمته اذا ذكر لا يعرفونه فكيف لما امرنا من غير ان نعلم ما هو وكيف شانه وقرا حمزة والكسائي يامرنا بياء الغيبة كانه لما قال لهم اسجدوا للرحمن قال بعضهم لبعض نسجد لما يامرنا محمد اي لا يكون ذلك والخطاب احسن حجابا والغيبة ابعد لما هم بصدده من الانكار وزادهم نفورا فرارا فاعل زاد ضمير اسجدوا تبارك الذي جعل في السماء بروجا استانف لاثبات رحمانيته جعله بدل صدرها على كثرة نعمائه ووفورها لانه

وَدَوَامِهَا وَعُلُوِّ شَانِهِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ اِسْتِفَاقِهِ وَالْبُرُوجُ مَنَازِلُ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ
لِلْحَمَلِ وَالثَّوْرِ وَالْجَوْزَاءِ وَالسَّرَطَانِ وَالْاَسَدِ وَالسُّنْبُلَةِ وَالْمِيزَانِ وَالْعَقْرَبِ وَالْقَوْسِ
وَالْجَدْيِ وَالدَّلْوِ وَالْحُوتِ سُمِّيَتْ بُرُوجًا لِظُهُورِهَا وَاشْتِهَارِهَا بِكَوْنِهَا مَنَازِلَ
الْكَوَاكِبِ مِنْ بَرَجَ اِذَا ظَهَرَ فَاِنْ قُلْتَ اَيُّ فَائِدَةٍ لِلنَّاسِ فِي الْبُرُوجِ حَتَّى ذَكَرَهَا فِي مَقَامِ
الْاِمْتِنَانِ وَتَقْرِيرِ صِفَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ قُلْتُ كُلُّ الْفَوَائِدِ عَلَيْهَا مَدَارُ الْفُصُولِ الَّتِي تَنْبَطُ
بِهَا اَسْبَابُ الْمَعَاشِ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا الشَّمْسَ لِكَمَالِ ضَوْئِهَا اِسْتِعَارَلَهَا اِسْمَ
السِّرَاجِ وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ سُرُجًا عَلَى اِرَادَةِ السَّيَّارَةِ وَالْاِفْرَادُ اَوْفَقُ بِقَوْلِهِ
وَقَمَرًا مُنِيرًا ذَا نُورٍ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لَمْ يَعْطِفْ جُعِلَ
عَلَى الصِّلَةِ بَلِ اسْتِئْنَافٌ دَلَالَةً عَلَى عِظَمِ صُنْعِهِ فِي اِذْدِيَافِ كُلٍّ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
بِالْاُخْرَى كَاَنَّهُ قَالَ وَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِهٰذَا الصُّنْعِ الْبَدِيعِ وَالْخِلْفَةُ اِسْمٌ بِمَعْنَى الْاِخْتِلَافِ
اَيْ ذَوِي اخْتِلَافٍ يَخْلُفُ اَحَدُهُمَا الْاٰخَرَ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يَذَّكَّرَ يَتَذَكَّرَ قُدْرَةَ الصَّانِعِ
الْحَكِيمِ اَوْ اَرَادَ شُكُورًا لِبَعْضِ لِاَنَّهُ فَاتَ مَدَارُ اَمْرِ الدِّينِ عَلَى اخْتِلَافِهِمَا فَلَا
نِعْمَةَ اَشْمَلُ وَاَكْمَلُ مِنْهُ وَقَرَأَ حَمْزَةُ يَذْكُرُ مُضَارِعُ ذَكَرَ ثُلَاثِيًّا وَالْبَاقُونَ بِادْغَامِ التَّاءِ
فِي الذَّالِ مُضَارِعُ تَذَكَّرَ وَهُوَ اَبْلَغُ وَاَظْهَرُ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْاَرْضِ
هَوْنًا ذَكَرَهُمْ فِي مُقَابَلَةِ الَّذِينَ اِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ وَالْمَعْنَى
عِبَادُهُ الْمُخْتَصُّونَ بِهِ الَّذِينَ عَرَفُوهُ بِصِفَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَتَخَلَّقُوا بِهَا فَاَوْرَثَتْ لَهُمْ
هٰذِهِ الصِّفَاتُ الْمُتَعَاقِبَةُ وَالْهَوْنُ وَالرِّفْقُ وَالتُّؤَدَةُ وَفِي صِفَتِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اَنَّهُ يَمْشِي هَوْنًا وَفِي كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ اَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ اَحْسِبْ جَلِيسَكَ هَوْنًا
وَاِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا اَيْ قَوْلًا سَدِيدًا يَدُلُّ عَلَى الْمُتَارَكَةِ مِنْ غَيْرِ
اِثْمٍ وَلَا لَغْوٍ سَوَاءٌ كَانَ لَغْطَ السَّلَامِ اَوْ غَيْرِهِ وَلَا يُخَالِفُهُ قَوْلُهُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا
يَنْبَغِي لِلْجَاهِلِينَ لِاَنَّهُ مِنَ الْقَوْلِ السَّدِيدِ وَلَا يَسْمَحُ بِآيَةِ الْعِيَالِ لِاَنَّ مُتَارَكَةَ السُّفَهَاءِ
وَالْاَغْبِيَاءِ عَنْهُمْ مِنَ الْاٰدَابِ الْمُسْتَحْسَنَةِ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا
يَقْضُونَ لَيْلَهُمْ فِي عِبَادَتِهِ سَاجِدِينَ قَائِمِينَ يُقَالُ بَاتَ يَفْعَلُ كَذَا اِذَا فَعَلَهُ لَيْلًا
وَتَاْخِيرُ الْقِيَامِ لِلْفَاصِلَةِ جَمْعُ قَائِمٍ اَوْ مَصْدَرٌ وُصِفَ بِهِ وَالتَّقْيِيدُ بِاللَّيْلِ لِاَنَّهُ
اَخْلَى عَنْ شَوْبِ الرِّيَاءِ وَاَحْلَى لِلْقَلْبِ وَاَشَقُّ لِلنَّفْسِ وَالْمُرَادُ اَكْثَرُ اللَّيْلِ لِقَوْلِهِ قَلِيلًا مِنَ
يَهْجَعُونَ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ اِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
شَرًّا لَازِمًا وَمِنْهُ الْغَرِيمُ لِمَا يَلْزَمُ الْاِنْسَانَ وَوَصَفَهُمْ بِالْحَدِّ الْبَالِغِ فِي الْعِبَادَةِ ثُمَّ
وَصَفَهُمْ بِالْوَجَلِ وَالْاِبْتِهَالِ اِلَيْهِ مَعَ تِلْكَ الْعِبَادَةِ اِشَارَةً اِلَى اَنَّهُمْ غَيْرُ مُتَّكِلِينَ
عَلَيْهَا بَلْ لَا يَرَوْنَهَا شَيْئًا نَظَرًا اِلَى كِبْرِيَاءِ رَبِّهِمْ تَعَالَى اِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا
اِنْشَاءُ ذَمٍّ فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُبْهَمٌ يُفَسِّرُهُ مُسْتَقَرًّا وَاِنَّمَا ذَكَّرَهُ مَعَ اَنَّ الْمُفَسَّرَ مُؤَنَّثٌ
لِاَنَّهُ فِي مَعْنَى الدَّارِ وَالْمَنْزِلِ وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ اَيْ هِيَ وَهٰذَا الضَّمِيرُ هُوَ الَّذِي رَبَطَ

خَبَرَ اِنَّ بِاسْمِهَا وَيَجُوزُ اَنْ يَكُونَ سَاءَتْ بِمَعْنَى اَحْزَنَتْ وَمُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا مَنْصُوبَانِ
عَلَى الْحَالِ اَوِ التَّمْيِيزِ ثُمَّ هٰذَا وَقَوْلُهُ اِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا تَعْلِيلَانِ يَصِحُّ اَنْ يَكُونَا
مُتَدَاخِلَيْنِ وَمُتَرَادِفَيْنِ وَاَنْ يَكُونَا اِبْتِدَاءَ كَلَامٍ مِنْهُ تَعَالَى وَحِكَايَةَ قَوْلِهِمْ
وَالَّذِينَ اِذَا اَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا الْقَتْرُ وَالْاِقْتَارُ وَالتَّقْتِيرُ التَّضْيِيقُ
وَالتَّقْلِيلُ فِي الرِّزْقِ وَالْاِنْفَاقُ وَالْاِسْرَافُ الْاِنْفَاقُ فِي الْمَعْصِيَةِ وَاِنْ قَلَّ وَقِيلَ
التَّجَاوُزُ عَنِ الْاِعْتِدَالِ وَاِنْ حَلَّ وَهٰذَا اِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرُبَاتِ وَاَبْوَابِ الْبِرِّ يَدُلُّ
عَلَيْهِ قِصَّةُ الصِّدِّيقِ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا وَلِذٰلِكَ قِيلَ لَا اِسْرَافَ فِي الْخَيْرِ كَمَا
لَا خَيْرَ فِي الْاِسْرَافِ قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ يُقَتِّرُوا بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ التَّاءِ مِنَ الْاِقْتَارِ وَ
الْكُوفِيُّونَ بِفَتْحِ الْاَوَّلِ وَضَمِّ التَّاءِ وَابْنُ كَثِيرٍ وَاَبُو عَمْرٍو بِكَسْرِهَا وَهُمَا لُغَتَانِ كَمَا
فِي يَعْكِفُ وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَامًا بَيْنَ الْاِسْرَافِ وَالْاِقْتَارِ وَالْقَوَامُ الْاِعْتِدَالُ
كَالسِّوَاءِ لَفْظًا وَمَعْنًى وَذٰلِكَ الَّذِي مَرَّبِهِ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَجْعَلْ
يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ وَهٰكَذَا كَانَ حَالُ الصَّحَابَةِ لَا
يَاْكُلُونَ الْاَسَدَ حَوْعَتِهِمْ وَلَا يَلْبَسُونَ الْاَسْتَرَ لِعَوْرَتِهِمْ وَقِيلَ اَنَّ عَلِيَّ بْنَ اَبِي طَالِبٍ
دَخَلَ السُّوقَ وَاشْتَرَى قَمِيصًا بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ فَرَاٰى فِي كُمِّهِ طُولًا فَقَالَ لِلْبَائِعِ
اقْطَعْ مِنْ كُمِّهِ فَقَالَ اِشْتَرَيْتُ قَمِيصًا بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ وَلَمْ تَقْطَعْ كُمَّهُ اَيْضًا اِنَّكَ
لَمَجْنُونٌ فَقَالَ عَلِيٌّ بَارَكَ اللّٰهُ فِيكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ يَقُولُ لَا يَكْمُلُ اِيمَانُ الْمَرْءِ حَتَّى
يَقَالَ فِيهِ اِنَّهُ مَجْنُونٌ وَالْمَصْدُوقَانِ اَعْنِي بِهِمَا ذٰلِكَ قَوَامًا خَبَرَانِ مَعًا وَيَجُوزُ اَنْ
يَكُونَ بَيْنَ لَغْوًا وَمَقَامًا هُوَ الْخَبَرَ وَاَنْ يَكُونَ الظَّرْفُ خَبَرًا وَقَوَامًا حَالًا مُؤَكِّدَةً
وَمَا كَانَ الْفَرَّاءُ مِنْ اَنْ يَكُونَ بَيْنَ اِسْمَ كَانَ وَاِنَّمَا بُنِيَ لِاِضَافَتِهِ اِلَى غَيْرِ مُتَمَكِّنٍ
مَعَ عَلَمِ اِضْمَارِهِ فَفِيهِ اَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ كَانَ الدَّارُ جَارَبَيْتِهِ صَاحِبُهَا فَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ
الَّذِي هُوَ مُحَطُّ الْفَائِدَةِ فَائِدَةٌ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ حَرَّمَ قَتْلَهَا اِلَّا بِالْحَقِّ صِفَةُ الْمَصْدَرِ الْمَحْذُوفِ اَوْ مُتَعَلِّقُ
بِيَقْتُلُونَ وَلَا يَزْنُونَ نَفْيٌ عَنِ الْمَوْصُوفِينَ بِتِلْكَ الْخِلَالِ الْعِظَامِ عَظَائِمُ
الذُّنُوبِ الْمُوبِقَاتِ تَعْرِيضًا بِاَعْدَائِهِمُ الْمُشْرِكِينَ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ
اَنَّهُ قَالَ سَاَلْتُ اَوْ سُئِلَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللّٰهِ اَكْبَرُ
فَقَالَ اَنْ تَجْعَلَ لِلّٰهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ قُلْتُ ثُمَّ اَيٌّ قَالَ اَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ
اَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ قُلْتُ ثُمَّ اَيٌّ قَالَ اَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ فَاَنْزَلَ هٰذِهِ الْاٰيَةَ تَصْدِيقًا
لَهُ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ اَثَامًا الْاِثَامُ بِالْفَتْحِ جَزَاءُ الْاِثْمِ وَقِيلَ بِمَعْنَى الْاِثْمِ
فَالْمُضَافُ مَحْذُوفٌ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لِلشِّرْكِ وَالذُّنُوبِ الَّتِي
اُرْتُكِبَهَا مَعَهُ لِاَنَّ الْكُفَّارَ مُتَفَاوِتُونَ فِي الدَّرَكَاتِ كَمَا اَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُتَفَاضِلُونَ
فِي الدَّرَجَاتِ قَرَأَ نَافِعٌ وَاَبُو عَمْرٍو وَحَفْصٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ يُضَاعَفْ الْفِعْلَيْنِ

وتخفيف يضاعف وابن كثير تشديده وجزمهما وابن عامر وابو بكر برفع الفعلين
الا ان ابن عامر تشدد الاول دون ابو بكر ووجه الرفع الحال والاستيناف
والجزم الابدال من يلق كقول ابن الحرمتى نا تنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا
جزلا ونارا تاججا ويخلد فيه مهانا لاستكباره عن اتباع الحق الا من تاب
وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يمحو الله معاصيهم
ويثبت مكانها الواحوا الطاعات او يجعل اعدادها فى صحيفة الحسنات بعد
محوها من ديوان السيئات وهذا اصح روى مرفوعا عن ابى هريرة وسلمان
فان قلت لم يؤكد الفعل بالمصدر اعنى من عمل صالحا الا فى هذه الاية مع كثرة
وقوعه قلت لم يقع فى القران ارجى من هذه الاية فكما بالغ فى رافته اشار الى
ان العمل الذى يترتب عليه هذا الجزاء ينبغى ان يكون عملا معتدا به فى باب
الصلاح على ما قيل كما تدين تدان وكان الله غفورا رحيما ولذلك يبدل السيئات
بالحسنات ومن تاب عن المعاصى وعمل صالحا واتى بالطاعات فانه
يتوب الى الله متابا اى يرجع اليه الى ثوابه اما على تقدير المضاف او على جعل
الرجوع اليه كناية عن نيل ثوابه او فانه يرجع الى الله المتصف بالاسماء الحسنى
وصدق الوعد ان الله يحب التوابين وهو الذى يقبل التوبة عن عباده او
متابا مرضيا على ان التنكير للتعظيم فان قلت ما فائدة هذا التكرير وهل
يكون الترغيب باكثر من جعل السيئات حسنات قلت لا تكرير فان المراد من
الاولى جعل اعمال التائب حسنات ومن الثانية بيان جزاء تلك الاعمال
والثواب عليها وقيل الاولى فى حق المشرك التائب وهذه فى المؤمن العاصى اذا
تاب والذين لا يشهدون الزور اى لا يحضرون مجالس الكذب تنزها عن
مخالطة اهل الاثم وصيانة عن الانسلاك فى سلكهم ولان فى ذلك تكثير
سوادهم وفيه اغراؤهم على ما هم فيه وقيل لا يشهدون شهادة الزور فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى و
يطرح مروا كراما جمع كريم وهو الجامع لانواع الفضائل وشتات المحاسن
واسباب الشرف اى معرضين عنه غير ملتفتين اليه كقوله واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه وقيل اذا سمعوا الشتم من السفهاء صفحوا وتجاوزوا كقوله ولقد
امر على اللئيم يسبنى والذين اذا ذكروا بايات ربهم بمواعظه وحكمه لم يخروا
عليها صما وعميانا بل اكبوا عليها والقوا شراشرهم على حفظها والايقاظ
بها اذانا واعية وابصارا راعية وقلوب خالفة لما كالذين لهم اذان لا يسمعون
بها واعين لا يبصرون بها والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين سرورا بان يريهم مطيعين لك طائعتك حسنا رغبين فى اسباب

مرضاتك اصل القرة البرودة والمراد بها نهاية السرور والفرح وذلك ان
العين تدمع من غاية السرور دمعا باردا وعن محمد بن كعب ليس شىء اقر
لعين المؤمن من ان يرى اهله واولاده مطيعين لله لان الله سائله عنهم كلكم
راع وكلكم مسئول عن رعيته قرا ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر
وذرياتنا على التوحيد وهو المختار لدلالته على الكثرة بمادته مع خفته
ومن امامنا بيانية او ابتدائية اى اجعل لنا قرة اعين من جهتهم وانما نكر
قرة مبالغة كانه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا تاما وان جمع الفلة
لفلة المؤمنين الموصوفين بتلك الصفات واجعلنا للمتقين اماما نعتدى
هنا لبذل بذلك زيادة الاجر فان الدال على الخير له مثل اجر فاعله والافراد
لعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر فى الاصل او التقدير كل
واحد منا او لان المؤمنين كنفس واحدة كما نطق به من لا ينطق عن الهوى
اولئك يجزون الغرفة العلية جمعها غرفات وغرف وحد لارادة
الجنس وعدم اللبس ولقوله وهم فى الغرفات امنون وهى على قدر الاعمال
والتوحيد انما رتب على هذه الاوصاف الكاملة وهى مضبوطة فالمتصفون
بها متحدون فى الجزاء لاتحاد ما عملوا به بما صبروا به يصبرهم ويلقون
فيها تحية وسلاما تحيتهم الملائكة ويسلمون عليهم او بعضهم بعضا
وقرا حمزة والكسائى وابو بكر يلقون من اللقاء اى لصادفون والتشديد
ابلغ فى الاكرام خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما فى مقابلة
ساءت مستقرا ومقاما ومثله اغراما قل ما يعبؤا بكم ربى عباءة بالشىء
باليت واعتد ما استفهامية فى موضع المصدر والمعنى اى اعتداد
يعتد بكم ولا وزن مقدارا لكم عنده ولو دعاؤكم ايمانكم او عبادتكم
اى لكمال فى التجلى بالملكات النظرية والتخلى عن الشواغل وقطع العلائق
بالتوجه الى جناب قدسه فقد كذبتم خطاب للمشركين قريش خاصة بعد ان
خاطب الجنس المتناول لهم ولغيرهم فانتظم الخاتمة مع الفاتحة لان السورة
كالبيت مصدرة بتكذيبهم فسوف يكون لزاما عذابا ملازما يوم القيمة
وعن مجاهد هو القتل يوم بدر ولزم من القتل ترابا وعن عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه خمس قد مضين الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والروم
تمت السورة والحمد لله حق حمده والصلوة على نبيه وعبده

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم طسم حروف مبسوطة للايقاظ او اسم للسورة

قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بامالة الطاء وورش بين بين واظهر السين
حمزة اشارة الى ان اصل حروف التهجي عدم التركيب والوقوف عليها تلك
آيات الكتاب المبين الواضح اعجازه والمراد السورة او القران بأسره و
المشار اليه ما دل عليه الحروف لعلك باخع نفسك قاتل نفسك اثر الجاع
بالباء عرق في الصلب متصل بالعنق وهو نهاية الذبح وبالنون دونه وهو
الحنط الابيض ومعنى لعل الاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها
اسفا على ما فاتك من ايمان قومك وفيه نهاية مدح له بما قام به من الاجتهاد
في التبليغ الا يكونوا مؤمنين خيفة الا يؤمنون ان نشأ ننزل عليهم
من السماء اية ملجئة لهم على الايمان فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين
اقحم الاعناق لبيان موضع الخضوع ولما وصفت باوصاف العقلاء اجريت
مجرى بها في الجمع بالواو والنون او الاعناق جمع عنق بمعنى جماعة اي جماعاتهم
وفي الحديث لا تزال الناس مختلفة اعناقهم في طلب الدنيا وفيه ايضا يخرج
من النار عنق اي طائفة او رؤساؤهم والعرب يسمي سادات الناس اعناقا
وما ياتيهم من ذكر وحي بذكرهم من الرحمن محدث انزاله لتجدد التذكير
الا كانوا عنها معرضين الا استمروا على الاعراض فقد كذبوا حين اعرضوا
فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون ما اصابهم يوم بدر او يصيبهم
يوم القيمة والقيام الا يذان للدلالة على عظم ما ينزل بهم فان الواقعة اذا عظمت
شاعت في الاقطار والبلدان وسارت باخبارها الركبان فان قلت ذكر مثله
في الانعام مصدرا بسوف وههنا بالسين فما وجه ذلك قلت الوجه والله
اعلم ان كلتا السورتين مكيتان فالظاهر ان اية الانعام سابقة نزولا اذ
التراخي في سوف اكثر من السين اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى البدايع
ما فيها كم انبتنا فيها من كل زوج من كل صنف والجمع بين كم وكل لافادة
الكثرة اجمالا والاستيعاب تفصيلا فكانه قيل انبتنا فيها افرادا كثيرة من
كل صنف صنف كريم شريف مرضي الصفات اما بسيطا او مركبا ان في ذلك
لاية افراد الاية مع كثرة الازواج الدال عليها كم وكل لانه اريد الانبات
المتعلق بها او باعتبار واحد وما كان اكثرهم مؤمنين مع وضوح الاية
لكونهم مخلوقين للنار وان ربك لهو العزيز الغالب على كل شيء فينتقم
منهم الرحيم حيث ارسل اليهم رسولا بالايات ولم يعاجلهم بالانتقام
بعد التكذيب والانكار واذ نادى ربك موسى بعدما بين اعراض قومه
وتكذيبهم واستهزاءهم به وبما جاء به اتبعه بقصص الانبياء مع اقوامهم
وبما جرى لهم معهم من التكذيب والاستهزاء وكيف صبروا على اذاهم

ثم كان لهم العاقبة وشفاء الصدور وقدم قصة موسى لانه اقرب احوالا
من رسول الله وامته او قرأ الامم بعد هذه الامة ان ائت القوم الظالمين
فرعون وقومه كانوا مع شركهم قد استعبدوا بني اسرائيل يقتلون ابناءهم
قوم فرعون بدل من القوم او عطف بيان وفيه دلالة على كون فرعون
علما في الظلم والطغيان لان البدل مقصود بالنسبة ودلالته على المعنى
المراد من الكلام او في الا تتقون استيناف عجب به عن تمادي القوم في
الظلم غير ناظرين في عواقب الامور وجعله حالا من ضمير الظالمين ليكون
انكار عدم التقوى توبيخا لهم فيفيد انكار الظلم من باب الاولى وان عدم
التقوى هو الذي حرضهم على الظلم حسن الا ان دخول الهمزة على الحال
لا يجوز الا توسعا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني فارسل الى هرون يكذبون بعدا داء الرسالة ويضيق صدري
لما يعتريني من هم عدم الغرض ولا ينطلق بعد ذلك لساني على المحاجة والمناظرة
معهم مع انهما من ضرورات مدعي الرسالة وكان هذا من كمال عقله اظهر
عجزه واحتياجه الى الموازر والمعين ليكون ذهابه الى الخصم على بقيضه وتوفر
عدة واسباب فاني يتصور منه التعليل بل كان هذا منه عين الطاعة
ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون به قصاصا وليس لي على دفعه قدرة و
انما اخر خوف القتل ووسط بينه وبين ثالث العلل فارسل الى هرون لئلا
يتوهم من ظاهر كلامه التعليل فان موسى لم يكن في بسطه المقال وسلاطة
اللسان مثل هرون فاستعان به مع انه اخوه الشفيق ليحصل
له شرف النبوة اذ معنى فارسل اليه اني بالنبوة والرسالة قال كلا فاذهبا
بآياتنا اجابه الى ما سئل من ضم اخيه وازال خوفه بقوله كلا اني واندع
عن ذلك الوهم وعليه عطف فاذهبا بعد تغليب المخاطب على الغائب انا
معكم مستمعون معاوله الطرفين والمعية معية الحفظ والكلاءة و
النصر وعبر عن التسماع بالاستماع الذي هو الاصغاء والاعتناء بشأن
المسموع اشارة الى كمال العناية بهم وهو خبر ثان او هو الخبر ومعكم غير
مستقر فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين خصه بالذكر بعد
قوله ائت القوم الظالمين دلالة على انه قدوتهم والقوم تبع وانما افرد
الرسول مع كون المخبر عنه اثنين لاتحاد المرسل به او لكونهما الخبرين مخبرين
في الاخوة او على تقدير كل منا او لانه مصدر وصف به كقوله شعرا لا
ابلغ ابا عمرو رسولا يا بني عن فباحتكم غني ان ارسل معنا بني اسرائيل
الى بلاد الشام ان مفسرة لتضمن الارسال معنى القول فان قلت كان مرسلا

الى القوم الظالمين ليدعوهم الى الله وهذا ظاهر فى انه انما ارسل لطلب بنى
اسرائيل فلت الغرض الاصل هو دعوتهم وانما بدأ بالاسهل والقول اللين
لئلا يشمئز ويطغى ولذلك ذكر رب العالمين ليدخل فيهم فرعون فيحمله
الاستكبار عن السؤال عنه تجاهلا فيقع المناظرة على وجه الرفق كما سيأتى
قال الم نربك فينا وليدا طفلا سمى به لقرب ولادته ولبثت فينا فى
منزلنا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج بعد قتل
القبطى ولبث فى مدين عند شعيب عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم
الى الله ثلثين سنة ثم لبث رسولا بعد غرق فرعون خمسين سنة و
فعلت فعلتك التى فعلت يريد قتل القبطى عظم قتله لانه كان من خواصه
قيل كان خبازا لفرعون واسمه فانون وانت من الكافرين بنعمتى لان
من كان فى نعمه شخص يجب عليه توقيره ورعاية حقوقه او من الكافرين
الذين تدعوهم الى الايمان الآن او من الكافرين بربا لعالمين وذلك افتراء
منه ان الانبياء قبل البعثة معصومون من الكبائر كان غرضه من هذه
المقدمات تبعيده عما هو بصدده بان من يكون متلبسا بهذه الرذائل
كيف يرشح للمراتب العلية فضلا عن منصب الرسالة قال فعلتها اذا وانا
من الضالين عن طريق الصواب لا لكونه من خواصك بل بالاقدام قبل
الاذن او المخطئين فانه لم يتعمد قتله بل تاديبه فالت الوكزة الى القتل او
فاعلين فعل اهل الجهل اعتراف منه فعرزت منكم لما خفتكم فوهب لى
ربى حكما فان الانبياء حكام على الناس او حكمة وهى علم الشريعة و
جعلنى من المرسلين فبطل ما تشبثت به وتلك نعمة تمنها على ان عبدت
بنى اسرائيل تلك مبتدأ ونعمة خبر وتمنها وصف وان عبدت عطف
بيان والمعنى تلك الخصلة القبيحة وهى تعبيد بنى اسرائيل تعدها نعمة
على بانى قد ربيتنك وتجعلنى مسيئا فى مقابلة احسانك وابن الاحسان
بل انت المسئ اذ لو لم تفعل ما تفعل من قتل الابناء كنت مربى فى اهل
وانما افرد الخطاب فى تمنها وجمع فى الاولين لان المنة كانت منه
وحده والفرار والخوف منه ومن قومه وعن الفراء ان هذا الكلام
اقرار واعتراف من موسى حيث عبد بنى اسرائيل ولم يعبده وارادما فاد
احسانه بارشاده الى طريق الصواب يقال عبد وتعبد اى اتخذ الناس
عبيدا قال فرعون وما رب العالمين لما لم يجد تلك المقدمات اخذ فى
السؤال عن حقيقة من ارسله تعنتا لا استرشادا قال رب السموات
والارض وما بينهما اشارة انه مباين للممكنات لان موجدها يجب

ان يكون واجبا خارجا عنها فلا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية
لامتناع تعريفه بنفسه واستحالة الاجزاء لاستلزام التركيب الامكان
ان كنتم موقنين ذوى ايقان محققين الاشياء مطلعين على احوالها
بالادلة قال لمن حوله الا تستمعون عجب الملا محوله من قوله لانه سأله
عما عن حقيقته واجاب باللوازم قال ربكم ورب اباءكم الاولين اذ ربما
يتوهم قدم السموات والارضين كما هو مذهب الدهرية وكان فرعون
دهريا لقوله تعالى وظنوا انهم الينا لا يرجعون واما خلقهم وخلق
اباءهم ولا مجال للوهم فيه قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون
اضافة اليهم لان تسميته رسولا على وجه التهكم قال رب المشرق
والمغرب وما بينهما من الكائنات موجدها وحافظها ان كنتم تعقلون
ان كان لكم عقل فقد اجبتكم جوابا شافيا لقد اسمعت لو ناديت حيا و
لكن لا حياة لمن تنادى قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين
الداخلين فى زمرتهم وقد عرفت حالهم فيل كان اذا سجن انسانا القاه
فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق لا يرى شيئا ولا يسمع صوتا وهذا
دليل على انه علم انه محق اخاف ان لوامر بسجنه يصيبه اففة والا فما وجه
التوقف اذ لم يكن على فرعون مصيبة اشد من ان يدعى الى عبادة الغير
وهو يقول انا ربكم الاعلى قال اولو جئتك بشئ مبين واضح الدلالة
على صدقى اتفعل ما تهددنى به قال فات به ان كنت من الصادقين فى دعواك فالقى عصاه
فاذا هى ثعبان مبين واضح لا يشتبه على احد انه ثعبان وهى الحية العظيمة
ونزع يده اخرجها من كمه فاذا هى بيضاء للناظرين قيل لما القى عصاه
وصارت ثعبانا قد رميل فاقبلت الى فرعون فاستغاث بموسى فاخذها
فعادت عصا فقال هل من اية غيرها فاخرج له يده فراها على هيأتها ثم
ادخلها فى جيبه فاخرجها بيضاء لها شعاع يسد الافق ويكاد يخطف
الابصار وفى ذكر الناظرين دلالة على ان بياضها كان بديعا يجتمع النظار
على النظر اليه قال للملا حوله مستفهمين حوله نصب على المحل محلا و
لفظه نصب بنزع الخافض اى قال هذا لساحر عليم ما هر فى سحره يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون طار عقله من الرعب فهذوا
عن دعوى الالوهية الى الاسترشاد والاستنصاء بارائهم ملائمة لعلهم
يرشدونه الى الخلاص مما دهاه قالوا ارجه واخاه احبسه والاناظرة
وما فيه من القراءات والوجوه تقدم فى الاعراف وابعث فى المدائن

فى مدائن ملكك حاشرين لك السحرة يأتوك بكل سحار عليم كامل العلم
فى فنه فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم
معين وهو وقت الضحى من الزينة لقوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر
الناس ضحى فإن قلت المأمور به كل سحار عليم والسحرة جمع ساحر فقد
حشروا ما لم يؤمروا به قلت الأمر كذلك لئلا يقول لهم لم يأتوني بكل سحار
وقيل للناس هل أنتم مجتمعون القائل فرعون أو من هو من قبله وهو
للاستبطاء والمراد حثهم على الاجتماع لعلنا نتبع السحرة إن كانوا
هم الغالبين كناية عن عدم اتباع موسى لأن من لوازم اتباعهم لأن
من يقول انا ربكم الاعلى كيف يتبع الساحر فلما جاء السحرة الموعد
للمناظرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين لموسى في سحره
قال نعم جزاء للشرط لأن قولهم ائن لنا لأجرا دال عليه وإنكم إذا لمن
المقربين عطف على جزاء الشرط فأجاب وجزاء على أصله زادهم على
طلبهم ترغيب قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أثر ما تحقيرا لما
هم يلقون وليس الغرض أمرهم بالسحر بل التوسل الى الحق فألقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على أنهم
غالبون لفرط اعتقادهم لأنهم أفرغوا جهدهم في الاتيان باقصى ما يمكن
من السحر واليمين بغير الله وصفاته وافعاله ورد النهي عنه لأنه من شعار
الجاهلية فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف تبلع قرأ حفص بالتخفيف
ما يأفكون ما يزورونه ويختلقونه به الناس أصل الافك صرف الشيء عن
وجهه وصفته التي هو عليها ويجوز أن يكون ما مصدرية تسمية للمأفوك
به إفكا مبالغة فألقي السحرة ساجدين تيقنوا أنه من قبل الله لأنها
ابتلعت تلك الحبال والعصي ولم تر دجرمها وانما اوثر القول على خروا
لذكره بعد الالقاء مشاكلة مع دلالة الالقاء على أنهم من فرط يقينهم
لم يتمالكوا عن أنفسهم طرحوا أكرها وفاعل الالقاء هو الله أو هم اى القوا
أنفسهم قالوا آمنا برب العالمين حال بتقدير قد رب موسى وهرون
بدل من رب العالمين دفعا لوهم فرعون انه المراد برب العالمين قال
آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا نهاية
جهله أو من شدة حيله أراد التلبيس على الحاضرين وإلا فالسحرة المتفوقون
في النواحي متى تمكنوا من رؤية موسى والمجالسة فضلا عن التعلم ألهمزة
الثالثة مقلوبة ألفا لكل القراء والثانية محققه لحمزة والكسائي و
أبو بكر مسهلة للباقين على أصولهم فلسوف تعلمون وخامة ذلك

وعيد لهم لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف على التعاكس اليمين مع
الشمال أو العكس من اليد والرجل ولأصلبنكم أجمعين لتكوا زمانا عبرة
للناظرين قالوا لا ضير لا ضرر علينا في القطع والقتل والصلب إنا
إلى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فالقتل أهون أسبابه والشهادة اشرف
أحواله فما هدد تنا به مرغوب لا مرهوب ولا مهروب فكنوا عن الموت
بالانقلاب الى ربهم الكريم ولا ترى أحسن منها كناية انا نطمع أن يغفر لنا
ربنا خطايانا أن كنا أول المسلمين من زمرة فرعون أو من أهل المشهد
فان المسارعة الى الايمان بالرسول بعد دلالة المعجزة من اقوى وسائل
العبد الى الله والتقدير لأن كنا وقرئ بالكسر اما هضما لانفسهم أو
بالنظر الى العاقبة وعدم الثقة أو على طريقة المدل بحاله والممكن الذي
لا يظن به خلافه كقوله تعالى إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وأوحينا
الى موسى أن أسر بعبادي وذلك انه طالت مدة دعوته وأراهم الآيات
ولم يؤمن فيهم امره الله تعالى بالخروج بني إسرائيل وقرأ نافع وابن كثير
اسر بهمزة الوصل من السرى هما لغتان إنكم متبعون يتبعكم فرعون
وجنوده علة للأمر بالاسراء فأرسل فرعون في المدائن حاشرين للعساكر
حين أخرج بحروجهم إن هؤلاء لشرذمة قليلون قالوا هذا الكلام وانما
بالغ في تقليلهم بلفظ الشرذمة وهي الطائفة القليلة ثم وصف الشرذمة
بالقلة وأوقع القلة الدال على القلة أيضا وكان سماية وسبعين ألفا
نظرا الى ما له من الجنود والكثرة على ما روي ابن عباس انه خرج بألف ألف
حصان سوى الاناث من الخيل وانهم لنا لغائظون يفعلون افعالا
يوجب غيظا من خروجهم بغير الاذن وتركهم طاعته وأخذهم على العنف
فانهم استعاروها العبد لهم ثم ذهبوا لم يردوها وانا لجميع حاذرون
يتأهبون مستعدون وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر في رواية
هشام حذرون على الصفة المشبهة اى خايفون محذرون والمعنيان
يلائمان المقام فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم منازلهم
العالية حتى صار مثلا دورا لغراعنة كذلك نصب على المصدر اى
أخرجناهم مثل ذلك الاخراج أو جر على انه وصف مقام أو رفع خبر مبتدأ
محذوف وأورثناها بني إسرائيل ملكناهم ملكا لا رما لا يزال فأتبعوهم
مشرقين أدركوهم داخلين في وقت شروق الشمس يقال اتبعت فلانا فما
أدركته بعد ما سبق فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون
اى لما رأى كل منهما الآخر فالوا هذا الكلام لموسى خوفا قال كلا اى

ارتدعوا عن هذه الكلام إن معي ربي سيهدين طريق النجاة وانا قابلت
قوله هذا بقوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ظهر لك الفرق
بين مقاميهما فإن قلت قد فسرت اتبعوهم بادركوهم فما معنى رفع موسى
عن القول بالادراك بعد وقوعه قلت المراد بالادراك رؤية بعضهم بعضا
وما نفاه موسى أن يلحقوهم بحيث يصل شرهم اليهم قيل ان مؤمني ال
فرعون كانوا بين يدي موسى عليه السلام فقال له البحر امامك وقد غشيك
فرعون يجنوده بما ذا امرت قال بالبحر امرت ولعلي ادري بما انا اصنع فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر بحر القلزم وذلك المكان يسمى سويسا
معروف عند اهل مصر لا يختلفون فيه وتفسيره بنيل مصر فاسد وكيف
يتاتى في تهزيل ما اخبره الله تعالى عنه بقوله فانفلق فكان كل فرق كالطود
العظيم اي الجبل العالي من طاد الشيء اذا ذهب الى جانب السماء صعودا
في حديث عايشة رضي الله عنها تصف ابا بكر ذاك طود منيف والفاء في
فانفلق فصيحة والانفلاق الانشقاق والفرق الجزء من الشيء كالفلق
لفظا ومعنى وازلفنا قربنا ثم الاخرين فرعون وجنوده حتى سلكوا
مسالك بني اسرائيل في البحر او قربنا بعض ال فرعون بعضا حتى لا ينجوا منهم
احد روي ان جبرائيل صلوات الله عليه كان بين بني اسرائيل وبين ال فرعون
يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط بقوله رويدكم حتى
يلحق اخركم وانا اراد الله امرا هيئنا اسبابه وانجينا موسى ومن معه
اجمعين لا يشذ منهم واحد ثم اغرقنا الاخرين فرعون وجنوده
ان في ذلك لاية وانه اية وما كان اكثرهم مؤمنين فان القبط الذين
كانوا بمصر بعد ما سمعوا ما شاهدوا من فرعون لم يرجعهم ذلك ولم يؤمنوا بموسى
وامنت بنو اسرائيل فكما اخبر الله عنهم وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على
قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة
وقولهم ارنا الله جهرة واتخاذهم العجل الها وان ربك لهو العزيز
الغالب على كل شيء المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم
نبا ابراهيم قصته وحديثه مع قومه اذ قال لابيه وقومه وما تعبدون
سالهم ليعلمهم ان ما يعبدونه لا يصلح للعبادة كما تقول للتاجر ما مالك
فيقول الرقيق جمال واموال قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كان
حق الجواب اصناما واتما اطنبوا افتخارا وابتهاجا لم يرضوا بتحقير الجماد
للجماد حتى افتخروا به وانما اقر يظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار اشهارا
لعبادتهم كما يفعله الجهال المراءون او من اطلاق المقيد على المطلق قال

قال هل يسمعونكم اذ تدعون اي دعاءكم حذف للدلالة اذ تدعون عليه او ينفعونكم
جزاء لعبادتكم او يضرون من اعرض عن عبادتها قالوا بل وجدنا
اباءنا كذلك يفعلون اعرضوا عن ظاهر الجواب تحاشيا عن الاعتراف
بعدم شيء من صفات الالوهية فيها قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم وابآؤكم الاقدمون اخبروني عن شان ما استمررتم وعلى عبادته من
تقدم من ابائكم فان تقادم العهد لا يجعل الباطل حقا فانهم عدو لي
اي عدو لكم اضاف عداوتها الى نفسه تصويرا للمسئلة في نفسها لغة
في اظهار النصح وانه لا يرضى لهم الا ما يرضى لنفسه ولانه من باب التعريض
والتعريض اكثر جدوى من التصريح والدعى الى القبول حكى ان رجلا واجه
الشافعي رحمه الله بمكروه فقال لو كنت مكانك لاحتجت الى تاديبك في اداء
علي بن سند وكان من المجاورين بمكة ناسا يحدثون في الحجر فقال هذا ليس
بيني ولا بينكم ومعنى العداوة ما اشار اليه بقوله سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا افرده لاطلاقه على الجمع كالصديق والظهير
الا رب العالمين استثناء متصل لانهم كانوا يشركون ويزعمون انها
شفعاء اذ لا يقول احد بان الجماد صانع العالم الذي خلقني فهو يهدين
الذي عقب خلقي هدايته المتصلة ابتداء وها هداياته اذ كان جنينا الى
امتصاص دم الحيض وانتهاءها سلوك طريق الجنة والفوز برضوان
الله ولذلك ان لا ينمية مع كون الخبر مضارعا والذي هو يطعمني
ويسقين اي يمكنني من الطعام والشراب بان خلق في المشتهية والقوى
والارادة والفعل الهادي الى ايثار النافع وان مرضت فهو يشفين
من مرضي وفي ايثاره تعالى على كلمة اشارة الى ان مرض الموت محتوم لاشفاء
منه وغير الاسلوب حيث لم يقل وانا امرضني لانه بصدد عد النعم
فلم يلايم اسناد الامراض اليه وقيل لان كثيرا من الامراض انما تحدث
من تخليط الانسان في المطاعم والمشارب قال شعرفان الداء اكثر ما ترا
يكون من الطعام او الشراب فهو من رواد فهما والوجه هو الاول
والذي يميتني عده في النعم لانه وسيلة لقاء الله تعالى ثم يحيين
يوم القيمة والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين قال تواضعا
وهضما لنفسه كقوله ان لي ثلث كذبات ولم يكذب قط بل كانت معاريض
او هي ترك الاولى والافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين
فان قلت لم اتى بضمير الفصل في الافعال الثلثة الاول ولم ياتي به في
الاخيرين حيث لم يقل يميتني ثم هو يحيين واطمع ان يغفر لي هو خطيئتي

قلت لان الاسباب الظاهرية لها دخل فى تلك الافعال فدفع بضمير الفصل
كون تلك الاسباب اسبابا مؤثرة بخلاف الاحياء بعد الموت ومغفرة
الخطيئة يوم الدين اذ لا يتصور هناك سوى قدرته وارادته تعالى
رب هب لى حكما علما احكم به بين الناس او مواعظ وامثالا انفع بها
الناس وفى الحديث الصمت حكم وقليل فاعله ومنه الخلافة فى قريش
والحكم فى الانصار يريد العلم والفقه فان اكثر فقهاء الصحابة منهم
والحقنى بالصالحين اى وفقنى لعمل انتظم به معهم او احشرنى فى زمرتهم
ولقد اجابه الله تعالى فقال فانه فى الاخرة لمن الصالحين واجعل لى لسان
صدق فى الاخرين اى ذكرا حسنا وثناء جميلا وقد اجيب الى ذلك لا ترى
احدا من اهل الملل الا وهو ينتسب اليه فان قلت ما نفعه فى هذا ولم
طلبه وهل هذا الا طلب للشهرة والانتهاء منزهون عن ذلك فضلا عن
جلة الانبياء قلت انما سأل ذلك لنقتدى بسيرته السائرون الى آخر الدهر
فانه انما اثنى عليه بمحاسن اخلاقه وكريم صفاته كان ذلك باعثا للسامعين
على طلب اكتسابها امثالها وقيل اراد من يدعو الى دينه صادقا فى قوله
وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم واجعلنى من ورثة جنة النعيم
داخلا فى زمرتهم واغفر لابى انه كان من الضالين طريق الحق دعاء له
لانه كان وعده ان يستغفر له بقوله لاستغفرن لك قال تعالى وما كان
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والقول بان هذا الدعاء
ان كان بعد موته فلعل ابراهيم كان يظن ان اباه مؤمن والما يخفى ايمانه
نفيه من نمرود بعيد عن الصواب دل عليه مناظرته كما تقدم فى سورة
مريم ولو كان كذلك لحكى كما حكى سائر احواله ولا تخزنى يوم يبعثون
من الخزى وهو الهوان والذل او من الخزاية وهو الخجل والحياء وقد روى
البخارى ان ابراهيم يرى اباه فى النار فيقول يا رب انك وعدتنى الا تخزنى
واى خزى اعظم من ان يكون ابى فى النار فيقول الله يا ابراهيم انى حرمت
الجنة على الكافرين ثم ينظر اليه فيراه فى صورة ضيع قد مسخ فيعرض عنه
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم خالص عن الشرك
وسائر الرذائل والمعنى لا ينفعان الا من قلبه بهذه الصفة او لا ينفعان
الا من هذا شانه حيث انفق ماله فى مرضات الله وارشد بنيه الى الطريق
الحق وقيل الاستثناء من الكلام بحسب المعنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى
الا غنى من قلبه بهذه الصفة كما ورد فى الحديث انما الغنى غنى القلب
او الاستثناء منقطع اى لكن من اتى الله بقلب سليم تنفعه سلامة قلبه

ولا حاجة الى تقدير المضاف قيل من لان وصف القلب بالسلامة يغنى عنه
وعن الجنيد شيخ الطائفة ان التسليم هو التديع بالحق فلا قرار له وعن
القشيرى هو السالم عن ذكر غير الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين
فى ذلك اليوم وهم بعد فى عرصة القيمة تعجيلا للسرور اليهم وبرزت
الجحيم للغاوين جعلت مكشوفة لهم يرونها والتخصيص بالغاوين
لان المؤمنين لا يرونها لان تغير رؤيتها مما يكدر ويسوء ولم يصفها
بالقرب كما وصف الجنة لان قربها يؤذى اهل المحشر من المؤمنين لما فى الحديث
من ان ريحها ونشرها السرى هانه عام وقيل اشارة الى غلبة رحمته وسبقة
غضبه وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله فان هذا وقت نفع
العبادة سؤال توبيخ هل ينظرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون
بدفعه عن انفسهم استفهام انكار وتقريع لهم فكبكبوا فيها هم والغاوون
اى الالهة ومن عبدها والكب القاء الشىء على وجهه معكوسا والكبكبة
تكرير جعل التكرير فى اللفظ دليلا على تكرير المعنى وتكثيره فانه اذا
القى فيها انكب مرة بعد اخرى هكذا الى ان يصل الى قعرها فان طبقها
السفلى للمشركين وجنود ابليس اجمعون من اتبعه من الانس والجن
لقوله لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفى ضلال مبين واضع بعبادة غير الله والضمير فى يختصمون
للعبدة اى يخاصم الاتباع الرؤساء لقوله واذ يحاجون فى النار فيقول
الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا او لهم ولمن عبدوه من
الاصنام لقوله اذ نسويكم برب العالمين فان الخطاب لها وما اضلنا
الا المجرمون الكاملون فى الاجرام وهم الرؤساء الذين دعوهم فما
لنا من شافعين كما للمؤمنين يشفع لهم الانبياء والملائكة والعلماء
والانقياء والاصدقاء ولا صديق حميم رؤف شفوق من الاحتمام
لفظا ومعنى الا انه ابلغ منه او من الحامة وهى خاصة الانسان وفى الحديث
انه قال صلى الله عليه وسلم اللهم هؤلاء اهل بيتى وحامتى اذهب عنهم
الرجس وانما جمع الشفيع دون الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الصديق
قال شعرضا دا الصديق وكافا الكيماء معا لا يوجدان فدع عن نفسك
الطمعا اولانه يطلق على الجمع كالواحد مثل العدد والظهير فلو ان
لنا كرة رجعة الى الدنيا لو فى مثله للتمنى لان كل واحد منهما تقدير
غير الواقع واقعا فلذلك يصح التحزن فيكون من المؤمنين جواب التمنى
ان فى ذلك لاية اى فيما ذكر من مقالة ابراهيم فان العاقل يتعظ بها

وَيَسْتَبْصِرُ وَمَا كَانَ اكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ لِعَدَمِ التَّدَبُّرِ وَانَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْغَالِبُ الرَّحِيمُ بِارْسَالِ الرُّسُلِ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ
الْقَوْمُ مِنْ اَسْمَاءِ الْجُمُوعِ يُطْلَقُ عَلَى الرِّجَالِ خَاصَّةً فَفِيهِ تَغْلِيبٌ وَتَانِيثُ
الْفِعْلِ بِاعْتِبَارِ مَعْنَى الْجَمَاعَةِ وَيُقَالُ فِي تَصْغِيرِهِ قُوَيِّمٌ بِالتَّذْكِيرِ وَالْمُرَادُ
بِالْمُرْسَلِ نُوحٍ كَقَوْلِهِمْ فُلَانٌ يَرْكَبُ الْخَيْلَ اَوْ هُوَ وَسَائِرُ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اَوْ لِاَنَّ مَنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَقَدْ كَذَّبَ الْجَمِيعَ لِاتِّحَادِ دَعْوَتِهِمْ وَاشْتِرَاكِهِمْ
اِذْ قَالَ لَهُمْ اَخُوهُمْ نُوحٌ سَمَّاهُ اَخًا لِاتِّصَالِ نَسَبِهِ بِهِمْ كَقَوْلِ الْعَرَبِ يَا اَخَا
بَنِي فُلَانٍ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ اَلَا تَتَّقُونَ الشِّرْكَ وَعِبَادَةَ الْاَوْثَانِ اِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ اَمِينٌ كَانَ مَشْهُورًا بَيْنَهُمْ بِالْاَمَانَةِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَطِيعُونِ
فِي التَّوْحِيدِ وَمَا اَسْاَلُكُمْ عَلَيْهِ عَلَى اَدَاءِ الرِّسَالَةِ مِنْ اَجْرٍ حَتَّى اَنَّهُمْ اِنْ
اَجْرِيَ اِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَطِيعُونِ كَرَّرَهُ لِلتَّوْكِيدِ وَالتَّقْرِيرِ
فِي نُفُوسِهِمْ كَمَا هُوَ شَانُ النَّاصِحِ الشَّفُوقِ وَفِي الْحَدِيثِ كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ اِذَا
تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ اَعَادَهُ ثَلٰثًا وَلِاَنَّهُ عَلَّلَ الْاَوَّلَ بِكَوْنِهِ اَمِينًا وَالثَّانِي بِجِنْسِ
طَعْنِهِمْ قَالُوا اَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْاَرْذَلُونَ اَيِ الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ لَا مَالَ
لَهُمْ وَلَا جَاهَ وَهٰذَا كَمَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِرَسُولِ اللّٰهِ يَا مُحَمَّدُ مَا نَرَى مَعَكَ اِلَّا
الْاَعْدَدَ وَالرَّعَايَةَ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَاَيُّ عِلْمٍ لِي بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ لِاَجْلِهِ فَهُمْ مِنْ كَلَامِهِمْ اَنَّهُمْ يَطْعَنُونَ فِي اِيمَانِهِمْ بِاَنَّهُمْ اٰمَنُوا
لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ فَاَجَابَ بِاَنَّهُ اِنَّمَا يُطْلَبُ الْاِيمَانُ بِنَاءً عَلَى الظَّاهِرِ اِنْ حِسَابُهُمْ
اِلَّا عَلَى رَبِّي فَهُوَ الْمُطَّلِعُ عَلَى الضَّمَائِرِ وَيَجُوزُ اَنْ يَكُونَ حَمْلُ الرَّذَالَةِ فِي
قَوْلِهِمْ عَلَى الرَّذَالَةِ فِي الدِّينِ وَاِنْ لَمْ يَقْصِدُوهَا اِشَارَةً اِلَى اَنَّ الرَّذَالَةَ
الْمُعْتَدَّ بِهَا رَذَالَةُ الدِّينِ لَوْ تَشْعُرُونَ لَعَلِمْتُمْ ذٰلِكَ وَمَا اَنَا بِطَارِدِ
الْمُؤْمِنِينَ دَفْعٌ لِمَا اَوْهَمَ كَلَامُهُمْ وَاِيثَارُ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ اِيمَاءً اِلَى
اَنَّ وَصْفَ الْاِيمَانِ يُنَافِي الطَّرْدَ اِنْ اَنَا اِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ مَا عَلَيَّ اِمْتِنَاعُ اَوْ لَمْ
يُؤْمِنُوا اَوْ مَا عَلَيَّ اِنْ كَانَ اِيمَانُهُمْ لِغَرَضٍ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ
مِنَ الْمَرْجُومِينَ بِالْحِجَارَةِ اَوِ الشَّتْمِ وَهٰذَا دَأْبُ الْجَاهِلِ الْمَجْهُودِ قَالَ رَبِّ
اِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فِيمَا اَرْسَلْتُنِي بِهِ لَمْ يَدَعْ اَلَهُ لَمَّا اَصَابَهُ مِنْ اَذَاهُمْ بَلْ
لِتَكْذِيبِهِمْ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا اَحْكُمْ بَيْنَنَا بِاَظْهَارِ الْحَقِّ وَاِذْهَابِ
الْبَاطِلِ مِنَ الْفَتَاحَةِ وَهِيَ الْحُكُومَةُ لِاَنَّ الْحَاكِمَ يَفْتَحُ الْمُشْكِلَ فِي الدِّينِ وَمَا
اسْتُغْلِقَ عَلَى النَّاسِ وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ اَذَاهُمْ اَوْ مِنَ الْعَذَابِ
الَّذِي يُرْسِلُهُ عَلَيْهِمْ فَاَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ الْمَمْلُوِّ مِنَ
النَّاسِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي حَمَلَهَا نُوحٌ مَعَهُ ثُمَّ اَغْرَقْنَا بَعْدُ بَعْدَ اِنْجَائِهِ

الْبَاقِينَ وَهُمُ الْكُفَّارُ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَةً اٰيَةً اٰيَةَ سَاعَتْ وَنَوَائِبَ وَلَائِقَةً
اَشْهُرٍ مِنْ طُوفَانِ نُوحٍ وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بِلْ اَفْلَبُهُمْ وَهُمْ ثَمَانُونَ
نَفْسًا وَاِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ
حَيْثُ لَا يُعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ اَنَّهُ بِاعْتِبَارِ الْقَبِيلَةِ
وَهُوَ فِي الْاَصْلِ اِسْمُ رَجُلٍ اِذْ قَالَ لَهُمْ اَخُوهُمْ هُودٌ اَلَا تَتَّقُونَ اِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ اَمِينٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَطِيعُونِ وَمَا اَسْاَلُكُمْ مِنْ اَجْرٍ اِنْ اَجْرِيَ اِلَّا عَلَى
رَبِّ الْعَالَمِينَ اَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ اٰيَةٍ عَلَامَةٍ وَالرِّيعُ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ وَعَنْ
عَمَّارَةَ هُوَ الْجَبَلُ اِسْمُ جِنْسٍ وَاحِدُهُ رِيعَةٌ وَالْجَمْعُ رِيَاعٌ وَهُوَ الطَّرِيقُ اَيْضًا
وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُسَيَّبِ بْنِ عَلَسٍ رِيعُ يَلُوحُ كَاَنَّهُ سُحُلٌ تَعْبَثُونَ عَابِثِينَ بِالْمَارَّةِ
لَا غَرَضَ لَكُمْ سِوَاءٌ وَقِيلَ يَبْنُونَ اَبْرَاجَ الْحَمَامِ وَقِيلَ كَانُوا عَارِفِينَ بِعِلْمِ النُّجُومِ
يَهْتَدُونَ بِهَا فِي اَسْفَارِهِمْ وَكَانُوا يَبْنُونَ تِلْكَ الْاَعْلَامَ لِلطُّوَالِ عَبَثًا
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ الْمَبَانِي وَالْقُصُورَ الْعَالِيَةَ وَقِيلَ مَوَاضِعَ الْمَاءِ الْحَاصِلِ
مِنَ الْمَطَرِ جَمْعُ مَصْنَعَةٍ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ تَرْجُونَ الْخُلُودَ فِي الدُّنْيَا اَوْ حَالُكُمْ
شِبْهُ حَالِ مَنْ يَخْلُدُ وَاِذَا بَطَشْتُمْ اَخَذْتُمْ بِالْعُنْفِ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ
قَاتِلِينَ عَلَى الْغَضَبِ وَالْجَبَّارُ مَنْ يَقْتُلُ اِذَا غَضِبَ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَطِيعُونِ
فِيمَا اَدْعُوكُمْ اِلَيْهِ مِنَ الْاِيمَانِ وَتَرْكِ الْقَبَائِحِ وَاتَّقُوا الَّذِي اَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ
اَمَدَّكُمْ بِاَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ بَالَغَ فِي التَّبْلِيغِ اَنْكَرَ عَلَيْهِمْ عَدَمَ
تَقْوِيَتِهِمْ بِحَسَبِ الْفِطْرَةِ وَمُقْتَضَى الْعَقْلِ ثُمَّ ذَكَّرَهُمْ اَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللّٰهِ صَادِقٌ
اَمِينٌ فَاَمَرَهُمْ بِالتَّقْوَى صَرِيحًا وَبَيَّنَ اَنَّ فِعْلَهُ لَيْسَ لِغَرَضٍ مُتَعَلِّقٍ بِالدُّنْيَا
ثُمَّ ذَكَّرَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْقَبَائِحِ وَاَمَرَهُمْ ثَانِيًا بِتَقْوَى اللّٰهِ وَطَاعَتِهِ ثُمَّ
ثَالِثًا اَمَرَهُمْ بِالتَّقْوَى ثَالِثًا وَعَلَّقَهُ بِالْمَوْصُولِ الدَّالِّ صِلَتُهُ عَلَى اَنَّ مَنْ بَطِرَ
مِنْهُمْ تَقْوَاهُ مُمِدُّهُمْ تَعَمَّمَتْ وَالِيَةُ عِلْمِهِمْ مُحِيطٌ بِهَا لَا يَجْهَلُونَ شَيْئًا مِنْهَا
ثُمَّ فَصَّلَ ذٰلِكَ الْمُجْمَلَ مُبَالَغَةً فِي الْوَعْظِ وَالنُّصْحِ ثُمَّ اَشَارَ بِقَوْلِهِ اِنِّي اَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ اِلَى اَنَّهُمْ اِنْ لَمْ يَمْتَثِلُوا مَا اُمِرُوا بِهِ يَلْحَقُهُمْ عَذَابٌ
لَا يُوصَفُ وَلَمَّا كَانُوا مِمَّنْ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا اَوَعَظْتَ
اَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ فَاَنَّ وَعْظَكَ وَعَدَمَهُ عِنْدَنَا سِيَّانِ غَيْرُ لَائِطٍ
فِي النَّفْيِ لِاَنَّهُ اَبْلَغُ فِي قِلَّةِ اعْتِدَادِهِمْ بِوَعْظِهِ اِنْ هٰذَا اِلَّا خُلُقُ الْاَوَّلِينَ
اَيْ مَا هٰذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ مِنَ الْاَكَاذِيبِ اِلَّا عَادَةُ اَمْثَالِكَ مِنَ الْمَاضِينَ
اَوْ مَا هٰذَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ وَالْمَوْتِ اِلَّا عَادَةُ السَّالِفِينَ وَاٰبَائِنَا
اَوَّلِينَ وَقَرَاَ ابْنُ كَثِيرٍ وَاَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ اَيْ
مَا هٰذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ اِلَّا كَذِبُ الْاَوَّلِينَ مِنْ اَضْرَابِكَ اَوْ مَا خَلَقَنَا

الاكلق الاولين اخر الموت ولا بعث وما نحن بمعذبين في الدنيا او في
الاخرة فكذبوه فاهلكناهم بسبب تكذيبهم ان في ذلك لاية
وايه اية بين كيفية هلاكهم في موضع اخر وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم
صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه على اداء الرسالة من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون
فيما ههنا امنين انكار لبقائهم على ذلك الحال او تذكير للنعمة قيل
فوت او ان الشكر عليها في جنات وعيون وزروع تفصيل بعد
الاجمال كما في قصة هود ونخل طلعها هضيم افرد النخل لمزيد فضله
او اراد وصف طلعة وهو ما يطلع منه على مثال تصل السيف ثم
يشق فيخرج منه ثمرته وهو لحمار الذي جاء في الحديث ان رسول الله
اتى الحمار والهضيم من الهضم هو الكسر كانه منكسر من نرا قيه وهو
من احسن الفواكه عند العرب وعن ابن عباس هضيم نافع كانه قيل
وتحل قد ارطب ثمره وطاب وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين
حاذقين من الفراهة وهي الحذق او اشرين بطرين وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو فرهين على الصفة المشبهة والمدا بلغ لدلالته على تجدد
الاشر والبطر ساعة فساعة فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد
ولا تطيعوا امر المسرفين اوقع الاطاعة على الامر وهي للامر لما بينهما
من التلبس او استعيرت الاطاعة للامتثال لما بينهما من الشبه الذين
يفسدون في الارض مستمرون على الافساد ولا يصلحون ولا يوجد
منهم اصلاح قط كسائر المفسدين يخلطون بالافساد اصلاحا قالوا
انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب عقلهم ما انت
الا بشر مثلنا اتى تنزلنا عن كونك مسحورا ليست بشرا مثلنا الى
لك رتبة الرسالة فات باية ان كنت من الصادقين في دعواك
قال هذه ناقة اختصر القصص لان الغرض تسلية رسول الله
وهو قد احاط بها علما في مواضع اخر فاكتفى بطرفها لها شرب حظ
من الماء كالقيت من القوت والمسقى من السقي ولكم شرب يوم معلوم
فلا تجاوزه ولا تمسوها بسوء فضلا عن القتل والضرب فياخذكم
عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظيم العذاب الواقع فيه على طريق
المجاز الحكمي حتى كان شدة العذاب سرت الى الوقت اسند العقر
اليهم والعاقر واحد وهو قدار لرضى الكل به روي انه لم يعقرها حتى

داروا على المحذرات فرضيت كلهن بذلك فاصبحوا نادمين على فعلهم
خوفا من العذاب لا تصديقا لقول صالح والا لنجوا كما نجا قوم يونس او
ندموا بعد فوات الوقت وهو ايمان الياس فاخذهم العذاب صيحة
جبرايل ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم قيل انما لم يصب قريشا ما اصاب تلك الامم ببركة من امن
منهم ايسند لا لا بقوله وما كان اكثرهم مؤمنين وفيه ان رسول الله
حين خرج من بينهم لم يكن امن قريش الا قليل بل انما لم يصبهم ما اصاب
اولئك لعدم اتيانه باياتهم المقترحة كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم
اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من
العالمين الجار والمجرور حال من الذكران والمراد بالعالمين الناس لان المانع
الذكر منهم خاصة فالجمع بالواو والنون على اصله وخروج الملك والجن
بقرينة العقل او متعلق بتاتون فالمانع كل من بنا في منه الانيان من سائر
الحيوانات والجمع بالواو والنون للتغليب وخروج غير الانس بتلك القرينة
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم من امما بيان ما واريد به جنس الاناث
او تبعيض ومراد بما خلق المحل المباح منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا ياتون
من نسائهم في غير موضع الحرث بل انتم قوم عادون متجاوزون الحد في
انواع المعاصي وهذه الجريمة من ذاك او انتم اخفاء بان توصفوا بالعدوان
لارتكابكم هذه العظيمة وهذا اوجه لدلالته على ان هذه الجريمة كالعظائم
ولذلك لم يلاحظ متعلق العدوان قالوا لئن لم تنته يا لوط عن مقالتك
لتكونن من المخرجين من بيننا هددوه بالاخراج لان مفارقة الوطن من
اشد العذاب قال اني لعملكم من القالين من المبغضين اشد البغض فلا ابالي
بالخروج من بينكم وهذا ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لله على انه
داخل في زمرتهم معدود من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون من شوم
عملهم فنجيناه واهله اجمعين حكمنا نجاتهم الا عجوزا في الغابرين
الباقين في العذاب وهي امراته مستثناة من الاهل بشموله اياها ثم
دمرنا الاخرين هلكناهم وامطرنا عليهم مطرا هي الحجارة لقوله فو
امطرنا عليهم حجارة من سجيل فان قلت اهلاكهم كان بقلب القرية عليهم
كما تقدم من قوله فجعلنا عاليها سافلها فما فائدة الامطار عليهم قلت
اظهار القهر وشدة الغضب كما اهلكت عاد بالريح مع الصيحة وعن قتادة
امطر الله الحجارة على شذاذ القوم ولا بأس في الامطار على الحاضرين لقوله

وامطرنا عليها حجارة فان الضمير للقرية فساء مطر المنذرين مطرهم
فالمخصوص محذوف واللام في المنذرين للجنس ليصح وقوع ما اضيف اليه
فاعل ساء إن في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين بل اقلهم وهم
الذين مع لوط وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين
الايكة الغيظ التي فيها ناعم الشجر الملتف وقرأ نافع وابن عامر ليكة
على وزن ليلة وهما لغتان كمكة وبكة كذا عن ابن عباس والخليل فمن
قال ان ليكة اسم لا يعرف انما شهد على التي قال ابو عبيدة رسمتها
وفي سورة ص ليكة في الامام وفي الحجر وق الايكة وهم طائفة من
اهل مدين ضاقت بهم البلد فخرج منها ارباب الاموال والمكية الى ايكة
هناك وبنوا بين تلك الاشجار وما قيل ان شعيبا ارسل الى اهل مدين وهم
قومه والى اهل الايكة ولم يكونوا قومه ولذلك قال إذ قال لهم شعيب
ألا تتقون ولم يقل اخوهم فقد وهم كيف وفي الحديث انما كان ينبغي ان ينبعث النبي
الى قومه وبعثت الى الاحمر والاسود فان قلت فلم لم يذكره باسم الاخ كما
في سائر قصص الانبياء قلت كثير في هذه السورة ذكر الاخ وكانت قصة
شعيب اخر القصص فحذف لذلك وليكون فيه اشارة الى ان القصص قد تمت
وقد رمز الى ذلك بحذف التاء في كذب ايضا وهذا من غوامض اسرار القرآن
واختصاراته إني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر إن اجري إلا على رب العالمين اوفوا الكيل اذا كلتم للناس اتموه
ولا تكونوا من المخسرين بحقوقهم بالتطفيف تصريح بما علم ضمنا ولم يذكر
الزيادة لانها غير واجبة ولا محرمة بل من الجميل فان فعل فيها والا فلا
عيب وزنوا بالقسطاس المستقيم الميزان السوي عن الحسن هو القبان
واللفظ ان كان روميا كما قيل فالوزن فعلال والا فمن القسط وهو العدل
فالسين زايدة والوزن فعلاس وليس من التضعيف والا لكان وزنه
فعلاع وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس
اشياءهم لا تنقصوها من بخسته الشيء نقصته وهو عام في كل حق
يجحد غصبا وسرقه وغيرهما ولا تعثوا في الارض لا تفسدوا فيها بالقتل
والغارة وقطع الطريق مفسدين حال مؤكدة واتقوا الذي خلقكم
والجبلة الاولين الخليقة الاولين مصدر بمعنى المفعول من جبلة الله
خلقه ذكره توكيدا لاستحقاقه للتقوى لانه خلق الاولين الذين هم اصولهم
وآباؤهم وسميت هؤلاء كما أماتوا اولئك قالوا انما انت من المسحرين وما
انت إلا بشر مثلنا ادخلوا بين الوصفين للدلالة على ان كل منهما

الرسالة استقلالا لا بخلاف قصة ثمود مع صالح فتكذيب قوم شعيب ابلغ
واقوى من اولئك وإن نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا
كسفا من السماء إن كنت من الصادقين هذا غاية انكارهم كما قالت كفار
قريش إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قرأ
حفص كسفا بالتحريك والباقون بالاسكان وكلاهما جمع كسفه وهي
القطعة قال ربي اعلم بما تعملون فيجازيكم على وفق ذلك بإسقاط الكسف
او غيره فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة قيل اخذهم بالحر الشديد
ومنع عنهم الهواء البارد وحتى قلقوا وخرجوا الى الفضاء فاضلتهم سحابة
فوجدوا البرد والروح منها فامطرت عليهم نارا وكان ذلك اشد العذاب
العذاب من مظنة الرحمة كما فعل في قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل
اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم
إنه كان عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم الواقع فيه على
طريقة المجاز إن في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو
العزيز الرحيم كرر في اوائل القصص واواخرها ما كرر لانها تليت على
الضم اليكم الذين لا يعقلون فالاجدر التكثير والتكرير بالوعظ والتذكير
ازاحة للاعذار واشاعة للابلاغ والانذار وإنه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك خص القلب لانه وعاء العلوم ومدرك
المعقولات والروح الامين جبريل لانه واسطة بين الله وبين الرسول
في تبليغ الاحكام وقرأ نافع وابن كثير وابو عمر وحفص نزل مخففا وانث فعله
ونزل مشددا اسند الى ضمير الله والروح الامين منصوبا لتكون من
المنذرين داخلا في زمرتهم بلسان عربي مبين واضح لئلا يقولوا
لولا فصلت آياته أعجمي وعربي متعلق بنزل وقيل يجوز تعلقه بالمنذرين
بناء على ما قيل ان هودا وصالحا وشعيبا واسمعيل من العرب وهذا لو فرض
صحته معنى ريك وإنه اي القرآن لفي زبر الاولين اي ذكره او معناه
وقد يستدل به لابي حنيفة ان القرآن هو المعنى دون النظم ولذلك جوز
القراءة بالفارسية والتحقيق ان المنزل هو النظم المنزل للاعجاز ولذلك
صح رجوع الامام الى قول الجمهور أو لم يكن لهم اية أن يعلمه اي القرآن
علماء بني اسرائيل بنعته في كتبهم وكانت كفار قريش يسألون اهل الكتاب
عن احوال رسول الله والمراد عبد الله بن سلام واضرابه ممن آمن لا من حرف
الكلم من بعد مواضعه وقرأ ابن عامر نكن مؤنثا ورفع اية على ان كان تامة
واية فاعلها وان يعلمه بدل من الفاعل او خبر مقدرا والتقدير بأن يعلمه

أولا ان أو نا قصة واسمها ضمير القصة وآيه أن يعلمه اسمية مقدمة الخبر
خبرها أو الخبر لهم آيه وأن يعلمه على الوجوه الثلثة أو هو من قبيل مزاجها
عسل وماء وفيه ضعف والاولى التذكير والنصب لعدم الاضمار والتقدير
ولو نزلناه على بعض الاعجمين اى القران كما هو أو بلغة العجم والعجمة
لغة الكنة ولما كان من يتكلم بغير لسان العرب لا يفقهون كلامه سموه
أعجم والاعجمين جمع أعجمى بتخفيف الياء لا أعجم لان افعل فعلاء لا
يجمع بالواو والنون كذا نقل عن الزجاج والحق ان اللفظ منقول فلا مانع
فقراءه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم أو لغرط عنادهم واستكبارهم
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ادخلناه اى الكفر والتكذيب دل عليه
ما كانوا به مؤمنين أو القران عرفوه باعجازه وأنكروه يؤيده قوله
لا يؤمنون به اى بالقران حتى يروا العذاب الاليم حين لا ينفع الايمان
فان قلت لم أثر في سورة الحجر بسلكه لقط المضارع قلت لانه فرعه على
قوله ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون الدال على استمرارهم الامم
المكذبة على الاستهزاء والكلام هنا في كفار قريش المختوم على قلوبهم
فيأتيهم بغتة في الدنيا أو في الاخرة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن
منظرون ناسفا على مقدار طرفه عين لما هم فيه اليوم والفاء للترتيب الرتبى
فان مفاجاة العذاب اشد من رؤيته أفبعذابنا يستعجلون رد لقولهم
أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم الهمزة للانكار والفاء
للترتيب على الكلام السابق والمعنى ايستعجل بمثل هذا العذاب عاقل ويقال
لهم يوم القيمة توبيخا لهم حكى لنا لطفا والمضارع على هذا بمعنى الماضى
واوثر لاستحضار تلك الصورة أو بقدر كانوا ثم قال أفرأيت ان متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون مرتبا على
الاستهزاء والاستعجال تعجيبا من حالهم وهذا كما يقول لمن اغتر بكثرة
العشائر والاموال هب انك بلغت فوق ما تأمل أليس بعده الموت والخطاب
عام بناء على ان هذه القصة من حقها ان يخبر بها كل احد ليتعجب منها
كل سامع وعلى الاول متعلق بقوله هل نحن منظرون وقوله أفبعذابنا
يستعجلون معترض للتبكيت وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون
من الانبياء والرسل ذكرى نصب على المصدر بمعنى تذكره لان ذكروا
منقاربان أو مفعول له اى لاجل الموعظة أو حال من ضمير منذرون اى
ذوى تذكره أو رفع خبر مبتدإ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية
أو صفة لمنذرون اما بتقدير مضاف اى ذوى وذكرى أو جعلوا نفس

الذكرى لمبالغتهم في التذكير وايمانهم فيه أو متعلق بمقدر والمعنى ما اهلكنا
من قرية الا بعد الزام الحجة ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لمن يفعل مثل
فعلهم وهذا اليق بالمقام لدلالته على وعيد المستهزئين وانهم اخفاء
بان يجعلوا عبرة لمن بعدهم وما كنا ظالمين بان نهلك قبل الانذار وهذا
على المتعارف اذ لا يتصور الظلم من المالك الموجد تعالى وما تنزلت به
الشياطين كما يزعم الكفار انه من القاء الشياطين الى الكهان وما
ينبغي لهم لسفاله محلهم وما يستطيعون وما يقدرون على ذلك
انهم عن السمع لمعزولون كانوا يسترقون السمع الى الملائكة ويأخذون
منهم الاخبار ويلقونها الى الكهنة فلما بعث رسول الله حجبوا ورجموا
وهذا ما قالوا انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا
رصدا فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين الخطاب له والمراد
غيره فان شان الملوك خطاب الخواص مما لا يتصور وقوعه منهم مبالغة
في زجر العامة أو هو من باب الاهاب لازدياد الاخلاص وانذر عشيرتك
الاقربين الاقرب فالاقرب ليكون تبليغه بعد ذلك في الابعد ابلغ ولانه
عشيرته ربما اعتمدوا على قرابته فقطع دابر شبهتهم روى البخاري عن ابن
عباس انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصفا فجعل
ينادي يا بني فهر يا بني عبد مناف لبطون من قريش وكان الرجل اذا لم يستطع
ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال رسول الله
أرأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا
نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب
وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين خفض الجناح مثل في التواضع ولين الجانب فان الطائر عند
الانحطاط يكسر جناحه من بين سائر اعضائه لان من اتبعه اعم من المؤمنين ومن
اتبع لغرض آخر أو تبعيضية والمراد بالمؤمنين المشارفون والمصدقون
باللسان دون القلب فان عصوك عشيرتك والمؤمنون فقل اني برئ مما
تعملون من عملكم لم يقل منكم اشارة الى ان المجانبة عارضة بخلاف قولا بليس
اني برئ منكم لان المباينة ذاتية والعداوة صلبية وتوكل على العزيز الرحيم
فوض أمرك الى من هو غالب لا يغالب يقهر اعداءك وينصرك واولياءك وقرأ
نافع وابن عامر بالفاء عطفا على جزاء الشرط أو على قوله فلا تدع أو بدل من جواب
الشرط وألوا واظهر وعليه الرسم العراقي والمكي وعلى الفا المدني والشامي

الذى يراك حين تقوم للتهجد وتقلبك فى الساجدين لما نسخ قيام الليل طاف بتلك الليلة على ثبوت اصحابه ليتظر ما ذا يصنعون حرصا على طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير ما بين نال ومصل وذاكر وقيل اراد قيامه وقعوده وسجوده اذا انهم فى الصلوة روى ان قتادة سأل ابا حنيفة رحمه الله هل تجد فى القران ذكر الصلوة جماعة فقال لم يحضرنى فقرأ عليه قتادة هذه الاية وقيل اراد انتقال نوره فى اصلاب الانبياء وبطون الامهات الطاهرة وعلى الوجوه علة لاستحقاقه قهر اعدائه ونصر اوليائه انه هو السميع لاقوالك العليم بنيتك واخلاصك هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم كثير الكذب والعصيان كالكهنة والمتنبئة مثل سوق وسطيح وطليحة ومسيلمة ومحمد بن معصوم لامناسبة بينه وبين الشياطين يلقون السمع واكثرهم كاذبون اى يسمع الشياطين الى الملائكة كما ورد بحطف كلمة فيقرها فى اذن وليه كما يقر الدجاجة فيخلط وليه فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون المسموع الى اوليائهم او الضمائر لكل افاك اى يستمعون الى الشياطين فيتلقون وحيهم او يلقون ما سمعوه منهم الى الناس والضمير فى اكثرهم ان كان للشياطين فقيدا لاكثرية لاخراج من يصدق فى الكلمة المحظوفة وان كان للافاك فلانه لا يلزم ان يكون كاذبا فى كل ما يتكلم به فالاكثر به باعتبار اقوالهم وقيل اريد بالاكثر الكل ومحل يلقون اما نصب على الحال او جر صفة افاك او استيناف كانه قيل لم تنزل الشياطين على كل افاك فقيل يفعلون كنت وكنت والشعراء يتبعهم الغاوون ما يتبعهم الا الضالون واتباع محمد علماء صديقون فكيف يكون شاعرا كما تزعمون الم تر انهم فى كل واد يهيمون فى كل نوع من الكلام مدحا او ذما او نسيبا او غزلا يلغون مخيلات باطلة واكاذيب صريحة فذكر الوادى والهيام تمثيل وانهم يقولون ما لا يفعلون سمع سليمان بن عبد الملك قول الفرزدق شعر وبين بحابنى مقرعات وبت افضل اغلاق الخيام قال يا فرزدق وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأه الله عنى بقوله انهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا استثناء لشعراء المؤمنين كحسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الانصارى وكعب بن زهير المهاجرى وفى وصفهم بذكر الله كثيرا اشارة الى انهم وان وقع منهم فى اشعارهم شىء من الفلق على ما هو دأب الشعراء فغير مؤاخذ به لكونه مغمورا بذكر الله وانتصروا من بعد ما ظلموا كما فعل

شعراء الصحابة حين هجاهم كفار قريش رسول الله فقابلوهم بالهجاء ومدح رسول الله بما هو اهله روى البخارى ومسلم والترمذى عن عايشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسوله وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون وعيد شديد لمن القى السمع وهو شهيد واطلق الظلم ليتناول كل ظلم ويدخل فيه من كذب بالقران واعرض عنه وهو الذى صدر به السورة فانتظم الفاتحة مع الخاتمة وفى ابهام اى منقلب من التهويل ما لا يخفى ولما ايس الصديق من حياة ابى بكر كتب عثمان بن عفان كتاب العهد هذا ما عهد ابن ابى قحافة الى المؤمنين فى الحال التى تؤمن فيها الكافر ان استخلف عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظنى به وان لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون تمت السورة والحمد لله على الايه

بسم الله الرحمن الرحيم طس اسم السورة او حروف مقطعة عدت ابقاظا وامال الف ظاهر وحمزة والكسائى وابو بكر تلك ايات القران وكتاب مبين تلك اشارة الى آى السورة او القران والكتاب المبين اما اللوح وابانته كونه مبينا للناظرين ما حفظ فيه واما السورة او القران وابانتهما اظهارهما ما اودع فيهما من الحكم والاحكام او كون اعجازهما بينا مكشوفا وفيه احتمال اخر ذكرت فى اول الحجر والعطف ان اريد به القران باعتبار الصفة والتنكير للتفخيم وتقديم القران هنا وتاخيره فى سورة الحجر قد اشير الى وجهه هناك هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الايات اى هادية ومبشرة والعامل معنى الاشارة او رفعا على خبرية محذوف او البدلية او الخبرية بعد الخبر الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اى الذين يعملون الصالحات كلها اكتفاء تاما الاعمال البدنية والمالية وهم بالاخرة هم يوقنون اعتراض توكيد ما وصفوا به الايقان بالاخرة يستلزم الخوف المستلزم لتحمل مشاق التكليف ولذلك كرر فيها الضمير كانه قيل بالاخرة يوقنون لا بغيرها وهم المؤمنون لا غيرهم او هو من تتمة الصلة وتغيير النظم للدلالة على كمال تعينهم وانوا وعاطفة الحالية ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم اشبع ما للمؤمنين من البشرى بما للكفار من سوء العذاب وتزيينها جعلها مشتهاة لهم وقوله زين لهم الشيطان اعمالهم مجاز باعتبار الوسوسة فهم يعمهون حايرون بعد ذلك لا يدركون ما فيها

الأما فيه حكمة تمهيد لما يريه من قلب العصا واليد البيضاء فلما رآها
تهتز اى القاها فصارت حيته فلما رآها تتحرك يقال هز ه حركة فاهتز
كأنها جانّ حية سريعة ولى مدبرا اعرض هاربا ولم يعقب ولم يرجع
بعد الهرب كناية عن غاية الخوف يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما
خاف لظنه ان قلب العصا حية لامر اريد به اذا كان ذلك اول الامر
ولم يدر انه نبى ولذلك قال يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدىّ المرسلون
لانهم مكرمون مقربون وانت منهم الا من ظلم نفسه منهم بترك
الافضل او بارتكاب خلاف الاولى او بترك المأمور به فانه خائف
ثم بدل حسنا بعد سوء تداركه ما فرط منه بالانابة كما قال يونس سبحانك
انى كنت من الظالمين وكما قال موسى رب ظلمت نفسى فاغفر لى وفيه تعريض
لطيف بموسى حيث قال القبطى من غير اذن من الله تعالى وان كان كافرا
حربيا فانى غفور تجاوز عما فرط منه رحيم اتفضل عليه بعد التوبة
واَدخل يدك فى جيبك قيل كان عليه مدرعة صوف لا كم لها او اريد
بالجيب القميص لانه من لوازمه تخرج بيضاء من غير سوء آفة برص فى
تسع آيات كقوله شعر فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس
الطعام وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجذب واليد والعصا او متعلق بالمذكور اى ألق عصاك وادخل يدك
فى تسع آيات اى فى عدادها وجملتها وامتنوق الجمل وقلوق البحر فليسا
من الآيات التى بعث بها الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اى يجعلهم بصراء او
وصفت بوصفهم لانهم بسبب عنها بنظرهم وتأملهم على طريقة المجاز
الحكمى او جعلت كأنها تبصر فتهدى لان الاعمى لا اهتداء له فضلا عن
الهداية على طريقة الاستعارة المكنية قالوا هذا سحر مبين ظاهر لاشتباه
فيه وجحدوا بها الجحد هو الانكار مع العلم ضمن معنى التكذيب فعدى
بالباء واستيقنتها انفسهم الواو للحال وقد مضمرة اى جحدوا
بالسنتهم موقنين بالقلب والاستيقان ابلغ من الايقان ظلما وعلوا
حالان من فاعل جحدوا او مفعول به على العلية والعلو الترفع وقرئ
علوا بالمجمة والتجاوز فانظر كيف كان عاقبة المفسدين تأمل
يا محمد عاقبتهم وهى الاغراق فى الدنيا ويومها القيمة يردون الى اشد
العذاب والايمان بالظاهر لبيان العلية ولقد آتينا داود وسليمان
علما طائفة من العلم وهى علم الشرايع والاحكام او علما عزيزا وانما

من الضر والنفع اولئك الذين لهم سوء العذاب فى الدنيا بالقتل والاسر
وضرب الجزية وهم فى الآخرة هم الاخسرون لانهم خسروا الجوار
الله فى دار النعيم وقرنوا مع الشياطين فى النار وانك لتلقى القرآن من
لدن حكيم عليم لبعطا من تلقيت الشئ اخذته وذكر العليم بعد الحكيم
تعميم بعد التخصيص اشارة الى اشتمال القرآن على البراهين والخطابات
والتنكير للتعميم كأنه قيل آتى حكيم وآتى عليم اذ قال موسى لاهله امكثوا
نصب ماذكر او متعلق بعليم كأنه قال ما اعلمه اذ فعل بموسى ما فعل وما
يتوهم من تقييد العلم بالوقت مندفع لانه مفهوم اللقب وانما جمع الضمير
فى امكثوا باعتبار لفظ الاهل اذ لم يكن مع موسى سوى امرأته انى آنست
نارا ابصرتها سآتيكم منها بخبر من حال الطريق وايان السبيل لان
النار بالليل وان ترى قريبة ربما كانت بعيدة او آتيكم بشهاب يشعله
من النار قبس مقيوسة يقال اقتبست العلم وقبست النار قرأ الكوفيون
بالتنوين بدلا او صفة لعلكم تصطلون تستدفئون بها فانها كانت
ليلة شاتية من صلبت اللحم شويته ولانافع بين قوله سآتيكم هنا ولعلى
آتيكم فى طه لان الراجى انما قوى رجاؤه يقول سأفعل ذلك باعتبار الوقوع
واختارا او على الواو وبناء على انه ان لم يظفر بكلتا البغيتين فلن يعدم
احديهما ولم يخطر بقلبه انه فائز بمادونه كل الامانى من رتبة الرسالة
فلما جاءها اى المكان القريب منها نودى ان بورك من فى النار اى
فى البقعة التى فيها النار وهم موسى والملائكة الحاضرون ومن حولها
ومن سكن حولها فى الارض المقدسة يتناول كل من ليس بالشام وفى
الحديث الشام كنز الله فى ارضه وبها كنزه من عباده وقيل من فى النار
الملائكة فانها كانت فى نفس النار ومن حولها موسى والاول هو الوجه
لان تصدير الكلام به عند مجيئ موسى لبشارة بانه قد قضى امر عظيم
ينتشر بركته سبحان الله رب العالمين من تمام النداء تنزيها له تعالى
عن التشبيه المتوهم من ايجاد الصوت والحروف وتعجيبا لموسى من ذلك
وايذانا بان المقضى له من خلايل الامور وعظايمها لانه اثر تكوين رب
العالمين وجعله من كلام موسى تعجبا منه بعيد لان قوله وان ألق عصاك
من كلام الله تعالى معطوفا على بورك وايضا لو كان من كلامه لكان
الظاهر ترك الواو وقد اظهر صرفا لتفسير فى القصص فى قوله وان
ألق عصاك وحذفه هنا وكل منهما شايع تقول كتبت اليك ان جئ وعلم
يا موسى انه الشان انا الله العزيز الغالب الحكيم الذى لا يفعل

اورد قصة داود وسليمان عقب قصة موسى ابتلى بصبر وهما
اعطيا فشكرا اشارة الى الحسن الافتداء بهما في السراء والضراء
وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين لم يعطف
بالفاء كما تقول اعطيته فشكر لانه عطف على مقدر كانه قيل فعملا بذلك
العلم قلبا وجوارحا وقالا الحمد لله اشارة الى ان شكر اللسان انما يحسن
اذا كان مسبوقا بعمل القلب وسائر الجوارح ففيه استيعاب لانواع
الشكر على احسن وجه وهذا احسن مما قيل فوض الترتيب الى العقل
لان المقام يستدعي مزيد الشكر وانما قيدا بالكثرة لان قليلا فضل عليهم
وهم خواص الانبياء من اولي العزم وفي الاية دلالة على فضل العلم واهله
وان ملك الدنيا بأسره على نحل وجه كما كان لداود وسليمان دونه وان
من اوتي علما ينبغي ان يتواضع ويعلم انه وان فضل على بعض فقد فضل
عليه البعض ووورث سليمان داود ورث العلم والنبوة والملك
ومعنى الوراثة فيها قيامها مقام داود في تلك الصفات وعن الحسن
ورث المال لان النبوة عطية مبتدأة ان صح عنه ذلك فلعله لم
يبلغه الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وقال
يا ايها الناس علمنا منطق الطير نادى الناس اظهارا لنعمة الله ودعاء
لهم على التصديق بالمعجزة التي من فهم كلام الطير والمنطق هو الكلام
المركب من الاصوات مفردا كان او مركبا قال شعرا فلما التقينا ما نطقت
ولا حرفا وفهمه كلام الطيور مثل فهمنا كلام الناس الا انا نفهم ذلك
بالفاظ موضوعة والانبياء يفهمون من غير سبق وضع وتعلم بل اعلام
الله تعالى كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كلام الضب والظبي
والبعير وتسليم الحجر روي ان سليمان مر بطاوس يصيح فقال هل
تدرون ما يقول قالوا لا قال يقول كما تدين تدان وسمع صياح هدهد فقال
يقول استغفروا الله يا مذنبون واوتينا من كل شيء كناية عن الكثرة واتينا
اوتينا باعتبار ملكه وملك داود او على طريقة الملوك ان هذا لهو الفضل
المبين الواضح اذ كل من العلم والنبوة والملك فضل ظاهر فكيف بالجمع
وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير الحشر الجمع من كل ادب
وتقديم الجن لانهم اغنى وابعد من التسخير فهم يوزعون يحبسون اي
يحبس سابقا الجيش حتى يلحق التوالي وفيه دلالة على انهم مع كثرتهم كانوا
مسوسين مضبوطا احوالهم لئلا يتأذى احد منهم اذ بهم روي انه معسكر
كان مائة فرسخ في مائة موزعا على الانواع خمسة وعشرون للجن وخمسة

وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش
وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة مهرة وسبعمائة
سرية وكان له بساط من الذهب والحرير لسبعته الجن فرسخا في فرسخ وكان
له منبر من الذهب يوضع في وسط البساط يقعد عليه وحوله ستمائة
الف كرسي من الذهب والفضة يقعد على كراسي الذهب الانبياء وعلى
كراسي الفضة العلماء وكان يأمر بحمل سرير الريح العاصف ويسيره
الرخاء وكان لا يتكلم احد بشيء الا القى الريح ذلك الى مسامعه حتى اذا
اتوا على واد النمل اي سار وا الى ان وصلوا ذلك الوادي وهو واد بالشام
كثير النمل وتعديته الاتيان بعلى امالان دخولهم كان من جانبه الاعلى واما
لانهم قطعوا الوادي من فوقهم الى على الشيء اذا بلغ نهايته قالت نملة
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم قيل كانت نملة عرجاء اسمها طاحنة فسمع
سليمان كلامها من ثلثة اميال وما نقل عن قتادة انه دخل الكوفة فقال
سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة اذ ذاك شاب فقال سلوه عن نملة سليمان
اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فالتفت ابو حنيفة رحمه الله كانت انثى
فقيل له من اين لك قال من التاء في قالت ولو كانت ذكرا لم يلحق التاء فيه
ان التاء لا تدل على تانيث المسمى بل هي تاء الوحدة يقع على الفصيلين يقال
حمامة ذكر وحمامة انثى ولو استدل بالضمير من قولها لكان اسلم لا يحطمنكم
سليمان وجنوده لا يكسرنكم واصل الحطم الازدحام ومنه حطيم الكعبة
وهو ما بين الباب والركن لازدحام الناس فيه ولا يحطمنكم اما جواب الامر
فدخول النون لكونه نهيا في المعنى واما بدل من الامر لانه في المعنى نهي
لان قوله ادخلوا مساكنكم في معنى لا يكونوا حيث انتم وهم لا يشعرون
علمت ان تبتي الله واتباعه لا يفشلون ظلما وقيل فهم سليمان قولها وهم
لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من اهتدائها الى الحذر
والتحذير مع صغر جثمها او سرورا بما اتاه الله من الملك الجسيم والعدل
العظيم من حيث ان الحيوان العجم يعلم ذلك وضاحكا نصب على الحال اي
شاعرا في الضحك وهذا ضحك الانبياء وما روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه كناية عن التبسم الكامل لدلالة
سائر الاحاديث عليه قال رب اوزعني الهمني من الوزع وهو الكف
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ادرج ذكر والديه اما لان
النعمة على الولد نعمة على الوالدين لا سيما الدينية فانه اذا كان برا تقيا
نفعهما بدعائه وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما اذا ماتا وامنه خير

بل الاجداد والاسلاف يقولون رحم الله اجدادك واسلافك وامثالات
النعمة على الوالدين نعمة على الولد كما تقدم في قصة بني اسرائيل في اوائل البقرة
وان اعمل صالحا ترضاه بقية عمري وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
ادخلني الجنة في عدادهم وهو ذكر رحمته اشارة الى ان دخول الجنة بفضل رحمة
الله كما ورد في الحديث وتفقد الطير التفقد طلب الشيء بعد غيبته فقال
مالي لا ارى الهدهد نظر الى مكانه فلم يره فتعجب ام كان من الغائبين
ام منقطعة اضرب عن تعجبه واخذ يقول اهو غائب كانه يريد تحقيق ما
لاح له لاعذبنه عذابا شديدا بعدما تبين له انه غائب والعذاب الشديد
النتف مع غير جنسه في قفص وقيل تنقه والقاؤه في الشمس وقيل تنقه والقاؤه
بين النمل لتاكله وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل امره بخدمة اقرانه
او لاذبحنه سياسة لئلا يجري على فعل مثله اخر من جنسه او ليأتيني
بسلطان مبين بحجة واضحة دالة على عذره والمحلوف عليه هو احد الاولين
والثالث في معنى الاستثناء وقرأ ابن كثير يأتني بنونين نون التاكيد و
الوقاية والاول احسن استغناء بالمؤكدة وعليه رسم المصاف سوى المكي
فمكث غير بعيد زمانا قليلا دل على سرعة عوده قرأ عاصم مكث بفتح الكاف
والضم اشهر وقصة الهدهد ان سليمان عليه السلام لما زار البيت
الحرام سار على طريقة الملوك غدوة الى الجنوب اليمن وكانت الريح تحمل سريره
وكانت كما اخبر الله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر فرأى سليمان ارضا
حسنا مخضرة الجهات فنزل وطلب الماء وكان الهدهد يعرف مناط الماء
لخاصية خصه الله بها يرى الماء تحت الارض كما يراه احدنا في الزجاجة
فتفقد الهدهد فلم يوجد وكان حين نزل سليمان راى الهدهد واحلا من
ابناء جنسه وذكر له ملك بلقيس وما اوتيت من الاسباب قيل كان تحت
يدها اثنى عشر الف قائد وتحت كل قائد مائة الف فذهب معه لينظر صدق
مقالته ولما تفقد سليمان الطير ولم ير الهدهد فتش عن عرف الطير عنه
وهو النسر فلم يعلم خبره فقال لملك الطيور وهو العقاب علي به حيث كان
فارتفع العقاب الى الجو فراه مقبلا فانقض عليه فقال الهدهد ناشدتك
الله الذي قدرك علي واعطاك هذه القوة الا ترحمني فقال ويلك يا هدهد
ان نبي الله عليك غضبان وقد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قال بلى
فلما قرب من سليمان ارخى جناحه تواضعا فلما دنى منه براسه ومده فقال
يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان فقال احطت بما
لم تحط به الاحاطة ادراك الشيء من الجهات كلها بحيث لا يبقى منه خافية

الهتم الله الهدهد هذا الكلام فكاخ به سليمان انفاظا له لئلا يظن انه ليس
احد اعلم منه وجئتك من سبإ قرأ ابو عمرو وابن كثير في رواية البزي
بفتح الهمزة غير منون على انه اسم القبيلة وفي رواية قنبل باسكان الهمزة
حملا للوصل على الوقف كما في بيتسنه وعوجا وقرأ الباقون بكسر الهمزة منونا
على انه اسم الحي وهو لقب لعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قيل سمي
بذلك لانه اول من سبا وفي الحديث سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن سبإ اهو رجل ام جبل ام واد فقال بل رجل ولد عشرة الاسد وحمير
وكندة وانمار والاشعاريون ولخم وجذام وغسان وعاملة وما
في الاية اريد به القبيلة الناجية التي كانت مساكنهم او القبيلة بنبإ يقين
اي بخبر مشتمل على العلم الذي لا شك فيه كرجل صدق بالاضافة وبناء
مع سبا من الجناس الملحق اني وجدت امراة تملكهم اي سبا او اهلها وهي
بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ذيان وكان الملك في ابائها اربعين جدا ولم
يكن لابيها ولد ذكر فولوها الملك وفي الحديث لن يفلح قوم تولى عليهم
امراة واوتيت من كل شيء من اسباب الملك ولها عرش عظيم العرش
سرير الملك قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمك ثمانين وكان من الذهب
والفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر
وعليه سبعة ابيات وعلى كل بيت باب مغلق وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله كانوا عبدة الشمس وزين لهم الشيطان اعمالهم
من السجود لغير الله وغيره من القبايح فصدهم عن السبيل عن طريق الحق
فهم لا يهتدون الى الصواب بعد ذلك الصد الا يسجدوا بدل من
اعمالهم اي زين لهم عدم السجود او عن السبيل ولا صلة اي فصدهم عن ان
يسجدوا او مفعول يهتدون ولا صلة او مفعول له اي فصدهم لئلا يسجدوا
او رفع خبر مبتداء مقدر اي الاعمال ان لا يسجدوا او السبيل ان يسجدوا و
قرأ الكسائي الا يسجدوا بالتخفيف حرف التنبيه والمنادى محذوف اي الا ياقوم
وعلى هذا يتم الوقف على يهتدون قيل على هذا هو ابتداء كلام من الله تعالى
او من سليمان وقيل هو من تمام كلام الهدهد والتشديد اوجه لسلامته
على الحذف وعليه صريح الرسم ويفهم وجوب السجود على الوجهين اما من الامر
او الذم على الترك الذي يخرج الخبء في السموات والارض المخبوء مصدر
بمعنى المفعول وهو النبات من الارض والمطر من السماء وغيرهما من الاشياء
المستودعة في غوامض علمه ويعلم ما تخفون وما تعلنون قرأ حفص والكسائي
بالخطاب فيهما اما الكسائي فقد جرى على النسق الاول لان المنادى مخاطب

وَأَمَّا خَفْضُ فَعَلَى الْالْتِفَاتِ تَهْدِيدًا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
الَّذِي يَسْتَحْقِرُ دُونَهُ عَرْشُ بِلْقِيسَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِحْقَاقِ
الْعِبَادَةِ دُونَ غَيْرِهِ لِتَفَرُّدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ قَالَ سَنَنْظُرُ سَنَتَعَلَّمُ لَاتَ
النَّظَرَ مِنْ أَسْبَابِ الْعِلْمِ أَوْ سَنَتَأَمَّلُ وَنَفْتَشُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ
أَيْ أَمْ كَذَبْتَ وَالْعُدُولُ إِلَى الْمُنْزَلِ لِلْمُبَالَغَةِ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مُنْحَرِطًا فِي سِلْكِ الْكَاذِبِينَ
يَكُونُ كَاذِبًا لَا مَحَالَةَ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ أَيْ إِلَيْهَا وَمِنْ
تَحْتِ حُكْمِهَا قَرَأَ عَاصِمٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ بِإِسْكَانِ الْهَاءِ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ
إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ لِيَكُونُوا بِمَسْمَعٍ مِنْكَ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ
إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ أَيْ يَدْفَعُهُ عِنْدَ التَّشَاوُرِ أَوْ هُوَ مِنَ الرُّجْعَانِ أَيْ مَا يَسْتَقِرُّ
عَلَيْهِ آرَاؤُهُمْ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيْ بَعْدَ مَا ذَهَبَ وَأَلْقَى إِلَيْهِمُ الْكِتَابَ
إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ وَصَفُوا بِالْكَرَمِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ مَلِكٍ دَانَتْ لَهُ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ وَالْوَحْشُ أَوْ لِشَرَفِ مَعْنَاهُ وَحُسْنِهِ أَوْ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ بِاسْمِ اللَّهِ
أَوْ لِأَنَّهُ مَعَ وَجَازَتِهِ كَانَ وَافِيًا بِالْمَقْصُودِ أَوْ لِكَوْنِهِ مَخْتُومًا وَفِي الْحَدِيثِ
كَرَمُ الْكِتَابِ خَتْمُهُ وَعَنِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ مَنْ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ كِتَابًا وَلَمْ يَخْتِمْهُ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِهِ
إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ مُسْتَأْنَفٌ جَوَابًا كَأَنَّهُ قِيلَ مِمَّنْ هَذَا الْكِتَابُ الْكَرِيمُ ثُمَّ بَيَّنَ
مَضْمُونَهُ بِقَوْلِهَا وَأَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَنْ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ
وَإِنَّمَا كَانَ قَوْلُهَا إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ بَيَانَ عُنْوَانِ الْكِتَابِ سَقَطَ سُؤَالُ تَقْدِيمِ
اسْمِهِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ قِيلَ أَلْقَى الْكِتَابَ إِلَيْهَا مِنَ الْكُوَّةِ وَهِيَ تَأْثِمُ مُغْلَقَةٌ عَلَيْهَا
الْأَبْوَابُ وَقِيلَ أَلْقَى إِلَيْهَا وَهِيَ عَلَى الْعَرْشِ جَالِسَةٌ وَحَوْلَهَا الْمُلُوكُ وَالْقَادَةُ
وَالْجُنُودُ فَإِنْ قُلْتَ الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ إِظْهَارِ الْمُعْجِزَةِ
فَكَيْفَ اسْتَقَامَ هَذَا مِنْ سُلَيْمَانَ قُلْتُ الدُّعَاءُ إِلَى الْإِسْلَامِ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى إِظْهَارِ
الْمُعْجِزَةِ وَإِنَّمَا يَجِبُ الْإِظْهَارُ إِذَا طُولِبَ بِهِ مَعَ أَنَّ مَجِيءَ الطَّيْرِ بِالْكِتَابِ عَلَى الْوَجْهِ
الْمَذْكُورِ مِنْ أَبْهَرِ الْمُعْجِزَاتِ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي فِي شَأْنِي وَ
مَا يَلِيقُ بِي مِنْ جَوَابِ الْكِتَابِ الْفَتْوَى وَالْفُتْيَا جَوَابُ الْوَاقِعَةِ مِنَ الْفَتَاءِ وَهُوَ
حَدَاثَةُ السِّنِّ أَوْ مِنَ الْفَتْوَةِ وَهُوَ الْإِرْتِفَاعُ لِأَنَّ الْمُسْتَرْشِدَ يَرْتَفِعُ لَهُ إِلَى
الْفَقِيهِ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ كَمَا هُوَ دَأْبُ الْمُلُوكِ لَا يَعْزِمُونَ
عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ الْمُشَاوَرَةِ مَعَ ذَوِي الْآرَاءِ قِيلَ كَانَ أَهْلُ مَشْوَرَتِهَا ثَلَاثُمِائَةٍ
وَثَلَاثَةَ عَشَرَ مَلِكًا وَكُلُّ مَلِكٍ تَحْتَ يَدِهِ عَشَرَةُ آلَافِ جُنْدٍ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ بِالْأَجْسَادِ
وَالْآلَاتِ وَالْعَدَدِ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ بِجُدَّةٍ وَشَجَاعَةٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
بَعْدَهُ فَانْظُرِي تَأْمُلِي مَاذَا تَأْمُرِينَ فَإِنَّا مُنْقَادُونَ لَهُ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ
إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً

يَنْهَبُوا أَمْوَالَهُمْ وَقَتْلَ أَوْلَادِهِمْ وَتَخْرِيبَ دِيَارِهِمْ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ أَيْ ذَلِكَ
دَأْبُهُمُ الْمُسْتَمِرُّ كَانَتْ تَعْلَمُ ذَلِكَ مِنَ الْمُشَاهَدَةِ وَالسَّمَاعِ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَلِكَةَ
تِلْكَ الْمُلُوكِ وَابْتِدَاءُ كَلَامٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كَلَامِهَا تَصْدِيقًا لَهَا وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ
إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ سَنِيَّةٍ تَلِيقُ بِالْمُلُوكِ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ مِنْ إِخْبَارِهِ
وَأَحْوَالِهِ فَأَبْنِي عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْحَرْبِ وَالصُّلْحِ مَا كَانَ أَوْفَقَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ
قِيلَ أَرْسَلَتْ بِرَسْمِ الْهَدِيَّةِ خَمْسَمِائَةِ غُلَامٍ فِي زِيِّ الْجَوَارِي وَخَمْسَمِائَةِ جَارِيَةٍ
فِي زِيِّ الْغِلْمَانِ وَحُقَّةً فِيهَا دُرَّةٌ عَذْرَاءُ وَجَزْعَةٌ مُعْوَجَّةُ الثَّقْبِ وَبَعَثَتْ مِنْ
أَشْرَافِ قَوْمِهَا الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو وَآخَرَ مَعَهُ وَقَالَتْ إِنْ كَانَ نَبِيًّا يُفَرِّقُ بَيْنَ
الْجَوَارِي وَالْغِلْمَانِ وَيَثْقُبُ الدُّرَّةَ ثَقْبًا مُسْتَوِيًا وَيَسْلُكُ الْخَيْطَ فِي الْجَزْعَةِ
فَأَخْبَرَهُ جِبْرَائِيلُ بِذَلِكَ فَأَمَرَ الْجِنَّ فَضَرَبُوا اللَّبِنَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَفَرَشَ
بِهَا مَيْدَانًا طُولُهُ سَبْعَةُ فَرَاسِخَ وَأَمَرَ الشَّيَاطِينَ فَرَبَطُوا الدَّوَابَّ حَوْلَ الْمَيْدَانِ
عَلَى فَرْشِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَمَرَ بِأَوْلَادِ الْجِنِّ فَاقِيمَ فِي الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ مِنْهُمْ
خَلْقٌ كَثِيرٌ وَاصْطَفَّتِ الْإِنْسُ وَالشَّيَاطِينُ فَرَاسِخَ وَجَلَسَ عَلَى الْكُرْسِيِّ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ
الرُّسُلَ فَوَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْهَدِيَّةِ فَأَمَرَهُمْ بِإِحْضَارِ الْمَاءِ وَأَمَرَ الْغِلْمَانَ وَ
الْجَوَارِيَ بِأَنْ يَغْسِلُوا وُجُوهَهُمْ فَكَانَتِ الْجَارِيَةُ تَأْخُذُ الْمَاءَ فِي إِحْدَى يَدَيْهَا
وَتَصُبُّهُ فِي الْأُخْرَى ثُمَّ تَضْرِبُ بِهَا وَجْهَهَا وَالْغُلَامُ كَمَا يَأْخُذُ الْمَاءَ يَضْرِبُ بِهِ
وَجْهَهُ ثُمَّ طَلَبَ الْحُقَّ وَقَالَ إِنَّ فِيهِ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ اسْتَخْرَجَ الدُّرَّةَ وَأَمَرَ الْإِبْرَةَ
فَأَخَذَتْ شَعْرَةً وَنَفَذَتْ فِيهَا فَجَعَلَ رِزْقَهَا فِي الشَّجَرِ وَأَمَرَ دُودَهُ بَيْضَاءَ
فَأَخَذَتِ الْخَيْطَ بِفِيهَا وَنَفَذَتْ فِي الْجَزْعَةِ ثُمَّ نَظَرَ فِي وَجْهِ الرُّسُلِ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ
قَالَ اتَّمَدُّونَنِي بِمَالٍ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ قَرَأَ حَمْزَةُ بِنُونٍ وَاحِدَةٍ مُدْغَمًا
وَهُوَ أَخَفُّ وَالرَّسْمُ عَلَى الْأَصْلِ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ مِنَ الدِّينِ الَّذِي هُوَ أَحْظَى
الْأَوْفَى وَالنُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ الَّذِي لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ مِنْ بَعْضِ الْحُطَامِ
بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ أَنِّي مِمَّا يُهْدَى إِلَيْكُمْ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ
أَوْ إِلَى الْفَاعِلِ وَالْمَعْنَى أَنْتُمْ تَفْرَحُونَ بِهَذِهِ الْهَدِيَّةِ مُفْتَخِرِينَ بِهَا عَلَيَّ الْمُلُوكَ أَوْ
تَفْرَحُونَ بِهَا إِذَا رُدَّتْ إِلَيْكُمْ لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ الْأَظْهَرَ مِنَ الْحَقِيرِ مِنَ الْحَيْوَةِ الدُّنْيَا
ارْجِعْ إِلَيْهِمْ خِطَابٌ لِلْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرٍو لَيْسَ لِلرَّسُولِ وَقِيلَ لِلْهُدْهُدِ حَمَلَ كِتَابًا آخَرَ
فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهَا فِعْلٌ بِمَعْنَى الْمُقَابَلَةِ وَفِي الْحَدِيثِ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ وَكُلَّهُ قِبَلًا أَيْ مُقَابَلَةً وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً كَمَا قَالَتْ
وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَى
الذُّلِّ فِي الْأَسْرِ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونُوا سَوُقَةً بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُلُوكًا قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ
أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ أَرَادَ أَنْ يُرِيَهُمْ مَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ

من المعجزات الظاهرة والعجائب الباهرة وما قيل انه اراد ان ياخذ العرش
قبل اسلامها فانها اذا اسلمت لا يحل اخذها ففيه ان الغنائم مخصوصة
برسول الله وامته قال عفريت من الجن جثة مارد من العفر وهو التراب
لانه يعفر اقرانه والتاء فيه للمبالغة في بقديل انا اتيك به قبل ان تقوم من
مقامك اتى مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وانى عليه لقوى
على حمله امين لا اخون في شيء منه فانه كان مكلفا بالجواهر قال الذي
عنده علم من الكتاب هو سليمان نفسه واثر ما في النظم على سليمان اشارة
الى ان بلوغه تلك الرتبة انما هو بشرف العلم انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك الطرف تحريك الجفن وهو مقدمة النظر كما انه مقدمة الرؤية
والخطاب للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك وقيل القائل جبريل او
آصف بن برخيا وزير سليمان او كاتبه او رجل كان عنده الاسم الاعظم او هو
الخضر فلما راه مستقرا عنده قائما على هيئاته بين يديه قال هذا
من فضل ربي تلقيا للنعمة بالشكر ليبلوني ليعاملني معاملة المختبر
ءاشكر ام اكفر بدل من الياء وقد ايتسلح عنه الاستفهام ومن شكر
فانما يشكر لنفسه اذ بالشكر يرتبط القيد ويستجلب المزيد ولذلك قيل
الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للمفقودة ومن كفر فان ربي غني عن
شكره كريم لا يعاجله بالعقوبة ولا يقطع عنه بره وافضاله قال
نكروا لها عرشها غيروه عن هيئاته بان يجعلوا اسفله اعلاه ومقدمه
مؤخره ننظر جواب الامر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون
الى معرفته او الى الجواب الصواب وانما غير الاسلوب بعد ام المعادلة لان
معرفة الشيء بعد تغييرهيئاته غير عسير على ذوي الفطانة وكانت قد ذكرت
لسليمان بسخافة العقل او الى الايمان اذا رات العرش قد تقدمها وكانت قد
غلقت عليه الابواب ووكلت به الحرس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك
اشبه بسليمان او احد الحاضرين ولم يقل اهذا عرشك بل اتى بكاف التشبيه
احتياطا لعقلها قالت كانه هو لم تجزم به لاحتمال ان يوجد الله مثله
فدل ذلك على كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين عطف
على مقدر كانه لما اصابت في الجواب اثنوا عليها وقالوا معترفين بما افاض
الله تعالى عليهم من العلم والايمان قبل ايمانها وبما فضلوا به على مثلها
او من كلامها كانها قالت قبل هذه الواقعة قد صح عندنا نبوته سليمان
وقدرة الله تعالى على كل شيء وصدها ما كانت تعبد من دون الله عن
التقدم الى الاسلام ابتداء كلام منه تعالى او صدها الله او سليمان عما

عما كانت تعبد من دون الله على نزع الخافض انها كانت من قوم كافرين
استيناف جار مجرى التعليل على الوجهين قيل لها ادخلي الصرح
القصر المرتفع من الصراحة وهو الظهور وانما عرضه الدار فالضرحة بالنار
فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي ان سليمان امر الجن
فبنى له قدومها ببناء قصر من زجاج واجرى تحته الماء والقى فيها دواب
البحر انما لما قيل له انها شعراء الساقين وفي عقلها شيء فاختبر عقلها
بتنكير العرش وساقيها باتخاذ الصرح على الوجه المذكور واراد ان يرتها
عظيم ملكه وامرا غريبا لم تره في ملكها وتحقيرها بان لبس عليها كما لبست
هي عليه في الجواري والغلمان فاهتدى هو او لم تهتد هي فظهر له الفضل
من كل وجه وقرا ابن كثير في رواية قنبل الساق بالهمز على انها لغة
كالوا او اوجلا للمفرد على الجمع وهو سوق او على نظيره وهو الكاس قال
انه صرح ممرد من قوارير كان جالسا على السرير في صدر القصر فلما نظر
الى ساقيها ولم تكن بهما باس اخبرها بالواقع الممرد الاملس قالت رب اني
ظلمت نفسي بعبادة غيرك او بظني سليمان فانها لما ظنت الزجاج لجة
تخيلت انه اراد قتلها بالغرق وقيل انها كانت من جنية فكره الجن ان يتزوجها
لئلا يطلع سليمان على اسرار الجن واسلمت مع سليمان لله رب العالمين
اثرت لفظ الجلالة الدالة على الالوهية الموجبة لعبادته ولقد ارسلنا
الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه فاذا هم فريقان
يختصمون ففاجؤا الاختصام والتفرق منهم من امن به ومنهم من كفر
كما هو شان الرسل في اول البعثة او المؤمن صالح والكافر قومه والوجه
هو الاول لقولهم اطيرنا بك وبمن معك والخصام التنازع قال يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اي بالعذاب قبل الايمان حيث قالوا
يا صالح ائتنا بعذابك ان كنت من الصادقين وقيل كانوا يقولون ان
وقع ما بعدنا به صالح امنا فخاطبهم على وفق اعتقادهم ثم قال لولا
يستغفرون الله قيل ترول العذاب لعلكم ترحمون اذ حين وقوع
العذاب لا ينفع الايمان والتوبة قالوا اطيرنا بك وبمن معك تشاءمنا
بكم لوقوع الشدائد عند اخترعتم هذا الدين ما خوذ من زجر الطير وهو
البارح الذي يمر من اليمين الى الشمال قال طائركم عند الله اي مقدر
من عنده ليس لاحد فيه تاثير بل انتم قوم تفتنون باعتقاب السراء
والضراء او بوسوسة الشيطان اليكم الطير وكان في المدينة تسعة
رهط الرهط من الثلثة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة وافراده

وَإِنْ كَانَ تَمِيزٌ لِتِسْعَةٍ جَمْعًا لِاشْتِمَالِهِ عَلَى مَعْنَاهُ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ أَيْ كَانُوا مَقْصُورِينَ عَلَى الْإِفْسَادِ الْبَحْتِ لَا يَخْلِطُونَ بِهِ
شَيْئًا مِنَ الْإِصْلَاحِ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ أَيْ لِيُقْسِمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَلَى
أَنَّهُ أَمْرٌ وَيَحْتَمِلُ الْحَالَ بِتَقْدِيرِ قَدْ عَلَى أَنَّهُ مَاضٍ لَنُبَيِّتَنَّهُ أَيْ لَنُهْلِكَنَّهُ
وَأَهْلَهُ بِاللَّيْلِ مُبَالَغَةٌ أَنَّهَا لِلْغَرَضِ وَعَزْمُ الْإِسْكَنْدَرَانِيَّةِ أَنَّهُ قِيلَ فِي بَيَاتِ
الْعَدُوِّ فَقَالَ لَيْسَ مِنْ أَيَّامِ الْمُلُوكِ اسْتِرَاقُ الظَّفَرِ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
قِرَاءَةُ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ بِتَاءِ الْخِطَابِ فِي الْفِعْلَيْنِ عَلَى إِرَادَةِ قَوْلِ بَعْضِهِمْ
لِبَعْضٍ وَالنُّونُ أَوْفَقُ بِقَوْلِهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ أَيْ نُقْسِمُ عَلَى عَدَمِ
حُضُورِنَا ذَلِكَ فَضْلًا عَنِ الْمُبَاشَرَةِ قَرَأَ السَّبْعَةُ الْأَعَاصِمُ بِضَمِّ الْمِيمِ
عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرُ أَهْلَكَ أَوِ اسْمُ مَكَانٍ فِيهِ وَفَتْحُ الْمِيمِ مَعَ اللَّامِ عَاصِمٌ فِي رِوَايَةٍ
شُعْبَةَ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرُ هَلَكَ أَوِ اسْمُ مَكَانٍ مِنْهُ وَكَسْرُ اللَّامِ فِي رِوَايَةِ حَفْصٍ
عَلَى الْمَصْدَرِ أَوِ اسْمُ مَكَانٍ عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ كَالْمَرْجِعِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ
وَالْحَالُ أَنَّا صَادِقُونَ فِي الْحَلِفِ لَئِنْ لَمْ نُشَاهِدْ هَلَاكَ أَهْلِهِ وَحْدَهُمْ وَنُهْلِكَ
بَقِيَّةَ الْكَذَبَةِ أَنَّ الْكُفَّارَ مَعَ كُفْرِهِمُ احْتَالُوا فِي الِاجْتِنَابِ عَنْهُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
دَاخِلًا فِي الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّكَلُّفِ وَمَكَرُوا مَكْرًا هُوَ مَا دَبَّرُوهُ
وَمَكَرْنَا مَكْرًا مِنْ بَابِ الْمُشَاكَلَةِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ مَا دَبَّرُوهُ وَبَالُهُ
عَائِدٌ إِلَيْهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ دَخَلُوا دَارَ صَالِحٍ بِاللَّيْلِ وَكَانَتْ دَارُهُ مُمْتَلِئَةً بِالْمَلَائِكَةِ
فَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ وَقِيلَ خَرَجُوا بِالنَّهَارِ يَظْهَرُونَ السَّفَرَ وَعَادُوا بِاللَّيْلِ
فَتَسَوَّرُوا جُدْرَانَ دَارِهِ فَرَمَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالْحِجَارَةِ فَقَتَلَتْهُمْ وَقِيلَ كَانُوا يُصَلِّي
مَسْجِدٌ فِي الشِّعْبِ يُصَلِّي فِيهِ بِاللَّيْلِ فَلَمَّا دَخَلُوا الشِّعْبَ قَاصِدِينَ قَتْلَهُ لِيَعُودُوا
بَعْدَ قَتْلِهِ إِلَى أَهْلِهِ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَخْرَةً فَطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ أَيْنَ
ذَهَبُوا وَلَمْ يَدْرُوا مَا يُفْعَلُ بِقَوْمِهِمْ فَعَذَّبَ اللَّهُ تَعَالَى كُلًّا فِي مَكَانِهِ فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا مَنْ يَأْتِي مِنْهُ النَّظَرُ إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ اسْتِئْنَافٌ لِبَيَانِ عَاقِبَتِهِمْ وَكَانَ أَمَّا تَامَّةٌ أَوْ نَاقِصَةٌ كَيْفَ خَبَرُهَا
وَقُرِئَ الْكُوفِيُّونَ إِنَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ عَلَى أَنَّ كَانَ تَامَّةٌ وَعَاقِبَةُ فَاعِلُهَا وَكَيْفَ حَالٌ
أَوْ لَنَا قِصَّةٌ وَكَيْفَ خَبَرُهَا أَوْ حَالٌ وَالْخَبَرُ إِنَّا أَوْ بَدَلٌ مِنْ فَاعِلِ كَانَ أَيْ كَانَ تَدْمِيرُنَا
أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مُقَدَّرٍ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً نُصِبَ عَلَى الْحَالِ وَالْعَامِلُ فِيهِ
مَعْنَى الْإِشَارَةِ أَيْ خَالِيَةً مِنْ حَوِيَ الْبَطْنُ أَوْ سَاقِطَةً مِنْ خَوَى النَّجْمِ خَيًّا إِذَا
سَقَطَ وَلَمْ يَمْطُرْ فِي نَوْبِهَا بِمَا ظَلَمُوا بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ فَإِنَّهُمُ الْمُتَعَظُونَ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ أَحْدَثُوا الْإِيمَانَ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ وَلُوطًا اذْكُرْ لُوطًا أَوْ وَأَرْسَلْنَا

لُوطًا لِدَلَالَةِ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ بَدَلٌ عَلَى الْأَوَّلِ ظَرْفٌ عَلَى الثَّانِي
أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَيْ تُبْصِرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَقَوْلِهِ وَتَأْتُونَ
فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَهْرَ بِالْمَعْصِيَةِ أَشَدُّ فُحْشًا رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ
الْأَشْرَافِ كَانَ لَهُ أَيْنٌ يُجَاهِرُ بِالْخَمْرِ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَمْ نَسْمَعْ قَوْلَ الْحَكِيمِ أَتَى بَلِيَّتَ
فَاسْتَتِرْ فَقَالَ فِي جَوَابِهِ يَا إِيَّاهُ اهْجَ عِبَادَةَ حَتَّى يَكُونَ فِي الْخَلَوَاتِ وَقَدِ الْتَزَمَ بِهِ
أَبُو نُوَاسٍ حَيْثُ قَالَ فَتَحَ بِاسْمِ مَا يَأْتِي وَذَرْنِي مِنْ أَلْكَنِي فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ
دُونِهَا سِتْرٌ أَوْ أَنْتُمْ عَالِمُونَ مِنْ بَصَرِ الْقَلْبِ فَإِنَّ قُبْحَ الذَّنْبِ مِنَ الْعَالِمِ أَشَدُّ
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً بَيَانٌ لِإِتْيَانِهِمْ بِالْفَاحِشَةِ وَتَعْلِيلٌ بِالشَّهْوَةِ
إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مِنْ فِعْلِ الْبَهَائِمِ لِأَنَّ الْحِكْمَةَ فِي الْمُوَاقَعَةِ طَلَبُ النَّسْلِ وَقَضَاءُ
الْوَطَرِ دَاعٍ إِلَيْهِ وَمَقْصُودٌ بِالْغَرَضِ مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ
مُسْتَمِرُّونَ عَلَى فِعْلِ الْقَبِيحِ كَمَنْ يَجْهَلُ قُبْحَهُ أَوْ يَجْهَلُونَ الْعَاقِبَةَ وَإِيثَارُ الْخِطَابِ
وَالْمَوْصُوفُ هُوَ الْقَوْمُ لِيُكَافِحَهُمْ بِالْجَهْلِ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَوْبِيخًا فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ عَنْ
أَفْعَالِنَا وَيَسْتَقْذِرُونَهَا وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ تَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لَهْزُوا كَمَا قَالَ
قَوْمُ شُعَيْبٍ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ
قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا
فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ مَطَرُهُمْ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ
اصْطَفَى لِمَا قَصَّ عَلَيْهِ مَا أَنْعَمَ عَلَى إِخْوَتِهِ مِنَ الرُّسُلِ مِنَ الِاصْطِفَاءِ بِالرِّسَالَةِ
وَإِهْلَاكِ أَعْدَائِهِمْ أَمَرَهُ بِأَنْ يَحْمَدَهُ عَلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ شُكْرًا لَهُ تَعَالَى إِشَارَةً
إِلَى أَنَّهُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَكَيْفَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَبِأَنْ
يُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ لِحُسْنِ اصْطِبَارِهِمْ عَلَى شَدَائِدِ أَذَى الْجُهَّالِ وَقِيَامِهِمْ بِأَعْبَاءِ
التَّبْلِيغِ وَجَعَلَ ذَلِكَ تَمْهِيدًا لِلتَّخَلُّصِ إِلَى قِصَّتِهِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ
الْعَاقِبَةَ لَهُ تَقْوِيَةً لِجَاشِهِ فِي إِقَامَةِ الْبَرَاهِينِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ
آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ سِيقَ الْكَلَامُ هَذَا السِّيَاقَ بِتَكْبِيتًا لَهُمْ وَإِلْزَامًا وَتَنْبِيهًا
عَلَى الْخَطَإِ الْمُفْرِطِ وَالْجَهْلِ الْمُوَرِّطِ وَإِلَّا كَيْفَ يُلْتَبَسُ لِكَوْنِ الْكَائِنَاتِ بِالْجُمْلَةِ
أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ تَفْصِيلٌ لِذَلِكَ الْخَبَرِ وَأَمْ مُنْقَطِعَةٌ وَذِكْرُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَمْهِيدٌ لِقَوْلِهِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ
حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ الْحَدَائِقُ جَمْعُ حَدِيقَةٍ وَهِيَ الْبُسْتَانُ الَّذِي لَهُ حَائِطٌ مِنَ
الْإِحْدَاقِ وَهُوَ الْإِحَاطَةُ وَأُفْرِدَ الذَّاتُ عَلَى إِرَادَةِ الْجَمَاعَةِ كَقَوْلِكَ أَهْلَكَ النِّسَاءَ
ذَهَبَتْ وَالْبَهْجَةُ الْحُسْنُ مِنْ بَهِجَ بِالضَّمِّ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَهِجَ بِالْكَسْرِ بِمَعْنَى
السُّرُورِ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يُسَرُّ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا وَإِنَّمَا الْتَفَتَ إِلَى التَّكَلُّمِ فِي الْإِسْنَادِ

اشارة الى انه فعله الخاص الذى لا يمكن اسناده الى غيره ولذلك اكده بقوله
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عما فيها من المنافع واصناف الفواكه
المختلفة لونا وطعما وشكلا ورايحة ولما اثبت الاختصاص به على الوجه
الابلغ قال ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون منكرا ان يكون له شريك
وجعل القائل بالشرك عادلا عن نهج الصواب او عادلا به من لا يستحق
امن جعل الارض قرارا مكانا يستقر فيه الحيوان بدل من امن خلق
السموات ترق الى ما هو اعظم من اسنات الحدايق بل لولاه لا بتم الابنات
وجعل خلالها انهارا جارية وجعل لها رواسى جبالا ثابتة كالاوتاد
تسكنها من الاضطراب مع ما فيها من سائر المنافع وجعل بين البحرين حاجزا
بين العذب والملح ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون فلذلك يشركون به
امن يجيب المضطر اذا دعاه خصها باجابتهم عند الاضطرار ويكشف السوء
والمضار ترق عما تقدم لكونه لصيقا بهم دون واسطة ويجعلكم خلفاء
الارض تنتفعون بها على اى وجه شيتم مباشرة وامرا ونهيا وهذا
اتم واجل موقعا ولذلك قال ءاله مع الله قليلا ما تذكرون فجعل
الفاصلة التذكر الذى لا يحتاج الا الى التفات النفس امن يهديكم فى ظلمات
البر والبحر اذا سافرتم فيها بالنجوم فى السماء وعلامات فى الارض
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وهذا من متممات امر الخلافة
لاشتماله على اجابة المضطر وكشف السوء وجلب المنافع الكثيرة وقرا حمزة
والكسائى وابن كثير الريح بالتوحيد والكوفيون وابن عامر نشرا بسكون
الشين وفتح نون ند حمزة والكسائى وعاصم بالتاء مكان النون ونافع وابن
كثير بضم النون والشين ءاله مع الله بقدر على شئ من ذلك ولما فى ذلك
من تاثير القدرة القاهرة مع الجلاء تعالى الله عما يشركون امن يبدؤا الخلق
ثم يعيده اضرب عن ذلك الاسلوب الى ذكر نعمتى الايجاد والاعادة اللتين
كل نعمة دونهما وهما مبتداء كل نعمة فى الدارين والكفرة وان كان بعضهم
منكرا للاعادة الا انه لظهورها لادلة بحيث لا يعتد بانكاره فهو محجوج
ومن يرزقكم من السماء والارض اجمال لما تقدمه كعدل القصة ءاله
مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على شئ يخالف ما ذكرنا ان كنتم
صادقين فى اشراككم تسجيل عليهم بالكذب وان ما يقولون تخليق وهو
انتفس قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله اشارة انه كما
تفرد بالقدرة التامة كذلك متفرد بالعلم الشامل والاستثناء منقطع
ورفعه على اللغة التميمية لظهور انه تعالى منزه عن المكان والحيز وايثار

الرفع للدلالة على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيهم من يعلم
الغيب مبالغة فى نفى علم الغيب عنهم ويجوز الاتصال بتاويل
اى من تعلق علمه بها واطلع عليها فانه غائم فيه تعالى وما يشعرون
ايان يبعثون اى وقت بعثهم الذى هو اهم الامور عندهم تاكيد لنفى
علم الغيب عنهم وايان بمعنى اى فعال من ان يبين والضمير لمن بل ادارك
علمهم فى الاخرة افتعال من الدرك وهو الوصول واللحوق وهى قراءة
نافع وابن عامر والكوفيين والمعنى ان مدار تابع علمهم به واستحكم بمعنى
استحكام اسبابه وظهور دلايله ان القيمة كائنة لا محالة وهم عن
ذلك معرضون لا علم لهم فاين هم من علم الغيب وقرا ابن كثير وابو عمر
ادرك على وزن اكرم اى انتهى وتكامل والمعنيان متقاربان ويجوز ان
يكون الكلام على سبيل التهكم لانهم اذا لم يعلموا ما دلت عليه الحجج فهم
عن علم الغيب بمراحل وما روى عن الحسن ان معنى ادرك علمهم اضمحل
يناسب التهكم لان ما له النفى عليهم بل هم فى شك منها بل يخبرون لا يجزمون
شئ بل هم منها عمون لا يدركون شيا من دلائلها والاضرابان الثلث
لبيان احوالهم وصفهم او لابعدم الشعور بوقت البعث ثم ترقى الى انهم
لا يقرون بالاخرة راسا ثم الى انهم خابطون فى شانها خبط عشواء
ثم الى ما هو اسوء حالا وهو عمى البصرة وقبل باعتبار الفرق وهذا
مختص بالمشركين واسناده الى من فى السموات والارض لوقوعه سهوا كما
يقال بنو فلان فعلوا كذا وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وابآؤنا ائنا
لمخرجون اثر الظاهر موضع المضمر اشارة الى منشا ذلك العمى لاغير
ولذلك كانت هذه الاية كالبيان للاولى والعامل فى اذا معنى الاخراج الذى
دل عليه مخرجون لا هو لان الاستفهام وان واللام كل منها مانع من العمل
فكيف بها مجتمعة لقد وعدنا هذا نحن وابآؤنا من قبل اى قبل محمد
المشار اليه البعث قدم هذا على نحن هنا واخره فى سورة المومنين لان
ما قبله هناك ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما فقيه دلالة على بقاء بعض
الاجزاء على صورتها وما هنا فلا دلالة على ذلك وقدموا الى انفسهم
اباءهم ولا شك ان هذا ابعد عندهم فاستلزم زيادة الاعتناء فصاد
اهم بالتقديم ان هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم الذى لا حقيقة
لها كالاسمار قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
اى المكذبين والتعبير بالاجرام لتكون لطفا بالسامعين فى ترك الجرايم
ولا تحزن عليهم لعدم اتباعهم اياك ولا تكن فى ضيق فى حرج

وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ الشيطان بالاغراء على المعاصي والوعد الكاذب
إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ قديم عداوته عاديا كم قبل كونه بشرا سويا
فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا واحذروا عن كيده لان ازالة عداوته غير ممكنة إِنَّمَا
يَدْعُو حِزْبَهُ شيعته ومن يتبع خطواته بالوسواس وتزيين المعاصي
لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ الملازمين لها اللام للعاقبة الَّذِينَ كَفَرُوا
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ
بعد التحذير عن اتباعه بين حال حزبه وحزبالله وترغيبا وترهيبا وفي
وصف العذاب بالشديد اشارة الى ان مخالفة الهوى ليس امرا شاقا
بالنسبة الى ذلك العذاب أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا اى راى
القبيح حسنا كقوله يحسبون انهم يحسنون صنعا والجواب محذوف
اى كمن وفق وهداه الله حذف لدلالة قوله فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وعليه وعن الزجاج ان الكلام على التقديم والتاخير
اى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف لدلالة
فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ والمعنى اذا علمت ان الاضلال والهداية
بيده تعالى فلا تاسف ولا تذهب نفسك وتفارقك للحسرات على عدم
اهتدائهم والاوجه ان يكون حالا كان نفسه صارت عين الحسرات
وفي ايثار الجمع مبالغة كان له حسرات بعدد كل شخص منهم او بعدد كل سيئة
الجار والمجرور يتعلق بتذهب او بحسرات وتقديم معمول المصدر شايع إِنَّ
اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ فيجازيهم عليه وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ مِنْ
جهات مختلفة فَتُثِيرُ سَحَابًا حكاية للحال تصوا تلك الهيئة البديعة
ولان المراد بيان احدا ثها بتلك الخاصة ولذلك اسند الفعل اليها و
يجوز ان يراد باختلاف الافعال الاستمرار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح بالافراد على الجنس فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ
اى بالمطر دل عليه ذكر السحاب او بالسحاب لانه سبب السبب ولما كان في
الفعلين مزيد صنع التفت الى ضمير المتكلم لانه ادخل في الاختصاص قراءة
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ميت مخففا بَعْدَ مَوْتِهَا بعد
يبس نباتها وذهاب نضارتها كَذَلِكَ النُّشُورُ في محل الرفع مثل موات
الاحياء وعن ابن رزين قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى قال هل مررت
بوادي قومك يا ابا رزين محلا ثم مررت به يهتز قلت بلى قال فكذلك يحيي الله
الموتى وقيل الكلام في الكيفية المخصوصة لما دل انه ينزل مطر من تحت العرش
مثل المني ينبت منه الموتى مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ الرفعة والشرف فلله العزة

جَمِيعًا فالدارين فليطلبها منه الشيء يطلب عند مالكه وعزة رسوله و
المؤمنين عزته تعالى رد لتعززهم بالاصنام لقوله واتخذوا من دونه آلهة
ليكونوا لهم عزا الا يرى الى ابي سفيان يوم احد لما راى بالمسلمين ضيطا
كيف نادى لنا عزى ولا عزى لكم ثم قال اعل هبل اعل هبل إِلَيْهِ يَصْعَدُ
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ اشارة الى ما ينال به العز من عند
الله تعالى وهو الايمان والعمل روى الطبراني باسناده الى ابن مسعود
ان الكلم الطيب سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قال العبد اخذهن الملك تحت جناحه لا يمر على الملائكة في السموات
الا استغفروا لقائلهن فيحتبي بهن وجه الرحمن وعن ابن عباس رضي الله عنه
العمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله وادى الفرائض جعل عمله ذكره ومن
لم يؤد ردد ذكره فعلى هذا المستكن في يرفع للعمل وقيل للذكر اذ لا يقبل
العمل الا من الموحد وقيل الرافع هو الله والحق ان الكلم الطيب يتناول
كل كلمة صالحة وقراءة القران افضل من الذكر وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ حث على الاخلاص في العمل الصالح فلا يدنسه بالرياء
قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقيل هم المشركون الذين اداروا الراي في
شانه صلى الله عليه وسلم لقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليقتلوك اخبار
بالغيب قبل وقوعه ونصب السيئات على المصدر لان مكر فعل لانم اتى
المكرات السيئات وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ لا غيره وهو مكر الله حيث
استدرجهم الى الدرك الاسفل او الى قليب بدر ثم الى العذاب السرمد
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ اى ادم ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ سائر ذريته ثُمَّ جَعَلَكُمْ
أَزْوَاجًا ذكرا وانثى وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ اى ملتبسة
بعلمه محفوظا احوالها اشار بقوله واالله خلقكم من تراب الى الحول الكامل
وبهذا الى العلم ثم الى القضا والقدر بقوله وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ
مِنْ عُمُرِهِ خطابا لافراد الانسان اى ما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمر
اخر إِلَّا فِي كِتَابٍ الا في علمه او في اللوح وقيل التعمير والنقص راجع
الى شخص على الفرض والتقدير وذلك انه كتب عمره اربعين ان لم يتصدق
بكذا وستين ان تصدق لما روى ان الصدقة وصلة الارحام تزيدان
في العمر وعن سعيد بن جبير نقص العمر ما يمر من عمره والكتاب كتاب الحفظة
يكتب فيه مضى يوم مضى يومان وهكذا وعن قتادة المعمر من بلغ عمر ستين
والمنقوص من مات دونه وهذا راجع الى الوجه الاول الا انه اشار الى الغالب
الاعمار إِنَّ ذَٰلِكَ المذكور عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لحصوله بتعلق الارادة لا غير

صدر قرأ ابن كثير بكسر الصاد وهما لغتان مما يمكرون لأجل مكرهم
فان الله عاصمك ويقولون متى هذا الوعد اى العذاب الموعود استعجالا
منهم ان كنتم صادقين فى قولكم ان لم تؤمن نعذب قل عسى ان يكون
ردف لكم بعض الذى تستعجلون اى تبعكم كل شئ تبع اخر فهو ردف له
ومن ثمة سمى الليل والنهار ردفين وارد ف لغة فيه قال شعرا اذا الجوزاء
اردفت الثريا وعسى ولعل وسوف فى كلام الملوك يدل على الوقوع قطعا
والمراد ما وقع عليهم يوم بدر من القتل والاسر وان ربك لذو فضل على
الناس بتاخير العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمة الامهال
ويستعجلونك بالعذاب وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
من المكايد وانواع المكر تسلية لرسوله وتقوية لجاشه بعد ان قدم قوله
ولا تكن فى ضيق مما يمكرون وما من غايبة فى السماء والارض الا فى كتاب
مبين برهان على احاطته بما تكن صدورهم لانه من جزئيات ذلك الغايب
والتاء للمبالغة كما فى الرواية او للنقل من الوصفية الى الاسمية كما فى
الذبيحة والنطيحة والوجه الاول والكتاب المبين اللوح او علمه الشامل
ان هذا القران يقص على بنى اسرايل اكثر الذى هم فيه يختلفون لما كان
القران اعظم معجزاته وكان الاعجاز فيه من وجوه اشار الى الوجه الذى
هو اغرق فى الاعجاز وهو الاخبار عن احوال الكتب السماوية فان المنزل
عليه امى لم يزاول دراسة الكتب وما اختلفوا فيه احوال الجنة والنار
وامر عيسى وعزير قيد بالاكثر لان بعضه باطل فى بادى الراى فلا حاجة
الى ابطاله وانه لهدى ورحمة للمؤمنين لانهم المنتفعون به ان ربك
يقضى بينهم بين من امن ومن كفر بحكمه اى بعدله او بحكمته وهو
العزيز الغالب فلا يرد قضاؤه العليم بالامور كما هى فتوكل على
الله بعد ما تبين انك رسول بالكتاب الذى هو ابهر معجزاتك انك على
الحق المبين علة للتوكل فان صاحب الحق موييد انك لا تسمع الموتى كلام
مستانف لتسلية لرسول الله وانه قد بلغ الرسالة فلا عليه بعد ذلك
فانهم محتوم على قلوبهم شبه بحال الميت حيث لا يسمعون سماع تدبر
وقيل تعليل ثان للامر بالتوكل كانه قيل اتباعهم اياك امر قد ايس منه
فلم يبق الا الاستنصار عليهم واستهكاء شرورهم فان قلت روى البخارى
ان رسول الله وقف على قليب بدر ونادى لقتلى باسمايهم وقال هل وجدتم
ما وعد ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا فقال له عمر ينادى
اجسادا لا ارواح لها فقال لستم باسمع منهم ولكن لا يقدرون على الجواب

فكيف التوفيق بينه وبين الاية قلت بناء الكلام هنا على المتعارف تسلية
لرسول الله الا يرى انه قد شرع السلام على المقابر وانما كان له احساس
بالعذاب فما المانع من السماع ولا تسمع الصم الدعاء قرا ابن كثير
يسمع بياء الغيبة مضارع سمع ورفع الصم والباقون بالخطاب من اسمع
مسندا الى النبى وهو اوفق بالمقام وافوى معنى اذا ولوا مدبرين
فان اسماعهم فى تلك الحالة ابعد وفيه اشارة الى غاية بعدهم عن الايمان
وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم لان اهتداء الاعمى مستحيل قرا حمزة
يهدى العمى بالفعل المضارع ونصب العمى ان تسمع الا من يؤمن بايتنا
فانه يسمع سماع تدبر وينظر نظر اعتبار فهم مسلمون مخلصون ظاهرا
وباطنا وانما وقع القول عليهم استوفى دلائل التوحيد والمبداء والمعاد
ونبوة المخبر الصادق افاض فى بيان احوال القيمة وايات الساعة والقول
هو الوعد بقيام الساعة ومعنى وقوعه ثبوت معناه ووجوبه اخرجنا لهم
دابة من الارض اى دابة عظيمة المنظر والشان وقد ذكر فى وصفها اشياء
والذى صح فى الحديث انها دابة طولها ستون ذراعا ذات قوايم اربع فيها
الوان الحيوانات تنصدع جبل الصفا فيخرج منه والناس سايرون الى
منى وفى رواية يخرج من ارض الطايف معها عصى موسى وخاتم سليمان
لا يدركها طالب ولا يفجرها هارب تضرب بالعصا فى وجه المومن يكتب فيه
مومن وتطبع وجه الكافر بخاتم سليمان يكتب فيه كافر تكلمهم يا فلان ويا فلان
بلسان عربى وقيل ان الناس كانوا بايتنا لا يوقنون كلامها عند خروجها
يحكى كلام الله الدال على وقوع ايات الساعة التى هى منها او هو كلامها حكاية
الله تعالى بتقدير حذف المضاف اى بايات ربنا او لكونها من خواص خلقه اضافت
الايات الى نفسها كما يفعله خواص الملوك من اضافة ما للمملوك الى نفسهم
وقرا الكوفيون بالكسر استيناف جاريا مجرى العلة ويوم نحشر من كل امة
فوجا جماعة ممن يكذب بايتنا بيان للفوج ومن الاولى للتبعيض فهم
يوزعون يحبسون ليلحق بهم اوايخرهم والمعنى ان الله يحشر من كل امة
رؤساءها بين يديهم الى شفير جهنم حتى اذا اجتمعوا كبكبوا كلهم فيها وعن
ابن عباس رضى الله عنه ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون
بين يدى مشركى مكة حتى اذا جاءوا الى المحشر قال اكذبتم بايتى ولم تحيطوا
بها علما الواو للحال اى كذبتم بايتى مفاجاة من غير تدبر فيها ليظهر لكم
انها جديرة بالتكذيب ام التصديق او عاطفة اى جمعتم بين التكذيب وعدم
النظر والتامل فيها فان من ورد عليه كتاب من صاحبه وان لم يصدق

بانه كاذبه لانقصر عن الاحاطة بما فيه فالمنكر في الوجه الاول التكذيب بارد
الراى وفي الثاني التكذيب وعدم القاء الذهن أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
الظاهر أم صدقتم عدل الى المنزل دلالة على انتفاء الشق الثاني وانه انما
جئ به للتبكيت كانه قيل أهو مما عهد من التكذيب ام حدث امر اخر ولذلك
أدخل أم على ما الاستفهامية الدالة على الشك والتردد وضعا ووقع
القول عليهم بما ظلموا اى العذاب بسبب ظلمهم فهم لا ينطقون
لشغلهم بالعذاب وهذا حين وقوع العذاب فلا ينافي محاجتهم قبله لقوله
انظر كيف كذبوا على انفسهم بعد قولهم والله ربنا ما كنا مشركين أَلَمْ يَرَوْا
أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ بالنوم والاستراحة وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا
مجاز حكمي لان الابصار لمن في النهار إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
همهم الايمان والاستدلال باثار الصانع الدالة على وجوده ووجوبه
وتوحده وذلك ان من قدر على ترتيب الليل والنهار وابدال النور من الظلمة
وبالعكس على هذا النظام والنمط قادر على ابدال الموت بالحيوة مع ان النوم
نوع من الموت والشمس روح العالم فاى دلالة أوضح من هذه الدلالات
وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ هو القرن الذي بيد اسرافيل وتمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ
عبر بالماضي لتحقق وقوعه لكونه كلام من لا خلف في قوله إِلَّا مَا شَاءَ
اللَّهُ بان يثبت قبله قبل هم جبرائل وميكائل واسرافيل وملك الموت
وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء فانهم احياء عند ربهم
وقيل موسى ولا يستقيم الا اذا كانت نفخة الفزع نفخة الصعق على ان
النفخات ثلث دل عليه حديث لطم اليهود وهي نفخة الفزع فانهم يموتون
من شدة الخوف ونفخة البعث هذا ما ذكروه والظاهر من لفظ يصعقون
ويوم القيمة ولفظ نعيق انه ليس بموت كُلٌّ أَتَوْهُ اى الموقف بعد النفخة
الثانية او الله بالانقياد والرجوع اليه وقرا حمزة وحفص اتوه على
صيغة الفعل واسم الفاعل وهو المختار لكون الاصل في الخبر الافراد
مع قوة المعنى دَاخِرِينَ صاغرين اذلاء وفي الحديث لم ير الشيطان
اوخر من يوم عرفة لما يرى من كثير عفو الله عن عباده الا ما كان من يوم
بدر وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب
اى تسير سيرا حثيثا فان الاجرام الثقال اذا تحركت في سمت لا يكاد يظهر
حركتها واليه اشار النابغة في وصف جيش كثيف وبارد عزمثل الطود
تحسبا نهم وقوف لحاج والركاب تهملج صُنْعَ اللَّهِ مصدر مؤكد لقوله

تمر مر السحاب وقيل مصدر مؤكد لناصب يوم ينفخ تقديره ويوم ينفخ فزع
الصور اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله اى الاثابة
والعقاب وهذا انما يستقيم باعتبار امتداد ذلك اليوم الَّذِي أَتْقَنَ
كُلَّ شَيْءٍ احكمه إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ مستانف كانه قيل ما ذا يكون
بعد تلك الاهوال فقيل انه خبير ببواطن افعالكم فيجازيكم على قدرها
وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام عن ابن عامر يفعلون بياء الغيبة جريا
على سنن التوه والخطاب احسن لقرب وترى الجبال ثم فصل ذلك المجمل
بقوله مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا اذا قل ما يقابلها عشر امثالها
الى سبعمائة الى ما شاء الله تعالى وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ اى من
الخلود في النار على ما روى عن ابن عباس رضى الله ان الحسنة هي كلمة
الشهادة او الهول العظيم لقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر قرا الكوفيون
فزع منونا وهو احسن للتهويل بالابهام وقرا نافع والكسائي بفتح الميم
في يومئذ لكونه مبنيا لاضافته الى المبنى وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ اى بالشرك
فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ القوا فيها منكوبين ليكون اول ما يصل الى
النار اشرف اعضائهم التي استكبروا ان يعفروها بالسجود لله ولذا في
الكتب معنى اللزوم والازدحام ولذلك سميت الجماعة كبة هَلْ يُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ على الالتفات او بتقدير القول وفائدته الاعلام
بان الله ليس بظلام إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا
امره بهذا الكلام اشارة الى انه قد ادى ما عليه فلم يبق له شان الا الامر
في العبودية التي هي اشرف صفات العبد وفي وصف ليلدة بالتحريم اشعار
بانهم اولى بتعظيم قدره فانهم سكانه وبه يفتخرون على سائر الناس واسم
اشارة القرب للتعظيم وانما وصف ذاته تعالى دون البلدة لان اجراء
الوصف عليه تعالى يدل على عظم الوصف وعظم ما تعلق به الوصف وكذلك
لو وصفت البلدة وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ خلقا وملكا لا البلدة وحدها
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ المنقادين لاوامره المخلصين له الدين وان
أَتْلُوَ الْقُرْآنَ وان اداوم على تلاوته ليظهر لي اسرار كنوزه او هو من التلو
اى اتبعه لقوله واتبع ما يوحى اليك فَمَنِ اهْتَدَىٰ بعد البيان الشافي
فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ فان نفعه لا يتجاوزه وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ
الْمُنذِرِينَ لا غير فلا علي من وبال ضلالته شئ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ على ما
خصك به من رتبة الرسالة ووفقك لادائها سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا
من القتل والاسر تهديد لهم فتعرفونها انها اياته لكونها من الخوارق

التى لا نقدر عليها غيره وقيل هو كقوله سنريكم اياتنا فى الآفاق وفى انفسهم
وعلى هذا الا تهديد وما ربك بغافل عما تعملون وعد لمن امن وشكر
ووعيد لمن تولى وكفر قرا نافع وابن عامر وحفص بالخطاب جريا على الخطاب فى سيركم

بسم الله الرحمن الرحيم طسم اسم السورة او حروف مقطعة للاقاط
تلك ايات الكتاب المبين اى ايات السورة ايات الكتاب الواضح اعجازه
نتلو عليك بلسان جبرائيل من نبإ موسى وفرعون بعض نبائهما بالحق
او ملتبسا به محقين لقوم يؤمنون لتعوى بذلك لجاء شهم ويعلموا
ان العاقبة لهم إن فرعون علا فى الارض استيناف كانه قيل كيف
شاوهما والارض ارض مصر لم يجاوز حكمه منها وجعل اهلها شيعا
فرقا ليشيعونه فيما يريد ويطيعونه او جعلهم اصنافا فى خدمتهم عين
لكل طائفة نوعا او جعلهم اخرابا بان اغرى بعضهم على بعض والقى عنهم
العداوة لئلا ينفقوا عليه يستضعف طائفة منهم هم بنو اسرائيل حال
من فاعل جعل او صفة شيعا او كلام مستانف يذبح ابناءهم ويستحيى
نساءهم بدل من يستضعف إنه كان من المفسدين ولذلك كان
تقتيل بلا فائدة لان الكاهن الذى اخبره انه يولد منهم مولود ويكون
ذهاب ملكه على يديه ان كان صادقا فما فائدة فى قتل الاطفال وان
كان كاذبا فما الاولى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض
ارض مصر عطف على قوله ان فرعون علا فى الارض فاخل تحتا المنبا به
ولا يجوز عطفه على نتلو لاستلزامه لخروجه عنه وهو منه بل اعظمه
واهمه وكذا عطفه على يستضعف سواء جعل حالا عن ضمير جعل او صفة
لشيعا او كلاما مستانفا وقيل حال من ضمير يستضعف بناء على ان
اراد به الله يجوز تعلقها بتكوين شئ مترقبا الوجود وفيه ان المضارع
المثبت لا يقع حالا مع الواو وتقدير المبتدا تكلف ونجعلهم ائمة
يعدى بهم فى الدين وعن قتادة ولاة لقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم
الوارثين ملك فرعون وقومه ونمكن لهم فى الارض ارض مصر و
الشام مكنت للشئ جعلت له مكانا ثم اشتهر فى التسلط والاطلاق
فى التصرف ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
من زوال ملكهم على يد مولود من بنى اسرائيل وقرا حمزة والكسائى نرى
بفتح الياء وقالف مماله مضارع راى ورفع الاسماء الثلثة على الفاعلية

والنون اشد تهويلا واوفق بالافعال السابقة واللاحقة واوحينا
الى ام موسى بالهام او رؤيا او عن الامام الما تريدى يجوز ان يكون بارسال
ملك كما ارسل جبرائيل الى مريم وكلمها شفاهها ان ارضعيه ما امكنك
فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم فى نيل مصر ولا تخافى عليه ضيعة
والخوف المثبت او لا خوف القتل ولا تحزنى لفراقه الخوف غم يلحق
الانسان لتوقع والحزن غم يلحقه الكاين او فايت انا رادوه اليك
تسلية لها وجاعلوه من المرسلين بشارة بما يملاء ها غبطة وسرورا
روى انها لما ضربها الطلق وعت قابله من الموكلات لجبا لبنى اسرائيل
وكانت مصافته لها فلما وضعته رات القابلة نورا ساطعا بين عينيه
واحبته حبا شديدا وقد تقدم فى قوله تعالى والقيت عليك محبة منى
انه لم يره احد الا احبه فقالت لام موسى كنت ما جئت الا الاخبر فرعون
بولادته ولكن دخل فى قلبى حبه فاحتفظى به ليلا يراه عيون فرعون
وسعاته فاخفت شانه وارضعته ثلثة اشهر فلما الح فرعون فى
طلب المواليد اوحى الله تعالى اليها فجعلته فى تابوت والقيته فى اليم
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لم تلقطوه الا ليكون
لهم قرة عين لكن لما لم يترتب على الالتقاط الا ذلك سببه بما يكون
مقصودا وغرضا من الفعل فاستعير له اللام كما يستعار الاسد لمن
يشبه الحيوان المعروف فى الجراة وقرا حمزة والكسائى حزنا بضم
الحاء واسكان الزاء وهما لغتان والفتح لغة الحجاز الشايعة إن
فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين مستمرين على خلاف
الصواب فليس ببدع منهم ان يربوا من يكون زوال ملكهم على يديه
بعد ان قتلوا الوفا من خوفه او كانوا مجرمين من الخطاء وهو الاثم
ولذلك عاقبهم الله بان ربى على يديهم من يكون سببا لهلاكهم فالكلام
مستانف للتعليل واللام على هذا حاربه على اصلها كانه قال دبر من
دبر ليكون لهم موسى عدوا وحزنا لانهم كانوا مجرمين احقا بذلك
وقالت امرات فرعون قرة عين لى ولك اراد قبله قالت له ذلك
وجرمت به لانها راات منه تخايل النجابة وقيل كانت لفرعون بنت
برصاء فجربت الاطباء عن علاجها وقالوا شفاؤها من ريق حيوان
فى البحر يشبه الانسان فلما اخرجوه من البحر لطحوها بريقه فراث عن
الغور لا تقتلوه الخطاب لفرعون والجمع للتعظيم او للموكلين
بقتل الولدان عسى ان ينفعنا لما راوا فيه من دلائل اليمن اثر النجابة

ساطع البرهان او نتخذه ولدا بنيناه فانه يصلح لان يكون من اولاد
الملوك وهم لا يشعرون حال من ال فرعون اى التقطوه وهم لا يشعرون
انهم على خطاء عظيم فى ذلك وقوله ان فرعون اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه بؤكد خطأهم واصبح فؤاد ام موسى فارغا خاليا
من العقل لما سمعت بوقوعه فى يد فرعون وفيه دليل على ان القلوب
مراكز العقول ان كادت لتبدى به اى بامر موسى من فرط الوله والضجر
لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر القلب وسط الفؤاد وانما ذكر القلب
اولا لان فراغه يستلزم فراغ القلب ولم يكتف به فى الربط مبالغة فى سلب
القلق والاضطراب عنها او اصبح فؤاد امة فارغا من الحزن حين سمعت
بان فرعون عطف عليه وابعاد وكادت تظهر شانه فرحا وسرورا لولا
ان الله سكن جاشها واذهب قلقها لتكون من المؤمنين المصدقين
بوعد الله حين قال لها انا رادوه اليك اولتكونن واثقة بحفظ الله وكلاءته
لابنتى فرعون وقالت لاخته مريم قصيه تتبعى اثره لتعلمى ما يفعل
فبصرت به عن جنب فقصت اثره فرانه من بعيد وهم لا يشعرون
انها جاءت تقص اثره او انها اخته وحرمنا عليه المراضع من قبل
قبل مجيئها مجاز عن المنع فان من حرم عليه شئ فقد منع عنه والمراضع
جمع مرضع وهى التى ترضع او مرضع اسم مكان او مصدر فقالت هل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون لا يقصرون فى تربيته
روى ان هامان قال هذه تعرفه فقالت انما اردت انهم للملك ناصحون ما
يقال ان مرجع الضمير يختص بلغة العرب ساقط لعدم الاختصاص ولان
فرعون كان من العماليق وهم كانوا يتكلمون بالعربية فرددناه الى امه
روى انها لما جاءت وجدت موسى على يد فرعون يعلله فتناولته منه
والقمته الثدى فقال فرعون من انبأ منه فانه ابى كل ثدى الا ثديك
فقالت انى امرأة طيبة الرائحة طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه
اليها واجرى عليها والكلام فى انها كيف اخذت الاجر مبنى على اختلاف
الشرايع بل المذاهب فى ذلك مخلفة او انه كان مال حربى كى تقر عينها
ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق على ان الرد معه الشهية
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعد الله حق فيرتابون اشد ارتياب مما
وقع بعد العلم وفيه تعريض بام موسى حيث اصبح فؤادها فارغا بعد ما
وعد الله تعالى ومن العلم اى ولتعلم ان الرد انما كان لهذا الغرض
وهو علمها بصدق وعد الله وما عداه من قرة العين وذهابا بالحزن تبع

ولما بلغ اشده المبلغ الذى لا يزيد عليه نما وهو ذلك اربعون سنة
مفرد على وزن الجمع وعن سيبويه جمع شدة واستوى اعتدل جسمه
وعقله اتيناه حكما نبوة وعلما علم الشرايع واحوال الامم هذا
اجمال فى القصة فلا ينافى كون نبوته بعد مراجعته من عند شعيب
وكذلك نجزى المحسنين وكما جازينا موسى وامه على احسانهم نجزى
سائر المحسنين ودخل المدينة مدينة فرعون وهى مصر فان قلت
اين كان حتى قال دخل المدينة قلت كان هاجرهم بعبد الله خاليا كما كان
يفعله رسول الله بغار حراء ولا يدخل الا لضرورة مستخفيا ولذلك
قال على حين غفلة من اهلها اى بين العشائين او وقت القيلولة وقيل
بل كان آيبا من قصر فرعون وقيل من الاسكندرية فوجد فيها رجلين
يقتتلان يختصمان فى الدين هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما
من قبطى والاخر سبطى واسم الاشارة لتصوير الكائن فى صورة الحاضر
فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى عليه
السلام بعد ما دعاه الى الحق فلم يرعو والوكز الضرب بجمع الكف وفى
حديث المعراج فجاء جبرائيل فوكز بين كتفى فقضى عليه فقتله اصل
القضاء اتمام الشئ قولا او فعلا قال هذا من عمل الشيطان اى
قتل القبطى سماه عمل الشيطان لانه لم يكن مامورا بقتله او لكونه
مامورا بينهم وذلك لا يقدح فى عصمته لانه كان خطأ لم يقصد بوكزه
القتل واستغفاره وعده ظلما وحمل الشيطان وتسميه نفسه
ضالا على تاب المقربين فى عد المحقرات عظائم انه عدو مضل مبين
لا استبها فيه قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له بعد الاستغفار
انه هو الغفور كثير الغفران الرحيم وافر الرحمة قال رب بما
انعمت على من المغفرة وغيرها لا تورن قسم محذوف فالجواب واستعطف
اى بحق ما انعمت على اعصمنى فلن اكون ظهيرا للمجرمين لمن اعانته قوة
الى الاجرام كظاهرة الاسرائيلى وقيل اراد مظاهرة فرعون فانه كان
يركب معه وبكثر سواد فاصبح فى المدينة خائفا يترقب المكروه من الاعداء
وغيرها مما يقال فيه فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يستغيث
به على قبطى اخر يشاجره قال له موسى انك لغوى مبين شديد الغواية
ظاهرها لانك بالامس تسببت فى هلاك رجاء وانا لان يسعى فى هلاك اخر
فلما ارادان يبطش بالذى هو عدو لهما لموسى وللاسرائيلى قال يا موسى
اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان قال الاسرائيلى لما سماه غويا

وَهَمَّ بِالْبَطْشِ بِعَدُوِّهِمَا ظَنًّا أَنَّهُ يَقْصِدُهُ فَثَمَّ عَلَيْهِ أَوِ الْقِبْطِيَّ لَمَّا سَمِعَ
قَوْلَ مُوسَى لِلْإِسْرَائِيلِيِّ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ وَكَانَ قَتْلُ الْقِبْطِيِّ قَدْ اشْتُهِرَ
وَلَمْ يُعْلَمْ قَاتِلُهُ فَعَنَّهُمْ أَنَّهُ الْقَاتِلُ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ
تَقْبِلُ النَّاسَ عَلَى الْغَضَبِ وَمُنْكِرًا لِلتَّوَاضُعِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ
مِنَ الْمُصْلِحِينَ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ فَإِنَّ شَأْنَ الْمُصْلِحِ الدَّفْعُ بِالْأَحْسَنِ لَا قَتْلُ أَحَدِ
الْخَصْمَيْنِ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى بَعْدَ وَصْفِهِ رَجُلًا أَوْ حَالَ
مِنَ الرَّجُلِ لِأَنَّهُ نَكِرَةٌ مَوْصُوفَةٌ فَإِنْ قُلْتَ فِي سُورَةِ يس وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى
الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى بِتَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عَلَى عَكْسِ مَا أَوْقَعَ مُتَأَخِّرًا فَمَا وَجْهُ
اخْتِصَاصِ كُلٍّ بِمَوْضِعِهِ قُلْتُ الْكَلَامُ هُنَا جَارٍ عَلَى أَصْلِهِ وَإِنَّمَا غُيِّرَ هُنَاكَ
لِأَنَّ مَسَاقَ الْحَدِيثِ لِبَيَانِ مُعَامَلَةِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الرُّسُلَ فَكَانَ مَظِنَّةَ أَنْ
يَتَرَدَّدَ السَّامِعُ هَلْ هُنَا لَا مَنْ فِيهِ خَيْرٌ أَمِ الْكُلُّ عَلَى الْبَاطِلِ فَلِذَلِكَ قُدِّمَ ذِكْرُ
الرَّجُلِ الدَّاعِي إِلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ أَيْ أَشْرَافَ قَوْمِ
فِرْعَوْنَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ أَيْ يَتَشَاوَرُونَ لِأَجْلِكَ لِلِائْتِمَارِ لِلتَّشَاوُرِ لِأَنَّ
كُلًّا مِنَ التَّشَاوُرِ وَالِائْتِمَارِ يَأْتَمِرُ صَاحِبُهُ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنَ الرَّأْيِ لِيَقْتُلُوكَ
قِصَاصًا عَنِ الْقِبْطِيِّ الَّذِي قَتَلْتَهُ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ اللَّامُ
لِلْبَيَانِ كَمَا فِي هَيْتَ لَكَ وَلَيْسَتْ صِلَةً لِلنَّاصِحِينَ لِأَنَّ مَعْمُولَ الصِّلَةِ لَا
يَتَقَدَّمُ عَلَى الْمَوْصُولِ فَخَرَجَ مِنْهَا مِنْ مِصْرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ اللُّحُوقَ بِهِ
قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ خَلِّصْنِي مِنْ شَرِّهِمْ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ
مَدْيَنَ صَوْبَهُ وَمَا تِحَاذِيهِ مَأْخُوذٌ مِنَ اللِّقَاءِ وَمَدْيَنُ قَرْيَةُ شُعَيْبٍ سُمِّيَتْ
بِاسْمِ بَانِيهَا مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مِصْرَ ثَمَانِ أَوْ سَبْعُ مَرَاحِلَ
قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ أَيِ الطَّرِيقَ السَّوَاءَ الْعَدْلَ
الَّذِي لَا انْحِرَافَ فِيهِ كَانَ قَاصِدًا مَدْيَنَ وَلَمْ يَعْرِفِ الطَّرِيقَ وَقِيلَ لَمْ يَكُنْ
قَاصِدًا لِمَكَانٍ مُعَيَّنٍ بَلْ أَخَذَ طَرِيقًا يُوصِلُهُ إِلَى بَلَدٍ كَانَ فَسَحَ لَهُ ثَلَاثَ طُرُقٍ
فَأَخَذَ فِي أَوْسَطِهَا فَجَاءَ الطَّلَبُ فِي أَثَرِهِ فَأَخَذُوا فِي الْأَخِيرَيْنِ وَلَمَّا وَرَدَ
مَاءَ مَدْيَنَ بِئْرَ لَهُمْ مَعْرُوفَةً يُقَالُ وَرَدْتُ الْمَاءَ إِذَا جِئْتَ لِلشُّرْبِ وَالْوِرْدُ
بِكَسْرِ الْوَاوِ ذَلِكَ الْمَاءُ وَجَدَ عَلَيْهِ أَيْ عَلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْهُ أُمَّةً
مِنَ النَّاسِ جَمَاعَةً مِنْ نَاسٍ مُخْتَلِفِينَ يَسْقُونَ أَيْ مَوَاشِيَهُمْ وَوَجَدَ
مِنْ دُونِهِمْ أَيْ فِي أَدْنَى مَكَانٍ مِنْهُمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ تَمْنَعَانِ أَغْنَامَهُمَا
عَنِ الْوُرُودِ حُذِفَ الْمَفْعُولُ بِمُجَرَّدِ الِاخْتِصَارِ وَقِيلَ لِأَنَّ الْفِعْلَ هُوَ
الْمَقْصُودُ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّرَحُّمَ إِنَّمَا كَانَ لِكَوْنِهِمَا عَلَى الذَّوْدِ وَأَمَّا أَنَّ مَذُودَهُمَا
غَنَمٌ أَوْ غَيْرُهُ فَلَا دَخْلَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَهَذَا إِذَا لَمْ يُلَاحَظْ اخْتِصَاصُ الْمَفْعُولِ

وَأَمَّا إِذَا لُوحِظَ فَلَا شَكَّ أَنَّ تَرَحُّمَهُ إِنَّمَا كَانَ لِكَوْنِهِمَا عَلَى ذَوْدِ غَنَمِهِمَا
وَالْقَوْمُ عَلَى سَقْيِ مَوَاشِيهِمْ حَتَّى لَوْ كَانَ الْقَوْمُ عَلَى سَقْيِ غَنَمِهِمَا دُونَهُمْ عَلَى ذَوْدِ
مَوَاشِيهِمْ لَمْ يَكُنْ لِلتَّرَحُّمِ وَجْهٌ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا أَيْ مَا الْمُوجِبُ لِمَنْعِكُمَا
الْخَطْبُ الْأَمْرُ الْمُهِمُّ الَّذِي يَقَعُ الْخِطَابُ فِي شَأْنِهِ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ
الرِّعَاءُ الصَّدْرُ بِفَتْحِ الدَّالِ الرُّجُوعُ بَعْدَ الْوُرُودِ وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ
وَالْكُوفِيُّونَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الدَّالِ مِنَ الْإِصْدَارِ وَهُوَ رَدُّ الْمَوَاشِي بَعْدَ
الْإِيرَادِ وَالْفَتْحُ أَوْلَى لِأَنَّ الْغَايَةَ رُجُوعُ الْقَوْمِ لَا رَدُّ الْمَوَاشِي وَلِسَلَامَتِهِ
عَنِ الْحَذْفِ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ لِلسَّقْيِ فَيَسْقِي أَغْنَامَنَا
وَدَفَعَ لِمَا تَوَهَّمَ مِنَ الْعَارِ فِي اسْتِرْعَاءِ الْعَوَاتِقِ فَإِنَّهُ مَحَلُّ الْمُرُوءَةِ فَسَقَى
لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ
فَقِيرٌ أَيْ لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْزَلْتَهُ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ مُحْتَاجٌ وَإِنَّمَا عَدَّى الْفَقْرَ
بِاللَّامِ لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى السُّؤَالِ قِيلَ مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ إِلَّا وَكَانَ يَرَى خُضْرَةَ
الْبَقْلِ فِي بَطْنِهِ مِنَ الْهُزَالِ أَوِ الْمَعْنَى إِنِّي لِأَجْلِ مَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ
وَبِصِفَاتِكَ صِرْتُ فَقِيرًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا فَعَلَى هَذَا يَكُونُ بِتَجَامِنِهِ وَسُرُورُ
الْحَالَةِ كَمَا هُوَ دَأْبُ النُّفُوسِ الْقُدْسِيَّةِ فَجَاءَتْهُ إِحْدَيْهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ
عَلَى وَجْهِ الْحَيَاءِ وَالْخَفَرِ مَضْمُومٌ بِهِ نَاسُهَا كَمَا هُوَ دَأْبُ الْعَوَاتِقِ لَا سِيَّمَا بَنَاتُ
الْأَنْبِيَاءِ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا لَمْ يَكُنْ أَجْرًا
حَقِيقَةً بَلْ أَرَادَتِ الْمُكَافَاتِ عَلَى الْإِحْسَانِ وَلَوْ كَانَ أَجْرًا لَمْ يَقْدَحْ فِي كَمَالِ
مُوسَى لِأَنَّهُ كَانَ مُحْتَاجًا وَقِيلَ بَلْ لَمْ يَتَنَاوَلْ طَعَامَهُ لِمَا قَدَّمَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ
إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَأْخُذُ عَلَى الْمَعْرُوفِ ثَمَنًا فَقَالَ شُعَيْبٌ كَذَلِكَ عَادَتُنَا مَعَ كُلِّ
وَارِدٍ عَلَيْنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ مَصْدَرٌ كَالْعَلَلِ بِمَعْنَى
الْمَقْصُوصِ أَيْ مَا جَرَى مِنْ أَمْرِهِ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فَإِنَّ حُكْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَنْجَاوِزُ بَلْدَةَ قُطْنَا قَالَتْ إِحْدَيْهُمَا
وَهِيَ الَّتِي دَعَتْهُ إِلَى أَنَّهَا وَهِيَ الْكُبْرَى وَاسْمُهَا صَفْرَا وَاسْمُ الصُّغْرَى صَفِيرَا
يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ لِرَعْيِ الْغَنَمِ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ
قَالَ أَبُوهَا مِنْ أَيْنَ عَلِمْتِ قُوَّتَهُ وَأَمَانَتَهُ قَالَتْ أَمَّا قُوَّتُهُ حَيْثُ رَفَعَ الْحَجَرَ مِنْ
رَأْسِ الْبِئْرِ وَحْدَهُ وَكَانَ لَا يُقِلُّهُ الْأَجِمَّةُ وَأَمَّا الْأَمَانَةُ فَإِنِّي كُنْتُ أَمْشِي
أَمَامَهُ فَقَالَ امْشِي خَلْفِي وَاعْنِي لِي الطَّرِيقَ وَإِنَّمَا جَعَلَ خَبَرَ إِنَّ جُمْلَةً لِيَسِمَ مَعْكُوسَ الْقَوْلِ
الْأَمِينُ أَعْرَفُ عِنَايَةً لِخَبَرِيَّةِ الْأَجِيرِ وَأَثَرُ الْمَاضِي دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ
مُجَرَّبٌ مَعْرُوفٌ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ صَاحِبُ
يُوسُفَ حَيْثُ قَالَ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا وَبِنْتُ شُعَيْبٍ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ

قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ أَيْ تَفْسُكَ ثَمَانِيَ سِنِينَ جَمْعُ حِجَّةٍ سُمِّيَتْ لِسَنَةٍ بِهَا لِاشْتِمَالِهَا عَلَيْهَا وَهَذَا كَانَ مُؤَامَرَةً بَيْنَهُمَا لَا نِكَاحًا وَأَمَّا الْمَارَّةُ الْحُرَّةُ فِي الْمَهْرِ قَالَ بِهِ الشَّافِعِيُّ وَمَنَعَهُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَلَعَلَّ الشَّرَائِعَ فِي ذَلِكَ مُخْتَلِفَةٌ أَوْ كَانَ الْمَهْرُ شَيْئًا آخَرَ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ رَاعِيَ غَنَمِهِ لِأَمَانَتِهِ وَقُوَّتِهِ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ تَفَضُّلًا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَهْرَ كَانَ الْإِجَارَةَ نَفْسَهُ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ بِأَنْ أُكَلِّفَكَ مَا يُوقِعُكَ فِي التَّعَبِ أَوْ يُعْجِزُكَ وَهَذَا شَأْنُ الْأَنْبِيَاءِ فِي أُمُورِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَعَنِ السَّائِبِ ابْنِ يَزِيدَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِيكِي فَكَانَ خَيْرَ شَرِيكٍ لَا يُمَارِي وَلَا يُمَادِي وَلَا يُشَارِي سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الْوَافِينَ بِالْعَهْدِ مَعَ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ وَلَمْ يُجَابِ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ يُطْلَبُ الزِّيَادَةُ أَيْ كَمَا إِنِّي إِنْ قَضَيْتُ أَطْوَلَ الْأَجَلَيْنِ لَا أُطَالَبُ بِالزِّيَادَةِ فَكَذَا إِنْ قَضَيْتُ أَقْصَرَهُمَا لَا تُطَالَبُنِي بِالزِّيَادَةِ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ شَاهِدٌ حَفِيظٌ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ أَطْوَلَ الْأَجَلَيْنِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رُوِيَ أَنَّ شُعَيْبًا كَانَ عِنْدَهُ عَصَيُّ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَهُ مُوسَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَيَأْخُذَ أَحَدَهَا فَدَخَلَ فَخَرَجَ بِوَاطٍ وَكَانَ شُعَيْبٌ قَدْ كَفَّ بَصَرَهُ فَمَسَّهَا فَوَجَدَ الْعَصَا الَّذِي هَبَطَ بِهَا آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ رُدَّهَا وَخُذْ غَيْرَهَا فَرَدَّهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَقَعْ فِي يَدِهِ غَيْرُهَا وَعَنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُودِيَ مِنْهَا يَا مُوسَى وَعَنِ الْحَسَنِ مَا كَانَتِ الْعِصِيُّ مِنَ الشَّجَرِ إِعْتَرَاضُهَا إِعْتِرَاضًا وَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ شُعَيْبٌ إِنَّا وَصَلْتُ إِلَى مَغْرَقِ الطَّرِيقِ فَلَا يَأْخُذَنَّ ذَاتَ الْيَمِينِ لِأَنَّ هُنَاكَ تِنِّينًا أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَلَمَّا وَصَلَ أَخَذَ الْغَنَمَ ذَاتَ الْيَمِينِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى كَفِّهَا فَتَبِعَهَا فَإِذَا بِرَيْفٍ وَارِفٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهُ فَنَامَ مُوسَى فَأَقْبَلَ التِّنِّينُ فَحَارَبَتْهُ الْعَصَا فَقَتَلَتْهُ فَاسْتَيْقَظَ مُوسَى فَأَبْطَأَ الْعَصَا دَامَتْهُ فَرَجَعَ إِلَى شُعَيْبٍ وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَفَرِحَ بِذَلِكَ وَعَلِمَ أَنَّ لِمُوسَى وَلِلْعَصَا شَأْنًا ثُمَّ قَالَ إِنِّي وَهَبْتُ لَكَ نِتَاجَ غَنَمِي هَذَا الْعَامَ كُلَّ أَدْرَعَ وَدَرْعَاءَ فَجَاءَ النِّتَاجُ كُلُّهُ عَلَى الصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ فَوَفَّى لَهُ بِشَرْطِهِ وَسَارَ بِأَهْلِهِ قَاصِدًا مِصْرَ وَكَانَ بِهَا هَارُونُ وَأُخْتُهُ مَرْيَمُ وَأُمُّهُ وَسَائِرُ أَقْرِبَائِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا أَيْ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي فِي صَوْبِ الطُّورِ لِلْأَبْصَارِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُعْهَدُ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ

مِنْهَا بِخَبَرٍ بِخَبَرِ الطَّرِيقِ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ هِيَ الْعُودُ الْغَلِيظُ سَوَاءٌ كَانَ فِيهِ نَارًا وَلَا وَالشُّعْلَةُ مِنَ النَّارِ أَيْضًا وَقَرَأَ حَمْزَةُ بِضَمِّ الْجِيمِ وَعَاصِمٌ بِالْفَتْحِ وَالْبَاقُونَ بِالْكَسْرِ وَهِيَ لُغَاتٌ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ تَسْتَدْفِئُونَ بِهَا فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ شَاطِئُ الْوَادِي جَانِبُهُ وَلَا يَجْمَعُ وَالْأَيْمَنُ الَّذِي يَقَعُ فِي صَوْبِ الْيَمِينِ وَالْوَادِي الْمُقَدَّسِ يَقَعُ فِي جَانِبِ يَمِينِ الذَّاهِبِ إِلَى مِصْرَ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ حَالٌ مِنَ الشَّاطِئِ أَوْ صِلَةٌ نُودِيَ مِنَ الشَّجَرَةِ مِنْ ابْتِدَائِيَّةٌ وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ مِنْ شَاطِئِ بَدَلَ الِاشْتِمَالِ أَنْ يَا مُوسَى أَيْ بِأَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَإِنْ قُلْتَ قَدْ قَالَ فِي طه إِنِّي أَنَا رَبُّكَ وَفِي النَّمْلِ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ وَهُنَا إِنِّي أَنَا اللَّهُ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ وَالْقِصَّةُ وَاحِدَةٌ قُلْتُ قَدْ خَاطَبَهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ كُلِّهَا وَلِذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ابْتِدَاءَ رِسَالَتِهِ فَنَسَطَ الْكَلَامَ مَعَهُ وَعَرَّفَهُ بَعْضَ صِفَاتِهِ الْعُلْيَا أَوْ نَقَلَ بِالْمَعْنَى فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ تَضْطَرِبُ كَأَنَّهَا جَانٌّ حَيَّةٌ صَغِيرَةٌ فِي السُّرْعَةِ وَإِنْ كَانَتْ ثُعْبَانًا عَظِيمَ الْهَيْئَةِ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ هَرَبَ وَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ نُودِيَ بِهَذَا الْكَلَامِ لِيَسْكُنَ رَوْعُهُ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تُخْرِجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ مِنْ غَيْرِ عَاهَةٍ بَرَصٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ كَاسِيَهُ مُسْتَعَارٌ مِنْ ضَمِّ الطَّائِرِ جَنَاحَهُ لِعَدَمِ الْخَوْفِ فَإِنَّ الطَّائِرَ إِذَا خَافَ نَشَرَ جَنَاحَهُ وَمَا قَبْلَ إِنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مَبْسُوطَتَيْنِ يَتَّقِي بِهِمَا الْحَيَّةَ فَفِيهِ أَنَّهُ لَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُقَاتِلِ الْحَيَّةَ مِنَ الرَّهْبِ أَيْ لِأَجْلِ الرَّهْبِ وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِضَمِّ الرَّاءِ وَالْكُوفِيُّونَ وَابْنُ عَامِرٍ بِإِسْكَانِ الْهَاءِ وَالتَّخْفِيفِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ الْعَصَا وَالْيَدُ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو ذَانِكَ بِنُونٍ مُشَدَّدَةٍ زِيدَ عَلَى نُونِ التَّثْنِيَةِ نُونًا أُخْرَى بَدَلًا عَنْ لَامِ ذَلِكَ وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالْهَاءِ هُوَ الشَّائِعُ الْمُخْتَارُ مِنْ رَبِّكَ كَائِنَيْنِ أَوْ مُرْسَلًا بِهِمَا مِنْهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ فَهُمْ أَحْقَاءُ بِالْإِنْذَارِ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ فَصِيحٌ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي الرِّدْءُ الْعَوْنُ وَالنَّاصِرُ قَرَأَ نَافِعٌ رِدًا بِنَقْلِ حَرَكَةِ الْهَمْزَةِ وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ يُصَدِّقُنِي بِالرَّفْعِ وَالْبَاقُونَ بِالْجَزْمِ لِكَوْنِهِ جَوَابًا لِلْأَمْرِ وَهُوَ الْمُخْتَارُ لِبَقَاءِ الرِّدْءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي التَّصْدِيقِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ فِي دَعْوَى الرِّسَالَةِ فَإِنْ قُلْتَ إِنْ كَذَّبُوا مُوسَى مَعَ الْعَصَا وَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ

فما فائدة تصديق هارون قلت ليس المراد من تصديقه ان يقول صدقت
بل المراد فان سحبان وابل وبا فلا فيه سواء بل التصديق مجاز عن تلخيص
الحجة وازاحة الشبهة لكونه افصح من موسى او المراد تصديق المرسل
اليهم اى يصدقون واسناده الى هارون اسنادا الى السبب وتوئيده
انى اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به من
باب الكناية لان اليد يشتد بالعضد لانه قوامها والشخص يشتد باشتدادها
واستعارة تمثيلية بان شبه حال موسى فى تقويه باخيه بحال اليد فى
اشتدادها بالعضد ونجعل لكما سلطانا عليه او حجة واضحة فلا
يصلون اليكما بمكروه بآياتنا يتعلق بنجعل اى نسلطكما بآياتنا
او بلا يصلون على معنى يمتنعون منهم بآياتنا او هم قسم محذوف والجواب
لدلالة لا يصلون عليه او القسم الذى بتوسط الكلام فلا يحتاج الى الجواب
او صلة لما بينه انتما ومن اتبعكما الغالبون لانه لعدم جواز تقدم
الصلة على الموصول فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا
سحر مفترى اختلقه من تقدمك صفة مخصصة او ظاهرا فتراوه
لا يشبه بالمعجزة من باب نجعه انثى او مفترى كسائر انواع السحر ووصفه
بالافترا تغليب لانه من صفة الاقوال والسحر اعم وما سمعنا بهذا
فى آبائنا اى كائنا فى زمانهم حال من هذا والمشار اليه اما النبوة
على معنى انكارا ان يكون الرسول بشرا او السحر والمراد تقطيعه وكونه
سحرا لم ير مثله ولم نسمع وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من
عنده فهو عالم انى محق وانتم مبطلون وقرا ابن كثير قال بحذف الواو
على الاستيناف وعليه رسم المكى والباقون بالواو وعلى العطف حكاية
للقولين ليميز السامع بين الصحيح والفاسد منهما وعليه سائر الرسوم
وهذا ابعد معنى ومن تكون له عاقبة الدار هذه الدار لانه المنزل
الاول وعاقبتها الجنة لقوله اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن
انه لا يفلح الظالمون فالدارين هم خزى فى الحيوة الدنيا بالقتل
والاسر وضرب الجزية وفى الاخرة عذاب النار وقال فرعون يا ايها
الملا ما علمت لكم من اله غيرى جعل عدم علمه مستلزما لعدمه لانه
يدعى الالوهية فلو كان هناك اله لعلمه وقيل اراد نبى نفى المعلوم
وهذا انما يصح فى العقلية لكونها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم
من انتفائها انتفاؤها فاوقد لى يا هامان على الطين نادى هامان
وهو وزيره باسمه وامره بالايقاد على طريقة الجبابرة ولم يقل اتخذ لى

آجرا لكونه اول من وضع صيغة الآجر روى ان عمر بن الخطاب لما دخل
الشام ورأى القصور المشيدة قال ما كنت اظن ان احدا بنى الآجر
غير فرعون فاجعل لى صرحا قصرا لعلى اطلع الى اله موسى ما اجهله
ظن ان الاله جسم فى مكان ثم لو فرض انه كما ظن من اين يلزم ان يكون
فى مجاراة قصر فرعون ولو سلم من اين علم ان القصر يبلغ السماء ولو سلم
من اين له انه اذا بلغ السماء نجد فى ذلك طريقا اليه واني لاظنه من
الكاذبين فى ان له الها غيرى وهذا ايضا جهالة اخرى حيث ظن ان هنا
الها اخر بعد علمه بان لا اله غيره واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير
الحق تجاوزوا عن طورهم لان الكبرياء رداء الله وظنوا انهم الينا
لا يرجعون كانوا دهرية لا يقولون بالمعاد ولذلك اقدموا على ذلك
الاستكبار والطغيان قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم يرجعون
بضم التاء وفتح الجيم فاخذناه وجنوده اخذ عزيز مقتدر فنبذناهم
فى اليم كما ينبذ الشيء الحقير فما ظنك بمن الارض جميعا قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر تامل كيف كان عاقبة
الظالمين الكاملين فى الظلم وسوف ترى عاقبة مكذبيك وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار الى موجبا تها من الكفر والمعاصى ويوم القيمة
لا ينصرون بدفع العذاب كما يدفع الاتباع عن الفائدة فى الدنيا
واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة لعن الناس لا ترحما خلا من الناس الا
ويلعن فرعون وقومه او طردا من رحمته حيث اهلكهم عن اخرهم
ويوم القيمة هم من المقبوحين المطرودين بقال قبحه الله اى نحاه وطرده
او ممن قبح وجوههم ومن قرا هذه الاية ثم قال بايمان فرعون فهو
اكفر من فرعون ولقد اتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى من قوم نوح الى فرعون بصائر للناس ذلك الكتاب
لاشتماله على المعارف التى هى انوار القلوب وهدى الى الطريق الجنة
ورحمة لان من عمل به يصل الى رحمة الله لعلهم يتذكرون لكونوا
على حال يرجى منهم التذكر وما كنت بجانب الغربى بالوادى الذى فى الجانب
الغربى من الطور اذ قضينا الى موسى الامر ارسلنا اليه الوحى وما
كنت من الشاهدين الوحى او عليه وهم السبعون المختارون للميقات
وهذا اوجه لان الحضور قد علم من قوله وما كنت بجانب الغربى ومسافى
الاية للدلالة على ان اخباره بتلك الوقايع ليس الا باعلام الله ولكنا
انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر لكنا اوحينا اليك لانا انشانا

قُرُونًا كَثِيرَةً مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَتَطَاوَلَ الزَّمَانُ وَتَحَرَّفَ الْأَخْبَارُ وَخَفِيَتْ
أَعْلَامُ الشَّرَائِعِ فَأَرْسَلْنَاكَ مُجَدِّدًا فَحُذِفَ الْمُسْتَدْرَكُ وَأُقِيمَ سَبَبُهُ مُقَامَهُ
وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا مُقِيمًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ قَوْمِ شُعَيْبٍ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا
تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ يُقَالُ تَلَوْتُ عَلَى فُلَانٍ الْقُرْآنَ إِذَا تَعَلَّمْتَ مِنْهُ أَوْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ
مُرْسَلًا إِلَيْهِمْ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَلْ كَانَ شُعَيْبًا فَأَخْبَارُكَ بِأَعْلَامِ اللَّهِ
وَقِيلَ الضَّمِيرُ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ إِيَّاكَ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ
إِذْ نَادَيْنَا مُوسَى حِينَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا أَوِ اسْتَنْبَأْنَاهُ وَهَذَا أَوْلَى لِتَقَدُّمِ
ذَلِكَ وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ أَعْطَاكَهَا وَالْتَفَتَ إِلَى الْغَيْبَةِ لِدَلَالَةِ لَفْظِ
الرَّبِّ عَلَى التَّرْبِيَةِ الْمُلَائِمَةِ لِلرَّحْمَةِ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ
لِوُقُوعِ الْفَتْرَةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِيسَى وَهِيَ خَمْسُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً وَقَدْ
رُوِيَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَلْمَانَ أَنَّهَا سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ اللَّامُ مُتَعَلِّقٌ بِالْفِعْلِ الْمُقَدَّرِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ إِذَا تُلُوتَ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْوَقَايِعُ فَيَعْلَمُونَ أَنَّكَ رَسُولٌ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا لَوْلَا الْأُولَى امْتِنَاعِيَّةٌ وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى هَلَّا التَّحْضِيضِيَّةِ
وَالْمَعْنَى لَوْلَا أَنَّهُمْ قَالُوا إِذَا عُوقِبُوا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي
هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا لَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا وَكَانَ الظَّاهِرُ دُخُولَ
حَرْفِ الِامْتِنَاعِ عَلَى الْقَوْلِ وَإِنَّمَا دَخَلَ عَلَى الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهَا السَّبَبُ لِذَلِكَ الْقَوْلِ
وَالْقَوْلُ هُوَ السَّبَبُ لِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنَّمَا لَمْ يَكْتَفِ بِهَذَا الْقَوْلِ بَلْ ذَكَرَ
سَبَبَهُ مُنَبِّهًا عَلَى أَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا لَيْسَ تَأَسُّفًا عَلَى فَوَاتِ الْإِيمَانِ بَلْ لِمَا بِهِمْ
مِنَ الْعُقُوبَةِ وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى اسْتِحْكَامِ كُفْرِهِمْ وَلَمَّا كَانَ فِي التَّخْصِيصِ مَعْنَى الْأَمْرِ
لِكَوْنِهِ بَاعِثًا عَلَى الْفِعْلِ مِثْلُهُ دَخَلَ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ جَوَابًا لَهُ كَمَا
يُجَابُ الْأَمْرُ بِالْفَاءِ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِتِلْكَ الْآيَاتِ فَلَمَّا جَاءَهُمُ
الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى يُرِيدُونَ الْكِتَابَ
جُمْلَةً أَوِ الْعَصَا وَالْيَدَ الْبَيْضَاءَ تَعَنُّتًا أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ
يُرِيدُ أَبْنَاءَ جِنْسِهِمْ وَمِنْ مَذْهَبِهِمْ مِنَ الْعِنَادِ وَالتَّعَنُّتِ وَعَنِ الْحَسَنِ قَدْ كَانَ
لِلْعَرَبِ أَصْلٌ فِي أَيَّامِ مُوسَى وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ كَانُوا مِنْ أَوْلَادِ الْعَمَالِقَةِ
وَهُمْ عَرَبٌ فَعَلَى هَذَا يَتَعَلَّقُ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ بِأَوَلَمْ يَكْفُرُوا وَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ
لِدَلَالَتِهِ عَلَى أَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ هُمْ قَدِيمٌ رَاسِخٌ فِي الْكُفْرِ وَعَرِيقٌ أَصِيلٌ فِي
الْعِنَادِ وَأَحْسَنُ مِنْهُ أَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ كَانُوا كَافِرِينَ بِمُوسَى فَلَمَّا طَلَبُوا مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ مُعْجِزَاتِ مُوسَى رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ قَبْلَ مُحَمَّدٍ كَانُوا كَافِرِينَ بِمُوسَى قَالُوا
سِحْرَانِ أَيْ مُوسَى وَهَارُونَ أَوْ مُوسَى وَمُحَمَّدٌ تَظَاهَرَا تَعَاوَنَا عَلَى السِّحْرِ

وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ سِحْرَانِ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَوْ عَلَى الْمُبَالَغَةِ أَوْ إِرَادَةِ
الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةِ وَالْقُرْآنِ لِقَوْلِهِ لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ وَعَلَيْهِ الرَّسْمُ
وَهُوَ أَبْلَغُ مَعْنًى وَإِنْ كَانَ الْمُدَاشَهَرُ وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ أَيْ بِكُلِّ
وَاحِدٍ مِنَ الرَّسُولَيْنِ وَالْكِتَابَيْنِ وَقِيلَ بِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا يَسْتَقِيمُ لِأَنَّ
كُفَّارَ مَكَّةَ لَمْ يَكْفُرُوا بِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا مِنَ الْكِتَابَيْنِ وَهُنَا يُوَبِّخُ السِّحْرَيْنِ هُوَ الْقُرْآنُ
وَالتَّوْرَاةُ وَالسَّاحِرَانِ مُوسَى وَمُحَمَّدٌ أَتْبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّا
سَاحِرَانِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْهُمْ مُسْتَحِيلٌ وَحَرْفُ الشَّكِّ إِرْخَاءٌ لِلْعِنَانِ تَبْكِيتًا
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا دُعَاءَكَ إِلَى الْكِتَابِ الْأَهْدَى
فَحُذِفَ الْمَفْعُولُ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ فِعْلَ الِاسْتِجَابَةِ إِذَا عُدِّيَ إِلَى الدَّاعِي بِاللَّامِ
يَحْذِفُ الدُّعَاءَ فَاعْلَمْ أَزِدْ عِلْمًا أَوْ دُمْ عَلَى عِلْمِكَ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ
أَهْوَاءَهُمْ إِذْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ شُبْهَةٌ فَضْلًا عَنِ الْحُجَّةِ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ
اتَّبَعَ هَوَاهُ أَيْ لَا أَضَلَّ مِنْهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ فَمَوْضِعُ الْحَالِ لِلتَّوْكِيدِ
لَا لِلتَّقْيِيدِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ هَوَى النَّفْسِ قَدْ يُوَافِقُ الْحَقَّ لِعَدَمِ الِاعْتِدَادِ
بِتِلْكَ الْمُوَافَقَةِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الْمَجْبُولِينَ عَلَى
الظُّلْمِ الْمُتَمَكِّنِينَ فِيهِ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ أَيْ تَابَعْنَا بَعْضَ الْقَوْلِ
بَعْضًا فِي الْإِنْزَالِ مُتَوَاصِلًا وَعْدًا وَوَعِيدًا وَقَصَصًا وَنَصَائِحَ وَهَذَا
جَوَابٌ عَنْ قَوْلِهِمْ لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ بِهَذَا
التَّفَكُّرِ فِي ذَلِكَ الْمُنْزَلِ الْمُتَوَاصِلِ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ أَيْ
مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ أَوْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ تَقْدِيمُ هُمْ
لِلِاخْتِصَاصِ وَبِهِ لِلِاهْتِمَامِ نَزَلَتْ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ كَسَلْمَانَ وَعَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ سَلَامٍ وَعَنْ رُفَاعَةَ بْنِ قُرَظٍ فِي عَشَرَةٍ وَاثْنَانِ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ
مِنَ الْحَبَشَةِ قَدِمُوا فِي السَّفِينَةِ مَعَ جَعْفَرٍ وَثَمَانِيَةٌ قَدِمُوا مِنَ الشَّامِ
فَهَذَا إِخْبَارٌ بِمَا سَيَقَعُ لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ هَؤُلَاءِ
عِشْرُونَ رَجُلًا بَعَثَهُمُ النَّجَاشِيُّ وَرَسُولُ اللَّهِ بِمَكَّةَ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ
فَآمَنُوا وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ هُمْ سَبْعُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ
أَيْ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا تَعْلِيلٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ لِأَنَّ كَوْنَهُ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقِيقٌ بِأَنْ يُؤْمَنَ بِهِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ اسْتِئْنَافٌ لِبَيَانِ
أَنَّ إِيمَانَهُمْ بِهِ لَيْسَ مُحْدَثًا بَلْ كَانُوا سَمِعُوا مِنْ آبَائِهِمْ وَقَرَءُوا فِي كُتُبِهِمْ أَنَّهُ
سَيُنَزَّلُ كِتَابٌ فَعِنْدَ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُ اسْمٌ لِكُلِّ مُوَحِّدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ ضِعْفَيْ أَجْرِ مَنْ آمَنَ مِنْ مُحَمَّدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ رَوَى

البخارى ومسلم عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله قال ثلثة لهم
اجران رجل امن بنبيه وامن بمحمد وعبد مملوك ادى حق الله وحق مواليه
ورجل له امة فادبها فاحسن تاديبها ثم اعتقها فتزوجها بما صبروا
على اذى الكفار او على تكاليف الشرايع ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعون ما ينالهم من المكروه من الشتم والسخرية بالقول الجميل
او المعاصى بالطاعات لقوله صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة
تمحها ومما رزقناهم ينفقون فى وجوه الخير ثقة بوعد الله الثواب
واذا سمعوا اللغو الباطل وما لا طائل تحته اعرضوا عنه تكرما
وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم امان منا لكم عن المقابلة
بالمثل لا نبتغى الجاهلين لا نرضى بالتخلق باخلاقهم عن محمد بن اسحق
هذا كلام بعث النجاشى فانهم لما امنوا اعترضهم ابو جهل ونفر من قومه
وقالوا خيبكم الله ارسلكم صاحبكم لتعلموا خبر الرجل فما استقر بكم
المجلس حتى فارقتم دينكم انك لا تهدى من احببت لا تقدر على ادخال
الايمان فى قلبه ولكن الله يهدى من يشاء بخلق الايمان روى البخارى
عن سعيد بن المسيب عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
على ابى طالب حين حضرته الوفاة وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابى
امية فقال اى عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال
ابو جهل وعبد الله اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله يعرضها
عليه ويعيدان تلك المقالة حتى قال ابو طالب اخرما كلمهم هو على ملة
عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فانزل فيه انك لا تهدى من احببت
وعن ابن عباس رضى الله عنه قيل له انت شفيع لجنانه لا شريك الهداية
وهو اعلم بالمهتدين بالمقاتلين له وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا يخرج منها سريعا قالته قريش وقال القابل الحرث بن عثمان بن
نوفل واسناده اليهم لوقوعه بينهم تعللوا بعلة باطلة فرد الله عليهم بقوله
اولم نمكن لهم حرما امنا اى جعلنا مكانهم حرما ذا امن يجبى اليه ثمرات
كل شىء يجلب اليه ثمرات اكثر الاشياء كقوله واوتيت من كل شىء واذا كان
هذا حالهم وهم على الشرك فكيف لو ضموا الى حرمة البيت شرف الايمان
وقرا نافع يجبى بالياء والباء احسن لوجود الفاصل رزقا مصدر سمى
لان يجبى فى معنى يرزق او مفعول له وان جعلته بمعنى المرزوق فهو حال
من الثمرات لتخصصه بالاضافة من لدنا تفضلا من استحقاق منهم
ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك مع ظهوره لكونه مختوما على قلوبهم

وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اهلكنا كثيرا من اهل القرى كان
حالهم كحال مولاء فى الامن ولين العيش والبطر شدة الفرح بالدنيا
والغفلة عن شكر المنعم وفيه تخويف بليغ لاهل مكة واستطراد معيشتها
اما بحذف الجار كقوله واختار موسى قومه او بحذف الزمان المضاف
اى ايام معيشتها او بتضمين بطرت معنى كفرت فتلك مساكنهم لم
تسكن من بعدهم الا قليلا من التسكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا
المارة ساعة للاستراحة وقيل لم يسكنها الا الطيور والوحوش اولم
يسكن من سكن الا قليلا بشؤم معاصيهم ليسرايته الى كل ساكن وكنا
نحن الوارثين بان تركناها بلا فع واثره وبذلك تدخل فى عداد خالص
ملك الله لانقطاع تعلق الغير وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث
فى امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا الزاما للحجة وقطعا للمعذرة اى
ما كان الله ليهلك القرى التى على وجه الارض الا بعد ان يرسل فى امها اولا
وهى مكة او كل قرية عظيمة فى كل وقت سائر القرى توابعها وما كنا
مهلكى القرى الا واهلها ظالمون اى ما كنا فى الزمان السالف مهلكى
قرية الا والحال ان اهلها ظالمون بتكذيبا لرسول المبعوث اليهم وفيه
تخويف لاهل مكة بانهم بتلك الصفة فهم بصدد ذلك وما اوتيتم
من شىء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اى شىء كان وان كان الملأ الارض
ذهبا ليس الا امتناعا قليلا لانه فى مقابلة الباقى الذى اشار اليه بقوله
وما عند الله خير وابقى لانه ابدى وفى الحديث لو كانت الدنيا من الذهب
والاخرة من الخزف لاختارها العاقل فكيف والامر بالعكس ولذلك عقبه
بقوله افلا تعقلون لان ايثار الفانى على الباقى ليس من افعال العقلاء
وقرا ابو عمرو وبياء الغيبة على الالتفات وهو اشد ذما والخطاب ابلغ
فى موعظته افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه تقرير وايضاح لما
تقدم والمعنى بعد ذلك التفاوت الظاهر بين الفانى والباقى يسوى
بين اتباع الدنيا والاخرة والوعد الحسن الوعد بالجنة والفاء الثانية
للدلالة على سببية الاول كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو
يوم القيمة من المحضرين الى النار وثم لبيان تراخى حال الاحضار عن
حال التمتيع لا للتراخى فى المدة لكونه معلوما لا طائل فى ذكره وقرا نافع
فى رواية قالون والكسائى ثم هو بسكون الهاء لان الواو والفاء
تنزلان من هو منزلة الجزء لعدم استقلالهما فصارا وهو كعضد فحمل
ثم عليها بجامع العطف ويوم ينادهم منصوب باذكر فيقول

أين شركائي الذين كنتم تزعمون اضافة الشركاء الى نفسه على زعمهم
تهكما بهم ومفعولا زعم محذوفان اى زعمتموهم شركائي والدال على
الحذف تقدم الذكر قال الذين حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه
وهو الخلود في النار ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى اغويناهم فحذف
الراجع اغوينا كما غوينا خبر هؤلاء والكاف في موضع المصدر و
معنى التشبيه انهم غووا باختيارهم والمعنى اغويناهم فغووا اغتباقا
باختيارهم مثل ما غوينا وان كان ذلك بتسويلنا ويجوز ان يكون اغوياء
استيناقا والذين اغوينا خبرا تبرأنا اليك من كفرهم باختيارهم
ما كانوا ايانا يعبدون بل كانوا يتبعون اهواءهم والجملتان مقررتان
للكلام السابق ولذلك خليا عن العاطف وجعل ما مصدرية حذف
عنها الجار ليتعلق بتبرانا تكلف وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم
من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاستجابة والنصرة
ورأوا العذاب وتيقنوا انهم صائرون الى النار لو انهم كانوا يهتدون
لوجه من الحيل يدفعون به العذاب لدفعوا او لو كانوا يهتدون في الدنيا
لما داوه او تمنوا الاهتداء لما رأوا العذاب وتحيروا ويوم ينادي بهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونجهم اولا على اتخاذ الشركاء ثم بما
يقوله الشيطان او امتهم حين تبرؤا منهم ثم بما يشبه الشماتة و
التهكم بهم لما امرهم بدعائهم والاستغاثة بهم بعد التبرؤ منهم ثم
بالسؤال عما اجابوا به الرسل ازاحة للعلل وتبكيتا فعميت عليهم
الانباء يومئذ اصله فعموا عن الانباء وانما عكس مبالغة كان عماهم
سرى الى الانباء فلم نجد اليهم سبيلا والمراد عمى القلب وتعدى الفعل
بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون اى لا يسئل بعضهم
بعضا لتساويهم في عمى الانباء عليهم فاما من تاب من الشرك وامن
بما يجب الايمان به وعمل صالحا بعد الايمان فعسى ان يكون من
المفلحين ترغيب في الاقلاع فكأنه قال ما ذكر حال المصر واما التائب
فمن الفائزين وعسى الكرام انجاز فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز
اتصاله بقوله افمن وعدناه وحديث الشركاء مستطرد لذكر الاحضار
وربك يخلق ما يشاء ويختار من هداية احد الفريقين واضلال
الاخرى فان قلت ما الفرق بين المشية والاختيار حتى جمع بينهما
قلت الاختيار هو القصد الى ايجاد ما تعلقت به الارادة وترجيح احد
الطرفين بعد ملاحظة الاخرى ما كان لهم الخيرة بيان لقوله

ويختار ولذلك لم يدخل العاطف والخيرة من خير كالطيرة من الطير
رد لقول الوليد بن المغيرة حين قال لو لا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم وقيل ما موصولة والمعنى ويختار للعباد الذي لهم
فيه الخيرة كخلق الانبياء ودلائل الآفاق والانفس وعلى الوجهين لا بد من
سلب الاختيار عنهم في افعالهم الجزئية سبحان الله تنزيها له
عن منازع او مزاحم فيما شاء وتعالى عما يشركون عن اشراكهم
او ما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
من عداوة رسول الله والطعن فيه وهو الله لا غيره لا اله
الا هو لا يستحق الالوهية غيره توكيد وتقرير للاولى له الحمد
في الاولى والآخرة لانه مولى النعم في الدارين يحمده المؤمنون في الآخرة
تلذذا وابتهاجا كما يحمدونه في الدنيا تعبدا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الحمد لله الذي هدانا لهذا الحمد لله الذي صدقنا وعده روى مسلم
وابو داود عن جابر ان رسول الله قال اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون
ولا يبصقون يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون التنفس وله الحكم
لا حاكم غيره واليه ترجعون للمجازاة لا الى غيره قل ارأيتم ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة لما ذكر تفرده بالالوهية وانحصار
الحمد في الدارين اردفه بنعمتين لا يمكن الانتفاع بسائر النعم بدونهما ولا
يشك احد انهما منه اذ لا محال لتوهم مشاركة الغير والسرمد الدائم من
السرد وهو المداومة على الشيء من اله غير الله يأتيكم بضياء فدم ذكره
الليل لان انكشافه عن النهار بالنير الاعظم ابلغ في المنافع واجلب
للمصالح ولذلك اخر ذكر الضياء على النهار مع كونه ظاهرا في التقابل
للدلالة على انه المقصود من النهار والانتفاع بالنهار من رواد فه ولذلك
جعل الفاصلة افلا تسمعون لان مدرك العقل بواسطة السمع
اكثر من مدركات البصر اذ ما لا يمكن ادراكه بحاسة يمكن ان يعبر عنه
بعبارة مفهمة قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم
القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه لم يقابل الضياء بالظلام
لكونه غير مقصود في نفسه مع اشتمازار النفس من سماعه في معرض الامتنان
وذكر السكنى في الليل ولم يقابل بالتصرف في النهار لانحصار نفع الليل
فيه دون النهار في التصرف فالتوبيخ في فلا تسمعون ابلغ منه افلا
تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله لف ونشر مرتب وهو من محسنات الكلام ولعلكم تشكرون

ولكى تعرفوا نعمة الله فتشكروه جعل ذلك ويوم يناديهم فيقول اين
شركائى الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا اخرجنا ه
وهو نبيهم لان الانبياء شهداء على الامم فقلنا بعد احضار النبى
هاتوا برهانكم على الشرك وتكذيب الرسل فعلموا ان الحق لله فى
الالوهية وضل عنهم غاب غيبة الضايع ما كانوا يفترون
من الباطل وبجهنم او لا على اتخاذ الشركاء لقوله ويوم يناديهم فيقول
اين شركائى ليبكتهم بعدم صلوحها ولذلك عقبه بقوله اذنوا شركاء
تهكما بهم وثانيا بقوله اين شركائى الذين كنتم تزعمون وعقبه بقوله
وضل عنهم ما كانوا يفترون ليدل على ان ذلك الاتخاذ لم يكن له حقيقة
وقيل الاول لبيان فسادرايهم والثانى لبيان ان ذلك لم يكن له سند
ان قارون كان من قوم موسى لما كان افتخار المشركين بما كان لهم من الاموال
والبنين وما كان فيه رسول الله والمؤمنون من صبغة ذات اليد هددهم
الله اولا بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وارد فه بمن ضرب
به المثل فى الثروة والغنا وما آل اليه امره وجر عليه غروره وكيفضا
هلاكه عبرة لاولى الابصار واشار فى اثناء القصة الى انه قد اهلك
قبله من كان اشد منه قوة واكثر مالا قال الكلبى كان ابن عم موسى وعن
محمد بن اسحاق كان عم موسى وعن ابن عباس كان ابن خالته فبغى عليهم
بان طغى وخرج عن اتباع موسى وذلك ان موسى جعل الحبورة والقربان
لهرون فقال قارون الامر لكما ولست على شئ قال موسى هذا صنع الله
وقيل بغى اى ظلم وذلك ان فرعون كان جعله والبا على بنى اسرائيل فظلمهم
وقيل تكبر بكثرة الاموال والاولاد وآتيناه من الكنوز من انواع
الاموال المدخرة من الكنز وهو الجمع ما ان مفاتحه جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح وهو خزانه المال لتنوء بالعصبة اولى
القوة يقال ناء به اذا اثقله والعصبة الجماعة الكثيرة وقيل من عشرة
الى اربعين من العصوبة وهى الاحاطة ومنه عصبة الميت وقد بولغ فى
اظهار الكثرة حيث ذكر الكنوز والنوء والعصبة ذوى القوة قيل كان
يحمل مفاتيح خزانة ستون بغلا وكان كل مفتاح لا يزيد على اصبع اذ قال
له قومه ظرف تنوء لا تفرح بالدنيا التى جبها هو واشراكل خطيئة
ان الله لا يحب الفرحين بزخارف الدنيا وابتغ فيما اتيك الله الدار
الاخرة فانها دار الاقامة والمال نعم الوسيلة اليها وفى الحديث نعم
المال الصالح للرجل الصالح ولا تنس نصيبك من الدنيا بان تخرج

من مالك كله بل خذ منه قدر كفافك كقوله ولا تبسطها كل البسط او
ما تصلح به آخرتك فانه نصيب المؤمن من الدنيا كقوله صلى الله عليه وسلم
يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما اكلته فافنيت او لبسته
فابليت او تصدقت به فابقيت ويؤيده قوله واحسن كما احسن الله
اليك اى انعم به على المحاويج كما انعم الله عليك ولا تبغ الفساد فى الارض
لا تطلبه فضلا عن الوقوع فيه ان الله لا يحب المفسدين والعاقل
لا يدخله نفسه فى امرهم قال انما اوتيته على علم عندى اى علم كاين
عندى استوجبت به التفوق على الناس وذلك انه كان اعلم بنى اسرائيل
بالتوراة وقيل اراد علم الكيمياء فانه كان تعلمه من موسى وقيل علم
التجارة والمكاسب وقيل علمه بكنوز يوسف والوجه ان عندى جملة
مستانفة فقرر ما ذكره اى هكذا الامر عندى وفى اعتقادى اولم
يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر
جمعا اى قد علم ذلك قراه فى التوراية وسمع من المورخين اخبار نمرود
والضحاك وما كانوا فيه فكيف لم يتنبه واعتبر بما فيه ولم يقنع حاله
على اولئك ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون لان سئوال الاستعلام
محال فى حقه تعالى وسئوال المعاينة يكون بين الاجبة هذه مقدمة
تدل على هلاك قارون بغته خرج على قومه فى زينته المفتخر عليهم
فى زيه المخصوص به قيل كان راكبا بغلة شهباء وعليه الارجوان وعليها
سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف من الغلمان على زيه وقيل ثمانمائة
غلام عن يمينه وثلثمائة جارية عن يساره وعليهن الحلى والديباج
وقيل فى تسعين الفا وعليهم المعصفر قال الذين يريدون الحيوة
الدنيا وهم عوام المؤمنين يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انتظموا
مثله لئلا يكون جدا وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى او
يصرفوه فى وجوه الخير وقيل بل كانوا كفارا انه لذو حظ عظيم الحظ
النصيب والبخت وفى المثل الدنيا حاظ وحظوظ وقال الذين اوتوا
العلم بسرعة زوال نعيم الدنيا ودوام الاخرة ويلكم اصلة الدعا
بالهلاك لم يرد وامعناه بل التعجب من ذهولهم وعتيهم الفاء فى قوله
الله خير لمن امن وعمل صالحا مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها
ولا يلقيها الا الصابرون على الطاعات عن الشهوات والضمير لما
قاله العلماء لانها كلمة عرفا او للثواب لانه بمعنى المثوبة او للجنة
او للايمان والعمل الصالح لانه فى معنى السيرة والطريقة فخسفنا به

وبدارة الارض كان مع بغيه بداريه موسى للرحم الذى بينهما حتى طالبه
بزكوة ماله وشارطه على دينار من كل الف فاستكثره فجمع بنى اسرائيل
وقال ان موسى يريد اخذ اموالكم فقالوا انت سيدنا مرنا بما رأيت
فقال قد دبرت له فجعل لبغى من بغايا بنى اسرائيل الف دينار وقيل بل
حكمها فى ماله فقام موسى يوم عيد خطيبا فقال يا معشر بنى اسرائيل
من سرق منكم قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه وان كان محصنا
رجمناه فقال قارون وان كنت ذاك الرجل قال بلى قال ان بنى اسرائيل
يزعمون انك زنيت بفلانة فاحضرها موسى وناشدها الله بالذى
فلق البحر وانزل التورية فقالت كلا ولكن جعل لى قارون جعلا لافترى
عليك فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت لك رسولا فاغضب لى
فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال موسى خذيهم يا ارض وكان
تبعه رجالا ونساءه وبقيه بنى اسرائيل قد اعتزلوا عنه مع موسى فاخذتهم
الارض الى ركبهم ثم نادبها خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم نادتها
خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وكان فى اثناء ذلك يناشد بالرحم و
يستعيث به وموسى لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم ناداها فابتلعتهم
عليهم فقتلهم قالوا القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قيل ناداه
ربه لعزتى وجلالى لو انك يا قارون مما فعلت بك يا موسى سترحمك مرارا فلم
يرحمه وعزتى لو دعانى مرة لاجبته ثم اصبحت بنو اسرائيل يتناجون
ان موسى لم يدع على قارون الا طمعا فى ماله فان لم يكن له وارث غيرهم
فدعا الله ان يخسف بماله فخسف به بعد ثلث فما كان له من فئة
من اعوان من فاء رجع لان بعضهم يرجع الى بعض عند الانتصار و
الخامانة ينصرونه من دون الله من دون عذابه وما كان من
المنتصرين وما كان من الممتنعين بغيرها من الاسباب واصبح الذين
تمنوا مكانه الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون يا لامس
يقولون قبل هلاكه بقليل ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر يضيق على مشيته لا لكرامة المرزوق ولا لهوان
الذى قدر عليه ذى صوت بقوله المتندم والمتعجب قال الخليل هذا قول
قوم تنبهوا وتنبهوا وانكفوا وجردت عن التشبيه كقوله صلى الله عليه
وسلم كانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وعليه قول امرئ القيس
كانى لم اركب جوادا للذة ولم اشبط كاعبا ذات خلخال وعند الكوفيين
الجملة ويلك حذفت اللام تخفيفا لكثرة استعماله هذه الكلمة وعليه

قول عنترة ويك عنترة اقدم وفتحت ان لتقدير العلم وعن قطرب لتقدير
اللام ورسمت مركبة لتوقفا لمعنى عليه وقد وقف الكسائى على الياء
وابو عمر على الكاف والباقون على النون لولا ان من الله علينا لخسف
بنا كما خسف بقارون حيث تمنينا ان نؤتى قراحفص خسف على بناء
الفاعل وبكأنه لا يفلح الكافرون لا محالة تلك الدار الاخرة
اشارة تعظيم التى بلغك خبرها ونعتت بشأنها العجيب نجعلها
للذين لا يريدون علوا فى الارض غلبة وقهرا كما اراد فرعون ولا فسادا
كما اراد قارون وعلق بالارادة مبالغة فى الروع عنها والعاقبة للمتقين
اى الجنة والعاقبة المحمودة وهذا التذييل يدل على ان ملاك الامر
هو التقوى ولا يكفى فى النجاة عدم تلك الارادة من جاء بالحسنة
فله خير منها ثانا وقدرا ووصف ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات وضع المظهر موضع الضمير للدلالة على ان لا فرق
بين من ارتكب سيئة او سيئات ولما يفيد تكرارا لاسناد من تقبيح حال
المسيئ المقتضى لتنفير السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثله وانما
جىء بالمضارع مبالغة فى المماثلة كما بولغ فى جانب الحسنة بلفظ الخير للتا
على الكثرة ان الذى فرض عليك القران اى تلاوته وتبليغه والزمك
مشاقه لرادك الى معاد واى معاد وهو المقام المحمود الذى خصك
به وقيل اراد مكة وتنكيره لان فتح مكة كان له شان روى انها نزلت
فى مهاجره حين بلغ الجحفة واشتاق الى مولد ابائه وحرم ابراهيم
قل ربى اعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين امره ان تقول
للمشركين ان الله اعلم بمن هو على الهدى وله الثواب فى المعاد ومن هو
بضد ذلك وان اريد بالمعاد فتح مكة فالمعنى ان ذلك ادنى ما اوتيته
وانما النعمة العظمى ما توناه فى العقبى واشار اليه بالهدى المتمم له و
الضلال المتمم ضده لاعدائه فان قلت قد امر موسى بهذا القول ايضا
وزاد اليناء ومن عنده قلت كلام موسى كان جوابا لهم حيث قالوا ما
هذا الا سحر مفترى فكان خليقا بالتاكيد وهنا الكلام مذكور ابتداء
لبيان رفعه شانه وما يؤول اليه امره فاقتصر على ما يؤدى الغرض
وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب كنت امينا ناشيا بين الكفار الذين
لا تقرون كتابا ولا يدينون دينا اين كنت من القران المعجز وهذا وقع
لما يختلج فى اوهامهم من استبعاد رده الى معاد الا رحمة من ربك
لكن رحمة ربك اركانك ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى

كانه قال وما القى عليك الكتاب الا رحمة من ربك لان نفى الرجاء نفى للالقاء على ابلغ وجه فلا تكونن ظهيرا للكافرين عونا لهم فى امر فانه اعناء لهم ولا يصدنك عن ايات الله عن تلاوتها وتبليغها بعد اذ انزلت اليك اذ لم تنزل الا للتلاوة والعمل وادع الى ربك الى توحيده ولا تكونن من المشركين بترك الدعوة الى التوحيد ولا تدع مع الله الها اخر من باب الاهاب وقطع اطماع المشركين لا اله الا هو استيناف كالبرهان على عدم صلوحية الغير كل شئ هالك الا وجهه فانه كقوله كل من عليها فان وقيل كل ممكن قابل للعدم وقيل كل عمل باطل الا ما اريد به وجهه له الحكم القضاء النافذ واليه ترجعون للجزاء تمت والحمد لله على نعم عمت

بسم الله الرحمن الرحيم الم اسم السورة او حروف مقطعة ابقاظا احسب الناس انكار للحسبان المتعلق بما بعده وهو ان يتركوا لكونه سادا مسد مفعوليه ان يقولوا امنا متعلق بيتركوا بتقدير اللام والترك بمعنى التصيير كقوله فتركنه حرز السباع وثانى مفعوليه محذوف لدلالة الحال عليه اى كاهم وهم لا يفتنون اى غير مفتونين وقيل ان يتركوا مفعول اول وان تقولوا ثانى المفعولين بتقدير اللام وهم لا يفتنون ثانى مفعولى يتركوا وفيه فلق لدخول الواو على الخبر والفصل بين مفعولى يتركوا بثانى مفعولى حسب وهو ان تقولوا والمعنى انكار حسبان الناس بعد كلمة الايمان على السنتهم ان يسلموا بذلك عن كل آفة فى هذه الدار مع انها دار المشاق نحو قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ولقد فتنا الذين من قبلهم اى سنة الله فى المؤمنين ان يمتحنهم روى البخارى عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله ما نلقى من المشركين فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له فى الارض ثم يجعل فيها ويوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين علما حاليا به يقع التمييز بين الصادق فى ايمانه والكاذب او اريد لازمه وهو التميز او المجازاة ام حسب الذين يعملون السيئات جميعها من الكفر والمعاصى ان يسبقونا ان يفوتونا

لم يجدوا به نفسهم ولكن لتمادیهم فى الغفلة كانهم ظانون ذلك صلة ان لا يشتملها على المسند والمسند اليه سدت مسد مفعولى الحسبان كما اشرنا اليه فى الاول ويجوز ان يكون حسب بمعنى قدر ومعنى ام الاضراب للدلالة على ان هذا الحسبان ابطل من الاول لان شرف الايمان وتمايخيل ان من اتصف به يسلم عن الافات والشرور بخلاف ظن عدم المجازاة على سئ العمل فانه ظاهر البطلان ولذلك اردفه بقوله ساء ما يحكمون اى بئس الذى يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص من كان يرجو لقاء الله حقيقة فى الجنة لما روى البخارى انكم سترون ربكم كما ترون الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب او الوصول الى الحساب والجزاء مثلت تلك الحالة كما يقول من يرجو لقاء الامير فان العد قريب اذا علم انه تقدم فيه والمعنى فليبادر الى ما تصدق رجاءه ويحقق امله وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم فهو حقيق بالتقوى والخشية ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه نفع مجاهدة مقصور عليها وانما الترغيب فى الحث عليها لكمال رافتها لعباده وان الله لغنى عن العالمين تصريح بما علم ضمنا وتوكيد لذلك المفهوم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون لما بين ان العمل الصالح لا يتعدى نفعه العامل بين كيفية جزاء المجاهد ترغيبا وهى تكفير ما مضى من السيئات والمجازاة باحسن الجزاء بان مجازيه فى مقابلة ادنى عمله ما يجازيه على افضله تفضلا منه ووصينا الانسان بوالديه حسنا لما بين ثمرة الايمان والعمل الصالح اشار الى بعض ما يتعين الانسان فيه الوصية بالشئ الامر به ومنه ومن وصيت لشئ بكذا اذا وصلته به ويقال وصيت الارض اذا اتصل بناتها والمعنى امرناه ان يفعل بوالديه ما هو فى ذاته حسن لغيره حسنه ويجوز نصبه بفعل مفسر للوصية اى قلنا افعل بهما حسنا فعلى هذا يحسن الوقف على بوالديه وعلى الاول يعد من القول فى قوله وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم وان امراك بالاشراك وبالغا طاقتهما فلا تطعهما اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق انما نفى العلم والمراد نفى المعلوم اشارة الى ان ما لا يعلم لا يجوز اتباعه فضلا عما علم بطلانه فان قلت قد ذكر فى سورة لقمان وان جاهداك على ان تشرك بى وهنا بالام فما وجه اختصاص كل بموضعه قلت

الكلام فى سورة لقمان معترض فى اثناء وصيه لقمان مبدل على شدة
الاهتمام بعدم الاشراك وعلى هنا يدل على القسر والالجاء اى وان
قسراك عليه فلا تطعهما وما فى الاية انما اشير به الى الصارف
عن الايمان الذى سيق له الكلام الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون
المؤمن منكم والمشرك وعد ووعيد والاية نزلت فى سعد بن ابى وقاص
وامه حمنة بنت ابى سفيان بن امية بن عبد شمس وكانت مشركة
فلما اسلم سعد قالت صبان يا سعد لتخلفن لا تاكل ولا تشرب ولا
يظلها ظل حتى يرجع سعد عن الاسلام فبقيت على ذلك حتى غشى
عليها فنزلت والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين
الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء الصلاح صفة جامعة لسائر الكمالات
ولذلك طلبها الانبياء قال سليمان وادخلنى برحمتك فى عبادك
الصالحين ويوسف توفنى مسلما والحقنى بالصالحين وابرهيم رب هب لى
حكما والحقنى بالصالحين ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى
فى الله هذا اخبار عما يكون فى المستقبل لان الاية مكية ولم يكن
بها نفاق ولا قتال ولا غنيمة وانما اعاد لفظ الجلالة اشارة الى ان
الايذاء فى الله حقيق بان يحتمل جعل فتنة الناس كعذاب الله كما ان
عذاب الله صارف المؤمن عن الكفر فكذلك عذاب الناس صارف
المنافق عن الايمان ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن
انا كنا معكم فى الدين يتوسلون بذلك الى سهم الغنيمة اوليس الله
باعلم بما فى صدور العالمين تكذيب لهم على ابلغ وجه اى لو كان فى
صدورهم ايمان لعلمه وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين
اى ليميزن بين الفريقين بحيث لا يشتبه بعضهم ببعض وكذلك وقع
كما قال قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم وقال
الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم مقالة صنادید
قريش قالوا لمن امن منهم ان كان بعث على ما يزعم محمد فانا نحمل عنكم
الاثام ان اتبعتمونا علقوا الحمل بالاتباع واثروا طريقة الامر مبالغة
فى التشبيع ولذلك بالغ فى الرد عليهم بقوله وما هم بحاملين من
خطاياهم من شىء انهم لكاذبون من الاولى ببانية والثانية
تبعيضية اى اد فى جزء منه وقيل مزيدة والتكذيب راجع الى الوعد
بالضمان لان الانشاء لا يتصف بالكذب او انهم كاذبون عند انفسهم
بمعنى انهم يعلمون ان ذلك الوعد غير مطابق للواقع وليحملن اثقالهم

اوزارهم التى افترقوها واثقالا مع اثقالهم بسبب الاضلال فان
الدال على الشر كفاعله من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من
عمل بها الى يوم القيمة وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون
سئوال توبيخ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا
خمسين عاما ذكر بعد مقالة المشركين بعض قصص الانبياء مثله
لرسول الله وابتداء بنوح اذ لم يكابد من الانبياء ما كابده احد
ولبثه فى قومه هذه المدة كان بعد بعثته فانه بعث على راس اربعين
سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا
واربعمائة سنة وعن عون بن شداد الفا وستمائة وخمسين سنة
وانما اثرما فى التنزيل على تسعمائة وخمسين لئلا يتوهم تجوز مع كونه
احضر واعذب ولكون الالف اشد انباء عن طول المدة فهوا وفق
فاخذهم الطوفان الماء والمطر الغالب بحيث يغشى كل شىء من
طاف حول الشىء قال الخليل وقد شبه الهجاج ظلام الليل بذلك شم
وعم طوفان الظلام الاثابا وهم ظالمون بالكفر فانجيناه
واصحاب السفينة قيل كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم
ذكور ونصفهم اناث وعن ابن اسحاق كانه عشرة خمسة رجال
وخمس نسوة وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انهم كانوا ثمانية
نوح واهله وبنوه الثلثة سام وحام ويافث مع اهاليهم وجعلناها
اية للعالمين اى السفينة او الواقعة تضرب بها المثل وابرهيم
عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر اذ قال لقومه اعبدوا الله و
اتقوه ظرف لارسلنا على الاول وبدل الاشتمال على الثانى ذلكم
خير لكم من عبادة الاصنام ان كنتم تعلمون الخير والشر
وتميزون بينهما وايثار ان للدلالة على ترجح عدم العلم انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا فى تسميتها الهة يصرفون به
الناس عن سبيل الحق ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا شيئا مما يطلق عليه اسم الرزق دليل ثان على بطلان ما
هم عليه ابلغ من الاول لان اقل درجات المعبود ان يكون له نفع فى
الحال فابتغوا عند الله الرزق كله فانه القادر واعبدوه توسلا
بالعبادة الى مطالبكم واشكروا له على ما اولاكم اليه ترجعون
وعد ووعيد وان تكذبوا اى تكذبونى فقد كذب امم من قبلكم
اى كذبوا الرسل ولم يضرهم تكذيبهم بل ضروا انفسهم وما على الرسول

إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ الواضح او الموضح المزيح للشبهة هذه الاية وما بعدها الى قوله فما كان جواب قومه اما قول ابرهيم لامنه والامم المكذبة قوم شعيب وادريس ونوح او ابتداء كلام من الله بقريش وسائر العرب اعترض به في اثناء قصة إبرهيم وذلك ان ذكر هذه القصص انما هو لتسليه رسول الله فكانه قال ان يكذبوا يا معشر العرب محمدا فقد كذب ابرهيم قومه ومني نحو مما مني به محمد وكذا سائر الرسل قبله وبعده أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ اى علموا علما واضحا كالرؤية بالباصرة والهمزة وكيف مسلوب عنهما معنى الاستفهام وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالخطاب اقامة من ابرهيم اومنه تعالى بناء على ما تقدم ولا حاجة الى تقدير القول ثُمَّ يُعِيدُهُ عطف على اولم يروا لا على يبدئ لان الرؤية ليست بواقعة على الاعادة لان الابداء ايضا كذلك والرؤية بمعنى العلم يصح تعلقه بهما بل لان العلم بالابداء دليل على العلم بالاعادة ومستلزم له فلا يحسن نظمهما في سلك واحد إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ولا يحتاج الا الى تعلق الارادة قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ اى قل يا ابرهيم او قل يا محمد فَٱنظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ تأملوا في عجايب صنعه في انواع مخلوقاته يدلكم ذلك على سهولة امر العادة عليه ولما كان دليل الانفس اقرب من الافاق اثر في الاول الرؤية وفي الثاني النظر ولذلك قبل الاول حدسي والثاني فكري ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ اى يحدثهم ثانيا كما ابتدعهم اولا اصل النشأ الارتفاع يقال نشأ في بني فلان فكان الله بالايجاد اخرجهم من حضض العدم الى فاوج الوجود وقرأ ابن كثير وابو عمر والنشأة بالف بعدها همزة مفتوحة على انهما لغتان او الثاني اسم المصدر والقصر اخف وانما برز اسمه لكونه لا يسم الجامع للمعاني الدال على الاوصاف المعتبرة في الابداء من العلم والقدرة والحكمة فكانه قال ذلك الموصوف هو الذي ينشئ النشأة الاخرة إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لاستواء نسبة القدرة الى الكل دليل على المدعى يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ترددون فيجازى كلا على وفق ارادته وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ بالتواري والهبوط في مهاديها وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ التي هي افسح وابسط لوقد صعودكم اليها او التقدير ولا من في السماء فحذف كما في قول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ومالكم مِّن دُونِ ٱللَّهِ

مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ لا في الارض ولا في السماء اى لا يقدرون انتم على دفع قضائه ولا لكم من يلحاون اليه في ذلك وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ الدالة على وحدانيته وَلِقَآئِهِۦٓ والبعث وما يعقبه من الجزاء أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِى ييأسون يوم القيمة لان المنكر للبعث لا يوصف باليأس لانه شان من يوصف بالرجاء او المراد سان مبانيه حالهم حال المؤمنين فذكر اليأس للمشاكلة او استعارة تبعية شبهوا بمن مات على الكفر او بمن ايس فرضا اشارة الى توغلهم في الكفر وانما التفت الى التكلم اشارة الى قوله ورحمتي وسعت كل شيء ولذلك لم يصف العذاب في قوله وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فما كان جواب قومه اى قوم ابرهيم إِلَّآ أَن قَالُوا ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فاتبلوا نصحه بابلغ مكروه وهو القتل والحرق واثروا صيغة التفعيل الدالة على التكثير والمبالغة فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ بان قال لها كوني بردا وسلاما فصارت روضة وانما اختصر كيفية الانجاء لان الغرض بيان ما قاساه من امته ليكون تسلية لرسول الله إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ هي انجاده وانشاء روضة مكانها وسلب الحرارة عنها واحداث البرودة مكانها لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانهم بالتامل فيها يزدادون ايمانا ويوقنون بان العاقبة لهم وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا قرأ نافع وابن عامر بتنوين مودة ونصب الكلمتين على ان مودة مفعول له وبينكم ظرف اتخذتموها لتوادوا وتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها كما ترى اليوم اهل كل مذهب كذلك او مفعولا ثانيا كما في قوله أتخذوا ايمانهم جنة وقرأ ابن كثير وابو عمر والكسائي مودة مرفوعا مضافا الى بينكم على الاتساع كقوله باسارق الليلة اهل الدار على ان ما موصولة والعايد محذوف ومودة خبرها او مصدرية اى ان سبب اتخاذكم اوثانا ارادة مودة اوكافة ومودة خبر مبتدا محذوف اى انما اتخذتموها لمودة او مبتدا في الدنيا خبره اى تواصلكم في الدنيا وعلى هذين الوجهين الجملة صفة اوثانا وقرأ حمزة وحفص مودة بينكم منصوبا مضافا والمختار نصبه منونا لظهور المعنى والاستغناء عن التقدير والجري على الاصل ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا اى بعض العبدة يلعن بعضا كقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او العبدة والاصنام

لقوله ويوم القيمة يكفرون بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم النار وما لكم
من ناصرين فان قلت لم لم يذكر هذا قبل جواب قومه لتكون كلامهم
منتظما في سلك واحد قلت ما تقدم كان نصحا وارشادا وهذا وعيد
وتهديد وما يؤل اليه امرهم فلم يحسن نظمه معه فآمن له لوط
هو اول من به حين رأى النار لم يؤمن فيه وهو ابن اخيه وقال اني
مهاجر الى ربي الى حيث امرني انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي
الحكيم الذي لا يأمر الا بما فيه حكمة كان بكوثى فسار الى حران
ثم اقام بها حتى مات ابوه ثم خرج مهاجرا الى الشام فنزل بحران
ثم سار منها الى فلسطين ثم صعد الى مصر وملك مصر الذي
اعطاه هاجر ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة حين سأل الولد ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب جنس الكتاب فيدخل تحته الكتب الاربعة واتيناه
اجره في الدنيا اجر الهجرة من الثناء الحسن لا ترى امة الا وهم يتمنون
اليه وانه في الاخرة لمن الصالحين لمن الجامعين لمحاسن الافعال
والاخلاق ولوطا عطف على ابراهيم ان نصب باذكر وعلى ما عطف
عليه ان كان مفعولا على نوحا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة
الفعلة البالغة في القبح قرأ انكم بالاستخبار نافع وابن كثير وابن عامر
وحفص اكتفاء بالثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف
مقرر لزيادة القبح فيها حيث اشمأزت الطباع باسرها عن ارتكابها
في سالف الدين انكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل تتعرضون
للسابلة اتفق السبعة على الاستفهام هنا للانكار والتعجب و
تأتون في ناديكم المنكر من اللواط في المجلس والتضرط والحذف
ورمي البندق وفرقعة الاصابع وحل الازرار فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في دعوى النبوة
او في نزول العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين بانزال
العذاب وصفهم بالافساد تدل بذلك على استعجال نزول العذاب فلما
جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة او
باهلاك قوم لوط قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية اشارة الى
قرية سدوم وفي المشار اجرم من قاصي سدوم ان اهلها كانوا ظالمين
مصرين على الظلم في الزمن الماضي قال ان فيها لوطا بيان للمانع و
سئوال عن كيفية الهلاك مع وجوده بين اظهرهم وهو بريء عما كانوا
يفعلون قالوا نحن اعلم بمن فيها تسلية له على بلغ وجده بانهم

اعلم بعدم استحقاقه العذاب لننجينه واهله الا امرأته كانت من
الغابرين من الباقين في العذاب لكونها كافرة مثلهم وقرأ حمزة
والكسائي لنجينه مخففا من الانجاء والتشديد ابلغ ولما ان جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم ان صلة تفيد اتصال الفعلين كانه قيل لما
جاءت الرسل فاصابه المساءة من غير ريث خوفا عليهم من قومه
وضاق بهم ذرعا كناية عن فقد القدرة على تدبيرهم وذلك ان
طويل الذرع ينال ما لا يناله قصير الذرع فضرب ذلك مثلا في العجز
والقدرة وقيل في عكسه رحب الذراع وقالوا لا تخف ولا تحزن
لما راوا فيه اثر الضجرة انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من
الغابرين كانت في علم الله تعالى في عداد هم وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي وابو بكر منجوك مخففا والتشديد ابلغ ونصب اهلك
بالعطف على محل الكاف في منجوك انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
من السماء الرجز والرجس القلق والاضطراب اطلقا على العذاب
لاضطراب المعذب وقرأ ابن عامر منزلون مشددا بما كانوا يفسقون
على الاستمرار ابلغ من فوقهم ان اهلها كانوا ظالمين ولقد تركنا منها
اية بينة لقوم يعقلون فان آثارهم باقية ماء اسود ونطق الفرقان
بشيوع خبرهم وتواتر بها الاخبار والى مدين اخاهم شعيبا فقال
يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ما ترجون به ثوابه فاقيم
المسبب مقام السبب وهو على اصله والرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا
في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة
او صيحة جبريل لان القلوب ترجف بها فاصبحوا في دارهم
في ارضهم او في دورهم اكتفى بالواحد جاثمين باركين على الركب
ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار اهلكنا لان قوله
فاخذتهم الرجفة يدل عليه وقرأ حمزة وحفص ثمود غير منصرف
بتاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم منازلهم وخرابها
فان اهل مكة كانوا يمرون عليها في اسفارهم وزين لهم الشيطان
اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل عن طريق
الحق وكانوا مستبصرين ذوي بصائر عالمين بحقية الدين
ولكن لجوا حتى هلكوا او كانوا متمكنين من الاستبصار ولكن
تغافلوا وقارون وفرعون وهامان عطف على عاد او تقديره
قادرون لشرف نسبه وتاخيره في سورة غافر نظرا الى الوجود

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
فَايْتِينَ امْرَ اللّٰهِ فَيَهِمْ بَلْ ادْرَكَهُمْ لَا مُحَالَةَ فَكُلًّا اَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ
مَنْ اَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا رُوِيَ الْحَصْبَاءُ اَوْ مَلَكًا بِرَمْيِهِمْ بِهَا اَلْقَصِيرِ
لِقَوْمِ لُوطٍ وَمِنْهُمْ مَنْ اَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ كَمَدْيَنَ وَثَمُودَ وَمِنْهُمْ
مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْاَرْضَ كَقَارُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ اَغْرَقْنَا كَقَوْمِ نُوحٍ
وَفِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيَظْلِمَهُمْ لِيُفَاجِئَهُمْ بِالْعَذَابِ
وَيُعَامِلَهُمْ مُعَامَلَةَ الظَّالِمِينَ وَلٰكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بِاَنْ
عَرَّضُوهَا لِلْعَذَابِ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ اَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ
الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا سَبَبُهُ مَا اتَّخَذُوهُ مُعْتَمَدًا وَمُتَّكَلًا فِي دِينِهِمْ
بِمَا هُوَ مَثَلٌ عِنْدَ النَّاسِ فِي الْوَهْنِ وَالْغَرَضُ مِنَ التَّشْبِيهِ تَقْرِيرُ اَمْرِ وَهْنِ
دِينِهِمْ وَاَنَّهُ بَلَغَ الْغَايَةَ الَّتِي لَا غَايَةَ بَعْدَهَا وَهٰذَا كَتَشْبِيهِ مَنْ لَا
يَحْصُلُ مِنْ سَعْيِهِ عَلَى طَائِلٍ بِالرَّاقِمِ عَلَى الْمَاءِ مِنْ تَشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ بِالْمُرَكَّبِ
وَاِنَّ اَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ تَذْيِيلٌ تَقْرِيرًا لِلْغَرَضِ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ جَهْلُهُمْ اَوْ لَا فِي الْاِتِّحَادِ ثُمَّ زَادَهُمْ تَجْهِيلًا بِاَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
هٰذَا الْجَهْلَ الْبَيِّنَ اِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ مَا نَافِيَةٌ
وَمِنْ زَائِدَةٌ اَوِ اسْتِفْهَامِيَّةٌ وَمِنْ بَيَانٌ وَالْعِلْمُ مُعَلَّقٌ تَوْكِيدًا لِلْمَثَلِ وَ
زِيَادَةً عَلَيْهِ حَيْثُ لَمْ يَجْعَلْ مَا يَدْعُونَهُ شَيْئًا وَيَجُوزُ اَنْ يَكُونَ مَصْدَرِيَّةً
اَوْ مَوْصُولَةً وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ وَقَرَاَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ
وَالْكِسَائِيُّ بِتَاءِ الْخِطَابِ عَلَى اِضْمَارِ الْقَوْلِ وَالْغَيْبَةُ اَحْسَنُ لِجَرْيِهِ
عَلَى سَنَنِ السَّابِقِ وَعَدَمِ التَّقْدِيرِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
الْحَكِيمُ الَّذِي لَا يَعْمَلُ شَيْئًا اِلَّا وَفِيهِ حِكْمَةٌ وَفِي الْوَصْفَيْنِ وَمِزَالَةِ غَبَاوَتِهِمْ
حَيْثُ تَرَكُوا عِبَادَةَ الْمَوْصُوفِ بِهِمَا وَعَبَدُوا مَنْ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّيْءِ
وَتِلْكَ الْاَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ اَيْ هٰذَا الْمَثَلُ وَنَظَائِرُهُ كَشْفًا لِلْحُجُبِ
عَنْ وُجُوهِ مَحَاسِنِ الْفَرَائِدِ وَتَقْرِيبًا لِلْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ اِلَى الْاَفْهَامِ
وَمَا يَعْقِلُهَا اِلَّا الْعَالِمُونَ تَقْرِيضٌ بِالْمُشْرِكِينَ الطَّاعِنِينَ فِي الْقُرْاٰنِ
لِاشْتِمَالِهِ عَلَى ضَرْبِ الْمَثَلِ بِالذُّبَابِ وَالْعَنْكَبُوتِ وَعَنْ رَسُولِ اللّٰهِ اَنَّهُ
تَلَاهَا وَقَالَ الْعَالِمُ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللّٰهِ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ وَاجْتَنَبَ سَخَطَهُ
خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ خَلْقًا مُلْتَبِسًا بِهِ وَالْمَعْنَى خَلَقَهَا
لِتَكُونَ مَسَاكِنَ عِبَادِهِ وَدَلَائِلَ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَعِظَمِ شَانِهِ وَلِذٰلِكَ
قَالَ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَاَمِّلِينَ فِيهَا اُتْلُ مَا اُوحِيَ
اِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ تَقَرُّبًا اِلَى اللّٰهِ تَعَالَى بِتِلَاوَتِهِ فَاِنَّهُ مِنْ اَفْضَلِ الْاَعْمَالِ

وَعَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ بَرَوْنَهُ عَنْ رَبِّهِ شُغِلَهُ لِسَانُهُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْاٰنِ
عَنْ دُعَائِي وَمَسْئَلَتِي اَعْطَيْتُهُ اَفْضَلَ مَا اُعْطِي السَّائِلِينَ وَاِنَّ الصَّلٰوةَ
اِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ اِذَا اشْتَغَلَهُ بِهَا وَالْمُحَافَظَةُ
عَلَى شَرَائِطِهَا وَمَرَاقِبِهَا اَوْقَاتِهَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْاِشْتِغَالِ بِغَيْرِهَا اَوْ لَاتَ
الصَّلٰوةُ مِعْرَاجُ الْعَبْدِ فَاِذَا وَاظَبَ عَلَيْهَا وَذَاقَ حَلَاوَةَ الْمُنَاجَاتِ
يَنْسَى سَائِرَ اللَّذَّاتِ فَلَا يَكُونُ لَهُ هَمٌّ سِوَاهَا وَلٰكِنَّ شَرْطَ ذٰلِكَ اَنْ يُقْبِلَ
عَلَيْهَا بِقَلْبِهِ وَيُطَرِّحَ مَا سِوَى اللّٰهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ رُوِيَ اَنَّ فَتًى مِنَ الْاَنْصَارِ
كَانَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ لَا يَدَعُ شَيْئًا مِنَ الْمُنْكَرِ اِلَّا ارْتَكَبَهُ فَوُصِفَ لِرَسُولِ
اللّٰهِ فَقَالَ كَيْفَ صَلَاتُهُ فَقَالُوا هُوَ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ فَقَالَ
اِنَّ صَلَاتَهُ سَتَنْهَاهُ ثُمَّ تَابَ عَنْ ذَنْبِهِ وَلَذِكْرُ اللّٰهِ اَكْبَرُ اَيِ الصَّلٰوةُ
اَكْبَرُ الطَّاعَاتِ وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالذِّكْرِ اِشَارَةً اِلَى اَنَّهَا هُوَ الْعُمْدَةُ فِيهَا بَلْ فِي
سَائِرِ الْعِبَادَاتِ وَهُوَ مُلَاحَظَةُ كِبْرِيَاءِ الْمَذْكُورِ اَوْ وَلَذِكْرُ اللّٰهِ اَكْبَرُ
مِنَ الصَّلٰوةِ لِقَوْلِهِ اَفْضَلُ مَا قُلْتُ اَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ
اَوْ وَلَذِكْرُ اللّٰهِ اِيَّاكُمْ بِرَحْمَةٍ اَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ اِيَّاهُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ وَفِي اِيثَارِ الصَّنْعِ عَلَى الْعَمَلِ حَثٌّ عَلَى الْعَمَلِ عَةِ بِالْقَلْبِ
وَالْجَوَارِحِ لِاِنْبَائِهِ عَنْ زِيَادَةِ تَعَمُّلٍ وَتَكَلُّفٍ وَلَا تُجَادِلُوا اَهْلَ الْكِتَابِ
اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ لَمَّا بَلَغَ الْغَايَةَ الْقُصْوٰى فِي بَيَانِ طَرِيقِ اِرْشَادِ
الْمُشْرِكِينَ شَرَعَ فِي بَيَانِ مُجَادَلَةِ اَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُنَاظَرَةِ مَعَهُمْ وَالْجِدَالُ
بِالْاَحْسَنِ هُوَ مُقَابَلَةُ الْخُشُونَةِ بِاللِّينِ وَالْغَضَبِ بِالْكَظْمِ وَالسُّورَةِ
بِالْاَنَاءَةِ وَقِيلَ مَنْسُوخٌ بِاٰيَةِ السَّيْفِ وَلَيْسَ كَذٰلِكَ لِاَنَّهُ مَشْرُوطٌ
بِعَدَمِ نَفْعِ الْجِدَالِ بِالْاَحْسَنِ وَقِيلَ الْمُرَادُ ذَوُو الْعَهْدِ مِنْهُمْ وَقِيلَ الدَّاخِلِينَ
فِي الذِّمَّةِ وَلَا يَصِحُّ اِلَّا بِالتَّاْوِيلِ لِاَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ اِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْهُمْ اَفْرَطُوا بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ اِلَيْهِ تَعَالَى وَوَصْفِهِ بِالْبُخْلِ كَقَوْلِهِمْ يَدُ اللّٰهِ
مَغْلُولَةٌ وَقُولُوا اٰمَنَّا بِالَّذِي اُنْزِلَ اِلَيْنَا وَاُنْزِلَ اِلَيْكُمْ مِنْ جِنْسِ الْمُجَادَلَةِ
بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ اَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُصَدِّقُوا اَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا اٰمَنَّا بِاللّٰهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاِلٰهُنَا وَاِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ مُنْقَادُونَ
لَا لِغَيْرِهِ تَعْرِيضٌ بِاَهْلِ الْكِتَابِ وَكَذٰلِكَ اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتَابَ اَيْ وَمِثْلَ
ذٰلِكَ الْاِنْزَالِ اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتَابَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ
فَالَّذِينَ اٰتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ سَلَامٍ وَاَضْرَابُهُ
وَمِنْ هٰؤُلَاءِ الْعَرَبِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَهُمُ الصَّحَابَةُ وَقِيلَ الَّذِينَ اٰتَيْنَاهُمْ

الكتاب هم المتقدمون على البعثة ومن هؤلاء هم اهل الكتاب الذين فى
عهد رسول الله وما يجحد بآياتنا الا الكافرون المتوغلون فى الكفر
لانهم من الظهور فى اقصى الدرجات وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك وهذا امر مسلم عندهم انا لارتاب المبطلون
وقالوا انه تعلمه من غيره وكان اذ ذاك للارتياب فى الجملة وجه ان اريد
بالمبطلين مشركوا مكة وان اريد بهم اهل الكتاب كان لهم ان يقولوا
لست بالموعود اذ شرطه ان يكون اميا فان قلت على ذلك التقدير ليسوا
ببطلين لان نعته فى الكتابين انه امى فكيف سماهم مبطلين قلت لان
مدار النبوة على المعجزة وكونه اميا لا يخط ليس مما يتوقف عليه امره
فكانه قال هؤلاء المبطلون فى كفرهم لو لم يكن اميا لارتابوا اشد
الريب لارتيابهم مع كونه اميا بل هو اى القرآن آيات بينات فى
صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه عن التحريف والتبديل بخلاف
سائر الكتب وما يجحد بآياتنا الا الظالمون لان التكذيب بعد ازاحة
الشبهة فى غير موضعه وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه كالناقة
وموسى عنا منهم بعد ما الزموا قل انما الآيات عند الله لو شاء
انزلها فرأنا فع وابو عمرو وابن عامر وحفص آيات من ربه لموافقة
الثانى وانما انا نذير مبين مقصور على الانذار ليس لى قدرة على
انزال ما تقترحونه أو لم يكفهم اى انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
شيأ فشيأ يتأملون معانيه وسلاسة الفاظه وجعل الضمير لليهود
بعيد لكون السورة مكية والاستفهام للتقرير ان فى ذلك الكتاب
الموصوف لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وموعظة لقوم يؤمنون
لقوم قصدهم الايمان لا التعنت قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا
يصدقنى بالمعجزة الدالة على نبوتى او كفى شهيدا بانى قد بلغت ما ارسلت
به وادّيت الامانة يعلم ما فى السموات والارض برهان على كونه
كافيا والذين آمنوا بالباطل هى الاوثان وكفروا بالله اولئك
هم الخاسرون فى صفقتهم استعارة تبعية ويستعجلونك بالعذاب
يقولون متى هذا الوعد ولولا اجل مسمى مدة موقتة لعذابهم
لجاءهم العذاب اذ لا مانع سواء وليأتينهم بغتة فجاة كوقعة
بدر وهم لا يشعرون بانيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم
لمحيطة بالكافرين اعاد ذكر استعجالهم وساقه مساق التعجب واثر
الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة والمراد احاطتها

بهم يوم القيمة او الان لتكامل اسبابها من الكفر والمعاصى يوم يغشاهم
العذاب ظرف لمحيطة على الاول ومنصوب بمضمر على الثانى اى كان
كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى من جميع الجوانب
ويقول الله او بعض ملائكته الموكل بعذابهم وقرأ ابن كثير وابن
عامر وابو عمرو وبنون العظمة اسنادا مجازيا اذ لا يكلمهم الله
يوم القيمة ذوقوا ما كنتم تعملون اى جزاءه يا عبادى الذين آمنوا
ان ارضى واسعة فإياى فاعبدون كان المؤمنون بمكة لا يقدرون
على اظهار دينهم والقيام به على الوجه الاكمل ناداهم الله واضافهم
الى نفسه تشريفا لهم وبين لهم ان الاقامة بين اعداء الله المانعين
من عبادته لا وجه له مع اتساع بلاد الله الفاء فى فاياى فاء التسبيب
عن قوله ان ارضى واسعة كما تقول زيدا خوك فاكرمه وفى فاعبدون
فاء الجزاء كل نفس ذائقة الموت يجرع مرارتها فعلى العاقل المبادرة
الى العمل قبل فوات الفرصة ثم الينا ترجعون للجزاء ثم للتراخى
رتبة فان اول الجزاء يعقب الموت وقرأ ابو بكر يرجعون بياء الغيبة
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة
غرفا علالى وقرأ حمزة والكسائى لنثوينهم من الثواء وهو الاقامة
وعلى هذا نصب غرفا على تضمين معنى الانزال او بتقدير فى او يجعل
المكان المعين على المبهم تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم
اجر العاملين المخصوص محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا
على مفارقة الاوطان واذا المشركين وعلى ربهم يتوكلون فى جميع
الامور وكاين من دابة لا تحمل رزقها لضعف بنيتها ولا تدخر
توكلا على الله الله يرزقها وإياكم بيان اقدركم على الكسب لتشجيع
لهم على هجرة الاحياء ومفارقة الاوطان وان لا يهمهم امر المعيشة
وهو السميع لقولكم حين قلتم كيف نقدم بلدا ليس لنا فيه اسباب
المعيشة العليم بمصالحكم ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر الضمير لاهل مكة وايراده
لتوكيد ما تقدم كانه قال ان الذى اوجد ابتداء اخرى بان يكون
قادرا على الابقاء فكما اوجد بلا امادة هذه الاجرام بقدر على
تيسير الرزق على هؤلاء الضعاف من غير اسباب ليقولن الله
لما تقرر فى العقول بحيث لا يقدر احد على انكاره فانى يؤفكون
كيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار تعجيب من حالهم

اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ فكم مِنْ سَاعٍ لَا
يقدر على قوت يَوْمه وكم مِن فارغ البال يَاتِيه الارزاق مِن كل اد
وَيجوز ان يكون للوسع عليه والمضيق واحد وَالْبَسْط والقبض
على التعاقب إِنَّ اللّٰهَ لكل شَيْءٍ عَلِيمٌ يعلم من يصلح له البسط او
القبض او وقت كل مِنْهُمَا وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ اعترافا منهم بانه
الموحد للكائنات قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ اى اذا كان الكل منه فالحمد مختص
به لايشاركه فيه احد وفيه رد على المشركين وتسفيه لهم لانهم
مقرون بالمقدمات وينكصون عند النتيجة وامتنان عليه صلى الله
عليه وسلم حيث عصمه عن مثل تلك الضلالة ووفق لاظهار الحجة
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ فلذلك يناقضون اضراب عن جهلهم الخاص
الى ماهو ابلغ وهو انهم مسلبوا العقول وقوله قل الحمد لله اعتراض
تقريرا لاستحقاقه العبادة والزاما لهم او لايعقلون لما ذا الحمد عند
مقالهم الحمقاء فهو من تتمة قل الحمد لله ومعنى الاضراب انهم اذا لم
يفطنوا لتلك المناقضة الظاهرة فبالاولى ان لا يفطنوا لمكان الحمد
وَمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ اذ وراء بهذه الدنيا الدنية
التى لايساوى عند الله جناح بعوضه فهى كالشئ الذى يتلهى به
الصبى ويلعب ثم يتركه بعد لحظة وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ
اى الحيوة الدائمة وكما بالغ فى تحقير الدنيا بالغ فى تعظيم الاخرة بتاكيد
الجملة انواع تاكيدات تصديرها بان وادخال اللام وايثار المصدر
الدال على انها نفس الحيوة ثم ايثار الحيوان على الحياة لما فى بنائه فعلا
من معنى الحركة والاضطراب اللازمين للحيوة لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
لو كانوا من اولى العلم لما استبدلوا بالشريف الخسيس والباقى الفانى
فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ نوع اخر من جهالاتهم متصل بما قبله مما دل
حالهم عليه دَعَوُا اللّٰهَ مخلصين له الدين يعلمهم بان لا قدرة لغيره
فَلَمَّا نَجّٰيهُمْ إِلَى الْبَرِّ نجاهم من الغرق واصلين الى البر إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ
فاجاؤا الشرك من غير تلبث لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ من النعمة وهى النجاة
من الغرق وكان الواجب عليهم شكرها واللام فيه لام كى ويحتمل ان
يكون لام الامر لقوله وَلْيَتَمَتَّعُوا بسكون اللام وهى قراءة ابن كثير
وحمزة والكسائى وقالون لان لام كى لا يجوز اسكانها لحذف ان بعدها
وضعف عوامل الافعال ويؤيد هذه القراءة قوله فى سورة الروم

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وخامة العاقبة أَوَلَمْ
يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا اى قدروا وتوبيخ لاهل مكة خاصة بين
المشركين لاختصاصهم بهذه النعمة وهى الامن فاشرفوا بقاع و
يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ التخطف سلب الشئ خفية وكان هذا شان
العرب لم يزالوا فى التحارب والتناهب أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ بعد وضوح
هذه النعمة تعجيب من حالهم وَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَكْفُرُونَ بالاشراك به
وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص مبالغة وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
افْتَرَى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اى لا اظلم منه وفى الحديث ليس الكذب على
كالكذب على احد وانما كان الكذب على رسول الله لا يشبه كذبا فعلى
الله من باب الاولى أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ اى بالرسول والكتاب
والتعبير عنه بالحق لدلالته على المدح ولما نظرة اذا الفجائية تلوح
الدلالة على انهم كذبوه من غير توقف كما يفعله العقلاء المراجع عند
سماع الخبر أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ استفهام تقرير كقول
جرير الستم خير من ركب المطايا والمعنى لايستوجبون الثواء وقد
افتروا على الله او قد صح عندهم ان فى جهنم مثوى للكافرين ومع ذلك
قد اجترءوا على الافتراء فمدار الاول على تبين حالهم للغير واستحقاقهم
والثانى على توبيخهم تذكيرا لما صح عندهم وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
خاصة ومن غير اشراك جعل ذاته مستقرا للمجاهدة واطلق المجاهدة
لنعم الظاهرة والباطنة لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا الطرق الموصلة الينا
وسبيل الحق وان كان واحدا الا انه جمع باعتبار انواع المجاهدة و
فى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وَإِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ المخلصين فى عباداتهم تقوية لجاش المجاهد فى العبادة
بان الله معه بالنصر والاعانة تمت السورة والحمد لله
على الاحسان والصلوة على خير البرية وعين الانسان انسان العين

سورة الروم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ اى ارض
العرب لانها المعهودة عندهم وهى اذرعات وبصرى من بلاد دمشق
وبها كانت غلبة فارس على الروم او ادنى ارضهم اى ارض الروم الى
العدو وهى الجزيرة والروم من ولد عيصو بن اسحاق وهذه الطائفة
من ذريته وكانوا على ملة عيسى بن مريم والعرب كانوا مجوسا والمشركون

عبدة الاوثان ولما بلغهم الخبر فرحوا بغلبة الفرس لانهم ليس لهم
كتاب كالمشركين فنزلت الاية وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ
سِنِينَ ففرح بذلك المؤمنون وكثر التشاجر بينهم وبين المشركين
حتى راهن ابو بكر رضي الله عنه ابي بن خلف على عشر قلائص ان لم يغلب
الروم الفرس في سبع سنين فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال البضع من الثلث الى التسع فزايده في الخطر والمدة فرجع ابو بكر
رضي الله عنه الى ابي بن خلف وتوافقا على تسع سنين وماتت قلوص
فلما دخل السنة السابعة غلبت الروم وجاء الخبر بذلك ورسول الله
بالمدينة وكان ابي قتل يوم احد فاخذ ابو بكر رضي الله عنه القلائص
من ورثته وكان ذلك قبل تحريم القمار لان اية الميسر في المائدة وهي
من القرآن نزولا وكان هذا من دلائل النبوة وباهر ايانه لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ اي له الحكم والارادة من قبل كونهم غالبين وهو
وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين
وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ الروم لانهم اهل كتاب وشريعة
مثلهم وفي ذلك تفاؤل لهم وعن ابن عباس رضي الله عنه والثوري ان
غلبة الروم على فارس كانت يوم بدر وعن قتادة وعكرمة والزهري
انها كانت يوم الحديبية سنة ست من الهجرة وهذا اقرب لما روي ان
هرقل كان قد نذر لئن نصره الله على الفرس ليزورن بيت المقدس فلما انصر
وذهبا الى بيت المقدس لقيه دحية بن خليفة الكلبي بكتاب رسول الله
يدعوه الى الاسلام يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب بذل من اراد
بالخذلان الرَّحِيمُ يعز من يشاء بالنصر وَعْدَ اللَّهِ مصدر مؤكد
كقولك له علي الف اعترافا لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ لكونه كذبا وهو
عليه محال ودلالته على الجهل وعدم العلم بعواقب الامور تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذلك لعدم النظر
الصحيح يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا بدل من لا يعلمون بدل الكل
أدنى باداء المقصود لدلالته على ان العلم بظاهر الحيوة كلا علم لان
الغرض من الدنيا باطنها وهو اتها مزرعة الاخرة وانما ذكر ظاهرا
اشارة الى كمال تلاونهم وانهم لم يعلموا من ظاهرها الا قشرا فليلا
فان العلم بظاهرها معرفة حقايقها وصفاتها وكيفية التصدون
منها والتصرف عنها وهم عن كلها بمعزل وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ
هم الثانية تكرير للاولى ومبتدا وغافلون خبره والجملة خبر الاولى

وعلى الوجهين تحقيق لما تقدم أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ توبيخ على عدم
التفكر فيما يعود نفعه بدل اشتغالهم بالبحث عن نصر المجوس وفرحهم
بذلك والمعنى هلا احدثوا التفكر في نفسهم الفارغة عنه والفكر
لا يكون الا في النفس فذكرها لتصوير الحال كقولك ابصرته بعيني ويجوز
ان يكون في صلة يتفكروا كقولك تفكر في المسئلة واجال الراي فيها
والمعنى ان انفسهم اقرب الاشياء اليهم وقد اشتملت على نظائر ما يعرف
في الكائنات من العالم العلوي والسفلي ولم يتفكروا فيها مَا خَلَقَ
اللَّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ يتعلق بمقدر اي فيعلموا ان التفكر
ان خلق هذا العالم ليس عبثا بل لحكمة بالغة وهي الابتلاء ليجازي المحسن
والمسيء والباء في بالحق مثل الباء في شربت الفرس باللجام دالة على الملابسة
والمراد ما خلقهما وَأَجَلٍ مُسَمًّى معين لا يتجاوزه وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ
رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ حاملون لكونهم دهرية لا يقولون بالمعاد أَوَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كعاد وثمود وقوم
لوط استفهام تقرير اي قد وقع ذلك السير والنظر مع عدم التفاتهم
اليه وتأملهم واعتبارهم كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً في الحديث خلق الله
آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلم يزل ينقص الى يومنا هذا
وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا اكثر مما عمروها فبنوا الارض لرفع البنيان
وطلب المعادن وغرس الاشجار اكثر مما فعل اهل مكة لطول اعمارهم
وقوة اجسادهم وكثرة اموالهم واولادهم فلم يقدروا على دفع العذاب
النازل بهم فكيف سبكان وامثاله ذرع لا تبسط لهم في المال ولا
تسلط على البلاد وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ المعجزات الواضحات
فلم يبق لهم عذر يعتذرون به فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ بعد ذلك الاد
وقطع الاعتذار وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بتعريضها للسخط الله
ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ اي كان عاقبتهم العقوبة
السوأى وهي جهنم وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان تلك
العقوبة السوأى جزاء لاساءتهم أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ اي لان كذبوا ويجوز ان يكون مفسرة للاساءة
لانها يكون قولية وفعلية او السوأى مفعول اساؤا اي اكتسبوا
الخطيئة القبحاء وان كذبوا عطف بيان والخبر محذوف اي جهنم
وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على خبرية كان فالسوأى
اسمه بمعنى العذاب او دخول جهنم او هي مفعول اساؤا وان كذبوا

هُوَ الاسم اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ للجزاء ثواباً
وعقاباً فيه وعد ووعيد وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ
ييأسون من الابلاس وهو اليأس ومنه ابليس للشيطان او يبلسون
ويتحيرون ومنه الم تر الجن وابلاسها وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ
اى ممن اشركوه بالله فى الالوهية شُفَعَاءُ كما كانوا يزعمون وَكَانُوا
بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ اى يكفرون بهم فى ذلك اليوم وايثار الماضى لتحقق
وقوعه او الباء للسببية اى كانوا كافرين فى الدنيا بسببهم وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ اى المؤمنون والكافرون لقوله وامتازوا
اليوم ايها المجرمون وقوله فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ
فِي رَوْضَةٍ ارض ذات ازهار وانهار واشجار وثمار يُحْبَرُونَ يسرون
وينعمون من الحبرة وهى البهاء والحسن فى كل شئ ومنه حديث ابى موسى
الاشعرى لما استمع رسول الله لقراءته واستحسنه لو كنت اعلم انك
مستمع لحبرته تحبيراً وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ
فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ لا يغيب عنهم وما هم عنها بمخرجين وانما
لم يكتف بالكفر بل اضاف اليه التكذيب بآيات الله ولقاء الاخرة لكونه
فى مقابلة الذين امنوا وعملوا الصالحات فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ
تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ
كانه قال اذا صح عندكم حال المعرضين عن عبادته والمقبلين على طاعته
فسبحوه فى هذه الاوقات هرباً من ذيل عقابه وطلباً لنيل ثوابه وانما
صدر الكلام بالتنزيه واوقع الحمد اعتراضاً لان الكلام مع المشركين
فى التعدد هو الغرض المسوق له الكلام وخص الاوقات المذكورة به
لظهور دلالتها باهر قدرته سئل ابن عباس رضى الله عنه هل نجد فى
القرآن ذكر الصلوات الخمس فقال نعم وقرأ الآية وذلك ان تمسون
يدل على المغرب والعشاء وتصبحون على الصبح وعشياً على العصر وتظهرون
على الظهر وما روى عن الحسن ان الآية مدنية والصلوات الخمس
فرضت بالمدينة منكر لانها فرضت ليلة المعراج بلا خلاف وعن ابن عباس
رضى الله عنه من قرأ هذه الآية ادرك ما خانه فى يومه ومن قرأها
حين امسى ادرك ما خانه فى ليلته ثم استأنف بما يدل على استحقاقه
التقديس والتحميد بقوله يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ الانسان من النطفة
او المؤمن من الكافر والعالم من الجاهل وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ فى عكس
ذلك وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا باخراج انواع النبات مع عدم التجانس

وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ منها اذ لا فرق بين اخراج النبات الاخضر واخراج
البشر بل الثانى اظهر لكون تلك الاجزاء كانت محل الآية مدة وقرأ
حمزة والكسائى بفتح التاء وضم الراء ولامر ذكوان وجهان وَمِنْ آيَاتِهِ
بعض آياته الدالة على العلم والقدرة أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ اى اصلكم
وهو آدم او كل واحد لما فى الحديث من ان النطفة التى يخلق منها الانسان
يجمع بالتراب الذى يدفن فيه اذا مات ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ
اى خلق كثير متفرقون فى اقطار الارض واكناف البلاد ولاسبا المعاش
وسائر الاغراض فان قلت كيف استقام الجمع بين ثم وان الفجائية
مع تنافى مقتضاهما قلت لا تنافى لان ثم للدلالة على بعد هذه الكثرة
من ذلك الاصل الواحد الكائن من تراب وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا اى من جنسكم اناثا او من نطفكم او لان حواء
خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خرجن من اصلاب الرجال لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا لتميلوا اليها وتطمئنوا لان فى الوحدة وحشة وفى اختلاف الجنس
تنافر وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً بواسطة شهوة ركبها فى كل من الزوجين
وَرَحْمَةً لرقة الجنسية والفة الازدواج وعن الحسن الرحمة الولد
لقوله تعالى ورحمة منا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فى ذلك
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ لغاتكم
كالعربى والعجمى وسائر اللغات بان علمها آدم بالهام او خلق علم ضرورى كما قاله
الاشعرى او بالاقدار على وضعها كما قاله غيره والاول هو الظاهر
وَأَلْوَانِكُمْ فى اصولها كالبياض والسواد والحمرة وما يتركب منها الابرز
بين افراد البشر انجاباً فى لون قط إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ من
الملك والانس والجن وقرأ حفص بكسر اللام والفتح ابلغ لان الآيات
وان لم يعقلها الا العالمون الا انها اعم مفهوماً وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ
بالليل وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ اى فى النهار وكان ظاهر النظم
ان يقول ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه
عدل عنه اهتماماً بالظرف لان الآية انما تحصل به وقدم المنام لكونه
آية مستقلة مع قطع النظر عن الليل بخلاف الابتغاء إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماع تدبر وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ الفعل
مقدر بان ويعد حذفه نزل الفعل من له المصدر وازيل الى فى تسمع
بالمجدى وقوله شعر وقالوا ما تشاء نقلت الى الاصباح آثر ذى اثير
او التقدير من آياته ما يتلى عليكم ثم بين بقوله يريكم البرق وقيل حال

مِنَ ٱلْبَرْقِ مقدم اى ويريكم ٱلبرق خَوْفًا وَطَمَعًا حال كونه مِنْ اياته قيل صفة حذف موصوفه اى ومن اياته ايه يريكم بها ٱلبرق خَوْفًا مِنَ ٱلصاعقة أَوْ مِنَ الاخلاف أَوْ للمسافر وَطَمَعًا فى ٱلمطر أَوْ للحاضر ونصبهما على العلية بتقدير مضاف اى ارادة خَوْفكم أَوِ الخوف بمعنى الاخافة ويجوز كونهما حالين اى خائفين طامعين كقوله كلمته شفاها وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فيحيى به ٱلأَرْضَ بالنبات مجاز حكمى بَعْدَ مَوْتِهَا بيبسها وذهاب نضارتها مجاز لغوى إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم ولما كان خلق الازواج للالفة وَالاطمئنان اليها وايقاع المودة وَالرحمة بين الزوجين الذى لا يتم أمر التعيش الا به غموض يحتاج الى مماثل وتدبر جعل الفاصلة ٱلتفكر وَخَلْقُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ واختلاف الالسن لما كان محسوسا لا يحتاج الا أن يكون الناظر فيها من اولى العلم أَوِ العقل فصل الاية به ولما كان وجه الحكمة فى تعاقب الليل وَٱلنَّهَارِ للاستراحة وكسب المعاش فى غاية الظهور اكتفى فيها بالسماع وَفى ارادة ٱلبرق وانزال الماء لاحياء ٱلأَرْضِ بالنبات بَعْدَ ذهاب نضارتها وكيفية تكونها ليظهر كمال قدرة الصانع نوع خفاء يحتاج الى توجيه العقل نحوه اوقع الفاصلة يعقلون وَأَمَّا قيام ٱلسَّمَاءِ والارض بامره فامرين فلم يحتج الى ذكر شئ مِنْ أَدَوَاتِ الادراك ولذلك قال وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ اذا الاولى شرطية وَالثانية فجائية داخلة على الجزاء قائمة مقام الفاء وَٱلجملة الجزائية فى تأويل المفرد معطوفة على أَنْ تقوم وانما عبر الأسلوب إِشْعَارًا بأن هذه الاية خارجة عن جنس تلك الآيات مستقلة مقصودة فى ذاتها وهن مقدماتها من الارض متعلق بدعاء كقولك دعوته من المسجد اذا كان المدعو فيه ولا يجوز تعلقه تخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وَٱلداعى هو اسرافيل لقوله يوم يسمعون ٱلصَّيْحَةَ بالحق ذلك يوم الخروج ولما روى ان اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس وينادى ايتها العظام البالية وَاللحوم المتمزقة وَالشعور المتفرقة ان الله يأمركن بالحضور للقضاء وقيل هو الله تعالى وذكر دعوة اشارة الى سرعة خروجهم وانه لا يتوقف الا على مجرد ما ينطلق اسم الدعاء وَالعطف ثم للدلالة على عظم ذلك الامر وكان اقتدار الله ويجوز ان يكون للتراخى زمانا وَلَهُ مَن فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ

خلقا وملكا كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ نافذ فيهم امره طوعا او كرها اصل ٱلقنوت الطاعة وقد جاء بمعنى الدعاء وَالخشوع وَالصلوة وَالقيام وطول القيام وَالسكوت كما فى حديث زيد بن ارقم كنا نتكلم فى الصلوة حتى نزل قوله تعالى وَقُومُوا لله قانتين فسكتنا وعن ابى سعيد مرفوعا كُلٌّ قنوت فى القرآن بمعنى الطاعة وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ من اليدى فى مجازى عرفكم وَإِن كَانَ ٱلكل تحت قدرته على السواء وَفيه يسفيه لهم حيث جهلوا هذا القياس ٱلجلى وَعن ابن عباس الأهون بمعنى الهين وقيل الضمير فى عليه للخلق ويرده ما رواه ٱلبخارى من الخبر القدسى كذبنى ابن ادم ولم يكن له ذلك يقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس اول الخلق بأهون على من اعادته وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَىٰ الوصف العجيب الشان عن ابن عباس هذا مثل قوله ليس كمثله شئ يريد ان ذاته لا تشبه ٱلذوات وَلا صفاته تماثل ٱلصفات وَعَنْ قتادة هو قول لا اله الا الله يريد ٱلتوحيد فى ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ يتعلق بالاعلى أَوْ بالخبر الذى يتعلق به الجار اى يشهد له من فيها من الاشخاص وما فيها من الاجزاء اما نطقا أَوْ دلالة وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ الغالب الذى لا يغالب ٱلْحَكِيمُ الذى لا يفعل شيئا الا لحكمة وَلذلك ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ منتزعا منها فان للامثال شانا فى ابراز المعانى وتقريرها فى النفوس لاراءتها المعقول فى صورة المحسوس لا سيما اذا كان المثل حالا من احوال الممثل له هَل لَّكُم مِّمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن لعبيد وَالاماء مِّن شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ من الاموال فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تتصرفون فيه على السواء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كما يخاف الامراء بعضهم من بعض من الاولى ابتدائية وَالثانية للتبعيض وَالثالثة مزيدة لتأكيد النفى وَاذا كنتم نافعون عن مشاركة ما ملكتم وَأنتم وهم سواء فى البشر فكيف تجوزون ذلك لرب الارباب خالق السادات والمماليك كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ مثل هذا التفصيل الجلى نفصل سائر الايات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يتدبرون بعقولهم فى الامثال وَعن ابن عباس كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك فنزلت بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ اى لاخفاء فى هذا المثل ولكن المشركين اتبعوا اهواءهم جاهلين لا علم لهم يكفهم عن ذلك فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ اى لا احد يقدر على هداية من اراد الله ضلاله وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ لامتناع وقوع خلاف

مراده او كما لا هادى لهم فى الدنيا لا ناصر لهم فى الاخرة من العذاب
فاقم وجهك للدين حنيفا اى بعد ما بلغت اصرف كلك الى طاعته
ما يلا عن غيره غير ملتفت الى سواه والتعبير بالوجه لان من اهم بشئ
سدّ اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه ويحتمل ان يكون حنيفا
حالا من الدين فطرت الله اى عليكم او الزموا فطرة الله هى ما جبلوا
عليه من القابلية والتمكن من الايمان التى فطر الناس عليها لما
روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد
الا على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ولما رواه
عياض ان الله تعالى يقول خلقت عبادى كلهم حنفاء فاجالتهم
الشياطين عن دينهم وقيل الفطرة العهد فى عالم الارواح لا تبديل
لخلق الله خبر فى معنى الانشاء اى لا تغيروا تلك الفطرة او اعتراض
كانه قيل الزموا تلك الفطرة اذ لا قدرة لكم على هدايته من خلق شقيا
ذلك الدين القيم اى الدين الماموربه هو الدين الذى لا اعوجاج فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لاخلالهم بالنظر الصحيح منيبين اليه
حال من ناصب فطرة لا من فاعل اقم ومعنى كون خطابه خطابا لامته
باعتبار الحكم وشموله والانابة الرجوع الى الله بالتوبة مرة بعد اخرى
من التوبة واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
معطوفات على ذلك المضمر الناصب من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين
اى منوا ببعضه وكفروا ببعضه او كل ذهب الى راى وقرا حمزة والكسائى
فارقوا بالف بعد الفاء اى تركوه وهذا ابلغ وكانوا شيعا فرقا كل
فرقة شيعة امامها الذى اضلها كل حزب بما لديهم فرحون مبتداء
وخبرا اى مسرورون بدينهم حقا كان او باطلا او كل حزب مبتدا ومن
الذين فرقوا خبره فيختص بالدين الباطل وفرحون خبر بعد خبر وقيل
صفة كل وفيه انه لبيان الكمية فلا يوصف الا ما دخل عليه ولا يقول
كل عالم داخل فى النار برفع فاضل واذا مس الناس ضر دعوا ربهم
منيبين اليه راجعين اليه بالتوبة ثم اذا اذاقهم منه رحمة شفاء
من المرض ونجاة من الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجا فريق
منهم الاشراك وفى ايثار لفظ الرب زيادة توبيخ لهم ليكفروا بما
اتيناهم اللام للعاقبة او تعليل لما دل عليه الكلام اى فاض
عليهم ليكفروا او لام الامر للتهديد كقوله اعملوا ما شئتم بدليل قوله
فتمتعوا فسوف تعلمون وبال تمتعكم

ام انزلنا عليهم سلطانا اضراب الى ما هو ابعد فهو يتكلم بما كانوا
به يشركون اى بكونهم مشركين بالله ويجوز ان يكون ما موصولة
والتكلم مجاز عن الدلالة او بتقدير مضاف اى ذا سلطان اى حجة واذا
اذقنا الناس رحمة سعة وعافية يريد بعضهم لقوله فى سورة هود
الا الذين صبروا فرحوا بها بطرا وان تصبهم سيئة شدة
بما قدمت ايديهم بسبب معاصيهم اذا هم يقنطون فاجاؤا القنوط
لا كالمومنين الشاكرين فى السراء والضراء اولم يروا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر تتميم للانكار على من بطر بالنعمة ويئس عند
زوالها وقد علم ان القابض هو الله معللا رجع اليه بالتوبة ليعيدها
ان فى ذلك لايات لقوم يومنون بان الكل منه تعالى اذا سئلوا نعم
ذكروا الله فات ذا القربى حقه يا محمد او من بسط له اذا علمت ان
البسط وعدة من الله فاثر الاحسان على هولاء ليكون محلية لاحسان
الله اليك واستدل به ابو حنيفة على وجوب نفقة المحارم اذا كانوا
فقراء وفيه ان ذى القربى يعم المحارم وغيرهم وحقه سائر انواع البر
والمسكين وابن السبيل حقهما من الزكوة ذلك خير للذين
يريدون وجه الله اى يقصدون بعملهم فيهم اياه خالصا او جهة
التقرب اليه لا جهة اخرى وقيل النظر الى وجهه واولئك هم المفلحون
الفائزون وما اتيتم من ربوا ليربوا فى اموال الناس ما اعطيتم
اكله الربوا زيادة على حقهم فلا يربوا فلا يزكوا ذلك عند الله
ولا يبارك فيه لكونه حراما وعن ابن عباس هذا فى الربوا المباح وهو
ان يهدى الرجل الى الرجل مريدا ان تثيبه اكثر من هديته واستدل بقوله
تعالى ولا تمنن تستكثر وبالحديث المستفز شباب من هدية وقرا ابن
كثير اتيتم بالقصر من الاتيان بالفعل ونافع لتربوا بضم التاء وانساد
الواو وخطابا من الارباء اى لتريدوا فى اموالهم او ليزدادوا انتم
وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله يشمل الواجب والنفل فاولئك
هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب لم يجر الكلام على النسق
السابق كانه يعرف ملائكته وخواص عباده مكانة المتصدقين عنده
ولما فى اسم الاشارة من الاشعار بعلية الوصف ويجوز تقدير الكلام
فموتوه اولئك وكم بين الوجهين الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم
يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه الله
مبتداء والذى خلقكم خبره او صفته وهل من شركائكم هو الخبر

والرابط اسم الاشارة هذه خواص الالوهيته اثبتها لذاته بكلام
خال عن التوكيد لكونها امورا مسلمة لا نزاع لهم فيها من الاولى
للتبعيض تفيد ان تامنهم فاعل قط والثانية ايضا كذلك تفيد ايضا
من تلك الافعال لا بتاتي من احد من شركائهم فضلا عن الكل والثالثة
مزيدة لتوكيد شمول النفي اى ما ينطلق عليه اسم الشيء ولما بين
استحالة الشريك قدس ذاته قائلا سبحانه وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او ما اشركوه به ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت
ايدي الناس عن ابن عباس عنه البر هو المفازة والبحر المدن والقرى
لما روى البخاري ان رسول الله صالح ملك ايلة وكتب له ببحره اى بلده
وقيل هما البر والبحر المعروف فان ومعنى ظهور الفساد فيهما محق البركات
وقلة المنافع في كل صنف من اصناف الاموال وانواع الحرف بشوم
الظلم والمعاصي وفي الحديث اذا مات الفاجر استراح منه العباد
والبلاد والشجر والدواب وعن الامام احمد بن حنبل وجد في زمن
ابن زياد صرة فيها البر كل حبة مثل نوى التمر مكتوب على الصرة هذا
نبت في زمن العدل ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون اما
فعل بهم ذلك ليذيقهم في الدنيا بعض جزاء تلك المعاصي عسى ان يعتبر
ويقلعوا عنها قرا ابن كثير في رواية قنبل لنذيق بالنون وهو اشد
تهويلا قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
اى اذا قصرا دراككم عن المعقولات سيروا في الارض لتشاهدوا بالابصار
آثار الامم المكذبة ومحال بهم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا كان
اكثرهم مشركين مثلكم فاقم وجهك للدين القيم الشديد الاستقامة
من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله لا يقدر على رده احد الجار متعلق
بيأتي ويجوز تعلقه بمرد لانه مصدر بمعنى الرد اى لا راد له من جهته
لابرام القضاء بعد تعلق الارادة يومئذ يصدعون يتفرقون تفرقا
لا اجتماع بعده فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره
لا يتجاوزه الى الاخر ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون
المنزل ويفرشونه في الجنة كمن اتاد الرقاد في مكان لا يبقى فيه شيئا
مما يؤذي الراقد او يشفقون على انفسهم كناية عن كمال شفقتهم وفي
المثل ام فرشت فانامت قال قراد بن عويه وكنت له عما لطيفا ووالدا
رؤفا واما فرشت فاغامت ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
تعليل ليمهدون دل بمنطوقه على اختصاصهم بالجزاء وبمفهومه

على انهم اهل الزلفى والمحبة من فضله اى من ذلك تفضل منه لا اداء
للواجب انه لا يحب الكافرين دل صريحا على ان عدم المحبة اقتضى
حرمانهم وبمفهومه على ان مقتضى الجزاء موفر لاضدادهم فيلزم منه
محبة المؤمنين ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات اياما مطرة
هي الصبا والشمال والجنوب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا يريد به الدبور فانه للعذاب فالنصر
بالصبا واهلاك عاد بالدبور وليذيقكم من رحمته عطف على
مبشرات كانه قال ليبشركم وليذيقكم او على علة محذوفة دل عليها
مبشرات او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك
بامره باراداته لا بمجرد الرياح اذ ليس كل ريح موائمة وقيل اراداته
من اموره الخاصة التي لا تقدر عليها غيره ولتبتغوا من فضله
هو تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمة الله فيها
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا
من الذين اجرموا اى فكذبوهم فانتقمنا من المجرمين للذين امنوا
وكان حقا علينا نصر المؤمنين على المجرمين رفع من شان المؤمنين
واهلهم للكرامة حيث جعلهم مسئوحين للتصرم منه وقد يوقف
على حقا اى كان ذلك الانتقام حقا ثم يبتدئ علينا نصر المؤمنين
اى في كل اوان وعن ابي الدرداء ان رسول الله قال ما من امرئ
مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم
ثم تلا هذه الاية الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
في السماء كيف يشاء اشار الى كيفية انشاء السحاب يرى السماء
صاحيه فيرسل ريحا فتثير سحابا اما انشاء من العدم او من البحر كما
قيل فيكثفه شيئا فشيئا ويمده كيف يشاء متصلا ومتفرقا كشفا
ورقيقا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ريح مفرد لارادة الجنس
ويجعله كسفا قطعا جمع كسفة كقطع في قطعة وقرا ابن عامر
في رواية ابن ذكوان واحدى روايتي هشام بالسكون اما لانه
مخفف بالاسكان او مصدر فترى الودق اى المطر يخرج
من خلاله في تلك الحالات فاذا اصاب به من يشاء من عباده
اى بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان
ينزل عليهم من قبله لمبلسين كرر لفظ قبل للتاكيد دلالة على ان
ابلاسهم وقنوطهم كان في غاية الاستحكام فيكون الاستبشار

الواقع بعده فى اقصى الدرجات فانظر الى اثار رحمة الله من النبات والاشجار والثمار اشارة الى تحقيق طرفى المعاد بعد البرهان على طرفى المبداء من ارسال الرياح وانشاء السحاب وفرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر اثر بالافراد والجمع احسن لشرع الاثر كيف يحيى الارض بعد موتها بعد يبسها ان ذلك لمحيى الموتى اى الذى احيا الارض هو الذى يحيى الموتى لان احياءهما اعادة للحياة فى تلك المواد كما ان احياء الارض اعادة للنضارة واجداث القوى النامية بعد تلاشيها وهو على كل شئ قدير برهان على ذلك لاندناجه فى هذه الكلية ولئن ارسلنا ريحا فرأوه اى اثر الرحمة وهو الزرع او الريح لانه اذا كان مصفرا لاينبت مصفرا لظلوا من بعده يكفرون اللام الاولى موطئة والثانية داخلة على جواب القسم الساد مسد الجوابين والريح المصفر هو الذى يضرب الزرع بالصقاد وهو آفة يصفر منه الزرع ذم المشركين بانهم لايستدلون بالايات على وحدانيته ولا يستكبرون نعمته ولا يصبرون على ثلاثة فهم احقاء بالانتقام وفى ذلك تسلية له ووعد بالنصر فانك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم لما اكثر فى البراهين القاطعة والادلة النيرة الساطعة ولم يزادوا الا طغيانا جعلهم موتى لاحس لهم وصما لاسامعة لهم وعميا لابصيرة لهم وقيدا لادبارهم الى شدة الامتناع فان الاصم اذا كان مقبلا ربما فهم بالاشارة وعميا لايبصرون وفى هذا الترتيب تنزل من الاقوى الى الاضعف مع اشتراك الكل فى الاستحالة وقرأ ابن كثير ولا يسمع بالياء الضم والخطاب ابلغ مع موافقته للاول ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا لصرف همم القوى والحواس الى التدبر فى آيات الله ويجوز ان يراد المشارفون فهم مسلمون منقادون لاوامر الله ولما لم ينجع فيهم آيات الآفاق تلا عليهم آيات الانفس فى اطوارها من اول النشاة الى الانتهاء فانها ادل دليل واعدل شاهد على الصانع القدير الله الذى خلقكم من ضعف بنى عليه اساسكم لقوله خلق الانسان ضعيفا او من نطفة لقوله من ماء مهين قرأ عاصم فى رواية ابى بكر واحد وجهى جعفص وحمزة بضم الصاد وهما لغتان كالفتح لغة تميم والضم لغة الحجاز ثم جعل من بعد ضعف قوة وقت البلوغ واوان الشيبة ثم جعل من بعد قوة

ضعفا وشيبة بالشيخوخة والتنكير فى المعاد للتفاوت وهو العليم القدير كامل العلم والقدرة ولذلك يحدث فى مادة اطوارا متباينة ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة فى الدنيا او فى القبور لاستقصارهم عذاب يوم القيمة او فيما بين فناء الدنيا وبعث لما روى انه لا تعذب احدا اذ ذاك الساعة الاولى علم ليوم القيمة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة والثانية مايتعارفه الناس من الزمان كذلك كانوا يؤفكون يصرفون فى الدنيا عن الحق ويبتون امرهم على الباطل بيان لحال المجرمين فى الجهل المفرط واشارة الى ان ما اغتروا به من زخارف الدنيا ليس الا ساعة باغترارهم وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم فى كتاب الله فى اللوح او علمه او قضائه والتعبير بالكتاب للدلالة على عدم التبدل كالشئ المكتوب او القرآن لقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث فهذا يوم البعث الذى انكرتموه ولكنكم كنتم لاتعلمون انه كائن لعدم تصديقكم الرسل والكتب فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم اعتذارهم لفوات وقته وقرأ الكوفيون لاينفع بالتذكير وهو احسن لوجود الفاصلة ولانهم يستعتبون يدعون الى الاستعتاب كما كانوا يدعون اليه فى الدنيا يقال استعتبنى فلان اى طلب منى ان اله العتاب فاعتبته اى ازلت عتابه ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل من كل نوع من انواع الدلائل الدالة على التوحيد وكمال الصفات وصدق الرسل هى كالامثال فى الحسن والغرابة ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن كالمة على شئ من تلك الامثال ليقولن الذين كفروا من فسقوة قلوبهم وانهماكهم فى حديث الاخرة ان انتم الا مبطلون مقصودون على التمويه لا تتخطونه كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يسعون فى تحصيل العلم بما دله العقل والنقل كذلك يطبع على قلوبهم وعد الله حق فهو ناصرك ومظهر دينك ولا يستخفنك الذين لا يوقنون لا يحملنك على الجزع والقلق تكذيبهم وعده بالنصر وهو احسن لوجود الفاصلة ولانهم يستعتبون يدعون الى الاستعتاب كما كانوا يدعون اليه فى الدنيا يقال استعتبنى فلان اى طلب منى ان اله العتاب فاعتبته اى ازلت عتابه ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل من كل نوع من انواع الدلائل الدالة على التوحيد وكمال الصفات وصدق الرسل هى كالامثال فى الحسن والغرابة ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن كالمة على شئ من تلك الامثال ليقولن الذين كفروا من فسقوة قلوبهم وانهماكهم فى حديث الاخرة ان انتم الا مبطلون مقصودون على التمويه لا تتخطونه كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يسعون فى تحصيل العلم بما دله العقل والنقل كذلك يطبع على قلوبهم وعد الله حق فهو ناصرك ومظهر دينك ولا يستخفنك الذين لا يوقنون لا يحملنك على الجزع والقلق تكذيبهم وعده بالنصر فى اول السورة واوسطها وخاتمتها وامره بالصبر اشارة الى ان بين يدى ذلك شدائد يليق بمثله ان تحمله ليوطن نفسه على تلقيها بصدر رحيب اذا وقعت صلى الله عليه صلوة توارى عناه وبحارى غناه والحمد لله على الشدة والرخاء فى كل صباح ومساء

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب الحكيم اى ايات السورة
ايات الكتاب وصفا للكتاب بالحكم لاشتماله على الحكم او لكونه كلام
الحكيم او لكونه محكما اياته هدى ورحمة للمحسنين المخلصين
فى الدين لانهم المنتفعون به او الذين يعملون الحسنات او جميع ما
يحسن من الاعمال الذين يقيمون الصلوة ويؤتون وهم بالاخرة
هم يوقنون وصف كاشف على الاول والاستيناف موقعه
اولئك على هدى من ربهم وعلى الثانى الموصول مبتداء وخبره
اولئك على هدى وهو استيناف بذكر الصفة الموجبة للاستيهال
كما مر وللصفة الماوحة محمل حسن واولئك هم المفلحون الفائزون
بالبغية لاحل تلك الاوصاف ومن الناس من يشترى لهو الحديث
ما يلهى الاضافة بيانية وهو الحديث المنكر من كل ما يصد عن ذكر
الله وفى الحديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات وروى الترمذى
عن ابى امامة ان الاية نزلت فى ناس كانوا يشترون المغنيات والاضافة
بيانية كما تم الحديد وقيل الاضافة بمعنى من التبعيضية على ان المراد
بالحديث مطلقه فلا يجب تقييد الحديث بالمنكر كما فى الوجه الاول
لان الغرض تمييز اللهو القولى والغرض تعجيب السامعين ممن يختار
اباطيل الحديث على الايات والحكم ليضل عن سبيل الله كما كان
يفعله النضر بن الحارث يقول ان كان محمد يحدثكم باحاديث عاد
وثمود فانا احدثكم ايضا مثله ويحكى لهم حروب الفرس من وقايع
رستم واسفنديار وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وهو بالغ
لاستحقاقه العذاب بمجرد الضلال ولسلامته من الحذف والمراد
زيادة الضلال والاستمرار وارد به الاضلال لان الضلال
المضاعف لا يسلك عنده بغير علم اى بجهله وانما اثر ما فى التنزيل
لدلالته على فعله اشر فالاشياء ويتخذها اى سبيل الله هزوا
بحتمية وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويتخذ بالنصب وهو اولى
لقرب المعطوف عليه والباقون بالرفع امّا استيناف او عطف
على يشترى اولئك لهم عذاب مهين جزاء من جنس عملهم لاستهزائهم
بالدين واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها
مترفعا شامخا انفه كان فى اذنيه وقرا ثقلا لا يقدر على استماع

فالاول حال من المستكن فى مستكبرا لا فى ولى والثانى من المستكن
فى لم يسمعها لا بدلا من الحال الاولى لفوات المبالغة المقصودة
وذلك انه شبه المستكبر عن لم يسمع ولما احتمل عدم السماع لعدم
الالتفات سلب عنه القابلية بطريان الآفة فى الآلة وقرا نافع
باسكان الذال فبشره بعذاب اليم اثر التبشير على الاعلام
والاخبار تهكما ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
النعيم كما ان لاضدادهم العذاب الاليم خالدين فيها حال
من ضميرهم او من جنات ان جعل فاعلا للظرف وعد الله حقا
مصدران مؤكدان الاول لنفسه لان الاخبار السابق وعد بالا
احتمال واما كونه حقا اعم مفهوما فهو مؤكد غيره وهو العزيز
الغالب لا يمنعه شىء عن انجاز الوعد الحكيم الذى لا يفعل الا ما
اقتضته حكمته من مجازاة الفريقين على وفق اعمالهم خلق السموات
بغير عمد احتجاج على من يشرك به ترونها استيناف يؤكد اذ لا علم
اجلى من المحسوس ويجوز ان يكون فى محل الجر صفة عمد والاول
هو الوجه لابهام الثانى نفى المركب من حيث هو والقى فى الارض رواسى
ان تميد بكم حيا لانوابت كراهة ان تميل لان جزم الارض بالنسبة
الى الماء فى غاية الصغر فلا يخلوا عن اضطراب وبث فيها من كل دابة
من كل نوع من انواع ما يدب على الارض وانزلنا من السماء ماء
التفت الى التكلم لان انزال الماء من جهة العلو ابدع واغرب فانبتنا
فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع هذا خلق الله مخلوقه
فاروونى ما ذا خلق الذين من دونه ممن يشركون به بكتهم بما لا محالة
لهم عن رده بل الظالمون فى ضلال مبين جلى لا يخفى على ناظر اثر المطر
للدلالة على الاشراك بعد هذه الحجة النيرة كل الظلم ولقد اتينا
لقمان الحكمة كان المشركون يرجعون الى اهل الكتاب فى امر رسول الله
وقصة لقمان ونهيه ولده عن الاشراك مشهورة عندهم فكانت حجة
على المشركين ولقمان هذا عبد حبشى وقيل نوبى كان او لاداعيا فاتاه
الله الحكمة فكان ماضيا فى بنى اسرائيل الى ان بعث داود فبرك القضاء
فقيل له فى ذلك فقال كيف لا اتركها وقد كفيت بغيرى وقيل لم يكن عبدا
بل كان من اولاد آزر عاش الى زمن داود عمر الف سنة واتقوا المشترى
من الصحابة والتابعين على انه لم يكن نبيا الا ما تفرد به عكرمة و
مجاهد وعن قتادة انه خير بين النبوة والحكمة فاختارها فقيل له

فى ذلك فقال خفتان اضعف عن القيام بحق النبوة روى ان مولاه
امره بذبح شاة وقال له ائتنى باطيب المضغتين منها فاتى بالقلب
واللسان ثم امره بذبح شاة اخرى بعد ايام وقال ائتنى باخبث
المضغتين منهما فاتى بهما ايضا فقال له كيف وجه ما فعلت فقال هما
اطيب شئ اذا طابا واخبث اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه وقف
عليه اسود فقال له لا تحزن فانه كان من خير الناس تلتنوم من السود
ان لقمان وبلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب والحكمة العلم المشفوع
بالعمل وهذا معنى استكمال النفس بحسب القوة النظرية والعملية
ولذلك فسر ايتاءها بقوله ان اشكر لله لينتاول اعتقاد الجنان
وعمل الاركان والقول باللسان ومن يشكر فانما يشكر لنفسه
لان نفعه لا يتخطاه يجوز ان يكون مما قيل للقمان وان يكون اعتراضا
حثا على الشكر ومن كفر فان الله غنى لا ينقص بذلك عز ملكه شئ
حميد فى ذاته حمد ذاته قبل حمد الحامدين او حميد بلسان الحال حيث
افاض الوجود على الماهيات وانار بضيائه الكائنات واذ قال لقمان
لابنه وهو يعظه اسمه اشكم وقيل انعم وقيل ماثان كان هو وامه
كافرين فلم يزل يعظهما حتى اسلما يا بنى تصغيرا شفاقا فراجعه
بفتح الباء فى الكل ووافقه البزى فى الثالثة لدلالته على حذف الالف
المقلوبة من الياء واسكن الاول وكسر الثانية وقتيل باسكان الطرفين
تخفيفا وكسر الوسط ونافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى
وابو بكر بالكسر بحذف ياء المتكلم اكتفاء به لدلالته عليه لا تشرك
بالله فى الوهيته ان الشرك لظلم عظيم لا يحاط بكنهه قبحا
اذ ليس من خلق كل لا يخلق والوقف على لا تشرك وجعل بالله قسما
ضعيف ووصينا الانسان بوالديه عطف على ولقد اتينا لقمان
الحكمة دفع بما يتوهم من عدم جواز القيام بحقهما لانه يشبه العبادة
وقيل هو كلام معترض فى قصة لقمان للدلالة على ان شكر الوالدين
مقرون بشكر الله ومع ذلك لا يجوز ارتكاب الشرك لرضاهما فكيف
بالغير وقيل عطف على مضمر اى وقلنا له ووصينا الانسان حملته
امه وهنا على وهن اى لم يزل يتضاعف ضعفها منذ حملته الى حين
الوضع اعتراض يؤكد حق الام روى البخارى ومسلم عن ابى هريرة
ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابر قال امك ثم
امك ثم امك ثم ابالك وفصاله فى عامين لانه اقصر مدة الرضاع

لقوله يرضعن اولادهن حولين كاملين ان اشكر لى ولوالديك تفسير
للوصية او بدل اشتمال من والديه او علة لوصينا الى المصير
وعد ووعيد وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم اى
ما ليس لشئ حقيقة ولا يصح ان يتعلق به العلم حقر شان الشريك
فى جعله دون المعدوم فلا تطعهما فى ذلك اذ لا طاعة لمخلوق
فى معصية الخالق وصاحبهما فى الدنيا معروفا صحابا يرتضيه
الدين والمروة واتبع سبيل من اناب الى فى التوحيد والاخلاص
ثم الى مرجعكم للجزاء فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيكم على وفق
اعمالكم نزلت فى سعد بن مالك حين اسلم حلفت امه لا تاكل ولا تشرب
ولا تقعد فى ظل حتى يرتد ولذلك قيل من اناب الى ابو بكر لان اسلام
سعد كان على يده يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل اى الفعلة
من الحسنة والسيئة مثقال الشئ ما يوازنه والخردل نبت حبة
يضرب به المثل فى الصغر وقرا نافع بالرفع والتانيث لان
الفاعل مضاف الى المؤنث او لان المراد به الحسنة او السيئة
فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض الصخرة هى التى عليها
الثور وهى خارجة عن السموات والارض والمراد داخل الصخرة و
اعماقها والغرض بيان احاطة علمه بها وان كانت فى اخفى مكان يتصور
يات بها الله يوم القيمة ان الله لطيف يصل علمه الى الشئ وان
دق مسلكه خبير ببواطن الاشياء يا بنى اقم الصلوة فانها
عماد الدين دل هذا على انها عبادة قديمة فى سائر الملل وامر بالمعروف
وانه عن المنكر فانه كمال وتكميل روى الترمذى عن ابى هريرة ان رسول
الله كمال لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ليبعثن الله عليكم
عذابا من عنده واصبر على ما اصابك من المكاره فى الاوفات
كلها لا سيما عند الامر والنهى اذ قل ان يسلم من اذى الاشرار ان
ذلك من عزم الامور اى المذكور من اقامة الصلوة الى اخره من
الامور المفروضة المقطوع به ومنه الحديث سجدة ص ليست من
عزائم السجود وقوله انا سائلك فاعزم المسئلة مصدر بمعنى المفعول
او بمعنى الفاعل من عزم الامور اذا جد ولا تصعر خدك للناس
لا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون وفى الحديث يا تى على
الناس زمان ليس فيهم الا اصغر او ابتر والصعر داء يصيب البعير
يلوى منه عنقه وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى تصاعر

بالمدّ وهي لغة الحجاز الفصحاء على نمط يسافر وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا بطرًا وهو شدّة الفرح غرورًا حال أو مصدر اى تمرح مرحًا أو للمرح وفي الحديث كان رجل يمشي وعليه بُرْد فبطر في عطفيه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ في مشيته فخور على الغير نشر لما تقدّم وتغيير الترتيب لتوافق رؤس الاى وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ اى توسط بين الاختيال والخفاء فيكون شيئًا بين مشيتين وفي الحديث نظرت عايشة رجلًا كاد يموت بخافتًا فقالت بالهذا قالوا رجل من القراء فقالت كان عمر سيد القراء وكان اذا مشى اسرع واذا قال اسمع واذا ضرب اوجع وفي وصف مشيه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى كانه ينزل من صبب وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ وانقص منه ولا ترفع صوتك الا مقدار ما تسمع جلساءك اصل الغض الحفض والكسر ومنه في الحديث كان اذا فرح غضّ طرفه لئلا يكون اشرًا إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ اقبحها لَصَوْتُ الْحَمِيرِ بالغ في التحذير عن الافراط في رفع الصوت باخراج الكلام مخرج الاستعارة وأثر لفظ الجمع لان الصوت المنكر اذا توافقت عليه الحمير كان انكر هذا مع ان الحمار مثل في الذم حتى ان اهل الادب يكنون عنه بطويل الاذنين تحاشيًا عن لطف فان قلت من الاصوات ما هو اشد نكرًا من صوت الحمار قلت اذا كان المراد بالانكرية القباحة ليس اقبح منه صوت هذا مع ان سائر الحيوانات انما تصوّت عند اصابة مكروه والحمار لا يصوّت الا بطرًا أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ من الشمس والقمر والنجوم والسحاب اسبابًا لمنافعكم وَمَا فِي الْأَرْضِ من الاشجار والانهار والزروع والثمار وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ما تتعلق بظاهر الانسان مثل الاستقامة وما في خلقه من المحاسن والباطنة هي القوى المدركة ونتايجها من المعارف وما في اعماق الاجسام من الاشياء التي لا شعور للانسان بها وقرا نافع وابو عمرو وحفص بكسر النون وفتح العين على صيغة الجمع مضافًا الى الضمير وهذا ابلغ واشمل وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بغير علم مستفاد من طريق العقل وَلَا هُدًى وَلَا هداية من رسول وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ انزله الله ارشادًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا انهما كما في التقليد أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ عطف على مدخول الاستفهام توبيخًا اى يتبعونهم

ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب النار والمنصوب في يدعوهم امّا لهم او لابائهم ويؤيد الثاني قوله او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ اتخذاته بالكلب الفرق بين اللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله وبين الى كما في الاية ان اللام تفيد الاختصاص اى جعل نفسه خالصة لله لا شركة فيها لاحد والى تفيد التفويض كما يسلم الرجل متاعه الى الغير وَهُوَ مُحْسِنٌ في عمله كانه يرى ربّه فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ مثل حال المتوكل بحال من اراد الارتفاع الى شاهق فاستمسك بأوثق حبل مأمون الانقطاع وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ فيجازيه بما يليق بكرمه وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ اذ عليك البلاغ وقد وفيت به وقرا نافع يحزنك بضمّ الياء وكسر الزاء من احزن والباقون بفتح الياء وكسر الزاء قال الخليل حزنه جعل فيه حزنًا واحزنه جعله حزينًا كادخله جعله داخلًا فالاول ابلغ وعن الفرا انهما بمعنى فالقول بان احزن ليس بمستفيض وهم إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا نجازيهم عليه إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ بخفيات الضماير فَنُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا في الالتفات لفظ الجلالة لان الالوهية مستلزمة للاحاطة بالسرّ والخفي نمتعهم قليلًا ليزدادوا اثمًا عبر عنه بالقليل لان الفاني وان طال قليل بالنسبة الى الدايم ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ استعار الغلظ من الاجرام اشارة الى شدّته كانه يجسد من عظمه وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ لا يقدرون على غير ذلك لغاية الظهور قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ على هذه النعمة اذ في اقرارهم الزام لهم وقلع دابر شبهتهم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اضراب الى جهل هو اقوى من الاول اذ المعنى ان جهلهم انتهى الى انهم لا يعرفون ان قولك الحمد لله انما هو لانحائهم لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من الجمادات الخارجة والاجزاء الداخلة إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ المطلق الحميد بلسان الحال وان لم يحمد مقالًا لان الكل حلقه وملكه وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ قرا السبعة الا ابا عمرو والبحر مرفوعًا عطفًا على محل ان ومعمولها اى لو ثبت كون الاشجار اقلامًا وكون البحر ممدودًا بسبعة ابحر او رفعًا الابتداء والواو للحال وقرا ابو عمرو بالنصب اما عطفًا

على اسم ان او يفعل يفسره يمده وهو المختار لرجحان عطف اللفظ على
المحل وعدم الاحتياج الى التقدير والمعنى لو ان اشجار الارض
اقلام والبحر الممدود بسبعة ابحر وكتبت تلك الاقلام بذلك
المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت تلك الاقلام والمداد
وانما اثر جمع القلة اشارة الى ان ذلك لا نفى بالقليل فكيف بالكثير
كذا قيل وانما يستقيم اذا لم يجعل الجمع المضاف مستغرقا اذ عند
ذلك لا تفاوت بين الجموع ان الله عزيز غالب لا يعجزه شيء
حكيم لا يخرج عن علمه شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
لاستغنائه عن الاسباب والآلات بل علة وجود الاشياء انضمام
الارادة الى القدرة الشاملة ان الله سميع جميع المسموعات في آنة
واحد بصير يبصر المبصرات كذلك حكما لا يشغل سمعه وبصره
شيء عن شيء فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل من الثيرين
يجري الى اجل مسمى دل يتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما
وجرى كل من الثيرين في ملكيهما كل ذلك على حساب وتقدير على عظيم قدرته
وكمال علمه وايقاع الى صلة الجرى معناه الانتهاء واللام الاختصاص
ولما كان الثاني ابلغ كثر في القرآن ولم يقع الا في هذا الموضع والمراد
بالاجل آخر السنة في الشمس وآخر الشهر في القمر وعن الحسن هو يوم
القيمة لانقطاع جريهما حينئذ وان الله بما تعملون خبير يعلم
بواطن اعمالكم ذلك بان الله هو الحق ذلك الوصف العجيب من كمال
القدرة وباهر الحكمة لاجل انه الثابت الالوهية التي من لوازمها
الكمال المطلق في كل وصف يليق بكبريائه وان ما تدعون من دونه
الباطل لعجزه عن الاتصاف بوجود ما من ذلك الحق قرأ ابو عمرو
والكوفيون الا ابا بكر يدعون بالياء وهو المختار لاخراجهم عن شرف
خطابه اذ عبدوا غيره الباطل فان قلت قد زاد في مثل هذا الاسلوب
ضمير الفصل في قوله وان ما تدعون من دونه هو الباطل في سورة
الحج فما الوجه في تركه هنا قلت الكلام هناك كان في نصر المظلوم
والمشركون كانوا يزعمون ان آلهتهم تنصرهم ولذلك لما انهزم المسلمون
يوم احد نادى ابو سفيان باعلى صوته اعل هبل اعل هبل فكان المقام
خليقا بالتاكيد وان الله هو العلي الكبير العلي شانه الكبير سلطانه
وما عداه حقير صغير تحت قهره الم تر ان الفلك يجري في البحر بنعمة

الله بالريح المرسلة التي هي من نعم الله لقوله ان يشا يسكن الريح فيظللن
رواكد ليريكم من اياته من عجايب البحر كما اريكم بدايع البر ان في ذلك
لآيات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن لان الصبر على البلاء والشكر
على النعماء من صفاته كاية يراد بها الموصوف وفي ايثارها اشارة الى
ان الوصفين هما عمدتا الايمان واذا غشيهم موج كالظلل جمع ظلة
وهي كل ما اضلك اراد الامواج المتراكمة عند هيجان البحر دعوا
الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من شدة الخوف
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد متوسط في كفره قد خفض من
غلوائه او مؤمن موجد باق على ذلك الاخلاص وفي الكلام شاية انكار
اذ بعد النجاة من تلك المهالك كان اللايق به ان يكون من الكمل الشاكرين
وما يجحد بآياتنا الا كل ختار الختر شدة الغدر قال شعر وانك
لو رأيت ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر كفور بنعماء الله
يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا
مولود هو جاز عن والده شيئا لما شيد اركان البراهين على قيام
الساعة بما لم يبق للريب فيه مجال حذر كافة الناس بان لا ينكلم احد
على احد فان اقرب الناس واجدرهم بالنفع الوالد والولد وانا لم
يقدرا حدهما على نفع الاخر فالغير بالاولى وغير النظم في جانب الولد
عن السنن الاول مؤكدا بضمير الفصل لان المولود لا يقال الا لمن
ولد منك بخلاف الولد فانه يطلق على الحافد وانا لم ينفع من ولد منه
فالاحفاد من باب الاولى ان وعد الله حق لا بد من وقوعه فلا
تغرنكم الحيوة الدنيا بالاشتغال بزخارفها ولا يغرنكم بالله
الغرور الشيطان بالاغراء على المعاصي قائلا ان الله غفور
رحيم وبالتسويف عن التوبة ان الله عنده علم الساعة لا عند
غيره كقولك عند زيد الخير ويعلم وقت نزوله دون
غيره لانه معطوف على المختص به ولقرينة المقام لان المسوق له الكلام
شمول العلم والاختصاص لا القدرة على الانزال ويعلم ما في الارحام
من الكمية والكيفية وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا وما تدري
نفس باي ارض تموت عطف على جملة ان الله عنده علم الساعة
ولما كان الكلام مسوقا للاختصاص لا لافادة اصل العلم لزم
من النفي على سبيل الاستغراق اختصاصه به تعالى على الوجه الابلغ كاية
وفي ايثار الدراية من جانب العبد اشارة الى انه لا يعلم وان بذل

ذلك في الوجود ثم ارتفعت تلك المدة دبر لا الى آخر وهلم جرا الى قيام الساعة فكانه قيل يحدث هذا التدبير مستمرا او هو الوحي ومقدارها بين السماء الى الارض خمسمائة سنة فتقطع النزول والعروج في الف سنة ولا ينافي هذا قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة لان ذلك خروج الى العرض او الحاد امر الدنيا الى قيام الساعة فالامر بمعنى الشان والظرف يتعلق بالعروج كانه قيل يدبر الامر من اليوم القيمة ثم في ذلك اليوم الذي مقداره الف سنة يصير اليه ذلك الامر كله فيحكم بموجبه والتوفيق بينه وبين قوله خمسين الف سنة على هذا التفاوت في الاستطالة بحسب الشدة وقيل فيه خمسون موطنا وكل موطن الف سنة ذلك عالم الغيب والشهادة اي ذلك المدبر بعلم الغايب والشاهد لا يتفاوت وهذا يدل على كمال اتقانه في ذلك التدبير العزيز الغالب على امره الرحيم بعباده براعى مصالحهم تفضلا الذي احسن كل شيء وخلقه ما يليق به وافضت حكمته بذلك استمال من كل شيء وقرا نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام على انه ماض ومحل الجملة النصب على انه صفة كل او جر صفة شيء وهذا املح وبدا خلق الانسان من طين اي آدم ثم جعل نسله وذريته سميت نسلا لانها تنسل اي تنفصل من سلالة فعاله بمعنى المفعول اي مسلولة من ماء مهين في اعتقدهم لانها مستقذرة او بحسبة ثم سواه فوعه بتصوير الاعضاء واحسن تقويم ونفخ فيه من روحه اضافه تشريف كقوله في جبريل فاوحينا اليها روحنا وخلق لكم اي لاجلكم السمع والابصار والافئدة الا ان الاول لما اريد به الجنس عطفت عليه الكليات مراعى المعنى وانث الضمير في قليلا ما تشكرون حملا على المعنى وقالوا ائذا ضللنا في الارض صرنا ترابا مختلطا بتراب الارض لا نتميز من اجزائها او اضمحللنا فيها وصرنا عدما انا لفي خلق جديد الاستفهام للانكار والعامل في الموضعين للتعجب مقالتهم كلتيهما وقيل القائل ابي بن خلف وقرا نافع والكسائي بالاخبار وما دل عليه هو العامل في الظرف والمعنى ان لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة تدبر الشان الدنيا ثم على التدريج يقع

مجهوده في الجيل انه عليم كامل العلم بالاشياء كلها جليلها وحقيرها بواطنها كما يعلم ظواهرها تمت سورة لقمان والحمد لله على الانعام والاحسان والصلوة على

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم الم مبتدا وخبره تنزيل الكتاب ان جعل اسم السورة او القران وان جعل تعديدا للحروف ايقاظا فتنزيل الكتاب خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه او من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض وهو الوجه لان قوله ام يقولون افتراه الكاذب على الله انكار منه وتعجيب من ذلك القول مع وجود ما في الريب فيمتنع موقع الاعتراض والعبدا له لا التفات الى شان الكفار ثم اضرب عن ذلك الى اثبات كونه هو الحق بعد ما طاطة الشبهة بقوله بل هو الحق من ربك وفي اضافة الرب اليه بعد اضافته الى العالمين تخلص الى اثبات نبوته وفيه اشارة الى ان العبد الذي جمع فيه ما فرق في العالمين وفي اسلوب الترقي اشارة الى ان الكمال فيه اتم مما في كل العالم لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك اي بعد الضلال لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير ولانهم كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم واما دعوة موسى وعيسى فلم تكن عامة لعلهم يهتدون راجيا ان هدايتهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش دليل على استحقاقه العبودية دون غيره تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم يجاوز ارادة الله تعالى ما امركم به ولا شفيع على ان من دون حال من ضمير المخاطبين او الشفيع مجاز عن الناصر ومن دون الله حال مقدم كانه قيل ما لكم ولي ولا ناصر غير الله افلا تتذكرون هذه المواعظ الحكيمة يدبر الامر من السماء الى الارض اي الامر المامور به من اطاعات ضمن معنى الانزال ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون العروج هو الصعود والمعنى لا يصعد اليه ذلك الامر به خالصا الا في مدة مقدارها لقلة الطاعات الخالصة عند الله تعالى للاستطالة لانها نهاية العقود ولان الاستبعاد ويدل على هذا الوجه قليلا ما تشكرون او قليلا من الذين كانوا من السماء الى الارض فالامر بمعنى الشان والعروج مجاز عن الثبوت في صحف الملائكة والمعنى انه لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة تدبر لشان الدنيا ثم على التدريج يقع

ملك الموت الذى وكل بكم لا كما تزعمون تموت وتحيى وما يهلكنا الا الدهر
ولا يناوهذا قوله تتوفيهم الملائكة لانهم اعوانه قيل بين عمرو الروح
الى الحلقوم فاذا بلغه قبضه ملك الموت والتوفى اخذ الشئ بتمامه
وكذا الاستيفاء لان التفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا ثم الى
ربكم ترجعون للمجازات ولو ترى يا محمد او يا من يتاتى منه الرؤية
اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الخجل والحزى لرايت امرا
قطيعا والمراد وجود الرؤية فلا يقدر له مفعول ويجوز ان يكون تمنيا
لرسول الله ليشمت بهم حين يجزع العصاص ولو اذ وان اختصا بالماضى
الا ان المترقب فى كلامه تعالى كالثابت قطعا ربنا ابصرنا وسمعنا
ابصرنا ما وعدته وسمعنا تصديق رسلك منك او كنا عميا وصما
فابصرنا وسمعنا فلا يقدر مفعول فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
اذ لا علم اجلى من المشاهدة ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ما تهتدى
به الى الايمان بخلق قدرة الطاعة فيها ولكن حق القول منى ثبت
وتحقق الحكم ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين هذا لازم لذلك الحكم او القول هو هذا
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم اى بتركم النظر والتدبر فيه ترك الناسى
هذا اى ما لكم فيه من الخزى مفعول ذوقوا وقيل صفة يومكم والاية
صريحة فى ان الله لم يرد ايمانهم بناء على التوسط الذى هو مناط التكليف
وكون الامرين الامرين لاجبر ولا قدر انا نسيناكم تركناكم فى العذاب
ترك المنسى وفى الاستيناف وبناء الفعل على ان واسمها اشارة
الى شدة الانتقام وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون من الكفر
وسائر المعاصى الخطاب للمشركين فلا مدخل فيه اصحاب الكبائر انما
يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا وفى ايثار التذكير اشارة
الى انها من الوضوح بحيث لا يحتاج الى تامل خروا سجدا لله و
فى لفظ الخرور اشارة الى انهم لم يتمالكوا حين ذكروا وسبحوا
قد سوا الله عما لا يليق به بحمد ربهم ملتبسين بحمده على التوفيق
وهم لا يستكبرون تصريح بما علم وتعريض بالمشركين تتجافى
جنوبهم عن المضاجع ترتفع وتنبعد مستمرين على ذلك يدعون
ربهم خوفا من عقابه وطمعا فى ثوابه عن اسماء بنت زيد قالت
قال رسول الله اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة نادى
منادبصوت يسمع الخلائق سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم

ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم فيقومون وهم قليل
ومما رزقناهم ينفقون فى وجوه الخير جمعا بين انواع ما يتقرب به
فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين مما يقر به اعينهم والفاعل
هو الله تعالى وانما ابهم لعدم ذهاب الوهم الى الغير وقرا حمزة اخفى
بسكون الياء مضارع اخفى وما موصولة او استفهامية والعلم
بمعنى المعرفة جزاء بما كانوا يعملون اى تجزوا جزاء او اخفى جزاء
وعن الحسن اخفوا عن الناس اعمالهم اخفى الله جزاءهم لم يطلع عليه
لا نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اعددت لعبادى الصالحين ما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه
اقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس فمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
خارجا عن الدين ردا لما كانوا يزعمون ان لو كان بعث فنحن احسن
حالا من هؤلاء الصعاليك قياسا للدار الاخرة على الدنيا وعن عطاء
ابن يسار والسدى انها نزلت فى على بن ابى طالب وعقبة بن ابى معيط
وقيل فى على والوليد بن عقبة وليس بصواب لان المراد بالفاسق هنا
الكافر ولان السورة مكية فنزول الاية بعد بدل غير مستقيم
لا يستوون فى الرتبة وجمع الضمير باعتبار المعنى امنا الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى لا انها دار الاقامة فهى المأوى
حقيقة والدنيا كمنزل المسافر وقيل جنة المأوى جنة تحضر عندها
يمين العرش تاوى اليه ارواح الشهداء نزلا طعاما يعد للنازل
ثم صار عاما فى كل عطاء بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم واما
الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا
فيها فهم خالدون فيها لما فى كلما من التكرار وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار الذى كنتم به تكذبون يقال لهم هذا زيادة فى العذاب
بتوفير حظ حاسة السمع كقول ابى نواس لا تسقنى خمرا وقل لى
هى الخمر ولنذيقنهم من العذاب الادنى فى الدنيا من القحط والاسر
دون العذاب الاكبر اى عذاب الاخرة لعلهم يرجعون بالتوبة
وعن مجاهد العذاب الادنى عذاب القبر ومعنى لعلهم يرجعون يطيعون
الرجوع من باب قالنقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا او
الترجى راجع اليهم ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها اى
لا اظلم منه ونم لاستبعاد الاعراض مع الجلاء كقول الحماسى يرى

غمرات الموت ثم يرورها ﴿ تأمن المجرمين منتقمون ﴾ طرا فكيف بأظلهم
﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ كما آتيناك فلست ببدع من الرسل ﴿ فلا
تكن في مرية من لقائه ﴾ من لقاء الكتاب وأن ما اوتيته نظرما اوتي موسى
وقيل لقاء موسى الكتاب وقيل من لقائك موسى يوم القيمة أو ليلة
الاسراء والاول هو الوجه لقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ﴿ وجعلناه هدى لبني اسرائيل ﴾
اى كتاب موسى أو موسى ﴿ وجعلنا منهم ائمة يهدون ﴾ الناس بامرنا
بتوفيقنا أو بامرنا اياهم بذلك وفي الحديث اخذ الله العهد على العلماء
كما اخذ على الانبياء ليبيننه للناس ولا يكتمون ﴿ لما صبروا ﴾ على الطاعات
وقرا حمزة والكسائي لما بكسر اللام وتخفيف الميم اى لصبرهم ومال
الوجهين واحد ﴿ وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ لتدبرهم فيها وكانوا احقاء
بالامامة لكمال قوتهم العلمية والنظرية وتقديم الاول لكونه المقصود
من العلم ﴿ إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة ﴾ فيما كانوا فيه يختلفون
اى يميز بين المحق والمبطل من سائر الامم أو من بني اسرائيل أو لهذه
لهم اى لاهل مكة عطف على مبنوى مثل لم يكشف والفاعل ما دل عليه
﴿ كم اهلكنا من قبلهم من القرون ﴾ اى كثرة للمهلكين أو هذا الكلام
يضمونه كقولك لا اله الا الله ليعصم الدماء والاموال وقيل فيه ضمير الله
﴿ يمشون في مساكنهم ﴾ في اسفارهم وهي مساكن عاد وثمود وقوم لوط
﴿ إن في ذلك لايات ﴾ فلا يسمعون سماع تدبر فان قلت كان الظاهر
بعد ذكر المشي في مساكنهم ورؤية عضب الله تعالى فلا يبصرون قلت
تلك الرؤية كانت وقت مرورهم وقد ذهلوا عنها فلما ذكرهم اياها
حذرهم الذهول عنها بان حثهم على سماع الايقاظ ﴿ أو لم يروا أنا
نسوق الماء الى الارض الجرز ﴾ التي تقطع نباتها لعدم المطر من جرز
الشيء قطعه لا الارض التي لا شيء لقوله فنخرج به زرعا والمراد
كل ارض هذه صفتها وعن ابن عباس ارض اليمن وذلك لانها مربع انعام
اهل مكة ﴿ تأكل منه انعامهم ﴾ من التبن والاوراق ﴿ وانفسهم ﴾
من الحب والثمر ﴿ أفلا يبصرون ﴾ ابصار اعتبار فيستدلون به على ان
من قدر على ذلك قدر على الاحياء ﴿ ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم
صادقين ﴾ يوم الفتح يوم القيمة لقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا
من القياحة وهي الحكم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة وعلى هذا معنى قوله
﴿ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ﴾ هم

المقتولون في ذلك اليوم وانطبق هذا الجواب على سئوالهم من حيث
التهكم والاستهزاء بهم كما كانوا يستهزؤن في سئوالهم واستعجالهم
فكانه قال كما في بكم وقد جاء ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه ايمانكم ولا
تنظرون اذا استنظروكم ﴿ فأعرض عنهم ﴾ بلغت الغاية القصوى من
التبليغ والانذار ﴿ وانتظر ﴾ النظر الموعود ﴿ إنهم منتظرون ﴾
ما تمنيهم انفسهم من العاقبة والغلبة تمت السورة والحمد لله
على الائه الموفورة والصلوة على محمد ذي الايات المشهورة ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها النبي اتق الله ﴾ لم يناده الا ملقبا بما يدل
على رفعه محله من الرسول والنبي والمزمل بخلاف سائر الانبياء من قوله
يا موسى ويا آدم اجلالا له واياذكر اسمه في قوله محمد رسول وقوله
وما محمد الا رسول فللحكم عليه بالرسالة الا يرى الى قوله لعد جاءكم
رسول وقوله آمنوا بالله ورسوله اتق الله دم على التقوى وازدد
اذ المسافة غير متناهيه ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ روي ان
ابا الاعور السلمي وابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل قدموا
المدينة فنزلوا على ابن ابي ابن سلول المنافقين وجد بن قيس فقالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا دع ذكر اللات والعزى وقل ان لها
شفاعة ففعل عمر يا رسول الله ايذن لي في قبلهم فقال قد اعطيتهم
الامان فنزلت وقيل نزلت في بني قريظة والنضير وبهود بني قينقاع
كان ناس منهم آمنوا على النفاق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلين لهم الجانب ويتجاوز عنهم اذا اتاه قبيح منهم وقيل ان اهل مكة
دعوا رسول الله الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان
يزوج ابنة ربيعة ابنته ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ بما هم
فيه من الكفر حكيما في عدم معاجلتهم بالعذاب ﴿ واتبع ما يوحى اليك
من ربك ﴾ لا تعدل عنه تاكيد للنهي ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾
فيوحي اليك ما تصلحون به اعمالكم وانتم وقرا ابو عمرو بالياء
﴿ على الله وكيل للكافرين والمنافقين ﴾ وتوكل على الله في مجامع امورك
﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ حافظا موكولا اليه الامور ﴿ ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قام يوما يصلي والمنافقون يصلون معه فسهى

في صلوته فقال المنافقون ان له قلبين قلب معكم وقلب مع اصحابه
وعن الزجاج ان عبد الله بن حنطل كان يقول ان لي قلبين وقيل هو
ابو معمر وكان من احفظ العرب وقيل هو جميل بن اسد الفهري فلما
انهزم المشركون يوم بدر ولقيها ربها بابي سفيان فقال ما فعل
القوم قال هم بين مقتول وهارب وكان قد علق احدى نعليه في يده
والاخرى في رجله فقال له ما بال احدى نعليك في يدك فقال ما ظننت
انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وجعل ذلك اصلا بنى عليه
شيئا ان لاحقيقة لهما وهما التبني والظهار وذكر الجوف لزيادة
التصوير وتقوية الانكار وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون
منهن امهاتكم كان الظهار في الجاهلية طلاقا وحقيقة ان يقول
الرجل لزوجته انت علي كظهر امي او كالامي سائر المحارم فاخبر الله
تعالى بان ذلك القول لا اصل له ولم يثبت له حكم في علم الله تعالى كما لم
يتعلق ارادته بخلق القلبين في جوف وقيل لان هذا يؤدي الى التناقض
وان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل ولان اللام محذوفة
والزوجة خادمة لان الراسين قوى والكل ولكون الحسن شرعيا للضمن
الظهار معنى التجنب عدي بمن قرا الكوفيون وابن عامر واللائي بهمزة
مكسورة بعدها ياء ساكنة على الاصل والباقي فروعه بعتبر ما وروش بهمزة
مكسورة مسهلة في الوصل ويقف بياء ساكنة ولابي عمرو والبزي وجهان
الياء الساكنة ومجانسة الكسرة وقرا قالون وقنبل بهمزة مكسورة لا ياء
بعده وقرا ابو عمرو والحرميان بفتح التاء في تظاهرون والهاء وتشديدها
والظاء بلا الف وابن عامر بالفتحتين وتشديد الظاء وتخفيف الهاء
والف بينهما وعاصم بضم التاء وكسر الهاء وتخفيفها والف بينهما و
حمزة والكسائي بالفتحتين والاول وتخفيف الهاء فيهما والوجه في
الكل واضح لكن التخفيف اشهر وما جعل ادعياءكم جمع دعي وهو
الذي يدعى ابنا من غير ولادة وهذا هو المقصود من سوق الكلام وذلك
ان رسول الله كان دعا زيد بن الحارثة ابنا قبل النبوة لانه كان قد سبي
ووقع في يد حكيم بن الحزام فوهبه لخديجة رضي الله عنها فوهبته
له لما تزوجها بعد ايام ابوه وعمه في طلبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخيره فلما طلباه منه قال رسول الله نخيره فان اختاركم فهو لكم
وان اختارني دعوه قالوا رضينا ظنا منهم بانه لا يختار على الله
احدا فلما خيره اختار رسول الله وقال اني رايت منه شيئا لم ارى منه

احدا من ابويه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد زيد واخرجه
الى المسجد الحرام ونادى يا معشر قريش ان زيد بن الحارثة بني فلما
تزوج زينب قدح المنافقون وقالوا كيف يتزوج زوجة ابنه وهو ينهى
عن ذلك فرد الله ذلك بان الادعياء ليست ابناء ذلكم قولكم بافواهكم
من غير ان يترتب عليها مر في الاحكام الشرعية والله يقول الحق
وسواه باطل وهو يهدي السبيل طريق الجنة وقد اوقع النظم في
رد مقالهم احسن موقع وذلك بان بناء على قضيتين هما كالشاهدين
مسلمتين عندهم ثم اتى بالعدلكة للدلالة على ان الثالث معهما ملزوم
في قرن بلا انفصام ثم ذيل الكل بقوله والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل تاكيدا على تاكيد وتمهيدا لما بعده من قوله ادعوهم لابائهم
الى اخر السورة فانه تفصيل لقوله الحق وهداية السبيل هو
اقسط عند الله اي النسبة الى الاباء هو القول الصواب باسم التعضيل
اريد به الزيادة المطلقة فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين
لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة ومواليكم واوليائكم فيه فقولوا
يا اخي يا مولاي وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به قبل ورود النهي
او بعده على سبيل الخطاء وسبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم
مجرور وعطف على ما اخطاتم او مبتداء خبره محذوف اي ولكن ما تعمدت
قلوبكم فيه الجناح ويجوز ان يراد العموم في الخطا والعمد كقوله
صلى الله عليه وسلم لا اخطا اخشى عليكم ولكن العمد وعلى الوجهين
ذكرها يؤكد امتثال ما ندبوا اليه وكان الله غفورا للمخطئ رحيما
بقبول توبة العائد النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فيجب عليهم
وقايته بالارواح والمهج وايثار رضاه على رضاهم ولذلك حرم
مرغوبته على زوجها وفي الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من والده وولده والناس اجمعين وهذا دفع لما عسى يقال وان لم يكن
ادعى ابنا فليس في المرؤة نكاح زوجته او المعنى ارافتهم من انفسهم
لما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
مؤمن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة فاقراوا ان شئتم
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته
من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فلياتني فانا مولاه وازواجه
امهاتهم في الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح لا في تحريم بناتهن
وامهاتهن وفي قراءة ابي وهو اب لهم وقيل لا يقال لزوجة الله

ابو المؤمنين لقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وَالصواب الاول
وَاولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى التوارث نسخ توارث الموالاة
بين المهاجرين وَالانصار فى كتاب الله فى اللوح اَوْ فى القرآن وَهِىَ
اية الانفال اَوْ هذه الاية مِنَ المؤمنين وَالمهاجرين مِن بيانية اى
اولوا الارحام الذين هم هؤلاء بعضهم اَوْ لا ببعض فى التوارث من الاجانب
اَوْ ابتدائية اَوْ تبعيضية اى اولوا الارحام الكائنين من هؤلاء اوهم
بعضهم الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا بروا احسانا استثناء
من اعم العام كقوله لانشد الرجال الا الى ثلثة مساجد وَالمراد بالاولياء
المؤمنون وَالمهاجرون من اقامة المظهر مقام المضمر على تقدير الابتداء
وَالتبعيض دون البيان لان الاجانب مدلول عليهم سباقا اذ ذاك
كان ذلك فى الكتاب مسطورا اى المذكور من الاحكام وَالكتاب وَما ذكر
انفا وَاذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اى اذكر والميثاق اخذ العهد
عليهم بان يبلغوا رسالته وَمنك وَمن نوح وَابرهيم وَموسى وَعيسى ابن
مريم هؤلاء اولوا العزم من الرسل افرادهم بالذكر تنبيها على عظم شانهم
وَقدم سيدهم اشارة الى انه المقدم رتبه وَان تاخر زمانا وَعن الزجاج
هو اَوْ لهم خلقا وَان كان اخرهم بعثا وتاخره فى قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا لان المراد بيان اصالة دينه وقدم عهده وَاخذنا
منهم ميثاقا غليظا هو ذلك الميثاق استعاد له الغلظ من الاجرام
اجلالا لاله وَقيل هو العهد المؤكد باليمين ليسئل الصادقين عن
صدقهم اى الانبياء عن صدق عهدهم فى اداء الرسالة اَوْ عن تصديق
الامم اياهم تبكيت لمن كذبهم وَضع المظهر موضع المضمر مدحا للرسل
بالصدق اَوْ المؤمنين الذين صدقوا فى عهدهم حين اشهدهم على انفسهم
الست بربكم ليشهدهم الانبياء بوفاء العهد وَاداء الامانة التى
حملوها اَوْ تصديقهم الرسل فان تصديق الصادق صدق وَاعد للكافرين
عذابا اليما عطف على اخذنا من النبيين معنى لان التقدير اكد الله
العهد على الانبياء فى اداء الرسالة لاثابة المؤمنين وَاعد للكافرين
عذابا اليما اَوْ على ما دل عليه ليسئل الصادقين كانه قال فاثاب هؤلاء
وَاعد لهؤلاء وَذلك لان سئوال الصادقين عن صدقهم اثابة لهم
وَعنوان كل خبر اذ لا يسئال المجرمون يوم ند يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود قريش وَقائدهم ابو سفيان
وغطفان وَقائدهم عيينة بن حصن وانضم اليهم بنو قريظة وَالنضير

من اليهود وَذلك فى شوال سنة خمس من الهجرة وَسبب هذا الاجتماع
ان رسول الله صلى الله عليه وَسلم اجلى بنى النضير من المدينة الى خيبر
فذهب شرافهم الى ابى سفيان وَاتفقوا على حرب رسول الله وَبذلوا
فى ذلك وسعهم فاتوا وَاحاطوا بالمدينة وَامر رسول الله صلى الله عليه
وَسلم بحفر الخندق حول المدينة باشارة سلمان الفارسى فارسلنا
عليهم ريحا وَجنودا لم تروها وذلك بعد ان اقاموا على محاصرة رسول الله
صلى الله عليه وَسلم قريبا من شهر فارسل الله عليهم ريح الصبا وَالقا
من الملائكة فكبروا حول عسكرهم وَقطعوا اطناب خيامهم وَالقوا
قدورهم وسفت الريح فى وجوههم والقى فى قلوبهم الرعب فقال
طلحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر النجا النجا فنادوا
بالرحيل وَانصرفوا خائبين وَكان الله بما تعملون بصيرا لا يخفى عليه
شئ اذ جاءوكم من فوقكم من اعلى الوادى بنو غطفان من شرقى
المدينة وَمن اسفل منكم من جهة الغرب وَهم قريش وَكنانة قاعدوا
كثيرا قريبا من اثنى عشر الفا وَخرج رسول الله صلى الله عليه وَسلم
فى ثلثة الاف وَاسند ظهره الى سلع وَجعل الذرارى وَالنساء فى اطام
المدينة وَاذ زاغت الابصار عن مستوى نظرها حيرة او مالت عن
كل شئ وَشخصت نحو العدو وَبلغت القلوب الحناجر جمع الحنجرة
وهى منتهى الحلقوم وَهذا مثل اضطراب القلوب من شدة الخوف وَقيل
اذا خاف الانسان اَوْ غضب انتفخت الرية وَارتفعت الى الحنجرة وارتفع
القلب بارتفاعها وَتظنون بالله الظنونا يظن المؤمنون ان الله
سينجز ما وعده رسوله من النصر وَلكن خايفون ضعف الاحتمال
وَالمنافقون يظنون ان الكفار يستاصلون محمدا وَاصحابه حتى
قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا ان نكون كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر
ان يذهب الى الغائط اَوْ المؤمنون الذين فى ايمانهم ضعف وليس لهم
فيه قدم راسخ يقولون لو كان الله اراد نصر المؤمنين لما بلغ الامر
فى الشدة والضيق هذا المبتلع وَابو عمرو وَحمزة الظنونا
بالقصر فى الحالين وَابن كثير وَحفص وَالكسائى بالقصر وَصلا وَالمد
وَقفا وَنافع وَابن عامر وَابو بكر بالمد فى الحالين مناسبة للفواصل وَعليه
الرسم وَالقصر هو الاصل هنالك ابتلى المؤمنون امتحنوا فامتاز
الثابت من المتزلزل وَزلزلوا زلزالا شديدا روى مسلم باسناده
الى حذيفة بن اليمان ان رسول الله صلى الله عليه وَسلم قام يصلى

تلك الليلة انى رحلت الاضطراب ثم قال من تأتنى بخبر القوم ويكون له
الجنة حتى اعاد الكلام مرارا فلم يجبه احد ثم قال لى يا حذيفة فلم اجد
بدا من الجواب فمت وبى من البرد والجوع ما لا يعلمه الا الله فقال يا حذيفة
ادخل فى القوم وانظر ما يفعلون ولا تحدث شيئا قال فمت ومشيت
كانما امشى فى الحمام ولا ارى اثر الجوع فلما دخلت فيهم رأيت ابا سفيان
يصلى ظهره بالنار فوضعت سهما فى كبد القوس ثم ذكرت قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تحدث شيئا فرجعت واخبرت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فضل عناءة كان يصلى فيها فمت حتى الصباح فقال لى رسول
الله قم يا نومان وَاِذْ يَقُولُ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
من عطف الصفات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام او من فى قلبه
مرض وضعف اعتقاد مٰا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ اِلَّا غُرُورًا باطلا لا
حقيقة له وَاِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يٰا اَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ قاله
اوس بن قيظى ومن وافقه على رأيه وعن السدى قاله ابن ابى ويثرب اسم
المدينة فى الجاهلية سميت باسم رجل من العمالقة نزل بها ثم ورد النهى
عن تسميتها بذلك ورسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم طابة
وقرأ حفص مقام بضم الميم من الاقامة والباقون بالفتح وهذا ابلغ
والمعنى لا قيام لكم اولا اقامة اولا امكان لكم عند رسول الله فى وجه
العدو فارجعوا الى بيوتكم او فارجعوا عن دينه واسلموه الى عدوه
وَيَسْتَاْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِىَّ يَقُولُونَ اِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ اى معرضة
للعدو واصل العورة كل عيب وخلل يستحيى منه وما هِىَ بِعَوْرَةٍ
تكذيب من الله لهم اِنْ يُرِيدُونَ اِلَّا فِرَارًا من القتال وَلَوْ
دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ اَقْطَارِهَا من جوانب المدينة ولم يذكر الفاعل
اذ لم يتفاوت الحال سواء كان الداخل هؤلاء او غيرهم ثُمَّ سُئِلُوا
الْفِتْنَةَ الردة عن الاسلام لاتوها لاعطوها وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا
اِلَّا يَسِيرًا زمنا سئلوا لعدم دوقهم حلاوة الايمان او لم يلبثوا
فى المدينة بعد الردة الا زمانا يسيرا ويقلع الله شافهم وقرأ
الكوفيون وابو عمرو وابن عامر آتوها بالمد بمعنى الاعطاء والقصر
ابلغ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْاَدْبَارَ هم بنو
حارثة لما نزل فى الغازين يوم احد ما نزل عاهدوا الله ان لا يفروا
بعدها وقيل هم السبعون الذين عاهدوا ليلة العقبة ان يمنعوا

عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ مَا يَمْنَعُونَ عَنْ اَنْفُسِهِمْ وَقِيلَ هُمْ طَائِفَةٌ غَابُوا عَنْ
بَدْرٍ عَاهَدُوا اللّٰهَ تَعَالَى لَئِنْ حَضَرُوا قِتَالًا لَيُقَاتِلُنَّ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَكْشِفُوا الْكَرْبَةَ عَنْ وَجْهِهِ وَالْكُلُّ خِلَافُ الظَّاهِرِ
وَالْمُطَّهَّرَاتُ فِى الْمُنَافِقِينَ وَكَانَ عَهْدُ اللّٰهِ مَسْئُولًا عنه للمجازاة
قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ اِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ اَوِ الْقَتْلِ اذ الموت لا بد منه اما
حتف انف او قتلا وَاِذًا لَا تُمَتَّعُونَ اِلَّا قَلِيلًا جواب وجزاء اى وان
نفعكم الفرار لا يكون ذلك الا زمانا قليلا لا يرغب الناقل فى مثله
قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّٰهِ اِنْ اَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا اَوْ اَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً اى
لا احد يقدر على خلاف مراده وكان اصل الكلام او يصيبكم بسوء ان
اراد بكم رحمة كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاختصر الكلام او حمل الثانى
على الاول لما فى العصمة من معنى المنع وهذا مقرر ومؤكد لعدم نفع الفرار
وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا فى حال من الاحوال
قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ المانعين من العوق وهو المنع والتفعيل
لتكثير الفعل والمبالغة فيه وقد للتحقيق وهم المنافقون المثبطون
للمسلمين عن القتال وَالْقَائِلِينَ لِاِخْوَانِهِمْ من اهل المدينة من الانصار
هَلُمَّ اِلَيْنَا قربوا انفسكم منا وتمتعوا بظل الاشجار واكل الثمار وما
محمد واصحابه الا اكلة راس وهلم اسم الفعل يطلق على الواحد وما فوقه
عند اهل الحجاز وعند تميم يثنى ويجمع وَلَا يَاْتُونَ الْبَاْسَ اِلَّا قَلِيلًا
الا اتيانا قليلا يوهمون بذلك انهم مع المؤمنين اَشِحَّةً عَلَيْكُمْ
بخلاء بالمعاونة والانفاق فى سبيل الله وقيل اضناء بكم مشفقين
عليكم محسنين كما يفعله الذاب عن المناضل عنه والشح ابخل الناقاربه
للحرص ونصبه على الحال او الذم فَاِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَاَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ
اِلَيْكَ تَدُورُ اَعْيُنُهُمْ اجفانهم لا يستقر فى مكانها من شدة الخوف
كالذى يغشى عليه من الموت كمن وقع فى سكرات الموت فَاِذَا ذَهَبَ
الْخَوْفُ وَحِيزَتِ الْغَنَائِمُ سَلَقُوكُمْ بِاَلْسِنَةٍ حِدَادٍ استقبلوكم بالغين
السلق رفع الصوت ومنه فى الحديث لعن الله الحالقة والسالقة اَشِحَّةً
عَلَى الْخَيْرِ على الغنيمة كانها عين اموالهم ويقولون لولا نحن وشوكتنا
لم تظفروا بشئ نصب على الحال ايضا او على الذم اولئك الموصوفون
لَمْ يُؤْمِنُوا قط لان الايمان فعل القلب فَاَحْبَطَ اللّٰهُ اَعْمَالَهُمْ لم يثبتها
وجعلها هباء منثورا لعدم الاساس وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا
لكونها حقيقة بالاحباط لا صارف عنه يَحْسَبُونَ الْاَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا

وحمزة ومصعب بن عمير النحب النذر اريد به الموت لانه لازم لزوم النذر
ومنهم من ينتظر كطلحة وعثمان والزبير وما بدلوا تبديلا كما فعل
المنافقون الذين عاهدوا الله من قبل ليجزي الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم متعلق بالمثبت والمنفي
على سبيل النشر والمعنى قصد الذين صدقوا بصدقهم العاقبة الحسنى
والمبدلون العذاب وعكس ذلك وجعل التبديل للعذاب مجازا كقوله
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وبعد الاستعارة اصلا
في سلك الحقيقة ان الله كان غفورا لما فرط من الصادقين رحيما
بقبول توبة المنافقين ان تابوا ورد الله الذين كفروا اى الاحزاب
بغيظهم ملتبسين به لم يبلغوا مرامهم لم ينالوا خيرا قط بوجه مع ما
خسروا من الاموال ومشاق التسفر ولو ها ربين بيان لسبب الغيظ
وكفى الله المؤمنين القتال بارسال الريح والملائكة عليهم وهذا زيادة
امتنان على المؤمنين حيث انجاهم من تلك البلية العظمى من غير حول
منهم ولا قتال وكان الله قويا عزيزا ذا قوة بالغة لا يغالب وانزل
الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اعانوهم وهم بنو قريظة كانوا معاهدين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد من صياصيهم من
حصونهم جمع حصيصه وهي ما يدفع به الشيء ويحصن ولذلك يقال
لقرون البقر صياص وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون
فريقا تقتلون الكبار وتسبون الصغار والنساء وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من مقاتلة الاحزاب ودخل بيته اتاه جبريل
رضي الله عنها ووضع السلاح وشرع يغتسل جاءه جبريل معجلا اليه
فقال او وضعت السلاح قال بلى فقال لكن الملائكة لم تضع السلاح وما
الان رجوعي من طلب القوم اخرج اليهم واشار الى بني قريظة وكان
بعد صلوة الظهر فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير اليهم
وقال لا يصلين اليهم العصر الا في بني قريظة فصلى بعضهم في الطريق
وقالوا لم يرد الا سرعة النهوض اليهم فلم يصل اخرون احتجاجا لقوله
فلم يعنف على احد فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار
فرضوا بان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه يرجون ان
يستطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل ابن ابي ببهود بني
قينقاع وكان سعد قد خرج يوم احد في اكحلة فاتوا به وكان على حمار فلما
قرب قال رسول الله اجلالا وقال قد حكمت بان تقتل مقاتلهم وتسبى

وقد ايقنوا بدنها بهم وذلك من غاية جبنهم وعليه الوهم على النفوة العالية
وان ياتي الاحزاب مرة اخرى يودوا لو انهم بادون في الاعراب
سائلون اليد وبين الاعراب لا يبالون بفرا قكم والمال والوطن يسئلون
عن انبائكم كل قادم من جانب المدينة او يسال هؤلاء القائلون
لاخوانهم هلم الينا عما جرى بينكم وبين الاحزاب ولو كانوا فيكم
في جيشكم حاضرين ما قاتلوا الا قليلا رياء او خوفا ثم يفرون
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الاسوة ما يتاسى به اى
يقتدى والمعنى انه في نفسه اسوة حسنة اى قدوة كما تقول في البيضة
كما منا من الحديد اى هي في نفسها عشرون منا او فيه خصلة من حقها
ان يتاسى بها وقراعاصم بضم الهمزة وهي لغة تميم والكسر لغة الحجاز
الفصحاء لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اى يامل ثوابه او يخاف
عقابه وخصوصا اليوم الاخر فان هوله شديد والجار صلة حسنة لا
اسوة لان المصدر الموصوف لا يعمل او مع المجرور ربدل من لكم بدل بعض
اى لمن كان يرجوا الله منكم وامتناع الابدال من المتكلم والمخاطب انما
هو في بدل الكل وايضا ذلك في الابدال عن الضمير وهذا ابدال الجار
والمجرور وذكر الله كثيرا في احيانه جامعا بين الرجاء والذكر وهذه
كانت صفة المقتدى به صلى الله عليه وسلم فيحصل بها كمال التاسي
ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله بقوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ورسوله حيث
قال ان الاحزاب سايرون اليكم في اخر شهر ليال او عشر فلما راوهم
وزلزلوا زلزالا شديدا ايقنوا بالنصر والعاقبة وصدق الله ورسوله
اى ظهر صدقهما فيما وعدا وايثار المظهر في الاسمين للاشتلذاذ ولاسناد
الصدق الى الصريح ابلغ وما زادهم ذلك الا ايمانا بصدق
وعد الله وتسليما لقضائه وانقيادا له من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه لما ذكر صدق وعده اردفه بذكر صدق العهد من
عباده الذين قد تخلقوا باخلاقه نزلت في انس بن النضر لم يكن شهد
بدرا فقال اول مشهد شهده رسول الله عنبه لئن شهدت معه مشهدا
اليمن الله ما اصنع فلما كان يوم احد نادى سعد بن معاذ يا ابا عمرو
واها لريح الجنة اجدها من قبل احد قال سعد فما قدرت ان اصنع مثل
ما يصنع فلم افدر فقتل شهيدا قالت اخته ما عرفته الا ببنانه ووجد
فيه بضعا وثمانين من ضربه وطعنه فمنهم من قضى نحبه كانس

ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكم
بحكم الله فوق سبع ارقعة ثم امر بالاخاديد فخدت في الارض ثم قدمهم
وضرب اعناقهم وكانوا بين سبع مائة الى ثمان مائة واورثكم ارضهم
بلادهم وديارهم بيوتهم واموالهم سائر ما يملكون من الصامت
والناطق وارضا لم تطئوها بعد بشارة بفتح مكة وقيل خيبر
وقيل فارس والروم انها كل ارض بفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل
شئ قديرا لا يعجزه شئ يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحيوة الدنيا وزينتها اى متاع الحيوة الدنيا وزخارفها فتعالين
امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن اطلقكن سراحا جميلا من
غير بدعة ولا مضارة عن جابر رضي الله عنه انه ابا بكر وعمر رضي الله
عنهما دخلا على رسول الله دخوله نساؤه وهو واجم فقال عمر لاقولن
كلاما اضحك به رسول الله فقال يا رسول الله لو رايتني اليوم وقد
سالت بنت زيد نفقه فقمت فوجات عنقها فقال رسول الله صلى الله
ومن حولي يطلبن النفقه فقام ابو بكر الى عايشة وعمر الى حفصة يريدان
ضربهما فنهاهما رسول الله فنزلت فبدا بعايشة وقال يا عايشة اني
ذاكر لك امرا فلا تستعجلي حتى تستامري ابويك فلما تلى عليها الاية قالت
في هذا استامر ابوي اني اختار الله ورسوله وقالت له لا تذكر لازواجك
اني اخترت الله ورسوله فقال لا تسالني واحدة الا اخبرتها انما بعثني
مبلغا ولم ابعث معنتا والتخيير نفسه ليس بطلاق لقوله عايشة خيرنا
رسول الله فلم يكن ذلك طلاقا وانما اذا اختارت نفسها قبل الاستفتاء
بما يدل على الاعراض فطلقه رجعية عند الشافعي وبائنة عند ابي حنيفة
رحمهما الله وعند الاستمتاع حيث مهرها وكان كل المهر وعند ابي حنيفة
رحمه الله اذا لم يكن مدخولا بها ولم يعرض لها في العقد بشئ متعها واجبة
وسائر المطلقات مستحباته وتقديم المتعة على التسريح المسبب
عنه اهتماما بما هو من محاسن الاخلاق وان كنتن تردن الله ورسوله
والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن من بيان لانهن كلهن
محسنات واثبات المظهر موضع المضمر للدلالة على اختيارهن الله و
رسوله ايذان بالحسنى اجرا عظيما لا يحاط به ولا نسبة بينه وبين
زخارف الدنيا يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة كبيرة مبينة
يضاعف لها العذاب ضعفين اذ الذنب منهن اقبح وكانوا نهن
يضاعف فكذلك العذاب قرا نافع والكوفيون يضاعف بالياء والفتح

والتخفيف ورفع العذاب وكذا ابو عمرو الا انه قصر وشدد وابن كثير
وابن عامر بالنون والقصر وكسر العين والتشديد ونصب العذاب والباقي
هو المختار لعدم التصريح بالفاعل في تضعف العذاب بخلاف ايتاء الاجر
مرتين المقابل له جزيا على سنن سبق رحمته وكان ذلك على الله يسيرا
لانكن امناء الله واحترامكن انما هو لطاعة الله ورسوله فاذا خرجتم
عن ذلك زال الموجب ومن يقنت منكن لله ورسوله تطع لاوامره
وتعمل صالحا من الاعمال والتذكير في احد الفعلين والتانيث في الاخر
بالنظر الى لفظ من ومعناه نؤتها اجرها مرتين مرة على فعل الطاعة
ومرة لكونها في شرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا حمزة
والكسائي بعمل ونؤتها بالياء باعتبار من في الاول ولفظ الجلالة
في الثاني واعتدنا لها رزقا كريما زائدا على ذلك الاجر تفضلا
يا نساء النبي لستن كاحد من النساء همزة احد اصلية وهو اسم
لمن يخاطب مفردا كان او مذكرا او مونثا والمعنى لستن كجماعة
من النساء ليطابق المشبه لان الغرض تفضيلهن من حيث كونهن نساء
النبي على سائر النساء لا تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة ومثله
لا نفرق بين احد وعامنكم من احد عنه حاجزين ان اتقيتن ان صح
ما توصفن به من التقوى بحق المعلوم مساق المجهول او ان ادرتن
التقوى فكيف وانتم متقيات فلا تخضعن بالقول لا ترخمن اصواتكم
في خطاب الاجانب فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقلن
قولا معروفا قولا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن ملازمات لها فان
فانه افضل واستر وفي الحديث صلوة المراة في بخدعها خير من صلوتها
في بيتها خير في بيتها خير من صلوتها في حجرتها قرا نافع وعاصم قرن
بفتح القاف اما لانه من قر مكسور العين والامر منه اقررن حذفت
الراء الاولى استثقالا لاجتماع حرفين من جنس واحد نقلت حركتها الى القاف ثم حذفت الهمزة
عنها او امر من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع والامر منه قرن بكسر القاف وقرا
الباقون بكسرها من قر يقر بفتح العين يقر بكسرها وحذف الراء
والنقل كما تقدم واما من وقر يقر فامره قرن كعدن من وعد ولا
تبرجن لا يظهرن زينتهن تبرج الجاهلية الاولى قيل هو ما بين نوح
وادريس عليهما السلام وقيل بين ادم ونوح وقيل بين موسى وعيسى عليهما السلام
وقيل بين داود وسليمان عليهما السلام وكانت المراة تلبس درعا
من اللولو وتمشي في وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى

ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام أو جاهلية
في الاسلام تشبه جاهلية الكفر لما في حديث ابي ذر قال سابيت رجلا
فعيرته بامه فقال لي رسول الله اعيرته بامه انك امرؤ فيك جاهلية
قلت جاهلية الكفر قال نعم وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن
الله ورسوله في سائر الطاعات وافراد الصلوة والزكوة بالذكر
لانافة محلهما انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت اي ما
يريد الله بهذه الاوامر والنواهي الا اذهابا للاثام عنكم ولما استعار
الرجس الذي هو النجس للاثم لانه يدنس العرض شحه بقوله ويطهركم
تطهيرا مبالغة في التنفير واهل البيت نصب على النداء او على المدح
وهذا نص على ان نساءه اهل بيته واتفاق الكل على انهن سبب النزول
وما روته ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه كساء
اسود فجاء علي وفاطمة وابناه الحسن والحسين فجلس ولف عليهم الكساء
وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي فلا تقتضي الحصر والحق ان كل من جرمت
عليه الصدقة من نسائه وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس رضي
الله عنهم كلهم داخلون في اهل البيت على ما رواه زيد بن ارقم واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة اي اشكرن هذه النعمة وهي
الكتاب الجامع بين كونه معجزة دالة على النبوة وعلم الشرايع وانتم قارون
في مهبطه وجبر تردد بالوحي خلال منازلكم فمن اولى بالشكر منكم ان
الله كان لطيفا يدق مسالك علمه ولذلك جعل الكلام معجزا خبيرا
ببواطن الامور ولذلك نصبه مع اعجازه مشتملا على الحكم والشرايع
ان المسلمين والمسلمات المنقادين لاحكام الله المتوكلين عليه والمؤمنين
والمؤمنات المصدقين بما يجب التصديق به والقانتين والقانتات
المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل
والصابرين والصابرات على شاق الطاعات وترك المعاصي والخاشعين
والخاشعات المتواضعين لله بالقلوب والجوارح والمتصدقين
والمتصدقات المؤدين الصدقة المفروضة او اعم والصائمين والصائمات
ما فرض عليهم والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات بالقلب واللسان وقد يسر وا فقد سئل
المفردون قالوا يا رسول الله ما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا و
الذاكرات اعد الله لهم مغفرة لما فرطوا منهم واجرا عظيما على
طاعتهم وعن ابي سعيد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افضل

العباد قال الذاكرون الله كثيرا قلت ومن الغازي قال ولو ضرب بسيفه حتى
يكسر ويخضب دما وعن ام سلمة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ذكر الله
الرجال ولم يذكر النساء فما لنا لم نذكر فنزلت وقيل لما نزل في ازواج النبي
ما نزل قالت النساء مالنا لم نذكر فنزلت وعطف الابات على الذكور في الاية
لابد منه لتغاير الذوات والقصد الى الاشتراك في الحكم واما عطف الزوجين
فلا لاتحاد الذوات وكما في قوله تائبات عابدات وانما عطف ايذانا
باستقلال كل من اتصف بتلك الصفات بالخير ويجوز تركه اعتمادا على الاتباع
وشدة الاتصال معنى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله
امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم نزلت في زينب بنت جحش الاسدية
خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فاستنكفت فلما نزلت رضيت بقضاء
الله ورسوله وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم نزلت في ام كلثوم بنت عقبة
ابن ابي معيط اول من هاجرت الى رسول الله بعد الحديبية مع اخيها خطبها
رسول الله لزيد بن حارثة بعد فراق زينب فسخطت هي واخوها وقالا
انما اردنا رسول الله فلما نزلت استسلما لقضاء الله ورسوله وعن
انس بن مالك ان امرأة من الانصار خطبها رسول الله لحليب فابت امها
فقالت لابنتها لا تردوا على رسول الله قد رضيت لحليب فزوجها اياه
فلم يتفق بينهم في الاسلام ما نفقت والمعنى ما صح في الدين مخالفة رسول الله
في مراده وذكر الله للتعظيم والاشعار بان قضاءه قضاؤه وضمائر
جمع الضمير المجرور نظرا الى المعنى لوقوع النكرة في سياق النفي والخيرة
على وزن الغيبة المختار من الشيء يقال محمد خيرة الله في خلقه وقرأ الكوفيون
وهشام عن ابن عامر يكون بالتذكير وهو المختار لكون المؤنث غير حقيقي
مع وجود الفاصل ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا
جليا لا يخفى على احد واذ تقول للذي انعم الله عليه بشرف صحبتك
والاسلام والخروج عن الرق وانعمت عليه بتقريبه ورفع شانه
هو زيد بن حارثة عبده الذي تقدم ذكره امسك عليك زوجك واتق الله
ان رسول الله راى زينب بعدما تزوجها زيد فوقعت في نفسه فقال
سبحان الله مقلب القلوب وكما التي تحتها في قلب زيد
لما اراد الله وقضت الحكمة ان لا يبقى احد تكاح زوجة دعيه ولا
يستقبح فساورة زيد في فراقها فقال له هل رابك منها شيء قال لا
والله ما رايت الا خيرا ولكن تفتخر علي بشرفها فقال لا يفعل امسك عليك زوجك واتق الله
فان الطلاق من غير ضرورة انكر المباحات الى الله وتخفي في نفسك

بلى ما نوا صغارا وما قيل لو عاشوا لكانوا انبياء لا يساعده النقل والعقل
ولكن رسول الله وخاتم النبيين لا نبي بعده وقرا عاصم وخالد بفتح
التاء وهو ما يختم به وقراءة القوم اولى ويؤيدها قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه وختم النبيين وكان الله بكل شيء عليما كامل العلم و
قد علم انه يليق به ان يكون خاتم الرسل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا في غالب الاوقات يعم ذكر القلب واللسان بانواعه وسبحوه
بكرة واصيلا خصوصا في هذين الوقتين الشريفين كالتسبيح فانه
اشرف الاذكار لكونه تنزيها عما لا يليق بكبريائه وقيل العملان موجهان
اليهما وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اريد بالتسبيح الصلوات
الخمس في اوقاتها هو الذي يصلي عليكم يترحم وملائكته لانهم
يستغفرون للمؤمنين مجابوا الدعوة فكانهم مترجمون او اريد
بالصلوة مطلق العناية باصلاح الاحوال وقيل الصلوة لاشتمالها
على الركوع والسجود استعيرت للانعطاف المعنوي والحنو ليخرجكم
من الظلمات الى النور من ظلمة المعصية الى نور الايمان والطاعة
حيث امركم بالذكر واكثاره والتوفر على الصلوة والطاعة وكان
بالمؤمنين رحيما بليغ الرحمة حيث لم يكلف بترحم حتى يشغل الملائكة
المقربين به تحيتهم يوم يلقونه اضافة المصدر الى المفعول واللقاء
بعد الموت او عند الخروج من القبر او عند دخول الجنة سلام احتاد
بالسلامة عن كل مكروه واعد لهم اجرا كريما الجنة وما فيها من
النعيم روي انه لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما خصك الله بشرف الا واشركنا
فيه فنزلت يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم
بالتصديق والتكذيب ومبشرا بالجنة لمن امن ونذيرا بالنار لمن كفر
وداعيا الى الله باذنه بتيسيره وفيه اشارة الى ان الدعوة الى التوحيد
امر صعب لا يتأتى الا بتيسيره فان قلت كونه داعيا الى الله هو عين كونه
مبشرا ونذيرا فما وجه الجمع قلت روعي في الجمع حال المرسل والمرسل اليه
صريحا فان كلا منهما مستلزم للاخر وسراجا منيرا يستضاء به
في ظلمات الجهل وكما عبر نورا للابصار عبر سراجا لان كل واحد منهما
نيرته نور البصائر وانما وصف السراج بالانارة لان من السراج ما لا
يضيء كما اذا قل سليطه ووقت فتيلته وفي كلامهم ثلثة تضيء القلب
رسول بطيء وسراج لا يضيء وما لذة يستطرفها حي وقيل السراج

تكاحها ان طلقها زيد وقيل تعلق قلبه بها وقيل مودته فراق زيد والاول
هو الوجه لقوله ما الله مبديه ولم يبد سوى نكاحها فما روي ان
ابي حاتم عن الامام زين العابدين ان الله كان اعلمه انه سيتزوجها له بعد
فراق زيد فعاتبه الله على قوله امسك عليك زوجك بعد علمه بان ذلك
واقع لا محالة وعن عايشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما
انزل اليه لكتم هذه الاية وتخشى الناس ان يقولوا تزوج امرأة
ابنه والله احق ان تخشاه وقد اعلمك انها زوجتك بعد زيد هذا
على الوجه الاول او ان كان فيه ما تخشى وانوا والمحال وعلى هذا المعاتبة
ليس على الاخفاء وحده فانه مستحسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس
واظهاره خلافا فيما في الضمير فلما قضى زيد منها وطرا حاجة الرجال
من النساء وملها زوجناكها اي بعد انقضاء عدتها وعن الشعبي
ان زينب قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اقول عليك بثلث ليس
احديها في نسائك جدي وجدك واحد وزوجني الله اياك فوق السماء
وجبرائيل كان السفير وقد روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان زينب
كانت تفخر على سائر ازواجه زوجني الله وزوجكن اهاليكن لكي لا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا
علة للتزويج وفيه دليل على ان حكم امته حكمه ما لم يقم دليل وكان
امر الله مفعولا مكونا لا محالة مثل لما اراده من تزويج زينب
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدره سنة الله
في الذين خلوا من قبل اي سن به سنته بالانبياء وهو انه لا حرج عليهم
فيما اباح لهم من النساء والسراري روي ان سليمان كان له ثلثمائة
مهيرة وسبعمائة جارية وكان امر الله اراده اذا تعلقت بشيء
قدرا مقدورا قضاء مسببا وهذا ابلغ من الاول الذين يبلغون
رسالات الله بدل من الذين خلوا او رفع او نصب على المدح وما بينهما
اعتراض وتخشونه ولا تخشون احدا الا الله وحده ليس فيه تعريض
كالطن لانه لم يكن مما اضمره مما امر بتبليغه ولذلك قالت عايشة
لو كتم شيئا لكتم هذه الاية كيف وقد قال انا احشى الناس واتقاهم وهو
اصدق القائلين الذي ما ينطق عن الهوى وكفى بالله حسيبا كافيا
للمخاوف فلا ينبغي ان تخشى غيره او محاسبا على الصغير والكبير ما كان
محمد ابا احد من رجالكم حقيقة يريد ابا الولادة فلا ينافيه التبني
لزيد ولا كونه جد الحسنين واما ابو الولادة المذكور لم يبلغوا مبلغ الرجال

هُوَ الْقِرَانُ وَالْمَعْنَى فَاسْرَاجٌ اَوْ تَالِيًا سِرَاجًا وَيَجُوزُ اَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى الْكَافِ
اَرْسَلْنَاكَ اَىْ اَرْسَلْنَاكَ وَالْقِرَانُ اِمَّا عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِيَّةِ وَاِمَّا مِنْ بَابِ الْمُتَقَلِّدِ
سَيْفًا وَرُمْحًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ عَطْفٌ عَلَى مُقَدَّرٍ اَىْ فَرَاقِبْ اَحْوَالَ اُمَّتِكَ
وَبَشِّرْهُمْ بِاَنَّ لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ فَضْلًا كَبِيرًا عَلَى سَائِرِ الْاُمَمِ وَفِى الْحَدِيثِ نَحْنُ
سَبْعُونَ اُمَّةً اَنْتُمْ خِيَارُهَا اَوْ فَضْلًا زَائِدًا عَلَى مِقْدَارِ الْجَزَاءِ وَلَا تُطِعِ
الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ اُعْدُمْ وَاثْبُتْ عَلَى مَا اَنْتَ عَلَيْهِ تَهْيِيجٌ وَالْهَابٌ
وَدَعْ اِيذَاهُمْ مَا يُؤْذُونَكَ بِهِ لَا يَلْتَفِتْ اِلَيْهِ وَمَا تُؤْذِيهِمْ بِهِ مُجَازَاةً اَوْ
مُؤَخَّذَةً عَلَى الْكُفْرِ مَصْدَرٌ مُضَافٌ اِلَى الْفَاعِلِ اَوْ اِلَى الْمَفْعُولِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ نُسِخَتْ بِاٰيَةِ السَّيْفِ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَاِنَّ فِيهِ كِفَايَةً
وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلًا مَوْكُولًا اِلَيْهِ الْاَمْرُ وَصْفٌ بِخَيْرِ خَلْقِهِ بِصِفَاتٍ خَمْسٍ ثُمَّ
قَابَلَ كُلًّا مِنْهَا بِمَا يُنَاسِبُهُ قَابَلَ الشَّاهِدَ بِالْمُرَاقَبَةِ وَحَذْفُهُ لِاَنَّ مَا بَعْدَهُ
دَالٌّ عَلَيْهِ مُفَصِّلًا وَالْمُبَشِّرَ بِالْاَمْرِ بِبِشَارَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّذِيرَ بِالنَّهْىِ عَنْ
طَاعَةِ الْكُفَّارِ وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ بِهِمْ وَالدَّاعِىَ اِلَى اللّٰهِ بِتَيْسِيرِهِ بِالْاَمْرِ بِالتَّوَكُّلِ
عَلَيْهِ وَالسِّرَاجَ الْمُنِيرَ بِالْاِكْتِفَاءِ بِهِ لِاَنَّ مَنْ فَعَلَهُ نُورًا اَضَاءَ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ
جَدِيرٌ بِاَنْ يُكْتَفٰى بِهِ يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوٓا اِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوهُنَّ النِّكَاحُ لُغَةً الْوَطْىُ وَاِطْلَاقُهُ عَلَى الْعَقْدِ اِطْلَاقٌ عَلَى
عَلَى السَّبَبِ وَقَيَّدَ الْمُؤْمِنَاتِ اِشَارَةً اِلَى مَا هُوَ الْاَوْلَى بِالْمُؤْمِنِ مِنْ اَنْ يُؤْثِرَ
لُطْفَتَهُ وَاَنْ لَا يَجْمَعَ فِرَاشَ وَلِىِّ اللّٰهِ وَعَدُوِّهِ وَلِمَّا لِدَفْعِ مَا عَسٰى يَتَوَهَّمُ
مِنْ اَنَّ طُولَ الْمُدَّةِ يُؤَثِّرُ فِى اِيجَابِ الْعِدَّةِ وَالْمَسُّ كِنَايَةٌ عَنِ الْوِقَاعِ وَجَعَلَهُ
اَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللّٰهُ اَعَمَّ مِنْهُ وَمِنَ الْمَسِّ بِالشَّهْوَةِ وَجَعَلَ الْخَلْوَةَ الصَّحِيحَةَ
قَائِمَةً مَقَامَهُ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا تَسْتَوْفُونَ عَدَدَهَا
مِنْ عَدَدْتُ الدَّرَاهِمَ اَىْ عَدَدْتُهَا لِنَفْسِهِ كَعَوْلَكَ اَكَلَهُ وَاَتْزَنَهُ وَفِى اللَّامِ وَعَلَى
دَلَالَةٌ عَلَى اَنَّ وُجُوبَ الْعِدَّةِ اِنَّمَا هُوَ لِلرِّجَالِ وَكَوْنُهُ مِنْ حُقُوقِهِمْ فَتَسْقُطُ
بِاَحَدِ الْمَهْرَيْنِ كَانَ لَهَا فَرْضًا اَوْ لَا فَالْمُتْعَةُ الْوَاجِبَةُ وَمَنْ جَوَّزَ اِسْتِعْمَالَ
الْمُشْتَرَكِ فِى اَكْثَرَ مِنْ مَعْنًى اَوْ جَمَعَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ فَالتَّمَتُّعُ يَشْمَلُ الْوَاجِبَ
وَالْمَسْنُونَ عِنْدَهُ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا اَخْرِجُوهُنَّ مِنْ غَيْرِ ضَرَرٍ
وَلَا مَنْعِ حَقٍّ يٰٓاَيُّهَا النَّبِىُّ اِنَّآ اَحْلَلْنَا لَكَ اَزْوَاجَكَ اللّٰتِى اٰتَيْتَ اُجُورَهُنَّ
مُهُورَهُنَّ سَمَّاهَا اُجُورًا لِكَوْنِهِ فِى مُقَابَلَةِ الْبُضْعِ وَالتَّقْيِيدُ بِاِيتَاءِ الْاُجُورِ اِنْ
صَحَّ النِّكَاحُ بِدُونِهِ اِشَارَةٌ اِلَى مَا يُشِيرُ الْاَفْضَلُ عَلَى مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ كَمَا فِى قَوْلِهِ
وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ اَفَآءَ اللّٰهُ عَلَيْكَ اَىْ غَنِمَكَ فَاِنَّ الْجَارِيَةَ اِذَا كَانَتْ
مِمَّا غَنِمَهَا بِسَيْفِهِ اَحَلُّ وَاَطْيَبُ مِنَ الْمُشْتَرَاةِ مِنْ سُوقِ الْجَلَبِ وَبَنَاتِ عَمِّكَ

وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ تَوَسَّطَ بَيْنَ الْاِفْرَاطِ فِى التَّفْرِيطِ فَاِنَّ الْيَهُودَ
يَنْكِحُونَ بِنْتَ الْاَخِ وَبِنْتَ الْاُخْتِ وَالنَّصَارٰى لَا يَنْكِحُونَ اِلَّا اَنَاثَ اَعْمَامِهِمْ
اَجْدَادِهِمْ وَاَفْرَادَ الْعَمِّ وَالْخَالِ لِلتَّخْفِيفِ وَاٰثَرَهُمَا بِذٰلِكَ لِلشَّرَفِ نَظِيرَ مَا عُبِّرَ عَنِ
الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ وَفِى ذٰلِكَ اِيمَاءٌ اِلَى الْجَبْرِ النَّاقِصِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ اللَّاتِى
هَاجَرْنَ مَعَكَ مِنْ قَبِيلِ الْاَوَّلِ كَالْقَدَمِ لَا اَنَّ غَيْرَ الْمُهَاجِرَاتِ لَا تَحِلُّ وَقِيلَ
لَمْ تَحِلَّ لَهُ غَيْرُهُنَّ لِمَا رُوِىَ اِبْنُ اَبِى حَاتِمٍ بِاِسْنَادِهِ اِلَى اُمِّ هَانِئٍ اَنَّهَا قَالَتْ خَطَبَنِى
رَسُولُ اللّٰهِ فَاعْتَذَرْتُ اِلَيْهِ فَعَذَرَنِى ثُمَّ اَنْزَلَ اللّٰهُ هٰذِهِ الْاٰيَةَ فَلَمْ اَكُنْ اَحِلُّ
لَهُ لِاَنِّى كُنْتُ مِنَ الطُّلَقَاءِ وَاِمْرَاَةً مُؤْمِنَةً اِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ اِنْ اَرَادَ
النَّبِىُّ اَنْ يَسْتَنْكِحَهَا اَىْ وَاَعْلَمْنَاكَ بِاِحْلَالِ امْرَاَةٍ مُؤْمِنَةٍ اِنْ وَقَعَ اِنْ تَهَبَ
وَاسْتَنْكَحَتْهَا اَنْتَ وَاِيثَارُ لَفْظِ النَّبِىِّ اِشَارَةٌ اِلَى اَنَّ عِلَّةَ هٰذَا الْاِحْلَالِ شَرَفُ
نُبُوَّتِهِ وَلِذٰلِكَ عَدَلَ اِلَى الْخِطَابِ فِى خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنِ
الشَّافِعِىِّ اَنَّ النِّكَاحَ لَا يَنْعَقِدُ بِلَفْظِ الْهِبَةِ لِاَنَّ اللَّفْظَ تَابِعٌ لِلْمَعْنٰى وَالْمَعْنٰى
مُخْتَصٌّ بِهِ وَعِنْدَ اَبِى حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللّٰهُ لَا اخْتِصَاصَ فِى الْمَعْنٰى دُونَ اللَّفْظِ وَلَا
يَلْزَمُ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنٰى لِاَنَّ دَلَالَةَ الْاَلْفَاظِ وَضْعِيَّةٌ وَاخْتُلِفَ فِى اَنَّهُ هَلْ قِيلَ
نِكَاحٌ وَاهِبَةٌ نَفْسَهَا اَمْ لَا وَالْحَقُّ اَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ وَقِيلَ قِيلَ اَرْبَعُ نِسْوَةٍ يَمْلِكُونَهُنَّ بِنْتُ
الْحَارِثِ وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ وَاُمُّ شَرِيكٍ وَخَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ وَخَالِصَةً مَصْدَرٌ
مُؤَكِّدٌ كَوَعْدِ اللّٰهِ اَىْ خَلَصَكَ اِحْلَالُ الْمَوَاهِبِ اَوْ صِفَةٌ مَصْدَرٍ اَىْ هِبَةً خَالِصَةً
قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِى اَزْوَاجِهِمْ مِنَ اشْتِرَاطِ الْوَلِىِّ وَالشُّهُودِ وَالْمَهْرِ
وَالْحَصْرِ فِى الْاَرْبَعِ وَمَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا اِلَّا اِرْثًا اَوْ هِبَةً اَوْ
بِالْعِوَضِ وَذٰلِكَ صَفِىُّ الْمَغْنَمِ مَا شَاءَ لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ مُتَعَلِّقٌ بِخَالِصَةً
وَمَا بَيْنَهُمَا اِعْتِرَاضٌ بِمُؤَكِّدٍ مَعْنَى اِخْتِصَاصِهِ بِمَا اخْتُصَّ بِهِ وَاَنَّ هٰذِهِ الْاُمُورَ
يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِ نَاشِئَةٌ عَنْ عِلْمٍ تَامٍّ بِحَالِ مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقِيلَ خَالِصَةً
مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِلْاِحْلَالَاتِ الْاَرْبَعِ وَلِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ وَالْاَعْتِرَاضُ
بِحَالِهِ وَفِيهِ اَنَّ مَا عَدَا الْمَوَاهِبِ لَيْسَ مِنْ خَصَائِصِهِ لِتَسَاوِى اُمَّتِهِ مَعَهُ فِى الْاَحْكَامِ
وَاُولُوهُ اِيثَارٌ لِلْاَفْضَلِ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا لِمَا وَقَعَ مِمَّا يُعَدُّ تَحَرُّجًا عَنْهُ
رَحِيمًا بِالتَّوْسِعَةِ فِى مَظَانِّ الْحَرَجِ تُرْجِى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ تُؤَخِّرُهَا وَتَتْرُكُ
مَضَاجَعَتَهَا وَتُؤْوِى اِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَضُمُّ اِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ مِنْ اَزْوَاجِكَ
اَوْ تُطَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ وَتُمْسِكُ مَنْ تَشَاءُ اَوْ لَا تُقَسِّمُ لِمَنْ تَشَاءُ وَتُقَسِّمُ لِمَنْ تَشَاءُ وَتَتْرُكُ تَزَوُّجَ
مَنْ تَشَاءُ وَتَتَزَوَّجُ بِمَنْ تَشَاءُ وَمَنْ تَشَاءُ مِمَّنْ تَنَاوَلَهُ الْاِرْجَاءُ وَالْاِيوَاءُ بِاِطْلَاقِهِمَا
بِنَاءً عَلَى اَنَّ هٰذَا الْاِعْفَاءَ وَقَعَ اِنْ كَثُرَ الْوَعْظُ وَاِنْ عَاوَدَ وَاِنْ عَامَرَ وَاِنْ كَرَّرَ رَجَّى
بِالْهَمْزَةِ وَالْبَاقُونَ بِالْيَاءِ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ وَمُرَاجَعَةُ مَنْ تَشَاءُ

من المطلقات فلا جناح عليك في شيء من ذلك وفي الاية دليل على انه
لم يجب عليه القسم بين زوجاته وقد دل عليه ما روت معاذه عن عايشة رضي
الله عنها لما نزلت هذه الاية كان يستاذن المراءة منا فعلت ما كنت
تقولين قالت كنت اقول ان كان ذاك الي فاني لا اوثر عليك احدا ذلك
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن اي ذلك
التعويض اليك اقرب الى قرة اعينهن وقلة حزنهن ورضاهن كلهن لانك
ان قسمت علمن ان ذلك الذي تفعله انما تفعله تفضلا منك واحسانا وان
لم تقسم لم يجدن عليك لعلمهن بانه حكم الله والله يعلم ما في قلوبكم من
الميل الى البعض دون البعض وقد روت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسايه ثم يقول اللهم هذا فعلي فيما املك
فلا تلمني فيما تملك ولا املك والله كان عليما بالمصالح حليما لا يعاجل
بالعقوبة حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من
ازواج عن مجاهد والضحاك وابن عباس رضي الله عنهم انها نزلت بعد ما
اختارت نساؤه الله ورسوله كرامة ومجازاة لهن فلم يكن له بعد نكاح
امراة لكن له التسري وعن عايشة وام سلمة رضي الله عنهما انه احل له
ونسخت هذه الاية بقوله ترجي من تشاء فانها وان تقدمت في ترتيب المصحف
فهي المتاخرة نزولا وقيل انما حرم عليه غير الاجناس المذكورة من الاعرابيات
في اناء المهاجرات والغرائب في اناء الغرائب والكتابيات باناء المومنات
ونكاح الاماء اكتفاء بما ملكت يمينه وعن ابي بن كعب انما نهي عن التبدل
الذي كان في الجاهلية كان يقول احدهم لنزل عن زوجتك لي وانزل عن
زوجتي لك روى البزار باسناده ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله وعنده
عايشة رضي الله عنها فقال له رسول الله ايزن الاستيذان يا عيينة فقال
ما استاذنت على احد من مضر منذ ادركت يا رسول الله ثم قال من هذه الجميلة
الى جنبك فقال عايشة ام المومنين فقال انزل لي عنها وانزل لك عن
احسن منها قال ما الله فاحرجهم ذلك فقال اذهب قالت عايشة من هذا
قال احمق مطاع في قومه ولو اعجبك حسنهن حال من فاعل تبدل او من
المجرور في من ازواج لانه في سياق النفي مستغرق فهما يصلح بمبتداء يصلح
داخال الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء وكان الله على كل
شيء رقيبا يحذر عن تخطي حدوده يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يوذن لكم الا وقت الاذن لكم الى طعام متعلق
بيوذن لانه في معنى يدعى غير ناظرين اناه حال من ضمير لكم وقيل حال

من ضمير لا تدخلوا والاستثناء واقع على الوقت والحال كانه قيل لا تدخلوها
الا وقت الاذن الا غير ناظرين اذى تعدادا لاستثناء المفرغ كلام وهذا
مختص ببطانفه كانوا يتحينون طعام رسول الله والا لما جاز دخول نبوته
الا اذا اذن للطعام وانى الطعام ادراكه يقال اني الطعام اني كقلاه قلي
ومنه قوله من حميم ان اتى بالغ غاية الحرارة ولكن اذا دعيتم فادخلوا
فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا مستانسين لحديث ولا تطلبوا
الجلوس لاستيناس بعضكم ببعض لحديث او ان تستانسوا لحديث اهل البيت
تسمعا وتحسسا مجرور معطوف على ناظرين او نصب على الحال من مقدر
اي ولا تدخلوها مستانسين لحديثكم كما لم تدخلوها ناظرين اناه الطعام
ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم فيحمله ولا يظهر لكم حياء
والله لا يستحيي من الحق وهو اخراجكم وكان حقا ابلغ او ليس لهم الجلوس
في بيته بغير رضاه طرفه عين فكيف وقد نادى بذلك وهو اعز الخلق واكرمهم
على الله تعالى والمعنى لا يتركه ترك من يستحيي نزلت في وليمة زينب بنت جحش
لما بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم لها وليمة لم يولم على امراة
وليمة مثلها ذبح شاة واشبع الصحابة خبزا ولحما فخرج القوم بعد الطعام
وتحلف ثلثة نفر يحدثون في بيته فثقل ذلك عليه واستحيى منهم فخرج و
دار على حجر نسائه وسلم عليهن ودعت كل واحدة منهن له بالبركة في اهله
وعاد فوجدهم في الحديث فشق ذلك عليه فاستحوا بذلك فخرجوا فقام
اشركت بابا سكفه الباب حين نزلت عليه فنلاها وارخى الحجاب وحرم التظر
الى نسائه وهذه هي اية الحجاب وعن ابن ابي حاتم باسناده الى عايشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعشى وانا اكل معه فمر عمر فدعاه
الى الطعام فاصاب اصبعي اصبعه فتاوه وقال لو اطاعني فيكن ما راتك
عين وذلك انه كان يحث رسول الله على ضرب الحجاب على نسائه ويقول بر
البر والفاجر فلما وقع اصبعه على اصبع عايشة وقال ما قال نزلت الاية
واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب لحرمة التظر اليهن
وان كن امهات اختيارا واجلالا ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ذفما
هو اجتنبوا التفرس وخواطر الشيطان الجارية من الانسان مجرى الدم
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله في وقت من الاوقات توبيخ لهم على عدم
احتياطهم والتوجه الى مراقبة احواله حتى يدركوا بالقرائن ما يرضاه
ويبادروا اليه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فانهن ازواجه
حيا وميتا واختلف فيمن فارقها في حياته ولم يمسها والحق جوازه

إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيمًا ذنبا لا يقادر قدره ذنبا لا لأنه من أن يطأ فراشة
غيره ونصل يدا لغير الحرمه إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمًا كامل العلم الحالتان عِنْدَهُ سَوَاءٌ وَعِنْدَ شديد لمن يخفي في صدره
شيئا مما يؤذيه وَإِنْ لم يقله أو يفعله لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا
أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ لما نزلت
الحجاب سأل هؤلاء الاقارب عن حالهم في الحجاب فنزلت وانما يذكر الحال
والعم لانهما بمنزلة الوالدين وعن عكرمة والشعبي لانهما يصفان لا
سائهما وهم غير محارم فكره ذلك سدا للمسالك الشيطان وَلَا نِسَائِهِنَّ
أي نساء المؤمنات وهن المؤمنات وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ من الارقاء
ذكورا واناثا وعن سعيد بن المسيب اناثا لا ذكورا وَاتَّقِينَ اللّٰهَ في الستر
والعلن إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا حاضرا فخافوه في الستر كما تخافونه
في العلن إِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ لما شيد اركان شرف
رسوله بما اختصه به بين عباده المؤمنين من خصائص الاحكام بما
عسى يذهب الوهم الى انه لا مزيد على هذا في الاكرام اشار الى انه قد بلغت
كرامته الى انه تعالى وملائكته المقربون من الملأ الاعلى في الكروبيين
مستمرون على اظهار شرفه والاعتناء بتجميل شانه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا يجلوه بنا في وسعكم وقد روي البخاري ان كعب
ابن عجرة قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف نصلي قال
قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى
ال ابراهيم انك حميد مجيد وجملة الكلام ان الله تعالى امر العالم العلوي
والتسفلي بالاشتغال بعرفه بجميل له كلا بما في وسعه وكان في ذلك اشارة
الى انه المقصود والنتيجة وهما المعدمتان اللتان رتبهما العلام الحكيم ولذلك
كان معدما خلقا وان تاخر بعثا وقد اختلف في وجوب الصلوة عليه امنا
مرة في العمر فاتفاقا واما كلما جرى ذكره فقيل لا يجب والحق وجوبه لنظم
الاحاديث الكثيرة ولدلالة يصلون على الاستمرار والتجدد واما الصلاة
على غيره من الانبياء فالافضل ان يصلى عليهم عند جرى ذكرهم واما غيرهم
من الصحابة والتابعين فلا يجوز الا تبعا لانه صار شعارا للرفضة إِنَّ
الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ذكر الله للتوطئة اشعارا بان ايذاء
رسول الله ايذاؤه وايذاؤه نسبة ما لا يليق بجلاله وكبريائه اليه لما روى
ابو هريرة رضي الله عنه يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر اقلب

الليل والنهار وايذاء رسوله اما بقولهم ساحر وشاعر واما بفعلهم
كاكسروا رباعيته وشجوا راسه الى غير ذلك لَعَنَهُمُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا بالقتل
والاسر وَالْآخِرَةِ بعذاب النار وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا مجازاة على
إهانتهم رسوله هذا فمن اذاه قصدا واما ايذاء المؤمنين لم يكن كذلك
بل عن غفلة وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا
بغير خفايه توجب ذلك قيده لان ايذاء المؤمن قد يكون حقا بخلاف ايذاء
الله ورسوله فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ظاهرا يشمل السب والغيبة
والرمي بفضول داخل فيه نزلت في المنافقين الذين كانوا يؤذون علي بن
ابي طالب وقيل في الزناة الذين كانوا يتبعون او يتعرضون للعفائف
وهن كارهات وهذا اوفق بقوله يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ كانت بيوت المدينة لا كنف
لها وكانت النساء يخرجن لقضاء حاجة الانسان الى المتبرز اذا اختلط
الظلام وكان الفساق والشطار يتعرضون لهن لاشتباههن بالاماء
فامر الله رسوله بان يامر نساءه وبناته ونساء المؤمنين بلبس الجلابيب
وهو ازار فوق الخمار وملحفة يدنين يرسلن عن شمات نساء الجاهلية و
الاماء ومن تبعيضية اي بعض الجلابيب وعن ابن سيرين سالت عبيدة
السلماني عن معناه فغطى وجهه وابرز عينه اليسرى ذلك أَدْنَى أَنْ
يُعْرَفْنَ فلا يؤذين لعدم اللبس وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا لما سلف رَحِيمًا
براعي مصالح عباده لئن لم ينته المنافقون عن النفاق وَالَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وهم الزناة واهل الفجور لقوله فيطمع الذي في قلبه
مرض وقيل قلة ثبات في الايمان وَالْمُرْجِفُونَ في المدينة ناس من المؤمنين
يخبرون عن سرايا رسول الله اخبار السوء من القتل والانهزام وغير
ذلك من الرجفة وهي الزلزلة لانه خبر من زل قلوبا المؤمنين لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ لنسلطنك عليهم من الغرا وهو ما يلصق به الشيء بالشيء وللذلك
قد سمي بالصاق ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا اي في المدينة إِلَّا قَلِيلًا عطف
على يغرينك جوابا للقسم والاشارة الى قلة الدلالة على ان جلاء الوطن اعظم
المصايب عندهم مَلْعُونِينَ نصب على الشتم او الحال او الاستثناء شامل
له ايضا ولا يجوز تعلقه بقوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله سُنَّةَ اللّٰهِ في الذين خلوا من قبل
من الامم الماضية مصدر مؤكد كوعد الله وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيلًا
اذ لا بد ان يجد على تبديله وما تعلق به ارادته كائن لا محالة يسئلك

النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ عَنْ وقت قيامها وَالسَّائِلُ الْمُشْرِكُونَ اسْتِهْزَاءً اَوْ
الْيَهُود تعنتا لما فِي التَّوْرَاة وَسَائِر الْكتاب عِلْمه مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّه بِهِ
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ لَا عِنْد غَيره وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ يَكُونُ قَرِيبًا
شَيْئًا قَرِيبًا اَوْ يَكُونُ عَنْ قَرِيب تهديد للمستعجل كقوله مَا ذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ وَاسْكَان للْمُمْتَحن إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا
نَارًا ذَات هيجان وَلهب خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا اى مَالا نِهَايَة لَهُ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا
من يتولى حفظهم وَلَا نَصِيرًا يدفع عَنْهُم الْعَذَاب يَوْم تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ
فِي النَّار تصرف فِيهَا من جِهَة الى اخرى كما ترى الْبضْعَة من اللَّحْم فِي الْقدر
حَال غليانها اَوْ تغيرها تارتها اَوْ يطرحُون منكوسين وَالتَّعْبِير بِالْوَجْهِ لانه اشرف
الْأَعْضَاء يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا تمنيا على مَا فَاتَ
وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا اشرافنا وعلماءنا فَأَضَلُّونَا
السَّبِيلَا بِمَا زينوه لنا يُقَال ضَلَّ السَّبِيل وَاضله غَيره وَالْخلاف فِي الرَّسُولَا
وَالسَّبِيلَا كالخلاف فِي الظُّنُونَا وَالتَّوْجِيه مَا تقدم رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
الْعَذَاب للضلال وَالْإِضْلَال وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا افراده وقراءتهم
بِالتَّاءِ الموحدة اى اشد اللعن وَاعظمه وَقِرَاءَة الْقَوْم اَوْفق لدلالة التضعيف
على التعدد يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ
مِمَّا قَالُوا روى البُخَارِيّ عَن ابي هُرَيْرَة ان رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم
قَالَ مُوسَى بن عمرَان كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيل يغتسلون عراة وَكَانَ
مُوسَى لَا يغتسل الا مستترا فَقَالُوا مَا يمنعه ان يغتسل معنا غرياننا الا انه
آدر فاغتسل يَوْمًا ووضع ثَوْبه على الْحجر ففر بثوبه فاخذ عَصَا وَعدا خلف
الْحجر وَهُوَ ينادي ثَوْبِي يَا حجر ثَوْبِي يَا حجر فَوَقَفَ الْحجر على ملا من بني إِسْرَائِيل فَقَالُوا وَالله
مَا بِمُوسَى من بَأْس وَقيل اتهموه بقتل هَارُون وَقيل افتراء قارون عَلَيْهِ بالزنا
كَمَا مر فِي الْقَصَص وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ذَا مكانة وَرُتْبَة فَكَانَ جَدِيرًا
بان يبرأ عَمَّا يشينه وَشَتَّانَ مَا بَين وجاهة الْكَلِيم وَالْحَبِيب يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ فِي كل الامور لَا سِيَّمَا فِيمَا يؤدي رَسُول الله وَقُولُوا قَوْلًا
سَدِيدًا جَوَابًا مُسْتَقِيمًا لَا اعْوِجَاج فِيهِ فيشمل قَضِيَّة زَيْنَب وَغَيرهَا يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ جَوَاب الامر اى ان فعلتم مَا امرتم بِهِ حصل
لكم مَا هُوَ غَايَة طلبه كل عَاقِل وَهُوَ تقبل حَسَنَاتكُم اَوْ التَّوْفِيق لمحاسن اعمالكم
فِي الْمُسْتَقْبل مَرْضِيَّة وَهَذِه الْآيَة مقررة لما تقدمها مَعَ اشْتِمَالهَا على الْوَعْد
كاشتمال تِلْك على الْوَعِيد فيقوى الصَّارِف عَن الاذى وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا نجاته من عَذَاب النَّار وَنيل مَا لَا عين رَأَت إِنَّا

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ لما علق بالطاعة الْفَوْز الْعَظِيم عظم شانها وفخم
امرها وعبر عَنْهَا بِالْأَمَانَةِ اشارة الى انها لَازِمَة الرِّعَايَة وَاجِبَة الاداء
وَالْمُرَاد مِنْهَا مَا يعم اللَّائِق بِالْجَمَادِ من حَيْثُ كَونه مُسَخرا لما اريد مِنْهُ وَلم تمتنع
عَن الْمَشِيئَة وَبِالْإِنْسَانِ من الِانْقِيَاد لاوامره وَنَوَاهِيه فحيث حرب تِلْك
الْأَجْرَام وَاسْتمرّت على مَا سخرت لَهُ وَالْإِنْسَان خَاسِر بِهِ ولريف بِمَكَان فِي
وُسْعه حكم عَلَيْهِ بالجناية من قَوْلهم حمل فلَان الْأَمَانَة اى اسْتمرّ على حملها
وَلم يؤدها الى صَاحبهَا فعلى هَذَا الاباء وَالْعرض وَالْإِشْفَاق مجَاز ان مُتَفَرِّعَة
على تمثيل حَال الْجَمَاد بِالْمَأْمُورِ الَّذِي اذا ورد عَلَيْهِ امر سَيِّده الْمُطَاع بَادر
بالامتثال وَفِيه تعريض بِالْإِنْسَان وَانه كَانَ احق بذلك إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
فِي ترك الاداء مَعَ التَّمَكُّن جَهُولًا شَدِيدا يجهل بوخامة الْعَاقِبَة لتفويته
الْفَوْز الْعَظِيم وتوريط نَفسه فِي الْعَذَاب الْمُقِيم وَاشَارَة الى عظم شان
الطَّاعَة حَيْثُ كَانَ مَا يشبهها مِمَّا يتبادر الَيْهِ الْجَمَاد وَقيل اريد بهَا الطَّاعَة
حَقِيقَة وَالْأَمْر مَبْنِيّ على الْعرض وَالتَّصْوِير وَذَلِكَ بان مثلت حَال التَّكْلِيف
فِي صعوبته وَثقل محمله وَمَا فِي الْمُحَافظَة على الْأَمَانَة الى حين الاداء على الْوَجْه
الاتم لَو كَانَ فِي هَذِه الاجرام الْعِظَام الاقوياء فهم وَإِذْ رَأَيْت الْخطاب
وعرضت الْأَمَانَة عَلَيْهَا لما حملتها وَلَا اثرتها اختيارا وَالْإِنْسَان الَّذِي
خلق ضَعِيفا اثره واحتمله وَكَانَ ظلوما وَاضعا لنفسه غير مَوْضِعهَا لحمله
عَلَيْهَا مَا عجزت عَنْهُ السَّمَوَات وَالْأَرْض وَالْجبَال الْجَهُول بوخامة الْعَاقِبَة
وان ترك حفظهَا مَعَ الامكان يُورث الهبوط من اوج السَّعَادَة الى حضيض
الشَّقَاء وَقيل الامر على ظَاهره وَان الله تَعَالَى لما خلق هَذِه الاجرام خلق
فِيهَا فهما واهلية خطاب وَقَالَ انى فرضت فريضة وخلقت جنَّة لمن
اطاعني وَنَارًا لمن عصاني فَمن نَحن مسخرات لما خلقنا لَهُ لَا نحتمل فريضة
وَلَا نبتغي ثَوَابًا وَلَا نرضى لانفسنا عقَابا وَالْأَوْجه ان يُقَال الْعرض مجَاز
عَن نسبَة الْأَمَانَة الَيْهَا وَابَاء الْحمل عَن عدم الِاسْتِعْدَاد وَالْقَابِلِيَّة
لَهَا وَحمل الْإِنْسَان عَن اسْتِعْدَاده وَكَمَال الْقَابِلِيَّة وَاصل نشأته على مَا
اشير الَيْهِ بفطرة الله الَّتِي فطر النَّاس عَلَيْهَا وَبكل مَوْلُود يُولد على الْفطْرَة
وَكَانَ ظَلُومًا حَيْثُ افسد تِلْك الْفطْرَة الَّتِي هِيَ بِمَنْزِلَة الاكسير جَهُولًا
شَدِيدا الْجَهْل بِمَا يتَرَتَّب على ذَلِك بلاحافظ على الْقُوَّة الْعَاقِلَة الَّتِي هِيَ بِمَنْزِلَة
الْملك على سَائِر الْقوى وَيقهر بهَا جنُود الْقُوَّة الغضبية وَالشَّهْوَة الَّتِي
هِيَ بِمَنْزِلَة الشَّيَاطِين لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ

والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات التعذيب نتيجة حمل الامانة
مجازا كما ان التاديب نتيجة الضرب حقيقة والمعنى ليعذب الله الخائن في الامانة
الخايس في ضمانه ويتوب على الامين الوافي بحق الامانة القايم بما ضمنه وفي
هذا نوع اخر من عذاب الخائن الغادر وكان الله غفورا لفرطات المؤمنين
رحيما متفضلا بثواب طاعاتهم تمت سورة الاحزاب والصلوة على
من انزل عليه الكتاب واله واصحابه مدى الدنيا الى يوم الحساب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض
ما دخل في قوامها وما يكون فيها واستغرق فان كل ولك نعمه دنيوية بحمد
مولیها وله الحمد في الاخرة على تلك النعم فكانه قال هو المحمود على نعم
الدارين لا غير وكما دل على الاختصاص هنا تقديم الصلة دل عليه الامكان
اولا فسقطما قيل قدم الصلة هنا لان نعم الدنيا قد يكون بواسطة من
يستحق الحمد الاخروي الى قوله في سورة القصص له الحمد في الاولى والاخرة
بتقديم الصلوة فيهما مع ان قوله نعم الاخرة لا يكون بواسطة من يستحق
الحمد ممنوع واي واسطة اقوى من شفاعة رسول الله والملايكة و
الصالحين وانما سمي مقام شفاعته مقاما محمودا لانه يحمده الاولون
والاخرون كما رواه البخاري وهو الحكيم المتقن امر الدارين الخبير
ببواطن الامور وفي الوصفين اشارة الى ان كل ذلك انما هو على وجه الحكمة
وعلم تام بموضع الاستحقاق يعلم ما يلج في الارض من الامطار والدفائن
والاموات وسائر ما الى الارض كالماء وما يخرج منها من الاشجار والفلذات
وانواع النبات وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والملايكة
باصناف البركات وما يعرج فيها من الاعمال والعباد قلت تقرير لوصف
الخبرة وتفصيل لما اجمله في قوله ما في السموات وتصدير لانواع التعلم
الكلية وهو الرحيم المتفضل بافاضتها الغفور لفرطاتهم وتقصيرهم
في شكرها وتقديم وصف الرحمة لان الكلام الانعام فناسب ان وقع بالمقام
وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها واستبطاء لمجيئه
كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربي لتاتينكم رد انكارهم واكد بالقسم
ثم امد ذلك التاكيد بقوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر لان هذا الوصف
بمنزلة الشاهد على وقوع المقسم عليه من غير مجال ريب واوثر من بين

صفاته العلى احاطة علمه بالمغيبات في العالم العلوي والسفلي لان العلم
توقت الساعة من امهات الغيوب فاذا وصف بالعلم الشامل دخل ذلك
تحته ففيه رعاية حسن الاقسام قرا حمزة والكسائي علام على صيغة المبالغة
بالجر ونافع وابن عامر بالرفع على انه خبر مبتداء او مبتدا خبره ما بعده و
الباقون بالجر وقرا الكسائي لا يعزب بكسر الزاء الا في كتاب مبين هو
اللوح وجعل الضمير في عنه للغيب على معنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا
مسطورا في اللوح لا يلايم المقام ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
علة لقوله لتاتينكم رد لانكار صدق المخبر المؤكد خبره بالقسم البالغ كانه
قيل له القدرة التامة على ايجاد العالم والعلم الشامل بجليات الاشياء و
خفياتها والحكمة يقتضي جزاء المحسن والمسيء وهذا ايضا مركوز في
غرايزهم فقد تم المقتضى وارتفع المانع اولئك لهم مغفرة ورزق كريم
لا تعب فيه ولا من والذين سعوا في اياتنا في ابطالها والصد عنها
معاجزين مغالبين في زعمهم يقال عاجزا فلانا اذا وهب فلم يوصل اليه
وقرا ابن كثير وابو عمرو بلا مد ومن التعجيز هو المختار لانه ابلغ اولئك لهم
من رجز من عذاب اليم من بيان اي لهم حصة من العذاب الاليم وقرا
ابن كثير وحفص برفع اليم والجر اولى لعدم الفصل ولانه امكن معنى ويرى
الذين اوتوا العلم عطف على قال الذين كفروا هم الصحابة ومن بعدهم
او علماء اهل الكتاب الذين امنوا الذي انزل اليك من ربك هو الحق هو
الحق مفعول ثان ويرى وهو ضمير الفصل ويجوز عطفه على ليجزي والمعنى وليعلم
الذين اوتوا العلم اذا عاينوها علما لا مزيد عليه في الاتقان فيحتجوا به على
من انكرها او ليعلم من لم يؤمن بها من الاخبار فيزدادوا حسرة ويهدي
الى صراط العزيز الحميد هي دين الاسلام وقال الذين كفروا بعضهم لبعض
هل ندلكم على رجل نكروه متجاهلين به كانه غريب جاء بامر بديع لا يقبله
العقول ينبئكم انا مزقتم كل ممزق اي كل تمزيق على انه مصدر او ذهبتم
بكم السيول وصرتم في احواف الطير وسفت بكم الريح على انه مكان انكم
لفي خلق جديد ما دل عليه هو العامل في اذا كما تقدم في سورة السجدة
والجديد فعيل بمعنى الفاعل كالحديد وعندا لكوفيين بمعنى المفعول لقولهم
ملحفة جديد والجواب انه من قبيل رحمة الله قريب افترى على الله كذبا ام به
جنة حصروا اخبره الكاذب في الكذب قصدا وغير قصد اذ لا اعتقاد لهم
في صدقه والعدول عن الفصل في الثاني ايماء الى انه الكاين اذ لم يجزموا عليه
كذبا قيل النبوة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد

اضراب عن ذلك الحصر الباطل الى ما هو الحق وتقديم العذاب على الضلال المتقدم
عليه اشارة الى تحقيق استحقاقهم وتوقر اسبابه ووصفا لضلالهم بالبعد
وهو للضلال على طريقة المجاز الحكمي مبالغة فيه وانهم لا يرجى خلاصهم
أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف
بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء اى عموا فلم ينظروا الى
السماء والارض المحيطين بهم حيث كانوا سفرا وحضرا والمعنى قد علموا
ذلك وهم علم يانا ان نشأ نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او
نسقط عليهم قطعة من السماء نهلكهم بها واذا علموا ذلك وايقنوا فهلا
استدلوا بذلك على القدرة على الانشاء والاعادة ثانيا وقرا حمزة والكسائي
الافعال الثلثة بالتاء اسنادا الى ضمير الله والباقون بالنون وهذا ابلغ
وعيدا لقوله ولقد اتينا وقرا حفص بفتح السين فى كسفا إن فى ذلك لاية
لكل عبد منيب راجع الى الله بالتوبة فانه الناظر فى ايات الله ثم ذكر ما
يرغب فى الانابة وما يتفضل الله على المنيب بما اتبعه من قصة داود لانها
على انابته وما ترتب عليها ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبى معه
اى قلنا يا جبال اوبى معه اى رجعى معه فى التسبيح لقوله انا سخرنا الجبال
معه يسبحن والترجيع هو الرجوع الى الصوت الاول ومنه ترجيع الاذان
والفضل المبين الجمع بين النبوة والملك وتسبيح الجبال الرطيبات
والطيور السارحات وقيل كانت تسير معه بالنهار حيث سار والتاويب
شيء النهار والطير بالنصب معطوف على محل يا جبال او على فضلا
او مفعول مقدر مثل وسخرنا والنا له الحديد كالشمع يفعله بيده
من غير نار وآلة ان اعمل سابغات اى امرناه بعمل الدروع الوافية
من سبغ الشيء اذا وفى وكمل او مفسرة او مصدرية وقدر فى السرد
فى النسج بان يناسب بين الحلق ومنه سرد الصوم اذا تابع الايام وقيل
قدر فى السرد اى اعمل المسامير على قدر الحلق لا دقيقا يقلق ولا غليظا
يخرق واعملوا صالحا الخطاب له ولاتباعه انى بما تعملون بصير
فاجازيكم عليه عن وهب بن منبه ان داود كان يتنكر ويسال الركبان
عن حال داود وكانوا يثنون عليه فارسل الله ملكا فى صورة رجل وآله
فقال هو خير الناس لولا انه ياكل ويطعم عياله من بيت المال فيسال الله
ان يعلمه صنعة ياكل منها هو واهله فعلمه الله عمل الدرع ليكون سببا
لمعاشه وآله للجهاد فكان كل يوم يفرغ من درع ويبيعه باربعة آلاف
درهم وقيل بستة آلاف ينفق على نفسه واهله منه ثم يتصدق الباقى

الى مصالح بنى اسرائيل ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح غدوها شهر
حركتها مسيرة شهر بالغدوة ورواحها شهر سيرها اخر النهار كذلك
كان غدوها من دمشق الى اصطخر فيتغدى به ثم يروح الى كابل فيتعشى به
وكل من المسافتين شهر محكى ان رجلا وجد مكتوبا كتبه بعض اصحاب سليمان
عليه السلام بناحيه وجلة نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدنا غدوها
من اصطخر فعلناه ونحن رايحون منه فنبيت بالشام ان شاء الله تعالى
واسلنا له عين القطر النحاس المذاب جعله ينبع بنوع الماء وكان ذلك
باليمن ببلدة صنعاء ومن الجن من يعمل بين يديه مبتداء وخبرا ومن يعمل
عطف على الريح ومن الجن حال قدمت اهتماما لان كونه من الجن هو المستغرب
باذن ربه بارادته وتيسيره وفيه اشارة الى ان تسخيرهم امر فى غاية
البعد لولا تسهيله لما تيسر ومن يزغ منهم عن امرنا عما امرناه به
من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير الحريق يعملون له ما يشاء
من محاريب قصورا حصينة او اماكن شريفة لانها تحارب عنها وتذب
وتماثيل صورا لملائكة والانبياء ليروها على تلك الصور تذكيرا للناس
بحالهم ليعبدوا عبادتهم وتحريم الصور شرع محمدنا وكانت بلا رؤس اولم
يكن صور حيوان لان التمثال كل ما صور على صورة غيره وجفان كالجواب
كالحياض جمع جابية لان الماء يجبى فيها اى يجمع قال الاعشى تروح على آل
المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق وقدور راسيات ثابتات فى اماكنها
لعظمها لا تنزل من الاثافى اعملوا آل داود شكرا حكاية ما قيل لال داود
شكرا نصب على العلية لان العمل لله تعالى للشكر وفيه اشارة الى ان العبادة
يجب ان تودى شكرا او مصدر لان اعملوا معناه اشكروا او مفعول به اى
اعملوا انتم شكرا لانا نحن نعمل لكم ما شئتم وقليل من عبادى الشكور
المتوفر للشكر بالنفس والجنان والاركان الباذل وسعه فى القيام وعن ابن
عباس رضى الله عنه الشكور من يشكر على الاحوال كلها وقيل من يشكر على
الشكر وقيل من يرى العجز عن الشكر وقد روى البخارى ومسلم رحمهما الله
باسنادهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احب الصلوة الى الله
تعالى صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه واحب
الصيام اليه صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وقيل لم يخل بيت
آل داود من قائم يصلى لا ليلا ولا نهارا فلما قضينا عليه الموت على سليمان
ما دلهم على موته اعاد المظهر لئلا يتوهم عود الضمير الى سليمان الاباية
الارضة دويبة تسمى سرفة فى الارض فعلها ولذلك يقال لها الارضة

تأكل منسأته عصاه لانه ينسأ بها اى يطرد ويؤخر وقرا نافع وابو عمرو
بالالف بدلا عن الهمزة من غير قياس مبالغة فى التخفيف وابن ذكوان عن
ابن عامر بإسكان الهمزة نقلا من التخفيف الى الاخف هى لغة الحجاز فلما
خر تبينت الجن علمت علما جليا ان لو كانوا يعلمون الغيب كما كانوا يزعمون
ويوهمون الناس ذلك ان مع صلتها بدل من الجن بدل اشتمال ما لبثوا فى
العذاب المهين وذلك ان داود استسر بيت المقدس مكان فسطاط موسى ثم
مات قبل تمامه فوصى به سليمان فاستعمل فيه الشياطين فلما دنى موته ولم
يكمل بعد سأل ربه ان يعمى موته على الجن حتى يتموا المسجد فامر الجن ان
يبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب وائتكى على المنسأة يصلى فقبض
فى الصلوة على تلك الهيئة فاكلت الارضة العصا فخر على الارض فوضعوا
الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فقاسوه فكان موته
منذ سنة وكان عمره حين ملك ثلث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلث
وخمسين سنة وابتداء ببناء المسجد لاربع مضين من ملكه لقد كان
لسبإ هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان اريد به القبيلة لقوله
فى مسكنهم اية جنتان عن يمين وشمال اى كان كل رجل له بستانان
احدهما عن يمين مسكنه والاخر عن شماله او كانتا بستانين عن الجانبين
متصلة متضامة كانها جنتان قرا ابو عمرو والبزى شيا ففتح الهمزة
من غير تنوين لارادة القبيلة وقنبل باسكان الهمزة اجراء للوصل مجرى
الوقف والباقون بالكسر والتنوين باعتبار الحى وقرا حمزة والكسائى
وحفص مسكن بفتح الكاف مفردا لارادة البلد او مسكن كل واحد
الكسائى بالكسر على الشذوذ كالمسجد والباقون جمعا على التوزيع وهو
الظاهر كلوا من رزق ربكم حكاية لما قال لهم نبيهم قبل بعث اليهم
احد عشر نبيا او قيل لهم بلسان الحال او احقاء بان يقال لهم ذلك
واشكروا له طلبا للمزيد ومحافظة على النعيد بلدة طيبة ورب غفور
استيناف لبيان موجب الشكر وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها
كانت تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتسير بين الاشجار لحاجتها فيمتلئ
مما يتساقط فيه وقيل لم يكن فيها ذباب ولا بعوض ولا برغوث فاعرضوا
عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم هو الجرذ الذى نقب السد الذى
كان بناه بلقيس الملكة بالصخر والقار يجتمع فيه ماء العيون والامطار
وكانت جعلت فيه ثقبا على قدر الحاجة تفتح فى وقت وقيل العرم الشكر
وهو السد وقيل المطر الشديد وقيل اسم واد بهم وبدلناهم بجنتيهم

جنتين ذواتى اكل خمط تمر مر يشبع غطف بيان او صفة وقرا ابو عمرو
بالاضافة على ان الخمط هو الشجرة شجرا لاراك عن ابن عباس وقيل كل
شجر ذى شوك مر وعن الزجاج كل شجر مر واثل هو الطرفاء عطف
على اكل الا على خمط لان الطرفا لا ثمر له وشئ من سدر قليل عطف
على خمط وهو النبق وله ثمر حسن والحكمة فى بقائه زيادة العذاب عليهم
كلما راوه تذكروا ما فاتهم ولذلك قلله وتسميته ما بدلوا بجنتيهم تهكم
او مشاكلة ذلك جزيناهم بما كفروا اى ذلك الجزاء الذى جزيناهم لاجل
كفرهم النعمة او الرسل بالتكذيب وهل نجازى الا الكفور اى لا نجازى
ذلك الجزاء البالغ الا البالغ فى الكفر والمراد الجزاء عقابا وما يصيب المؤمن
تمحيص لذنوبه ولانه اريد العقاب على جميع ما فعله من السوء ولا كذلك
المؤمن لان حسناته يذهبن السيئات قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن
عامر وابو بكر بالياء على بناء المفعول والباقون بالنون وهو ابلغ نهويلا
وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة هى قرى الشام
وقيل قرى بصنعاء قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن
الطريق ظاهرة للسابلة وقدرنا فيها السير على ما يلايم المسافر يصل
الغادى فى قرية والرايح بيت فى اخرى سيروا على ارادة القول حالا او
مقالا فيها ليالى واياما امنين لا يختلف الامن باختلاف الاوقات
ليلا ونهارا او سيروا فيها مدة اعماركم فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
اساؤا السيرة سئموا العافية ونطروا ساموا الله خراب تلك القرى ليكون
مكانها مفاوز يركبون فيها الرواحل ويتزودون الازواد كما استبدلت
بنو اسرائيل الثوم والبصل بالمن والسلوى وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام
عن ابن عامر بعد بتشديد العين وهما لغتان بمعنى والمد اكثر وظلموا انفسهم
حيث حملوها الشقاء بعدا للنعيم والرخاء فجعلناهم احاديث يتحدث
بعدهم بما جرى عليهم ويضربون بهم الامثال اذا بالغوا فى وصف القوم بالتفرق
قالوا ذهبوا ايدى سبا ومزقناهم كل ممزق فرقناهم كل تفريق لحق غسان
بالشام فالانمار بيثرب والاسد بالبحرين وخزاعة بتهامه والازد بعمان
والاية والتى قبلها تفصيل لما تقدم من حال الجنتين وارتباطها وما جروا
على سبيل النشر وقدم جعلهم احاديث على التمزيق لانه الغرض اذ فى
ذلك لايات لكل صبار شديد الصبر على البلايا شكور كثير الشكر
على النعم والمرايا ولقد صدق عليهم اى على اهل سبا ومن هو على
طرائقهم ابليس ظنه تحقق ظنه وتبينه لما كفروا وكذبوا الرسل

هُوَ الظَّنُّ الَّذِي حَصَلَ لَهُمَا وَسْوَسَ إِلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ وَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ أَوْ لَمَّا سَمِعَ مَقَالَةَ الْمَلَائِكَةِ اجْعَلْ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَقُرِئَ غَيْرَ الْكُوفِيِّينَ سَدَّ وَمُخَفَّفًا عَلَى أَنَّ ظَنَّهُ مَفْعُولٌ فِيهِ أَوْ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِمَقْدَرٍ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيَانِيَّةٌ أَيْ إِلَّا فَرِيقًا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ أَوْ تَبْعِيضٌ أَيْ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمُ الْمُخْلَصُونَ وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ مِنْ تَسَلُّطٍ وَاسْتِيلَاءٍ بِالْإِغْوَاءِ وَالْوَسْوَسَةِ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ أَيْ لِنُمَيِّزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالشَّاكِّ أَوْ لِنَعْلَمَهُمَا مَوْصُوفَيْنِ بِالصِّفَتَيْنِ أَوْ عِلْمًا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ أَوْ لِيُؤْمِنَ مِمَّنْ قَدَّرْنَا إِيمَانَهُ وَيَشُكَّ مِمَّنْ قَدَّرْنَا ضَلَالَهُ فَالْمُرَادُ مِنْ حُصُولِ الْعِلْمِ مَا تَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُجَازَاةُ وَفِي أُسْلُوبِ نَظْمِ الْفَصْلَتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى نُكْتَةٍ لَا تَخْفَى وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ مُرَاقِبٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ وَعْدٌ وَوَعِيدٌ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَيْ زَعَمْتُمُوهُمْ آلِهَةً حُذِفَ الْمَفْعُولَانِ لِطُولِ الصِّلَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ صِفَةُ آلِهَةً وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَفْعُولَ الثَّانِيَ لِعَدَمِ الِالْتِيَامِ مَعَ الْأَوَّلِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ أَيْ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ وَلَا يَعْبُدُ الْمَعْبُودَ إِلَّا لِجَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ وَفِيهِ تَبْكِيتٌ لَهُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَنْطَقُونَ بِغَيْرِ هَذَا وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا فِي الْعَالَمَيْنِ مِنْ شِرْكٍ لَا خَلْقًا وَلَا مُلْكًا وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ مِنْ عَوْنٍ يُعِينُهُ فِي أَمْرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ دَفْعٌ لِمَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ مِنَ الشَّفَاعَةِ أَنَّ لَوْ كَانَ بَعْثٌ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ وَالْمَعْنَى لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يُشْفَعَ أَوْ يُشْفَعَ لَهُ فَاللَّامُ هِيَ الْمُقَدَّرَةُ فِي شَفَاعَةِ زَيْدًا مَا فَاعِلًا أَوْ مَفْعُولًا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَامَ الْعِلَّةِ أَيْ لَا لِمَنْ وَقَعَ الْإِذْنُ لِلشَّفِيعِ لِأَجْلِهِ كَقَوْلِكَ أَذِنْتُ لِزَيْدٍ لِعَمْرٍو أَيْ لِأَجْلِهِ وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ أُذِنَ عَلَى بِنَاءِ الْمَفْعُولِ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالْفَتْحُ أَوْلَى وَأَخَفُّ وَلِذَلِكَ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ فِي لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ غَايَةٌ لِمَقْدَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ أَيْ يَتَرَبَّصُونَ فَزِعَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْفَزَعِ يَتَوَقَّعُونَ مُلْقِيَ عَلَيْهِمْ رِدَاءَ الْهَيْبَةِ حَتَّى إِذَا كُشِفَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْفَزَعُ بِالْإِذْنِ فِي الشَّفَاعَةِ سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ فُزِّعَ عَلَى بِنَاءِ الْفَاعِلِ وَهُوَ أَوْلَى لِكَوْنِهِ الْأَصْلَ وَأَخَفَّ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْإِذْنُ فِي الشَّفَاعَةِ وَلَا يُنَافِيهِ لَفْظُ الرَّبِّ شَأْنَ لَا يَخْفَى وَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا خُضْعَانًا كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَكَذَا

رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلُهُ فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَهُمَا وَكِلَاهُمَا وَاقِعٌ وَ أَمَّا أَنَّ ذَلِكَ تَفْسِيرٌ لِلْآيَةِ فَلِعَدَمِ الِارْتِبَاطِ وَمَنْ قَالَ بِهِ إِنَّمَا نَظَرَ إِلَى طِبَاقِ اللَّفْظِ ضِمْنًا وَتَقَدُّمِ الْمَلَائِكَةِ ضِمْنًا لَا يُجْدِي وَهُوَ الْعَلِيُّ شَأْنُهُ الْكَبِيرُ سُلْطَانُهُ بِحَقٍّ لَهُ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ قُلِ اللَّهُ إِذِ الْأَجْوَابُ لَهُ سِوَاهُ وَأَنْ تَبْكِيتُهُمْ لِمُخَافَةِ الْإِلْزَامِ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ بَعْدَ الْبُرْهَانِ النَّيِّرِ وَالتَّقْرِيرِ أَلْوَانًا فِي الْبَلِيغِ لِتَنْزِلَ وَرُدِّدَ الْأَمْرَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ بِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ وَفَاقًا فَلِيتَأَمَّلْ مَنِ الْمُصِيبُ مِنَّا وَمِنْ الْمُخْطِئُ وَمِثْلُهُ يُسَمَّى كَلَامَ الْمُنْصِفِ لِأَنَّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ مُوَالٍ وَمُخَالِفٍ يَقُولُ لِلْخَصْمِ قَدْ أَنْصَفَكَ وَلَا يَرَى أَشَدَّ تَبْكِيتًا مِنْهُ لِلْخَصْمِ وَلَا أَوْصَلَ بِالْمُنَاظِرِ إِلَى الْغَرَضِ وَلَا أَهْجَمَ مِنْهُ بِالْغَلَبَةِ وَلَا أَدْفَعَ لِشَغَبِ الْمُكَابِرِ وَمِنْهُ بَيْتُ حَسَّانَ يُخَاطِبُ أَبَا سُفْيَانَ إِنَّ مُحَمَّدًا وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ وَإِنَّمَا خَالَفَ بَيْنَ الْفَصْلَتَيْنِ لِأَنَّ الْمُحِقَّ كَأَنَّهُ غَالٍ جَوَادٌ يَرْكُضُ حَيْثُ يَشَاءُ وَالْمُبْطِلُ كَأَنَّهُ مُتَرَدٍّ فِي ظُلْمَةٍ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ فَإِنَّا لَا غَرَضَ لَنَا فِي دُعَائِكُمُ إِلَّا النُّصْحُ وَفِيهِ تَنَزُّلٌ أَبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ لِأَنَّ حَيْثُ عُبِّرَ عَمَّا نُسِبَ إِلَى نُفُوسِهِمْ بِالْإِجْرَامِ وَعَمَّا نُسِبَ إِلَى الْخَصْمِ بِالْعَمَلِ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا لِلْمَحَاجِّ وَالْخِصَامِ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ بِحُكْمِهِ وَيُجَازِي الْمُحِقَّ وَالْمُبْطِلَ كُلًّا عَلَى حَسَبِهِ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْحَاكِمُ بِالصَّوَابِ الْعَلِيمُ لَا يَحْتَمِلُ نُطْقَةَ الْخَلَلِ إِلَى حُكْمِهِ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَانَ بَرَاهِينَ وَيَعْرِفُهُمْ وَلَكِنْ أَرَادَ التَّنْبِيهَ عَلَى خَطَأِهِمْ وَقَبَائِحِهِمْ كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَيْنَ تِلْكَ الْجَمَادَاتُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ لِلَّهِ أَوْ لِلشَّأْنِ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ صِفَةُ مَصْدَرٍ أَيْ إِلَّا رِسَالَةً عَامَّةً يَكُفُّ خُرُوجَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَعَنِ الرِّخَاجِ حَالٌ مِنَ الْكَافِ وَالتَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ كَعَلَّامَةٍ وَالْمَعْنَى كَافًّا لَهُمْ أَيْ جَامِعًا فِي الْإِبْلَاغِ وَالْإِنْذَارِ كَقَوْلِهِ يَبُثُّ الْحَاضِرُ الْفَقِيرَ وَالْأَسْوَدُ وَعَنِ ابْنِ مَالِكٍ حَالٌ مِنَ الْمَجْرُورِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِعَدَمِ التَّدَبُّرِ فِي شَأْنِكَ أَوْ عُمُومِهِمْ كَلَّا لَمَّا حَيْثُ قَادَتْهُ الْأَنْكَادُ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ الْمُبَشَّرُ بِهِ وَالْمُنْذَرُ عَنْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ خِطَابٌ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ وَعْدٌ أَوْ زَمَانُ وَعْدٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ جَوَابٌ تَهْدِيدٌ مُوَافِقًا لِمَا قَصَدُوا بِسُؤَالِهِمْ مِنَ التَّعَنُّتِ وَالْإِنْكَارِ فَلَوْ خُطِّطَ الْمَقْصُودُ دُونَ مَا يُعْطِيهِ ظَاهِرُ اللَّفْظِ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ

بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب الدالة على قيام الساعة
ونشر الاموات وذلك ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب نعت رسول الله
فاخبروهم انهم يجدونه في كتبهم فاغضبهم ذلك فكفروا بها جميعا و
قيل الذي بين يديه يوم القيمة الذي دل القرآن على وقوعه ولو ترى
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم في ذلك اليوم الذي ينكرونه يرجع
بعضهم الى بعض القول يتجاوبون في الجواب كل ينسب الذنب الى الآخر
يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم اي
اضلالا لكم لكنا مؤمنين بما جاءت به الرسل قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم ادخلوا
همزة الانكار على الاسم لان الغرض انكار كونهم صادين عن الايمان
لا انكار الفعل من اصله وانما اضيف بعد الى اذ وهو لازم الظرفية
كما يضاف الزمان الى الجملة تسامحا بل كنتم مجرمين بسوء اختياركم
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا كروا عليهم ثانيا وابطلوا
اضرابهم بقولهم بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل
له اندادا اي عزنا مكركم بالليل والنهار وانما وحلكم ايانا على الكفر بالله
اتخاذا لانداد واضافة مكرهم الى الليل والنهار للملابسة والاتساع في
الظرف باجرائه مجرى المفعول به او جعل الليل والنهار ماكرين على الاسناد
المجازي واسروا الندامة لما رأوا العذاب اي كل من الضال والمضل
مخافة التعيير او اظهروها واذا لوا ستيرها ونظيره في الوجهين يشكى
كقوله شعر فما زالت الايام الا شكاية وما نالت الايام تشكى ولا تشكى
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا في اعناقهم والاظهار للدلالة
على الموجب هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا سوى ذلك ومحل
ما النصب بنزع الخافض او بتضمين الجزاء معنى القضاء وما ارسلنا في قرية
من نذير الا قال مترفوها بعد تسفيه الدلائل على التوحيد والرسالة
وضرب الامثال بالقوارع التي اصابت من لم يقابل النعم بالشكر مسلى رسوله
بان من قبلك من الرسل كل قد كابد من الجهلة ما كابده انا بما ارسلتم
به كافرون عنادا وتجوزا من غير شبهة في الطريق فضلا عن امارة
او برهان وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا الذين هما زينة الدنيا
وما نحن بمعذبين في الاخرة فيأسا على الدنيا جهلا وسفاهة ولم يدروا
ان الدنيا بحذافيرها لا تساوي عند الله جناح بعوضة وتلك الدار في
جواره كفار اولياءه واهل عرفانه فكيف يقاس احديهما على الاخرى قل

ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي حظوظ الدنيا انما هي بمقتضى
مشيئة الله وحكمته في البسط والقبض ولا يلاحظ فيها القرب والمحبة
بخلاف الثواب والجزاء فانها في مقابلة الايمان والعمل الصالح ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ليسوا في زمرة العلماء فيجرون على احد النقيضين
ما يجرونه على الاخر وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
اي قربة مفعول مطلق اي وما اموالكم ولا اولادكم توجب عندنا زلفى
وقربا او التي كناية عن التقوى اي ما اموالكم ولا اولادكم بالتي هي التقوى
حتى يقربكم عندنا زلفى ولا مقربة سواها الا من امن وعمل صالحا
استثناء من مفعول تقربكم اي لا اموال من امن فانه يقربه لصرفه في وجوه
البر وعلى الثاني استثناء من اموالكم على معنى لا اموال من امن وفيه مبالغة
حيث جعل مال المؤمن وولده نفس التقوى ولا يصح الاستثناء على هذا
من مفعول يقربكم لانه مثبت فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا
اي الموصوفون بالايمان والعمل الصالح يجازون اضعاف استحقاقهم
واقله العشر واكثره لا يعلمه الا الله وهم في الغرفات امنون في
القصور امنون عن المكاره وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة قصورا يرى ظاهرها
من باطنها وباطنها من ظاهرها فقال اعرابي لمن يا رسول الله قال
لمن اطعم الطعام وادام الصيام وطيب الكلام وقرأ الحمزة الغرفة على
ارادة الجنس كقوله تجزون الغرفة وهم في الغرفة متعاجزين
متعاندين وقرأ ابن كثير وابو عمر بالقصر مشددا وقد سلف انه ابلغ
اولئك في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق اخرى
الاولى في رد مقالتهم وهذه في الحث على الانفاق بدليل قوله وما
انفقتم من شيء فهو يخلفه فلا تكرار اي وما انفقتم مما يصدق
عليه اسم الشيء فالله تعالى يجعل له خلفا في الدنيا فقللوا او كثروا
وفي الحديث المشهور ان لله ملكين ينزلان كل صباح ينادي احدهما
اللهم اعط كل منفق خلفا والاخر ينادي اللهم اعط كل ممسك تلفا
وهو خير الرازقين اذ من عداه انما يكون رازقا مجازا كانه قيل
فلينفق فان الله يرزقه من حيث لا يحتسب ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للملائكة الرؤساء والضعفاء والعابدين والمعبودين
خصوصا لكونهم اشرف من عبدوه ولانهم ما عبدوا الاصنام الا انها

صور الملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون الغرض من هذا السؤال
تقريع المشركين وزيادة تعذيب بأن من عبدوه ليكون شفيعا يتبرأ
عنهم مواجهة ويكذبهم احوج ما كانوا قالوا سبحانك ننزهك عن الشريك
أنت ولينا من دونهم منجا ومزين عنهم لا ولاية ولا مودة لنا الا لك
بل كانوا يعبدون الجن حيث اطاعوهم وقيل كانوا يعبدون الاصنام
والجن تدخل في اجوافها فيعبدون بعبادتها وقيل صورة الشياطين
صور الجن وقالوا هذه صور الملائكة اكثرهم اي كلهم بهم
مؤمنون الضمير الاول للمشركين والثاني للجن فاليوم لا يملك
بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ لا اضار في ذلك اليوم ولا نافع الا
الله وتقديم النفع اهتماما لانه الغرض من عبادتهم ونقول للذين
ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك
مبين للغرض من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا
الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم اراد وا نفي
رسالته وحصروا وصافه في هذا الغرض الفاسد وقالوا ما هذا الا
افك كذب لا يطابق الواقع مفترى في نسبة اليه تعالى
وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم اي القرآن او كل ما جاء به رسول الله
ان هذا الا سحر مبين واضح لاستره به وفي ايثار المظهر موصولا وما في لما
من معنى المبادرة على التكذيب من غير تأمل انكار شديد كانه قال اولئك الكفرة
المتمردون قالوا لذلك الحق المنير قبل ذوق معناه ليس شيء سوى السحر
وما آتيناهم من كتب يدرسونها ليكون لهم في قولهم الباطل متشبث
كاهل الكتاب وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم الى ترك الشرك
ويتوعدهم بالعقاب على تركه فهم جهلة اميون ثم توعدهم بقوله وكذب
الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم اي كذب الذين من قبل
هؤلاء وما بلغ كفار مكة عشر ما آتينا اولئك من المال والقوة او ما بلغ
اولئك معشار ما آتينا كفار مكة من الايات والهدى فكذبوا رسلي عطف
الفعل على المطلق وما بينهما اعتراض وجعل الاول للتكثير عائد الى الاطلاق
او عطف على يكذبون ثمة والاعتراض والضمير لاهل مكة وتكذيبهم للرسل
هو تكذيب محمد عليه السلام فانه تكذيب لهم من وجهين فكيف كان نكير
انكاري عليهم بالتدمير تنزيلا للفعل كتنزيله القول قل انما اعظكم
بواحدة خصلة او وصفة ان تقوموا لله تفسير لواحدة الجار والمجرور
في محل النصب اي مختلفين من غير اتباع هوى ولا تقليد والقيام اما هو

التفاوت فاما التهوض بالرأي والهمة مثنى اثنين وفرادى واحدا
واحدا لان الكثرة تشوش الخاطر وتفرق البال والاثنان كل منهما يغرض
رأيه على الاخر والواحد نوامر نفسه ثم تتفكروا اما بصاحبكم من جنة
فتعلموا ان ليس به جنون وذلك ان ما ادعاه من لشان الذي دونه ملك
التاجرين لا يدعيه الا احد رجلين مجنون لا يدري ما يقول او موفق من
عند الله بمعجزة باهرة اذ العاقل لا يرضى بما فتضاحه لدى المعارضة ومحمد
برئ من الجنون قد صاحبتموه دهرا وتبين لكم انه اصدق الناس لهجة
وارجحهم عقلا وارزنهم حلما بل هو مركن دائرة الفضائل والمحامد
وهذا وقد ايده الله بمعجزات باهرة من انواع لا تبقى شبهة في امره ويجوز
ان يكون ما بصاحبكم مستأنفا منه تعالى تنبيها لهم على وجه التفكر و
هذا افخم واشد طباقا وما نافية للاستفهام وجه حسن اي اي شيء
فيه من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه
قال بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر فهو لكم اي ما شيء
سألتكم من الاجر نجا وزت عنه وتركته لكم فني لسؤال الاجر على ابلغ
وجه ويجوز ان يكون ما موصولة والذي سألتهم هو قوله لا
اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله ما اسألكم عليه من
اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا شك انه هم لا لله ان اجري
الا على الله الذي ارسلني وهو على كل شيء شهيد مهيمن يعلم صدقي
مقالتي وضميره قل ان ربي يقذف بالحق القذف الالقاء بسرعة دفع واعتماد
استعير للايحاء والانزال او يقذف به الباطل فيدمغه فلا يدع له اثرا والغيوب
لا يخفى عليه شيء فهو يعلم من يستحق الاصطفاء او ما هو جدير بالقمع
والاذهاب وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الغين لمناسبة الياء والباقون
بالضم على الاصل كالقلوب قل جاء الحق وهو القرآن او دين الاسلام
وما يبدئ الباطل وما يعيد الباطل ما عبد من دون الله تعالى لا يقدر
على الانشاء ولا على الاعادة الذين هما من لوازم الالوهية او كناية
عن اهالك كقولهم لا ناكل ولا يشرب كانه عرف الميت فان الحي يبدئ
الفعل ويعيده وقيل الباطل ابليس لانه ذو الباطل او لانه هالك و
فيه تقرير لما تقدمه لانه اثبات الحق وهذا ازالة الباطل وعن الزجاج
ان ما استفهامية قل ان ضللت فانما اضل على نفسي عليها ووزرها
لانها الامارة بالسوء فكل ضال انما مرتعه ومآله لا يخطاها وان
اهتديت فبما يوحي الي ربي فبهدايته الله وتوفيقه وان كان لها لم يخل

فما كتبنا به هذا وإن خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد دخل
تحته كل مكلف إنه سميع قريب لا يخفى عليه شئ من مقالى ولو ترى
إذ فزعوا يوم القيمة او عند الموت او يوم بدر فلا فوت منا وأخذوا
من مكان قريب من الموقف الى النار او من ظهر الارض الى بطنها او صحراء
بدر الى القليب وعن ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى خسف البيداء وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغزو جيش الكعبة حتى اذا كانوا بالبيداء
يخسف بهم قالت عايشة رضى الله عنها فقلت كيف لمن كان مستكرها قال
يخسف بكلهم ثم يبعثون على بنا نهم واخذوا عطف على فزعوا او على فلا فوت
على معنى فلم يفوتوا واخذوا والاول اوجه لانه يقتضى اعادة فلا فوت
تقديرا فيفيد تاكيدا ولو واذ والافعال الواقعة بعدها من فزعوا واخذوا
وجيل وان كانت للمضى اريد بها المستقبل لان فعله المستقبل كالواقع
وقالوا امنا به واتى لهم التناوش هو التناول السهل الذى قال الكفار
حين اخذوا امنا بمحمد لتعذر ذكره فى ما بصاحبكم من جنة من مكان بعيد
مثل حالهم بحال من يريد تناول الشئ مع بعد المكان وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائى وابو بكر التناوش بهمزة مضمومة من ناش تناول من بعد والباقون
بالواو من ناش ينوش والمعنى واحد وقد كفروا به من قبل اى وان
التكليف وبقذفون بالغيب يرجمون به عطف على كفروا والمضارع
لحكاية الحال من مكان بعيد وذلك قولهم فى رسول الله شاعر او ساحر
او فى القرآن شعر وساطير الاولين اذ لا مظنة للالتباس مثل حالهم بحال
من يقذف شيئا من بعيد لا يظن لحوقه او قولهم ان كان هناك بعث نحن احق
حالا من اصحاب محمد قياسا بلا جامع مع ظهور الفارق وحيل بينهم وبين
ما يشتهون حيث امنوا حين لم يقبل منهم او ما كانوا يتصورون من
انهم احسن حالا كما فعل بأشياعهم من قبل بامثالهم من الامم
المكذبة الذين كانوا يتشبثون فى الاعتقاد انهم كانوا فى شك مريب
موقع فى الريب او شك فاريب كلاهما اسناد مجازى والوجه مختلف تمت
السورة والحمد لله على جزيل نعمه والصلوة على من فاق الورى باخلاقه وشيمه

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض خالقهما
من فطر الشئ شقه كانه شق العدم واخرجهما منه والاضافة محضة وفى
ذلك وصف به المعرفة جاعل الملئكة رسلا بيانه وبين عباده فى الاحياء

وكتبه الاعمال اولى اجنحة ذوى اجنحة واولو جمع ذو من غير لفظه
كالمحاض وهى حوامل النوق مفرده خلفه مثنى وثلاث ورباع نصبها
على الوصف غير منصرفة للعدل والوصف وفى الاختلاف فى الكمية تنبيه
على تفاوت رتبهم فلا دلالة فيه على عدم الزيادة ولذلك اردفه بقوله
يزيد فى الخلق ما يشاء من الاجنحة وغيرها على ما اقتضته الحكمة راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل فى صورته الحقيقية له ستمائة
جناح بين كل جناحين ما بين المشرق والمغرب والاية باطلاقها تتناول
كل ما قيل فى تفسير الزيادة بالوجه الحسن والصوت والخط الحسن والملاحة
وغيرها من التجانيا والمزايا إن الله على كل شئ قدير فالموجب للتخصيص
تعلق الارادة ما يفتح الله للناس ما يرسله ويطلقه عبر بالسبب عن المسبب
من رحمة نعمة سماوية او ارضية كالمطر والامن والعافية فلا ممسك
لها لا يقدر احد على منعها وما يمسك فلا مرسل له من بعده بعد امساكه
وتذكير الضمير العايد الى ما تارة وتانيثه اخرى نظرا الى المعنى واللفظ و
اوثر ما فى التنزيل دون العكس لان الاول فسر بالرحمة فحسن التانيث وفى
ذلك اشارة الى سبق رحمته وترك تفسير الثانى لدلالة الاول عليه
او طلق ليتناول كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وهو العزيز الغالب
يرسل ويمسك على وفق مشيئته الحكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة
يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بالقيام بشكرها وصرف القلب و
الجوارح الى طاعة موليها هل من خالق غير الله من للتاكيد لانه مطلقا فيتناول ما
تناول الا وليا والاستفهام الزام وتبكيت غير الله صفة خالق على المحل
او بدل وقرا حمزة والكسائى بالجر على اللفظ يرزقكم مستانف فلا
يمتنع اطلاق الخالق على غيره تعالى وان جعل صفة رفعا او جرا او مفسرا للرافع
من خالق محلا امتنع لاختصاصه بالرازق من السماء والارض لا اله
الا هو مستانف كبرزقكم فى الوجه الاول اذ لو جعل صفة لخالق للزم
التناقض لان هل من خالق غير الله اثبات للخالقية له تعالى فاذا وصف ذلك
الخالق بانه لا اله الا هو كان نافضا فانى تؤفكون فكيف تصرفون
عن التوحيد بعد هذا البيان وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
فصبروا فاصبر انت فانك اولى بذلك لانك سيدهم المقدم والى الله ترجع
الامور فيجازيكم على قدر التصب وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح التاء
وكسر الجيم يا ايها الناس ان وعد الله حق ثابت لا محالة فتهيا لما تعده
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا التمتع بلذاتها يغرنكم برواها عن قرب

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ الْعذب
الحلو وَالْفُرَات مَا يكسر الْعَطش من الْفرت وَالسَّائِغ السَّهل الاغتذار والاجاج
الَّذِي تحرف بملوحته مثل ضربه الله للْمُؤمن وَالْكَافِر ثمَّ اسْتطرد وَصف
الْبَحْرَيْن بِمَا نيط بهما من الْمَنَافِع بِقَوْلِه وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا لِأَن الْكَلَام فِي أدلة وَحدَانِيَّته وَكَمَال قدرته وَقيل هُوَ
من تَتِمَّة الْمَثَل لتفصيل الْمُشَبَّه بِهِ على الْمُشَبَّه استدراكا لدعوى الِاشْتِرَاك
فِي الملح خَاصَّة لاشتماله على فَوَائِد لم توجد فِي الْمُشَبَّه فَلَا ترشيح وَقيل هُوَ من
تَتِمَّة التَّمْثِيل على مَعْنَى أَن الْبَحْرَيْن وَإِن اشتركا فِي بعض الْفَوَائِد لكِن خالط
أَحدهمَا مَا أفسد فطرته الْأَصْلِيَّة كَذَلِك الْمُؤمن وَالْكَافِر وَإِن اتفقا فِي
بعض الْأَخْلَاق وَالْمَكَارِم تفاوتا فِيمَا هُوَ الأَصْل لبَقَاء أَحدهمَا على الْفِطْرَة
دون الآخر وَتَرَى الْفلك فِيهِ مَوَاخِرَ شواق من الْخَرْق وَقيل هُوَ صَوت
جريها وَإِنَّمَا قدم الْجَار وَالْمَجْرُور هُنَا وَأخره فِي النَّحْل لِأَن الْكَلَام هُنَاكَ فِي
تعداد النِّعَم وَكَون الْفلك مَاخِرَة سَبَب قريب لَهَا وَهُنَا وَقع اسْتِطْرَادًا أَو
تَتِمَّة للغرض لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ بِالْمُسَافَرَةِ للتِّجَارَة وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
تِلْكَ النِّعَم حرف التَّرَجِّي بِاعْتِبَار ظاهرهم يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَار وَيُولِجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسخر الشَّمْس وَالْقَمَر كل يجْرِي لأجل مُسَمًّى هُوَ تَمام دوره
أَو منتهاه وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة ذَلِكُمُ الموصوف مُبْتَدَأ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
أخبار مترادفة وَفِي اسْم الْإِشَارَة إِشَارَة إِلَى علية الْوَصْف لثبوت الْأَخْبَار
وَيَجُوز أَن يَكُون لَهُ الْمُلْك كَلَامًا مُبْتَدَأ فِي قِرَاءَة قَوْله وَالَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ للدلالة على تفرده بالالوهية وَالتَّعْظِيم
لقافه النَّوَى وَإِمَّا ايقاع اسْم الْجَلَالَة صفة لاسم الْإِشَارَة فَلَا تصح لفظا
لكونه علما وَلَا معنى لِأَن الْغَرَض أَنه متفرد بالالهية لِأَن الْمُتَفَرد بالالهية
هُوَ ربكُم وَكَذَا عطفا لبيان لإيهامه تخيل الشّركَة إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا
دُعَاءَكُمْ لأَنهم جماد وَلَوْ سَمِعُوا فرضا إِذْ كَانُوا من جهلهم يزْعمُونَ ذَلِك
مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ لعدم الْقُدْرَة وَهَذَا محسوس لَا يكابرون فِيهِ وَيَوْم الْقِيَامَة
يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ينكرون عبادتكم كَقَوْلِه وَيكونُونَ عَلَيْهِم ضِدًّا انتفى النَّفْع
وَثَبت الضَّرّ وَأي ضرّ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ أَي لَا يخبرك بالامر مخبر مثل
عالم خَبِير بحقائق الْأَشْيَاء وبواطنها وَهُوَ الله تَعَالَى وَفِيه تَحْقِيق وتقرير لما
أخبرته عَن حَال الْمُهِمّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ فِي ذاتكم وأحوالكم
وتعريف الْفُقَرَاء لإفادة أَن فقرغيرهم كَلَا فقر لشدَّة احتياجهم من بَاب
ذَلِك الْكتاب وَخَاتم الْجواد وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ فِي ذاته وَصِفَاته وَأَفْعَاله

الْحَمِيدُ المحمود على الْإِطْلَاق من بَاب التكميل إِذْ لَيْسَ كل غَنِي جوادا وسوق هَذَا الْكَلَام
لدفع توهم أَن دعاءهم إِلَى التَّوْحِيد وَالْعِبَادَة لَيْسَ للاحتياج إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ بِأَن ينشئ عالما آخر وَمن يوحده وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
بِعَزِيزٍ متعسر وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى الْوِزْر الثّقل أُرِيد بِهِ الْإِثْم
أَي لَا تحمل نفس إثم نفس أُخْرَى وَإِنَّمَا يسوق للدلالة على أَن الله غَنِي عَن عبادتكم
وَرَسُوله لَا يحمل وزركم فَلَيْسَ إِرْسَاله وَدُعَاؤُهُ إِلَى الْإِيمَان إِلَّا رَحْمَة لكم
وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ أَي إِن تدع كل نفس مثقلة بالاوزار
كل من يمكن أَن يَكُون مدعوا لحمل بعض الْأَوْزَار لَا يجبها إِلَى ذَلِك الْمَدْعُوّ لَهُ
لشدَّة الْهَوْل فالاولى دَلَّت على كَمَال الْعدْل وَهَذِه على شدَّة الْهَوْل وَلَوْ كَانَ
ذَا قُرْبَى أَي الْمَدْعُوّ دَلَّ عَلَيْهِ إِن تدع وَكَيف ينفع ذُو الْقَرَابَة فِي يَوْم يفر
الْمَرْء من أَخِيه وَأمه وَأَبِيه إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ أَي
لَا يقدر إِلَّا على إنذار هَؤُلَاءِ لانتفاء الْقَابِلِيَّة من غَيرهم وَمحل بِالْغَيْبِ نصب
على الْحَال من الْفَاعِل أَي غائبين أَو من الْمَفْعُول أَي غائبا عَنْهُم أَو الْبَاء صلة
أَي فِي خلواتهم وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ حلوا ظواهرهم بالعبادات كَمَا زينوا بواطنهم
بالخشية وَالْإِيمَان بِالْغَيْبِ وَالِاكْتِفَاء بِالصَّلَاةِ لاشتمالها سَائِر الطَّاعَات
وَمَنْ تَزَكَّى تطهر ظَاهرا وباطنا اعْتِرَاض يؤكد مَا تقدم فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ
نفعه لَا يتخطاها وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ للْجَزَاء وَعَدَلَهُمْ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ مثل للْمُؤمن وَالْكَافِر أَو للصنم وَالْمَعْبُود بِالْحَقِّ فعلى الأول
عطف على قَوْله وَمَا يستوى الْبَحْرَانِ وَعلى الثَّانِي من تَتِمَّة قَوْله ذَلِكُمُ اللَّهُ
رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ والاول اولى لِأَنَّهُمَا شبهتا أولا بالبحرين ثمَّ فضل الْمِلْح
على الْكَافِر ثمَّ بالاعمى والبصير ففيه ترق وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
وَلَا شبهتا الْكفْر وَلَا الْإِسْلَام وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ الْحر وَهُوَ
السَّمُومُ وَقيل الْحَرُور بِاللَّيْلِ وَالسَّمُوم بِالنَّهَارِ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا
الْأَمْوَاتُ الْمَوْصُوف وَالْحَقّ ترقى ثَلَاثَة هَذَا وكلمة لَا فِي وَلَا الظُّلُمَات وَلَا
الظِّلّ مذكرة للنَّفْي مؤكدة لَهُ كَمَا فِي وَلَا الضَّالِّينَ وَأما الَّتِي فِي وَلَا النُّورُ
وَلَا الْحَرُور وَلَا الْأَمْوَات فليست كَذَلِك إِذْ لَا يَصح تَقْدِير الْفِعْل بعْدهَا
لِأَن الْفَاعِل مَجْمُوع الْمُتَقَابلين فَهِيَ زَائِدَة للتوكيد وَقيل قصد بهَا نفي الاستواء
من كل مِنْهُمَا مقيسا إِلَى الآخر فَإِن قلت لم لم يعد لَا المؤكدة فِي الْبَصِير كَمَا
أعادها فِي سَائِر الْمَعْطُوفَات قلت لِأَنَّهُ تمهيد للترقي إِلَى التَّشْبِيه بالاحياء
وَالْأَمْوَات لَا يرى كَيفَ أعاد وَمَا يستوي وَمَا بَينهمَا من التَّمْثِيلين مقصودان
ذاتا فَلذَلِك أعيدت وَإِنَّمَا وَسطا لما بَينهمَا فقدان نور الْبَصَر وَالنُّور الْخَارِج

من الكلام إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ هدايته وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ترشيح لتشبيه المصرين على الكفر بالاموات إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ وقد انذرت وليس عليك الاسماع إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ محقين او محقا حال من الفاعل او من المفعول او منهما او صفة المصدر او يتعلق بقوله بَشِيرًا وَنَذِيرًا بالوعد الحق والوعيد الحق وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ اهل عصر إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ اى ليس من امة الا بعث اليها نذير فاذا ذهب وانقرست اثاره بعث اخر ويجوز ان يكون النذير اعم من النبى والعالم القائم مقامه وانما اكتفى بالنذير لكونه قرين البشير غالبا ولتقدم ذكره انفا ولم يعكس لان الانذار هم الاهم وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ الشواهد على نبوتهم وَبِالزُّبُرِ الصحف وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ كالتوراة والانجيل والزبور والمجئ بالكتاب لا يقتضى الاتيان به اصالة لقوله يحكم بها النبيون وقيل الاسناد الى الكل بمعنى شمول البعض للكل كالبينات واختصاص البعض بالبعض ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا بالاستيصال وقلع شافتهم فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ انكارى تعجيب مما صنع بهم أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا انواعها واصنافها ومنه تلوين الكلام وَرَجُلٌ مُتَلَوِّنٌ او المتعارف من الحمرة والصفرة وغيرهما كقوله واختلاف السنتكم والوانكم وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ وفى جدد اى خطط جمع جدة من الجد وهو القطع لانها مقطوعة من سائر الالوان وعن ابن عباس رضى الله عنه هى الطريق بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا فى الشدة والضعف بعد وقرب دونهما وَغَرَابِيبُ سُودٌ اى منحدر اللون جمع غربيب وهو الذى تناهى سواده صفة مضمرا لا يجوز ان يكون سود تاكيدا له او سود بدلا منه وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ كل ما يدب او الخيل والبغال والحمير والانعام الابل والغنم والبقر من عطف الخاص على العام على الاول مختلف الوانه اى بعض منها مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمرات والجبال نصب على المصدر او رفع اى الامر كذلك ولما خاطبه وعدد عليه دلائل التوحيد من العالم العلوى والسفلى من البسايط والمركبات من الحيوان والنبات وسائر الهيئات من الالوان والصفات قال إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ كانه قال انما يخشاه مثلك او من يداسك فى المعرفة من الذين قدروا الله حق قدره وسلك فى ذلك طريق الكناية كقولهم العرب لا تحقر الذم دلالة على ان العلم صفة تناسب الخشية وداعى فى ذلك براعة المطلع بذكر اوليائه إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لا يغالب غَفُورٌ لفرطات من خشيته

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ يداومون تلاوته فانها من افضل الاعمال أَوْ يعملون بما فيه وقيل اريد به جنس الكتب تناء على المصدقين من الامم وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً اى فى الاوقات كلها وقيل السر فى التطوع والعلانية فى الفرض وأثر فى التلاوة المضارع دون التالين اشارة الى استغراقهم الماضى والمستقبل بالطاعات يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لن يكسد من البوار وهو الهلاك خبر ان لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ علة لما دل عليه لن تبور اى نفقت عند الله ليوفيهم بها اجورهم وَيَزِيدَهُمْ على ما يقابل اعمالهم مِنْ فَضْلِهِ كقوله وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ذلك ان يجعل يرجون حالا عن فاعل ما يقدمه اى فعلوا جميع ذلك راجين لهذا الغرض وخبر ان إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ اى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ من بيان ان اريد بالكتاب القران وتبعيض ان اريد به الجنس هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ كامل العلم ببواطن احوالهم وظواهرها فلو لم يكن أهلا لهذا الكتاب المعجز المهيمن على سائر الكتب لما انزله به وتقديم الخبير اهتماما لان الاطلاع على الخفايا والسرائر هو المختص به تعالى وذكر البصير على طريقة التتميم وقيل لان العمدة فى ذلك الامور الروحانية ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ حكمنا بتوريثه منك او نورثه وايثار الماضى كما فى نظائره لتحقق وقوع ما اخبر به او ورثناه من الامم السالفة ان جعل الذين يتلون ثناء على المصدقين من الامم والدنى وحينئذ البيان كيفية التوريث الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا هم امة محمد كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل العلماء ويرده قوله فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ بترك الاعمال وارتكاب المحرمات وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ متوسط خلط عملا صالحا واخر سيئا وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بالاتيان بالطاعات وترك المنكرات بِإِذْنِ اللَّهِ بتوفيقه وتيسيره هذا الذى عليه اكثر المفسرين من الصحابة ومن بعدهم ودل عليه التعظيم بالايراث والاصطفاء وكيف لا وقد اشار الى القسم بعده بقوله وَالَّذِينَ كَفَرُوا أهلكم لتدخلوا جهنم وبه فسر ما نزل عليه الكتاب روى الترمذى بإسناده الى ابى سعيد ان رسول الله لما تلا هذه الاية قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم اهل الجنة وقد وافقه رواة اخر بكادون ان تبلغ التواتر وترتيب النظم على هذا لان الظالم اكثر والمقتصد كثير والسابق قليل وقيل الظالم هو الكافر والضمير عائد الى عبادنا ذلك هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ اشارة الى الايراث والاصطفاء حقا تعذ بدخولها

مبتداء وخبر والضمير للفرق الثلث بدل عن الفضل الكبير يحلون فيها
خبر اخر او حال مقدرة من اساور من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية
للبيان ولؤلؤا عطف على اساور وفى قراءة نافع وعاصم بالنصب وعلى لفظ
ذهب فى قراءة غيرهم والمعنى من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب فى صفاء
اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير على الدوام بخلاف الاسورة ربما تنزع
كما هو المتعارف فى الدنيا وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن جنسه
او كل فرد منه مما يشق منه فى الدنيا والاخرة وعن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى القبور
ولا فى النشور وكاني بهم ينفضون التراب ويقولون الحمد لله الذى اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور لكثير الغفران شكور للبسير الذى احلنا
دار المقامة من فضله اذ لا يستحق العبد على مولاه اجرا لعمل لا يمسنا
فيها نصب مشقة اذ لا تكليف هناك ولا اعفة ولا طلب رزق وانما الموجود
المس فكيف بما فوقه ولا يمسنا فيها لغوب فتور يعترى الانسان من التعب
وانما نفاه صريحا مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم يحتضرهم لا
يقضى عليهم بالموت فيموتون ثانيا ويستريحون نصب بإضمار ولا يخفف
عنهم من عذابها طرفة عين كما او كيفا كذلك نجزى كل كفور مبالغ فى
الكفر او فى الكفران وقرا ابو عمرو ويجزى بالياء على بناء المفعول والنون
اشة نهويلا وهم يصطرخون فيها يتصارخون من الصراخ وهو الصياح
بشدة استعمل فى الاستغاثة لان المستغيث يجهد فى الصياح ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل اذ كان فى حسبانهم انهم على عمل صالح قال
تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا او المراد التحسر على ما فاتهم من
العمل الصالح فالموصل على الاول مميز وعلى الثانى مؤكد او لم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر جواب منه تعالى على وجه التوبيخ والالتفات لتربية
النذير وهو النبى الصادق لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير احتجاجا
عليهم بالاعم الاغلب للعمل مع الطول المزيح للشبه وقيل الشيب والعقل
او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين اى لكم والاظهار للاشارة الى
العلة من نصير يدفع عنكم العذاب ان الله عالم غيب السموات والارض
لا يخفى عليه شئ وقد علم انهم اهل الطبع وانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه انه عليم بذات الصدور وهى الضمائر التى لم تبرز وانما علمها فعله
بغيرها الولى هو الذى جعلكم خلائف فى الارض جمع خليفة وهو الذى
استخلف على الشئ والتى اليه مقاليد التصرف فيه وفيه تقرير لقوله

اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فمن كفر فعليه كفره اى جزاؤه
ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا لانهم كلما ازدادوا جرما
بالاصرار ازدادوا بعدا او عكس ذلك المؤمن ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم خير الناس من طال عمره وحسن عمله والمقت اشد البغض ولا
يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا فى الاخرة لازدياد العذاب بازدياد الاثام
والتكرير لافادة استقلال الكفر باقتضاء كل من الامرين قل ارايتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله اخبرونى عن حالها هل يستحق الشركة واضافتها
اليهم لانهم المثبتون لها ارونى ما ذا خلقوا من الارض اى جزء من اجزائها
بدل اشتمال من ارايتم ام لهم شرك فى السموات بان شاركوه فى خلقها
فيشاركونه فى الالوهية ام اتيناهم كتابا ينطق بذلك فهم على بينة
منه على حجة واضحة والكلام على الترقى فى اثبات الشركة لانه الاستقلال
بخلق شئ من الارض شركة ما والاشتراك معه فى خلق السموات ادل ثم انزال
كتاب بانها شركاؤه ادل وادل ويجوز ان يكون على التدرج من الاستقلال
الى الشركة ثم الى حجة مكتوبة بها وان يكون الضمير فى اتيناهم للمشركين
كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرا نافع وابن عامر وابو بكر والكسائى
بينات بصيغة الجمع وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد له من دليل
والافراد ابلغ لان الكلام مسوق للتبكيت وان ليس لهم فى ذلك شبهة
فضلا عن دليل وعلمه الرسم بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
اضرابا عن تلك الاقسام الى ما هو الواقع وهو قول الرؤساء للاتباع هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهية
ان تزولا فيبطل ما بينهما من التعاون والتعاضد ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده من بعد الزوال او من بعد
الله من الاولى زائدة والثانية ابتدائية انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة
وفيه ايماء الى ان دعوى الشريك له مما يزيل هذه الاجرام عن مقارها لولا
حلمه كقوله تكاد السموات يتفطرن منه غفورا لمن تاب عن الشرك
ما قد سلف واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم هذه كانت مقالة مشركى العرب قبل بعثة رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقدحون فى الامم المكذبة من اليهود والنصارى وغيرهم
فكذبهم الله فى تلك المقالة ومعنى احدى الامم افضلنا كقولهم زيد واحد
القوم وقول لبيد ويرتبط بعض النفوس حمامها او بعض الامم من غير تعيين

فلما جاءهم نذير محمد ما زادهم شيئا الا نفورا بعدا عن الحق
استكبارا في الارض مفعول له او بدل من نفورا ومكر السيئ برسول الله
ومن امن به عطف على استكبارا او على نفورا اصله وان مكروا المسيئ اى
المكر السيئ ثم حذف الموصول استغناء بوصفه ثم بدلا مع الفعل بالمصدر
ثم اضيف فرا حمزة مكر السيئ او لا باسكان الهمزة اجراء للوصل مجرى
الوقف ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اى لا يحيط وكذا كان يوم بدر
ومن امثالهم من حفر لاخيه قليبا وقع فيه قليبا ومن حفر لاخيه جبا
وقع فيه منكبا فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين من الامم المكذبة
وان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك فلن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا بان
يجعل مكان العقاب ثوابا ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقل عقاب
العاصي الى الطايع او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم اى فدمروا وشاهدوا في اسفارهم الى العراق والشام
واليمن اثار تلك الامم ولا يقين اعلى واجلى من المشاهدة فكان ينبغي ان يعتبروا
ويعلموا صدق مقالتك وكانوا اشد منهم قوة عددا واجسادا واموالا
وما كان الله ليعجزه من شئ ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض
انه كان عليما كامل العلم قديرا تام الاقتدار اشارة الى ان امهالهم
بعد الاصرار مع كمال الاقتدار لما في علمه الشامل من الحكم ولو يؤاخذ الله
الناس بما اكتسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها اى على ظهر الارض من
دابة كما يدب على الارض من سائر الحيوانات ليشوم المعاصي وقيل الدابة الانسان
وعن انس بن مالك ان الضب يموت في جحره هزالا بذنب بني ادم وفي رواية ان
الحبارى ليموت ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اخر اعمارهم او يوم القيمة
فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على حسبها هم تمت والحمد
لله حق حمده والصلوة على رسوله وعبده وآله وصحبه الذين قاموا بشكره وجهده

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم يس اسم السورة او حروف مقطعة كما تقدم
في عن ابن عباس معناه يا انسان بلغة طي ووجهه الاقتصار على شطر الكلمة
لكثرة الاستعمال بعد ان صير على ايسن وعن ابن جبير حروف مجمة وقائمة مقام
النداء كما نقل عن ابن عباس انا الله اعلم ونحوه واما ال حمزة والكسائي
وابو بكر يا وادغم النون في الواو ابن عامر وابو بكر والكسائي وورش
والقرآن الحكيم ذي الحكمة على معنى النسبة كلابن او ناطق بالحكمة

استعارة مكنية او وصف يوصف صاحبه بمجاز حكمي انك لمن المرسلين
على صراط مستقيم خبر ثان او حال من المستكن في الجار والمجرور هو
التوحيد ودين الاسلام والمرسل وان كان من لوازمه ان يكون على صراط
مستقيم الا ان الغرض وصفه ووصف ما جاء به صريحا وتنكير الصراط
لتعظيم منهاجه على طريق سائر الرسل لكونه حنيفيه سمحاء تنزيل
العزيز الرحيم خبر مبتداء محذوف وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص بالنصب على المصدر المقدر او على المدح وهذا ابلغ واولى وقرا
حمزة لتنذر قوما متعلق بتنزيل وبمعنى لمن المرسلين ما انذر اباؤهم
اى الادنون كقوله وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فلا يناقي قوله
وان من امة الا خلا فيها نذير وما موصولة اى لتنذر هؤلاء الذي
انذر به اباؤهم او مصدرية اى انذار اباءهم فهم غافلون متعلق
بالنفي على الاول بمعنى ان سبب غفلتهم عدم انذار اباءهم وبقوله انك
لمن المرسلين لتنذر على الثاني بمعنى لباعث كقولك اسقه ماء فانه
عطشان لقد حق القول على اكثرهم بانهم يموتون على الكفر لقوله ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقوله خلقت هؤلاء للنار ولا ابالي
فهم لا يؤمنون نتيجة ذلك القول وفيه تسلية لرسول الله انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان اى واصلة اليها والغل قد يجمع
به الايدي الى العنق لذلك يقال له الجامعة ويكون ملتقى طرفيه هذا امر
فيه عمود يمنع المغلول من ان يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فهم مقمحون
من قمح البعير رفع راسه اى يركب الاغلال رؤسهم مرتفعة من الضيق
وهذا مثل ضربه الله لمنع التوفيق وتبيان حالهم من التصميم على الكفر و
الاعراض وعدم التامل في ايات الله استكبارا بالمغلول الذي لا يقدر
على النظر خلفه ولا قدامه ثم قرر ذلك واكده بقوله وجعلنا من بين
ايديهم سدا ومن خلفهم سدا جاجرا قرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص
بفتح السين والباقون بالضم وعن ابي عبيدة الضم لفعل الخالق والفتح
للمخلوق ويتعارضان فاغشيناهم فهم لا يبصرون شيئا امامهم الافاق
فلان السدين قد احاطا بها واما السدين فلان الشئ اذا قرب غاية القرب لا يكاد
رؤيته وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون لانهم اهل
الطبع انما تنذر من اتبع الذكر اى الانذار الذي يترتب عليه الخير فلا يرد
مطلق الانذار عامهم وغيرهم والذكر القران او اعم وخشي الرحمن
بالغيب حال كونه ملتبسا بالغيب لاخباره او بقلبه الذي هو غايب

عز الخلق وفى ذكر الرحمن مع الخشية اشارة الى ان لا يغتر برحمانيته فانه
شديد العقاب فبشره بمغفرة واجر كريم لا من فيه ولا تعب انا نحن
نحيى الموتى تبعتهم للجزاء وعد ووعيد وعن الحسن نحن جهنم من الشرك
الى الايمان ونكتب ما قدموا من الاعمال الصالحة والطالحة قال
حكيم بن حزام يا رسول الله ارأيت اشياء كنت اتحنث بها فى الجاهلية فقال
اسلمت على ما اسلفت وآثارهم الباقية بعدهم من علم علموه وولد صالح
تركوه وسنة حسنة سنوها واضدادها من السيئات وقيل الآثار هى
الخطى الى المسجد لما روى جابر ان بنى سلمة ارادوا الانتقال الى قرب مسجد
رسول الله فقال يا بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم
وكل شىء احصيناه فى امام مبين فى اللوح المحفوظ واضرب لهم مثلا
لنفسك ولهم من قولهم عندى من هذا الضرب كذا اى اذكر لقومك قصة
عجيبة اصحاب القرية اى قصة اصحاب القرية وهى انطاكية اذ جاءها
المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية اذ ارسلنا اليهم اثنين
هما يحيى ويونس وعن ابن اسحق تاروص وماروص وعن مقاتل فولمان
وماروس وانساد الارسال اليه لانه فعل رسوله المرسل باذنه فكذبوهما
فعززنا هو شمعون اى قوينا هما من عز المطر الارض ليدها وقرأ
ابو بكر مخففا من عز غلب والتشديد ابلغ وانما حذف فى المفعول لان الغرض
ذكر المعزز به فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك ان اهل انطاكية كانوا
عبدة الاصنام فارسل اليهم عيسى اثنين يدعوهم الى عبادة الله فلما
قربا المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فاخبراه فقال هل معكما اية قالا
نعم نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان ابن مريض فمسحاه فشفى ثم
سعى على بديهما خلق كثير وتما خبرهما الى الملك وشافههما فاخبراه الخبر فاحضرهما
ثم ارسل عيسى شمعون فدخل متنكرا وصاحب حاشية الملك
حتى اتصل به وتاله مكانه عنده وكان يدخل معه بيت الاصنام ويتذلل لها
فقال يوما للملك سمعت انك حبست رجلين فقال نعم قال هل سمعت
مقالتهما قال لا قال لو سمعت فارسل فدعاهما فاخبراه الخبر فقال لعلما ايتكما
فقال الايتمنى فدعا بغلام ممسوح العينين فدعوا الله فشق له بصران امتا
خذا بندقتين فوضعا موضع العينين فصارتا مقلتين فقال شمعون
ايها الملك لو سألت الهتك حتى تفعل مثل هذا لكان شرفا له قال ليس لى
عندهم سر ان الهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تنفع ولا تضر ثم قال الملك
ان قدر الهكم على احياء ميت امتثابه فدعيا بغلام مات منذ سبعة ايام

فدعوا فقام وقال انى دخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم
فيه وقال انى نظرت الى السماء ففتحت ابوابها فرأيت شابا حسنا يشفع
لهؤلاء الثلثة فلما راى شمعون ان القول قد اثر فيه دعاه الى الله فآمن
وآمن معه جمع وصاح جبرائل على من لم يؤمن فهلكوا قالوا ما انتم الا
بشر مثلنا لا مزية لكم زعما ان البشر لا يكون رسولا وما انزل الرحمن
من شىء من الوحى لا عليكم ولا على غيركم ان انتم الا تكذبون تصريح
بما علم ضمنا قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اكدوا الكلام بان
واللام وما يجرى مجراهما لقسم لما قوى الانكار منهم وما علينا الا
البلاغ المبين الواضح المؤيد بالمعجزات قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا
بكم اى بما سمعنا منكم تخاف ان يسخط علينا الهتنا وقيل حبس عنهم المطر
لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة او بالشتم وليمسنكم منا عذاب اليم
مؤلم قالوا طائركم معكم شؤمكم دائر معكم بسبب كفركم ان ذكرتم
جواب الشرط محذوف اى تطيرتم انكروا ان يكون التذكير الذى هو سبب
السعادات كلها جالبا للشؤم بل انتم قوم مسرفون تابكم الاسراف
فى العصيان وذلك اجلب شىء للشؤم او اضراب عن مجموع الكلام اى انتم
قوم مسرفون فى الضلال وذلك جعلتم سبب السعادة من اسباب الشؤم
والشقاء وجاء من اقصا المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان
فى غار يعبد الله فلما بلغه ان القوم عزموا على قتل الرسل سعى اليهم وهو
بإسلامه ليشتغلوا به عن الرسل قال يا قوم اتبعوا المرسلين اضاف
القوم الى نفسه واطلق الرسل اظهارا للنصح اتبعوا من لا يسئلكم
اجرا بدل من الاول والواو فى يا للمقصود وهم مهتدون الى البغية فلا
خسار لكم فى الدنيا ولا فى الاخرة ومالى لا اعبد الذى فطرنى اى مالكم
لا تعبدون بدليل قوله واليه ترجعون وانما اسنده الى نفسه ابرازا
له فى معرض المناصحة وانه لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه ءاتخذ من
دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا اى كيف
افعل وكيف يترك عاقل عبادة من بيده ملكوت كل شىء الى عبادة من
لا يغنى فى الدارين شيئا ولا ينقذون من النصر والمعالجة انى اذا لفى
ضلال مبين واضح لا يخفى على احد انى امنت بربكم فاسمعون انى
اسمعوا قولى واطيعوا فقد ارشدتكم مما لا مزيد عليه وقيل لما اراد قومه
قتله خاطب الرسل اى اسمعوا كلامى واشهدوا الى عند الله قيل دخل
الجنة استيناف كانه قيل ما فاكان جزاؤه بعد ذلك النصب والشيخ

بنفسه فى نصر دينه فقيل قيل له ادخل الجنة وانما حذف له لان الغرض
بيان عظم المقول لا المقول له ولكونه معلوما قال يا ليت قومى يعلمون
بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ليكون ذلك باعثا لهم الى اكتساب
الايمان وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصح قومه
حيا وميتا وفيه تنبيه للعالم ان لم يشتغل بالشماتة باعدائه الجهلة و
يتلطف معهم لعل ان يقتدوا به الا ترى الى هذا العبد كيف تمنى الخير
لقتلته الساكن لذمه وقيل تمنى ان يعلموا انهم على خطاء وانه كان على
الحق وقد فاز ليكون ذلك زيادة فى سروره والاولى اوجه للحديث المرفوع
وللتنبيه المذكور وما مصدرية او استفهامية او موصولة وما
انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم
بل كانوا احقر من ذلك اذ كفى ذلك صيحة جبريل بهم وما كنا منزلين وما
اقتضت حكمتنا ذلك وفيه اشارة الى ان انزال خمسة الاف من الملائكة
مسومين او الف مردفين انما كان اجلالا لقدرك واعظاما لرتبتك
التى لم يتوهل لها احد من اولى العزم فضلا عن حبيب التجار لا يرى كيف
دفع جبرائيل مدائن لوط بريشة من جناحه ان كانت الا صيحة واحدة
اى ما كانت الاخذة الا صيحة واحدة من جبرائيل وقرا ابن مسعود رضى
الله عنه زقية واحدة من زقاء الطير ثم قوا اذا صاح فاذا هم خامدون
كما يخمد النار استعارة تبعية اى ميتون يا حسرة على العباد اى المشركين
كانه قال تعالى فان هذا اوانك وهو مما دل عليه ما يأتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزءون فان من استهزاء بناصح حال على خيار الدارين
حقيق بان ينلهف عليه او الملائكة والمؤمنون يحسرون عليهم كما تمنى
حبيب الله ايمان قومه بعد موته او تحسير من الله تعالى على عظم ما جنوه
على انفسهم كالتعجيب والتضجك على سبيل الاستعارة الم يروا كم اهلكنا
قبلهم من القرون اى قد علموا ذلك فانهم لا يعتبرون والفعل قد علق
عن العمل فى كم لان الخبرية اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون
بدل من كم اهلكنا معنى اى لم يروا كثرة اهلاكهم غيرا جعين وان كل لما
جميع لدينا محضرون ان مخففة واللام هى الفارقة وما مزيدة وقرا ابن
عامر وعاصم وحمزة لما مشددا بمعنى الا وان نافية وانما جمع بين كل وجميع
لافادة كل معنى الاحاطة وجميع الاجتماع كقوله ذلك يوم مجموع له الناس
لانه فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض
الميتة قرا نافع مشددا احييناها استينافى لبيان كونها آية او صفة

الارض اذ لم يرد بها معينة او خبر الارض والجملة خبرية واخرجنا منها
حبا جنسه الشامل لانواع شتى فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة
على ان الحب اعظم واعم معاشهم وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب
لم يذكر التمر مع الحب والاعناب لاختصاص شجرة بمزيد الصنع وكثرة المنافع
وفى الحديث انه مثل المسلم وفجرنا فيها من العيون صفة محذوف اى شيئا
من العيون او من زائدة كما قاله الاخفش ليأكلوا من ثمره اى ثمر المذكور
او ثمر النخيل ويعلم حال الاعناب منه او الاصل من ثمرنا فالتفت الى الغيبة
اشارة الى انخطاط الثمر عن الحب وقرا حمزة والكسائى ثمر بضمتين لغة منه
او جمع ثمار وما عملته ايديهم ما موصولة او موصوفة اى شىء عملته
ايديهم ولهم فيه صنع وهو ما يتخذ من الثمار كالدبس واشباهه او نافية
اى ليس ذلك الثمر بكسبهم وان غرسوا وسقوا بل هو خلق الله كقوله ءانتم
تخلقونه ام نحن الخالقون وهذا امس لكونه آية وقرا حمزة والكسائى
وابو بكر بحذف الهاء بجواز حذف المفعول عائدا كان او غير عائد وليس فيه
تاييد للوجه الاول لان حذف العائد الى الموصول او الموصوف انما يكون
احسن اذا لم يعارضه قوة المعنى ومناسبة المقام افلا يشكرون
ابلغ من لا مر لانه انكار على الترك سبحان الذى خلق الازواج كلها مما
تنبت الارض ومن انفسهم تنزيه ذاته عن الشريك لتفرده بخلق ما فى
الافاق والانفس من الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون مما هيئاتها
وخواصها مفصلة وانما اعلمهم بها مجملة للدلالة على كمال القدرة روى
ان موسى سال ربنا تعالى انك لما قلت السموات والارض ائتيا طوعا او
كرها قالتا اتينا طائعين لو قالتا ابينا ما كان عصاهما قال كنت اعلم ما بابة
تبلغهما قال يا رب وابن تكون تلك الدابة قال فى مرج من الروح قال
يا رب وابن يكون ذلك المرج قال فى غامض علمنا وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار ننزعه ونكشطه عن مكانها ومعلق ظلها والكلام فى الاعراب
ما سبق فى وآية لهم الارض الميتة فاذا هم مظلمون داخلون فى الظلام
والشمس تجرى لمستقر لها لمكان استقرارها من فلكها وهو ما تنتهى
اليه فى اخر السنة شبه بمستقر المسافر او منتهى المشارق والمغارب
وهو اقصى ما تنتهى اليه منهما ثم ترجع او لحد من مسيرها كل يوم وهو الغرب
او الوقت الذى يقطع فيه جريها عند خراب العالم ويؤيد هذا ما روى
ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس اذا غربت تذهب
فتسجد تحت العرش فيقال لها اذهبى فاطلعى حيث كنت تطلعين ويوشك

أن يستأذن فلا يؤذن لها ويقال ارجعي حيث جئت فتطلع من مغربها ذلك
الجري على هذا المنوال تقدير العزيز الغالب القاهر العليم الكامل العلم
بالاشياء ودقائق اخوالها التي يدهش منها الفطن والقمر قدرناه
منازل فامنازل او سيره في منازل نصب باضمار المفسر وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو بالرفع على الابتداء وما بعده خبر والعطف على
السابقة وهو المختار للتقوى والسلامة عن التقدير ويجوز انتظامه
في سلك الايات كانه قيل ومن اياته الليل ومن اياته الشمس ومن اياته
القمر وهي ثمانية وعشرون موزعة على اثني عشر برجا ثم يستتر الى
ان يهل حتى عاد كالعرجون القديم العرجون فعلون من الانعراج وهو
الانعطاف وهو ما عليه حبات الرطب بمثابة العنقود من العنب والقديم
ما تقادم عهده لانه يدق ويصغر ويحنى فشبه به من ثلثة اوجه
لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر فيزيل سلطانه ويبطل ما نيط به
من الفوايد ولا الليل سابق النهار اي ايته اذ الكلام فيهما يدل عليه
السابق واللاحق وانما اوثر طريق الكناية ليدبج فيه الاشارة الى
اختلاف الليل والنهار ايضا ولما ذكر في الشمس لادراك القمر دل على انها
طالبة للحاق ازدفه بلا ينبغي اي لا يصح ذلك لها ولما نفى السبق في القمر
لانه اسرع سيرا اكده بالجملة الاسمية فلم يبق لذكر الابتغاء وجه وكل
في فلك اي كل واحد والتنوين عوض يسبحون يسيرون سريعا من سبح
الفرس اذا جرى او من السباحة في الماء وهذا صريح في ان الحركة للكوكب
خلاف ما عليه اهل النجوم وايه لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون
المملوء من شحن السفينة او فرها وهي سفينة نوح عليه السلام وانما
ذكر ذريتهم دون انفسهم لانه اعرف في الامتنان او اريد سائر السفن
والذرية اولادهم ونساؤهم فان الذرية يطلق عليها اطلاق السماء
على المطر وقرا نافع وابن عامر ذرياتهم على الجمع وخلقنا لهم من مثله
ما يركبون اي من مثل سفينة نوح وهي من الابل فانها سفاين البر وان
نشا نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم مصدر في الاصل كالصراخ
ولا هم ينقذون ينجون من الموت بشيء الا رحمة منا الا ان نرحمهم
ونمتعهم بالحيوة او لكن رحمة ومتعناهم الى حين الى وقت اجالهم التي
لابد لهم منها واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم ما تقدم
وما تاخر من الذنوب او نوائب السماء والارض او عذاب الدنيا والاخرة
او ما تقدم من عقابات الله للامم المكذبة ان ينزل بكم مثلها وما تاخر

من عذاب الاخرة لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا
محذوف دل عليه قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها
معرضين اي دابهم الاعراض عند مجيء كل اية واذا قيل لهم انفقوا
مما رزقكم الله هم الدهرية قال الذين كفروا اي الذي قيل لهم
للذين امنوا اي في شانهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه تهكما بالمومنين
القايلين بانه متصف بالمشية والاقتدار ولما كان مدار الايمان على تعظيم
الله والشفقة على خلقه سلب عنهم الوصفين في الايتين ان انتم الا
في ضلال مبين من كلام الكفار اوجوابا للمومنين او قول الله تجهيلا
لهم ويقولون متى هذا الوعد هو الذي اشيرا اليه بقوله وما خلفكم
اي عذاب يوم القيمة ان كنتم صادقين في دعواكم ما ينظرون الا
صيحة واحدة هي نفخة الفزع الاولى تاخذهم وهم يخصمون اي
تاخذهم وهم غافلون مشتغلون بالخصومات في متاجرهم ومعاملاتهم
او تاخذهم وهم يخصمون المومنين مدلين بحجتهم الفاسدة على ان لا بعث
قرا ابن كثير وورش عن نافع وهشام عن ابن عامر بفتح الخاء وتشديد الصاد
على ان اصله يختصمون فادغمت التاء في الصاد للتقارب وابو عمرو
وقالون كذلك الا انهما اختلسا الفتحة لكونه اخف وكافيا في تحريك
الساكن وقرا عاصم والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر بكسر الخاء
وتشديد الصاد تحريكا للساكن بالكسر الذي هو الاصل فيه وحمزة
بإسكان الخاء وتخفيف الصاد فلا يستطيعون توصية فيما مر من
امورهم ولا الى اهليهم يرجعون بل يموتون حيث اخذتهم وقيل
تحيط بهم النار وتسوقهم الى المحشر بيت معهم حيث باتوا كما
جاءت به الاحاديث ونفخ في الصور نفخة البعث فاذا هم من الاجداث
جمع جدث وهو القبر الى ربهم ينسلون يسرعون قالوا يا ويلنا من
بعثنا من مرقدنا موضع نومنا لما شاهدوا اهوال القيمة عدوا عذاب
القبر راحة وعن مجاهد والحسن وقتادة يرفع الله عنهم العذاب
بين النفختين فيهجعون هجعة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
مبتدا وخبرا وهذا صفة مرقدنا وما وعد الرحمن مبتدا وخبره
محذوف اي ما وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون حق او وقع او خبر
محذوف وما موصولة او مصدرية وهو من كلام الكفار اقرارا بما
كذبوا به من قبل او كلام الملايكة او المومنين او كلام الفريقين معا
والسؤال وان كان عن البعث الا انهم عدلوا عن السنن الظاهر

يخطه لهم حيث حسبوه بعث النائم كانهم قالوا الباعث معلوم وليس
ذلك البعث الذى تظنونه بل هو بعث اخر وامر اهوال وافزاع الذى
جاءت به الرسل وانكتب ان كانت الا صيحة واحدة هى النفخة الاخيرة
فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد الصيحة تهوين لامر الساعة واتها
لا تحتاج الى اسباب فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم
تصوير لذلك الموعود فى صورة الموعود الحاضر تمكينا له فى النفوس
ترغيبا للسامعين لطفا بهم وكذلك قوله ان اصحاب الجنة اليوم
فى شغل فاكهون الفاكه والفكه المتنعم ومنه الفكاهة وهى حديث
ذوى الاترة والعشرة والتنكير فى شغل للتعظيم اى فى اى شغل عن ابن
عباس رضى الله عنه هو افتضاض الابكار وضرب الاوتار وعن ابن
كيسان التزاور وعن الحسن عن اهل النار وعذابهم وقيل فى ضيافة
الله تعالى وروى ابن ماجه باسناده الى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الا مشمر الى الجنة ورب الكعبة نورها يتلالو وريحانه
سلامة وريحانه يهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وزوجة جميلة وحلل
كثيرة قالوا يا رسول الله نحن مشمرون قال قولوا ان شاء الله وقرا الكوفيون
وابن عامر بضم العين هم وازواجهم فى ظلال جمع ظل كقوله وظلالهم
وقرا حمزة والكسائى فى ظلل جمع ظلة وهو السحاب قال تعالى كقوله فى ظلل
من الغمام على الارائك متكئون على السرر وهى هياة جلوس اهل الدعة و
الفراغ هم مبتداء وازواجهم عطف عليه وفى ظلل خبرهما كقولك زيد وعمرو
منطلقان وعلى الارائك جملة مستانفة او خبر ثان لهم فيها فاكهة
ما يتفكهون به ويتلذذون لانة الاكل هتاك ليسر لدفع الجوع ولهم
ما يدعون لانفسهم من الملاذ كقولك اكلوا تزن اذا كلوا ووزن لنفسه
والمعنى لهم كل ما يطلبه احد لنفسه لان هناك طلبا او لهم الطلب والاجابة
فان الاجابة من الملك المفضل بمنزلة الطلب توجب لذة سنية او يدعون بمعنى
يتداعون كقولك ادعموا بمعنى تداعموا والمعنى كل ما يصح ان يطلبه احد من صاحبه
فهو حاصل لهم او الدعاء بمعنى التمنى اى لهم ما يتمنونه وما موصولة او موصوفة
سلام بدل من ما لانه موصوف بقوله من رب رحيم اى سلام يقال لهم
قولا من رب رحيم او ما يدعون مبتداء وخبره سلام اى لهم ما يدعون سلام
خالص لا شوب فيه او صفة لما بعد صفة وقولا مصدر مؤكدا او نصب
على المدح وهو احسن الوجوه والمعنى يسلم الله عليهم بواسطة الملائكة
او بلا واسطة مبالغة فى اكرامهم او من الاسماء الرب الرحيم وامتازوا

اليوم ايها المجرمون عطف قصة المجرمين على قصة المؤمنين كقولك زيد
يعاقب بالقيد والارهاق وبشر يا فلان عمرا بالعفو والاطلاق والانشاء
فى معنى الخبر كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون واوثر صورة الطلب
لانه ابلغ فى التهويل كقوله اصلوها وعن قتادة معناه اعتزلوا عن كل خير
وعن الضحاك لكل كافر بيت ينفرد به لقوله فى عمد ممددة والقولان فى اياتا
الطلب كما تقدم الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان من
جملة ما يقال لهم فى ذلك اليوم توبيخا لهم وقطعا للمعذرة والعهد التوصية
والمراد به ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية وعبادة الشيطان
الاغترار بوسوسته او عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الامر
والمزين انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة تعليل للنهى وان اعبدونى
هذا صراط مستقيم اشارة الى عبادته او الى العهد والتنوين للتعظيم
ويجوز التبعيض اى لو كان بعض الصراط المستقيمة لكفى ذلك فى انتهاجه
فكيف وهو الحق الذى ليس بعده الا الضلال ولقد اضل منكم جبلا
كثيرا افلم تكونوا تعقلون فتحذروه قرا نافع وعاصم بكسر الجيم والباء
وتشديد اللام جمع جبلة كقوله والجبلة الاولين بمعنى الخليقة وابن كثير
وحمزة والكسائى بضمتها والتخفيف جمع جبل بمعنى مجبول كسبيل وسبيل
وابو عمرو وابن عامر بالضم والاسكان مخفف جبلا هذه جهنم التى
كنتم توعدون على لسان الرسول يقال لهم اذا برزت الجحيم للغاوين
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها بكفركم فى الدنيا اليوم
نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الكافر انى
انى لا اجيز على الا شاهدا من نفسى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتشهد عليه بما عملت فيقول سحقا
لكن فعنكن كنت انا ضل وقا ويل الكلام والشهادة يظهر اثار المعاصى
على الاعضاء مستغنى عنه ولو نشاء لطمسنا على اعينهم مسحنا
عليها ومحونا اثارها فاستبقوا الصراط اى الى الصراط بحذف الجار
وايصال الفعل او ضمن الاستباق معنى الابتدار او نصب على الظرف
انى استبقوا فى الطريق او مفعول به اى جاوزوه من قولهم استبق الصراط
خلفه اى لو شئنا اعميناهم ولو اردنا سلوك طريق غير الذى القوه ما
قدروا عليه كما ترى العميان لا يقدرون الا على سلوك الطريق المالوف
دون غيرها فانى يبصرون كيف يبصرون بعد ذلك والغرض ان الله تعالى

سلب بصائرهم فضلوا طريق الاخرة ولو شاء سلب ابصارهم فلم يقدروا
على الاهتداء الى مقاصدهم لكن لم يفعل ذلك لاقتضاء الحكمة امهالهم
ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم المسخ تحويل الصورة الى ما هو اقبح
منها والمكان والمكانة بمعنى كالمقام والمقامة والمعنى لو تعلقت ارادتنا
لجعلناهم جمادا فى مكانهم وعن ابن عباس جعلناهم قردة وخنازير وعن
قتادة جعلناهم زمنى والاول اشد وعيدا واوفق بقوله فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون ولا رجوعا ايثار المضارع للدلالة على الاستمرار
وليوافق الفواصل ومن نعمره ننكسه فى الخلق اى من نطل عمره نقلبه
ونرده من قوة الشباب ونضارته الى ضعف الهرم وانتقاض القوى
وانعدام الادراك وهو ارذل العمر وقراعاصم وحمزة ننكسه مضارع
التفعيل اشارة الى كثرة المراتب من الصبا الى الشباب الى الكهولة الى
الشيخوخة الى الهرم افلا يعقلون ان من قدر على انشاء هذه الاطوار
قدر على الطمس والمسخ ولذلك عطف عليه عطف العلة على المعلول
وما علمناه الشعر رد لقولهم شاعر قال قتادة القائل عقبة بن ابى
معيط قاله عنادا وانى تلتبس بالشعر كلام مشتمل على تلخيص ام المبداء
والمعاد واخبار القرون الخالية المتضمن للمنافع الدينية والدنيوية
وعلى اسلوب الحكم كل منطبق وما ينبغى له وما يليق به ان يكون فى طبعه
وسجيته ان يكون شاعرا ليكون ابعد من مخايل الشبه ككونه اميا الا ترى
الى قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون وما صدر منه من الكلام الموزون انما وقع اتفاقا بحسب
السليقة كما وقع مثله فى القران من سائر الابحر وشرط الشعر ان يكون
موزونا مقفى بالقصد وما روى عنه من ذم الشعر ومدحه محمول
على ما يتعلق به من الغرض كهجاء المشركين ومدح الله ورسوله والتعزل
بالحسنات والاكاذيب ان هو الا ذكر وقران مبين واضح اعجازه والعطف
باعتبار الصفات ذكر لما فيه من الموعظة والارشاد وقران يتعبد بلفظه
يتلى فى الصلوات وغيرها ويعجز عن الاحكام النظرية والعملية لينذر
من كان حيا عاقلا ساعيا فى امر الاخرة اذ العاقل المعرض كالميت ويحق
القول على الكافرين اى كلمة العذاب وقرا نافع وابن عامر لتنذر بالخطاب
التفاتا وهو احسن اذ هو المنذر حقيقة ولاتفاقهم فى قوله التوبة
فى الخاتمة عوده الى الفاتحة ثم الانتقال من حديث المعاد الى كون الرسول
لهوا القران منذرا لا يرى احسن مخلصا منه اولم يروا انا خلقنا لهم

مما عملت ايدينا اى قد علموا ذلك توبيخ لهم على الاشراك بعد العلم بذلك
وذكر الايدى على طريقة التمثيل وزيادة التصوير وفى ايثار المشى اشارة
الى كمال الاقتدار انعاما خصتها بالذكر لكثرة وجودها عندهم وهو
يراى منهم على الدوام فى طرفى النهار الا يرى الى قوله ولكم فيها جمال حين
تريحون وحين تسرحون ولما فيها من بدايع الفطرة وكثرة المنافع التى
فصل بعضها بقوله فهم لها مالكون لا نراحمهم فيها احد وهم فى
ذلك عز وسرور او متمكنون من ضبطها بتسخيرنا كقوله اصبحت لا احمل
السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا ويؤيد الاول قوله وذللناها
لهم انعاما للنعمة اذ لو كانت مملوكة وهى نادة لم تتم النعمة فمنها
ركوبهم مركوبهم كقوله وتحمل اثقالكم ومنها ياكلون ما يوكل منها
تغريع على كونها مذللة ولهم فيها منافع اخر من جلودها واصوافها
واوبارها واشعارها ومشارب وما يشرب من اللبن وما يتخذ منه
ويجوز ان يكون اسم مكان وهو ما يتخذ من جلودها من الروايا والقرب
والمراود افلا يشكرون واتخذوا من دون الله الهة لم يرضوا بترك
الشكر على تلك النعم حتى اشركوا فى الوهيته جمادات لعلهم ينصرون
رجاء ان ينصروا لا يستطيعون نصرهم الذى كانوا يتوقعونه
وهم لهم جند محضرون والمشركون جند لاصنامهم يخدمونهم ويذبون
عنهم كقولهم حرقوه وانصروا الهتكم وهذا كمال السفاهة او الاصنام
جند واتباع محضرون يوم القيمة ليكونوا وقود النار عليهم فلا
يحزنك قولهم فى الله ما لائق عنه جناب قدسه وقراء نافع بضم الياء
من احزنه انا نعلم ما يسرون من العقايد وما يعلنون من الافعال
والاقوال فيجازيهم على ذلك اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين ظاهر الخصومة وضرب لنا مثلا امرا عجيبا
بان شبهنا بالمخلوق حيث سلب القدرة عنا على الاعادة ونسى خلقه
من تلك النطفة القذرة التى لم يكن حل فيها حياة قط فضلا عن ان
يكون انسانا مكرما فى احسن تقويم فاهما ناطقا قال من يحيى العظام
وهى رميم القائل ابى بن خلف او عاص بن وايل كان جمع من قريش
جلوسا فقال احدهما ان محمدا يزعم ان الله يبعث الموتى فاخذ عظما باليا
وقال لاصبرن اليه والرميم بمعنى الرمة والرمات اسم لما بلى من
العظام وليس بفعيل حتى يسال لم لم يؤنث وبه استدل الشافعى
على نجاسة عظم الميتة لان الحيوة تحله والجواب بان المراد بالحيوة

ردها الى ما كانت عليه غضة طرية قل يحييها الذى انشاها اول مرة
فان نسبة القدرة لا تختلف وفى العرف الاعادة اهون كما اشار اليه
وهو اهون وهو بكل خلق عليم بكل مخلوق كامل العلم باجزائه
وصفاته فانا نقرر عندكم انه قادر على كل شئ عالم بكنه احواله فما
وجه انكاركم المعاد ثم انتقل من الدليل العقلى الى المحسوس الذى لا
يمارون فيه بقوله الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وهو المرخ
والعفار المرخ الذكر والعفار الانثى او بالعكس يكون بارض الحجاز
وفى المثل استمجد المرخ والعفار فاذا انتم منه توقدون لانكم تقدحون
فى انها نار قيل يؤخذ منه قضبان رطبان فيحك الذكر على الانثى فيسيل
منه الماء ومن ذلك الماء تحصل الحقيقة النارية وهل بعد بينهم ابعد
من ما بين النار والماء فالذى قدر على ذلك كيف لا يقدر على ايجاد الحيوة
فى الاجزاء التى هى مادة لها مدة من العمر ثم ترقى الى الدليل الجلى واظهر
من كل جلى وقال اولیس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان
يخلق مثلهم اى لو لم تكن تلك الاجزاء باقية حتى يعيد فيها الحيوة
من خلق هذه الاجرام العظام وفطرها من العدم كيف لا يقدر على ايجاد
صغير حقير وهل يتوقف فى هذا من به مسكه او لتك كالانعام بل هم
اضل بلى وهو الخلاق العليم بلى قادر على ذلك واشار الى توصيفين
اللذين هما العمدة فى الايجاد وهما الاقتدار الكامل والعلم الشامل اشار
الى ان الايجاد والانشاء الذى تعدونه مستبعدا بل مستحيلا فى مقام
كبريائه اهون شئ ولا توقف له الا على تعلق ارادته وافتضاء حكمته
بقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان كلمة كن
مجاز عن سرعة التكون بعد تعلق الارادة فسبحان الذى بيده ملكوت
كل شئ تنزيه وتعجيب عما قالوا من نفى قدرته على هذا الشئ اليسير
مع تلك البراهين القواطع والملكوت من الملك بضم الميم يدل على مبالغة
الاستيلاء على كل ما يطلق عليه الشئ فى العالم العلوى والسفلى فهو
تحت قهره وسلطانه اخذ بناصيته واليه ترجعون للجزاء فاختاروا
بعد هذا البيان ما شئتم وتحته وعيد ليس فوقه وعيد ولذا التفت
الى الخطاب مكافحة فى ما روى ابو داود والنسائى واحمد بن حنبل ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ قلب وقلب القرآن يس
من قرأها يريد بها وجه الله غفر له وانما كانت قلبا القرآن لان لكل
كل شئ وخلاصته قلب ذلك الشئ وانزال الكتب وارسال الرسل مقدمات

بل لخلق العالم وانشاؤه لمعرفة المعاد ولا شك ان السورة تشتمل على
فنون من الدلائل الدالة على تحقق ذلك بلا مرية عند من له قلب او
القى السمع وهو شهيد فكان لهذا معنى تلك الاشارة منه عليه الصلوة والسلام
تمت السورة والحمد لله على نعمه وصلى الله على افضل الخلق واشرف امه

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا اقسم تعالى بطوائف من
ملائكة قدسه الكمل الواقفين فى مقام العبودية صفا على وجه الخشية
لان هيأة الصف والانفاس والهمم والنحاة توجه الكل له شانه عند
الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه الا تصفون
كما تصف الملائكة عند ربها فالزاجرات زجرا يزجرون السحاب وسوقه
الى حيث امرها الامطار فيه من البقاع او الناس بالهام الخير وفى الحديث
ان للملك لمة وهى ابعاده بالخير فالتاليات ذكرا اياة الله تعالى من
كتبه المنزلة وغيرها يتلونه تعبدا او تلذذا او يتلونه على الانبياء فهو
جبريل وامتثاله من المقربين او بطوائف الملائكة سخرهن الصافات
فى عباده تعالى متفقين على اعماله كالاناة التالين الكاينة المتدبرين فى
شئونه وامراته او ينفوس القراء الصافين عند اللقاء الزاجرين
الجهل فالكفر والفسوق والتاليات الذكر لا يشعلهم الخوف والرجوع عند
اللقاء والتجارة وهذه كانت صفة على بن ابى طالب عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقول عند اخذ المضجع اللهم اغفر لى ثلثا وثلثين
وثلثا وثلثين تحميدة وثلثا وثلثين تكبيرة فاذا ما تركتها بعد ما سمعتها
قيل له ولا ليلة الصفين والعفار لشجار الضعاف اذ قدح الجوهر فيها
مجدا والاقباس من الذات والقاء تفيد الترتيب فى الرتبة يحتمل ان
يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او العكس وقيل الصافات
الطير لقوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عما نهى الله عنه
والتاليات كل من تلا كتاب الله اذ غم جمرة وفاقا لابن عمر والتفاوت
الكلمات الآتية ان الهكم لواحد جواب القسم رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق دليل على تحقق المقسم عليه لانهم
مسلمون الله متفرد بخلق السموات والارض وجمع المشارق لان الشمس
فى كل يوم مشرقا والاكتفاء به لدلالته على المغارب وايثارها لانه
العكس لانه ابلغ فى النعمة واكمل فى القدرة ولهذا انا زينا السماء

بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ مِنْ اضَافَةِ الْمَصْدَرِ الَى الْمَفْعُولِ بِانْ زَانَ اللّٰهُ الْكَوَاكِبَ
السَّمَاءَ وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَحَفْصٌ بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ بِالتَّنْوِينِ وَجَرِّ الْكَوَاكِبِ عَلَى
انَّهُ عَطْفُ بَيَانٍ اَوْ بَدَلٌ وَالزِّينَةُ عَلَى هٰذَا اسْمٌ مَا يُزَانُ بِهِ اَوْ جَعَلَتِ الْكَوَاكِبُ
نَفْسَ الزِّينَةِ مُبَالَغَةً وَاَبُو بَكْرٍ بِالتَّنْوِينِ وَنَصْبِ الْكَوَاكِبِ عَلَى انَّهَا مَفْعُولُ
الْمَصْدَرِ اَوْ عَلَى انَّ الزِّينَةَ اسْمٌ وَالْكَوَاكِبُ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْضِعِ اَوْ نَصْبٌ بِاَعْنِي
وَالْمُخْتَارُ الْاِضَافَةُ لِانَّهَا اخَفُّ وَاعَمُّ وَالسَّمَاءُ الدُّنْيَا الْقُرْبَى وَهِيَ
فَلَكُ الْقَمَرِ وَتَزْيِينُ الْكَوَاكِبِ بِالْاَضْوَاءِ وَالْاَشْكَالِ وَالْاَوْضَاعِ لَهَا
الشُّرُوقِ وَالْغُرُوبِ وَلَا يَلْزَمُ اَنْ يَكُونَ مَحَلُّهَا لِعَدَمِ تَوَقُّفِ الزِّينَةِ
عَلٰى ذٰلِكَ وَحِفْظًا عَطْفٌ عَلَى الْمَحَلِّ اَوْ مَصْدَرٌ لِمُقَدَّرٍ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
مَارِدٍ خَارِجٍ عَنِ الطَّاعَةِ كَقَوْلِهِ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ لَا يَسَّمَّعُونَ
اِلَى الْمَلَاِ الْاَعْلٰى صِفَةُ كُلِّ شَيْطَانٍ عَلٰى مَعْنًى لَا يُمَكَّنُونَ مِنَ اسْتِمَاعٍ مَعَ
الْاِصْغَاءِ اَوْ لَا يَتَمَكَّنُونَ مِنَ التَّسَمُّعِ مَعَ سَعْيِهِمْ فِي ذٰلِكَ وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ
الْحَالِ مَعَ الْمُبَالَغَةِ كَمَا هُوَ قِرَاءَةُ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ وَحَفْصٍ بِالتَّشْدِيدِ
اَوِ اسْتِئْنَافٌ عَنْ سُؤَالٍ كَيْفِيَّةِ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْحِفْظِ فَانَّ قَوْلَهُ وَحِفْظًا
مِمَّا يَجُرُّ الْخَاطِرَ لَهُ فَقِيلَ لَا يَسَّمَّعُونَ وَقِيلَ كَلَامٌ مُبْتَدَاءٌ مُسْتَطْرَدٌ لِبَيَانِ
حَالِهِمْ بَعْدَ الْحِفْظِ وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ لَا يَسَّمَّعُونَ مِنَ اسْتِمَاعٍ اَبْلَغُ لِقَوْلِهِ
فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْاٰنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا وَقَوْلِهِ انَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ وَاسْتِعْمَالُهُ
بِاِلٰى لِتَضَمُّنِ مَعْنَى الْاِصْغَاءِ وَهُوَ اِمَالَةُ الْاُذُنِ لِلسَّمَاعِ فَيُفِيدُ مُبَالَغَةً
فِي نَفْيِهِ وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ السَّمَاءِ دُحُورًا عِلَّةٌ لِلرَّمْيِ
وَالدُّحُورُ الطَّرْدُ اَوْ مَصْدَرٌ يُقْذَفُونَ كَقُعِدَتْ جُلُوسًا اَوْ حَالٌ وَلَهُمْ
عَذَابٌ وَاصِبٌ فِي الْاٰخِرَةِ دَائِمٌ مِنْ وَصِبَ لَازِمَ اَوْ مِنَ الْوَصَبِ وَهُوَ
الْمَرَضُ الشَّدِيدُ اِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي لَا يَسَّمَّعُونَ
وَمَنْ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ بَدَلٌ مِنْ وَاوِ يَسَّمَّعُونَ فَاَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ بِنَجْمٍ
مُضِيءٍ وَانْقِضَاضُ الْكَوَاكِبِ مِنْ مَرْكَزِهِ مُمْكِنٌ وَقِيلَ شُعْلَةٌ مِنَ النَّارِ وَقَوْلُهُ
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ لَا يُنَافِيهِ لِاَنَّ كُلًّا مِنَ الْجَوِّ وَالنَّيِّرَانِ
مَصْبَاحٌ وَالْاَوَّلُ هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ السِّيَاقِ وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ اِذَا انْقَضَّ كَوْكَبٌ وَاتْبَعَهُ بِمَعْنَى بَعْدَهُ اَدْرَكَهُ
وَفِي الْحَدِيثِ يُحْرَقُ لِمَا رُوِيَ اَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَتِ الشَّيَاطِينُ مَقَاعِدَ فِي السَّمَاءِ
يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اِذَا
قَعَدَ شَيْطَانٌ مَقْعَدَهُ جَاءَهُ شِهَابٌ فَلَمْ يُخْطِهِ حَتّٰى يُحْرِقَهُ وَقِيلَ مُنِعُوا
حِينَ وُلِدَ فَاسْتَفْتِهِمْ بَعْدَ مَا تَلَوْنَ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ الْاٰيَاتِ وَالْاِسْتِفْهَامُ

لِلْاِنْكَارِ اِلَّا اَنَّهُ لُوحِظَ مَعْنَاهُ قُبَيْلَ فَاسْتَفْتِهِمْ اَهُمْ اَشَدُّ خَلْقًا اَيْ
اَصْعَبُ وَاشَقُّ اِنْشَاءً بَعْدَ الْوَفَاتِ اَمْ مَنْ خَلَقْنَا مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ
وَالسُّفْلِيِّ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْاَجْرَامِ وَالْاَوْضَاعِ وَاَثَرِ مِنْ تَغْلِيبًا لِلْاَوْلٰى
الْعُقَلَاءِ وَقِيلَ مَنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَسَائِرِ الْاُمَمِ الدَّارِجَةِ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ لَمَّا اَرَاهُمُ
الْاٰيَاتِ وَكَذَّبُوا بِهَا فَكَاَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ اِنْتَظِرُوا الْهَلَاكَ كَمَنْ قَبْلَكُمْ وَبِرَدِّهِ
قَوْلُهُ اِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ اِذِ الْاِخْبَارُ بَيْنَ السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ
فِي ذٰلِكَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْاِطْلَاقُ اَيْضًا اِكْتِفَاءً بِالْبَيَانِ السَّابِقِ وَاللَّازِبُ
اللَّزِجُ الَّذِي يَلْزَقُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَفِيهِ رَدٌّ لِاِنْكَارِهِمُ الْاِعَادَةَ لِاَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْهُ
اِبْتِدَاءً وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِثَالٌ فَكَيْفَ يُنْكِرُونَ الْاِعَادَةَ وَتِلْكَ الْاَجْزَاءُ الْمَائِيَّةُ
وَالْاَرْضِيَّةُ بِحَالِهَا وَالْمُقْتَدِرُ الَّذِي نَشَّاهُمْ اَشَدَّ مِنْهُمْ خَلْقًا قَدَرَ بِهِ كَمَا
كَانَتْ لِاَنَّهَا ذَاتِيَّةٌ بَلْ عَجِبْتَ وَلَيَسْخَرُونَ اِضْرَابٌ مِنَ الْاِسْتِفْتَاءِ لِاَنَّهُمْ
لَا يُجِيبُونَ بِمَا هُوَ الْحَقُّ اَيْ بَلْ مِثْلُكَ يَقْرَبُهُ وَيَتَعَجَّبُ مِنْ تِلْكَ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ
عَلٰى كَمَالِ الْاِقْتِدَارِ وَمِنْ اِنْكَارِهِمُ الْوَحْيَ وَمِنْ اِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَهُوَ
اَهْوَنُ مِنَ الْبَدْءِ وَقِرَاءَةُ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ عَجِبْتُ بِصِيغَةِ التَّكَلُّمِ وَالتَّعَجُّبَ
اِنْفِعَالٌ يَعْتَرِي النَّفْسَ عِنْدَ رُؤْيَةِ شَيْءٍ خَفِيَ سَبَبُهُ وَهُوَ عَلَى اللّٰهِ مُحَالٌ فَالْمَعْنٰى
اَنَّ حَالَهُمْ حَقِيقَةٌ بِاَنْ يَقُولَ مَنْ يَرَاهَا يَقُولُ عَجِبْتُ اَوْ قُلْ اَنْتَ عَجِبْتُ اَوْ هُوَ عَلٰى
الْفَرْضِ مِنَ اللّٰهِ تَعَالٰى اِسْتِعْظَامًا لِاِنْكَارِهِمْ اَوْ وَيَسْخَرُونَ هُمْ مِنْ تَعَجُّبِكَ
لِكَمَالِ سَفَاهَتِهِمْ ثُمَّ قَرَّرَ ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ وَاِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ اَيْ
اَنَّهُمْ اِذَا وُعِظُوا لَا يَتَّعِظُونَ فَاِذَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْخَطَابِيَّاتِ
فَهُمْ عَنْ تَحْقِيقِ الْقَطْعِيَّاتِ بِالْبَرَاهِينِ بِمَعْزِلٍ وَاِذَا رَاَوْا اٰيَةً اَيْ فَاشَاهُدَ
بِالْاَبْصَارِ مُعْجِزَةً يَسْتَسْخِرُونَ يُبَالِغُونَ فِي السُّخْرِيَةِ اَوْ طَلَبَ بَعْضُهُمْ
مِنْ بَعْضٍ اَنْ يَسْخَرَ بِهَا وَاِذَا كَانَ حَالُهُمْ فِي الْمَحْسُوسَاتِ بِالْبَصَرِ هٰذَا فَلَا يَبْعُدُ
مِنْهُمْ اِنْكَارُ الْبَعْثِ وَقَالُوا اِنْ هٰذَا اِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ظَاهِرٌ اَسْنَدُوهُ اِلَى
مُتَنَاوَلِ حَوَاسِّهِمْ اَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا اَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ اَصْلُهُ اَنُبْعَثُ اِذَا مِتْنَا فَبُدِّلَ
الْفِعْلِيَّةُ بِالْاِسْمِيَّةِ وَقُدِّمَ الظَّرْفُ وَكُرِّرَ الْاِسْتِفْهَامُ مُبَالَغَةً فِي
الْاِنْكَارِ لِاَنَّ الْبَعْثَ فِي هٰذِهِ الْحَالَةِ عِنْدَهُمْ اَشَدُّ اِسْتِحَالَةً وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ
بِطَرْحِ الْهَمْزَةِ الْاُولٰى وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ اَبْلَغُ اَوَاٰبَاؤُنَا الْاَوَّلُونَ
وَهٰذَا اَيْضًا عَطْفٌ عَلَى مَحَلِّ اِنَّ وَاسْمِهَا عَلَى الْمُسْتَكَنِّ فِي مَبْعُوثُونَ لِلْفَصْلِ
بِالْهَمْزَةِ وَقَرَأَ نَافِعٌ فِي رِوَايَةٍ وَابْنُ عَامِرٍ بِسُكُونِ الْوَاوِ عَلَى التَّرْدِيدِ وَ
الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْوَاوِ عَلَى اِعَادَةِ هَمْزَةِ الْاِنْكَارِ اَوْ وَقَعَ بِقَوْلِهِ اِذَا كُنَّا
تُرَابًا وَاٰبَاؤُنَا قُلْ نَعَمْ قَرَأَ الْكِسَائِيُّ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَاَنْتُمْ دَاخِرُونَ

صاغرون اذلاء لاكما تزعمون ان كان بعث نحن احسن حالا من صفاليك
المؤمنين فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اى اذا كان ذلك
والضمير مبتدأ وهم يقشعرون بجملته بعده والزجرة الصيحة من زجر الراعى
بغنمه صاح بها قال تابغة زجرابى عروة السباع اذا اشفقن ان يختلطن
بالغنم فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين الجزاء الذى
انكرناه وكذبنا فيه الرسل هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون
هو كلام بعضهم لبعض او جواب الملائكة والفصل قضاء الله بين عباده
احشروا الذين ظلموا وازواجهم امر الله للملائكة او الملائكة بعضهم
لبعض وازواجهم اخوانهم من الشياطين او اضرابهم عابد الصنم
مع عابد الصنم والزانى مع الزانى والسارق مع السارق وفى الحديث
يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل او نساؤهم اللاتى كانت
على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وخرجت الملائكة
وعيسى بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فاهدوهم الى صراط
الجحيم عرفوهم طريق النار وهذا يدل على ان الحشر من الموقف الى النار
وقوله وقفوهم انهم مسئولون لا ينافيه لانهم الوا ولا تثيب فيه
وتقديم الحشر الى النار لانه اشق واوحش على المجرم من الوقوف للسئوال
ما لكم لا تناصرون ينصر بعضكم بعضا تهكم بهم اذا كانوا فى الدنيا يقولون
نحن جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لا
يقدرون على المكابرة واقبل بعضهم على بعض يتساءلون تساءلوا تخاصما
وتوبيخ قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اى قال الضعفاء للرؤساء
بيان للتساؤل الواقع بينهم واليمين اقوى الجانبين واشرفه ولذلك
سمى يمينا من اليمن وكان على هذا اهل الجاهلية يتوخون لليمين الافعال
الحسنة وينسبون اليه الخير واليمين وقرره الشارع وايده لان الحكمة
اقتضت المناسبة وفى الحديث كانت يمين رسول الله للطيبات كالاكل
والشرب والسواك فاستعيرت لجهة الخير والمعنى كنتم تأتوننا من تلك
الجهة وتصدوننا عن الايمان والخير واليمين مجاز عن القهر والتسلط
قالوا بل لم تكونوا مؤمنين اجابهم الرؤساء بان ما وقعوا فيه من
الضلال لم يكن بصدهم اياهم عن طريق الخير بل لم تكونوا مصدقين فى
عقايدكم وما كان لنا عليكم من سلطان قهر واجبار بل كنتم قوما
طاغين شانكم الطغيان والتجاوز عن الحق وعدم الاكتراث به حق
علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين اقروا على انفسهم

بانهم الذين سبقت كلمة الله فيهم انهم اصحاب النار وترتب على ذلك انا
اغويناكم فدعوناكم الى الضلال فاثرتم باختياركم انا كنا غاوين استيناف
جار مجرى التعليل فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون كما اشتركوا فى الدين
والعقايد وان زاد المضل على الضال فى العذاب انا كذلك نفعل بالمجرمين
بكل مجرم منهم ومن غيرهم انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
عن الاقرار بالتوحيد بيان لاجرامهم ويقولون اينا لتاركوا الهتنا
لشاعر مجنون ويقدحون فى المؤيد بالمعجزات والكلام الذى جاء به بانه
مجنون وما اتى به شعر مجنون لا يدرى ما يقول بل جاء بالحق الابلج
وصدق المرسلين بقران عرفى مصدقا لما بين يديه فكيف يكون مثله شعر
مجنون انكم لذائقوا العذاب الاليم لا محالة وما تجزون الا ما
كنتم تعملون من انكار الحق بعد ظهوره بالبراهين القاطعة الا عباد
الله المخلصين استثناء منقطع اى لكن حال المخلصين المختارين من
عباده بخلاف هؤلاء اولئك لهم رزق معلوم حاله انه للتلذذ
لا التقوت ودفع الم الجوع فواكه بيان له لان الفاكهة لا يقصد
باكلها الا التنعم او معلوم بأوصاف وخصائص من طعم ورايحة مميزة
له عن ارزاق الدنيا وفواكه على هذا يدل دلالة على انه مع تميزه بذلك
فواكه وهم مكرمون ينالهم ذلك الرزق من غير سعى وتعب فى جنات
النعيم ظرف مكرمون او حال من مستكنه او خبر اولئك على سرر
حال او خبر متقابلين لا ينظر احد فى قفا احد ليكمل لذتهم بالمشاهدة
يطاف عليهم بكاس يدار عليهم بالقدح او بالشراب كقولك الاعشى
وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين بجرى كانها
الدنيا لقوله وانهار من خمر والمعين الجارى وفيه اشارة الى كمال
نظافته باق على خلقته لم تمسه يد ولا مزاولة عمل بيضاء تلذ
لذة للشاربين هى عين اللذة لا يشربها خمار
ولا يعترى شاربها ما يعترى شارب الخمر لا فيها غول صداع وسلب
عقل تغريد له والتقديم للظرف للاختصاص ولا هم عنها ينزفون
بضم الياء وفتح الزاء يسكرون من انزفه الخمر اسكره وقرا حمزة والكسائى
ينزفون بكسر الزاء من انزف الرجل سكر كقوله لعمرى لئن انزفتم
وصحوتم او من انزف بعد اى لا ينفد شرابهم بل دائم وعندهم قاصرات
الطرف على ازواجهن لا ينظرون الى غيرهم عين على العيون كانهن
بيض مكنون مصون فى الكن عن الغبراء ونحوه باق على صفائه من

البياض المشوب بادنى صفرة كما يكون فى بيض النعام وهو احسن الوان البدن بخلاف البياض المفرط فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون كما جرى لهم فى الدنيا كما هو عادة الندامى اذا جلسوا على الشرب قال واذا جلست على المدام وشربها فاجعل حديثك كله فى الكاس وقال الاخر وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام قال قائل منهم فى اثناء المحاورة انى كان لى قرين مجالس فى الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين بالبعث منكرا على موبخا ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون باعمالنا اى لايكون ذلك قال القائل المذكور هل انتم مطلعون لاريكم ذلك القرين او القائل هو الله اى ان شئتم اريتكم لتعرفوا منزلتكم او بعض الملائكة فاطلع فراه فى سواء الجحيم فى وسطه قال تالله ان كدت لتردين ان هى المخففة واللام فارقه والمعنى لكنت قاربتنى هلاكى وابشارا لتاء للتعجب كيف بخامته ولولا نعمة ربى بالتوفيق لكنت من المحضرين معك فى العذاب افما نحن بميتين عطف على محذوف اى انحن مخلدون فما نحن بميتين اى بمن شانه الموت الا موتتنا الاولى التى فى الدنيا وبتناول لما فى القبر بعد الاحياء لانه فى حكم الدنيا كذا قيل والحق ان ذلك لا يسمى موتا لانه اما منعم او معذب وما نحن بمعذبين اذ هذا هو الفوز العظيم اذ لا طيب للعيش مع مراقبة الموت هو كلام القائل او الكل او كلام الله تعالى وكذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون فى الاحتماء اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم عاد الى ذكر الرزق المعلوم بعد استطراد مقالة المؤمن لان الكلام بجر الكلام والشئ بالشئ يذكر والنزل ما يعد للنازل من الرزق كالسكن وهو الرزق المعد لساكن البيت واصله الريع وما يحصل من الشئ ومنه فى الحديث العسل ليس من انزال الارض وبه استدل الشافعى على عدم الزكوة فيه لانه من انزال الطير والتفاضل بين النزلين على الهتكم اذ لا خير فى نزل اهل النار ونصبه على التمييز او الحال وهذا اوجه لان المفاضلة بين الرزقين فى هذه الحال لا بين الوصفين وشجرة الزقوم شجرة صغيرة الورق مرة كريهة الرايحة تكون بتهامة انا جعلناها فتنة للظالمين عذابا لهم فى الاخرة او سببا لضلالهم فانهم لما سمعوا قالوا ما اعجب هذا ان محمدا يقول نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وعن ابن عباس رضى الله عنه لما سمع ابو جهل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم خلط التمر بالزبد وقال نتزقم وذلك لان الزقوم كان اسم طعام لهم من التمر والزبد فانزل الله تعالى انها تخرج فى اصل

الجحيم فى قعرها ويرتفع اغصانها الى دركاتها فى مقابلة طوبى لاهل الجنة طلعها كانه رؤس الشياطين فى تناهى القبح ونهاية الكراهة لما تقرر فى النفوس ان الشيطان اقبح الاشياء كما ان الملك احسنها والطلع لمر النخلة استعير لثمر الزقوم تخييلا على وجه التهكم وقيل الشياطين حيات هائلة فى النار لها اعراف فانهم لاكلون منها لغاية الجوع او اجبارا وقسرا فمالئون منها البطون اى من الشجرة او من ثمرها ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ماء حار مخلوط بصديد والانيان بثم للتراخى زمانا لانهم لا يسقون منه الا بعد زمان لينتظم عطشهم تعذيبا لهم او رتبة اشارة الى ان كراهية ذلك الحميم وبشاعته فوق الزقوم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اى بعد ذلك الاكل والشرب مصيرهم اليها فان ذلك نزلهم قبل الاستقرار فى دركاتها وقيل تخرج من مقارهم الى شجرة الزقوم فاذا ملاوا وابطونهم او ردوا على الحميم ثم يرجعون الى تلك المقار وقيل الحميم خارج عن الجحيم لقوله هذه جهنم التى يطوفون بينها وبين حميم ان ولا دليل فيه انهم الفوا اباءهم ضالين فقلدوهم تعليل لما هم فيه فهم على اثارهم يهرعون يسرعون من اهرع اسرع وبناؤه للمفعول مبالغة كانهم يزعجون قسرا فلا التفات لهم الى التامل والنظر ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين من الامم وقد ارسلنا فيهم منذرين الرسل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تسلية له وتحذير لقومه فانهم سمعوا اخبارهم شاهدوا اثارهم الا عباد الله المخلصين فى التوحيد والايمان استثناء من الاولين او من المنذرين وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام وهو المختار كما تقدم ثم اورد احوال مشاهير الرسل مع المكذبين وبدا بنوح لانه ابو البشر ثانيا واول رسول عذب قومه فقال ولقد نادانا نوح حيث قال انى مغلوب فانتصر فلنعم المجيبون نحن حذفه لدلالة الكلام عليه واللام جواب القسم والفاء تدل على سرعة الاجابة ونجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الغرق او اذا قومه وجعلنا ذريته هم الباقين لم يبق احد ممن كان معه فى السفينة الا بنوه الثلثة وهم سام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو القبط والسودان ويافث ابو الترك وياجوج ومأجوج وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح اى هذا القول جئ به على صورة الحكاية اى يسلمون عليه وقيل هو من الله تعالى ومفعول تركنا محذوف فى العالمين دعا بالثبات كانه قيل ثبت هذه التحية وادامها فى الملائكة والثقلين

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ تعليل لاكرامه بتلك الاكرامات دلالة على ان موجب ذلك احسانه لا غير ترغيبا فيه إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ بيان لاحسانه اشارة الى شرف الايمان وجلالته وانه مستجلب لكل كمال ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ممن شايعه في اصول العقايد والتصلب في الدين ومصابرة الاعداء المكذبين ويجوز توافق شرعهما في اكثر الاحكام وكان بينه وبين نوح الفان وسبعمائة سنة وقيل الف وماتة واثنتان واربعون سنة إِذْ جَاءَ رَبَّهُ متعلق بما في الشيعة من معنى الفعل اى شايعه في دينه حين جاء ربه بِقَلْبٍ سَلِيمٍ عن آفات القلوب من الشرك والغل والحقد وهذا ما اشار اليه ابن عباس رضي الله عنه كان يحب للناس ما يحب لنفسه او بقلب حزين من قولهم للدبع سليم نفالا وذكر المجيء على المثل كانه جاء ربه متحفا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ بدل من الاول أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ افكا مفعول له قدم على المفعول به اولى همزة الانكار لان الغرض مكافحتهم بهم على الباطل او هو مفعول به وآلهة بدل منه على انها نفس الافك او في موقع الحال اى افكين او بتقدير مضاف اى عبادتها فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ حتى تخذتم له شريكا اذ توحده في الالهية اظهر من ان تخلج فيه شبهة او اى شيء من الاشياء ظننتم حتى جوزتم ان يكون له الاصنام شريكا او ما ظنكم بعقابه حتى اجترأتم على ذلك فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ قال ابن عباس انما نظر في النجوم لان قومه كانوا يتعاطون علمه فاوهمهم بذلك ليتمكن من التخلف او النظر بمعنى التامل في علم الله الايهام فقال اني سقيم اى من كونكم على الشرك وعبادة غير الله او سأسقم كقوله انك ميت او مزايل خارج عن الاعتدال وَمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم غير ثلث كذبات ثنتين في ذات الله تعالى قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم فالمراد بها المعاريض لقوله في المعاريض مندوحة من الكذب فهو كقوله نحن احق بالشك من ابراهيم فان قلت ما تفعل بقوله في حديث الشفاعة حيث اعتذر بقوله لست لها ويذكر كذباته فلو كانت معاريض لم يكن له كذب حقيقة حتى يعتذر به قلت هو من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين ولما كانت صورتها صورة الكذب عدها كذبات فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ الى معبدهم فراغ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ مال اليهم خفية من روغان الثعلب واصله الميل بحيلة فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ وذلك انهم كانوا وضعوا قدامهم اطعمة العبد لتبرك عليها ما لكم لا تنطقون

قالته سرا واشارة الى انحطاطها عن درجة عبدتها فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ضربا مصدر راغ لانه بمعناه او لمقدر اى يضربهم ضربا او حال اى ضاربا وذكر اليمين لانها اقوى الجارحتين وقوة الالة يستلزم قوة الفعل او اليمين هو الحلف اى بسببه وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ يسرعون من زفيف النعامة وقراءة حمزة يزفون من ازف دخل في الزفيف كاصبح او معدى اى يزف بعضهم بعضا ثم اسند الى الكل لان كلا منهم حامل ومحمول قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ الذي تنحتونه فان جواهرها بخلق الله وليس لكم فيها الا التشكيل والتصوير فكيف يجوز عبادة مخلوق ولاخر محتاج اليه وقيل ما مصدرية اى وعملكم وفيه قوات الاحتجاج لان الغرض المسوق له الكلام كون المخلوق عابدا لا خر والمناسبة لان ما في ما تنحتون موصولة والاستدلال بالمصدرية بناء على ان فعلهم اذا كان بخلقه تعالى فالموقوف عليه وهو المفعول من باب الاولى لا يجدى لان الخصم قائل بان العبد واراداته وقدرته بخلقه تعالى والفعل المتوقف عليها بخلق العبد والحق ان تقريعهم ما كانوا ينكرون ان تلك الاجرام قبل الصنع مخلوقة له تعالى ولا تصح للالوهية وانما يصلح لذلك بتاثيرهم فيها فكانه قيل لهم ذلك التاثير ايضا بخلقه تعالى فلم تزدد بذلك الا بعدا عن تلك الرتبة فيتم الحجاج سالما واما ترجيح المصدرية على الموصولة وجعل العمل بمعنى المعمول بسلامتها عن المجاز فمعارض بكثرة الموصولة وكون المصدر بمعنى المفعول مجازا مشهورا قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ كل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم واللام يدل على الاضافة اى جحيم ذلك البنيان فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا لما قهرهم بالحجة قصدوا اخراقه بفعلهم الاسفلين بان جعل نارهم عليه بردا وسلاما وكان ذلك برهانا على علو شانه وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي حيث يراني حيث عبادته سَيَهْدِينِ الى ما فيه صلاح حالي وانما ثبت القول لسبق وعد الله له بذلك او لقرينة توكله او لبنائه على عادته معه او لانه تعالى تجلى له بصفة الرحمة وتجلى لموسى بصفة الغنى ولذلك قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ بعض الصالحين ليوانسني في الغربة اذ الولد لان اهبته شايعة فيه فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ اى طوت البشارة على ثلث بشارات كون الموهوب له ذكرا وكونه يبلغ اوان الرجال فان الصبي لا يوصف بالحلم وكونه حليما فيه سر من ابيه شاهد لطهارة اصله ولم يوصف من الانبياء احد بالحلم غيره وغير ابيه وحاهما المذكور بعده يكشف

عنه العطاء فلما بلغ معه السعى او ان ان يسعى مع ابيه فى اشغاله و
ذكر الاب لانه ارفق به فانه كان ابن ثلث عشرة سنة لم يستحكم قواه
وتعلق مع لا يجوز ان يكون ببلغ لاقتضائه ان يكون بلوغهما حد السعى
معا ولا بالسعى لان معمول المصدر لا يتقدمه لا سيما وهو معرفة فبقى
ان يكون بيانا كانه قيل فلما بلغ حد السعى معه قال يا بنى انى ارى فى المنام
انى اذبحك قيل لما طلبا الولد وبشرته الملائكة به قال هو ذبيح الله
فلما بلغ حد السعى معه قيل له فى المنام اوف بنذرك فلما اصبح روى ذلك
اليوم فسمى يوم التروية فراى ذلك المنام فى الليلة القابلة فلما اصبح علم
ان ذلك من الله تعالى فسمى يوم عرفة وفى اليوم الثالث عزم على نحر فسمى يوم
النحر وانما راى فى المنام دون ان يومر بذلك فى اليقظة ليعلم بذلك تساوى
حاليه فى الاحكام الشرعية ولذلك كانت رويا الانبياء وحيا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام عيناى ولا ينام قلبى وانما شاوره
مع انه كان امرا لازما امضاؤه ليوطن نفسه على شدة تلك البلية ويتلقاها
بصدر رحب وليكون المشاورة سنة بعده وفى المثل ما خاب من استشار
ولو شاور ادم الملائكة لما اصاب الخطيئة فانظر ماذا ترى المراد النظر
بالبصيرة وترى من الراى لمعنى الفكر وقرئ حمزة والكسائى بضم ايا وكسر
الراء قال يا ابت افعل ما تومر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين اجابه
بانه ليس من محال المشاورة بل محل التدارك اليه فلما اسلما انقاد الامر لله
تعالى واسلم وسلم واستسلم بمعنى صلد من سلم المال لفلان اذا خلص عن منازعة
وتله للجبين صرعه على احد الجبينين وانما القاه على هذا الوجه لئلا يراها
فيرق له ونادينا ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا بما شرعت المقدمات
وقبلت مرانك على الذبح فصار سكينه نحاسا وقيل كلما قطع مكانا التحم وليس
شئ اذا لو كان كذلك لم يحج الى الفداء وجواب لما محذوف اى كان من الامر
ما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من السرور والحبور من ذلك الفداء
انا كذلك نجزى المحسنين المخلصين الصابرين على البلاء الشاكرين فى الرخاء
ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار الجلى الذى لا يكون فوقه اختبار
ولذلك قال فى حقه وابراهيم الذى وفى او المحنة المبينة لا محنة اشد منها
او النعمة العظمى وهى نجاة الولد من الذبح وفديناه بدبح ما يدبح بدله
عظيم قدره من كباش الجنة ارسله تعالى تحفة من عنده وعطاء للمولى
جليلة القدر وان قلت كما ترى ان اباح الملك لاحد حواصه تفاحة
فرله فاغما وربما قبل الارض له وليس الا افتخارا بما للملك معه من العناية

ايضا فدى به ابن خليل وابو حبيب الله واى عظم فوق ان يكون كبش وقاية
لتلك النفس الزكية والشجرة المثمرة وعن قتادة كان الكبش تقربه هابل
وكان يرعى فى الجنة ويرتى لهذا المقصد المنيف وفى كون هذا من قبيل التسمين
قيل الفعل كلام طويل الذيل قال به الشافعية وانكرها الحنفية وتركنا
عليه فى الاخرين الذكر الحسن والثناء الجميل سلام ابراهيم كذلك
نجزى المحسنين اعاده توكيدا لما سبق من حسن استسلامهما واتمامهما معدودان
من المحسنين داخلان فى زمرتهم دخولا اوليا انه من عبادنا المؤمنين
الكمل الذى يوثرون رضاء الله فى كل الاحوال ثم الولد الموصوف هو اسمعيل
لانه اكبر من اسحق اتفاقا ولانه الذى نشاء ببلاد الحجاز وهى البيت مع
ابراهيم والذى بنعت له بئر زمزم ولكونه وصف بصدق الوعد وهو قوله
ستجدنى ان شاء الله من الصابرين واثنى عليه تعالى بالصبر فى قوله واسمعيل
واليسع وذا الكفل كل من الصابرين ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن
الذبيحين ولقوله وبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ومن بشر بانه
يولد له ابن اسمه فلان كيف يكلف بذبحه وهو غلام مراهق ولقوله تعالى و
بشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد استيفاء ذكر صفاته والذى وقع
لبعض اله اسحق من تخابط اهل الكتاب حسدا منهم ان يكون الذبيح من اجداد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وباركنا عليه وعلى اسحق بان وهبنا
ابراهيم اسحق واخرجنا انبياء بنى اسرائيل من نسله او بان نميناهما
بركات الدنيا والدين ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه بالكفر والمعاصى
مبين ظاهر ظلمه وانما قيدنا لظلم بالظهور لان التفويض الكاملة قل
ما يخلو عن ادنى خطرات وارتكاب خلاف الاولى وفى بنائه كوذه ذريتهما
منقسما الى المحسن والظالم اشارة الى ان ظلم اعقابهما لا يعود عليهما بضر
فان المرء لا يواخذ بسوء فعل غيره كائنا من كان ولقد منينا على موسى
وهرون بالنبوة التى كل نعمة دونها ونجيناهما وقومهما من الكرب
العظيم ظلم فرعون وطغيانه وقتل الابناء ونصرناهم اى نصرهم
فكانوا هم الغالبين على عدوهم وهذا ابلغ فى الامتنان من الانجاء لان فى
هلاك العدو وحسم مادة الاوهام والامن الكلى وآتيناهما الكتاب
المستبين الواضح الجلى او المبين للاحكام يقال استبان الشئ واستبنته
وهديناهما الصراط المستقيم وهى دين الاسلام وسبيل الذين انعم الله
عليهم وفيه تعريض باليهود والنصارى واللام للعهد وتركنا عليهما فى
الاخرين سلام على موسى وهرون اى هذا الكلام او رده على وجه الحكاية

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ
هو الياس بن ياسين من سبط هرون وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بالوصل
على ان الاسم ياس واللام للتعريف والباقون على انه عجمي غير منصرف
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ مِن الشرك أَتَدْعُونَ بَعْلًا اسم صنم لهم و
البعل لغة المالك وكانهم سموا ما عبدوه بعلا لذلك المعنى وهم اهل المدينة
المشهورة ببعلبك وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اى عبادته وفيه اشارة الى
علة الانكار وكونه احسن الخالقين لا يقتضي جواز كون غيره خالقا لقوله
هَل مِن خالق غير الله اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ مبتداء وخبر وربّ
ابائكم عطف على الخبر وقرأ حمزة والكسائي وخلف بنصب الاسماء الثلثة
على البدل او البيان فى الاول والنعت فى الثانى والعطف فى الثالث فيحسن
الوقف على الخالقين فى الوجه الاول ويقبح فى الثانى فكذبوه فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ
فى العذاب وانما اطلقه لاشتهاره فى الشر إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ
مستثنى من واو كذبوا لا من المحضرين وقرأ الكوفيون ونافع بفتح اللام
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فى الاخرين سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ بكسر الهمزة قطعا هو الياس
المذكور لغة فيه كطور سيناء وطورسينين وقرأ ابن كثير وابو عمرو
والكوفيون آل ياسين كآل محمد وعليه الرسم وهو المختار لكثرة القائلة
وزيادة الدلالة على شرف المضاف اليه وقيل الياسين صيغة الجمع اراد به
نفسه واتباعه وقيل ياسين محمد اضيف اليه او القرآن وذكر ياسين لانه
قلب القرآن او لوجهان لا ينا سبان نظم سائر القصص إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ اى كما الياس وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فى الغابرين سبق مرارا ثُمَّ دَمَّرْنَا
الْآخَرِينَ اهلكناهم من الدمار وهو الهلاك وَإِنَّكُمْ يا اهل مكة
لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم اى على منازلهم وآثارهم فانتم قوم لوط على طريق الشام
مُصْبِحِينَ داخلين فى الصباح وَبِاللَّيْلِ وتعيين الوقتين لان المسافر
اكثر ما يكون سائرا اوقاته نهارا وبالليل ويستريح فى اثناء النهار او لعلها
كانت بقرب منازلهم التى يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء أَفَلَا
تَعْقِلُونَ وتعتبرون عن سخط الله وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ
اى كما رسولا ومن اباقه إِلَى الْفُلْكِ المشحون المملوء فساهم فقارع من فى
السفينة وذلك ان زعم البخارى هو ان السفينة اذا كان فيها نبى لا يجرى
فكان من المدحضين مغلوبين فى المقارعة من الادحاض وهو الازلاق
فَالْتَقَمَهُ الحوت وَهُوَ مُلِيمٌ نفسه على ما فعل او واقع فى الملامة فلولا انه

كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ اى المصلين او الذاكرين الله بالتقديس وفيه دلالة على
ان السابقة والعمل الصالح ينفعان فى المضايق وقد دل عليه دلالة
صريحة حديث الثلثة فى الغار الذى رواه البخارى ولذلك ايمان فرعون
لم يقبل لعدم سابقة المغرقة وعلى هذا دأب الملوك مع خدمهم اذا جنى
احدهم يجعلون سالف خدمته سببا للعفو عن تلك الجريمة يقولون لولا
ان لك علة بذا الفعلت بك كذا وكذا وقيل اراد تسبيحه فى بطن الحوت
حين نادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ حيا وقيل ميتا فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ بالمكان
الخالى عن الشجر والنبات وذلك حين استجيب دعاؤه وامر الله تعالى
فامر الحوت ان يلقيه الى البر واختلف فى مدة لبثه فقيل اربعون يوما
وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل بعض يوم وفى شعر امية
ابن الصلت وانت بفضل منك نجيت يونسا وقد بات فى اضعاف حوت لياليا
وَهُوَ سَقِيمٌ بدنه مما ناله فى تلك الواقعة الهائلة او قلبه مما ارتكبه
من الخروج والذهاب بغير اذن الله تعالى وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ
كل ما انبسط على الارض من النبات والشجر كالقثاء والدباء من القطن
وهو الاقامة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال فى الدباء انها شجرة
اخى يونس عليه السلام والحكمة فى انباتها ان ورقها يستظل به ولا
يقربها الذباب ويؤكل نيا ومطبوخا وقيل شجر الموز وقيل التين وقيل
سخر الله له ظبيا تختلف اليه يشرب من لبنها ويحكى ان الميك اول ما خلق
فى تلك الظبية مكافاة لها وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ بل يزيدون الى قومه اهل
ينوى وبها قبره الآن بنا رفى الموصل يقطع بينهما الشط قيل ارسل اليهم
ثانيا فامنوا به وقيل ارسل الى الاخرين أو يزيدون بل يزيدون عن ابن عباس
رضى الله عنه كانوا مائة وثلثين الفا وروى الترمذى عن ابى بن كعب انه
سأل رسول الله فقال يزيدون عشرين الفا فَآمَنُوا فمتعناهم إِلَىٰ حِينٍ
آجالهم امنين وانما لم يسلم على لوط ويونس كما يسلم على من تقدم من الرسل
لانه مكرر فاختصر الكلام ولقوله وسلام على المرسلين فى آخر السورة
فيتنا وهما وقيل تفرقة بين ارباب الشرايع واولوا العزم وفيه ان
الياس ليس منهم فَاسْتَفْتِهِمْ الربك البنات وَلَهُمُ الْبَنُونَ عطف على
استفتهم فاول السورة وما بينهما اخذ بعضه بحجزة بعض وذلك انه
استفتاهم اولا حين انكروا البعث بقوله اهم اشد خلقا ام من خلقنا
من السموات والارض تبكيتا لهم والزاما وارد فه بقصص المكذبين

المنكرين للبعث تسجيلا على المشركين بانه سيحل بهم ما حل بأولئك ثم استفتاهم
ثانيا عاطفا على الاول اشارة الى ان كونه خالق السموات والارض كما
يدل على توحده وكمال اقتداره يدل على تنزهه عن الولد الا يرى الى قوله
بديع السموات والارض انى يكون له ولد ثم لم يرضوا باثبات الولد
مطلقا بل اثبتوا له اخس النوعين وهو الانثى التى لا يرضى بها ارذاهم
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وقد رادوا
على الشرك انواعا من الكفر التجسيم فان الولد يستلزمه وبفضل انفسهم
ونسبة الملاء الاعلى الى الانوثة التى يأنف منها ادنى الناس بل كل عيب
دونها ام خلقنا الملائكة اناثا لم يذكر كونه منزها عن الولد بل نفى
الانوثة عن الملائكة لان استحالة الولد منه تعالى جلى لا يتوقف فيه
الا من هو كالانعام بل اضل وهم شاهدون تهكم واستهزاء بهم فان
العلم يوصف الانوثة لا يمكن الا باخبار صادق ولم يصدقوا رسولا او
باستدلال عقلا ولا سبيل للعقل اليه او بالمشاهدة ولا يشكون فى انتفائها
او مبالغة فى وصفهم بالكفر يجترؤن على هذا القول الذى تكاد السموات
يتفطرن منه كانهم شاهدوا ذلك الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله
اى بعضا كاذيبهم هذا القول وفيه تقرير لسفاهتهم واذ من يسند الى الله
الولد لا يستبعد من جهله ان يثبت للملائكة ما لا يليق بهم من وصف الانوثة
وانهم لكاذبون فى ذلك القول اصطفى البنات على البنين اى اثرهن
واختارها على الذكور وهل يفعل ذلك من به مسكة ولذلك قال لجهلهم
بقوله مالكم كيف تحكمون يعتقدون شيئا لا يقدر العاقل على اخطاره
بباله فضلا عن ان يتخذه دينا افلا تذكرون تتعظون لبعد هذا البين
ام لكم سلطان مبين نزل عليكم نص قاطع لا يمكنكم العدول عنه وان كان
معناه غير معقول كبعض نصوص الشارع فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين
فى دعويكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا حيث قالوا ان الملائكة بنات
الله وانما عبر بالجنة لاستتارهم عن الابصار وفيه دلالة على جنة مقاديرهم
عن مجانسة الالهة وفى حد ذاتهم مقربون وعباده المكرمون وشاتة
الى ان ما من شانه الاستتار الذى هو من خواص الاجسام كيف يجانس المنزه
عن سمة الحدوث وقيل كانوا من غاية سفاهتهم يقولون صاهر الجن فحدثت
الملائكة وقيل كانوا يقولون الشيطان واخوان ولقد علمت الجنة
انهم لمحضرون فى العذاب اى الكفرة الذين يعبدونهم بكفرهم وافترائهم
او الانس والجن ان فسرت الجنة بغير الملائكة سبحان الله عما يصفون

الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين او متصل من ضميره
ان فسر بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من واو يصفون فانكم وما تعبدون
ما انتم عليه بفاتنين حقر شانهم وما هم عليه من الاضلال اى انتم
يا ايها الكافرون ومعبودتكم لا تفسدون على الله من عباده بالاغواء
والاضلال الا من هو صال الجحيم الذى خلق للنار مثلكم من
قولهم فتن على فلان امرأته افسدها ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع سادا
مسدا الخبر كقولك كل رجل وضيعته اى انتم وما تعبدون لا ترجعون قرناء
ثم قال ما انتم عليه بفاتنين اى على معبودتكم حاملين على عباداتها لا من
يكون ضالا لا محالة فالنار مثلكم وما منا الا له مقام معلوم قوله سبحان
الله عما يصفون الى هنا من كلام الملائكة فانهم كذبوا من نسبهم الى الله
واستثنوا من ذلك المخلصين ثم هو توا شان الكفرة بانهم لا يقدرون الا
على اغواء مثلهم ثم اعترفوا بانهم عباد منقادون لامر الله لكل واحد منهم
مقام فى العبودية لا يتجاوزه وقوله فانكم وما تعبدون التفات كقوله
فقد كذبوكم بما تقولون ويجوز ان يكون حكاية قولهم وان يكون قول الرسول
صلى الله عليه وسلم كانه قيل فاستفتهم وقل وما منا الا له مقام
معلوم اى انع عليهم مثالبهم فى كفرهم وانعت لهم ما انت واصحابك منصف
به من اضدادها وموقعه لا يستطرد على هذا لقوله وان كانوا ليقولون
وانا لنحن الصافون فى طاعته تعالى على الاقدام منا قائم وراكع وساجد
او صافون باجنحتنا منذعنين لاوامره خاشعين من هيبته او صافون
حول العرش يستغفرون للذين امنوا روى مسلم باسناده عن حذيفة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلث جعلت صفوفنا
كصفوف الملائكة وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وقال يوما بجلسائه
اطت السماء وحق لها ان تيط ما فيها موضع قدم الا عليه ملك راكع او
ساجد وقال لاصحابه الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا كيف
ذلك قال يتمون الصف الاول فالاول وانا لنحن المسبحون المقدسون
عما لا يليق بكبريائه وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا
عباد الله المخلصين ان هى المخففة واللام الفارقة اى كانوا يؤكدون
كلامهم قاطعين ان لو اتاهم كتاب من الله تعالى لتلقوه وعملوا بما فيه مخلصين
لله لا كاهل التوراة والانجيل المخالفين لما فيه من الاوامر والنواهى
فكفروا به اى بذلك الكتاب الذى كانوا يتمنونه وفى الفاء دلالة على انهم
كفروا به بغتة من غير روية فسوف يعلمون ما يحل بهم من الانتقام

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ هِيَ قَوْلُهُ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ
وَلَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ مَا يَقَعُ مِنَ الِانْهِزَامِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ لِأَنَّ الْأُمُورَ بِخَوَاتِمِهَا
وَعَنِ الْحَسَنِ لَمْ يُقْتَلْ نَبِيٌّ فِي حَرْبٍ وَلَا غَلَبَ وَكَذَلِكَ شَأْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَزُلْ فِي حَرْبٍ قَطُّ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنْ يُنْصَرُوا فِي
الدُّنْيَا نُصِرُوا فِي الْآخِرَةِ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ هُمُ الطَّائِفَةُ الَّتِي
تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ أَوْ بِالْحُجَّةِ سَوَاءٌ كَانَ فِيهِمْ نَبِيٌّ أَوْ لَا وَالْمَذْكُورُ
وَإِنْ كَانَ كَلِمَاتٍ سَمَّاهَا كَلِمَةً لِانْتِظَامِهَا فِي مَعْنًى وَاحِدٍ كَمَا تَقُولُ نَبَتَ ثَمَرَةُ
بُسْتَانِي وَإِنْ كَانَ فِيهِ ثَمَرَاتٌ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ بَعْدَمَا فَرَغْتَ جَهْدَكَ فِي التَّبْلِيغِ
حَتَّى حِينٍ إِلَى زَمَانٍ قَرِيبٍ يُؤْذَنُ لَكَ فِي الْقِتَالِ أَوْ هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ أَوْ وَقْتُ الْمَوْتِ
أَوْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَأَبْصِرْهُمْ وَمَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَفِي إِيثَارِ
الْإِبْصَارِ وَالْأَمْرِ تَنْفِيسٌ عَنْهُ وَتَقْرِيبٌ لِلْمُدَّةِ كَأَنَّمَا يَحِلُّ بِهِمْ قُدَّامَ عَيْنَيْهِ فَسَوْفَ
مَا يَكُونُ لَكَ مِنَ النَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ أَوِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْآخِرَةِ وَسَوْفَ لِلْوَعِيدِ
لِلتَّبْعِيدِ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ أَيْ سَلَبَتْ عُقُولُهُمْ فَبِعَذَابِنَا الَّذِي
يَحِقُّ لَهُ أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْ شِدَّتِهِ يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ بِفِنَائِهِمْ مَنَازِلَهُمْ
شَبَّهَ عَذَابَهُ النَّازِلَ إِعْلَامًا بِأَنَّ اللَّهَ مِنْهُ بِجَيْشٍ أَغَارَ عَلَى قَوْمٍ أَنْذَرَهُمْ بَعْضُ ضُحَاتِهِمْ
فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ فَاجْتَاحَهُمْ وَقَطَعَ دَابِرَهُمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ صَبَاحُهُمْ
تَوْشِيحٌ لِلِاسْتِعَارَةِ وَالصَّبَاحُ مِنْ أَسْمَاءِ الْغَارَةِ وَمِنْ ذَا بِهِمْ إِذَا وَقَعَتِ الْأَعْدَاءُ
يُنَادُونَ وَاصَبَاحَاهُ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَغْزُونَ فِي الصَّبَاحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا أَصْبَحَ بِخَيْبَرَ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ
قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ
تَسْلِيَةٌ بَعْدَ تَسْلِيَةٍ وَتَأْكِيدًا إِلَى تَأْكِيدٍ وَاخْتِلَافُ الْفِعْلَيْنِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَا
يُبْصَرُ وَيُبْصَرُونَ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَسَرَّةِ وَالْمَسَاءَةِ مِمَّا يَضِيقُ عَنْهُ نِطَاقُ الْبَيَانِ
وَقِيلَ الْأَوَّلُ مَا يُبْصَرُونَ فِي الدُّنْيَا وَهَذَا فِي الْآخِرَةِ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ سَوْقُ الْكَلَامِ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هُنَا
لِإِثْبَاتِ التَّوْحِيدِ وَنَاحَةِ شُبَهِ الْمُشْرِكِينَ وَإِبْطَالِ مَا نَسَبُوا إِلَيْهِ تَعَالَى
مِمَّا لَا يَلِيقُ بِسَاحَةِ عِزِّهِ وَمَقَامِ كِبْرِيَائِهِ عَنْهُ فَنَزَّهَ ذَاتَهُ الْمُقَدَّسَةَ بِهَذِهِ الْآيَةِ
الَّتِي هِيَ مِنَ الْجَوَامِعِ الْكَوَامِلِ فَذَلَكَةُ ذَلِكَ وَأَثْنَى عَلَى الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ قَدَرُوهُ
حَقَّ قَدْرِهِ وَجَاهَدُوا فِي إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ حَقَّ جِهَادِهِ ثُمَّ خَتَمَ بِالْحَمْدِ الْمُشْعِرِ بِقَوْلِهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِشَارَةً إِلَى اخْتِصَاصِ الْمَحَامِدِ كُلِّهَا بِهِ تَعَالَى وَأَنَّ
ثَنَاءَهُ عَلَى الرُّسُلِ تَفَضُّلٌ مِنْهُ إِذْ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُمْ وَوَفَّقَهُمْ لِمَا اكْتَسَبُوا
بِهِ الثَّنَاءَ الْجَمِيلَ فَسُبْحَانَ الَّذِي يُعْطِي وَيُثْنِي عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ إِلَى
آخِرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَدِ اكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَنْ سَرَّهُ
أَنْ يَكْتَالَ أَجْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى فَلْيَقُلْ آخِرَ مَجْلِسِهِ سُبْحَانَ
رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صٓ بِالسُّكُونِ عَلَى الْوَقْفِ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ
لِلتَّحَدِّي وَالْإِيقَاظِ وَالْقُرْآنِ قَسَمٌ حُذِفَ جَوَابُهُ لِدَلَالَةِ التَّحَدِّي عَلَيْهِ
كَأَنَّهُ قِيلَ وَالْقُرْآنِ الْمُؤَلَّفِ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ لَمُعْجِزٌ أَوِ اسْمُ السُّورَةِ خَبَرُ مُبْتَدَإٍ
كَأَنَّهُ قَالَ هَذِهِ السُّورَةُ أَعْجَزَتِ الْعَرَبَ وَالْقُرْآنِ كَقَوْلِكَ هَذَا حَاتِمُ وَاللَّهِ تُرِيدُ
أَنَّهُ ذَلِكَ الْمَشْهُورُ بِالسَّخَاءِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُقْسَمًا بِهَا اسْمًا لِلسُّورَةِ
أَوِ الْقُرْآنِ وَالْعَطْفُ بِاعْتِبَارِ تَغَايُرِ الصِّفَاتِ وَالْجَوَابُ مَحْذُوفٌ أَيْ إِنَّهُ
لَمُعْجِزٌ دَنِيَّ الذِّكْرِ أَيِ الشَّرَفِ كَقَوْلِهِ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ أَوِ الْمَوْعِظَةِ
أَوْ ذِكْرِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْقَصَصِ بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ أَيْ مُعَانَدَةٍ لِلْمُعْجِزِ وَمَنْ كَفَرَ بِهِ إِنَّمَا كَفَرَ بِهِ اسْتِكْبَارًا وَ
مُشَاقَّةً مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَكَّرَ الِاسْمَيْنِ مَعَ إِيرَادِ فِي الدَّالِّ عَلَى الِاسْتِقْرَارِ
إِشَارَةً إِلَى كَمَالِ انْتِصَافِهِمْ بِالْوَصْفَيْنِ وَاسْتِغْرَاقِهِمْ فِيهِمَا وَإِيمَاءً إِلَى أَنَّ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ لَا يُنْكِرُ ذَلِكَ الْأَمْرَ الْجَلِيَّ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
مِنْ قَرْنٍ أَيْ كَثِيرًا مِنَ الْقُرُونِ الْمُكَذِّبَةِ أَهْلَكْنَا قَبْلَ هَؤُلَاءِ فَنَادَوْا
رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالِاسْتِغَاثَةِ وَالْجُؤَارِ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ذَهَبَ الْخَلِيلُ
وَسِيبَوَيْهِ إِلَى أَنَّهَا لَا الَّتِي شُبِّهَتْ بِلَيْسَ زِيدَتْ عَلَيْهَا التَّاءُ كَمَا زِيدَتْ فِي
رُبَّ وَثُمَّ لِتَوْكِيدِ النَّفْيِ وَحُدِّثَتْ لَهَا أَحْكَامٌ بَعْدَ هَذِهِ الزِّيَادَةِ اخْتِصَاصُهَا
بِالْأَحْيَانِ وَبُرُوزُ أَحَدِ حَرَكَيْ مَدْخُولِهَا دُونَ الْآخَرِ وَعَنِ الْأَخْفَشِ أَنَّهَا
التَّاءُ فِيهِ لِلْجِنْسِ زِيدَتْ عَلَيْهَا التَّاءُ وَحِينَ مَنْصُوبٌ بِهِ كَأَنَّكَ قُلْتَ وَلَا حِينَ
مَنَاصٍ لَهُمْ وَعَنْهُ أَنَّ مَا يَنْتَصِبُ بَعْدَهُ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ أَيْ وَلَا أَرَى حِينَ مَنَاصٍ
لَهُمْ وَعِنْدَهُمَا أَنَّ النَّصْبَ عَلَى وَلَاتَ الْحِينَ حِينَ مَنَاصٍ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ
مُنْذِرٌ مِنْهُمْ كَائِنٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَعْرِفُونَ صِدْقَ قَوْلِهِ وَأَمَانَتَهُ وَقَالَ
الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ لَمْ يَقُلْ قَالُوا إِشَارَةً إِلَى تَنَاهِي هَذَا الْقَوْلِ
بَعْدَ ذَلِكَ الْإِعْجَانِ لَمْ يَنْشَأْ إِلَّا عَنْ كُفْرٍ بَوَاحٍ وَإِنْهَمَاكٍ فِي الْغَيِّ أَجَعَلَ
الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
لَمَّا مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ مَشْيَخَةُ قُرَيْشٍ وَقَالُوا إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتِمُ

الهتنا فلو نهيته فبعث اليه ابو طالب فلما حضر قال ابن اخي ان قومك يشكونك انك تشتم آلهتهم فقال يا عم اني انما اسألهم كلمة تدين لهم بها العرب ويؤدي الجزية اليهم العجم فقالوا ما هي تلك الكلمة نعم نعطيك عشرا قال يقولوا لا اله الا الله فقاموا ينفضون ثيابهم يقولون اجعل الآلهة الها واحدا قيل كان هذا بعد اسلام عمر ان هذا لشيء عجاب بليغ العجب مخالف لما اطبق عليه آباؤنا الاولون ولم يكونوا ينكرون ان مدبر الكائنات وموجدها هو الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلا وجه لما قيل انما قالوا لان الواحد لا نفي عليه وقدرته بالاشياء وانطلق الملأ ان امشوا اي انطلقوا اولئك الاشراف بعدما سمعوا مقالته وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التفاول لا يخلون عن تفاوض واصبروا على الهتكم على عبادتها والتمسك بها ان هذا الامر الذي انتم فيه لشيء يراد يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه او ان هذا شيء اراده الله تعالى فلا محالة كائن او ان هذا الذي يطلبه من الترفع على كافة الخلق مراد كل احد وهذا من ريب الدهر ونوايبه الذي اريد بنا فلا بد من وقوعه ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة اي ملة النصارى التي هي اخر الملل يريدون ان لو كان التوحيد حقا لم يثلثوا او ملة قريش التي ادركوا عليها اباءهم او في الملة الاخرة حال اي كائنا في الملة وليس متعلقا بسمعنا اي لم نسمع من احد من اهل الكتاب ولا الكهان ان يحدث في الملة الاخرة القول بالتوحيد ان هذا الا اختلاق افتراء مخترع لم يسبق له نظير أانزل عليه الذكر من بيننا انكروا اختصاصه بشرف النبوة مع كونه واحدا منهم بل وفيهم من له الاسباب من الاموال والاولاد والحشم اكثر منه ولهذا قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا منهم منشأه الحسد لا غير وتلك الخرافات التي تقدمت ناشئة منه بل هم في شك من ذكري اي جزم منهم باختلاق ليس عن اعتقاد ويقين بل قولوا بافواههم انا لشاك لا حكم له فان قلت لشك في الذكر وهو القرآن لا ينافي الجزم بان التوحيد مخلق قلت بل ينافيه لاشتماله على دلائله والمرتاب فيها شاك فيه بل لما يذوقوا عذاب اضراب عن حديث الحسد والشك والمعنى انهما لا يزولان الا بذوق العذاب كقوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم وتحت تصرفهم خزائن من اتصف بالغلبة والفيض المطلق حتى يجعلوها لمن يشاؤا اضراب عن قولهم انزل عليه الذكر نظير قوله ام يقسمون

رحمة ربك وفي وصفه بالعزة اشارة الى بطلان ما هم فيه من الترفع والتجبر على من خصه بالنبوة لانهم تحت قهر غالب لا يغالب وبالوهاب الى ان النبوة محض موهبة ربانية فلا وجه للمشاقة وذكر الوهاب يناسب الخزائن وفيه اشارة الى ان النبوة ليست عطية واحدة بل عطايا جمة ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما يريد ان ملك السموات والارض شيء من خزائنه الذي لا يقاس بعالم الجسمانيات والروحانيات وانى كانوا عاجزين عن التصرف فيه فهم عن غيره اعجز ثم بين عجزهم بقوله فليرتقوا في الاسباب الموصلة الى العرش والاستيلاء عليه وانزال الوحي الى من يختارونه ثم حقر شأنهم وخسأهم بقوله جند هنالك مهزوم من الاحزاب ما مزيدة للتقليل وهنالك ظرف مهزوم اشير به الى المحل والرتبة كقول الخليل عليه السلام في حديث الشفاعة لست هناك والمعنى هؤلاء الكفار اعوان وانصار قليلون من الذين يتحزبون على الانبياء عما قريب مكسورون في المحل الذي وضعوا انفسهم فيه اين هم من التعرض لتلك المقالة والاعتراض على مالك الملك والملكوت وقيل هنالك اشارة الى يوم بدر او يوم الخندق او يوم فتح مكة والاول هو الوجه كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد هؤلاء الاحزاب الذين اهل مكة منهم وصف فرعون بذي الاوتاد اشارة الى طوله مدته استعارة من اوتاد البيت المطنب للثبات كقوله في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يعذب بالاوتاد ويجعل اعضاءه الاربعة الى اربعة اطراف ويضرب على كل واحد وتدا ويتركه الى ان يموت وكان يوسل عليه وهو كذلك الحيات والعقارب او الاوتاد مجاز عن الجموع لان بعضهم يشد بعضا وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة قوم شعيب والايكة الغيضة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة على وزن ليلة اولئك الاحزاب اي الاحزاب الذين منهم جند مهزوم هم هؤلاء والمعنى المشار اليهم هم الذين يقال لهم الاحزاب لقوتهم بالاموال والاسباب وطول الاعمار لا جند مكة كما تقول بعد ذكر زيد وعمرو زيد الرجل ان كل الا كذب الرسل اعاد التكذيب ثانيا على وكد وجه او هو طريقة وافاد ان كل واحدة من تلك الامم كذبت كل رسول الله لان تكذيب واحد منهم تكذيب لسائرهم لان بعضهم يصدق بعضا فحق عقاب بعد ذلك الافراط في التكذيب وما ينظر هؤلاء اي اهل مكة الا صيحة واحدة هي النفخة وقيل العذاب المفاجئ من قولهم صاح الزمان بفلان قال صاح الزمان

بالدبر مكى صيحة خر والشدتها على الاذقان ماؤها من فواق من لبث
ماخوذ من فواق الناقة وهو ما بين الحليتين فانها لا تدر دفعة بل بتريك
زمان وقرا حمزة والكسائى بضم الفاء وهو لغة وقالوا ربنا عجل لنا
قطنا القط القسط لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
وعد المؤمنين الجنة قالوا هذا الكلام استهزاء قبل يوم الحساب قبل
يوم القيمة او لن نؤمن به كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد اى تحمل اذاهم واذكر لهم
قصة داود فانه لم يكن فى زمان نبوته على وجه الارض اكرم على الله ولا اعز
منه ومع ذلك جرى عليه من اذى فى خطرة خطرت له ما جرى وبكى على ذلك مدة
طويلة فى نقش خبايته فى باطن كفه حتى لا ينساها فما ظن هؤلاء المسرفين
المستهزئين بالله وآياته او اصبر على ما يقولون واذكر لنفسك حال داود
وحافظ على تذكرها لئلا يقع لك فى المصابرة ما تعاتب عليه كما عوتب ذلك
وعلى هذا الذكر ذكر القلب ذا الايد ذا القوة فى الدين والمحافظة على الطاعات
بدليل قوله انه اواب وقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صيام داود
كان يصوم يوما ويفطر يوما وافضل الصلوة صلوة داود كان ينام نصف
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولان الاوابية لا يدخل لها فى قوة البدن
انا سخرنا الجبال معه يسبحن على الدوام بالعشى والاشراق اى فى هذين
الوقتين يقال شرقت الشمس شروقا طلعت واشرقت اضاءت وصفاء شعاعها
وعن ابن عباس رضى الله عنه انه لما سمع امرها فى تقول جئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فوجدته تغتسل وفاطمة ابنته تستره
فلما اغتسل التحف بثوب وصلى ثمان ركعات وذلك ضحى فقال قد ظننت ان
لهذه الساعة صلوة وتلاها فان قلت كيف دل تسبيح الجبال معه على الصلوة
فى تلك الساعة قلت لما روى فى الحديث ولان تسبيح الجبال مجاز فحمل
تسبيح داود على المجاز لان المجاز بالمجاز اشبه والطير محشورة جملة
واحدة ولذلك لم يراع المطابقة بين الحالين اذ حشرها على هذا الوجه دل
على كمال الاقتدار كل له اواب رجاع الى الله رجوعا بعد رجوع ويلزمه
الذكر والتسبيح فكانه قال كل معه تسبيح على الدوام او الرجاع كناية عن
المرجع ومعلوم ان الترجيع فى التسبيح لا فى فعل اخر وشددنا ملكه
قويناه بالرجال والعدد قيل كان يحرس محرابه اربعون الفا من ذوى الاسنة
وقيل كان الذى عليه المهابة وذلك ان رجلا ادعى على اخر بقرة فانكر المدعى
عليه فاوحى الى داود ان اقتل المنكر فقال له لم يوامرنى الله بهذا بل انى

قتلت اباه عمدا فامر بقتله فهابه الناس وآتيناه الحكمة النبوة وعلم الشرع
او كل كلمة وافقت الحق فهى حكمة وفصل الخطاب الفصول الذى يتبين من
يخاطب به ولا يلتبس عليه مصدر بمعنى المفعول او الفاعل بين الحق والباطل
فى القضايا والتدابير فانه اذا انضم الى العلم والحكمة كمل شان الحاكم وتحقيقه
انه كان مالا فى البلاغة لو رد كل كلام على ما يقتضيه الحال خاليا عن الاملال
او الاخلال ويدخل فيه كل ما ذكروه من الوجوه وهذا مثل ما جاء فى وصف
كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نزر ولا هدر وهل اتيك نبا
الخصم اذ تسوروا المحراب الاستفهام للتشويق والدلالة على انه من
الامور المستغربة التى العلم بها امر خطير والخصم مصدر فى الاصل يقع على
الواحد والجمع مثل الضيف كقوله حديث ضيف ابراهيم المكرمين تسوروا المحراب
تصعدوا او استورحائط المدينة اذا داحائطها مسجده والمحراب الغرفة وصدر
المجلس واذ يتعلق بالنبإ وان كان بمعنى القصة الا انه فى الاصل مصدر
والظرف يكفيه رائحة من الفعل او متعلق بمقدر اى نحاكم الخصم وتعلقه
باتيك لا يستقيم اذ دخلوا على داود ظرف تسوروا او بدل من اذ والضمير
للخصم ففزع منهم لانهم نزلوا من الحائط من غير اذن وهم ناس اجانب
لا يعرفهم وكان خاليا للعبادة كان جزء الزمان جعل يوما للعبادة ويوما
للقضاء ويوما يعظ فيه بنى اسرائيل ويوما يشتغل فيه بخاصته قالوا
لا تخف لما شاهدوا منه اثار الخوف خصمان اى نحن فوجان بدليل قوله
تسوروا ودخلوا فهو كقوله خصمان اختصموا ولا ينافيه ان هذا اخى لانه
قول بعضهم بغى بعضنا على بعض وهذا على التمثيل والغرض فلا يمتنع
صدوره عن الملائكة فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر فى الحكم
من الشطط وهو مجاوزة الحد فى كل شئ وفى الحديث لها مهر مثلها لا وكس
ولا شطط واهدنا الى سواء الصراط الى وسط الطريق الى الحق الذى
لا ميل فيه ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى
الانثى من الضان يكنى بها عن المراة التى عن يكتها وضعف بينها وكثرة
ما يطلق اهل مصر على الرجل الجبان انه نعجة فقال اكفلنيها اى اجعل
امرها الى لاكفلها كما اكفل ما تحت يدى وحقيقته القيام بامرها كقوله
صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشارة بالسبابة والوسطى
وعزنى فى الخطاب غلبنى فى الجدال لا اقدر على رده وقيل غلبنى فى
الخطبة وينافيه ولى نعجة وقوله لقد ظلمك فى سؤال نعجتك وقوله
اكفلنيها اذ لا يخاطب به الخاطب بل ولى المخطوبة الا ان يجعل مجازا

قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك جواب قسم محذوف وانما اقسم مبالغة
فى الايحار حكم عليه بالظلم اما لاعترافه او على تقدير صدق المدعى والسؤال
مصدر مضاف الى المفعول الى نعاجه ضاما اليها وان كثيرا من الخلطاء
من الاصدقاء المتعادين كقوله ان الخليط اجدوا البين فانصرموا ليبغى
بعضهم على بعض فلا عجب مما شجر بينكم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم اى فى غاية العلة ما زائدة وهذا الكلام منه على طريق
الموعظة والترغيب فى انتهاج مسلك ذلك القليل وايثار عادتهم
والتدرع بلباسهم وجعل الخلطاء على الشركاء حديث الحلائل باب عنه
وظن داود انما فتناه اى ايقن انا ابتليناه استعار الظن لليقين
لان الظن الغالب يدانيه فاستغفر ربه وخر راكعا سجد لله لان
الركوع وحده ليس بعبادة فاطلق على السجود لانه مبدأه وبدانيه فى
الخضوع او اراد به الصلوة مجازا وانا ب رجع اليه بالاستغفار
وانما بدا بالسجود او الصلوة المشتملة عليه لانه مظنة الاجابة و
اليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد الى الله و
هو ساجد وهذا من غرايم السجود عند ابى حنيفة رحمه الله لما روى ابن
عباس رضى الله عنه سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ص وقال
سجدها داود توبة ونسجدها شكرا واستدل الشافعى بما رواه ابن
عباس سجدة ص ليست من عزايم السجود لكنى رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسجد فيها فقال بها استحسانا فان قلت ما صدر عن داود
حتما وجب هذا الابتلاء والانبياء عن الصغاير فضلا عن الكباير
منزهون قلت هذا على طريقة حسنات الابرار سيئات المقربين وغاية
ما يمكن فى حقه انه راى بغتة امراة اوريا وهو رجل من غزاة بلقا
فسال ان ينزل له عنها فاستحيى ان فعل وهى ام سليمان وقيل لم يكن
امرانه بل خطب على خطبته فعوتب فى ذلك وقيل له ما كان ينبغى لمثلك ان يعد
عليه المتاع الدنيا مع ما حولناك من الملك المديد وكثرة النساء كيف
تسال رجلا له امراة واحدة ان ينزل لك عنها بل كان الواجب عليك اذ
لو سالك هو ان تنزل عنها الاباء الكلى وقهر النفس ومغالبة الهوى
كما فعله سيد المرسلين حين شاوره زيد فى فراق زينب هذا ان صح عنه كما
مبالغا غايته الله خلافا لاولى وقد روى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف
انه لما نزل على سعد بن الربيع قال له لك نصف مالى وانظر اى امراتى
اعجبتك نزلت لك عنها وان كان امرا اخر لم يحكه الله مفصلا ليل ستره

عليه فنحن اولى بذلك فما لنا وللخوض فيه ولذلك لما حكى عند عمر بن عبد
العزيز رجل قاض على غير هذا الوجه من تلك الحرافات التى لا يجوز اشاعتها
وكان رجل من اهل المعرفة حاضرا فقال ايها الرجل ان كانت القصة على
ما فى كتاب الله فاعظم بما ذكرت قرية وان كانت كما ذكرت وقد ستره الله
على عبده فكنت اولى بذلك فقال عمر لسماعى لهذا الكلام احب الى مما طلعت
عليه الشمس وعن سعيد بن المسيب ان على بن ابى طالب قال من حدثكم بحديث
داود على ما يحكيه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ما وقع منه هو
قوله لقد ظلمك بمجرد قوله قبل ان يسال المدعى عليه ويؤيده قوله
بعد هذا فاحكم بين الناس بالحق فغفرنا له ذلك بعد الانابة وان له
عندنا لزلفى قربة ومكانة لم يحصل له بتلك الجناية تنزل وحسن مآب
مرجع هو جواب لله فى عالى الجنان يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض
يقال استخلفه على كذا انا جعله واليا متصرفا فيه كقوله وانفقوا مما
جعلكم مستخلفين فيه او خليفة عن الانبياء الذين تقدموا فاحكم بين
الناس بالحق الذى امرك الله اى بحكم الله ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله طريقه الموصل اليه ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم
عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اى ذلك الضلال يستتبع عذابا
ذلك اليوم اذ لو تذكروا قبائح احواله واعماله المعروفة فى ذلك اليوم
على العلام الجهير لم يرتكب ضلالا قال عبد الملك بن مروان يوما لابان ولده
انك قرات الكتاب الاول والقران هل وجدت ان الخلفاء لا يجرى عليهم
القلم فقال يا امير المؤمنين الخلفاء اعظم اعنا الانبياء ثم تلا هذه الاية
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا عبثا خاليا عن الحكمة
كقوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين بل انما خلقناها
ابتلاء لكم بالتكاليف والشرايع ذلك ظن الذين كفروا اى كونهما مخلوقين
باطلا مظنون الكفار فويل للذين كفروا من النار من بيان او ابتداية
ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض انكار
لذلك وكيف يتسوى الحكم بين المومن والكافر ام نجعل المتقين من المومنين
كالفجار كالفساق منهم او تكرير للاول بالاعتبار الوصفين واذ كانا
التساوى منكرا فليس هذا الذى نجرا ولذلك ترى اكثر اهل الدنيا
والتقوى ناقصة حظوظهم فيها فلا بد وان يكون دار اخرى تعم فيها
المجازاة كتاب انزلناه اليك مبارك لما بين جملة من المقاصد الصحيحة
التى تدعو عنها العقل الصريح ازدفه بوصف الكتاب المشتمل عليه بالبركة

وای برکة اعظم من الارشاد الی البقاء سرمداً فیما لا عین رأت ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر ليدبروا آياته ويستنبطوا منها دقائق حكمه وليتذكر اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة المبرئون عن الغوائل المؤيدون بالتوفيق الناظرون بنور الله فان تلك الدقائق كالمعلوم عندهم لا يحتاج الا الى التفات الذهن ووهبنا لداود سليمان قصة الوالد بقصة الولد لانه فتن مثل ما فتن واناب مثل ما اناب عبر عن اعطائه بالهبة اشارة الى جلالة قدره نعم العبد حذف المخصوص للعلم به اى سليمان انه اواب رجاع الى الله او موب اى مسبح ولا يكون الا اوابا اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد الصافن من الصفون وهو الوقوف على ثلثة قوائم قال الفراء الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلث كثيرا والجياد جمع الجواد من الجودة بضم الجيم الفرس الواسع الجري وهو الواسع العطاء ايضا من الجودة بفتح الجيم وصفها بالصفون والجودة جمعا للحسن في حالتيها كانه قال ساكنة عند الوقوف سراع عند الجري وقيل الصفون وصف لها بالاصالة فانه يكون في العرب دون الهجن قيل عزا سليمان دمشق فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيها واصاب ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر وكانت ذات اجنحة وهذا هو الوجه اذ في الارض والاصابة غنيمة اشكال لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ولقوله اوتيت خمسا لم يؤت احد من قبلي وعد منها احل الغنائم فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي استعمال احب بعن لتضمين معنى انبت او الجاة متعلق بمقدر حالا اى مفتيا والخير المال لقوله تعالى ان ترك خيرا الوصية للوالدين والمراد به الصافنات المذكورة وكان اصله احببت الخير لكنهم ادخلوا الحب اشارة الى فرط المحبة كانه احبها حتى احب حبها حتى توارت بالحجاب الشمس وفاته صلوة العصر وقيل توارت الخيل بالحجاب اى بظلام الليل وفيه بعد ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق اى شرع بقطع اعناقها وعراقيبها قربانا في سبيل الله وخصها بذلك لانها كانت سببا للاشتغال وهذا كقطع يد السارق لانها آلة الجناية وفي الحديث سمع رسول الله رجلا يقول لناقته لا ملعونة فقال لا ترد وعها لا يصحبنا دابة ملعونة ولما فاته صلوة الصبح انتقل من ذلك المكان الى مكان آخر ثم قضاها كراهة له حيث نام عن الصلوة فيه وقيل منع اعراقها وعراقبها احتراما وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يمسح اعراف الخيل وقال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة من اعزها اعزه الله ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا روى البخاري باسناده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سليمان قال يوما لاطوفن الليلة على اربعين امرأة يأتي كل واحدة بغلام يجاهد في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل فما حملت الا واحدة اتت بشق ولد فوالذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله يجاهدوا فرسانا وروي انه كان له ابن يخاف عليه من الجن فكان يربيه في السحاب فكان يوما جالسا فوقع على كرسيه ميتا فعلم انه كان نازكا لما هو اللائق من التوكل ثم اناب رجع الى الله تعالى بالتوبة وما ذكره بعضهم من ان خاتمه وقع في يد صخر الجني وانه استولى على ملكه اربعين يوما وما يضمون الى ذلك من الخرافات فلا يجوز ذكرها لانها اكاذيب لا يساعدها عقل ولا نقل قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي كان ناشيا في بني اسرائيل سأل معجزة تناسب حاله وقيل قاله شفقة على اخوانه النبيين حيث راى الدنيا غدارة لا سيما ابنة الملك فطلب من الله ان يزويه عن غيره ويخصه به وقيل لم يرد الا سعة الملك وعظمه لا الاختصاص ويرده قوله صلى الله عليه وسلم وقد تفلت على البارحة شيطان فقصدت ان اربطه بسارية من سواري المسجد فيلعب به صبيان المدينة ثم تذكرت دعوة اخي سليمان قيل للحجاج انك تحسود قال اجسد مني سليمان حيث قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وقد كفر في ذلك كما كفر في قوله طاعتنا اوجب من طاعة الله لان تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال واولي الامر منكم فاطلق وقد عمي في كفره لانه اولى الامر عطف على طاعة الله ورسوله فكيف يكون احدهما مطلقا والاخر مقيدا وايضا ما استطعتم قيد الاطلاق انك انت الوهاب لا غيرك فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء لينة من الرخاء وهو الخصب او طيبة وفي ذلك تمام النعمة كالفرس الذلول حيث اصاب قصد الحكي الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطاء وقصد رويه الشاعر رجلان اشكل عليهما هذا اللفظ فقال ما تصيبان فالا هذا الجواب والشياطين كل بناء وغواص في البحار لاستخراج الدر والجواهر وآخرين مقرنين في الاصفاد في القيود كالشرهم جمع صفد بالتحريك وهو العظام ايضا ربطه المنعم عليه بالمنعم قال ومن وجدا لاحسان قيد تقييدا ويروى من برك اسرك ومن جفاك اطلقك والفضل للعطاء اصفد والقيد صفد عكس وعدوا وعد هذا عطاؤنا اشارة الى ملكه الممدود فامنن

أعط ما شئت منه أو أمسك بغير حساب حال كونك غير محاسب بالامر
مفوض إليك تتصرف كيف يشاء كما هو شان الملوك وعنه صلى الله عليه
وسلم خير في الله بين أن اكون عبدا نبيا أو نبيا ملكا فاشار الى جبرائيل
أن تواضع فاخترت أن اكون عبدا نبيا ولذلك كان مأمورا لم يظلوله التصرف
قال انما أنا قاسم والله المعطي ولما تواضع ولم يلتفت الى الملك الدنيا عوضه
المقام المحمود وإن له عندنا لزلفى قربة ومنزلة وحسن مآب مرجع
في جوارنا ولم ينقص ملك الدنيا شيئا من مكانته واذكر عبدنا أيوب
هو ايوب بن عيص بن اسحق لما ذكر اولي النعم والالاء اردف بذكر ذوي
الغاهات والبلاء ليعلم انهم كانوا مع الله في السراء والضراء ولذلك
قال بعد شرح ملك سليمان ونصب ايوب في كل منهما نعم العبد ومن ذلك
افترقا أهل الحق في الغنى الشاكر والفقير الصابر انهما اقرب الى الله إذ نادى
ربه بدل اشتمال إني مسني الشيطان بنصب تعب ومشقة في بدني
وعذاب اليم في المقلب وقيل الاول في البدن والثاني في المال والاولاد و
انما نسبة الى الشيطان وإن كان كل ذلك بخلق الله تعالى تأدبا أو لانه ما
حصل له لفعل ترتب على وسوسته اذا عجب بكثرة المال واستغاثه مظلوم
فلم يغثه أو كانت مواشيه في ناحية كافرة فاهلكها أو كان يعزبه على الجزع
والقنوط وانه لو كان له عند الله منزلة لما ابتلاه اركض برجلك اضرب بها
الى قيل له ذلك اما بلا واسطة أو بواسطة هذا مغتسل بارد وشراب
وانما قدم البارد لانه اهم للمريض المحرور ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء فإن صح ما يقال لما ركض
برجله نبعت عينان حارة وباردة فتقدير يا رد للفواصل وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل خر عليه رجل من
جراد ذهب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم اي اضعافا مما كان رحمة
منا عليه وذكرى وموعظة لمن يسمع بحاله فيصبر على بلائه لاولي الالباب
لاولي بقية العقول الخالصة عن شوائب الاوهام ومن الامثال لكل شيء اخرو
الضرهم الناصر وخذ بيدك ضغثا حزمة من حشيش او ريحان او غيره
اصله الاختلاط ومنه اضغاث الاحلام فاضرب به ولا تحنث في يمينك
فان زوجته كانت ذهبت في حاجة فابطأت عليه فحلف ليضربنها مائة
ضربة فعلمه الله تعالى يمينه وهون عليه وتلك السنة باقية في الحدود
انا وجدناه صابرا ولا ينافيه الشكوى الى الله تعالى وانما خلف في مدة بلائه
وقد تقدم في سورة الانبياء نعم العبد انه اواب رجاع بالذكر والتوبة

واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب هؤلاء ايضا اهل البلاء وقدم
ايوب لانه علم في ذلك وقرأ ابن كثير عبدنا بالافراد اما لقصد الجنس او
لارادة ابراهيم عليه السلام اشارة الى شرفه والجمع هو المختار لقوله
اولي الايدي والابصار اولي الايد والابصار ذوي القوة في
الاعمال والبصائر النافذة في التدبر والافكار وفيه تعريض بالبطلة لجهلهم
بانهم كالزمن والعمى إنا اخلصناهم جعلناهم خلصا اصفياء لاكدر فيهم
ثم بينه بقوله بخالصة اي بخصلة لا يشوبها شيء ذكرى الدار بيان
لتلك الصفة وحاصله نزعنا من قلوبهم حب الدنيا فليس لهم الا هم الدار
الاخرة وانما اطلقها لانها الدار حقيقة وانما الدنيا كمنزل راكب اراح
عشيا وهو في الصبح ذاهل وقرأ نافع وهشام بالاضافة اما الى الفاعل
اي بان خلصت ذكرى الدار لهم ولم تشب بغيرها او الى المفعول على ان
الخالصة مصدر متعد بمعنى الاخلاص اي بان ذكروا الناس ورغبوهم في
الاخرة وزهدوهم وهذا الوجه احسن لانه تكميل يستدعي سبق الكمال
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار جمع خير بكسر الخاء كشر وأشرار
او بفتح الخاء جمع خير مشددا ومخففا كميت وأموات المصطفين به اذ المختار
قد لا يكون خيرا واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل هما ابنا عم وكلا
من الاخيار اي كل هؤلاء هذا ذكر اي القرآن شرف تذكرون به او هذا
ذكر من مضى من الانبياء او لما اريد نقل الكلام من ذكر الانبياء الى ذكر الجنة
وهما نوعان من الكلام قال هذا ذكر كما يقول الكاتب اذا فرغ من باب واراد
الشروع في باب اخر هذا وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن
بدل او عطف بيان وهو من الاعلام الغالبة لمنفحة لهم الابواب حال
والعامل فيه هو العائد او الجار والمجرور او التقدير جنات عدن استقرت
للمتقين حال كونها مفتحة لهم الابواب بدل اشتمال بلا رابط لجعل المعنى
المعنى كقولك في بدل البعض ضرب زيد اليد او الرجل متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة وشراب يسيل به الان متكئا فان بقي ضميرهم او محتملا
واشتمال المصادع في الدنيا لجواز دون الاولى لتجدد الدعاء بهما دون الاتكاء
الاقتصار على الفاكهة والشراب لانهما يتناول في الجنة للتلذذ لا للدفع الجوع
وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرون الى غير ازواجهن اتراب
متفقات في السن او الاوقات جمع ترب بمعنى المثل او الترائب صدرهن معه هذا ما توعدون ليوم
الحساب اي لاجله فان الحساب لاجل الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير

وَابُو عمرو يوعدون بالياء جريا على سنن ما تقدم وَالباقون بالخطاب التفاتا
وَهُوَ احسن معنى وَاوفق لقوله وانتم فيها خالدون بعد قوله يظل عليهم
إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ انقطاع هذا تقدم الوجه فيه انفا وَإِنَّ
لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ بدل او بيان فبئس المهاد مهادهم مستعار
من فراش النائم هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ هذا مبتداء وحميم خبره وفليذوقوه
اعتراض على نحو زيد فهم رجل صالح او ليذوقوه فليذوقوه بالاضمار على
الشرطية او خبر مبتداء اى العذاب هذا وَغَسَّاقٌ عطف على حميم وَهُوَ
ما يسيل من صديد اهل النار من غسق الدمع بطف قيل هو شراب يحرق
بالبرودة كما ان الحميم يحرق بفرط الحرارة وعن الحسن عذاب لا يعلم عظمه
الا الله تعالى مقابل لما اعده لاهل الجنة الذى اشار اليه بقوله فلا تعلم نفس
ما اخفى لهم من قرة اعين وقرأ حمزة والكسائى وخفص مثقلا عن الفراء
هما لغتان وقيل الاول اسم كالنكال والعذاب والمشدد صفة او نسبة
كالتمار وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ من شكل هذا المذوق عطف على حميم وغساق
أَزْوَاجٌ صفة للثلاثة او لاخر لانه ضروب واجناس وقرأ ابو عمرو اخر
بضم الهمزة جمع اخرى ككبر وكبرى وَأَزْوَاجٌ خبره وَمِنْ شَكْلِهِ صفته
المفرد اخف والجمع اظهر ولا يخفى ما فى ايهام اخر من التهويل هٰذَا فَوْجٌ
مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ كلام الرؤساء من الطاغين للاتباع حين دخول النار كقوله
كلما دخلت امة لعنت اختها الاية الاضافة هنالك هى الاتباع وهنا بالعكس
والاقتحام الدخول فى الشئ عنفا وقيل هو كلام الخزنة وقوله لا مرحبا
بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء تعليل لاستهال الاتباع هذا
الدعاء وقيل لكل كلام الخزنة قالوا اى الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم
انتم قدمتموه لنا بالاغواء والاغراء فانتم احق بهذا الدعاء فبئس
القرار مكانا قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار
اى مضاعفا للضلال والاضلال كقوله ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم
عذابا ضعفا من النار وان جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة فوجهه
قوله بل انتم لا مرحبا بكم ان يكون كلام الاتباع للرؤساء لما دعا عليهم
الخزنة صرفوا الدعاء اليهم لانهم السبب وقالوا مالنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار استفهام تعجب وتحسر اتخذناهم سخريا
صفة رجالا امزاغت عنهم الابصار ام منقطعة متصلة بقوله
مالنا لا نرى كانهم لما لم يروهم فى النار توجعوا من ذلك قياسا على حظوظ
الدنيا سألوا انفسهم بعض التعجب وقالوا بل زاغت عنهم الابصار

فلا نراهم فى النار وهم فيها وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وعاصم
بالاستفهام انكارا على انفسهم كيف اتخذوا سخريا من كان على شانا
منهم ثم اضربوا الى قولهم بل زاغت عنهم الابصار او متصلة ومعادلها
اتخذناهم على انكار الامرين جميعا كانهم قالوا منكرين على انفسهم اى
الفعلين فعلنا بهم السخرية او الازدراء والتحقير اذا المسخور منه عاكان
محبوبا وفى اسناد الزيغ الى الابصار الى شدة الازدراء بهم كانهم لفرط
كراهتهم تجهم الاعين وان قدر حذف همزة الاستفهام فى الوجه الاول
لدلالة ام عليه يستوى القراءتان وقرأ نافع وحمزة والكسائى سخريا
بضم السين وعن مجاهد ان الضمير فى قالوا لصناديد قريش ولاذلبل له
فالوجه التعميم فى كل طاغ إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ انما ذكر من التفاول كاين
لا محالة تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ بيان له وكان الظاهر ان ذلك التخاصم حق
وانما قدم الحق اهتماما قُلْ يا محمد لمشركى مكة إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ لا ساحر
كذاب كما تقدم منهم فى قول السورة وهذا الدعوى منه بعد ما قدم ما يدل
على كونه رسولا باثبات كون القران معجزا وما ردفه به من ذكر الانبياء
مع امهم مما يستقل بانواع من الاعجاز وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللّٰهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ اى متفردا بهذين الامرين الانذار والدعوة الى التوحيد او
المعنى انما انا منذر وليس لى علم بمقدار عقاب من هذا شانه فالانذار هو
المحقق به وهذا تحقيق له متمم والاول هو الوجه لقوله رَبُّ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الغفار انا التعقيب بهذه الصفات دليل
على كون الدعوة مقصودة والا ان هذا ملخص ما تقدم وفى ذلك
اجمل الالهة الها واحدا قل هو نبا عظيم اى مما اعيب به على الانذار
والدعوة الى التوحيد وقيل يوم القيمة وقيل القران أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ
لتمادیکم فى الغفلة ما كان لى من علم بالملاء الاعلى دليل على كونه رسولا
إِذْ يَخْتَصِمُونَ متعلق بمقدر اى بكلامهم فى ذلك الوقت إِلَّا أَنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ
إِلَّا لانما انا نذير مبين اى لا لانما انا نذير كقوله لم يكن الذين كفروا
الا انك حكيم رشيدا ولم اومر الا بهذا الامر المشتمل على الامور كلها امرا
او التزاما ولم اومر الا بهذا الانذار دون الهداية اذ قال ربك للملائكة
انى خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون فان قلت اذ يختصمون
ظرف لكلام الملائكة وهذا كلام الله فكيف يصح ابداله منه قلت ذلك
زمان ممتد وقع فيه القولان فان قلت ما كان ذلك الاختصام قلت هو
تقاولهم فى شان ادم وابائه ابليس فان قلت الملاء هم الاشراف وذلك

التفاول انما كان من جميع الملائكة كما صرح به فى البقرة بقوله واذ قال ربك
للملائكة وقوله قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قلت
ذلك القول نسب الى الكل لكونه صادرا عن البعض كما يقال بنو فلان قتلوا
زيدا ولا شك ان المتصدى بجوابا لله انما هو الاشراف فان قلت الملاء
اسم الجمع فلم وصف بالمفرد قلت بالنظر الى اللفظ وما قيل من الجائز ان
يكون مقاولة الله والملائكة اياهم بواسطة الملك فان يكون الملاء
شاملا لله والملائكة فلا يخفى بعده من غير ضرورة يدعوا الى ارتكابه هذا
والوجه ان يكون المراد باختصام الملاء الاعلى ما فى الحديث وهو قوله
رايت ربى فى احسن صورة فقال لى فيم يختصم الملاء الاعلى قلت لا اعلم
فوضع كفه بين كتفى فوجدت برده فى صدرى فعلمت ما بين السماء والارض
ثم قال لى فيم يختصم الملاء الاعلى قلت فى الكفارات والحدود ثم اشار
مستانفا الى قصة ابعد واغرب بقوله اذ قال ربك للملائكة ومما يؤيد
قوله ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين فاصلا فى البين فاذا سويته
عدلت خلقه ونفخت فيه من روحى الاضافة للتكريم فقعوا له ساجدين
من غير تراخ لم يذكر جواب الملائكة لانه تكرر مرارا ولان مصب الغرض
هنا حديث ابليس اشارة الى انه بمخالفته امرهن الاوامر جرى عليه ما يتلى
عليهم فكيف بهم وهم مغمورون فى الكفر وانواع المعاصى وايماء الى انه
امامهم فى الدنيا لانه اول من سن العصيان وفى الاخرة قائدهم الى النار
فسجد الملائكة كلهم اجمعون التاكيد بكل واجمعين المبالغة فى الاحاطة
والشمول وقيل للدلالة على ان سجودا لكل كان فى زمان واحد وفى ذلك
لملاحظة المعنى الاصلى فى لفظ اجمع لان كان علما من اعلام التاكيد والمقام
المقام لان الاحاطة على وجه الاجتماع فى زمان اتم واكثر مدحا للملائكة
واشد تقريعا لابليس الا ابليس استكبر ترفع عن قدوته لم يذكر اباءه
لان الاستكبار يستلزمه وكان من الكافرين فى علم الله فى الازل او صار
بين الملائكة كافرا قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى
ذكر اليد تمثيل او تصوير والتثنية للدلالة على كمال الاعتناء بشانه فان
لو كان خلقه مما يحتاج الى المجارحة واستعمال الآلة لكان من العظم بحيث
لا يزاول الا باليدين استكبرت ام كنت من العالين اى ترفعت من غير
استحقاق ام كنت من العالين بعضا لانك شيئا بينهم معدودا من جملتهم قال
انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين هذه الشبهة الفاسدة
لم يلاحظ فان الامر وانه المالك المتصرف له ان يامر لاشرف بخدمة

الاخس وان الحسن ما حسنه والملائكة الذين هم الملاء الاعلى لم يحسوا
عن حال المادة ولا نظروا فى التفاضل بين الاصلين بل بادروا بعد الامر
الى ما امروا به هذا وهم مخلقون من النور وجواب ابليس اختيار الشقاك
ودعوى انه فى نفسه من العالمين معللا بكونه مخلوقا من النار وقد بينا
تعليله فى الاعراف قال فاخرج منها فانك رجيم مرجوم مطرود
من دار الكرامة ومحل الانس لان العادة رجم المطرود بالحجارة او مرجوما
بالشهب وان عليك لعنتى البعد من جوارى ذكرها بعد الرجم اشارة
الى كمال خسرانه ببعده من الله الى يوم الدين الى انقطاع التكليف وجزاء
الغاية ليس للانقطاع بل لانه يرى بعدها من العذاب ما هو اعظم قال رب
فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
اجابة لسؤاله وانما عبر عنه باليوم المعلوم اشارة الى ان ذلك كان فى علم
الله قبل سؤاله بل فى الازل وقيل لم يجبه الى ما سال اذ قصد بالبقاء ان
يوم البعث لا يموت فيتخلص منه قال فبعزتك بصفات جلالك التى انما من
مظاهرها ومحل حلولها لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
قرا نافع والكوفيون بفتح اللام وهو المختار قال فالحق والحق اقول
ينصبا لاثنين على ان الاول مفعول مطلق اى احق الحق او على الاغراء
اى الزموا او على حذف حرف القسم وايصال الفعل كقوله ان عليك الله
ان تبايعا او خذ كرها او نرد طايعا وجوابه لاملان والثانى نصبه باقول
والجملة اعتراض بين القسم وجوابه توكيدا وقرا عاصم وحمزة الاول
بالرفع مبتداء خبره لاملان او منى كقوله الحق من ربك او خبرا بعد خبر انا
الحق نحو فتعالى الله الملك الحق او قول الحق نحو قوله الحق لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين توكيد للضمير المجرور فى منهم على معنى انى
لا ابالى بمن تبعك من الناس كائنا من كان وترك ذكر التابع من الشياطين
اكتفاء اذ هم اولى بذلك من الناس لقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن
والانس او تاكيد لضمير منك اى من جنسك والمجرور فى من تبعك فيشمل
الكل والاول اوجه لان التقاول بينه تعالى وبين ابليس انما هو فى شان
عباده الذين عادى اباءهم ولعن لاجلهم قل ما اسالكم عليه من اجر
وما انا من المتكلفين بان اتقول على الله واقول شيا ليس عندى وليس
الغرض من قوله هذا اعلامهم بفائدة هذا الخبر بل استشهاد بمعرفتهم
حاله على صدق مقاله ان هو الا ذكر للعالمين اى القران موعظة
للثقلين وهذا ابلغ من قوله ذكرى للذكر فى اول السورة فانتظم الخاتمة

مع الفاتحة ولتعلمن نبأه بعد حين بعد الموت او قيام الساعة او ظهور
الاسلام وفيه تهديد ووعيد شديد تمت السورة والحمد لله وحده

سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب مبتداء اخبر عنه بقوله من الله
العزيز الحكيم او خبر مبتداء محذوف اى هذا والجار صلة التنزيل او
خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف او حال عمل فيه معنى الاشارة لانت
المقدر كالملفوظ والكتاب على الاول القرآن لاطلاقى اللفظ وفخامة
المعنى وعلى الثانى السورة بقرينة الاشارة والاول اوجه لما ذكرنا
ولقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا به او بسبب ظهاره فاعبد
الله مخلصا له الدين محرجا له الدين عن شوب الشرك والرياء الا لله
الدين الخالص اى تنبهوا ايها الساممعون بان الذى يجب ان يخلص له الدين
هو الاله غير لا تصافه بصفات الجلال والجمال والاطلاع على الاسرار والذين
اتخذوا من دونه اولياء المستكن فى اتخذوا للموصول وهم العابدون
والخبر يقولون مقدرا بل قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
او الخبر ان الله يحكم بينهم والقول حال او الموصول للمعبودين
والمستكن للمشركين وان لم يسبق ذكرهم لدلالة السياق والعايد الى
الموصول محذوف اى الذين اتخذهم المشركون اولياء وبتعين ان الله يحكم
بينهم للجملية والقول المقدر حال وقيل بدل من الصلة وليس بذاك اذ
حذف البدل مشاق للمقصود منه فيما هم فيه يختلفون اى العابدون
والمعبودون واختلافهم انهم يلعنونهم ويتبرؤن منهم وهم يرجون
تقربهم الى الله او الفريقان من المؤمنين والكفار واختلافهم ظاهر
والحكم بينهم ادخال المحق الجنة والمبطل النار ان الله لا يهدى لا يوفق
من هو كاذب كفار اى لا يهديهم والاتيان بالمظهر لتعليل الحكم وايثار
صيغة المبالغة فى الوصف الثانى لانه منشاء الاول لو اراد الله ان
يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اى لو اراد اتخاذ الولد لامتنع
تلك الارادة اى تعلقها لان الاتخاذ محال والارادة صفة ترجح بعض
الممكنات فحذف الجواب وجىء ببدله لاصطفى اشارة الى ان الممكن فى حقه
هو هذا لان المخلوق لا يماثل الخالق فلا يتاتى فى التوالد الحقيقة فلو هنا
مثلها فى قوله لو كان فيهما الا الله لفسدتا ثم اشار الى دليل الامتناع

بقوله سبحانه هو الله الواحد هو الاله لا غير فلو كان له ولد لكان شريكا
له لكان جزاء منفصلا منه والواحد الحقيقى من كل جهة لا يعقل فيه
ذلك ولانه يماثل الوالد فى تمام الماهية فيمتاز كل منهما بتعين ولا يستند
ذلك التعين الى الماهية والا لانحصرت فى فرد فيكون بسبب منفصل
وهو عين الاحتياج تعالى عن ذلك القهار الذى لا يغالب وكل شىء
تحت قهره فينافى الزوال المحوج الى الولد الذى يقوم مقامه ثم بين ذلك
بما لا مزيد عليه بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على
النهار ويكور النهار على الليل التكوير اللف من كار العمامة وكورها
لفها على راسه ولما كان الليل والنهار خلفة يعقب كل منهما الاخر شبه
احاطة كل منهما بالاخرى بمكانه بان يصير اسود مظلما بعدما كان ابيض
مشرقا وبالعكس بالملابس الملفوف على صاحبه او شبه تغييب كل منهما
الاخر بستر الشىء الطاهر عن مطامح الانظار اولما كور كل منهم على الاخر
كرورا متتابعا كتتابع اكوار العمامة شبه به وهذا اوجه لاشتماله على
الزيادة وهى الاطراد الدال على كمال الاقتدار ولا يضر كون الاكوار
فى العمامة متظاهرة وفيهما متعاورة وسخر الشمس والقمر كل يجرى
لاجل مسمى منتهى دوره ومنقطع حركته الا هو العزيز الغفار
لما كان الدليل الذى ساقه بجنس مادة توهم الولد بل الشركة مشتملا
على كمال الاقتدار مدمجا فيه معنى الرأفة مما اشار اليه من التكوير
الذى هو مدار الراحة والتنكيب ذيله بالوصفين ترغيبا للمذنب فى التوبة
وترهيبا للمصر بالعقاب خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
قدم دلائل الافاق لكونها الحد وقد يقدم دلائل الانفس لكونها اغرب
وابدع باعتبار المقامات وفيها تلك دلالات الاول خلو آدم من
ثدى وام لم يصرح به لشهرته الثانى اخراج حوا من ضلعه الاقصر وثم
للتراخى رتبة لان خلقها على النمط المذكور ابدع من تشعب الخلق الكثير
من امر واب او عطف على مقدر اى خلقكم من نفس واحدة خلقها ثم خلق
منها زوجها وقيل خلقكم اشارة الى اخراجهم فى عالم الذر وخلقها
فى هذا العالم وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج هى التى عدها
فى الانعام من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضان اثنين ومن المعز
اثنين والانزال اما انزال الماء الذى هو سبب تعيشها او لانه قضاياه
تعالى توصف بذلك لانها مسطورة فى اللوح او لانه انزل هذه الاجناس
من الجنة والزوج اسم لكل شىء معه اخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد

ووتر يخلقكم في بطون أمهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر خص الانسان لانه المقصود ويعلم حال البواقي منه او على طريقة التغليب خلقا من بعد خلق بشرا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والبطن والرحم ذلكم الموصوف الله ربكم الذي اوجدكم له الملك استئناف لا اله الا هو فانى تصرفون كيف يعدل بكم بعد هذا البيان الى الشرك تعجيب ان تكفروا فان الله غني عنكم لانه تعالى كامل عن ان ينفع بخير او يتضرر بشر ولا يرضى لعباده الكفر لكل عبد فان الرضى ايثار الشيء مع الاستحسان فهو اخص من الارادة يقابل السخط والارادة الكراهة فهما عزان بالضرورة ثم في العدول عن الخطاب اشارة الى ان كونهم عبيدا له يقتضي ان لا يرضى لهم بذلك وانهم اذا اتصفوا بالكفر خرجوا عن رتبة العبودية ثم اشار الى مزيد الاختصاص بقوله وان تشكروا يرضه لكم قرا ابو عمرو في رواية السوسي وهشام عن ابن عامر والدوري عن ابي عمرو في احد الوجهين باسكان الهاء لما نقل الفرا ان العرب تسكن هاء الضمير اذا تحرك ما قبلها وضم بلا صلة عاصم وحمزة وهشام في وجه ونافع وبالضم والصلة ابن كثير والكسائي وابن ذكوان والدوري في الوجه الاخر وهو الاصل لوقوع هاء الضمير بين متحركين ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور بمضمراته واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه لا يخطر بباله غيره لزوال ما ينازع العقل ثم اذا خوله اعطاه ما لا وملكه من الخول وهو العطاء الذي لا يقصد به عوض ان كان له وقع لان اصله التعاهد والحفظ يقال فلان خائل مال اذا اصلحه وقام بامره ومنه حديث ابن عمر كان رسول الله تخولنا بالموعظة كراهة السآمة علينا او من الخول وهو الافتخار والتكبر ومنه الجبان لانه توقع فيما لا حقيقة له نعمة منه كالنسيء منه شيء ما كان يدعوا اليه من قبل قبل الضر الذي كان يدعو الله لكشفه او الله الذي كان يتضرع اليه وما اريد بها الصفة كما في قوله والسماء وما بناها وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله تعليل للجعل وان لم يكن غرضا وقرا ابن كثير وابو عمرو ليضل بفتح الياء والضم ابلغ ذما اذ كل مضل ضال قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد لا يراد منه وجود الفعل انك من اصحاب النار اقناط له عن نعيم الجنة امن هو قانت اناء الليل قائم بوظايف الطاعات في ساعاته

الليل لان القيام فيها اشق واستروا بعد من الرياء واقرب الى الاجابة اما متصلة ومعادلها محذوف لتقدم ذكر الكافر ولقوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والاستفهام للتبكيت كانه بعد ما خص الموجب لاخلاص الدين له قال سلهم هل من اثر الكفر كمن قام بشكر النعمة ويجوز ان يكون منقطعة كانه قال اعرض عن بيان الموجب لانه جلي وقل اهذا خير امر ذلك وقرا نافع وابن كثير وحمزة امن مخففا على انها همزة الاستفهام دخلت على من الموصولة والمعادل محذوف ولما تقدم ساجدا وقائما حالان يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه حال اخرا واستينافا للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اي هل يستوي القانت وغيره وانما ادغما في التنزيل دلالة على ان ذلك مقتضى العلم وان العلم اذا لم يقترن بالعمل ليس بعلم سواء جعل من اقامة المظهر مقام المضمر او استينافا فسئوال تبكيت ويجوز ان يكون على طريقة التشبيه اي كما لا تساوي بين العالم والجاهل فكذا بين القانت وغيره ولا ارتياب لهم في الثاني لانه مركوز في الطباع وقيل همزة امن حرف النداء كانه قيل يا من هو قانت اناء الليل قل لهم هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون على ان المنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم والوجه هو الاول الموفور فوائده انما يتذكر اولوا الالباب العقول الخالصة من شوايب الوهم قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم ان قد علم ان الطايع ليس كالعاصي للذين احسنوا في هذه الدنيا اي اخلصوا الدين لله فيها حسنة واي حسنة وارض الله واسعة اعتراض لدفع ما عسى يتعلل به المفرط انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب من تتمة الاعتراض كانه لما اتاح عليهم بان في ارض الله سعة حال فلعلهم هل يمكن ان يكون الانسان فارغ البال في غير بلدته احيلوا بان اجر الصابرين بغير حساب انما هو لارتكاب مشقة الهجرة ومفارقة المحاب وعن الشدائد حسنة مبتداء وفي هذه الدنيا بيانه والذين احسنوا الخبر والمعنى ان لهم في هذه الدنيا حسنة يسيرة هي الصحة والعافية وتمام توفيه الاجر في الاخرة قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين جواب لقريش لما دعوه الى ملة عبد المطلب وامرت ان اكون اول المسلمين وامرت بذلك الاخلاص لاكون مقدما في الدنيا والاخرة حائزا قصب السبق ويجوز ان يكون اللام مزيدة يدل عليه قوله امرت ان اكون اول من اسلم اول المؤمنين اول المسلمين وفائدتها تاكيد الطلب والارادة

ولا تزاد الا مع اذ جبر الما فات من الاصل اذا الاصل في المفاعيل صرائح الاسما
والمعنى امرت ان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام ويلزم ان يكون
اول مسلم في زمانه ومن قومه واول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم بترك الاخلاص قل الله
اعبد مخلصا له ديني وليس فيه تكرار لان الاول للاخبار بانه مامور
بالاخلاص والثاني امر بالاخبار باختصاصه تعالى به دون غيره فاعبدوا
ما شئتم من دونه امر تهديد كما تقدم قل ان الخاسرين الذين خسروا
انفسهم واهليهم يوم القيمة اي ان الكاملين في الخسران الذين
اوردوا انفسهم واهليهم في النار او خسروا اهليهم بان فارقوهم
مفارقة لا رجوع بعدها ان كان من اهل الجنة او اهليهم في الجنة ان
لو كانوا مؤمنين وفي الحديث ما من عبد الا وله مقعد في الجنة ومقعد
في النار الا ذلك هو الخسران المبين استيناف صدر بحرف التنبيه
والمبتدا اسم الاشارة ووصف الخسران بالمبين بعد توسيط الفصل
وتعريف الخبر مبالغة في خسرانهم ثم زاد عليه بقوله لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اي يحيط بهم النار المتكاثفة من جميع
الجهات واطلاق الظلل على الاطباق السفلى من اطلاق اسم الضد او
المماثل لتساويهما في الحرارة وقيل لانها ظلل لاخرين ورد عليه اهل
الدرك الاسفل مع ان الكائن هناك اشد ذلك يخوف الله به عباده
اي ذلك العذاب المذكور يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون اي
عبادي المؤمنين فاتقوا العذاب المعد للكافرين والذين اجتنبوا الطاغوت
اصله طغيوت او طغووت من الطغيان قدم اللام على العين ففيه مبالغة
من حيث البناء والتسمية بالمصدر والغلبة اذ لا يضاف اليه الا لبالغة
يطلق على الشيطان حقيقة لانه رأس في الضلال وعلى غيره مجازا ان
يعبدوها بدل اشتمال وانابوا الى الله اقبلوا اليه بشراهم لهم
البشرى من الله على لسان الرسل والملائكة عند الموت فبشر عبادي الذين
يستمعون القول الحق فبشرهم وايثار المظهر لبيان تعدد موجب الاستحقاق
فيتبعون احسنه اي احسن الحاسن بايثار الراجح كالعفو على القصاص
والاعضاء على الانتصار والاخفاء على الابداء فهو خير لكم وحاصله
حرص على ايثار الافضل فالافضل نقاد وفيه تحقيق لانا به وعن ابن
عباس هو الرجل يسمع الحديث فيه الحسن وغيره فيحدث بالحسن ويكف
عما سواه اولئك الذين هداهم الله وفقهم لذلك لايثارهم ذكر ما يستأنا

واولئك هم اولوا الالباب العقول الخالصة عن شوايب الهوى ثناء عليهم
بانهم لم يريدوا نسوا الفطرة افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في
النار جملة شرطية عطف على مقدر اي انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب
فانت تنقذه وكررت الهمزة لتاكيد الانكار لان الشرط والجزاء جملة واحدة
والاستفهام انما يتوجه الى مضامين الجمل ويجوز تنزيله على الجملتين بعد
يده افمن حق عليه كلمة العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار على
ان الثانية استيناف يدل على الجزاء المحذوف وحاصل الوجهين انه نزل
استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزله دخول النار اما لان ضلالهم
موصل اليه او مثلت حاله صلى الله عليه في المبالغة معهم بحال من يريد
انقاذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف قصور
عالية مقابل لقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل مبنية
محكمة لا كما في الدنيا يكون اضعف من الاسفل تجري من تحتها الانهار
لان الماء الجاري جالب للسرور وعد الله مصدر مؤكد لا يخلف الله
الميعاد لانه كذب وعجز تعالى عنه وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها
فقال له اعرابي لمن هي يا رسول الله فقال لمن اطعم الطعام واطاب الكلام
وصلى بالليل والناس نيام وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراؤن اهل الغرف كما تتراؤن الكوكب
الدري في الافق الشرقي او الغربي فقالوا يا رسول الله اولئك النبيون
قال والذي نفسي بيده وامنوا بالله ورسله الم تر ان الله انزل
من السماء ماء المطر او سائر المياه لما روي انه ينزل تحت الصخرة ثم
يقسمه الله فسلكه ينابيع في الارض ادخله في عماقها الارض حال كونه
عيونا تجري في المجاري كالعروق في الجسد ثم يخرج به زرعا مختلفا
الوانه انواعه واصنافه من بر وشعير وسائر الحبوب اواشكاله و
هيئاته من السواد والبياض ثم يهيج ييبس فتراه مصفرا من غاية
اليبس ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى تذكرة تدله على ان
للعالم صانعا مدبرا او على ان هذا مثل الدنيا وسرعة زوالها نعيمها فكونوا
حقيرا عنها بعد الترغيب في الاخرة لاولي الالباب اذ غيرهم لا يتذكر
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اشارة الى علة عدم
قبول المشركين ما يدعوهم اليه من الايمان وازاحة ذلك ليس لقصور في
الدلائل ولا لعي وفتور في المبلغ بل لما استأثر الله به من الهداية وفي

اما بتقدير مضاف او جعل عينه مبالغة كرجل عدل وعليه الرسم هل
يستويان مثلا نصب على التمييز اى هل يستوى المثلان مثلين كلا لا
يستويان وهم معترفون بذلك فهم انما محجوبون مبكتون مثلا الحمد لله
اى قل الحمد لله على ما انعم عليك بل اكثرهم لا يعلمون انك لم تحمد الله
او لا يعلمون ان المحامد مختصة به لا يشاركه فيها احد انك ميت وانهم
ميتون اثر الميت على الميت مع ان المعنى على الاستقبال لان من كان الموت
طوق عنقه فحيوته عين موته وان طال المدى ثم انكم يوم القيمة
عند ربكم تختصمون بالبرهان على انك اجتهدت وبالغت
ويعتذرون بما لا طائل تحته مثل قولهم انا وجدنا اباءنا وقولهم انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا وقيل الاختصام اعم من ان يكون بينه وبينهم او بين
المؤمنين والكفار او المؤمنين بعضهم مع بعض ولهذا منقول عن اجل الصحابة
والتابعين وذلك لان ضرب المثل للقبيلين ولعموم الموت والتسجيل في قوله
بل اكثرهم واما قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق وقوله
والذى جاء بالصدق انما يدل على دخوله معهم دخولا اوليا والكذب على
الله بنسبة الولد اليه والصدق ما جاء به محمد جعل نفس الصدق مبالغة
ادعاءه من غير تامل بل عنادا ومكابرة اليس في جهنم مثوى للكافرين
فهو كاف لهم مجازاة والذى جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل وصدق به ابو بكر وفيه ان تقدير الموصول غير جائز
ويجوز ان يراد الجنس او يعتبر قبله فوج او فوزن لقوله اولئك هم المتقون
والاحسن ان يراد رسول الله والاتباع يدخل بدلالة السياق كقوله ولقد
اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون لهم ما يشاءون عند ربهم من انواع
الكرامة ذلك جزاء المحسنين كل محسن ليكفر الله عنهم اسوء الذى
عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون اضافة الاسوء والاحسن
من اضافة الشئ الى ما هو بعضه منه كعلم فريش والاشيخ اعدل بنى مروان
من غير شاكة اضاف اليه فاصل المعنى مع قصد التفضيل على معنى ان الزلة
المكفرة عندهم هو الاسوء لاستعظامهم المعصية والحسن الذى يعملونه
هو الاحسن عند الله حيث جازاهم على الحسن مجازاته على الاحسن اليس الله
بكاف عبده ورد لمقالة المشركين حيث زعموا ان محمدا سيصيبه آفة لادمة
الهتهم همزة الانكار دخلت على النفى فافادت تقريرا لاثبات اى كاف وقرا
حمزة والكسائى عباده الانبياء كلهم او رسول الله واتباعه والافراد
اوفق بقوله ويخوفونك بالذين من دونه وقوله انا كفيناك ومن كفايته

كفايته امته فهذا هو الوجه وعليه الرسم ويؤيده انها نزلت حين ارسل خالدا
لكسر العزى فقال له سادتها احذرك يا خالد ومن يضلل الله يخذله
فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لقضائه ولا شئ
دون ارادته اليس الله بعزيز غالب ذى انتقام من اعدائه فما لهم
يخوفونك بعد علمهم بهذا ثم استدل على ذلك بقوله ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لا يقدرون على غير هذا القول
قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته اى تعرفون بانه المتفرد
بالخلق فاخبرونى عن حال الهتكم ان ارادنى ذلك الموصوف المتفرد ايضا ضرا
او خيرا الى هل يقدر على منع شئ من ذلك وانما انث الضمير بعد قوله
دونه تحقيرا وتبعيدا عن رتبه الضر والنفع لان الانوثة تنبئ عن الرخاوة
والعجز وتقديم الضر لان دفعه اهم واهون وقرا ابو عمرو كاشفات
ممسكات منونا نصبا على الاصل انه اسم فاعل معتمد على صاحبه روى انه لما تلا عليهم سكتوا
فنزل قل حسبى الله اى كافى عليه يتوكل المتوكلون لتفرده بايجاد
الضر والنفع قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة تراد فالمكان شاعت
فى الاحوال والزمان استعارة محسوسه لمعقول وقرا ابو بكر بالجمع للتنويع اى اعملوا
لم يقل على مكانتى ليشمل له مكاناتهم لعدم استمراره على حاله بل شانه فى التبدد
كل يوم وقد دل عليه قوله فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فى الدنيا
ويحل عليه عذاب مقيم دائم فى الاخرة فانه اشارة الى كونه منصورا مظهرا
دين الله على الدين كله انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجل تعريفهم بالحق
بالتوحيد والدين الحق الذى هو اهدى للتمسك اذ تمسك لا يجاوزه ومن
ضل فانما يضل عليها كذلك وما انت عليهم بوكيل يمسكهم بخيرهم كما
عليك البلاغ وقد فعلت به وقام الايد الله يتوفى الانفس حين موتها والتى
لم تمت فى منامها تقرير لما تقدم من تفرده بالالوهية واشارة الى ان
الاضلال والهداية كالاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والتفعل لتاكد
الروح وهى الجسم النورانى فى البدن باتصاله الحيوة وبانفصاله الممات
فان قلت التوفى احد الشيئين هلا فكيف يستقيم فى النائم قلت النائم والميت
فى عدم الحس والافادة سواء وبقاء التعلق لا يمنع ذلك الاطلاق وما روى
عن ابن عباس ان فى ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فبالنفس
التعلق والتمييز وبالروح التحرك فالمقبوض عند النوم دون الروح لم يرد
عليه دلالة فى ذلك برهان والله اعلم بصحته التعلق عنه فيمسك التى

قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى الوقت المضروب لبلوغه وقرأ
حمزة والكسائى قضى على بناء المجهول ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون
فى نوعى الاماتة والامساك والارسال ام اتخذوا من دون الله شفعاء
تشفع لهم قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اى ويشفعون
ولو كانوا جمادات لا قدرة ولا علم لها قل لله الشفاعة جميعا لا يملكها احد
منها شيئا الا باذنه كانوا يقولون ان الاصنام تماثيل لاناس مقربين عند الله
او الملائكة رد ذلك بات اولئك ايضا لا يملكون شيئا من الشفاعة لاختصاصها
به تعالى له ملك السموات والارض تقرير لذلك الاختصاص ثم اليه ترجعون
يوم القيمة وله الملك فى ذلك اليوم على ابلغ وجه لانقطاع التعلقات كلها
لقوله لمن الملك اليوم واذا ذكر الله وحده اشمأزت انقبضت عن التوحيد
من شمز هم زته زائدة وعن ابى زيد اشمأز ذعر قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه مما يعبدونه اذا هم يستبشرون
فاجأوا الاستبشار وامتلأوا سرورا لشدة غفلتهم واغراقهم فى الكفر
حتى يوازوا مبدع الكائنات بتلك الجمادات قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة بلغ غلوهم فى الكفر وشدة شكيمتهم
الحان لم يبق الا التجاء الى رب العباد بان يحكم بينه وبينهم وفيه اشارة
الى ان ما اتى به من بذل المجهود وبلوغه اقصى الغايات بمكان عند الله حيث
امره بهذه المقالة انت تحكم بين عبادك فى ايتاوه على قوله احكم بيننى
وبينهم مبالغة اخرى وكذا فى اجراء الاوصاف الدالة على كمال الاقتدار
واحاطة علمه بالجناية الماء الى الانتصار والتطلش الشديد فيما كانوا فيه
يختلفون من التوحيد والشرك والحق والباطل ولو ان للذين ظلموا ما فى
الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اجابة
لدعائه بانه قد اعد لهم عذابا لو كان لاحدهم الدنيا ومثلها معها وافدى
نفسه بها لم يقبل منه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من العذاب
الذى لم يخطر على قلب بشر كما لا اهل الجنة ضد ذلك ومن اعمال عملوها على
انها حسنات فاذا هى سيئات قال ابن وريد يقال اصبت كذا اخرا عند الله
وبدا لهم سيئات ما كسبوا من اعمالهم حين عرضت الصحايف او جزاؤها
كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا لكشفه والعطف بالفاء
دون ما تقدم اول السورة لسببية ما قبله كانه قال اذا ذكر الله وحده
اشمأزوا واذا مسهم ضر وا لم يدعوا الذى كانوا يشمأزون من ذكره

ولسوا ما كانوا يستبشرون بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكارهم
ثم اذا خولناه نعمة منا كائنة هنا تفضلا وتحقيق معنى التحويل لتقدم
فى اول السورة قال انما اوتيته اى ذلك الخط من النعمة وما فى
انما موصولة والضمير لها على علم منى بوجوه كسبه او باتى ساعطاه
لما فى من الاستحقاق او لعلم الله تعالى بذلك بل هى فتنة ابتلاء وامتحان
ليتمايز الشاكر من الكافر وتانيث الضمير باعتبار اللفظ او الخبر كقولهم
ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك دليل على ان الانسان للجنس والاكثر
بمعنى الكل كالقليل بمعنى المعدوم قد قالها الذين من قبلهم اى مقالة
مثل مقالة هؤلاء وهم قارون والذين قالوا نحن اكثر اموالا واولادا
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من تلك الاموال فاصابهم بعد
تلك المقالة غير قريب سيئات ما كسبوا جزاؤها والذين ظلموا من
هؤلاء المشركين سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك
وما هم بمعجزين الله اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر باعتبار الاوقات فدل ذلك على ان البسط ليس لذاته وانما
هو بمشيته تعالى ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الموثر فى الكائنات
هو وحده ولما تمادى فى الوعيد وهدد ازدفه بما يدل على رحمته الواسعة
كل شئ السابقة غضبه بان امر رسوله بان يسكن خوف المومن والكافر
بقوله قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا فى الظلم حاملا
عليها لا تقنطوا من رحمة الله روى البخارى ومسلم ان ناسا من اهل
الشرك كانوا قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فقالوا يا محمد ان الذى تقول
لحسن لو نعلم ان لما عملنا كفارة فنزلت فسقط ما قبل ان اضافة العباد
اليه مختصر بالمومنين ثم قوسيط ان الله يغفر الذنوب جميعا مصدرا
باسم الجلالة الدالة على الالوهية المستلزمة للغنى المطلق والاتى بالى
فى كل ما يفعل ويحكم بين المعطوف والمعطوف عليه وتعقيبه بقوله انه
هو الغفور الرحيم الدال على اختصاص الغفران والرحمة فيه مع كون الجمع
المحلى باللام مفيدا للاستغراق نصا على ان شرط التوبة كلام من حاد عن
الحق هذا وله نظاير كقوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء انه لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتقييد المشيئة بالتوبة كتبيح
العكبوت وقرا ابو عمرو والكسائى لا تقنطوا بكسر النون وقد تقدم
انهما لغتان وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم
لا تنصرون اى توبوا الى الله واخلصوا له العمل قبل فوات وقته لان معفرته

لغير التائب ليست بلازمة والعاقل يفر من مظان الافة واتبعوا احسن
ما انزل اليكم القران لانه احسن الحديث او الناسخ منه او المامور به دون
المنهى عنه او العزايم دون الرخص من ربكم من سيدكم المربى لكم بالارشاد
الى الكمال من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه ان
تقول نفس كراهة ان تقول والتنكير لان القائل بعض النفوس وهى الكافرة
او النفس الممتازة بشدة الكفر او عظم العذاب او للتكثير يا حسرتى على
ما فرطت فى جنب الله فى طاعته مستعار من الجارحة لما يلزم الشئ كقول
سابق البربرى ما اشقينى الله فى جنب غاشق له كبد حرى عليك تقطع وان
كنت لمن الساخرين كانه قال فرطت وانا ساخر الوا وللحال او تقول لو
ان الله هدانى لكنت من المتقين الشرك والمعاصى او تقول حين ترى
العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين ثم وجه هذا الترتيب ان النفس
اذا رات اهوال يوم القيمة عند تطاير الصحف ومجازاة الناس باعمالهم تحسر
على التفويت ثم تتعلل بان التقصير لم يكن منها ثم تتامل فى ان هذا لا يجدى
نفعا لوقوع التقصير منها ياخذ فى تمنى الرجوع وانا تقرر هذا علم ان او هنا
مثلا او فى وكصيب دلالة على ان كل واحد يكفى صارفا عن الكفر وداعيا الى
اتباع احسن ما انزل بلى قد جاءتك اياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت
من الكافرين رد للقريبة الثانية وهى قوله لو ان الله هدانى وانما فصل
عنها للاينفك نظم القرائن ولو اخرت الثانية لاختل الترتيب الذى عليه
الوجود كما تقدم انفا وتذكير الخطاب على ارادة الشخص ويوم القيمة ترى
الذين كذبوا على الله كذب على الله وجوههم مسودة جملة موضحة
لمحال من تعلق به الرؤية او حالية وقيل فى محل النصب مفعول ثان لان الرؤية
رؤية القلب وفيه ان الغرض بيان قضاحتهم فلا يلايم رؤية القلب اليس
فى جهنم مثوى للمتكبرين اى لهم وايراد المظهر للاشعار بالعلية للاستقرار
وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم بفلاحهم اسم مصدر من فاز يكذا
ظفر به او اسم مكان بمعنى النجاة من اعظم الفلاح او المراد العمل الصالح
او الايمان من اطلاق اسم المسبب على السبب وقرا الكوفيون غير حفص
بصيغة الجمع لمطابقة المضاف اليه لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
استينافان لبيان الفوز على الوجه حال على الثانى الله خالق كل شئ عاد الى
ادلة التوحيد بعد توفيه مقام الوعد والوعيد حقه وهو على كل شئ وكيل
حافظ رقيب له مقاليد السموات والارض كناية عن كونه مالك الامور
فيهما بيده ازمتها لان حافظ الخزائن هو الذى بيده مقاليدها جمع اقليد معرب

اكليد على الشذوذ كالمذاكير جمع ذكر وقد روى ابن ابى حاتم عن عثمان انه سال
رسول الله عن المقاليد فقال له يا عثمان ما سالنى احد قبلك هى لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله
هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ
قدير ولعل المراد ان من نجده بهذا فاضت عليه سجال نواليه والذين كفروا
بايات الله اولئك هم الخاسرون مستانف ينجى الله الذين اتقوا التقديم
وينجى الله المتقين والذين كفروا بايات الله اولئك المخصوصون بعدم النجاة
او بما يليه كانه قيل له مقاليد السموات والكافرون يجحدون ذلك اولئك
هم الخاسرون وهذا احسن لقربه ولان قوله وينجى الله متصل بقوله يوم
القيمة ترى الذين كذبوا فلا يحسن ان يفال بعده والذين كفروا كذا وكذا
والمراد بايات الله دلائل قدرته قل افغير الله تامرونى اعبد ايتها الجاهلون
اى تريدون هذه الدلائل فغير الله تامرونى اعبد وانتصاب غير امتا باعبد او
تامرونى اعتراض والمعنى افغير الله اعبد بامركم ولولا هذا الفصل لما صح لا
ما فى حيز المصدر لانه لا يتقدمه او بما دل عليه تامرونى اعبد اى تعبدوننى بعبد
تقولون لما عبد غيره والاصل ان اعبد فحذف ان كما فى قوله الا ايها الزاجرى
احضر الوغا فرا نافع تامرونى بنون واحدة اكتفاء بها وابن عامر بنونين الاولى
نون الاعراب والاخرى نون الوقاية والباقون بسكون الياء تخفيفا ولقد اوحى
اليك والى الذين من قبلك من الرسل لئن اشركت ليحبطن
عملك اللام الاولى موطئة والثانية لام جواب القسم استد مسد الجوابين
وهذا كلام على سبيل الفرض فى الرسل لا يقاظ المؤمنين وافتتاحه بالحرف
اوحى اليك والى كل واحد من الرسل هذا القول لئن اشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين لحبوط عملك مقيد بالموت عليه لقوله فيمت وهو
كافر او فى الدنيا لانها لكفرها تفانى والسابق عليه ايضا عند طائفة والقول
بان هذا من الخطاب يصرهم لا سند له مع فوات الغرض وهو تحذير الامة بل الله
فاعبد رد لما كانوا يدعونه اليه من استلام اوثانهم او ما هو اعم عبادة تلك
عليه وكن من الشاكرين على هذا التوفيق وما قدروا الله حق قدره ما
عرفوه قدر شئ عظمته على حسبه فعبر عن الاذلال بالمرقوم ثم نبه على عظمته
وكبريائه بقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه ولما دلت البراهين على انه منزه عن الجارحة والتعيز تعالى قابضا كان
يؤول المفردان بمعان مجازية تناسب المقام او يخص زيدة الكلام من غير
التفات الى المعانى الحقيقية ولا المجازية بان يراد كما انه قليل ارذه وكثير الاقتدار

العظام التي تحيّر فيها الافهام بالنسبة الى قدرته على طريقة التمثيل والتخييل
فان قلت اللفظ المستعمل في المعنى لا يخلو عن كونه حقيقية او مجازا فما وجه
ما ذكرته قلت المراد عدم الالتفات الى المعاني المفردات بالنظر الى الموصوف المجري
عليه وهو الله تعالى شانه اخذا لزبدة الكلام ولا يقدح ذلك في استعمال المفردات
في احد المعنيين من حيث ان الارضين السبع لقوله والسموات والارضون في هذا
المقام ذلك ولذلك اكده قبل مجيء الخبر بقوله جميعا ومنه يظهر ضعف ارادة
الابعاض البادية والغامرة قبضته والقبضة مرة من القبض اطلق على المقبوض
تسمية بالمصدر كما روى انه صلى الله عليه وسلم نهى عن خطفة السبع وكقولهم
للجزور اكلة للقمان واشار لفظ اليمين في السموات لدلالته على زيادة الافتدار
الملايم لعظمهن روى البخاري باسناده الى ابن مسعود رضي الله عنه ان حبرا من
احبار اليهود قال يا محمد ان الله تعالى يجعل السموات على اصبع والارضين على
اصبع والشجر على اصبع والماء على اصبع والثرى على اصبع والخلائق على اصبع
فيقول انا الملك فضحك رسول الله ثم قرأ الاية سبحانه وتعالى عما يشركون
به من الجمادات ما ابعدها ما موا ثم بعدما لم يبق ريبة في دلالة التوحيد بضرب
الامثال في طرق شتى حتى وضح الصبح لذي عينين شرع في المقصود وهو بيان
كيفية وقوع الساعة وما فيها من الاهوال بقوله ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الارض الا من شاء الله هذه هي النفخة الاولى التي يموت فيها
كل حي الا الحي القيوم وقيل هي الثانية لمغايرتها نفخة الفزع والمستثنى جبرائيل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يموت ميكائيل واسرافيل ثم جبرائيل وملك
الموت وانهما مقدم خلاف وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لما تقدم في
سورة النمل ثم نفخ فيه اخرى وهي نفخة البعث فاذا هم من يحيى بعد الصعق
اسرافيل صاحب الصور والمعطف ثم المراد بما بين النفختين اربعون يوما
فاذا هم قيام ينظرون ينتظرون ما يفعل بهم او يقلبون ابصارهم كالمبهوت
حيرة واشرقت الارض بنورها غير من الحق والكتاب والدليل بالنور الذي
هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره وقد استعير هنا للعدل الذي تقيمه في ذلك
اليوم وتعرف له ذلك اضافته الى اسمه ثم اضافة اسمه الى الارض اذ بنشر
العدل وبسطه رونقها وكما افتتح الايه جمعها بنفي الظلم ولقوله صلى الله عليه
وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة ولانه ما عطف عليه ومن وضع الكتاب ومعدله
تفاصيل العدل وملاعناته وقيل هو عرض بخلقه في الارض من غير شمس ولا قمر
وقيل هو نور التجلي الجلالي او الجمالي باعتبار الاوقات ووضع الكتاب
ديوان القضاء وهو اللوح المحفوظ او فيه كل حركة وسكون او كتاب الحفظة

واكتفى باسم الجنس وجيء بالنبيين والشهداء المؤمنين من امتهم يشهدون
لهم بالتبليغ او الكتبة او من استشهد في سبيل الله فانهم كانوا حول العرش
طايفين متقلدي السيوف فيحضرون ذلك اليوم وجاءت كل نفس معها سايق
وشهيد وقضي بينهم بالحق بين العباد وهم لا يظلمون بنقص حق او
زيادة عقاب ووفيت كل نفس ما عملت جزاؤه تقرير لما تقدم لان القضاء
بالحق لا يكون الا كذلك وهو اعلم بما يفعلون من الاعمال وصفاتها من
الاخلاص والرياء وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ساقهم الملائكة
بعد القضاء الى جهنم سوقا للدواب بالعنف عطاشا عميا والزمر جمع زمرة
الجمع القليل شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة ولعله بالنظر
الى الجميع والمراد طوايف الكفار مع ما عبدوه يتبعونه الى النار حتى اذا
جاؤها ففتحت ابوابها حين وصولهم بلا لبث وقال لهم خزنتها على وجه
التوبيخ الم يأتكم رسل منكم من جنسكم استفهام تقرير يتلون عليكم
ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء ما فيه من الجزاء وفيه
دليل على ان لا تكليف قبل البعثة قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على
الكافرين اي علينا وذكر المظهر للاشعار بالعلية والكلمة قوله لاملان
جهنم اعترفوا بان لم يكن للرسل تقصير ولا في الايات من خفاء وانما الصارف
القضاء الازلي الذي لا يتبدل قيل ادخلوا ابواب جهنم طبقاتها بقدر
مراتبهم في الكفر وانهم القائل نهويلا اذ من حقهم ان يقول لهم هذا القول
كل قائل خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين جهنم
اللام للجنس لان كل من سترا الحق وانكره فهو متكبر وفي الحديث التكبر
هو الترفع على الناس وغمط الحق وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
طوايف النبيين والشهداء والعلماء والزهاد وسوق هؤلاء سوق
مراكبهم ليصلوا الى الحور والقصور شريفا كما كانوا يسارعون الى الخيرات
حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وجودها مفتحة لهم الابواب قبل مجيئهم
اكراما وابتدارا كما ترى الملوك في الدنيا كذلك وقال لهم خزنتها سلام
عليكم امن من كل مكروه طبتم فادخلوها خالدين اي طهرتم عن
الذنوب فادخلوا طبقاتها على مراتبكم وترتيب الدخول على الطيب والطهارة
اشارة الى انه لا يدخل الجنة الا من طهر عن دنس الاثام اما ابتداء او بالتوبة
او بالشفاعة او بعد تمحيص الذنوب ويجوز ان يكون دعاء من الملائكة
كما تقول لمن يكون في سرور طابت عيشتك وقالوا الحمد لله تلذذا لا
تعبدا الذي صدقنا وعده بقوله ان المتقين في جنات واورثنا

الأرض ارض الجنة ترابها المسك تنبع من الجنة حيث تشاء لغاية اتساعها فنعم اجر العاملين الجنة من كلام الله او من كلام من بعد الدخول وترى الملائكة حافين من حول العرش محدقين به دايرين من حوله اجمالا اى من غير ان يسبحون بحمد ربهم ملتبسين به حال اخرى او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين فى طوافهم صفات جلاله وجماله وقضى بينهم بالحق اى بين العباد كلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اعادة لان الحمد الاول على التفريق بينهم فى الوعد والوعيد والسخط والرضا وهذا على التفريق فى الابدان فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقيل القضاء الثانى بين الملائكة والحمد منهم على تخصص كل منه بمنزلته ومقامه اللائق والقايل هو المقضى بينهم او الكون كله ولذلك ايهم تمت سورة الزمر والصلوة على خير البشر واصحابه اشرف الزمر من اهل المدر والوبر

سورة المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم حم امال الكاء حمزة والكسائى وابو بكر وابن ذكوان لان الفها تنقلب ياء فى التثنية اسم للسورة امتنع صرفه للعلمية والتانيث او للتركيب والعلمية او لكونه على وزن الجمع كقابيل وهابيل او حروف مقطعه وامال امالة صغرى ورش وابو عمرو تنزيل الكتاب خبرهما ومبتداء خبره من الله العزيز العليم ايثار الوصفين للدلالة على ان من يجادل ايانه جاهل مقهور غافر الذنب وقابل التوب الايتان بالواو للدلالة على ان الثانى من الطلبتين غفران الذنوب وقبول التوبة الذى هو من اعظم المقاصد ولا يمنع ذلك غفران غير التايب والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعه والاضافة حقيقية لارادة الاستمرار شديد العقاب اضافته لفظية لتعمد تنكيره للدلالة على زيادة الانذار كقوله عند مليك مقتدر لكمال الاقتدار اى لا يوصف ملكه ولا يكتنه اقتداره فهو يدل على ما نقل عن الزجاج وحده او الكل ابدال او وصف بنية اللام كما قال الخليل فى قولك ما يحسن بالرجل خيرا مثلك ان يفعل كذا انه على نية اللام ذى الطول الفضل الواسع من الطول بالضم اطول الاعتدادين وفى توحيد صفة العذاب وتكثير صفة الجمال دلالة على غلبة رحمته وانها مقرونة بها لا اله الا هو الا ذلك الموصوف اليه المصير للجزاء لا الى غيره فلا يعبد غيره ما يجادل فى ايات الله الا الذين كفروا بعد ما بين ان القران تنزيل من الله الموصوف بالجلال والجمال والكمال اشار الى ان المجادل فيه كافر وان الجدال بالباطل لقوله وجادلوا بالباطل ولقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا فى القران كفر وان

نوعا منه وهو المراء واما الجدال فيه لايضاح مشكله وازاحة الشبه وتكثير الفوايد واستخراج الفرايد فهو شان رسول الله والراسخين فى العلم فلا يغرنك تقلبهم فى البلاد فى رجلتى الشتاء والصيف الى الشام واليمن بالتجارات النافعة والمكاسب المربحة والفاء سببية ما قبله اى اذا تبين انهم كفار عند الله فلا ينبغى لاحد ان يلتفت الى ما هم فيه من الحطام او لك ايها الرسول كقوله فلا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم كذبت قبلهم قوم نوح رسولهم كما كذبوك هؤلاء والاحزاب من بعدهم الذين تحزبوا على الرسل كعاد وثمود وفرعون وهمت كل امة برسولهم ليتناولوه قتلا او اسرا يقال للاسير اخيذ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ليزلفوه عن مقره وفى لفظ الحق اشارة الى عدم امكان ادحاضه فاخذتهم اى لم يتم لهم ما راموه وتسبب ذلك الاخذ اياهم جزاء مشاكلا لما هموا به فكيف كان عقاب تعجبوا منه ايها المخاطبون فانكم قد شاهدتم تلك الاثار وفيه مزيد تسلية لرسله انهم ماخوذون عما قليل وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا قضاؤه انهم اصحاب النار بدل من كلمة والمعنى كما ثبت للكفار العذاب المستاصل فى الدنيا كذلك ثابت لهم عذاب النار والموصول معهود وهم كفار قريش والكلام محذوفة من ان وذا اشارة الى ما لاجله المحرية اى كما حق اهلاكهم اولئك فكذلك اهلاك هؤلاء لانهم معاندون مجادلون بالباطل هامون باخذك فالعلة متحدة وانما لم يعلل بتلك الصفات لان كونهم اصحاب النار اعرها وبنيتها الذين يحملون العرش ومن حوله وجه اتصاله بما قبله هو ان الجامع بين من يجادل من هؤلاء وبين الاحزاب الكفر وبين هؤلاء الملائكة المقربين وبين المؤمنين هو الايمان يسبحون بحمد ربهم ينزهونه عما لا يليق بكبريائه مثنين عليه بكل كمال وانما جعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح لانهم مظهر الجمال ويؤمنون به حامل العرش والمقدس الحامد لا يكون الا مؤمنا وانما ذكر لاظهار شرف الايمان والدلالة على ان ايمانهم وايمان غيرهم سيان فى كونهما بالدليل والبرهان دون المشاهدة والعيان والمانع خارج عن الطرفين سواء ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما توسلوا اليه برحمته الواسعة وعلمه الشامل وجعلوهما تمهيدا لما طلبوه بقولهم فاغفر للذين تابوا اى عملك واسعة وعلمك محيط بما اعتقدوا وما اعلنوا وهم يقتضيان ذلك وقيه

اشارة الى طهارتهم من كدر الرياء والاهواء فان قلت اى فرق بين هذا
وبين قوله ويستغفرون لمن فى الارض قلت يحتمل ان يكون هذا مفسرا
لذلك وان يكون من عاما فى المؤمن والكافر والمراد ترك المعاجلة
بالعقاب وايثارا لايثار والارتفاق بما خلق من المنافع وان كان المؤمنون
هم الاصل فى ذلك فان قلت هل لحمل التوبة على التوبة من الشرك وجه
قلت لا لتقدم ذكر المؤمن ولان التوبة عند الاطلاق ينصرف الى التوبة
عن الذنوب فان قلت التائب المتبع سبيل الحق اى حاجة له الى استغفار
الملائكة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له قلت ليس فائدة الاستغفار
منحصرة فى طلب الغفران بل لاظهار شرف الايمان وان المؤمنين بمكان
عند الله حتى ان حملة العرش والمقربين من الكرو بين يشتغلون بالدعاء
لهم الا يرى انا مامورون بالصلوة على رسول الله الذى يصلى الله عليه
وملائكته وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واتبعوا سبيلك
الطريق الموصل الى رحمتك التوبة اشارة الى التخلية وهذا الى التحلية وقهم
عذاب الجحيم تصريح بما علم ضمنا فان المغفور له لا عذاب عليه والتقييد
بالجحيم لشدة هوله ربنا اعاده تلذذا بذكره وتدللا لعزه وتوسلا بانه
الى ما سلبوه وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من ابائهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اى ادخلهم مع هؤلاء اتم
سرورهم كقوله الحقنا بهم ذريتهم او على التاتى لعموم الوعد انك
انت العزيز الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذى لا يفعل الا الحكمة
ومنه الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقاب او على تقدير مضاف
اى جزاء السيئات تعميم بعد التخصيص لانه ضلالا بالجحيم منها وقد علم
ان العزيز اظهار شرف المؤمنين فلا يقدح ان الكفار لم يكفروا بالتوبة او
الصغائر باجتناب الكبائر او التعبير بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله
ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اى من وقيته فى الدنيا فقد رحمته
فى الاخرة وذلك هو الفوز العظيم لانه ملك لا يدنو بعمل يسير ان
الذين كفروا ينادون يوم القيمة لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
اضمار عود الى الايمان المقت اشد البغض واذ تدعون ظرف للمقت الاول
ولا يمنعه فصل الخبر للاتساع فى الظروف والمعنى ان مقت الله لكم فى الدنيا
حين دعاكم الرسل الى الايمان فتكفرون فكفرتم بالله وكذبتم الرسل
اشد من مقتكم انفسكم الان واثبار المضارع للدلالة على استمرار الرسل
على الدعوة واستمرارهم على الكفر او مقت الله يوم القيمة اكبر من مقتكم

فيه واذ تدعون تعليل للثانى لانه لم يكن حين الدعاء قالوا ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين الاماتة الاولى السابقة على افاضة الحيوة على النطفة
والثانية عند انقضاء الاجال والاحياءة الاولى هى المتعقبة لتلك الاماتة
والاخرى الابدية التى بعد البعث وطوى ذكر الاماتة والاحياءة فى القبر
لان المنكر الحيوة بعد البعث منكرهما هكذا عن ابن عباس وابن مسعود
واليه اشار بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم والتحقيق
ان الاماتة لا يستدعى سبق الحيوة حقيقة لان صرف المصنوع عن احد
الجائزين كنقله عنه كما يقولون للرسم اوسع الدائرة هذا ومن قال ان
الاماتتين هى الاولى المعروفة والتى فى القبر لزمه ثلث احياءات فانا اجاب
بان احياء القبر واحياء البعث نوع واحد وهم ينكرونه بقسميه فلذلك
اقتصر على احدهما ورد عليه ان الاماتة فى القبر على ما قاله دليل على ان
التعدد شخصى اللهم الا ان يقال المراد بالاحياء بين احياء القبر واحياء
البعث لانهما المنكرتان ويتفرع عليه قولهم فاعترفنا بذنوبنا وهى
التكذيب بالاماتة والاحياءتين فهل الى خروج من سبيل من طريق نسلكه
سريعا او بطيئا كلام القانط بقوله تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله
ذلكم اى ما انتم فيه بانه اذا دعى الله وحده كفرتم بالتوحيد وان
يشرك به تؤمنوا بالاشراك مستمرين على ذلك الايمان لا ارعواء ولا ندم
فالحكم لله بعد ما اعترفتم به العلى الكبير ذى العظمة والكبرياء فلله
يكون عذابه لمن كفر به الابدا سرمدا لوقوع افعاله على اتم الوجوه وهو
الذى يحبر وته هو الذى يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا المطر
الذى هو سبب المأكل والمشرب وما يتذكر وما يلتفت الى هذا الامر
الجلى الا من ينيب يرجع عن الانكار والتقليد ويتدبر فادعوا الله
مخلصين له الدين خطاب للمنيبين مسبب عن الانابة التفت اليهم
تقريبا لهم وتنشيطا للاقبال على العبادة او مسبب عن قوله هو الذى
يريكم يعم المؤمن والكافر وما يتذكر الا من ينيب اعتراض يفيد ان الانتفاع
بتلك الايات انما هو للمنيب ولو كره الكافرون ولو غاظ ذلك اعداءكم
فكان قد حصل ذلك ووقع التضاد بينهم رفيع الدرجات ذو العرش
خبران اخران لهو او لمبتداء محذوف والدرجات مصاعد الملائكة كقوله
ذى المعارج ورفعتها دليل على عزه وملكونه كما ان ذى العرش كناية عن ملكه
وسلطانه او درجات ثوابه التى ينزلها اولياءه وهذا اسبب بقوله فادعوا
الله مخلصين له الدين كما ان قوله يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده

انسب بالاول والروح هو الوحي الذي به الحيوة الابدية ولذلك اوثر
عليه ومن بيان للوحي فالامر هو الحث على الخير كما او امتثالا لاناة تلك
الحيوة انما يكون بعد التخلي والتحلي لينذر يوم التلاق اى الله او الرسول
او الملقى اليه وهو الرسول وهذا اقرب لفظا واشد معنى ويوم التلاق
يوم القيمة لتلاقي الخلايق والعابد والمعبود باطلا كان او حقا يوم
هم بارزون بدل من الاول اى خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يستترون
شيء حفاة عراة او اعمالهم وسرايرهم لقوله يوم تبلى السرايز لا يخفى
على الله منهم شيء من ذواتهم وصفاتهم واعمالهم لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار قد سبق في حديث موت الخلق طرا ان الله يقول ثلث
مرات لمن الملك اليوم ثم يجيب نفسه تعالى بقوله لله الواحد القهار
وقيل ينادي مناد فاهل المحشر لمن الملك فيجيبونه بقولهم لله الواحد القهار
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان خيرا فخير او ان شرا فشر
او لا ظلم بنقص ثواب او زيادة عقاب ان الله سريع الحساب لا يشغله
شان عن شان هذه نتايج تفرده بالملك في ذلك اليوم والتقييد بذلك
لانقطاع العلايق المجازية فيه وانذرهم يوم الازفة يوم القيمة
سميت به لازوفها اى قربها او لحظة الازفة وهي حال مشارفتهم
دخول النار كقوله فلما زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اذ القلوب
لدى الحناجر مرتفعة الى حلوقهم زايلة عن اماكنها من شدة الخوف
كاظمين عليها من كظم القربة اذا ملاءها وشد فاها والمعنى ممسكين
انفاسهم حاسبين اياها على القلوب لئلا يخرج معها او حال من القلوب
اى كاظمة على الفم والجمع بالواو والنون لاسناد فعل العقلاء اليها
ما للظالمين اللام فيه للجنس المشار به الى الكمل في الظلم وهم الكفار
من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع اذا توجه الى المقيد اما
لنفي القيد وحده كما اذا كان عندك كتاب لا تريد بيعه فتقول ليس عندى
كتاب ابيعه وتارة يتوجه الى اصل الكلام فينتفي القيد مع المقيد كما في
الاية اذ لا شفيع لهم رأسا لقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وفايدة
ذكر القيد ثم سلبه مع المقيد الاستدلال بانتفاء الموصوف على انتفاء
الصفة كانه قيل كيف يتصور الاطاعة ولا شفيع لهم يعلم خائنة
الاعين الخائنة صفة النظرة وهي النظرة الثانية قصدا الى غير المحارم
او مصدر كالعافية وجعله صفة العين لا يلايم وما تخفي الصدور
اى مضمراتها والله يقضي بالحق لانه الغني العليم الحكيم ولذلك

اعاد الاسم الجامع والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم
لانا الجماد لاحراك به فضلا عن الحكم والقضاء وقراءة نافع وهشام بالخطاب
على الالتفات تقريعا وهو احسن ان الله هو السميع البصير تعليل لعلمه
خاينة الاعين ومضمرات الصدور ووعيد لهم بان ما يفعلونه ويقولون بمراى
منه ومسمع وفيه اشارة الى ان شرط القاضي ان يكون سميعا بصيرا اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اى قد
ساروا ونظروا فما بالهم لا يعتبرون حتى لو لم يكن عذاب الاخرة كان الواجب
ان يحذروا عذاب الدنيا كانوا هم اشد منهم قوة اجسادا وعددا وايقاع
ضمير الفصل بين اسم كان وافعل من لمضارعته المعرفة في امتناع دخول اللام
قراءة ابن عامر منكم تغليبا وعليه رسم مصحف الشام وآثارا في الارض كالقلاع
والحصون والمدن الحصينة او اكثر اثارا كقولك نقلدت سيفا ورمحا
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق من عذاب الله ذلك
الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات المعجزات الظاهرة فكفروا
فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب وقد دل عليه تلك الاثار ولقد
ارسلنا موسى بايتنا معجزاتنا الماذكراته اهلك اشد منهم قوة اردفه
باشهرهم وهو فرعون وهامان وقارون وفرعون بالعتو وهامان بالدهاء
وقارون بالمال وسلطان مبين حجة واضحة العطف باعتبار الصفات
او اريد اشهرها كاليد البيضاء والعصا الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب جعلوا افعاله سحرا واقواله كذبا فلما جاءهم بالحق
من عندنا بالرسالة قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم
عمل بما كان عباس اعيد والقتل فانه كان امرا ولادا لقتل خوفا من المولود الذي
اخبر به الكهان فلما مضت تلك السنة وقع القتل فلما جاء موسى واظهر
المعجزات اعاد القتل غيظا وتعويقا لبني اسرايل عن مطالبهم وما كيد
الكافرين الا في ضلال اى كيدهم وايثار المظهر ليوسموا بالكفر وبقائم
عليه كيد كل كفار ويشاريه الى ان كيد فرعون كذلك وقال فرعون ذروني
اقتل موسى وليدع ربه كان سفاسف الدناءة في اهون شيء فكيف بمن جاء
بمثل عرشه وبهدم ملكه ولكنه تيقن من اياته انه رسول الله عز وجل المقتدر
خاف انه لو هم بقتله ان يعاجل بالوثوب فتعلل بهذا الكلام ومراته لاياتي
موسى وربه اني اخاف ان يبدل دينكم الذي شرعته لكم كان قد امر
باتخاذ الاصنام وامر بعبادتها ليتقربوا بذلك اليه فانه الرب الاعلى
او ان يظهر في الارض الفساد من الهرج والتحارب وابطال اسباب

المعاش قرأ الكوفيون أو على معنى الخوف من أحد الامرين والباقون بالواو لقصد الجمع بين الامرين وهو أوفق بالمقام إذ قصده التنفير عنه وقراء نافع وأبو عمرو وحفص بضم ياء يظهر وكسر الهاء ونصب الفساد والباقون بفتحهما والاول ابلغ واوفق بما تقدم وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب لما خاطب فرعون قومه مستشيرا بهم ليحملوا الرأي في شانه خاطب موسى قومه ايضا واضاف الرب اليهم حثا لهم على الاقتداء واشار الى ان الاعتماد في هذه القضية على لجاء الى الله واثر لفظ الرب دلالة على ان المرء يراعي احوال مرباه والمتكبر بمعنى المستكبر ذكره على طريقة التعريض للملا يلبس جلدا لهم وعدم ايمانه بيوم الحساب هو الذي بعثه على هذه الجراءة وكان لعنة الله ظهريا وقال رجل مؤمن من ال فرعون من اقاربه يكتم إيمانه من فرعون وقيل من ال متعلق بيكتم وهو اسرائيل والاول هو الصواب لقوله يا قوم مكررا ولقوله رجل مؤمن لكثرة مؤمني بني اسرائيل وقد دل عليه قول فرعون ابناء الذين امنوا معه واختلف في اسمه قيل سمعان بالمهملة والمعجمة وقيل حبيب وقيل غيرهما والله اعلم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله اتقصدون قتل من هو بهذه الصفة التي هي واسطة العقد والدر المناقب واشار الى اثبات مدعاه بقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم حججا متكثرة قواطع فلا وجه لانكاركم على من ثبت انه رسول ربكم ثم تنزل معهم وقال وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم أي لا يعرض لا انه كاذب انتم كذبه لا يجاوزه ولا يصيبكم من اثمه وعاد شيء ويحتمل ان يكون محققا قل ما يصبكم بعض ما يعدكم وهذا يقتضي ان يكون المقدم من قبله مقدما على فعل ليس له فيه منشبث الا العناد إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب رجح جانب صدقه بانه لو كان مسرفا كذابا لما عضده الله بالبينات ويحتمل ان يريد انه كان مسرفا كذابا كما تزعمون فسيضمحل امره عن قريب لان الباطل كالعرج وفيه تعريض بفرعون بانه مسرف كذاب وسوق يتلا شي شانه يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض أرض مصر فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ادخل نفسه معهم اكمالا للنصح قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى ما اشير اليكم الا ما ارى من استصواب قتله وما اهديكم إلا سبيل الرشاد وما ادل لكم عليه من قتله هو الصواب كان يعلم انه كاذب في قوله وان ما يدل عليه انما هو عين الضلال وانما كان يقول ما يقول حمية وحكاية

وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب افرد اليوم تصغيرا لدلالة المضاف وعدم اللبس كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولانه بينه بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والمعنى جزاء ما كانوا دائبين عليه ملازمين من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد وانما لم يرده فعن ارتكابه ابعد ولذلك كان ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد او لا يريد الظلم للعباد اي لا يترك الظالم حتى ينتقم منه والى كلا المعنيين اشار في الحديث القدسي يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وحرمته فيما بينكم ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة ينادي بعضهم بعضا استغاثة او مناداة اهل الجنة واهل النار واصحاب الاعراف كما تقدم او المناداة بالويل والثبور او مناداتهم مالك النار ليقض علينا ربك يوم تولون من الموقف يؤيد الاول مدبرين منصرفين الى النار وعن مجاهد فارين من النار ما لكم من الله من عاصم زيادة تهديد ومن يضلل الله فما له من هاد لما راءهم لا تلين شكيمتهم بعد ذلك الا بالقسر والتناصح البليغ عرض بانهم الذين ختم الله على قلوبهم ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب على ان فرعون قد عاش الى زمن موسى وقيل هو يوسف ابن ابرهيم بن يوسف الصديق عاش فيهم قبل موسى عشرين سنة من قبل بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ليس هذا اقرارا برسالته بل الغرض تكذيب من يدعي الرسالة بعده مضموما الى تكذيب رسالته كذلك يضل الله مثل هذا الاضلال من هو مسرف في العصيان مرتاب في المعجزات الذين يجادلون في آيات الله في بدل من من لانه في معنى كل مسرف بغير سلطان اتيهم بل لمجرد تقليد واتباع هوى كبر مقتا عند الله وحد الضمير ياعتبار من لان الذين بدل منه كاعتبار التذكير والتانيث في قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا او الذين يجادلون مبتدا بتقدير مضاف اي جدال الذين وضمير كبر عائد اليه او الذين مبتدا وبغير سلطان خبر وفاعل كبر ضميره وعند الذين امنوا ايضا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استيناف لبيان موجب الجدال وقرا ابو عمرو وابن ذكوان قلب منونا بقطع الاضافة وهو الوجه لانه محل الكبر وسائر الاوصاف النفسانية والجملة انما توصف بها بالواسطة وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اردف وصفه بالتكبر افعاله الدالة عليه والصرح القصر العالي الظاهر

من صرح الشئ ظهر لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات الطرق الموصلة
اليها ايهم او لا تم فسر لما فى الابهام والايضاح من المبالغة وتشويق
السامع لبعطيه حق السماع لانه امر بديع فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه
كاذبا قرأ حفص فاطلع بالنصب حملا للترجى على التمنى بجامع عدم التحقق
وكذلك زين لفرعون سوء عمله المزين هو الشيطان لقوله وزين لهم
الشيطان او الله تعالى لقوله زينا لكل امة عملهم وصد عن السبيل الفاعل
فيه هو الفاعل فى الاول وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وابن كثير صد
على بناء الفاعل وهو فرعون الذى صد الناس عن اتباع موسى وهو المختار
لان الحديث عنه والسوق لعذ مثاله وما كيد فرعون الا فى تباب فى
خسار من تب هلك مبالغة فى خسرانه وقال الذى امن يا قوم اتبعون اهدكم
سبيل الرشاد لله در ه ما اراد بايراد الكلام فى المجاج لما لم يرعوعن
عن غوايته وجهله المفرط صرح بمعارضته وانه الدال على سبيل الرشاد
دونه يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع شئ يتمتع به لسيرا وان
الاخرة هى دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
ان لم يعف فلا تزيد الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى سيان
فى جزاء العمل لا تفاضل كما فى الدنيا وهو مؤمن اذ لا غيرة لعمل دونه
ولذلك اوقعه قيدا فاولئك يدخلون الجنة بتلك الاعمال وقرأ ابن
كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون على بناء المفعول وهو ابلغ معنى وافق
بقوله وادخل الذين امنوا يرزقون فيها بغير حساب تفضلا منه تعالى
ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم لما لاح له
انهم مستمرون فى بحر الغفلة اعاد الواو وهنا دون الثانى لانه بيان لما
احمل لانه ذم الدنيا وعظم الاخرة وهو عين الارشاد والدلالة على سبيل
الرشاد وما قوله ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار
فللموازنة بين دعوته الى ثمرته الجنة ودعوتهم الى ثمرتها النار فليس
من تفسير الارشاد تدعونني لاكفر بالله يدل عن الاول والدعاء هنا
يتعدى باللام والى ولاشرك به ما ليس لى به علم ما ليس اله نفى للمعلوم
على طريق الكناية وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الى المستجمع للصفات
فانهما مستلزمان للعلم والارادة المستبعقان بالحيوة لا جرم انما
تدعونني اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة رد لما يدعونني
اليه واستدلال على بطلان صلاحه للاشتراك اى حق بطلان دعوته
لانه لا يدعو الى دعوته فى الدنيا وشان المعبود ان يدعو اعباده المكرمين

كالانبياء او لانهم يدعو بعضهم بعضا وفى الاخرة اذا حلق الله فيه الادراك
يلعن العباد يتبرأ منهم او ليس له استجابة دعوة فى الدارين شبهه
للاستجابة باسم الدعوة كما يسمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء ويؤيده
قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ او جرم بمعنى
كسب والفاعل مستكن اى كسب ذلك الدعاء منكم ان لا دعوة لما تدعونني
اليه بمعنى انه لم يظهر الا بطلان دعوته او معناه لا بد فعل من التبديل
وهو التغيير اى لا قطع لبطلان دعوة الاصنام بل مستمر وقد سبق
فى النحل ان هذا اصله لكن كثر استعماله فى معنى حق ولذلك يجاب باللام
كما يجاب بالقسم وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين المبالغين
فى العصيان المتهاكين الدماء بغير موجب تعريض بما افتتح به من قوله
اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله هم اصحاب النار الملازمون لها
ملازمة الملك ملكه فستذكرون ما اقول لكم انا جاء بأس الله
اما فى الدنيا كوقت الغرق او عند معاينة عذاب الاخرة وافوض امرى
الى الله لما راهم لا يذعون وقد بان لهم الله على دين موسى التجاء الى الله
فدفع مكرهم ان الله بصير بالعباد فيجازى كلا على حسب حاله فوقيه
الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم قيل فر منهم فامر فرعون بطلبه فوجد
يصلى والوحوش حوله فرجعوا الى فرعون فقتلهم وحاق بال فرعون سوء
العذاب اى العذاب السوء النار بدل منه وقوله يعرضون عليها
غدوا وعشيا حال منها او من الال او خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما سوء
العذاب قيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون عليها او الجملة مستانفة
بيانا وتفسيرا لقوله وحاق بال فرعون سوء العذاب وهذا وجه الاضمار
والتفسير ولا فادة الاولى احاطة سوء العذاب والثانية ان الاسوء من
ذلك المحيط وهو النار المعروض هم عليه غدوا وعشيا وتخصيص الوقتين
لانهما اطيب الاوقات فاذا نافيهما سوء العذاب كان اقطع وما بينهما
مسكوت عنه اما لانهم يعذبون بذلك العذاب ايضا او يحبسون اخر او يتمتعون
عنهم وقيل كناية عن الدوام لقوله ويوم تقوم الساعة اى هذا دائم الى
ذلك الوقت وفيه دليل على ان عذاب القبر حق ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
وهى جهنم او اشد عذابها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص بقطع الهمزة
وكسر الخاء والوصل ابلغ توفيه لحظ المسامع من العذاب فائدة اخرى هذه
واذ يتحاجون فى النار اى واذكر لقومك محاجة اهل النار لعلهم يرعوون
فيقول الضعفاء اى الاتباع تفضل للمحاجة للذين استكبروا هو الرؤساء

إِنَّا كُلٌّ فِيهَا اتباعا لحذم جمع خادم او ذى نبع فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا
مِّنَ النَّارِ بالرفع او بالحمل ونصبا مفعول ما دل عليه مُغْنُونَ او له على
التضمين او مصدر كشيئا فى قوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شَيْئًا قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا نحن وانتم سواء فكيف تستغيثون بنا
إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ فريق فى الجنة وفريق فى السعير لا تبديل لحكمه
وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ كلهم التابع والمتبوع لما ايسوا لاتباع من نظرة
الرؤساء والاختصار على الخزنة لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ للموكلين بها وايثار جهنم
للتهويل وقيل لان جهنم ابعد طبقات النار قعرا من قولهم بئر جهنام وهذا
انما يستقيم ان لو كان اللفظ عربيا والاكثر على انه اعجمى ادْعُوا رَبَّكُمْ
يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ شيئا من الاوقات قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم
بِالْبَيِّنَاتِ المعجزات الدالة على صدقهم وتنذرونكم لقاء يومكم هذا استفهام
توبيخ وتقريع قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا انتم اذ لا نقدر على الشفاعة الا بشرط
ان يكون المشفوع له مؤمنا ويؤذن لنا فى الشفاعة وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ فى ضياع لا تاثير له إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا مبنى السورة على
بيان مجادلة الكفار مع الرسل ولما امتد الكلام فى الرد عليهم عاد الى تسلية
رسوله وانه منصور لا محالة وَالَّذِينَ آمَنُوا لانهم اتباع الرسل فى الحيوة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اى فى الدارين وان وقع بعض فتور فى شانهم
فذلك امتحان وهم العاقبة والاشهاد جمع شاهد وهو الذى يشهد وذا
على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين والتعبير عن يوم القيمة بيقوم
الاشهاد للتهويل ولذلك ابدل عنه بقوله يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ
ظاهره انهم يعتذرون ولا يقبل منهم والحق انه مبنى على الفرض اى لو اتوا
بمعاذير لا ينفع لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقرا الكوفيون وتافع
بالتذكير وهو احسن لوجود الفصل وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ الطرد من رحمة
الله وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ هو ما يتوقوه من النار تقريرا لعدم قبول المعذرة
اذ من كان هذا حاله كيف يرجى قبول عذره وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ التورية
وسائر ما يحتاج اليه فى باب الدين وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ اى جعلناهم
متصرفين فيه تصرف الوارث فى مال المورث وفى ذكر الكتاب اشارة الى ان
ما افاده موسى بيده عليه السلام وان الكتاب كاف لقوله هُدًى وَذِكْرَىٰ
لِأُولِي الْأَلْبَابِ اى هاديا ومذكرا لذوى العقول وهذا مثل قوله فى هذه الامة
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وفيه بيان نصر المؤمنين فى الدنيا
بالحجة بعد ذهاب الانبياء فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ وهو قوله انا لننصر رسلنا

وقوله وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرسلين انهم لَهُمُ الْمَنصُورُونَ حق
كائن لا محالة وقد سمعت حال موسى ومن كذبه وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ لذنب
امتك لقوله واستغفر لهم او تهييج لامته او لما وقع منه من خلاف الاولى
بحاله وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بالعشى وَالْإِبْكَارِ طرفى النهار لشرف الوقتين
او دوام على ذكره بصفات الجلال والجمال فى جميع الاوقات او المراد الصلوات
الخمس وقيل كان بمكة الواجب ركعتين بكرة وركعتين عشيا ولا سنة معه
انه يوهم ان الخمس وجبت بالمدينة والاجماع انها وجبت بمكة ليلة المعراج
إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بغير سلطان اتيهم ان فى صدورهم الا كبر
اعاد ذكر المجادلين لبيان الموجب لجدالهم وهو الكبر والترفع خوفا من فوات
الرياسة او النبوة سلب كل ملك ورياسة مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ليسوا بالغين
موجب ذلك الكبر وهو ما تعلقت به ارادتهم من الترؤس ودفع الايات
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ من شرهم إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البصير لاقوالكم وافعالكم
نزلت فى المشركين وقيل فى اليهود قالوا سيخرج صاحبنا المسيح بن داود
تسير معه الانهار ويبلغ سلطانه البر والبحر يريدون به الدجال لعنهم الله
وَنزل ابتداء لاول قوله لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اكبر مِنْ خَلْقِ النَّاسِ فانه
اسند لا اليه على من انكر البعث واليهود لا ينكرونه وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ذلك لاغفالهم النظر الصحيح وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
ضربا مثلا للمحسن والمسئ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ولا المسئ
عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى
المقصود او الصراحة والتمثيل ولا فالمسئ مذكرة وان لم ينسا ويافلا
بد من مجازاة وليسر ذلك فى الدنيا فلا بد من ان يكون بعد البعث قليلا
مَّا تَذَكَّرُونَ الضمير للناس او الكفار والقلة بمعنى العدم لقوله وما
يتذكر الا من ينيب وقرا الكوفيون بالخطاب اما تغليبا او امر الرسول
بالمخاطبة او التفاتا وهنا او فى لان العدول الى الخطاب فى مقام التوبيخ
اشد تعيينا وابلغ فى الانكار إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا لا ارتياب
فى وقوعها لما تقدم من الادلة وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بذلك
لقصور النظر وَقَالَ رَبُّكُمُ عطف على إِنَّ الَّذِينَ يجادلون عطف قصة
على اخرى ادْعُونِي اعبدونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ لقوله ان الذين يستكبرون
عَنْ عِبَادَتِي ولما روى عن النعمان انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب
هو الدعاء اراد ان ترك الذنوب من اجل العبادات وسئل الحسن عنه
فقال اعملوا وابشروا او الدعاء والاستجابة على اصلهما وقوله إِنَّ الَّذِينَ

يستكبرون عن عبادتي معناه عن دعائي لان الغرض من العبادة الخضوع
ولا شك ان ذلك في الداعي اظهر وايقاع العبادة صلة الاستكبار مما يؤيد
هنا لان الداعي مستكبر خاضع سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وقرأ
ابن كثير وابو بكر بضم الياء وفتح الخاء وهذا ابلغ اهانة الله الذي جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرة اي خلق الليل باردا مظلما ليؤدي
الى ضعف الحركات وهدو الحواس ولما كان السكون والاستراحة علة غائية
في الليل دون الابصار في النهار بدل العلة ابتغاء الفضل صرح به في الاول
واشار اليه في الثاني رمزا مع ما افادة الاسناد المجازي من المبالغة حتى
كان الابصار سرى في نهار المبصر ان الله لذو فضل على الناس اي فضل
لا يوازيه فضل ولذلك نكره واثره على المفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون
نعم الله تكريرا الناس لايقاع عدم الشكر على صريح اللفظ ذلكم الموصوف
بصفات الالوهية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار متوادفة
او كل بدل عن سابقة ان يجوز البدل عن البدل والا فالكل عن الاول فان
قلت قد وقع مثل هذا التركيب في سورة الانعام خالق كل شيء موخرا عن
كلمة التوحيد وقدم هنا فما وجه ذلك وجهه والله اعلم ان خالقيته لكل
شيء دليل توحيده وفي الانعام قدم قوله خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم فكان
نتيجة المقدمتين لا اله الا هو ثم ارداف به بقوله خالق كل شيء على سبيل التقرير
والتوكيد وهنا لم يتقدم مثله فكان حقه ان يقدم ليكون كلمة التوحيد نتيجة
له فاني تؤفكون من اي وجه تصرفون عبادته انكارا وتوبيخا كذلك
يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون مثل صرف هؤلاء صرف الذين كانوا
قبلهم ينكرون ايات الله عنادا فهم على اثارهم مقتدون الله الذي جعل
لكم الارض قرارا تستقرون فيها احياء وامواتا والسماء بناء قبة العرب
تسمي القبال ابنيه حلي التشبيه وصوركم فاحسن صوركم خصكم باحسن
الصور فاحسن تقويم وفي الحديث خلق الله تعالى ادم على صورته طوله ستون
ذراعا ورزقكم من الطيبات للابدان الانواع طعاما وشرابا وفاكهة
ذلكم الله ربكم اي الموصوف الممتاز فتبارك الله رب العالمين فان
ما سواه مربوب مفتقر ولما كانت الادلة المذكورة من الافاق والانفس
مع كونها ادلة لعما جساما عقبها بقوله فتبارك الدال على كثرة نعمائه و
توافرا لانه هو الحي لا غيره لان من عداه اما ميت او بصدده لا اله الا هو
لان من يعتريه الموت كيف يصلح للالوهية فادعوا الله مخلصين له الدين
فكما انفرد بالالوهية افردوه بالعبادة لانه المستحق الحمد لله رب العالمين

قولوا الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل بعده
الحمد لله وذلك للدلالة على انحصار الحمد فيه كانحصار الالوهية قل اني
نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي
شامل لادلة العقل والنقل والايات الدالة على صدقه فانها كلام معجز
يؤيد الادلة العقلية وتناصر الادلة اقوى في ابطال مذهبهم وامرت
ان اسلم لرب العالمين انقاد له اشارة الى انه لا يريد هم الا ما اراد لنفسه
هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا لما امنن
عليهم بانه خلقهم في احسن الصور اشار الى بناء خلقهم من التراب الذي هو
مادة ابيهم ادم او مادة كل واحد منهم لما ورد ان النطفة تعجن بالتربة التي
تكون مضجع الميت ثم بعده الانفلابات البديعة الدالة على كمال الاقتدار و
افراد طفلا لارادة الجنس او كل واحد ثم لتبلغوا اشدكم اللام تتعلق
بمقدر اي يبقيكم ثم لتكونوا شيوخا قرأ نافع وابو عمرو وهشام وحفص
بضم اثنا عا لضم الباء ومنكم من يتوفى من قبل قبل الشيخوخة او قبل
هذه الاحوال كما افاوقع سقطا والاول هو الوجه ولتبلغوا اجلا مسمى
اي وفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة والاول اوجه
لقوله اذا جاء اجلهم واوفق بالسياق ولعلكم تعقلون ما في ذلك من
دلائل كمال الصانع والعبر هو الذي يحيي ويميت اي القادر الذي نقل
النطفة من تلك الاطوار بعضها الى بعض هو الذي شانه الاحياء والاماتة
ثم هو من شاء ذلك بقوله فاذا قضى امرا توجهت ارادته اليه فانما
يقول له كن فيكون بلا احتياج الى آلة وتعمل كان اسرع شيء وقرأ ابن
عامر يكون بالنصب بتقدير ان الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله اني
يصرفون كونه لائق مبنى السورة على رد المجادلين في ايات الله الدالة
على التوحيد والبعث بفنون مختلفة من الدلائل ولما استوفى تلك الفنون
ولم تؤثر فيهم عجب السامع من حالهم الذين كذبوا بالكتاب بالقران او بجنسه
وبما ارسلنا به رسلنا من الايات يؤيد الوجه الثاني فسوف يعلمون
جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل في بين سوق واذ لائق
المفرق في كلامه تعالى كالكائن والسلاسل عطف على الاغلال
يسحبون في الحميم الماء الشديد الحرارة حال من الفاعل او خبر سلاسل
ان لم يعطف بحذف العايد ثم في النار يسجرون يخرجون اي ظاهرها لاهل
الجنة من سجرت التنور اوقدتها واصله الملء يقال سجرت النهار اذا
ملئت من المطر والمعنى ملئوا نارا ظاهرا وباطنا كقوله نار الله الموقدة

التى تطلع على الافئدة ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا
ضلوا عنا يقال لهم توبيخا ومعنى ضلوا عنا غابوا ولا يناف قولهم انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لجواز كونهم غيبا او ان التوبيخ
او لما لم ينفع حضورهم كانهم غيب بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا لعدم
غنائهم كانهم ليسوا بالشئ او قالوه كذبا على انفسهم كقولهم والله ربنا
ما كنا مشركين كذلك يضل الله الكافرين اى مثل ضلال الهتهم يضلهم
الله فى الدنيا عن طريق الحق وقيل يضلهم عن الهتهم حتى لا يتصادفون
ولو تطالبوا وفيه نظر ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وهو
الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تبطرون وتفرطون فى الفرح والعدول
الى الخطاب لكونه ابلغ فى التقريع ادخلوا ابواب جهنم طبقاتها على قدر
الاعمال كقوله لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود
فبئس مثوى المتكبرين مثواكم او جهنم فاصبر على اذاهم وجدالهم الباطل
ان وعد الله حق فى نصرك واتمام ما ارسلت به فاما نرينك ان شرطية
وما زائدة للتوكيد ولذلك لحقته نون التاكيد وجواب الشرط محذوف اى
فذاك بعض الذى نعدهم من العذاب كالقتل والاسر يوم بدر او نتوفينك
قبله فاليتنا يرجعون فيريدون اشد العذاب فان قلت قد يقدم مثل
هذا التركيب فى الرعد ولم يقدر لكل واحد من المعطوف والمعطوف عليه جزاء
فهلا تلك الطريقة قلت مساق الكلام هنا لايجاب الوعد بالنصر وهم
رسول الله والمؤمنين مقصود به فاقتضى تقديرا لجزاء مستقلا تعجيلا
للمسرة بخلاف ما فى الرعد فان الكلام فى ايجاب تبليغه وانه ليس عليه
الا ذاك كيف ما دارت القضية ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك دل على انه لم يخبر بتفاصيل
سائر الانبياء وقد روى ابو ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عدتهم فقال مائة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
او خمسة عشر جما غفيرا وما كان لرسول ان ياتى بآية الا باذن الله
باذنه وتيسيره جواب لاقتراحهم الآيات عليه كانه قيل لهم اذا كان
الامر فى الآيات الى الله تعالى ولم يكن لاحد ممن يقدم ان ياتى بآية فمن اين
لجاء الى بآية فاذا جاء امر الله بالعذاب قضى بالحق وخسر هنالك
المبطلون اى اذا جاء يوم القيمة الذى هو يوم الفصل قضى بينك وبينهم
بالحق وخسر اذ ذاك المبطلون فى الاقتراح المجادلون عنادا الله الذى
جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون من جنسها ما يوكل

كالغنم وما يوكل ويركب كالابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان و
الجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم من المسافرة
لمقاصدكم وعليها فى البر وعلى الفلك فى البحر تحملون وانما قال على
الفلك دون فيها كما فى قوله قلنا احمل فيها لان الفلك دعاء ما فيها و
حمولة له مع ما فى ذلك من المزاوجة مع ما قبله من المزاوجة وانما غير
النظم فى الجمل الاربع لان الركوب وبلوغ الحاجة قد يكون فى مهم دينى
واجب او مندوب بخلاف الاكل وسائر الانتفاعات فكانا اولى بدخول اللام
الدال على العلية والفرض وقيل فرق بين العين والمنفعة وانما جعلا مكتنفين
بما خلا عنه اشارة الى قصوره عنهما وعن الزجاج ان الانعام هى الابل خاصة
وعلى هذا يتضح الوجه لان الركوب وبلوغ الحاجة من انتم الغرض منها وربكم
ايات ه فاى ايات الله تنكرون لم يقل اية لان التفرقة فى غير الصفات
بالتاء نحو حمار وحمارة غيرب وفاى لوضعه على الابهام اغرب افلم يسيروا
فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد
قوة واثارا فى الارض قصورهم المشيدة ومصانعهم المحكمة وقيل مشيهم
بالاقدام لعظم اجرامهم وبعده لا يخلو فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة المحل والثانية موصولة او مصدرية
اى مكسوبهم او كسبهم رفع على الفاعلية فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم باصول الدنيا واسباب المعاش يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا او علم الفلاسفة وهو الدهريه ويدفعون بتلك الاوهام
علم الانبياء كما روى ان سقراط كان فى زمن موسى فقيل له هل لا تتبعه فقال
نحن مهذبون او سمى جهلهم المفرط علما اى لم يفرحوا بعلم الرسل وفرحوا
بجهلهم المفرط سماه علما على طريقة التهكم او المراد على الرسل وفرحهم
بما اوتوه من العلم بسوء عاقبة الكفار وشكرهم لله على ما منحهم وفيه
تغليط الضمائر او المعنى فرح الكفار بما عند الرسل من العلم فرح ضحك و
استهزاء ويؤيده قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون الا ان فى الدلالة
على هذا المعنى غموضا فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين الباس شدة العذاب لقوله بئس فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا للطوارئ وقته الوجه الفاءات ان قوله فما اغنى
ملكاها فيه من التكاثر بالاموال والاولاد وقوله فلما جاءتهم رسلهم
الى قوله وحاق بهم ايضا لذلك المجمل وكيف انقلب الحال بهم الى عكس ما
املوه وقوله فلما راوا باسنا مترتب على قوله فلما جاءتهم تابع له كانه

قال لما جاءتهم رسلهم كفروا فلما رأوا بأسنا امنوا الآية فضل ذلك الكفر المشتمل على سوء معاملة الرسل وكفران اعظم نعم الله وكذا فليكن حال الايمان سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد مصدر مؤكد وخسر هنالك الكافرون هنا مستعار من المكان للزمان اي خسروا وقت رؤية البأس لزوال ما كانوا فيه من النعيم ولزوم الخلود في عذاب الجحيم تمت سورة غافر والحمد لله على فضله الوافر والصلوة على سيد الاوايل والاواخر وآله وصحبه ذوي المحاسن والمآثر

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته اسم السورة كان مبتداء تنزيل من الرحمن الرحيم خبره وان جعل تعديدا لتنزيل خبر مبتداء محذوف كتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف هي مبتداء لتخصصه بالصفة وكتاب خبره فصلت اي بانه جعلت تفاصيل في مختلفة من احكام وامثال ومواعيظ ووعد ووعيد او ميزت باعتبار اللفظ والمعنى قرانا عربيا نصب على المدح ويجوز الحال وفي كونه عربيا امتنان لسهولة تلاوته وفهم معناه لانه افصح اللغات لقوم يعلمون صفة اخرى لقرانا اي كائنا لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وقيل يتعلق بتنزيل وفيه الفصل بين المتعلقين وهو كتاب الى قوله عربيا وبين الصفات ايضا لان بشيرا ونذيرا صفتا قرانا وقيل بفصلت وفيه التفريق بين الصفات والفصل بين الصلة وموصولها ايضا بشيرا ونذيرا للمقبل والمعرض فاعرض اكثرهم انكروا اعجازه ولم يقبلوا بشايره ونذره فهم لا يسمعون لا يدعنون له ملم العلم بانه الحق وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه في غطية جمع كنان وفي اذاننا وقر صمم اصله الثقل اي جمعوا بين الاعراض وهذا القول مبالغة في الانكار فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما في سورة بني اسرائيل والكيف طلب المراعى في البلاغة جانبا للمعنى وهو كذلك في الاسلوبين لان الاستعلاء والاحتواء من واد واحد مع نهاية التغطي فان قلت كان العكس محصلا لذلك فلا بد من اختصاص كل بموضعه من نكتة قلت الكلام في بني اسرائيل والكهف مسوق بالية تعالى فالاستعلاء والقهر انسب وهنا حكاية مقالهم فالاجتواء اقرب ومن بيننا وبينك حجاب البين هو الوسط بالسكون يصدق على كل جزء من المسافة استعيابا ولا فرق من ليدل على الاستيعاب الذي هو غرضهم وذلك لان من لابتداء الغاية الذي هو ظرف

المتكلم فيقع الظرف لاخر غاية فاعمل انتنا عاملون اعمل في دينك او في ابطال ديننا فانا على ديننا او ابطال دينك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد كان انكارهم نبوته لكونه بشرا مثلهم قلت عليهم القول بان البشرية هي التي تناسب الرسالة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا انما الهكم اله واحد اشار الى ما هو الغرض من البعثة وهو التوحيد فاستقيموا اليه فاستقيموا على التوحيد والاخلاص متوجهين اليه واعرضوا عن اعراضكم معرجين على تقليدا بائكم الضالين واستغفروه واطلبوا الغفران منه على ما ضيعتم فيه الاعمار من عبادة الجماد ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة توكيد للامر بالاستقامة وترغيب فيه وترهيب عن الشرك قرن به الزكوة من سائر الاعمال لانها شقيقة الروح والمعيار على الايمان المستكن في القلب والزكوة على هذا الوجه المقرر في الاحاديث والفروع وان فرض بالمدينة الا ان اخراج طائفة من المال على وجه القربة كان شايعا اطلاق اسم الزكوة عليه في الجاهلية ايضا كما وقع في شعر امية بن ابي الصلت الفاء للزكوات والى ذلك اشار في اخر المزمل واقيموا الصلوة واتوا الزكوة والمزمل من اوايل القران نزولا وهم بالاخرة هم كافرون دهرية لا يقولون بالمعاد ولا يعترفون بالجزاء وفيه اشارة الى علة منع الزكوة فان قلت انا كانوا دهرية فلم كانوا يعبدون الاصنام قلت ركابها في ذرا الارزاء وانداع البلايا ولو فرض وقوع المعاد كانت شافعة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون غير مقطوع او غير منقوص يمنع لان الواهب غني عن ذلك مقابل لسابقه كانه قال ويل للمشركين وطوبى للمؤمنين وفيها من التحذير والترغيب ما يؤكد امر الايمان والاستقامة تاكيدا لا يخفى وقيل نزلت في المرضى والهرمى فانه يكتب لهم من الاجر على قدر طاعاتهم حال العافية ولا يقطع من ذلك شيء قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين بعد تقرر دليل التوحيد والامر بالاستقامة انكر على من يعلم منه هذه الصفات ثم يعدل الى عبادة غيره ثم اعترض في البين بقوله وتجعلون له اندادا اي ممن لا يتصور له نداد واحد فكيف بالعدد ثم له اندادا ذلك الذي خلق الارض في يومين ربنا العالمين موجدا لكل الذات كلها وجعل فيها رواسي عطف على خلق مقدارا واستيفاء اذ لا يعطف على خلق المذكور للزوم الفصل بين اجزاء الصلة من فوقها مرتفعة بازدة للنظار ليشاهد من ضروبا لا يستبصار اظهارا لاتمام النعمة وكمال الاقتدار وخص بالذكر هنا لانه اتم موضع تفصيلا لهذا البيان في القران وبارك فيها بان جعلها

منابع المياه ومنابت الاشجار ومرابع الحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات
اهلها بان عين كل نوع لما يليق به او خصّ كل قطر بنوع منه تحسينا للنظام
فى أربعة أيام سواء فذلكه ما تقدم وجملنا فصل كانه قال ذلك فى اربعة
ايام كوامل مستوية ولو قال يومين اخرين لاحتمل الاطلاق على اكثرهما تجوزا
وقال الزجاج فى أربعة ايام اى فى تتمة اربعة وهما يومان والاول املاء
فائدة بلا تقدير حذف والمراد المقدار الذى وقع فيه الخلق لا اليوم المصالح
قرا حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب للسائلين متعلق بقدر اى هذا
الحصر للسائلين عن المقدار ويقدر اى قدر فيها الاقوات للطالبين للرزق
وانما يستقيم على تقدير الوجاج ثم استوى الى السماء وهى دخان توجهت
ارادته الى ايجادها من قولهم استوى الى كذا قصده قصدا لا يلوى الى غيره
وثم على اصله من التراخى زمانا لان بنية استبدلا بان وجود الارض متاخر
لقوله والارض بعد ذلك دحاها لان خلق الاقوات فيها قبل الدحو غير محكم
فان قلت التقدير لا يستلزم الخلق بالفعل قلت فسره قوله فى سورة
البقرة قوله خلق لكم ما فى الارض جميعا فان قلت يحمل الخلق على التقدير قلت
لا يلايم مقام الامتنان فالوجه ان دحاها ليسر عاملا فى بعد ذلك بل هو
جملة مستانفة كما تقدم الاشارة اليه فى سورة البقرة فيكان عرش الرحمن
على الماء فصعد منه دخان فخلق منه الارض ثم فتقها ارضين وخلق من
ذلك الدخان السماء فقال لها وللارض ائتيا اى كونا مسخرين لما اريد
منكما بان يكون احدكما مقلة والاخرى مضله وابرازهما او دعتامن الاوضاع
المختلفة والكائنات المتنوعة او تكونا على ان معنى الخلق او لا التقدير
والكلام على التمثيل بان مثل خلقهما فى سرعة التكون على وفق الارادة و
مقتضى الحكمة بحال المامور المطيع المبادر الى امتثال الامر المطاع طوعا
او كرها مثل للوقوم تاثير قدرته فيهما وامتناع عدم حصول ما اريد منهما
وحاصله تصوير كمال عظمته وكبريائه وعدم تخلف مراده فى شى ايستدل
بالعالم العلوى والسفلى قالتا اتينا طائعين منقادين اجرى عليهما
وصفا لعقلاء لما جعلهما مخاطبين كقوله رايتهم لى ساجدين فقضيهن
سبع سموات الضمير للسماء على المعنى كقوله اعجاز نخل خاوية او منهم فسر
بسبع سموات تمييز على خلق الاول خلل فى يومين خلقهن وما فيها فى يومين
فتم شان العالمين فى ستة ايام خلق الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق
الجبال يوم الثلثاء وخلق الاشجار والمياه يوم الاربعاء وخلق السماء
يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة فى ثلث

ساعات وفى اخر ساعاته خلق آدم فيل هى الساعة التى تقوم فيها الساعة
واوحى فى كل سماء امرها ما امر به وديرا واوحى الى اهلها بما اراد
وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا وحفظناها حفظا من ان يقع
فيها خلل او مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بفضل
زينة وحفظا وانما قدم اليومين مع انهما ذكر بعدهما من تدبير السموات
واقع فيهما للاهتمام اشارة الى ان العالم العلوى الذى نسبته الشفلى
اليه نسبة الخلقة الى الغلاة تكون وتم امره فى قصر من مدة تكوينه
فيعلم ان ايقاع هذه الافعال على وجه التدريج انما هو لارشاد العباد
الى التانى فى الامور والا فامره تعالى فى الايجاد انما هو بين الكاف والنون
ذلك تقدير العزيز العليم اى المذكور صنع الغالب على كل شى العالم به فان
اعرضوا بعد هذا البرهان البين فقل انذرتكم صاعقة عذابا شديدا
يشبه الصاعقة فى الرفع والشدة مثل صاعقة عاد وثمود مثل ذلك العذاب
فى الشدة كان ابو جهل فى ملاء من قريش فقال قد التبس علينا امر محمد فهل منكم
احد يا تينا ببيان منه قال عتبة بن ربيعة انا لكم فاتى قد علمت من السحر والشعر
والكهانة ما لا يخفى فاتى رسول الله ودعاه الى ترك سب الاصنام وذكر ايائهم
فلما فرغ من كلامه تلا عليه السورة الى ان بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فاخذ
عتبة على فيه وناشده بالرحم ان يكف وولى هاربا اذ جاءتهم الرسل صفة
صاعقة الثانية لا الاولى ولاظرف انذرتكم الفساد المعنى من بين ايديهم
ومن خلفهم من كل جانب واجتهدوا فى كل حيلة وعن الحسن حذرهم الوقايع
فى الامم الماضية وبعد الاخرة او ان هودا وصالحا كل منهما دعا قريته
الى الايمان به وبمن تقدم من الرسل وبمن ياتى من بعد فان الايمان بالكل واجب
فكان الكل قد جاؤا ويحمل على الكثرة كما فى قوله يا تيها رزقها رغدا من كل مكان
لا يستقيم لاختصاص كل قوم ببنيتهم الا تعبدوا الا الله ان مخففة حذف
منها ضمير الشان او مفسرة قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة
بالرسالة فانا بما ارسلتم به كافرون ليس اقرارا بالرسالة بل قالوه تهكما
والخطاب لهما ولمن دعوهم الى الايمان به من سائر الرسل فاما عاد فاستكبروا
فى الارض بغير الحق بغير استحقاق وذكروا ولا كفرهم ثم بين ما احصر كل طائفة
وقالوا من اشد منا قوة اى لا احد كانوا طوالا غلاظا شدادا حتى كان
الرجل منهم يقتلع الصخرة من الجبل بيده فاغتروا بذلك اولم يروا يعلموا
ان الله الذى خلقهم هو اشد قوة اذ هم لا يقدرون على مثله فضح الله اقوى
واقدر وكانوا بايا تنا يجحدون اى كانوا يعلمون ذلك الا قلادا منا وغيره

من الايات الا انهم كانوا ينكرون عنادا وعتوا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا
وريحا باردة تصرما اصابته اى تقبضه وتشده ومنه الصرة لانه يجمع الدراهم
او من الصرير وهو صوت هبوبها في ايام نحسات هي الثمانية وقوله تعالى
سبع ليال وثمانية ايام والنحس ضد السعد وقرا الكوفيون وابن عامر
بكسر الحاء والباقون بالاسكان والكسر اولى لانه قياس الصفة من فعل كحذر
وفهم ونهم وروى امالة الالف عن الكسائي لتذيقهم عذاب الخزي في الحيوة
الدنيا اى الذل صفة للمعذب وضف به العذاب كشعر شاعر على الاسناد المجازي
مبالغة كان الخزي سرى من المعذب الى العذاب ولعذاب الاخرة اخزى
لكونه اشد واعم وهم لا ينصرون في النار من يدفع العذاب واما ثمود
فهديناهم بنصب الادلة وارسال الرسول فاستحبوا العمى على الهدى
اى هديناهم على طريق الضلالة والرشاد لقوله فهديناه النجدين وفيه دلالة
على ان الهداية لا يستلزم الاهتداء وفي الاستحباب اشارة الى عدم استقلال
العبد بالايمان لان لقاء المحبوب ليس بقدرة العبد وان كان اشارة العمى حبا
باختياره وهذا مما يلقم القدرية حجرا فاخذتهم صاعقة العذاب الهون
صاعقة من السماء والهون الهوان والكلام في اضافة العذاب اليه كما تقدم
في عذاب الخزي بما كانوا يكسبون من الكفر ونجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار اداد بيان عذاب
الاخرة بعد ذكر عذاب الدنيا قرا نافع بالنون على نمط ونجينا ونصب اعداء
والباقون بالياء على بناء المفعول والنون اشد تهويلا فهم يوزعون يحبس
اولهم حتى يلحق اخرهم كناية عن الكثرة حتى اذا ما جاؤها ما مزيده للدلالة
على ان وقت مجيئهم لا محالة وقت الشهادة شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون وفي الحديث ان الكافر يقول يوم القيمة يا رب
اليس قد وعدت انك لا تظلم فيقول بلى اني لا اقبل الا شاهدا من نفسي فيختم
الله على فيه وينطق جوارحه بالاعمال التي صدرت منه فيقول سحقا لكن
فعنكن كنت افاصل وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا توبيخا لهم على عدم
مراعاة الصحبة مع ان العذاب مشترك والخطاب للجلود وحدها لشمولها
سائر الاعضاء قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اعتذروا بان ذلك
لم يكن باختيار منهم بل ممن انطق كل حي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
ايها الذي انطقنا هو الذي انشاكم ابتداء واليه ترددون للجزاء فلا عجب منه
اذا انطقنا ويجوز ان يكون ابتداء كلامه تعالى بوبده قوله ترجعون وقوله
وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم

اى مما كان استتاركم وقت فعل القبايح خيفة من شهادة الجوارح كيف وانتم
منكرون للبعث ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون اى لكن
كان استتاركم من الناس دونه لانكم ظننتم انه غير عالم بخفيات امركم
وذلكم الظن ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم اهلككم خبر ان لذلكم
او ظنكم بدل منه اى ما اهلككم الا ذلك الظن الكاذب فاصبحتم من
الخاسرين داخلين في زمرة الكاملين في الخسران وعلى العاقل ان يكون
في خلوته اشد حياء واهيب واوفر تحفظا لعلمه بانه لم يزل عليه منه
تعالى عين كالئه ورقيب مهيمن فان يصبروا فالنار مثوى لهم فيقاسون
حرها واحراقها وان يستعتبوا بطلب العتبى وهو الرضا عنهم
فما هم من المعتبين من الذين يعطون الرضا ويعفون به والعدول الى
الاسمية من لم يعتبوا مبالغة في اخراجهم عن زمرة المعتبين وقيضنا
لهم قرناء قدرنا لهم شياطين يشايعونهم فصاروا اخوانا واحبابا
واصل القيض لانها بقدره وكذا المقايضة لتقدير تساوي الثمن في البدلين
فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من قبايحهم وما هم عازمون
عليها في المستقبل او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما
خلفهم من امر الاخرة بان لا بعث فافرطوا اللذات قبل فواتها وحق
عليهم القول كلمة العذاب في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
في جملة اولئك الذين كانوا على مثل اعمالهم ليكونوا في العذاب قرناء كما
كانوا في الدنيا اخبة واخلاء انهم كانوا خاسرين في استبدال الضلالة
بالهدى تعليل لاستحقاق العذاب واشارة الى ان ذلك الشقاء نتيجة هذا
الخسران وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه كانوا
يعلمون فصاحة الفاظ القران وحلاوة معناه وانه جلاب للقلوب سلاب
للعقول والنهى ومن سمعه سماع تامل وتدبر امن به وايقن انه ليس بشعر
ولا سحر وانه خارج عن طوق البشر فتواصوا بانهم اذا سمعوا قاريا يقراوه
يكثرون اللغط والاباطيل حتى لا يفهم ويتشوش القاري لعلكم تغلبون
الخصم فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا هم هؤلاء وايقاع الكفرة
اشارة الى علة العذاب او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء الذي كانوا
يعملون اى اسوء جزاء اعمالهم او جزاء العمل الاسوء والاول اولى لقوله
ذلك جزاء اعداء الله فانه خبر عن الاسوء النار عطف بيان او خبر
مبتداء محذوف لهم فيها دار الخلد هي دار الاقامة كما تقول لك في هذه
الدار دار سرور على طريقة التجريد جزاء بما كانوا بايتنا يجحدون يكذبون

بها عالمين عنادًا ولذلك جوزوا الجزاء الاولى وفيه اشارة الى ان عذاب الاخرة
كله اسوء بالنسبة الى عذاب الدنيا وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا
من الجن والانس الشياطين على قسمين كما اشار اليه بقوله من الجنة والناس
ولقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقيل هما ابليس
وقابيل سنا الكفر والقتل نجعلهما تحت اقدامنا انتقامًا منهم كقوله
هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار ليكونا من الاسفلين لكونهما
اشد كفرا للضلال والاضلال ان اللذين قالوا ربنا الله امنوا به معترفين
بربوبيته ثم استقاموا ولم يزل قدمهم عن طريق العبودية قلبا وجوارحا
وهذا مقام عزيز واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله شيبتني هود
واخواتها وروى الامام احمد عن سفيان بن عبد الله الثقفي انه قال
رسول الله حدثني بامر اعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ان
مفسرة بمعنى اي او مخففة حذف منها ضمير الشان الخوف يكون من مكروه
مترقب والحزن على فايت في الماضي والمعنى لا تخافوا على ما تقدمون اليه ولا
تحزنوا على ما خلفتم من الاهل والمال وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
على لسان الرسل قيل يبشر الملائكة في ثلثة مواطن عند الموت وفي نزول
القبر وعند البعث والظاهر ان ما في الاية هو الاول بقولهم نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا بالمحافظة عن الشياطين والهامهم الخير وفي الحديث ان الملك
فايعاد بالخير وامة الشيطان فايعاد بالشر وفي الاخرة بالشفاعة
والتلقي بالاكرام هؤلاء في مقابلة الفرناء للكفار ولكم فيها ما تشتهي
انفسكم من اللذايذ ولكم فيها ما تدعون تطلبون من الدعاء بمعنى
الطلب اعم من الاول وحمل الدعاء على التمني لا يلايم المقام نزلا من غفور
رحيم حال من الضمير في لكم لانه خبر ما تدعون اي المدعى كائن لكم حال
كونه نزلا من المحذوف الغايد الى ما لانه الادعاء والتمني ليسا في حال كونه
نزلا وفيه اشارة الى ان هذا نزل الضيف وله بعله الذي ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى
عبادته وعمل صالحا اي وافق فعله قوله وقال اني من المسلمين اي اتحذ
الاخلاص دينا كما تقول هذا قول ابي حنيفة اي معتقده ومايدين به وقيل
قاله مفتخرا به وهذه الرتبة اعلى من الايمان والاستقامة فانها الكمال وتلك
كمال ولذلك قيل هو رسول الله والحق انها عامة وهو اول داخل فيها وما
يروى انها نزلت في المؤذنين يرده كونها مكية والاذان شرع بالمدينة

ولا تستوي الحسنة ولا السيئة اي الحسنات تتفاوت الى الحسن واحسن
وكذلك السيئات الى السيئ والاسوء ادفع بالتي هي احسن اي ادفع
السيئ والاسوء باحسن الحسنتين كما اذا قدرت على من اساء اليك
فالحسنة ان تعفو عنه والاحسن ان تحسن اليه مقام اسائه وانما ترك
الفاء لان الاستيناف اقوى الوصلين فهو على تقدير قايل وقيل لامزيدة
والمراد نفي المساواة بين الجنسين والاعلام بان بينهما بونا بعيدا وكان
الظاهر ادفع بالحسنة السيئة عدل الى المنزل لان من دفع بالاحسن
هان عليه الدفع بالحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم اي اذا جازيت المسيئ بالاحسان صار عدوك المشاق كانه ذو قرابة
شفوق وفي معناه قال شعر ان العداوة تستحيل مودة بندا والهفوات
بالحسنات وما يلقيها الا الذين صبروا اي ما يعطى هذه الخليفة الا
من جنس نفسه على المكروه وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الحلم وكمال
النفس وعن الحسن ما عظم خط والله دون الجنة وامايزغنك من
الشيطان نزغ النزغ هو التحسر اريد به وسوسته وبعثه على الشرور
الانتقام والدفع بالاسوء وقيل من قبيل جد جده او وصف للشيطان
بالمصدر على طريقة التجريد فاستعذ بالله من شره انه هو السميع
لاستعاذتك العليم بقصدك ومن اياته الليل والنهار والشمس
والقمر دلائل اقتداره ووحدانيته ذكران لا احسن قولا من الداعي
الى الله ثم ارشده الى ما يدعو به من ادلة الافاق لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر كما يسجدون للكواكب على قصد التقرب الى الله فنهوا عن ذلك
واسجدوا لله الذي خلقهن فانه المستحق وحده والضمير للاربعة لانها
جماعة مما لا يعقل ان كنتم اياه تعبدون ان كنتم موحدين غير مشركين
فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك ملايكته المقربون
يسبحون له بالليل والنهار مداومون على تقديسه وهم لا يسئمون
لا يملون هذا موضع السجود عند ابي حنيفة والشافعي في اصح الروايتين
لانه تمام المعنى واحتياطا لانه ان كان عند تعبدون فالفصل يسير و
التقديم غير جايز وفي وجه تعبدون لاتصاله بواسجدوا ومن اياته
انك ترى الارض خاشعة ذليلة اصله الانخفاض من قولهم اكمه خاشعة
اي لاطية فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت انتخت وترخرفت
بالنبات كالمحتال في زيه بعدما كانت كالذليل في اطمار رثه ان الذي
احياها بالنبات لتضر البهيم لمحيي الموتى لامحالة انه على كل شيء قدير

كامل الاقتدار إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا الحد والحد مال عن الاستقامة استعير لصرف الكلام عن وجهه وقرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا وعيد لهم أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تهديد لمن يلحد في آيات الله بأنه كما انحرف في تأويل الآيات كذلك يعدل به عن الصراط الموصل الى النعيم الى الجحيم اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ اذ قد علمتم حال الرجلين وَمَا هُمَا الامر للتهديد لا لايجاب الفعل إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازي على وفق ما علم إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذكر لَمَّا جَاءَهُمْ بدل من الذين يلحدون اشارة الى الحاد الكامل على الالحاد مجرد كفرهم وفيه امداد التحذير بوضع الذكر موضع الآيات تحسيرا لهم وبنا في لما من الدلالة على انهم كفروا اول ما قرع سمعهم من غير تدبر وتمهيد للحديث عن كمال الكتاب بقوله وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ شريف جم المنافع أو غالب لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ مثل حاله بحال الشيء المحمي من جميع الجوانب فلا يمكن للعدو الوصول اليه وفيه اشارة الى انه محفوظ من حين النزول الى آخر الدهر كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ورد لالحاد الملحدين فيه بان سعيهم في ذلك كالرقم على الماء تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ اي حكيم حميد افعاله واقواله على وجه الايقان والكمال فكيف يتطرق الباطل الى وجه مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ اي ما يقول لك الكفار قريش الا شيئا قيل لمن تقدمك من الرسل مثله كقوله وَإِنْ كَذَّبُوكَ فقد كذبت رسل من قبلك إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لانبيائه واوفيائه وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ لاعدائه او ما يقول لك الله الا ما قد قال للرسل قبلك وهو الوعد بالمغفرة لمن آمن والعقاب لمن كفر والمراد وصف العقاب دون المغفرة لان الكلام في الترهيب وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا اي لو فرض كذلك لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ بينت بلسان عربي نعتهم والغرض ان نعتهم لا سبيل الى دفعه أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ اي هذا امر منكر والاعجم هو الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي لغة كان والياء للنسبة والعجمي منسوب الى الطائفة المعروفة وانما اتى بالمقرد مع ان المنزل عليهم امة العرب لان القصد بيان تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه فلو جعل كان اتيانا مما لا مدخل له في الغرض وهذا اصل كلي في الالتفات والاطلاق والتقييد الى غير ذلك في كل كلام بليغ وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بتحقيق الهمزتين على الاصل وابو عمرو بتسهيل الثانية تخفيفا سوى هشام فانه قرأ باسقاط الاولى اما على الاخبار على معنى لولا نوعت آياته فيكون بعضها اعجميا وبعضها عربيا

لينكون لكل طائفة منه حظ او على حذف وتقدير فيتوافق الاولى قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ هادي الى كل خير وشفاء عن داء الجهل والشبه وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ عطف على المجرور اي هو للذين امنوا هدى وشفاء وللذين لا يؤمنون وقر وفي آذانهم بيان لمحل الوقر او حال من المستكن في الظرف عائد الى وقر وهو من العطف على عاملين مختلفين او مبتدأ وما بعده خبره اي والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر او وقر منه في آذانهم بحذف الرابط وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى استولى على ابصارهم ولم يتعرض لحال القلب لانه علم مما في شفاء من التعريض انه مريض بعلة الطبع ولذلك يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ لا يمكن لحوق الصوت اليهم تمثيل لبعدهم عن الحق وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ فقال بعضهم حق وكذب البعض فكذلك حالك وحال من ارسلت اليه وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بإستيصال المكذبين وَإِنَّهُمْ اي اليهود او الذين كفروا لَفِي شَكٍّ مِنْهُ من التوراية او القرآن مُرِيبٍ موقع للقلق والاضطراب مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا لا يتجاوز وزرها خير وشر وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ بان يؤاخذ من غير جرم والكلمة السابقة هي العدة بالفصل يَوْمُ الْقِيَامَةِ وفيه تخلص الى ذكر الساعة بقوله إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ارشاد للمؤمنين الى الجواب ان سئل احدهم عنها بان يقول لا يعلمها الا الله وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وما تحمل من انثى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ الاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمر والاستثناء من الكل اي لا يحدث شيء من هذه الاشياء الا ملتبسا بعلمه وليتض من الاستثناء المتعقب للجمل المختلف في متعلقه لاتحاد المقصود ولاختصاص ذلك بغير المفرغ وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ اين شركائي قَالُوا آذَنَّاكَ اعلمناك مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ اي ما علمناك احدا منا لا يشهد اليوم انهم شركاؤك فاعادة السؤال عليهم لزيادة التوبيخ او ما منا احد يشاهدهم لقوله وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ او معناه انك علمت بواطننا انا لم نعتقد لان فيك شريكا فالاعلام بسبب الحال واذناك الشاء فلا يقتضي سبوا علام ويجوز ان يكون من كلام المعبودين والضلال بمعنى العدم والنفي وفيه تهكم بالضمائر وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ايقنوا بان لا مهرب لا ظن معلق بحرف النفي لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ من طلب الزيادة في المال والجاه وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ في بعض الاوقات فَيَئُوسٌ كثير اليأس قَنُوطٌ ظاهر عليه

أثاره فالاول فعل القلب والثانى للجوارح يولع فيه بناء وتكريرا وهذا
شان الكافر ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسسته ليقولن
هذا لى لانى كنت مستحقه ولا يرى فى ذلك منة المنعم ولا يتلقاه بالشكر
عظم الرحمة بالشكر والوصف وحقر الضراء بلفظ المس وما اظن
الساعة قائمة جلب له الاغترار بذلك سوء الاعتقاد فى المعاد
ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى لو فرض ذلك ان لى عند الله
الحالة الحسنى فليس امر الاخرة على الدنيا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
عكس ما اعتقدوه ولنذيقنهم من عذاب غليظ مغرط فى العظم وفوق
جهلهم المفرط واذا انعمنا على الانسان اعرض عن شكر المنعم ونأى
بجانبه تكبر ولفظ الجانب مفخم اشارة الى تعاظمه كقول الكتاب الجانب
العالى والمجلس السامى او على اصله فانه عند الاعراض يثنى عطفه كقوله
تولى بركنه وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر ناء بتقديم الالف على الهمزة مقلوبا
نائى او من ناء ينوء نهض والقلب اولى ليوافق الاولى فى معنى زائدا على الاعراض
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير استعير عما له عرض وهو ابلغ من
الطويل فانه اقصر الامتدادين فاذا كان كذلك فالطول اولى ذمه اولا
على شدة حرصه على الجمع وغاية جزعه على الفقد وثانيا بطيشة المتولد
عن الاستكبار عند وجود النعمة والاستكانة عند فقدها لا فى حالة
السعة شاكرا ولا فى حال الفقد صابرا بمد مجافيه الاشارة الى غاية مجافاته
فان اليأس والقنوط ينافيان الدعاء العريض وان ادعاء استحقاقه الحسنى
عند الله من هذا بل هو كالفرق فى المثل قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم
كفرتم به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد اى خبرونى ان صح ان القرآن
من عند الله فاكم لستم على حجة فى انكاره وقد كفرتم به من يكون اعرق فى
الشقاق منكم وايثاركم لبيان بعد الكفر بالقرآن فانه لا يفقد كذبوا به لما
جاءهم من غير تلعثم اوردوه على اسلوب كلام المنصف حثا على التأمل
والسداد جاء الى الاقرار ثم تمم بقوله سنريهم اياتنا فى الافاق وفى
انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اى عن قريب نريهم ما يدل على ان القرآن
حق لا ريب فيه او الرسول او التوحيد مما يجرى على يدى رسولنا ومن بعده
من الخلفاء وسائر الصحابة من الفتوح فى مشارق الارض ومغاربها لا سيما
فى ناحية العرب وساحتها وفى ذلك من الدلالة على قوة الاسلام واهله
ووهن الباطل وحزبه ما تحقق صدق قوله ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون وبه يتبين انه الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه او لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد يعلم الاشياء علما شهوديا
يستوى عنده كل غيب وشهادة تحقيق لتلك الاراءة فانها نزلت والمؤمنون
فى غاية الضعف والقلة كنا عن مجاهد والحسن والسدى وعن عطا
ايات الافاق والانفس ما فى اقطار السماء والارض وما فى الانسان
من بدايع الصنع ولطائف الحكم والالتفات الى التكلم لزيادة الاختصاص
تحقيقا لثبوت الاراءة ومعنى يتبين لهم انه الحق اى الله ذاتا وصفة
وقولا وفعلا فهو الحق من كل وجه وانا تبين لهم ذلك تبين حقية القرآن
فانه كلامه ثم قيل ولم يكف بربك شهوده على كل شئ فمنه يشهد الاشياء
على التحقيق لانه استدلال بالمؤثر على الاثر على طريقة البرهان اللمى
وهو اقوى من الاستدلال بالاثر وفى اضافه الرب اليه اشارة الى ان
ذلك ليس للعمل فيه مدخل بل محض عنايته كما اشار اليه جذبة من جذبات
الرحمن توازى عمل الثقلين الا انهم فى مرية من لقاء ربهم لعدم ذلك
الشهود فهم فى ظلمة متكاثفة الا انه بكل شئ محيط علما
وقدرة فمن شهده شهد كل شئ تمت والصلوة على من به دارة الرسالة تمت

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق مقطعات للايقاظ او اسمان لسورة
ولذلك فصل بينهما او ليوافق سائر الحواميم كذلك يوحى اليك والى الذين
من قبلك اى مثل المعانى التى فى هذه السورة اوحى الله اليك فى سائر السور
والى الرسل من قبلك فى سائر الكتب ممتنانا بما فى التكوير من التقرير والتذكير
والدلالة على انها امور مهمة وايثار المضارع حكاية الحال الماضية
لافادة الاستمرار وان اخفاء مثله حقيق به وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح
على ان كذلك مبتدأ وهو خبره والله مرتفع بما دل عليه يوحى كارتفاع
الجلال فى يسبح بفتح الباء كانه قيل من الموحى فقيل يوحى الله على ان قوله
العزيز الحكيم وصفان له او يوقف على من قبلك ويوقف التمام والله مبتدأ
والاسمان بعده خبراه او الاول خبر والثانى نعته او كلاهما نعت والخبر
ما بعدهما وايثار الوصفين للدلالة على انه غالب على امره يختار من يشاء
لرسالته حكيم فى افعاله يوحى الى رسله ما يعباده فيه خير الدارين
له ما فى السموات وما فى الارض خالقهما ومالكهما وهو العلى شانه
العظيم سلطانه تكاد السموات قرأ نافع والكسائى يكدن بالياء و
التانيث اولى لعدم الفصل يتفطرن يتشققن وقرأ نافع وابن كثير

وَالكسائى وحفص بتفطرن بالتاء المفتوحة وتشديد الطاء من التفعل
وهو اولى لدلالة الصيغة على المبالغة الحليقة بالمقام وانفطارها
امام عظمة الله وكبريائه كما دل عليه العلى العظيم او من نسبة الولد
لما ياتى من قوله اءاتخذوا من دونه اولياء وقوله فى سورة مريم تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض اذ دعوا للرحمن ولدا والاول
اولى بالمقام من فوقهن من جهة الفوق كالعرش والكرسى دلالة على
ان كل ما عظم وعلا من الكائنات اخضع للجلال جبروته او من اعالى
سطوحهن فان الكلمة تحتشاء وهو اتخاذ الولد جاءت من تحتهن حيث
اثرت فى جهة الفوق كان تاثيرها فى جهة التحت من باب الاولى والملائكة
يسبحون بحمد ربهم مداومون على تقديسه وتمجيده خاضعين لكبريائه
حامدين على ما اولاهم او يقدسونه عن اضافة الولد اليه حامدين له
على ما عصمهم عن موجبات سخطه ويستغفرون لمن فى الارض اى
للمؤمنين لقوله ويستغفرون للذين امنوا او لاهل الارض قاطبة
خرصا على نجاة الخلق بان لا يعاجلهم بالعذاب عسى ان يتوب المسئ
الا ان الله هو الغفور الرحيم حث على الاستغفار وان الناس
اولى بذلك من الملائكة ولذلك صدر الكلام بحرف التنبيه والذين اتخذوا
من دونه اولياء الله بحفيظ عليهم رقيب فيجازيهم على وفق عملهم
وما انت عليهم بوكيل حتى تكرههم على الايمان وكذلك اوحينا اليك قرانا
عربيا اى مثل ذلك الايحاء اوحينا اليك قرانا عربيا بلسانك تفهمه لتنذر ام القرى
وهى مكة لان الارض دحيت من تحتها فهى اصلها ومن حولها من البر
انذاره وانذر به بمعنى وتنذر يوم الجمع يوم القيمة لاجتماع الخلق
فيه او الارواح والاجساد او العامل وعمله افرده بالذكر لعظمه هو له
وليوقع عليه القطع لانذار صريح لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق
فى الجنة وفريق فى السعير اى مجموعين لذلك لا يجمع عليه والمعنى
بعد الجمع والقضاء ينفرقون ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة
فى الهدى او الضلال ولكن يدخل من يشاء فى رحمته وهم المؤمنون
بالتوفيق والظالمون المتخذون من دونه وليا فى الظاهر ليكونوا
علة لقوله ما لهم من ولى ولا نصير اوعام فيدخلون دخولا اوليا
وتغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد لان الكلام فى الانذار ام اتخذوا من دونه

اولياء انكار لاتخاذهم اولياء من دونه وما بين الاتخاذين اعتراض فالله
هو الولى جواب شرط مقدر اى ان ارادوا وليا بحق فالله هو ذلك الحق
ارشاد الى من يصلح بعد انكار من لا يصلح وفيه شد لعضد الانكار وهو
يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ومن هذا شانه حقيق بالولاية وما
اختلفتم فيه من شئ من امور الدين انتم والكفار حكاية قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحكمه الى الله مفوض اليه ينبئ المحق ويعاقب المبطل
او ما وقع بينكم ايتها المؤمنون من المحكومات فتحاكموا الى ما نسوله او ما اشبه
من الكتاب ردوه الى المحكم او فى المجتهدات بجواز الاجتهاد فى زمانه وحضرته
ذلكم حكم الصديق فى سبايا بنى قتادة على ما رواه البخارى من غير معارض
ذلكم الله ربى عليه توكلت فى امورى واليه انيب فى جل المعضلات
جعل لكم من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا
اناثا للتوالد والتناسل يذروكم يكثركم الذرء والذراخوان فيه
اى فى هذا التدبير والجعل الضمير لما دل عليه الفعل وفى يذروكم تغليب العقلاء
والخطاب ليس كمثله شئ نفى لمن يماثله على طريق الكناية وذلك ان البرهان
دل على نفى مثله فلو كان لمثله مثل كان مثلا له وهذا اسلوب معروف بين
البلغاء يقولون انفعت لذاته وبلغت ترابه وفى المدح بالجود مثلك لا
يبخل ولا فرق بينه وبين قولك انت لا تبخل الا ما تعطيه الكناية من المبالغة
من وجهين الدلالة على موجب عدم البخل والثانى ادخاله فى زمرة من
لا يبخل فهو ادل على عدم البخل وقيل حرف التشبيه للتاكيد والوجه ما تقدم
وهو السميع لكل المسموعات البصير بكل المبصرات تقريرا لنفى المماثلة
له مقاليد السموات والارض خزائنها ومفاتيحها تضمن ذكر سائر الصفات
الذاتية وافراد السمع والبصر لانهما اخص واضاف المعبود من حيث انه
معبود الا يرى الى قول ابراهيم عند تناصح ابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع و
لا يبصر يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق فى وقتين انه
بكل شئ عليم فيغنى ويفقر على حسب علمه شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى تفصيل
لما اوحى اليه والى الذين من قبله وهو باب الالهامات والعقايد التى لا
تبديل لا الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ان اقيموا الدين بدل
من مفعول شرع او استينافى جواب ما ذا شرع ولا تتفرقوا فيه اى فى
هذا الاصل كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبى اليه
من يشاء ويهدى اليه من ينيب الضمير لله والاجتباء الاصطفاء وقدم

على اهل الاهتداء وان اتخذوا في التوحيد لشرفهم او للدين والاجتباء
من الجباية وهي الجمع لانه لما نهى عن التفرق فانه ذلك شاق على المشركين
اردفه بان الله يجمع على دينه من يشاء توفيقه على زعم المشركين والاولى
املاء فائدة لدلالته على ان لله عبادا هم صفوته ولان الاجتباء في الاصطفاء
اظهر والثاني اوفق بالمقام وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
اي لم يتفرق الامم بعد موت الانبياء من لدن نوح الا بعد علمهم ان الفرقة
ضلال وفساد او وما تفرق ابناء الموحدين الا بعد العلم من الانبياء بان
التفرق ضلال لان الناس كانوا بعد الطوفان امة واحدة مؤمنين فاختلفوا
او ما تفرق اهل الكتاب الا بعد ما جاءهم العلم من المبعوث المصدق لكتابهم
امن بعضهم وكفر اخرون بغيا بينهم ظلما فيما بينهم لطلب الدنيا
ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى هي العدة الى قيام الساعة
لقضي بينهم باستيصال المبطل وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
اعقابهم الذين كانوا في عهده لفي شك منه من كتابهم ضموا الى التفرق
الشك في الكتاب الذي هو اصل دينهم وعلى الثالث هم مشركوا مكة اورثوا
القران فهم في شك منه مريب معلق فلذلك فادع اي لاجل تشعب الكفر
في الامم فادع الى الملة الحنيفية القديمة والاتفاق عليها او اشارة
الى مضمون شرع وما يتصل به اي لاجل ما شورك مع اولئك الرسل من
الامر باقامة الدين والنهي عن التفرق فادع واستقم كما امرت على الدعوة
ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب اي كتاب
انزله فانهم امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم ان تحاكمتم
الي فالاول اشارة الى القوة النظرية وهذا الى العملية الله ربنا وربكم
لا اله غيره لنا اعمالنا نجازى بها يوم القيمة ولكم اعمالكم كذلك
تجازون فانظروا لانفسكم لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج لان الحق قد
ظهر والمراد ترك المقاولة الله يجمع بيننا واليه المصير لا الى غيره
والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما احتج
له الناس ودخلوا واستجابوا لله لرسوله بالنصر والوعد باظهار دينه
حجتهم داحضة عند ربهم ساقطة هم المشركون والذين كانوا يصدون
عن سبيل الله بان ما اتى به محمد شعر او سحر وقيل هم اليهود كانوا يقرون
بنبوته ويستفتحون به فلما جاءهم كفروا فان قلت التقييد بقوله من بعد
ما استجيب له يدل على ان قبل لا استجابة كانت حجتهم داحضة قلت لا دلالة
فيه بل انما ذكر اشارة الى فرط جهلهم اذ بعد ظهور تباشير النصر و

وشروق شمس الحق لا وجه للانكار اذا لانكار بعد الاقرار خلافه فهم في
ذلك كالراقم على الماء وعليهم غضب واي غضب ولهم عذاب
شديد ملايم لشدة جهلهم الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
تهديد للكفار بعد ظهور الحق والميزان العدل والمعنى الله الذي انزل
جنس الكتاب مشتملا على الحق وامركم باقامة العدل بينكم وما يدريك
لعل الساعة قريب فبادروا محاسبكم فيه فيوفي المزوق
ويطفف لمن طفف والساعة في تاويل البعث ولذلك قيل قريب او على
تقدير المجيء يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يقولون متى هذا الوعد
والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها غاية الخوف كيف وهو
يوم يجعل الولدان شيبا ويعلمون انها الحق الذي لا مرية فيه يوكد
الاشفاق الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون في وقوعها
من المراء ومن المري يقال مريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجري
فان كلا من المناظرين يستخرج من قريحته ما يقدر عليه لفي ضلال
بعيد عن الحق لتوافق العقل والنقل على وقوعها الله لطيف بعباده
يليغ البر بهم ولذلك اخر العذاب عن منكري الساعة مع تحقق استحقاقهم
واللطف ايصال النفع له موقع بدقه يرزق من يشاء ما يشاء مترتب
على السابق ترتبا لانواع على الجنس فالكل للكل يخص هذا بنعمة وذاك
باخرى وهو القوي العزيز بليغ القدرة الغالب على ما اراد ولما شمل رزق
الدارين قال من كان يريد حرث الاخرة الحرث القاء البذر في الارض
شبه به العمل الذي يطلب به الثواب فان الدنيا مزرعة الاخرة نزد له
في حرثه اي في ثواب عمله الحسنة بعشر امثالها الى ما شاء الله تعالى ومن
كان يريد حرث الدنيا نوته منها شيئا منها وهو المقدر له اذ ليس كل ما يتمناه
يدركه وليذكرنا للمؤمن من الدنيا بحقارته وللانه ليس مرادا له بل وسيلة
الى المراد كائنا بالعرض ومالك في الاخرة من نصيب اذ لم يزرع لها شيئا
ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله من الشرك وانكار
البعث وقصر التضرع على حرث الدنيا الهمزة في ام للتقرير والتوبيخ اضراب
عن قوله شرع لكم من الدين وما في البين اعتراض تتميما للاول وتاخير الاضراب
عنه ليدل على ان ما شرعوه مخالف لشرع الله من كل وجه ولولا كلمة الفصل
اي القضاء السابق بتاجيل العذاب او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة
لقضي بينهم بين المومنين والكافرين او بين المشركين وشركائهم وان
الظالمين لهم عذاب اليم يوم القيمة وكل اي قريب مما هو ال شانه بقوله م

على اهل الاهتداء وان اتخذوا في التوحيد لشرفهم او للدين والاجتباء
من الجباية وهي الجمع لانه لما نهى عن التفرق وان ذلك شاق على المشركين
اردفه بان الله يجمع على دينه من يشاء توفيقه على زعم المشركين والاول
املاء فائدة لدلالته على ان لله عبادا هم صفوته ولان الاجتباء في الاصطفاء
اظهر والثاني اوفق بالمقام وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
اي لم يتفرق الامم بعد موت الانبياء من لدن نوح الا بعد علمهم ان الفرقة
ضلال وفساد او وما تفرق ابناء الموحدين الا بعد العلم من الانبياء بان
التفرق ضلال لان الناس كانوا بعد الطوفان امة واحدة مؤمنين فاختلفوا
او ما تفرق اهل الكتاب الا بعد ما جاءهم العلم من المبعوث المصدق لكتابهم
امن بعضهم وكفر اخرون بغيا بينهم ظلما فيما بينهم لطلب الدنيا
ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى هي العدة الى قيام الساعة
لقضي بينهم باستيصال المبطل وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
اعقابهم الذين كانوا في عهده لفي شك منه من كتابهم ضموا الى التفرق
الشك في الكتاب الذي هو اصل دينهم وعلى الثالث هم مشركوا مكة اورثوا
القرآن فهم في شك منه مريب معلق فلذلك فادع اي لاجل تشعب الكفر
في الامم فادع الى الملة الحنيفية القديمة والاتفاق عليها او اشارة
الى مضمون شرع وما يتصل به اي لاجل ما شورك مع اولئك الرسل من
الامر باقامة الدين والنهي عن التفرق فادع واستقم كما امرت على الدعوة
ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب
انزله فانهم امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم ابن تحاكمتم
الي فالاول اشارة الى القوة النظرية وهذا الى العملية الله ربنا وربكم
لا اله غيره لنا اعمالنا نجازى بها يوم القيمة ولكم اعمالكم كذلك
تجازون فانظروا لانفسكم لا حجة بيننا وبينكم لا احتجاج لان الحق قد
ظهر والمراد ترك المقاولة الله يجمع بيننا واليه المصير لا الى غيره
والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما احتجاجه
له الناس ودخلوا واستجابا لله لرسوله بالنصر والوعد باظهار دينه
حجتهم داحضة عند ربهم ساقطة هم المشركون والذين كانوا يصدون
عن سبيل الله بان ما اتى به محمد شعر او سحر وقيل هم اليهود كانوا يقرون
بنبوته ويستفتحون به فلما جاءهم كفروا فان قلت التقييد بقوله من بعد
ما استجيب له يدل على ان قبل الاستجابة كانت حجتهم ناهضة قلت لا دلالة
فيه بل انما ذكر اشارة الى فرط جهلهم اذ بعد ظهور تباشير النصر و

وشروق شمس الحق لا وجه للانكار اذا الانكار بعد الاقرار حماقة فهم في
ذلك كالراقم على الماء وعليهم غضب واي غضب ولهم عذاب
شديد ملايم لشدة جهلهم الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
تهديد للكفار بعد ظهور الحق والميزان العدل والمعنى الله الذي انزل
جنس الكتاب مشتملا على الحق وامركم باقامة العدل بينكم وما يدريك
لعل الساعة قريب فبادروا مجاسبكم فيه فيوفى لمن وفى
ويطفف لمن طفف والساعة في تاويل البعث ولذلك قيل قريب او على
تقدير المجيء يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يقولون متى هذا الوعد
والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها غاية الخوف كيف وهو
يوم يجعل الولدان شيبا ويعلمون انها الحق الذي لا مرية فيه يؤكد
الاشفاق الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون في وقوعها
من المراء ومن المرى يقال مريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجري
فان كلا من المتناظرين يستخرج من قريحته ما يقدر عليه لفي ضلال
بعيد عن الحق لتوافق العقل والنقل على وقوعها الله لطيف بعباده
بليغ البر بهم ولذلك اخر العذاب عن منكري الساعة مع تحققوا استحقاقهم
والمطف ايصال نفع له موقع بدقه يرزق من يشاء ما يشاء مترتب
على السابق ترتب الانواع على الجنس فالكل للكل يخص هذا بنعمة وذاك
باخرى وهو القوي العزيز بليغ القدرة الغالب على ما اراد ولما شمل رزقه
الزارين قال من كان يريد حرث الاخرة الحرث القاء البذر في الارض
شبه به العمل الذي يطلب به الثواب فان الدنيا مزرعة الاخرة نزد له
في حرثه اي في ثواب عمله الحسنة بعشر امثالها الى ما شاء الله تعالى ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها وهو المقدر له اذ ليس كل ما يتمناه
يدركه ولم يذكرها للمؤمن من الدنيا لحقارته ولانه ليس مرادا له بل وسيلة
الى المراد كانينا بالعرض ومآله في الاخرة من نصيب اذ لم يزرع لها شيئا
ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله من الشرك وانكار
البعث وقصر النظر على حرث الدنيا الهمزة في ام للتقرير والتوبيخ اضراب
عن قوله شرع لكم من الدين وما في البين اعتراض تتميما للاول وتاخير الاضراب
عنه ليدل على ان ما شرعوه مخالف لشرع الله من كل وجه ولولا كلمة الفصل
اي القضاء السابق بتاجيل العذاب او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة
لقضي بينهم بين المؤمنين والكافرين او بين المشركين وشركائهم وان
الظالمين لهم عذاب اليم يوم القيمة وكل اي فريق منهم هول شانه بقوله

ترى الظالمين في ذلك اليوم مشفقين مما كسبوا من وباله وهو واقع بهم
لا محالة اذ قد فات وقت التلافي والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات في ازهر اماكن الجنة واشرافها لهم ما يشاؤن عند ربهم عند تعلق
نصب بالظرف لا بيشاؤن لفوات غرض المبالغة لانك اذا قلت لي عند فلان
ما شئت افاد ان كل مطالبك ثابتة عنده واذا قلت ما شئت عند فلان فهو
ثابت لا يفيد كل حصول مطلوب والاولى جعله خبرا آخر ترقيا
من الادنى وذلك ان الوافد الكريم تتلقاه اولا في ازهر الاماكن ثم يقدم اليه
الذي متناول ثم يقربه رب المنزل وجعله حالا يفيد هذا المعنى ايضا لانه
فضله ذلك هو الفضل الكبير اي ما يعطى المؤمن هو الذي يصغر دونه كل
فضل ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات اي به
حذف الجار ثم العايد او ذلك التبشير الذي تبشر الله عباده وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الياء واسكان الباء وضم الشين مخففا
والتشديد ابلغ قل لا اسألكم عليه اجرا على تبليغ الرسالة الا المودة
في القربى الا ان تودوني لقرابتي منكم وذلك انه لم يكن في قريش بطن الا
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة كذا رواه البخاري عن ابن
عباس لما سئل عن تفسير القربى في الاية وقيل الا التقرب الى الله بالطاعة
وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم عليه اجرا قط لكن اسألكم
المودة وفي القربى حال اي ثابتة متمكنة في حق القرابة وما يروى انها
لما نزلت قيل يا رسول الله من هؤلاء الذين امرنا الله بمودتهم فاطمة وعلي
وابناهما فحديث منكر لان الاية مكية اتفاقا وعلي انما تزوج فاطمة بعد بدر
وما رواه مسلم باسناده الى زيد بن ارقم انه صلى الله عليه وسلم قال في
خطبته اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي ولم يفترقا حتى يردا علي الحوض ففيه كفاية في ايجاب حب
اهل بيته واجلال قدرهم واينارهم على الارواح والمهج واذا كان الحب
في الله بين المؤمنين من الايمان فكيف بحب ذرية اللهم اني احبهم واحب
من يحبهم اللهم ابقني على محبتهم واحشرني في زمرتهم اللهم اشدد وطأتك
على من اوهم واوهن واهم ومن يقترف حسنة يكتسب طاعة وعن
السدي هي المودة في القربى والحق عمومها لكن يناولها اولى لانضمامها بها
نزد له فيها حسنا لمضاعفة ثوابها ان الله غفور لمن اذنب شكور
مجاز عن اعتداده بالطاعة ام يقولون افترى على الله كذبا اضرابا اخر
اظلم من الاول فان شرع الشركاء لهم الذين وان كان شرا الا انه لا يبلغ

فحشه رتبة الافتراء على الله من مدعي الرسالة والاستفهام للتوبيخ كانه
قال ايقدرون على اجراء هذه الكلمة على افواههم ولا يخافون ان تصيبهم
قارعة من السماء فان يشاء الله يختم على قلبك لتكون مثلهم اشارة الى
ان القربة التي اليه تعالى شان من كان مختوما على قلبه وفيه تعريض بهم
ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف يؤكد مفهوم السابق
اي كيف يكون افتراء وعادة الله القذف بالحق على الباطل وازهاقه وما
ما اتى به يزداد كل يوم فهو الحق الذي يؤيده بوحيه او قضاياه وقيل هو
عدة لرسول الله بالنصر ومحق باطلهم بالقرآن فهو اعتراض يؤكد كونهم
مبطلين في نسبة الافتراء الى من هو اصدق الناس لهجة جاء باصدق حديث
من اصدق متكلم وعن قتادة يختم على قلبك بقطع الوحي عنك او بربط
الصبر على قلبك حتى لا يشق عليك قولهم فيك انه عليم بذات الصدور
مضمراتها فيجازيهم على ما اضمروا من بعضهم وحسدهم اياك فضلا عما
اظهروه وهو الذي يقبل التوبة عن عباده لما عظم جرمهم دعاهم الى
التوبة اشارة الى ان الذنب وان عظم فعفوه اعظم واضافهم اليه
ايماء الى انهم لم تخرجوا بالذنب عن حوطته ولم تنقطع بذلك العلاقة
وحقيقة التوبة الاقلاع عن الذنب خوفا منه تعالى واما الندم على الماضي
والعزم على ان لا يعود فمن شرايطه ويعفو عن السيئات لمن يشاء
صغيرها وكبيرها الا لمن استثناه من الشرك ويعلم ما تفعلون من خير
وشر وقرأ جعفر وحمزة والكسائي بتاء الخطاب التفاتا مقيلا عليهم
ليكون ادعى لهم الى الرجوع ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
بحذف الصلة وايصال الفعل او دعاءهم بحذف المضاف ويزيدهم
من فضله زيادة على ما سألوه وقيل لاستجابة فعل المؤمنين حين دعاهم
الى التوحيد وما يروى عن ابراهيم بن ادهم قدس سره انه قيل له ما لنا
ندعو فلا نجاب قال لانكم دعيتم فلم تجيبوا لم تقرأوا والله يدعوا الى دار السلام
ويستجيب الذين امنوا بؤيده وهو من قبيل كاد يضيء تكاد ومن نقرب الي
شبرا تقربت اليه ذراعا ويزيدهم من فضله على هذا معطوف على معنى اي
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما
للمؤمنين من النعيم ولو بسط الله الرزق لعباده بان يفيض عليهم فوق
حاجتهم لبغوا في الارض لافسدوا فيها بطرا واشرا فان المال مبطرة
ما شرة وكي بحال قارون عبرة وفي الحديث والله لا افقر اخشى عليكم
ولكن اخاف ان يبسط عليكم فتنافسوا فيها كما تنافسوه من قبلكم وفيه

عنه تعالى من عباده من لا يصلح له الا الفقر والمراد البغي الذي يخل به
النظام فلا يرد ان البغي كائن والحالة هذه ولكن ينزل بقدر ما يشاء
بمقدار جرت به المشية واقتضته الحكمة انه بعباده خبير بصير يعلم
بواطنهم وظواهرهم تقرير للسابق وهو الذي ينزل الغيث المطر
النافع الذي يغيثهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد من بعد
ما قنطوا ايسوا لبعد العهد وعدم ظهور العلامات وينشر رحمته
بركات الغيث ومنافعه او رحمته من سائر الوجوه قيل شكى الى عمر قحط
المطر فقال مطروا واشار الى الاية وهو الولي الحميد المستحق
ان يحمد ومن اياته خلق السموات والارض دلائله الدالة على انه صانع
حكيم وما بث فيهما من دابة ما مرفوع او مجرور اي من اياته ما بث او خلق
ما بث وقيل نسبة الدابة الى السموات والارض مع اختصاصها بالارض
نسبة اللؤلؤ والمرجان الى العذب والاجاج وكقولهم بنو فلان فعلوا كذا ولا داعي
الى هذا الوجود الدواب فيها حقيقة دل عليه حديث البراق وكبش اسمعيل
ومراكيب اهل الجنة وهي كائنة الان في السماء وهو من مفردات القرآن لسنا
السورة على بيان كمال الاقتدار وفي تعليبها على العقلاء اشارة الى كثرة
الانواع والاصناف وما يعلم جنود ربك الا هو وهو على جمعهم اذا
يشاء قدير اي وقت اراد واذا يدخل المضارع دخولها على الماضي كقوله
والليل اذا يغشى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم من المعاصي
فتلك كفارة لها وعن بعض العارفين اذا آرتكبت معصية اعرف اعرف ذلك
من خلق دابتي وذكر الايدي لان اكثر الاعمال بها وقرأ نافع وابن عامر
بدون الفاء لان ما الموصولة لا يستلزمها فيوتى بها تارة ويحذف
اخرى خطا للمشبه به مع ما يفيده الباء من معنى السببية
والنظم لا تدل على الحصر فما يصيب اهل العصمة كالانبياء والاطفال
فلرفع درجاتهم ودرجات آبائهم بالصبر ويعفو عن كثير لا يواخذ به
وما عفى عنه فهو اكرم من ان يرجع عن عفوه ولذلك قال علي رضي الله
عنه هي ارجى اية وما انتم بمعجزين في الارض بفائتين لما قضى عليكم
وما لكم من دون الله من ولي يتولى امركم ولا نصير يدفع عنكم ما قضاه
فلولا لطفه بكم لما عفى عن كثير ومن اياته الجوار في البحر من اياته كما
اقتدارة السفن الجارية في البحر مسخرة تحت امره كالاعلام كالجبال كقوله
الجنساء كانه علم من فوقه نار ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على
ظهره اي يصرن واقفات على ظهر البحر من ركد الماء سكن ان في ذلك

التصرف لايات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن لانهما صفتا حالتي
الضراء والسراء او يوبقهن بما كسبوا يهلك الستفن بسبب معاصيهم
عطف على يسكن الريح وايقاع الايباق عليها مع ان الغرض ايباقهم للدلالة
على ان شؤم معاصيهم قد سرى الى تلك الجمادات ويعف عن كثير عطف
على يوبقهن بمعنى ان يشاء يهلك بالريح العاصفة ما يشاء ويتجاوز
وقيد الكثرة في مقام الانتقام اشارة الى سبق رحمته ويعلم الذين يجادلون
في اياتنا ما لهم من محيص استينافا او عطف على مجموع الشرطية كانه
قال يعترف باياتنا المتدبرون ويعلم المجادلون فيها ما لهم من محيص او على
ومن اياته الجوار وما بينهما اعتراض مما يدل على وعيد المجادل فيها مع الالتفات
الى استقبال تلك الاية اياتنا وقرأ نافع وابن عامر بالنصب عطفا على تعليل
مقدر نحو لينتقم منهم وكم مثله في القرآن نحو ولنجزي كل نفس وقدر
الزجاج ان ناصبه ولم يستحسن سيبويه تقديران بعد الواو والفاء في مثل
ان تاتني فتحدثني واكرمك او فاكرمك لكونه عدولا عن الاصل بلا فائدة
فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله من الثواب خير
افضل وابقى وادوم للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون عن علي رضي الله
عنه كان عند ابي بكر مال فتصدق به فلامه المسلمون فنزلت والذين
يجتنبون كبائر الاثم والفواحش عطف على للذين امنوا وكذا ما بعده اي
الكبائر من هذا الجنس وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم اي الشرك لما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما او الجنس او لان فعيلا يقع موقع الجمع نحو
وحسن اولئك رفيقا والجمع اظهر واذا ما غضبوا هم يغفرون اي هم
اخصاء بالغفران والتجاوز عن المسيء اذ لا يغتال احلامهم الغضب
والذين استجابوا لربهم في قاموا الصلوة نزلت في الانصار لما دعاهم
رسول الله بعد ان دخلوا في الاسلام فلم يجبوه وامرهم شورى بينهم
ذو شورى بمعنى التشاور وكانوا على ذلك قبل بعد رسول الله فذلك
عطف الاسمية على الفعلية وانما يحمل الامر نفس الشورى ومما
رزقناهم ينفقون اي يعضه في وجوه البر والذين اذا اصابهم البغي
هم ينتصرون اي هم مخصوصون بالانتصار وهو الاقتصار على قدر
الاستحقاق دون غيرهم فانهم يعدون لا انهم ينتصرون اذ لا يغفرون
لما تقدم وجزاؤ سيئة سيئة مثلها والثانية سيئة لانها تسوء
من تنزل به وقيل للازدواج وفيه اشارة الى ان طريق الانتصار يجوز ان يسلكه
المعتاد لانه انما يشرط رعايته الاحتياط وهي عسرة ولذلك فرع عليه

فمن عفا واصلح تجاوز عن خصمه واصلح ما بينه وبينه فاجره على الله
لا يفاد رقدر انه لا يحب الظالمين فليحذر المنتصر عن التجاوز لئلا
يدخل في زمرة الظالمين فقد ارشدنا الى ايثار الاحسن على ابلغ وجه ولمن
انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل لانه مولى الحسنى الحسنى
لا عتب عليه بترك الافضل لاحالا ولا مآلا انما السبيل على الذين
يظلمون الناس ابتداء مستمرين عليه ويبغون في الارض بغير الحق
يتكبرون ويفسدون اولئك لهم عذاب اليم على بغيهم ولمن صبر وغفر
لمن ظلمه ان ذلك لمن عزم الامور الامور المطلوبة المرغوبة وهذا اذا
لم يزد طغيان الظالم بالعفو عنه لما روى عروة بن الزبير عن عايشة رض
دخلت على زينب وهي غضبى فاغلظت الكلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اقبلت علي فاعرضت عنها حتى قال رسول الله دونك فانتصري
فامضيها حتى يبس ريقها في فيها ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
متولى امره عطف على اولئك لهم عذاب اليم كنى به عن الظالم تسجيلا عليه
بالضلال وما في البين اعتراض تحذيرا عن الظلم وترى الظالمين لما رأوا
العذاب يرونه والماضي لكونه لازم التحقق والخطاب عام يقولون
هل الى مرد من سبيل الى الدنيا وترهم يعرضون عليها على التدلل
عليه العذاب خاشعين من الذل متخفضين لما يلحقهم من الذل ينظرون
من طرف خفي من بين الاجفان كالمصبور اذا نظر السيف وقال الذين
امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب
يوم القيمة يتعلق بالخسران على ان قول المؤمنين في الدنيا او بالعكس
على طريق التشاتم بينه وبين الخسران والاصل انهم والعدول الى المنزل
للتسجيل عليهم بكمال الخسران والقول كالرؤية وان كان عاما الا انه
اسند الى المؤمنين لانتهاجهم بالنجاة الا ان الظالمين في عذاب مقيم
دائم من كلام المؤمنين او تصديق من الله وما كان لهم من اولياء
ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى
او النجاة استجيبوا لربكم اذ لم يبق في البيان موضع اشتباه من قبل
ان ذلك في يوم لا مرد له من الله صلة مرد اى بعد ما قضى به لا يرده او
متعلق بيأتي اى اذا اتى لا يقدر احد على رده ما لكم من ملجاء يومئذ
وما لكم من نكير انكار لما يحدى وذلك بعد شهادة الجوارح عليهم فان
اعرضوا بعد الدعاء عن الاستجابة فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا
تضبط اعمالهم حتى تحاسبهم على هذا سهم ان عليك الا البلاغ وقد فرغ به

قيام الايد وان اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها فرح بطر لاستبشاء
بما تفضل به متلقيا اياه بالشكر وان تصبهم سيئة اى فقر في المال او
في البدن بما قدمت ايديهم لشؤم ما اكتسبوا من الكفر والمعاصي فان
الانسان كفور بالغ في الكفران والمراد به المجرم لما تقدم فاللام للعهد
وانما اوقع موقع المضمر للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بالكفران من شأنه
قوله ان الانسان لظلوم كفار وايثار اذا في الحسنة وان في السيئة
وشيوعها وندرة السيئة ووقوعها لله ملك السموات والارض
يذيق تارة الحسنة واخرى السيئة كما يشاء بيده الالاء والبلاء و
فيه اشارة الى انه كان يجب عليه عند اذاقة الرحمة الاستكانة شكرا
لمواليها لا البطر والاشر وعند اذاقة ضدها الرجوع بالتوبة الى
ميلها لا الجزع والكفر يخلق ما يشاء احوال الكائنات من الالاء
والبلاء ثم بيّنه بامر مسلم لا يمارون فيه قال يهب لمن يشاء اناثا
ويهب لمن يشاء الذكور ولما كان الكلام فيما لا يهواه الانسان ولم يكن
عندهم بلاء اعظم من الاناث وحديث واد البنات اصدق شاهد قدم الاناث
وجبرما فات الذكور من رتبة التصدير بان عرف اشارة الى انه الحاضر في
خواطرهم اول كل حاضر ثم اعطى بعد انقضاء هذا الوطر كلا منهما حقه
بقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا ولم يعد لفظ المشيئة لتركه من الاولين
واعاد في قوله ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له اصلا لانه قسيمهما
انه عليم قدير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء يشير الى انه كما خص من شاء ما شاء
من الاناث والذكور كذلك تكليمه لخواص البشر اطوارا على مقتضى المشيئة
والظاهر الحصر في الاوجه الثلثة واراد بالوحي ما يعم الالهام كالام موسى
والمنام كالابراهيم ومن وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل رسولا ملكا
كاكثر احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم او رسولا من البشر الى الامم
وهو الرسل ووحيا وان يرسل ومن وراء حجاب احوال من فاعل يكلمه
او مفعوله او الثلثة موضوعة موضع كلاما لان الوحي كلام خفي
والارسال كلام على السنة الرسل او التقدير بان في الثلثة هذا وليس
في الاية دليل لثبت الرؤية ولا لنافيها بلى انها لو وقعت لم يكن في احد
الاحوال الثلثة وعليه الكمل الواصلون اذ في مقام الشهود يرتفع حجاب
المخاطبة لكون البقاء فيه تعالى وفي ايرادها وعلى اسلوب الترقي وقراءة
نافع او يرسل بالرفع خبر مبتدا اى هو يرسل وكذا فيوحي انه علي

متعال فى ذاته وصفاته وافعاله فلذلك كان كلامه على النعت المذكور
حكيم يضع كل شئ موضعه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
كما علمناك مراتب الكلام اوحينا اليك القران الذى تحيى به القلوب الميتة
بداء الجهل وقيل هو جبرئيل ارسل بالوحى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا
الايمان اى شرايعه وتفاصيله اذ كان اكمل المومنين قبل النبوة اما عقلا
بالاجتهاد او بشرع او نفس الايمان فان الذى نفى هو العلم به لا وجوده
ولا تلازم بينهما ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا
بالتوفيق وانك لتهدى الى صراط مستقيم لا عوج فيه صراط الله هو
شرعه الذى شرعه لك الذى له ما فى السموات وما فى الارض ومن يكون
هذا شانه صراطه اقوام السبل الا الى الله تصير الامور
ويرى كل جزاءه تمت الشورى والحمد لله فى الاخرة والاولى

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا
اقسم بالقران على انه جعله قرانا عربيا وهو من بدايع الايمان للتناسب
الظاهر وللاشارة الى انه لاشئ اعلى منه يقسم به ولا اهم من وصفه
فيقسم عليه مثله قول ابى تمام وثنايا كانها اغريض المبين الواضح لمن تدبر
او الموضح طريق الهدى وما يحتاج اليه فى الدين او باعجازه صدق المرسل
وجعل بمعنى صير معدى الى مفعولين او خلق فالى واحد وقرانا عربيا حالان
والاول اوفق اذ لم يقع الكلام فى كونه مخلوقا بل فى كونه واردا على
اسلوب كلام هم ليدركوا اعجازه لعلكم تعقلون لكى تفهموا معانيه
وانه فى الكتاب فى اللوح لانه اصل الكتب منه تنقل وقرا حمزة والكسائى
بكسر همزة ام القران لدينا لعلى شانه ذو شرف او غال على سائر الكتب باعجازه
او عن تطرق التحريف ووجوه الفساد انه لحافظون حكيم ذو حكم
او محكم لا ينسخ ابدا وهو خبر اول وفى ام الكتاب يتعلق بهما والام
غير منعة لاتساع المظروف ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب
عنكم الذكر صفحا عطف على مقدر اى ندركم وندوذ عنكم انزال القران
وتنحيته تمثيل شبه حال الذكر وتنحيته بحال غريب الابل وذودها كقول
طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والمعنى
انكار ان يكون الامر على خلاف ما تقدم من انزال القران عربيا ليعقلوه

وصفحا مصدر من غير فعله او حالا اى صافحين او مفعول له او ظرف بمعنى
الجانب اى ننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين لان كنتم وقرا نافع
وحمزة والكسائى ان بالكسر شرطا لقصد التحقيق وان كان العلم بكونهم
مسرفين قطعيا كقولك لاجيرك ان عملت فاعطيتك حقك وكم ارسلنا من نبى
فى الاولين فى الامم وما ياتيهم من نبى حكاية الحال الماضية دلالة
على استمرارهم الا كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشا من
المسرفين صرفا لخطاب عنهم بعد الانكار ومضى مثل الاولين قصتهم
وحال ما نزل بهم من الامر الغريب الذى ينبغى ان يسير مسير المثل وينزل
بهؤلاء مثله سنة الله فى الذين خلوا من قبل وقيل مضى سلف فى القران
ذكر قصتهم فى مواضع ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم الوصفان وما بعدهما من الصفات من كلامه
تعالى لقوله الذى جعل لكم الارض مهدا ولقولهم خلقهن الله فى مواضع
والمعنى ليسندن خلقها الى الموصوف بهذه الصفات كما انا سميت لخاطبك
رجلا باسمه العلم ليبلغه عنك كلاما فسماه عند التبليغ بلقبه الدال على
المدح وقيل هما من كلامهم وما بعده استيناف الذى جعل لكم الارض
مهادا فراشا وقرا الكوفيون مهدا اسم لما يمهد راجع الى الاول وجعل
لكم فيها سبلا طرقا تسلكونها للقضاء الاوطار وما يوصلكم بالتدبر
فيها الى الصانع ووحدانيته لعلكم تهتدون لكى ترشدوا والذى نزل
من السماء ماء بقدر بمقدار وحدا قتضته الحكمة لا افراط ولا تفريط
فانشرنا به بلدة ميتا غلبها اليبس وفارقها النضارة فالتماء وتذكير
ميتا باعتبار المكان كذلك تخرجون من القبور اذ كل منهما نوع حياة
وانما وسط بين الصفات اهتماما لكونها الغرض المسوق له الكلام وليكون
محاطا بالادلة واشارة الى انه كلام من السابق واللاحق كاف على حياله
دليلا وقرا حمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء والذى خلق الازواج
كلها بالاصناف بلا واسطة وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
تركبونه يقال ركب فى الفلك وركب الانعام على التعدى لقوته وتقديم الفلك
لكونه اعرف فى كونه نعمة لتستووا على ظهوره ظهر المركوب تصغيرا باعتبار
اللفظ ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه بالسنة والقلب وافراده
اثره على الحمد والمراد مقابلة تلك النعمة بالشكر وفى ثم اشارة الى انه لا
يفوت وقته بالتراخى لوذهل عند الركوب وتقولوا سبحان الذى سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين مطيقين لولا تسخيره اصله من القران وهو الجمع

ومنه الاقتران لاجتماعهم في الزمان والصفات عن علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بدابة فلما اراد
الركوب قال بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين ثم ضحك فقلت مما تضحك يا رسول الله قال تعجب الرب
من عبده اذا قال رب اغفر لي فيقول علم عبدي ان له ربا يغفر الذنوب
وانا الى ربنا لمنقلبون بعد الموت تذكرة لسيره الحقيقي وركوب الجنازة
ولانها حالة اضطرار وللنفس في ذلك الوقت شموخ فيذكرها الموت
والرجوع اليه تعالى حافيا عاريا لا مركب له سوى العمل الصالح هذا في
ركوب الدابة ويقول عند ركوب السفينة بسم الله مجريها ومرسيها
وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم حال من فاعل
ليقولن اي بعد ذلك الاعتراف المنافي لهذا القول اذ تكبوه ولم يخشوا
وصمة التهافت والتناقض وهو قولهم الملائكة بنات الله وعبر بالجزء
لان الولد بضعة من ابيه كقوله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني
وفيه اشارة الى استحالة مقالتهم لان الواحد الحقيقي لا يعقل له جزء
بوجه وقرا ابو بكر باسكان الزاء وهما لغتان كالكفر والعقب ان الانسان
لكفور مبين ظاهر الكفران ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين
انكار وتعجيب من فرط جهالتهم حيث اثبتوا له اخس الصنفين ثم بين ذلك
بقوله واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالبنات سماه مثلا لانه
بلغ في الفظاعة الى حيث جدير بان يسير مسير الامثال ظل وجهه مسودا
صار اسود غاية من شدة الحياء وهو كظيم مملوء غيظا او كاظم على غيظه
او من ينشو في الحلية وهو في الخصام غير مبين انكار اخر اشد من الاول
لشرح حال ذلك الاخير والمعنى جعلوا له من يربى في الزينة والحال انه
لا يقدر على اقامة برهان عند الجدال والمحاجاة فالاول اشارة الى ضعف البنية
والثاني الى نقصان العقل وقلما تصدت امراة الى محاجة الا اتت بما هو
عليها وقرا حمزة والكسائي وحفص ينشو بضم الياء وتشديد الشين وهو
اولى لدلالته على زيادة الاحتجاج وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا اي جعلوا عبادة الملائكة والملائكة اعلى المقربين اناثا مع ان اذنى
مخلوق يستنكف من هذا الاسم والغرض من ذكره على وجه الاعراض الدلالة
على ان ما هم عليه من اعتقاد الولدية مثل ما هم عليه من اثابت الملائكة وانه
مع عدم ملاحظة نسبة الولدية اليه في نفسه كفر عظيم وتحقير لما عظمه
الله وافتراء على سكان ملكوته وفي العباد ايماء الى تكذيبهم وقرا نافع وابن

وابن عامر وابن كثير عند الرحمن كقوله الذي عند ربك والمراد قربهم ورتبة
وهذا ابلغ ذما اشهدوا خلقهم وذلك لم يكن قط ولا دليل لهم عقلا
ولا يساعدهم فقل فليس ذلك الا افتراء وقرا نافع اشهدوا بزيادة
همزة مضمومة مسهلة كالواو وسكون الشين ولقالون عنه وجه اخر
هو الفصل بينهما بالالف ستكتب شهادتهم على الملائكة اي كتبت لا
محالة والسين للتوكيد ويسالون سؤال تقريع وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم قالوه استهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين لما تقرر
ان لا كائن دون مشيته هذا والحق انهم لم يكفروا بمجرد قولهم ان الكفر
بمشيته تعالى بل لقولهم انه اذا شاء ذلك لا يجوز منه الامر بالايمان ولذلك
جهلهم بقوله ما لهم بذلك من علم لاعتقادهم عدم الانفكاك بين
الامر والارادة مع تحققه ان هم الا يخرصون يكذبون ويجوز ان يكون
الاشارة الى جميع ما سبق من قوله وجعلوا له من عباده جزءا والاول
اقرب للقرب والتعقيب كل بانكار مستقل ولطباقه ما في الانعام
ام اتيناهم كتابا من قبله ابطال لطريق النقل في ذلك بعد ابطال طريق
العقل فهم به مستمسكون معتصمون لا يقدرون على تركه بل
قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون اي ليس لهم
في ذلك دليل عقلا او نقلا بل مبنى امرهم على تقليد اباءهم الضالين
والامة الطريقة التي تقصد من امه كالرحلة لمن يرحل اليه ثم اشاروا
الى ان هذا الضلال طريقة اسلافهم في تكذيب الرسل بقوله وكذلك
ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على اثارهم مقتدون وفي ذكر المترفين تنبيه على ان غيرهم اشد
الى اتباع المتنعم موجبا لبطالته وعدم النظر في العواقب او لان غيرهم اتباع
لهم لقوله صلى الله عليه وسلم لهرقل فان توليت فعليك اثم الاريسيين
قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتقتدون بهم ولو جئتكم
بما هو اهدى من دين اباءكم وهذا على زعمهم اذ لا هداية من اباءهم
المخاطب رسول الله او النذير ويؤيده قراءة ابن عامر وحفص قال فالوا
انا بما ارسلتم به كافرون كاية عن الثبات على دين اباءهم لانهم كانوا
بما ارسلوا به فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين فتامل
وتسل فانك سترى مثله فيمن كذلك واذ قال ابراهيم لابيه وقومه
اذكر لقومك وقت قوله لاعمته انني براء مما تعبدون من الاصنام
كيف ترك التقليد وتبرا منه وهم يفتخرون بالانتماء اليه فهلا اتبعوه

وهباتهم لا يرعوون عن تقليد الاباء فكان تقليد الاباء لا بالافضل الاعلم اولى
واخلق وبراء كسماع مصدر وصف به الا الذى فطرنى استثناء منقطع
او متصل لشمول المعبود الحق والباطل ويجوز ان يكون بدلا لا ادة معنى
قوله انتى برآء مما تعبدون لا اعبد ما تعبدون فانه سيهدين يثبتنى
على الهداية او يزيدنى وجعلها كلمة باقية فى عقبه اى كلمة التوحيد
كقوله ووصى بها ابراهيم بنيه او الضمير لله لعلهم يرجعون يرجع
المشرك عن الاشراك بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء واباءهم بطول
العمر وبسط الرزق والعافية فاشتغلوا به عن التوحيد والتفكر فى
دلائله حتى جاءهم الحق ورسول مبين واضح الرسالة بالمعجزات ولما
جاءهم الحق اى القرآن قالوا هذا سحر وانا به كافرون اى لما جاءهم
الرسول بالحق لينبههم عن سنة الغفلة ويزجرهم عن ارتكاب ما فى الالذاذ
عكسوا فجعلوا ما هو سبب للتنبه موجبا للتوغل فضموا الى الشرك
والغفلة هذه القبايح بعد مجئ ما يقلعه عن اصله وقالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم بابا خر من كفرهم اخذوا فى
التحكيم والاعتراض على العلام الخبير كانهم ينكرون ان يكون الرسل من
البشر فلما تكرر عليهم الحجج فاسكوا امر النبوة على خطوط الدنيا اى لو كان
الامر كذلك كان اللايق بهذه الرتبة رجل من مكة او من طايف ذو مال
وجاهة قيل اراد والوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى وقيل
الوليد وحبيب بن عمرو الثقفى وقيل عتبة بن ربيعة وابن عبد ياليل وعن
ابن عباس رضى الله عنه جبار من جبابرة قريش وهذا اظهر انهم يقسمون
رحمة ربك وهى النبوة انكار وتعجب من تحكمهم نحن قسمنا بينهم
معيشتهم فى الحيوة الدنيا اما يعيشون به ويتمتعون ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات فى المال والجاه والقوة والضعف فمنهم الموالى ومنهم
الخدم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يسخره فى اشغاله ويستعمله فى خدمه
واعماله حتى يتم التظام ويحصل بينهم التالف والتضام واذا كانوا عاجزين
المتزل عاجزين عن تدبير الدارين واختيار من يكون واسطة بين الله
وبين عباده ورحمة ربك النبوة والدين خير مما يجمعون من الحطام
الفانى ثم حقر شان ما هم فيه من الدنيا وزخارفها بقوله ولولا ان يكون
الناس امة واحدة فى الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة ومعارج جمع معرج وهى المصاعد عليها يظهرون الى العلالى
والسطوح وانما انتفى الثانى لوجود الاول وهو كراهة اجتماع الكل

على ملة الكفر المتناهى فى الحكمة لبيوتهم بدل اشتمال وقرا ابن كثير وابو عمرو
سقفا بفتح السين مفردا لدلالة جمع البيوت ولبيوتهم ابوابا وسررا
عليها يتكئون ترفها وزخرفا اى ولجعلنا لهم زخارفا من الذهب
فى كل شئ من الاوانى والالات ويجوز عطفه على محل من فضة اى بعضها
ذهبا والغرض تحقير زهرة الدنيا وفى معناه قوله صلى الله عليه وسلم
لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا شربة ماء
وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا شئ يتمتع به ان هى المخففة والا
هى الفارقة وقرا حمزة وعاصم وهشام بخلاف عنه لما بتشديد الميم
بمعنى الا وان نافية والاخرة عند ربك للمتقين الكفر والمعاصى
ومن يعش عن ذكر الرحمن يقال عشى الرجل اذا صار لا يبصر بالليل دون
النهار فهو اعشى واذا نظر نظرا لا عشى ولم يكن به افة يقال عشى
يعشو نقيض له شيطانا يزين له المعاصى ويوسوس اليه فهو له قرين
مصاحب ملازم وانهم اى الشياطين ليصدونهم عن السبيل الطريق
الموصل الى الله وجمع الضمير لارادة الجنس لقوله وقيضنا لهم قرناء و
يحسبون انهم مهتدون باتباع الشياطين كذلك يضل الله من يشاء
حتى اذا جاءنا الغاشى وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وابو بكر بلفظ
المثنى اسنادا للفعل الى القرينين والاول اولى لان الاتى قصدا هو الغاشى
يريده قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين القائل هو الغاشى والمعنى
بعد المشرق من المغرب لانه غاية البعد لا بعدهما من شئ اخر فاقتصر
لامن اللبس وفيه تغليبا لاشرف فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم
اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون اى لا ينفعكم اشتراكم فى العذاب كما
ينفع الواقعين فى بلية اشتراكهم يحمل الاعباء وتقسيم العناء لان كلا
منكم قد حمل ما لا يبلغه طاقته او لا ينفعكم هذا التمنى لان حقكم ان تشركوا
فى العذاب كما اشتركتم فى سببه وانكم تعليل او ليس لكم ما يجده المكروب
من الروح والتاسى اذ رأى من شاركه فى العذاب كقول الخنساء اعزى النفس
عنه بالتاسى واذ بدل من اليوم بتقدير مضاف اى تبين او صح افانت تسمع
الصم او تهدى العمى انكار وتعجيب من ان يكون له القدرة على ذلك فانه
من خواص مقام الربوبية وفيه مدح له حيث بالغ فى تحصيل هداية تهم الى
ان بلغ هذا الحد شبههم بالاعشى نظرا الى البداية وحكم بالصمم والعمى
بعد التمرن ومن كان فى ضلال مبين مستغرقا فيه لا يرجى خلاصه عطف
على العمى باعتبار الوصف وفيه اشارة الى ان ذلك لا يستغرق وهو علة

العمى والصمم فامالنذهبن بك قبل نصرك واهلاكهم فانا منهم منتقمون
اشد انتقام في الاخرة لامحالة او نرينك الذي وعدناهم او نتجرفي
حياتك العذاب الموعود لهم فانا عليهم مقتدرون لانهم تحت ملكتنا
لايفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك سواء عجلنا لك الظفر او
اخرنا لانتجزع ولتمسك بما اوحي اليك وتصلب على الحق كما تصلبوهم على الباطل
انك على صراط مستقيم استيناف في موضع التعليل وانه لذكر لك ولقومك
اي القرآن مع كونه هاديا الى سبيل السعادة شرف لك ولقومك في الدنيا
وسوف تسألون عن مقابلتكم اياه وهل وفيتم بحقه واسأل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا كان انكارهم عليه انه ينهى عن عبادة الاوثان اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب فاستشهد عليهم باجماع الرسل
على التوحيد وانه شرع قديم والمراد سؤال اتباعهم الذين امنوا كقوله
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون هل اذنا بذلك في ملة من الملل
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه ففالا
اني رسول رب العالمين كما قلت فكذبوه كما كذبوك وافتخروا بما اوتوا
من زهرة الدنيا كما افتخرت قريش فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون
اي فاجاؤا وقت مجيئها الضحك من غير تامل ليظهر لهم الصدق من الكذب
ولذلك لم يصفها بالبينات لان فائدة ذلك انما تظهر لمن تدبر وما
نريهم من اية الا هي اكبر من اختها احتالا بانه ما يكون مثلها ولما كان
في سياق النفي افاد ان كل واحدة اكبر من التي قبلها فانظر الى فرد فرد
مفصلا وان لوحظ الكل يتوقف كقوله لاغاربة في بيتها الكلمة وقول
الحماسي من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي تسري بها الساري
والمعنى ان الكل موصوفات بالكبر لاتفاوت بينها في افادة المقصود
على التمام واخذناهم بالعذاب الطوفان وما عداه اجمله لانه يقصد
ببيان كفرهم لابيانه لعلهم يرجعون لكي يرجعوا وقالوا يا ايها الساحر
ادع لنا ربك بما عهد عندك من النبوة او من استجابة دعائك او كشف
العذاب عمن امن بك او بما عهد اليك من الايمان والطاعة فوفيت
انا لمهتدون لاجلنا في هذا نسبتهم اياه ساحرا لانهم لغطوا جريا تهم
سبق لسانهم الى ما تعودوا به اولان السحر كان عندهم فضيلة يسمون
العالم الماهر ساحرا وقيل كان هذا من خماقتهم وقيل قولهم انا لمهتدون
وعد منوي فيه الاخلاف فلذلك سموه ساحرا وكلاهما بعيد اذ حالة

التضرع بنا في اظهار الاخلاف والحمق فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم
ينكثون فاجاؤا نكث عهدهم ونادى فرعون في قومه لما حشرهم
او امر هامان بنادى في المجلس والاسواق والاستاد مجاز يا قوم اليس لي
ملك مصر تفسير للنداء وهذه الانهار تجري من تحتي تحت امري
او قصري او بين يدي في جناني وخدائقي الواو واما عاطفة للانهار
على الملك فتجري حال عنها او هذه الانهار مبتدا موصوف وتجري
هو الخبر افلا تبصرون امرا نا خير ام متصلة وذلك انه لما قدم
ذكر اسباب التقدم عقبه بافلا تبصرون اشارة الى انه من الوضوح بحيث
لايخفى على ذي بصر ثم وضع انا خير مكان ام تبصرون دلالة على ان هذا
الشق هو الواقع كانه يحكيه على لسانهم وقيل هو من اقامة المسبب مكان
السبب لانه تلك الاسباب سبب ان يقال فيه انت خير وقيل لان علمهم
بانه خير مستفاد من الابصار من هذا الذي هو مهين يريد موسى من المهانة
وهي القلة ولا يكاد يبين لا يقرب من بيان المقصود وارد ما كان به
من الرثة فلولا القي عليه اساورة من ذهب كاية عن اسباب الملك فانهم
كانوا اذا ملكوا رجلا سوروه وطوقوه وقرا حفص اسورة جمع سوار
وقراءة القوم اساورة جمع الجمع اوفق لان المعنى على الكثرة او جاء معه
الملائكة مقترنين حافين به يعينونه ويصدقونه فاستخف قومه استخف
احلامهم واستزلك عقولهم فاطاعوه وعن الرشيد لما تلى اليس لي ملك
مصر قال لا ولينها احسن عبيدي فولاها خصيا وكان على وضوئه وعن
عثمان الله بن طاهر لما ولي مصر سار اليها فلما اشرف عليها قال هذه القرية
التي ادعى فرعون الربوبية بملكها والله ما اقل عندي من ان ادخلها فشي
عنان فرسه انهم كانوا قوما فاسقين ولذلك عبدوا فاسقا مثلهم
فلما اسفونا اغضبونا من الاسف وهو شدة الغضب انتقمنا منهم
اردنا الانتقام فاغرقناهم اجمعين التابع والمتبوع فجعلناهم سلفا
ومثلا للاخرين قدوة في العذاب لمن عمل مثل عملهم وحديثا عجيبا يضرب
به المثل كما ترى في الالسنة اطلاق فرعون على كل جبار مسرف وقراء حمزة
والكسائي سلفا بضم السين واللام جمع سلف كاسد واسد او سليف كرغف
ورغف او سالف كصابر وصبر ولما ضرب ابن مريم مثلا باب اخر مركز
قريش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا عليهم قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى انا ولهتنا
يا محمد اعامة فيمن عبد من دون الله قال بل عامة فقال خصمتك ورب

الكعبة عبدت الملائكة والمسيح فسكت رسول الله حتى نزل ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقيل لما سمعوا ان مثل
عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب فقالوا ان النصارى وهم اهل الكتاب
قد عبدوا من هو مخلوق من تراب ونحن عبدنا الملائكة وقيل لما سمعوا ان
مثل عيسى عند الله كمثل ادم قالوا يريد محمد ان نعبده كما عبد عيسى وليس
بظاهر وفيه فك الضمائر وقيل لما انكر عليهم عبادة الملائكة فقالوا
لم نفعل بدعا فان النصارى ايضا قد عبدوا عيسى المعاني الغريبة والحجج
البديعة تسمى امثالا لانها تسير مسيرها اذا قومك منه يصدون
يضجون من الصديد وهي الجلبة واللفظ في الكلام وقرا نافع وابن عامر
والكسائي بضم الصاد وهو الاعراض والاول ابلغ وعن الفراء هما لغتان
وقالوا آلهتنا خير ام هو اي عيسى او محمد ما ضربوه لك الا جدلا لاجل
الجدل او جدلين ابطال لقولهم اجمالا اشارة الى ان قالوه لم يكن اعتقادا
بل عنادا اذ لا يقول باذ عيسى والملائكة في النار ردوا منكة لكن التعصب
يعطي على الابصار والبصائر بل هم قوم خصمون لداشداء في الخصام
ان هو الا عبد انعمنا عليه بالرسالة رد لما ادعته النصارى وهما
قرفه به اليهود وجعلناه مثلا لبني اسرائيل شانه بديعا اشارة الى وجه
افتتان النصارى واليهود فيه ولو نشاء لجعلنا منكم ولدنا من الانس
ملائكة في الارض يخلفون كما يخلفكم اولادكم تذييل للدلالة على كمال اقتدار
والاشارة الى بعد المسيح عن ذلك الافراط والتفريط وانه لعلم للساعة
شرط من اشراطها يعلم به دنوها روى البخاري مرفوعا يوشك ان ينزل فيكم
ابن مريم حكما مقسطا بكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل
الا الاسلام او لانه كان يحيي الموتى فدل على جواز البعث فلا تمترن بها
فلا تشكوا جاحدين بها واتبعون هداى دون سولى وقل واتبعون فلا
يحتاج الى التقدير هذا صراط مستقيم اشارة الى ما ذكره من الجواب وبيان
شان المسيح ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة من لدن ادم والبغض والحسد يتوارثان ولما جاء عيسى بالبينات
المعجزات الواضحات او الاحكام الجلية قال قد جئتكم بالحكمة الانجيل او الشريعة
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه ما يتعلق بامر الدين عطف على مقدر
اي لادعوكم الى الله فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به ان الله هو ربي
وربكم فاعبدوه وحدوه وايثار ضمير الفصل هنا دون غيره لان الكلام
في كونه عبدا من دون الله فكان المقام جديرا بالتاكيد هذا صراط مستقيم

من كلامه عليه السلام او من كلامه تعالى ثناء عليه ودلالة على ما يقتضي اتباعه
فاختلف الاحزاب من بينهم الذين تحزبوا بعد عيسى وهم الملكانية واليعقوبية
والنسطورية وقيل اليهود والنصارى والضمير لمن خاطبه عيسى فويل
للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وعيد للاحزاب بعد الجواب عن شبهتهم
اشارة الى ان حال عيسى مع من ارسل اليهم مثل حالك دعاهم الى الله فاختلفوا
فيه كما اختلف فيك قريش ثم هددهم بقوله هل ينظرون الا الساعة اي
لا ينتظرون شيئا سواها لقيام البراهين وانزياح الشبه ان ياتيهم
بغتة بدل من الساعة وهم لا يشعرون غافلون في اشغالهم فبدل الاتيان
بجواز اجتماع البغتة والشعور الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين شرع بعد ترهيبهم لمجيء الساعة يبين بعض احوالها والمعنى
ان في ذلك اليوم تنقطع المحبات وتنقلب عداوة ويلعن بعضهم بعضا
الا محبة المتقين الذين احبوا الله واتقوا ان يشوب حبهم غرض غير الهي
فان ذلك باق لانه من اوثق عرى الايمان يا عباد لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون حكاية ما ينادى به المتقون المتحابون في الله وعن
معمر بن سليمان اذا كان يوم القيمة ينادي بها فيرجوها كل احد ثم يتبعها
الذين امنوا بآياتنا فيتايس غير المؤمنين فالعام مخصوص اما بالسابق
او باللاحق والاول اوفق وكانوا مسلمين مخلصين حال من الواو
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تسرون من الحبار وهو الاثر
او تنعمون من الحبرة وهي المبالغة فيما وصف به الجميل يطاف عليهم
بصحاف من ذهب اواني المآكل جمع صحفة قصعة تشبع خمسة والاكواب
جمع كوب كوز لا عروة لها على ما يتعارفه اهل السكر من الشراب
وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين اي يتوافق فيه العين والقلب
وهو الغاية والعين زايد القلب وكنت اذا سئلت طرفك رايد القلب
يوما اتعبتك المناظر ومدرك سائر المشاعر اندرج في مدرك القلب
وانتم فيها خالدون هذا راس التتم بل الاتمة بدونه قال الاطيب
للعيش ما دامت منغصة لذاته بذكر الموت والهرم وتلك الجنة التي
اورثتموها بما كنتم تعملون اي الموصوفة هي الجنة التي اورثتموها
جزاء لعملكم والتعبير بالايراث مبالغة لان ملك الوارث لازم لا يمكن
رده وقيل لان المؤمن يرث ما كان معدا للكافر لو امن لقوله صلى الله عليه
وسلم ما من احد الا وكتب له مقعد من الجنة ومقعد من النار لكم فيها
فاكهة كثيرة منها تاكلون من الفاكهة تاكلون لا من غيرها اذ الكل اهل

الجنة لا يكونون الا تفكها وقيل من تبعيضية لانهم لا يأكلون الا بعضها
إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون اردف الوعد بالوعيد على الدوام
المستمر والمراد الكاملون في الاجرام لا يفتر عنهم لا يخفف من عذابها
من فتر يا الحمى سكن حرها قليلا ومن قال يعتادون فلا بالمون فقد كذب
القران وهم فيه في العذاب مبلسون ايسون ومآ ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين بتعريضها للتسخط ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
بالموت لنستريح ولا ينافيه الابلاس لاختلاف الاوقات وله نظائر والشدة
ما بهم لا يدرون ما يقولون كما ترى الواقع في شدة يتناقض كلامه معترفا
بذلك قال انكم ماكثون اقام المكث مقام الخلود لاشعاره بالانقطاع
تهكما والقايل هو الله تعالى لقوله لقد جئناكم بالحق اي الارسال او
انزال الكتب ولكن اكثركم للحق كارهون لما فيه من ترك الترؤس ومفارقة
المالوف واحتمال اعباء التكاليف روي ان اعشى باد القدوم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلقيه احد المشركين فساله عن حاله فقال يامر وينهى
فقال عما فاينهى قال ينهى عن كذا وكذا حتى بلغ الخمر فقال ان للنفس فيه
لذاذة اقضي منه الوطر هذا العام واقدم في القابل فمات قبل تمام السنة
ام ابرموا امرا احكموا وأتقنوا تهكم بهم يا ان ما هم فيه من انواع المكر
وما يختزعونه من الحيل رقم على الماء فانا مبرمون ندبر لجانا بهم
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ما في انفسهم قبل التكلم به ونجواهم
وتناجيهم في شان رسول الله بل نسمع ورسلنا لديهم ملازمون
يكتبون كل حركة وسكون ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين ان صح ببرهان ان له ولدا فانا اول من
يعظم ذلك الولد وهذا على الغرض لغرض المبالغة في نفي الولد تعليقا
بالمحال وقيل اول الجاحدين لقولكم الموحدين لله وقيل اول الانفين من
عبد بالكسر استنكف واشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان له ولد ويؤيده
ما روي انه لما نزلت فقال النضر قد صدق فتى الله فقال له الوليد بن المغيرة
ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد ثم نزه ذاته المقدسة بقوله
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي من هذا شانه
كيف يكون جسما يتولد منه اخرا وان هذوا الاجسام بما كانت اصولا فات
استمر ارتنزهت عن التوالد فكيف بمبدعها الذي ليس كمثله شيء فذرهم
يخوضوا فانا طيلهم ويلعبوا في دينهم ودنياهم كالصبيان وابله
الذين لم يجر عليهم القلم وفيه اشارة الى انهم اهل الطبع حتى يلاقوا

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الواو للقسم ان جعلت حم
تعديدا او اسم السورة خبر مبتداء محذوف وللعطف ان جعل مقسما به
انا انزلناه في ليلة مباركة جوابا للقسم وهي ليلة القدر لقوله انا
انزلناه في ليلة القدر ولقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران

وكونها في رمضان كاد أن يتواتر وكونها مباركة لكثرة منافع الدين والدنيا
فيها وكون انزال القرآن فيها بركة وقيل هي ليلة النصف من شعبان
وليس له دليل سوى حديث مرسل ومعنى انزاله فيها انزاله الى السماء
الدنيا جملة كما تقدم في شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن إنا كنا منذرين
مستأنف لتعليل الانزال اي انزلناه لان شأننا الانزال والتحذير فيها
يفرق كل أمر حكيم جواب عن تخصيص الانزال بتلك الليلة كأنه قال
هي جديرة بذلك لان الله أثرها بفصل كل أمر محكم لا يبدل من الارزاق
والآجال وغيرها من شؤون الكائنات الى المقابلة فيدفع نسخة الارزاق
واسبابها الى ميكائيل ونسخة الحروب وما يلابسها من الزلزال والطوفان
الى جبرائيل ونسخة الموت والمصايب الى ملك الموت ونسخة الاعمال الى
اسمعيل صاحب سماء الدنيا أمرا من عندنا نصب على الاختصاص
ومافيه من التكبير والوصف والاختصاص بزيد فخامة الأمر الحكيم
والمعنى امرا كائنا من لدنا كما اقتضاه تدبيرنا ويجوز نصبه على المصدر
لان يفرق بمعنى يؤمر كأنه قيل يؤمر فيها بكل شان على وجه الحكمة امرا
وان يكون حالا من فاعل انزلناه او مفعوله والفاصل بين الحال وصاحبه
ليس باجنبي إنا كنا مرسلين يدل من انا كنا منذرين اي انا انزلناه لان
من عادتنا ارسال الرسل بالكتب رحمة من ربك اي لاجل الرحمة على الرحمة
وايراد لفظ الرب للدلالة على ان مقام الربوبية اقتضت ذلك لانه من
اجل انواع النعم وافراده بالخطاب اشارة الى ان كونه ربك وارسلك
رحمة للعالمين اقتضى ارسال الرحمة او علة لتفرق او امرا ورحمة مفعوله
والمعنى في تلك الليلة نفصل كل امر او نصدر الاوامر من لدنا لان من
شأننا ان نرسل الرحمة ولا يستقيم ان يكون على هذا مفعولا له إنه هو
السميع اقوال عباده العليم بحاجاتهم وبها تكمل الربوبية رب
السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين في قولكم حين تسألون
من خلق السموات والارض الله وكالدليل على ان الانزال للرحمة وان المنزل
في غاية الشرف لانه كلام من هذا شانه وقرأ الكوفيون رب بالجر بدلا
من ربك او صفة والباقون رفعا بدلا من الرحيم العليم او صفة وهو
المختار لعدم الحذف والفصل لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب
اباءكم الاولين والنعمة على الاصل افضال على الغير بل هم في شك يلعبون
نزلهم او لا منزلة الساكن ثم سجل عليهم بالشك قطعا لانهم وان اقروا
لم يكونوا اقرارهم عن علم ولذلك الحدوا في صفاته واشركوا به ولما لم ينتفعوا

بالمنزل عليه وقابلوا النعمة بالكفران ازدفه بقوله فارتقب يوم تأتي
السماء بدخان مبين دلالة على انهم اهل السخط والخذلان لا اهل
الرحمة والغفران عن ابن مسعود رضي الله عنه ان قريشا ابطأت عن
الاسلام فدعا عليهم رسول صلى الله عليه وسلم سبعا كسبع يوسف
فاصابتهم السنة حتى اكلوا الجيف وكان الرجل ينظر الى السماء ويرى شبه
الدخان من غاية الجوع ثم قال فمضى خمسة الدخان والروم والقمر
والبطشة واللزام وقيل الدخان مرتقب بعد لما روى حذيفة بن اسيد
الغفاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى
تروا عشر ايات قبلها فذكرها الدخان يمكث اربعين يوما بملا ما بين
المشرق والمغرب اما المؤمن فياخذه كهيئة الزكام واما الكافر فكالسكران
ولا تنافي لجواز الامرين الا ان السياق بما رواه ابن مسعود اشد ملائمة
يغشى الناس يحيط بهم هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب مقدرا
بقول وقع حالا إنا مؤمنون وعدا بالايمان على تقدير الكشف أنى لهم الذكرى
بكشف العذاب وقد جاءهم رسول مبين واضح الشان ظاهر البرهان
ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون اعرضوا عنه ولم يكتفوا بالاعراض
حتى قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي وبعضهم لما رأوا ان صدور مثله عن
الاعجمي محال قال انه مجنون إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون
الى الكفر في ذلك الزمان القليل اشارة الى ان ذلك الايمان لم يكن عن بقاء
بل كان اضطرارا عن خوف العذاب هذا على قول ابن مسعود ظاهر وعلى قول
حذيفة هو مثل قوله ولو ردوا لعادوا يوم نبطش البطشة الكبرى
يوم بدر او يوم القيمة ونصب يوم بما دل عليه إنا منتقمون لا بدله
لان الخاصرة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون بان وسعنا عليهم
الارزاق واسباب البطر من العافية وطول العمر وجاءهم رسول كريم
على الله او على المؤمنين او في نفسه شريف النسب كريم الحسب أن أدوا إلي
عباد الله وهم بنو اسرائيل الذين استعبدهم القبط كقوله ان ارسل
معنا بني اسرائيل ان مفسرة لان الرسالة في معنى القول او مخففة اي
بان ويجوز ان يكون عباد الله منادى والمعنى ادوا حق الله من الايمان
وقبول الدعوة إني لكم رسول امين على وحي الله وقد بان بالمعجزات صدقي
وأن لا تعلوا على الله لا تتكبروا إني اتيكم بسلطان مبين علة للنهي
ولا يخفى حسن المراعاة فذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء
وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون ضربا او شتما وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون

لاموالاه بيننا أو كفوا شركم عنّي الى أن يفعل الله ما يشاء فدعا ربّه
أنّ هؤلاء قوم مجرمون اى بان هؤلاء انجاز صلة الدعاء كما يقال دعا
بهذا الدعاء وقيل هو قوله ربّنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
او قوله ربّنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقوله انّ هؤلاء قوم
مجرمون من كلامه تعالى بيانا لما استوجبوا به الدعاء من موسى والاجابة
منه وانه ما دعا الا بعد اليأس فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون بقطع
الهمزة وقرا نافع وابن كثير بالوصل وهما لغتان والتقدير فقال اسر
وبقدر شرط اى ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي بنى اسرائيل اضافة
تشريف واترك البحر رهوا ساكنا قائما على حاله ليدخله فرعون وجنوده
فانه اراد بعد العبور ان يضربه بالعصا ليعود الى ما كان لئلا يلحقه القبط
او مفتوحا من رها بين رجليه اذا وسع انهم جند مغرقون لا محالة
كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم كم خبرية للتكثير
والمقام الكريم منازلهم الحسنة او المنابر ونعمة كانوا فيها فاكهين
فاعمين وقرئ فكهين بطرين كذلك مثل الاخراج اخرجناهم الكاف
في محل النصب او مرفوعة اى الامر مثل ذلك وهي معجمة للدلالة على ان الوقف
لا نعي به فكانه قال الامر مثل ذلك وما اشبهه واورثناها قوما اخرين
اجانب لا قرابة بينهم وهم بنو اسرائيل لقوله واورثناها بني اسرائيل فما
بكت عليهم السماء والارض تمثيل على سبيل التهكم وعدم الاكتراث بهم
او اهل السماء والارض من المؤمنين والملائكة او هو حقيقة لما روى
ابو يعلى عن انس بن مالك انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات
العبد المؤمن بكت السماء والارض عليه وتلا هذه الاية وابن جرير اذا مات
المؤمن بارض غربة وغابت عنه بواكيه بكت عليه السماء والارض وعن ابن
عباس رضي الله عنهما تبكي عليه الارض اربعين صباحا وما كانوا منظرين
طرفة عين سنة الله في الذين خلوا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين
علم نجاتهم من هلاك عاد وهم الا انه ذكر ليبتني عليه ما خولهم به من النعم
من فرعون بدل من العذاب المهين جعل نفس العذاب لافراطه ولذلك علله
بقوله انه كان عاليا من المسرفين متكبرا متجاوزا في عتوه حدود
او الاول خبر والثاني حال من المستكن في الاول ولقد اخترناهم على علم
بانهم احقاء بذلك او مع علمنا بانه قد تفرط منهم فرطات على العالمين
عالمي زمانهم كقوله في موسى فاصطفيتك على الناس او على الكل من حيث
انه فيهم الانبياء فلا يناقض تفضيل الاحاد عليهم واتيناهم من الايات

ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة سميت بلاء لوقوع الاخبار بها او اختبارا
ظاهرا وحمله على المحنة لا يلايم لانه في مقام الامتنان ان هؤلاء ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى اشارة الى كفار قريش الذين هم في شك يلعبون
وقصة موسى كانت استطرادا الموتة الاولى هي التي تشير اليها بقوله
وكنتم امواتا فاحياكم وذلك انهم لما قيل لهم لكم حيوة بعد الموت قالوا
لا نعرف الا الموتة الاولى التي يعقبها الحيوة والاظهر ان الموتة الاولى
هي التي بعد الحيوة الدنيا وهي المتبادرة المتعارفة وذلك انهم انذروا
بان في القبر احياء ثم موتا الى وقت البعث فانكروا موتة القبر وما بعدها
لقولهم وما نحن بمنشرين على ان الاولى لا يقتضي ان يكون لها ثانية
كما يقول قتلته باولى ضربة وصرعته اولى مسكة فاتوا بآبائنا ان كنتم
صادقين فان هتا لحشرا احوالنا واحدا ممن سلف لنشاهده ونتاله
وقيل سالوه ان يحيي قصيا لنشاوره هل ينبغي امر لا اهم خير ام قوم
تبع ملك اليمن اسمه اسعد بن كريب اولى سلاطين بني قحطان وكان مسلما
وقد اسلم قومه على يده ثم بعده كفروا قيل انه عاش ملكا ثلثمائة سنة وهو
اول من سن كسوة الكعبة وكان قد عزم على تخريب الكعبة ثم ندم وتاب وقرّبَ
قربانا كثيرا واحسن على اهل مكة مات قبل البعثة بسبعمائة سنة ولما اخذ
بالمدينة قالت له اخبار اليهود انّ نبيا اخر الزمان هذه البلدة مهاجرة
قال في ذلك ابيات توارثها اهل المدينة وقد صح انّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه كان مسلما ولا ادري كان نبيا ام لا والذين
من قبلهم كعاد وثمود والتفاصل في الخيرية ولا خير في الكل انما هو باعتبار
القوة والاسباب اهلكناهم استيناف او حال بتقدير قد اى اهلكناهم مع
بيان للموجب الجامع وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين من غير
حكمة بل لا بد من محاسبة ومجازاة لما يقتضيه مثقال ذرة كقوله افحسبتم انما
خلقناكم عبثا وما خلقناهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق هو الايمان
والطاعة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن اكثرهم لا يعلمون
هذه الكلمة لاعفائهم النظر والتامل ان يوم الفصل يوم القضاء بين
المحق والمبطل او يوم الفصل بين المرء واحبائه ميقاتهم اجمعين يجمع هؤلاء
المشركين واولئك المتقدمين يوم لا يغني بدل من ميقاتهم او صفته او بدل
من الفصل او معمول لما دل عليه الفصل لا له لوجود الفاصل مولى صديق
اى صديق كان من قرابته او غيرها عن مولى شيئا عن اى صديق كان شيئا
من الاغناء ولا هم ينصرون لو طلبوا التضمير الضمير للاولى الاول

والجمع لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه او بقبول الشفاعة رفع على البدل من واو ينصرون او نصب على الاستثناء انه هو العزيز الغالب لا ينصر من خذله ولا يسعد من اشقاه ذكر رسول الله ان طعام اهل النار هو الزقوم واهل اليمن اكل الزبد والتمر يسمونه الترقم فدعا ابو جهل بزبد وتمر وقال هلموا الى ما يخوفكم محمد فنزلت ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الكافر الكثير الاثام كالمهل كالحديد او النحاس الذي امهل في النار حتى ذاب وقيل هو ردئ الزيت يغلي في البطون خبر اخر او المستكن في فيه للطعام دون المهل لفساد المعنى وقرا ابن كثير وحفص بتاء التانيث مسندا الى ضمير الثمرة والاول احسن لكونه اقرب ولسلامته عن الحذف كغلي الحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه خذوه فاعتلوه فردوه العتل الاخذ بتلابيب الرجل بعنف وغلظة ثم جره الى ما يكره الى سواء الجحيم الى وسطه وقيل امكنه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم جعل العذاب مصبوبا دون الحميم كما في قوله يصب من فوق رؤسهم الحميم ايثارا للابلاغ وهو طريق الاستعارة لانه في مقام الكبرياء واظهار التسخط العظيم وقرا نافع وابن كثير وابن عامر فاعتلوه بضم التاء وهما لغتان ذق انك انت العزيز الكريم امر اهانة تهكما به وايقاء لحق حاسته السمع من العذاب نزلت في ابي جهل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بين جبليها اعز ولا اكرم مني ان هذا ما كنتم به تمترون تشكون ضمن معنى التكذيب ان المتقين في مقام امين هو موضع القيام ثم اتسع فيه فاستعمل في مطلق المكان والامين من الامانة ضد الخيانة استعير لما لا مكروه فيه في جنات وعيون بدل من مقام لدلالته على المساكن والمشارب التي بها قوام الملاذ يلبسون من سندس ما رق من الديباج واستبرق ما غلظ منه معرب وبالتعريب صار عربيا بالتصرف واجراء احكام لفظ العرب عليه على ان وقوع الفاظ يسيرة لا يخرجه عن العربي متقابلين ينظر بعضهم بعضا في مجالس الانس كذلك وزوجناهم بحور عين زوجات حسانهن بحور شديدة سواد الحدقة مع شدة بياض العين وعن ابن عمر وهو ان يكون العين كلها سوداء كعين الظباء وفي الاساس على التشبيه والعين جمع العيناء واسعة العين يدعون فيها بكل فاكهة اي نوع اردنوا في اي وقت كان امنين من كل المكاره لا يذوقون فيها الموت هذا رأس النعم كلها الا الموتة الاولى التي في الدنيا من التعليق بالمحال لان موتة الدنيا لا يمكن وقوعها في الجنة او لان المؤمن لا يموت حتى يرى مقعده

من الجنة فكان موته فيها او الضمير للاخرة والموت اول احوالها والاستثناء منقطع ووقيهم عذاب الجحيم اي وقال انهم حفظوا من عذاب النار ولا ينافي دخول بعض المؤمنين لان الكلام في المتقين فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك تفضلا لا لسابقة وجوب اذ العبد لا يستحق على المولى اجرا ذلك هو الفوز العظيم لانها نعم خالصة عن شوب كدر فانما يسرناه بلسانك فذلكه للسورة تذكيرا بما سلف من انزال الكتاب وما ترتب عليه واجمال بعد التفصيل لعلهم يتذكرون يتعظون به فارتقب فانتظرهم يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك روى الترمذي باسناده الى ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وباسناده ايضا من قرأها في ليلة الجمعة غفر له تمت سورة الدخان والحمد لولي الاحسان والصلوة على المبعوث من عدنان وآله وصحبه الشابقين الى الايمان

بسم الله الرحمن الرحيم حم حروف مقطعة تنزيل الكتاب مبتدأ من الله العزيز الحكيم خبرا او اسم السورة مبتدأ بتقدير مضاف اي تنزيل حم فان اريد بالكتاب السورة فمن اقامة الظاهر مقام المضمر اشارة الى انه الكتاب الكامل وان اريد به القران فللاشعار بان انزاله كانزال كله في غرض التحدي والهدى فان قلت فلم لم يوثر هذا الاسلوب في حم تنزيل من الرحمن الرحيم قلت افاد هذا المعنى بقوله كتاب مع الاقتران في الكلام ان في السموات والارض لايات للمؤمنين اي في انفسهما لما فيهما من فنون الدلالة على القادر الحكيم او فيما خلق فيهما من الكواكب والجبال وسائر الكيفيات والاول ابلغ وفي خلقكم عطف الخاص على العام على الثاني وما يبث فيهما من دابة اي وخلق ما يبث لان العطف على المجرور يردون اعادة الخافض غير فصيح ايات لقوم يوقنون قراءة حمزة والكسائي بنصب ايات عطف على لفظ الايات والباقون رفعا على الابتداء اما عطف مفرد او عطف جملة واختلافا في الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر لانه سبب الرزق فاحيا به الارض بعد موتها هيج النبات بعد اليبس وتصريف الرياح تغييرها من جهة الى اخرى قراءة حمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس لايات لقوم يعقلون عطف على معمول عاملين مختلفين رفعت الايات او نصبت

كقراءة حمزة والكسائى ففى الرفع الابتداء وفى النصب ان وفى فاجازه
الفراء والكوفيون مطلقا والاخفش اذا تقدم المجرور المعطوف عليه
سيبويه والبصريون معللين بقصور الحرف عن بنائه العاملين فالوجه
عندهم النصب والرفع على الاختصاص او يقدر فى لتقدمه فى الاولتين
وفى ترتب الفواصل دعوى الترقى فى الدليل والمدلول وذلك ان السموات
والارض اظهر الكائنات جعلت دليلا على اصل الايمان ثم نظر الانسان
فى حاله وحال سائر الحيوان لكثرته وتكرره ادخل فى نفى الشك واجلب
لاطمئنان القلب جعل دليلا على الايقان الذى هو اعلى درجات الايمان
ولما كان التامل فى الاختلاف والتصريف وما بينهما ادل على استحكام
اليقين لانه يتجدد حينا فحينا ويتجدد فيه النظر والاعتبار جعل دليلا
على التعقل الذى هو مدار الايمان واليقين تلك ايات الله دلالة
الدالة على وحدته وكمال اقتداره نتلوها عليك حال من الفاعل والعامل
معنى الاشارة بالحق ملتبسا به او ملتبسين فباى حديث بعد الله
واياته يؤمنون اى بعد ايات الله وتقديم الاسم الاعظم تعظيم لايات
الله كقولك اعجبنى زيد وعلمه دلالة على انه لاينبغى ان يزيد من هذه البيانات
ولذلك اشار اليها بما وضع لاكمل التمييز واضافة الايات الى ضميره اخرى
او تقدير مضاف اى بعد حديث الله وهو القرآن وحسن الاضمار لتقدمه
وعطفا الايات عليه عطف المفصل على المجمل او اريد ما فيه من الدلالات
وقرا ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بالخطاب وهو ابلغ تقريعا
ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثم يسمع ايات الله تتلى عليه
لبتامل لها ويومن بما فيها ثم يصر يقيم على كفره من اصر الحمار اذا دنقه
مستكبرا عن الايمان وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماعها كقوله ترى
غمرات الموت ثم يزورها ويجوز ان يكون على اصله لان اصراره يكون
بعد تردده كان لم يسمعها حال من فاعل مستكبرا اى مثل غير السامع
وكان مخففة كان حذف منه ضمير الشان كقوله كان ظبيه يقطو الى ناصر
السلم فبشره بعذاب اليم استعار البشارة تهكما واذا علم من
اياتنا شيئا اتخذها هزوا ترقى من الاصرار الى الاستهزاء بايات الله
بعد علمه بانها ايات الله ولم يقل اتخذه اشارة الى فرط طغيانه
بانه اذا علم شيئا ما من الايات خاض فى الكل ولم يقتصر على ما بلغه او
اذا علم ادنى شىء من المواضع التى يمكن التلبيس والمغالطة فيها كما
فعله ابن الزبعرى والنضر جعله دستورا للباقى وزعم ان الكل من هذا

القبيل فالاول قبل التامل وهذا بعده والضمير للايات او للشىء لانه فى
معناها اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم بايات الله من ورائهم
جهنم قدامهم او خلفهم اى بعد اجالهم والوراء اسم لما يوارى الشخص
من قدام وخلف ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا من العذاب ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء من الاوثان ولهم عذاب عظيم لا يحاط بكنهه
هذا هدى اى القرآن لان الكلام فيه والذين كفروا بايات ربهم لهم
عذاب من رجز اليم لهم من العذاب اليم وقرا ابن كثير وحفص برجز اليم
على انه صفة الرجز وهو اشد العذاب اى لهم عذاب من هذا الجنس وهو
ابلغ واوفق لعدم الفصل الله الذى سخر لكم البحر بان خلقه على وجه
يمكن الانتفاع به لتجرى الفلك فيه بامره باذنه وتسهيله ولتبتغوا
من فضله بالتجارة والغوص على اللالى والصيد وغيره ولعلكم تشكرون
عقب بها الايات المتلوة زيادة فى توبيخهم ولذلك رتب عليه الاغراض العاجلة
التى يستجلب بها الشكر من الكافر غالبا فكانه قال تلك اولى بالشكر من هذه
وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه حالان من فاعل سخر
او منه خبر مبتدا اى هى منه والمعنى كما ان التسخير منه كذلك الايجاد و
التكوين او وسخر لكم تاكيدا لاول والعطف لتعقيبه بقوله ان فى ذلك
لايات لقوم يتفكرون لان المتفكر يزداد ايقانا لكان الثانى غير الاول
وعلى هذا ما فى السموات مبتدا خبره منه قل للذين امنوا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله وقايعه وانزال باسه بالمكذبين يقال ايام العرب
لوقايعها او الاوقات التى وقتها الله للجزاء من الثواب والعقاب
فى ابتداء الاسلام كانوا مامورين بالصفح وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب
شتمه رجل من غفار والقول ينزلها فى غزوة بنى المصطلق سهوا ليجزى
قوما بما كانوا يكسبون من الغفران والصبر علة للامر وتنكير قوما
للتعظيم كانه قيل قوما واى قوم فى هذا التنكير كمال التعريف ايماء الى
انهم لا يخفون عرفوا او نكروا مع العلم بان المجزى لا يكون الا الله تعالى
ومن حمل قوما على الكفار او على الشيوع استبدل الذى هو ادنى بالذى
هو خير وقرا ابن عامر والكسائى ونحمزة لنجزى بالنون التفاتا ليكون
اشد لعظيما من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها تقدم مرارا
ثم الى ربكم ترجعون للجزاء ولقد اتينا بنى اسرائيل الكتاب التوراة
والحكم والنبوة اى الحكمة او العقة او فصل الخصومات ورزقناهم
من الطيبات المن والسلوى وسائر الماء كل والثمار وفضلناهم

عَلَى الْعَالَمِينَ بِالْمُلْكِ وَالنُّبُوَّةِ لَمْ يَجْمَعْ فِي غَيْرِهِمْ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ
مُعْجِزَاتٍ دَالَّةً عَلَى حَقِيقَةِ دِينِهِمْ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ جَعَلُوا مَا هُوَ سَبَبُ الِائْتِلَافِ مُوجِبًا لِلِاخْتِلَافِ ظُلْمًا وَحَسَدًا
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَيُجَازِي الْمُحِقَّ
وَالْمُبْطِلَ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ عَلَى مِنْهَاجٍ خَاصٍّ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ
وَالتَّنْوِينُ لِلتَّعْظِيمِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ جِئْتُكُمْ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ وَلَوْ كَانَ
ابْنَ عِمْرَانَ حَيًّا لَمَا وَسِعُوا إِلَّا اتِّبَاعِي فَاتَّبِعْهَا أَيْ اثْبُتْ عَلَيْهَا عَلَى سُلُوكِهَا
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ بِدْعِ الْجُهَّالِ كَانُوا يَدْعُونَهُ إِلَى مِلَّةِ عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ خَالَفْتَ أَمْرَهُ مِنْ قَبِيلِ
الْأَلْهَابِ وَالتَّهْيِيجِ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِذِ الْجِنْسِيَّةُ عِلَّةُ
الضَّمِّ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ يَتَوَلَّاهُمْ وَأَنْتَ إِمَامُهُمْ فَعَلَيْكَ بِمُوَالَاتِهِ
هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ أَيِ الْقُرْآنُ وَالْمُرَادُ مَا فِيهِ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْحِكَمِ بَصَائِرُ
لِلْقُلُوبِ كَمَا جُعِلَتْ رُوحًا وَحَيَاةً وَهُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ وَرَحْمَةٌ مِنَ
الْعَذَابِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ لِمَنْ آمَنَ وَأَيْقَنَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ
اكْتَسَبُوا وَمِنْهُ جَوَارِحُ الطَّيْرِ لِكَوَاسِبِهَا أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ نُصَيِّرُهُمْ مِثْلَهُمْ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ كَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ
الْمُنْكَرُ حُسْبَانُ الْمُجْتَرِحِينَ تَسَاوِي حَالَيْهِمْ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُمْ وَإِنْ سَاوُوا الْمُؤْمِنِينَ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي شُمُولِ الرَّحْمَةِ لَيْسُوا وَهُمْ مَوْتَاهُمْ لِأَنَّهُمْ فِي النَّعِيمِ وَهَؤُلَاءِ
فِي الْجَحِيمِ أَوْ عَلَى مَعْنَى أَنْ لَا تَسَاوِيَ فِي الْحَالَيْنِ لِأَنَّ حَيَاتَهُمْ فِي الطَّاعَةِ وَهُمْ
فِي الْمَعْصِيَةِ وَفِي الْآخِرَةِ هُمْ أَهْلُ الزُّلْفَى وَالرِّضْوَانِ وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْخِزْيِ
وَالْهَوَانِ وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ إِنْ كَانَ الضَّمِيرُ لِلْمَوْصُولِ الْأَوَّلِ فَالْجُمْلَةُ بَدَلٌ
مِنَ الْكَافِ وَإِنْ كَانَ لِلْفَرِيقَيْنِ فَاسْتِئْنَافٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُشَابَهَةَ بِمَعْنَى التَّسَاوِي
وَالتَّسَاوِي دُونَ التَّفَاضُلِ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا غَيْرَ دَاخِلٍ
فِي حُكْمِ الْإِنْكَارِ يُبَيِّنُ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَالَيْنِ خَاصَّةً وَكَذَلِكَ حَالُ الْمُجْرِمِينَ
فَهُوَ تَعْلِيلٌ لِلْإِنْكَارِ دَالٌّ عَلَى عَدَمِ الْمُمَاثَلَةِ فِي الْحَالَيْنِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ تَسَاوَى
حَالَاتُهُمْ كَأَنَّ الْمُلْكَ كَذَلِكَ وَإِنِ اخْتَلَفَ وَجْهُ التَّسَاوِي وَقُرِئَ حَمْزَةُ
وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ سَوَاءٌ بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَنْصُوبِ أَوْ مِنَ
الْكَافِ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بِئْسَ حُكْمُهُمْ هَذَا وَخَلَقَ
اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ دَلِيلٌ عَلَى الْحُكْمِ الْأَوَّلِ لِأَنَّ الْعَدْلَ
يَقْتَضِي عَدَمَ تَسَاوِي الْمُسِيءِ وَالْمُحْسِنِ وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الْمَحْيَا وَلَا بُدَّ وَأَنْ
يَكُونَ فِي الْمَمَاتِ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ عَطْفٌ عَلَى عِلَّةٍ مَحْذُوفَةٍ مِثْلُ لِيَعْدِلَ

أَوْ لِيَدُلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ أَوْ عَلَى بِالْحَقِّ لِكَوْنِهِ فِي مَعْنَاهَا بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
بِنَقْصِ ثَوَابٍ أَوْ بِزِيَادَةِ عِقَابٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ مِرَارًا أَنَّ مِثْلَهُ جَارٍ عَلَى الْمُتَعَارَفِ
لِأَنَّهُ لَوْ فُعِلَ كَانَ ظُلْمًا لِعَدَمِ إِمْكَانِهِ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ
تَعْجِيبٌ مِنْ حَالِ مَنْ تَبِعَ مَا يَهْوَاهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ وَتَأَمُّلٍ كَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ
يَعْبُدُونَ وَاحِدًا مِنْهُ حَجَرًا ثُمَّ إِذَا رَأَى حَجَرًا أَحْسَنَ مِنْهُ رَمَى الْأَوَّلَ بِعَدَ تَعْفِيرٍ
وَجَبَهَهُ لَهُ زَمَانًا وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ أَيْ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ
الْإِضْلَالَ لِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا لِلنَّارِ أَوْ بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ وَقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ
وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ فَلَا يُلْقِي سَمْعَهُ إِلَى مَا يُتْلَى وَلَا يُوَجِّهُ قَلْبَهُ إِلَى
التَّدَبُّرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَتَقْدِيمُ السَّمْعِ عَلَى الْقَلْبِ عَكْسُ مَا فِي الْبَقَرَةِ لِأَنَّ الْكَلَامَ
فِي الْمُعْرِضِ عَنِ الْهُدَى الْمُتَّبِعِ لِمَا يَهْوَاهُ الْمُسْتَكْبِرِ عَنِ الْآيَاتِ كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا
وَمَا فِي الْبَقَرَةِ ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مِنْهُ تَعَالَى إِشَارَةً إِلَى الْجِبِلَّةِ وَالْقَلْبُ هُوَ الْأَصْلُ
فِي ذَلِكَ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً لَا يُحْدِثُ آيَاتِ اللَّهِ بِعَيْنِ الِاسْتِبْصَارِ
وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ غِشَوَةً وَهُمَا لُغَتَانِ وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ وَلِذَلِكَ اتَّفَقُوا
عَلَيْهِ فِي الْبَقَرَةِ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ لَا أَحَدَ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَنَّ الْكُلَّ مِنْهُ تَعَالَى وَفِيهِ نَهْيٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَنْ تَهَالُكِهِ عَلَى إِيمَانِهِمْ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا مَا
الْحَيَوَةُ الْآهِزَةُ الَّتِي نَحْنُ بِهَا نَمُوتُ وَنَحْيَى نَمُوتُ بَعْضُنَا وَنَحْيَى بَعْضُنَا
أَوْ يَكُونُ نُطْفَةً وَنَحْيَى بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ نَمُوتُ نَحْنُ وَنَحْيَى أَوْلَادُنَا أَوْ يَصِيبُنَا
الْأَمْرَانِ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ الزَّمَانُ كَسَانِهِ الْأَشْجَارَ وَالْبَيَاتِ
فِي الْأَصْلِ اسْمٌ لِمُدَّةِ بَقَاءِ الْعَالَمِ مِنَ الْمَبْدَإِ إِلَى الِانْقِضَاءِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى
أَنَا الدَّهْرُ إِنَّا الْحَادِثُ بِحَوَادِثِ الدَّهْرِ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا
يَظُنُّونَ تَقْلِيدًا لِآبَائِهِمْ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ الدَّالَّةُ
عَلَى عَكْسِ مَا يَظُنُّونَهُ لَعَلَّهُمْ يُرْشَدُونَ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا
ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ سَمَّاهَا حُجَّةً تَهَكُّمًا أَوْ عَلَى زَعْمِهِمْ
قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ
فِيهِ الْجَأَ بِهِ عَنْ حُجَّتِهِمْ بِمَا هُوَ الْبَيِّنَاتُ لِلْمَطْلُوبِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ
الْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ مِنْهُ تَعَالَى وَمَنْ سَلَّمَ قُدْرَتَهُ عَلَى هَذَا يَلْزَمُهُ أَنْ يُسَلِّمَهُ
عَلَى ذَلِكَ وَعَدَمُ الْإِتْيَانِ بِالْآبَاءِ بِحُكْمِهِ اقْتَضَتْ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ لِانْهِمَاكِهِمْ بِالتَّطَرُّقِ وَالتَّدَبُّرِ فِي الْآيَاتِ الْمَبْثُوثَةِ فِي الْآفَاقِ
وَالْأَنْفُسِ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هُوَ الْخَالِقُ لَهُمَا وَالْمُدَبِّرُ
وَمِنْ هُنَا شَأْنُهُ فَالْإِعَادَةُ مِنْهُ أَهْوَنُ مِمَّا يَكُونُ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ

يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ الْمُنْكِرُونَ لَهَا سَمَّاهُمْ مُبْطِلِينَ لِأَنَّ إِنْكَارَهُمْ
إِبْطَالُ الْحِكْمَةِ تَعَالَى الْعَامِلُ فِي يَوْمَ يَخْسَرُ وَيَوْمَئِذٍ بَدَلٌ مِنْهُ وَتَرَى كُلَّ
أُمَّةٍ جَاثِيَةً بَارِكَهُ عَلَى الرُّكَبِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ أَوْ لِلْخُصُومَةِ وَمِنْهُ قَوْلُ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِلْخُصُومَةِ أَوْ مُجْتَمِعَةً لِمَا
رُوِيَ ابْنُ عُمَرَ أَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ يَتْبَعُ نَبِيَّهَا كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى
إِلَى كِتَابِهَا كِتَابُ أَعْمَالِهَا كَقَوْلِهِ وَوُضِعَ الْكِتَابُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ عَلَى تَقْدِيرِ الْقَوْلِ كَقَوْلِهِ يُنَبَّؤُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ
هَذَا كِتَابُنَا إِضَافَةُ الْبَيَانِ أَوْ لِأَنَّهُ صَحَائِفُ أَعْمَالِهِمْ وَثَانِيًا إِلَيْهِ تَعَالَى
لِأَنَّهُ كَتَبَ بِأَمْرِهِ يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ مَا هُوَ ثَابِتٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ
زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ عَلَى أَيْدِي الْكَتَبَةِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
مِنْ نَقِيرٍ وَقِطْمِيرٍ تَقْرِيرٌ وَتَوْكِيدٌ لِشَهَادَتِهِ بِالْحَقِّ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ فِي الْجَنَّةِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْمُبِينُ الْجَلِيُّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّرَدُّدِ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي
تُتْلَى عَلَيْكُمْ جَوَابُهُ مَحْذُوفٌ أَيْ فَيُوَبَّخُونَ وَيُقَالُ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ وَفِيهِ
دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ بَعْدُ كَمَا قِيلَ وَفِيهِ
نَظَرٌ لِأَنَّ الْوَاوَ لَا تَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالْحَدِيثُ يُخَالِفُهُ فَاسْتَكْبَرْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ
وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ دَأْبُكُمُ الْإِجْرَامُ إِشَارَةٌ إِلَى عِلَّةِ الِاسْتِكْبَارِ وَإِذَا قِيلَ
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ كَالرَّدِّ لِأَمَارَةٍ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ
أَهَمِّيَّةً لِشَأْنِهَا وَقَرَأَهَا حَمْزَةُ بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى إِنَّ وَالرَّفْعُ أَحْسَنُ
لِلِاسْتِقْلَالِ وَالتَّأْكِيدُ حَاصِلٌ لَا نْدِرَاجِهَا فِي الْمُؤَكَّدِ قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ
تَجَاهَلْتُمْ كَأَنَّكُمْ مَا تَعْلَمُونَ مَعْنَاهَا إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا أَيْ ظَنًّا ضَعِيفًا أَوْ
لَا اعْتِقَادًا وَلَا فِعْلَ إِطْلَاقٍ لِلْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ أَوْ مَا أَثْبَتَ إِلَّا ذَلِكَ الظَّنَّ
إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَوْرِدَ كُلَّهُ مَظْنُونٌ وَقِيلَ لِتَفْوِيضِهِمْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مُبَالَغَةٌ
وَلَا دَلَالَةَ لِلْكَلَامِ عَلَيْهِ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ تَوْكِيدٌ لِلظَّنِّ بِسَلْبِ نَقِيضِهِ
يُؤَيِّدُ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا أَيْ جَزَاؤُهَا مِنْ إِطْلَاقِ
السَّبَبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ أَوْ مَا يَسُوءُهُمْ وَالِالْتِفَاتُ إِلَى الْغَيْبَةِ حِكَايَةٌ لِحَالِهِمْ
بَعْدَ تَمَامِ التَّوْبِيخِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أَحَاطَ بِهِمْ جَزَاءُ
اسْتِهْزَائِهِمْ بِحَيْثُ لَا مَخْرَجَ عَنْهُ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ أَيْ نَتْرُكُكُمْ فِي الْعَذَابِ
لِأَنَّ مَنْ نَسِيَ شَيْئًا تَرَكَهُ أَوْ نَجْعَلُكُمْ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الْمَنْسِيِّ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ
التَّمْثِيلِيَّةِ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا أَيْ كَمَا تَرَكْتُمُ الِاسْتِعْدَادَ لَهُ
وَلَمْ تَكْتَرِثُوا بِهِ وَإِضَافَةُ اللِّقَاءِ إِلَى الْيَوْمِ إِضَافَةُ الْمَصْدَرِ إِلَى الظَّرْفِ

أَمَّا الْجَزَاءُ لَهُ مَجْرَى الْمَفْعُولِ بِهِ وَأَمَّا مَجْرَى الْفَاعِلِ لِأَنَّ مَا لَقِيتَهُ فَقَدْ لَقِيَكَ
وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يَدْفَعُونَ عَنْكُمُ الْعَذَابَ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ
اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا أَيْ بِمَا تَرَكْتُمُ الِاسْتِعْدَادَ لِاسْتِهْزَائِكُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَلَمْ تَتَأَمَّلُوا فِيهَا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَظَنَنْتُمْ أَنْ لَا حَيَاةَ بَعْدَهَا
فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا لِسَبْقِ الْقَوْلِ وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِفَتْحِ الْيَاءِ
وَالضَّمِّ أَبْلَغُ وَأَوْفَقُ بِقَوْلِهِ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ يُطْلَبُ مِنْهُمْ أَنْ يَسْتَعْتِبُوا
رَبَّهُمْ لِفَوَاتِ وَقْتِهِ يُقَالُ اعْتَبَهُ أَرْضَاهُ بِمَعْنَى زَالَ عَتْبُهُ أَوِ الْتَفَتَ إِلَى الْغَيْبَةِ
بَعْدَ تَمَامِ التَّقْرِيعِ كَأَنَّهُ يُخْبِرُ غَيْرَهُمْ بِسُوءِ جَزَاءِ هَؤُلَاءِ لِيَعْتَبِرَ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ
السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَيْ لَهُ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا نَظَمًا وَحَالًا لِأَسْوَاءِ
حَمْدِ الْحَامِدِينَ أَوْ لِأَنَّ الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا مِنْهُ وَبِهِ بَقَاؤُهَا وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ وَلَا يَلِيقُ إِلَّا بِجَلَالِ جَبَرُوتِهِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ تَقْرِيرٌ لِكِبْرِيَائِهِ الْحَكِيمُ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا
يُحْمَدُ غَيْرُهُ إِذْ لَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ خُتِمَ السُّورَةُ بِمَا افْتُتِحَ بِهِ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْكِبْرِيَاءُ
وَالصَّلَاةُ عَلَى فَضْلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَرَةِ الْأَتْقِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ الْكَلَامُ
فِي إِعْرَابِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ السَّابِقَةِ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِلَّا بِالْحَقِّ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ الْمُسْتَدْعِيَةُ لِإِثَابَةِ الْمُحْسِنِ وَعِقَابِ الْمُسِيءِ
وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَتَقْدِيرُ أَجَلٍ مَضْرُوبٍ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ أَمْرُ الْكُلِّ
وَقِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ وَهُوَ آخِرُ بَقَاءِ مُدَّتِهِ وَلَا يَلَائِمُ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي تَقْرِيرِ مَا يُنْكِرُهُ
الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْبَعْثِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا بِهِ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ
أَوْ عَنْ إِنْذَارِهِ عَلَى أَنَّ مَا مَصْدَرِيَّةٌ مُعْرِضُونَ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ وَلَا يَسْتَعِدُّونَ
لِلِقَائِهِ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ
شُرَكَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ أَيْ أَخْبِرُونِي عَنْ حَالِ الْأَوْثَانِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا هَلْ خَلَقَتْ
جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ أَوْ مَا يَنْسَاقُ مِنْهَا مِنَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ أَشِيرُوا إِلَيْهِ
فَإِنَّهُ بُرْهَانٌ مَبْنِيٌّ أَمْ لَكُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمَا شُرَكَاءُ فِي شَيْءٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَقِيلَ
تَخْصِيصُ الشِّرْكِ بِالسَّمَاوَاتِ احْتِرَازٌ عَمَّا يَتَوَهَّمُ أَنَّ لِلْوَسَائِطِ شَرِكَةً فِي إِيجَادِ
الْحَوَادِثِ السُّفْلِيَّةِ قُلْتُ فَعَلَى هَذَا كَانَ اللَّازِمُ قَلْعَ ذَلِكَ الْوَهْمِ كَمَا فِي سُورَةِ
الرَّعْدِ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُسَلَّمُ لَهُ لِقَوْلِهِ فِي سَبَإٍ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا
مِنْ شِرْكٍ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَيِ الْقُرْآنِ إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ

أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ نفيه مِنْ عُلُومِ الأنبياء مِنْ اثر الحديث نقله وَمِنْهُ الآثار للاخبار إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ وَلِمَا أَبْكَمَهُمْ بَغَى عليهم بقوله وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا يقدر على الجواب لكونه جَمَادًا فضلاً عَنْ كشف مهمة اود فع بلية وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ لانهم اما جمادات أَوْ ملائكة مكرمون ليسرهم علم بعبادتهم هذا وَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ فالامر اطم كانوا لهم أَعْدَاءً لعبادهم أَوِ الْعِبَادُ لهم يَلْعَنُ بعضهم بعضا وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ قائلين كانوا يعبدون الجن وَالْعِبَادُ يقولون وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مشركين وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ واضحات قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ نوع اخر من كفرهم كما جاء مِنْ غير تدبر كما هو شان اللبيب الحازم دلالة على اغراقهم فِي الكفر أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ اضراب عَنْ نسبة السحر إلى ما هو داخل فِي الانكار وَذَلِكَ أَنَّ السحر امر خارق لا يقدرون على الاتيان عنا كما أَنَّ الأول كان جهلا عبرا وَلا بالبينات وَثانيا بالحق وَأتى بالمظهر الدال على علة العناد وَلما الدال على كفرهم به مع انه كان عندهم صفة ذم وَأما الكذب فكان عندهم اقبح ما يوصف به كما دل عليه حديث ابى سفيان مع هرقل لا سيما الكذب عَلَى اللَّهِ قل إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تملكون لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إن اراد عقوبتى فكيف اجترئ عَلَى الافتراء وَاى فائدة لى فِي ذلك هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ اى تخوضون فِي الحديث اندفع فيه من غير روية كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يشهد لى بالتبليغ وَعليكم بالتكذيب وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ يغيب لهم فِي التوبة مَعَ الاشعار بكمال خلقه عنهم مع عظم جرمهم قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ بديعا مثله خف بمعنى خفيف وَالمعنى لست اول رسول حَتَّى ليشنعه عليكم شانى بل قد تقدمنى رسل دعوى الكل واحدة وَكانهم من البشر وَلم يقدر احد على الاتيان بآية الا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ مفصلا لانه غيب وَعَنِ ابن عباس وَالحسن وَعكرمة وَقتادة رضى الله عنهم نسخت بقوله ليغفر لك اللَّهُ مَا تقدم مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تأخر وَلما نزلت قال المؤمنون هنيئا لك يا رسول فما لنا فنزلت ليدخل المؤمنين وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ وَعَن ابى هريرة ان هذا فِي أمر الدنيا وَمَا يؤول اليه حاله معهم يؤيده قوله إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ لا قدرة لى عَلَى الاتيان بما تقترحون وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ لا ساحر وَلا كذاب قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اى القران وَكَفَرْتُمْ بِهِ عطف على فعل الشرط وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عطف على الشرط

وَمَا عطف عليه عَلَى مِثْلِهِ على المعانى المطابقة لما فِي الْقُرْآنِ من التوحيد وَالوعد وَالوعيد فَآمَنَ بِالْقُرْآنِ وَاسْتَكْبَرْتُمْ أنتم وَشَاهِدُ بني إِسْرَائِيلَ مُوسَى وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ فَإِنْ قلت الاية مكية وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سَلامٍ بِالْمَدِينَةِ قلت نزل مَا سَيَكُونُ منزلة الواقع وَتحقيقه أَنَّ مَنَاطَ الالزام إيمان شاهد مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لما رَأَوْهُ مُوَافِقًا للتورية اى لو وقع ذلك الْتَسْتُمْ أَضَلُّ النَّاسِ ثم أَمَنَ عَبْدُ اللَّهِ بعد مدة فكما هو ذلك الشاهد هذا تَأْوِيلٌ مَا رُوِيَ أنها نزلت فيه إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ دليل عَلَى الْجَوَابِ الْمَحْذُوفِ وَاشْعَارٌ بِأَنَّ ضلالهم نَاشٍ عَنْ ظُلْمِهِمْ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ اى قالوا فِي حقهم وَلأجلهم اراد وا عمارا وَبلالا وَصهيبا واضرابهم مِنْ فقراء الصحابة وَقيل قاله غطفان وَبنو عامر وَاشجع واسد وطوايف من الاعراب لما اسلم عفا واسلم ومزينه وجهينه وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ظرف المحذوف اى ظهر لعدم جواز تعلقه بقوله فَسَيَقُولُونَ لتدافع دلالتى المضى وَالاستقبال وَلَيْسَ مِنْ قَبِيلُ فسوف يعلمون انا الاغلال فِي اعناقهم نظما للمستقبل فِي سلك المقطوع لان عدم الهداية محقق وَلا تاويل سيقولوا يعنى قالوا وَالْعُدُولُ للاستمرار لكون السين مانعا هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ كقولهم اساطير الاولين وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى مبتداء وَخبر إِمَامًا وَرَحْمَةً نصبا على الحال وَالعامل الظرف وَهَذَا الْقُرْآنُ كتاب مُصَدِّقٌ لكتاب موسى وَلغيره لِسَانًا عَرَبِيًّا حال من فاعل مُصَدِّقٌ وَفِيه دلالة على انه كما دل على صدق كتاب مُوسَى دل بالمعجزة على انه فِي نفسه كلام الله لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا اى القران وَقرا نافع وَابْن عَامر وَالْبَزِّيّ بِالتَّاءِ مسندا الى رسولنا أَوِ اللَّهِ أَوِ الْقُرْآنِ وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ اى هو بشرى أَوْ عطف على محل لينذر مفعولا لَهُ لما استشهد بشاهد بني إِسْرَائِيلَ على صدق الْقُرْآنِ وَكَونه كتاب الله استشهد كتاب مُوسَى بِأَنَّهُ وَالْقُرْآنَ متطابقان كل منهما يصدق الاخر وَذَلِكَ كاف فِي شهادة الشاهد فلا يضره وَتقديم مِنْ قَبْلِهِ للاهتمام بيان انزال الكتاب اخر مستمرا وَنزلوا امره لا من لا يعرف انه كتاب مُوسَى نزل من قبله لعبادهم فقدم تخصيصا إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا على ما يلزمهم اعتقادا وَعملا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من كروه وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ على فوات محبوب أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا حال من المستكن فِي صحاب جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لتشمل العقايد لانها عمل الْقلب وَوَصَّيْنَا الانسان بِوَالِدَيْهِ افرده بالذكر بعد اندراجه تحتا لاستقامة اهتماما لان طاعتهما شفيعة طاعة الله

حسنا فعلا ذا حسن وقرأ الكوفيون احسانا وعليه رسم مصحفهم اسلم
من الحذف حملته امه كرها ووضعته كرها ترجيح لجانبها في البر على الاب
اى ذات كره او حمل ذا كره وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بالفتح
وهما لغتان والضم في المشقة اشهر والفتح في الاجبار وحمله وفصاله
مدة حمله وفطامه ثلثون شهرا ومنه علم ان اقل مدة الحمل ستة
اشهر لقوله حولين كاملين في مدة الرضاع ولذلك عثر عن العظام بالفصال
اذ قد يفطم قبل الرضاع التام حتى اذا بلغ اشده ثلثا وثلثين سنة
وبلغ اربعين سنة وتكامل قواه واستحكم عقله ولذلك لم يبعث نبي
الا بعد اربعين سنة وذلك لان القوى الشهوانية ياخذ في الانتقاص
فيقل نزاعها مع العقلية قال رب اوزعني الهمني اصل الايزاع الاغراء
بالشيء ان اشكر نعمتك التي انعمت علي بالتوفيق لدين الاسلام وعلى
والدي كذلك قيل نزلت في ابي بكر فانه اسلم هو ووالده وولاده وولده
اولاده ولم يتفق في المهاجرين والانصار اربعة ابطن صحابيون غيرهم
وما يقال لم يكن في المهاجرين والانصار من اسلم هو وابوه غير سهو
في المهاجرين ابن عمر وابوه ابن عباس وابوه وفي الانصار جابر وابوه
وغيرهم وان اعمل صالحا ترضيه تقبله واصلح لي في ذريتي اجعلهم
مكان الصلاح وموقعه اني تبت اليك واني من المسلمين المخلصين
جعله وسيلة اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا جميع حسناتهم
كقولهم الاشج اعدل بني مروان او غير المناج فانه حسن لا ثواب عليه
ونتجاوز عن سيئاتهم ذكره لان قبول العمل لا يستلزم العفو عن الزلل
في اصحاب الجنة كائنا في زمرة الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين
وعد الصدق الذي كانوا يوعدون مصدر مؤكد لانه يتقبل ويتجاوز
في معنى الوعد وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالفعلين بالنون ونصب حسن
والسيئات واحسن لكونه نصا على الفاعل مع التعظيم والذي قال لوالديه
اي تكما هذا العاق ضد ذلك الصالح والمراد به الجنس الذي هذا شانه
يدل عليه الاخبار باولئك وما قيل انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر
كذب لان عبد الرحمن من كبار الصحابة وقد اخبر في الاية ان هذا حق
عليه العذاب ولما روي البخاري ان عايشة رضي الله عنها لما بلغها
ان مروان بن الحكم هو الذي قال هذا القول لما طلب من عبد الرحمن
البيعة ليزيد وابى عبد الرحمن قالت والله عبد الرحمن ليس بذلك ولكن
انت لعنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت في ظهر ابيك اذ ارادت

الحكم بن العاص طريد رسول الله الى الطائف وقرأ ابن كثير وابن عامر
اف بفتح الفاء والباقون بالكسر ونونها نافع وحفص تبكيرا والكسر احسن
لانه الاصل عند التقاء الساكنين اتعدانني ان اخرج من القبر وقراءة
ابن عامر في رواية هشام بالادغام وقد خلت القرون من قبلي ولم يخرج
احد منهم وهما يستغيثان الله من شره كلا يصبهما او ان يوفقه
ويلك امن اصل الويل الدعاء بالهلاك اريد به الحث على الايمان لدلالته
على ان مرتكبه جدير بان يدعى عليه بالهلاك ان وعد الله حق في قيام
الساعة والجزاء على الاعمال فيقول ما هذا الا اساطير الاولين
الاباطيل التي توارثها الناس اولئك الذين حق عليهم القول بانهم
اهل النار في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس كقوله في ضده في
اصحاب الجنة انهم كانوا خاسرين استيناف لتعليل الحكم ولكل
درجات اي لكل من الفريقين والدرجات على التغليب او لكل مؤمن
ويعلم حال المقابل منه او اريد مراتب اعمالهم مما عملوا من جزاء اعمالهم
وليوفيهم اعمالهم اي جزاءها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وابن ذكوان
بالنون وهو دال على التعظيم وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة
عقاب تعليل محذوف معلله كانه قيل ليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم قدر له
جزاء اعمالهم على مقاديرها ولما كان مبنى السورة على تهديد الكفار من
يقابلهم تذكيرا اعتراضا شرح حالهم بقوله ويوم يعرض الذين كفروا
على النار العرض على النار التعذيب بها يقال عرضه على السيف اذا
قتله به وعن ابن عباس رضي الله عنهما يكشف لهم عنها اذهبتم
استوفيتم هو العامل في يوم وقرأ ابن كثير وابن عامر بالاستفهام
تقريرا طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها تمتعتم تمتع
الانعام فاليوم تجزون عذاب الهون عذابا بالهوان بما كنتم
تستكبرون في الارض لتكبرون بغير الحق ولم تكونوا اهلا له
لان الكبرياء رداء الله وبما كنتم تفسقون تخرجون عن الطاعة
والاحسن رد النفيق الى العذاب والهون الى الكبر نشرا بمعنى اللف
واذكر اخا عاد اي حاله مع قومه لقومه فان علوهم واغراقهم
في الكفر يشبه اغراق اولئك اذ انذر قومه بالاحقاف بدل اشتمال
والاحقاف جمع حقف وهو الرمل المستطيل الذي فيه انحناء من
احقوقف الشيء اعوج عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه واد بحضر
موت يلقى فيه ارواح الكفار وعن قتادة هكان بلاد يمن يقال الشجر

وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه حال من الفاعل اى معلما اياهم انذار الرسل او المفعول اى عالمين بذلك اما باعلامه او بما تواتر عندهم فان قلت من لم يات من الرسل كيف يصدق عليه قد خلت قلت نظما لما ياتى فى سلك الماضى لتحقق وقوعه او اعتراضا بين المفسر والمفسر او المعنى اذكرهم اخا عاد وسائر الرسل الذين قبله والذين وغيرا لاسلوب اشارة الى ان المذكور احالة قوم هود وهذا اسلم من التكليف فى الجمع بين الماضى والمستقبل ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل قالوا اجئتنا لتأفكنا عن الهتنا لتصرفنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فى وعدك العذاب كما قال فى حق قريش ليستعجلونك بالعذاب قال انما العلم عند الله ما يعلم ذلك الوقت الا هو وابلغكم ما ارسلتم به ما لم تبلغوا العذاب وكنت بينكم وقرا ابو عمرو ابلغكم مخففا ولكنى اريكم قوما تجهلون عاقبين فى الجهل مستمرين لا يجدى فيكم الايات والنذر وهل يكون اجهل ممن يطلب حلول باس الله به سريعا قال معاوية لم يكن قل عقلا من اهل سبا حيث ولوا عليهم امراة فقال رجل من اهل سبا بل قل عقلا منهم من قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فلما راوه عارضا مستقبل اودیتهم قالوا هذا عارض ممطرنا لما استمروا على تكذيبه امسك الله تعالى عنهم الغيث فارسلوا رجلا منهم يسمى قيلا ليستسقى لهم عند الكعبة فلما استسقى ظهرت لهم سحابة فظنوا انه سحاب ممطر على تعارفوه والعارض السحاب الذى يعرض فى افق السماء والضمير فى راوه اما عائد الى ما تعدنا او مبهم يفسره عارضا حالا او تمييزا وهذا احسن للاجمال والتفصيل والاضافة فى مستقبل وممطرنا اضافة الصفة الى مفعولها بل هو ما استعجلتم به من العذاب القائل هود وقيل كلام الله تعالى وفيه فك الضمان مع ان المناظرة بين هود وريح بدل من ما فيها عذاب اليم صفتها تدمر كل شئ بامر ربها تهلك كل شئ تمر به من اموالهم وانفسهم عام خصص واضافة الرب اليها للدلالة على انها فى تصريفه وتحت ارادته وان شان المربى ان يكون فى طاعة المربى ساعيا فى قضاياه وعن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يفتح على عاد من الريح الا قدر موضع الخاتم ثم عتت على خزانها فلا يعلم قدرما خرج الا علام الغيوب قيل اول ما راوها تطير بمواشيهم واهل الحرث بين السماء والارض كالجراد دخلوا البيوت واغلقوها فخربت البيوت وامالت عليهم الاحقاف فبقوا سبع ليال وثمانية ايام تحت الرمل لهم انين ثم اخذتهم

والقنهم فى البحر فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم انها الزاى وياء يحمد وقرا عاصم وحمزة بياء الغيبة اى لا يرى الماء تبديا رهم والخطاب ابلغ واسلم كذلك نجزى القوم المجرمين كل مجرم كامل ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ما موصولة وان نافيه والمعنى مكنا عادا فى شئ من الاسباب والاموال ما مكناكم فيه ولم يغطكم ما اعطينا اولئك وقد علمتم حالهم وما جرى عليهم وقيل ان شرطية اى ان مكناكم فيه كنتم اكثر يقينا منهم وقيل صلة والوجه هو الاول لقوله كانوا اشد منهم قوة واثارا فى الارض وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستدلوا بها على وجود المنعم ويقابل النعمة بالشكر فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ اذ ما نافية او شرطية والجواب ما بعده من الاغناء اذ كانوا يجحدون بايات الله اذ منصوب باغنى جار مجرى التعليل لان مؤدى التعليل والظرف واحد كقولك ضربته لاساءته وضربته اذا ساء الا ان اذ وحيث خصا بذلك دون سائر الظروف وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى انتم اهل القرى وهم عاد بحضرت موت وسبا بيمن وقوم شعيب بمدين وثمود بالحجر وقوم لوط بسدوم وكانوا يمرون على الكل فى اسفارهم وصرفنا الايات كررناها عليهم قبل الاهلاك فلم يبق لهم حجة لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة هلا نصرهم لما جاءهم باسنا كما كانوا يزعمون انهم شفعاؤهم وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى احد مفعولى اتخذوا العايد المحذوف والثانى الهة وقربانا حال او مفعول له وجعله مفعولا ثانيا والهة بدلا منه غير سديد لان المنكر اتخاذهم الهة دون الله يتقربون بهم لا اتخاذهم قربانا دون الله او ليس من شان الله ان يكون قربانا حتى يكون التجائوا زعمه منكرا بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرتهم وقت الاحتياج وذلك افكهم وما كانوا يفترون اى ذلك الامتناع عن نصرهم اثر افكهم وصرفهم عن الحق وهو الاتخاذ وآثار افترائهم على الله وان صرفنا اليك نفرا من الجن اى اذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا من الجن كيف لم يتوقفوا فى الايمان لما سمعوا القران روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيل بين الجن وبين خبر السماء فقالوا ما هذا الا لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانصرف نفر منهم نحو تهامة فوافوا رسول الله بنخلة فى طائفة من اصحابه عامدين سوق عكاظ يصلى بهم الصبح ببطن

نخلة فلما سمعوه قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء والنفر
ما بين الواحد الى العشرة قيل كانوا تسعة مقدمهم زوبعة يستمعون
القرآن استيناف او حال اى مقدرين استماعهم فلما حضروه القرآن
او الرسول قالوا انصتوا اى قال بعضهم لبعض الانصات السكوت
لقصد الاستماع فلما قضي وقوا الى قومهم منذرين بما فهموا من كلام
الله قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى كانوا يهودا
امنوا بموسى ولم يسمعوا بعيسى ولم يكن شرعه ناسخا بل كان اكثر احكامه
بالتوراة وهذا اوجه مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية يهدي
الى الحق الى الثابت من المعايد التي لا تتبدل والى طريق مستقيم
شريعة لا عوج فيها يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من
ذنوبكم بعض ذنوبكم ولا يأتي في قوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لانها
في الحربي وهؤلاء كانوا مؤمنين بنبيهم ثم برسول الله والمؤمن لا يسقط
عنه تبعات الناس الا بالاداء او الاستحلال مع ان غفران البعض لا ينافي
غفران الكل فانه مفهوم اللقب ويجركم من عذاب اليم استدل به من
قال ان الجن لا يدخل الجنة اذ لم يكفروا الا بالنجاة من العذاب وهو يروى
عن الامام ابي حنيفة رحمه الله والحق دخولهم لانهم مكلفون بما كلف
به الانسان ولقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي الاء ربكما تكذبان
ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض لاستحالة له وليس له من
دونه من دون الله اولياء اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن
الحق بعد ظهوره اولم يروا ان الله الذي خلق السموات ولم يعي بخلقهن صلة
السورة بما تحقق به المبدأ وختمها بما يحقق المعاد وقرر بينهما التوحيد
والنبوة وهذه هي المقاصد وما عداها فروع وتوابع يقال شيء بالامر
اذا كل ولم يهتد لوجهه يقادر على ان يحيي الموتى خبر ان ودخل الباء لان
المقصود اثبات القدرة ولهذا عجب من رؤيتهم كانه قال اليس الله بقادر
ولذلك اجاب بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقريرا لها ويوم يعرض
الذين كفروا على النار نصب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والمشار
اليه العذاب لقوله قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
معنى الامر الاهانة فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات
والجد من بني آدم فيشمل الرسل كلهم او تبعيض لقوله في آدم فنسي ولم نجد له
عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت وهم اصحاب الشرائع الذين جدوا
وسعوا في تقريرها وصبروا على اذى الطاعنين ومشاهيرهم نوح

وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على البلاء وهم نوح كان يضرب
حتى يغشى عليه وابراهيم حتى القي في النار وامر بذبح ولده واسمعيل
صبر على الذبح ويعقوب على فقد يوسف ويوسف على السجن وايوب على الضر
وموسى على طغيان فرعون عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صام ثلثة ايام مواصلا ثم قال يا عائشة ما ينبغي لهذه الدنيا محمد ولا
لال محمد ان الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا الصبر وقد كلفني ما كلفهم
فقال فاصبر كما صبروا ولوا العزم من الرسل واني لاصبرن كما صبروا ولا
تستعجل لهم لكفار قريش كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب
لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا المدة من هول العذاب بلاغ
اى هذه السورة او هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة لمن كان له قلب
او القى السمع او تبليغ من الرسل وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض
والمعنى لهم وقت يبلغونه فاذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة لبثهم
فهل يهلك الا القوم الفاسقون اى بعد هذا البلاغ لا يهلك الا الخارج
عن الطاعة تمت سورة الاحقاف والحمد لمن له المن والالطاف والصلوة
على من كلت عن نعته الاوصاف وآله وصحبه اهل التقى والاضاف

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا
عن الاسلام او منعوا الغير عن الدخول فيه والاول اوفق بقوله والذين
امنوا عن ابن عباس هم المطعمون يوم بدر وهن مقاتل اثنى عشر رجلا
من اهل الشرك وقيل هم اليهود اضل اعمالهم الكارهم التي كانوا
يباهون بها من فك الاسارى وصلة الرحم وقرى الاضياف والذين
امنوا وعملوا الصالحات يشمل كل مؤمن وقيل ناس من قريش وقيل من
الانصار وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب يؤيده قوله وامنوا بما نزل على محمد
وعلى الاول افراده اشعار بتعظيمه وانه الاصل الذي لا يعتد باعتقاد
ولا بعمل دونه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اى الثابت الذي
لا يعقبه نسخ كفر عنهم سيئاتهم ستر هاجرا ان او حال بتقدير قد
واصلح بالهم وبال دخالهم في الدين ذلك اشارة الى ما عرف من اضلال
طائفة وتكفير سيئات اخرى مبتدأ خبره بان الذين كفروا اتبعوا
الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اعلة لذلك كان يسبب اتباع
هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق او خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك والجار

اعل هبل اعل هبل ثم قال لنا عزى ولا عزى لكم قال رسول الله لا صحابه وهو
جالس بدا وى جرحه الا تجيبونه قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا
ولا مولى لكم إن الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى
من تحتها الانهار تقرير لتوليه والذين كفروا يتمتعون ايتماما قليلا
ويا كلون كما يا كل الانعام غافلين في الكفر غافلين عن العاقبة غفلة
الانعام عما هي بصدده من التحرز والذبح والنار مثوى لهم ماوى ومقام
النصب على الحال وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
وقرا ابن كثير وكاى على وزن فاع بعد بيان ما للفريقين التفات اليه مسليا
اى وكم من اهل قرية كانوا اشد قوة من هؤلاء واسبابا واوفر اموالا
اهلكناهم لما كذبوا الرسل فلا ناصر لهم اى لم يكن لهم من ينصرهم
والعدول الى المنزل لاجرائه مجرى الحال المحكية كانه قيل فهم لا ينصرون
افمن كان على بينة من ربه اراد به رسوله والبينة ما معه من القران
المعجز الدال على الوعد والوعيد او كل مؤمن لقوله افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى كمن زين له سوء عمله هم مشركو مكة
واتبعوا اهواءهم لا شبهة فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون
مبتدا وخبر كمن هو خالد في النار مرتب على الانكار السابق في افمن كان
والمعنى امثل الجنة التي وعد المتقون كمثل جزاء من هو خالد في النار فحذف
المضاف لدلالة ما تقدم عليه وقالدة التعريف عن حرف الانكار لدلالة
على ان من شبه عليه الاول فالثاني في مثله واذا ذاك يسقط عن ربقة
الخطاب فيها انهار من ماء غير اسن تكرير للصلة وتفصيل للوعد
ولذلك لم يدخل العاطف او حال مؤكدة او صلتها في تقدير مبتدا كانه
قيل ما مثلها فقال مثلها كذا وكذا والجملة خبر المبتدا وعن سيبويه فيما
قصصنا عليك مثل الجنة وعلى الوجهين كمن هو خالد خبر مبتدا محذوف
او ليس المتقي الذي له الجنة كالخالد في النار وقرئ به لحذوف وعد المتقون
والاسن المتغير من اسن وقرا ابن كثير اسن على فعل والاول ابلغ لانه
نفي العام يستلزم نفي الخاص دون العكس وانها من لبن لم يتغير طعمه
لصوصه وغيرها وانها من خمر لذة للشاربين اى لاجل لذة الشاربين
خاليا من اذاة خمر الدنيا من ذهاب عقل وغول وخمار وانث لذة
كجدة او مصدر وصف به مبالغة وعنه صلى الله عليه وسلم من
سالكم الجنة فليسال الله الفردوس فانه اوسط الجنة منه تفجر
الانهار وانها من عسل مصفى خلق كذلك لا يخالطه شمع ولا دواع

نور ولهم فيها من كل الثمرات ما عدا المذكور ومغفرة من ربهم من
سيدهم هذا اجل من تلك النعم اذ لا يوازى رضى الله شيئا كمن هو خالد
في النار وسقوا ماء حميما بالغا في الحرارة يشوى الوجوه فقطع
امعاءهم من شدة الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا
من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ما ذا قال انفا كان المنافقون يحضرون
خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالس تذكيره ومواعظه ولا يلقون
السمع الى مقالته ولا يكترثون به فاذا خرجوا من عنده سالوا الصحابة ماذا
قال محمد في اول الساعة القريبة منا استهزاء وايذانا بانهم يحضرون
بابدانهم دون قلوبهم وقرا ابن كثير في رواية البزي انفا مقصورا قال
ابو علي هما لغتان كاكه وفكه اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلا
يمكنهم ادراك مقالتك واتبعوا اهواءهم فلذلك يستهزؤن ولا
يبالون بها والذين اهتدوا الى الايمان وادراك المعارف والحكم زادهم
هدى بالتوفيق والالهام والايمان بما يتحدد من الوحي والاحكام و
اتاهم تقويهم جزاء تقويهم او منحهم تقويهم الخاص وهو نبط الستر على
الله وكما ان المعاصي بالمداومة عليها يودي الى الطبع والرين فكذلك الطاعة
تودي بالسالك الى الفناء عن وجوده فيكون الرب تعالى سمعه وبصره فهل
ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة اى ما ينظرون
الا اتيانها فقد جاء اشراطها صلة للانتظار كانه قال ما ينظرون الا
اتيان الساعة بغتة لان اشراطها قد جاءت وبعد مجيئها لا بد من مجئ الساعة
والاشراط جمع شرط بفتح الراء بمعنى العلامة والمراد بها رسول الله
وما فتح على المسلمين من الاموال والاسباب وكثرة السبايا وعن سهل بن
سعد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير باصبعه الوسطى والتي
تليها يعني اذا والساعة كهاتين ثم عجب من نفع التذكر بعد وقوعها
بقوله فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم توبيخا على ترك التذكر لها قبل
فوات الوقت فاعلم انه لا اله الا هو واستغفر لذنبك مسببا عن جملة
ما سبق من اول السورة من حال الفريقين كانه قال اذا علمت ذلك فاقدم
على موجبات السعادة وتمسك بها وللمؤمنين والمؤمنات واطلب
لذنب مثيبك المغفرة من الله تعالى لعله قال استغفر لذنبه ومن ذنبه والاول
ابلغ كانه قيل لانك مذنب وفي عادة الجاري لا له على ان ذنوبهم نوع
اخر اذ لا يجوز في حقه الا ترك الاولى تادرك والله يعلم متقلبكم
بالنهار في حوايجكم ومثواكم وتستقرارهم بالليل كقوله لا اجبن

يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ فراقبوه فى الاحوال كلها اَوْ فى حيوتكم وفى القبور اَوْ فى اعمالكم ومثواكم فى الجنة فاخلصوا له العمل وفيه اشارة الى فضل العلم وان لا عمل بدونه وان فضله انما يظهر اذا شفع بالعمل وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ قبل الاذن فى القتال حين كانوا مامورين بالصبر فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ محكمة فى شان القتال لم يعترها نسخ ولا اشتباه وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ الامر به رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ هم المنافقون لقوله فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولقوله يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ اى فاهلكهم الله اهلاكا اقرب من كل شىء ولا يمكن هذا فى حق مؤمن ضعيف الايمان طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ امثل لهم او امرهم طاعة اسنينا فى اومقول قولهم قبل القتال لقوله ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ جد هو فعل صاحب الامر اسند اليه مجازا كقولهم قام الحرب فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ اى المنافقون لكان خيرا لهم فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ اَن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أَرْحَامَكُمْ فعل الكلام معهم الى الخطاب ليكون انكى واشد توبيخا والاستفهام للتقرير والمعنى انكم تقولون كيف تقاتل العرب وهم من جلدتنا نظهر ون هذا من ديانتكم وفور مروءتكم وكمال فتوتكم فلو فوض الامر اليكم وتوليتم واستقام لكم الامر بلا منازع هل يتوقع منكم الا فساد الارض وقطع الرحم الذى لا شىء اقبح عند العرب منه ولا فى الشرع اشنع منه وان كان بعض الكبائر اكبر منه وهذا منه تعالى على لسان العباد كانه قال يقول لكم قائل هذا الكلام ثم كشف عن حالهم بما لا مزيد عليه بقوله اُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ طردهم عن مظان رحمته ومنعهم نسيم لطفه وازال حاسة السمع عنهم فلا يستطيعون تلقى المعارف والحكم ولم يصل بصائر الوحى الى شفاف قلوبهم وازال ابصارهم فلا يدركون الايات المبثوثة فى الآفاق والانفس فهذا التقرير يرشدك الى ان الكلام كله يعضد مرتبط بعضه فى شان الكامل فى النفاق ولا مجال لتوهم ارادة ضعفاء المؤمنين الغير المرتاسخين فى الايمان مع هذا التعضد الشديد على ان النفاق لا يقع موقعه الا اذا كان الكلام مع المنافقين أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ الفاظه الرائقه ومعانيه الموثقة التى لو انزل على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا أم بمعنى بل والهمزة تقرير لهذا الشق من التردد وان القلوب مقفلة

مختوم عليها والتنكير فى القلوب اما للتهويل ونقطيع شانها فى القسوة كانه لا يمكن تعريفها ولا يقادر قدرها او لانها قلوب متميزة عن سايرالقلوب وهذا ايضا معنى حسن واما اضافة الاقفال فهى التى لا يجوز غيرها لانها تفيد ان تلك الاقفال مختصة بها رافعها ابدا إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ هم المنافقون مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ظهر لهم بحيث لم يبق شبهة الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ اى سهل لهم ارتكابه وهو نه من السول اجوف واوى وقيل من السوءال مهموز العين بمعنى التمنى وفى صحته تصريفا واشتقاقا نوع تكلف وَأَمْلَى لَهُمْ ارخى لهم العنان ومد لهم فى العمر ومناهم الاماني والامال قرا ابو عمرو واملى على بناء المجهول ماضيا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ القائلون هم المنافقون والذين كرهوا ما انزل الله هم اليهود لقوله تعالى بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء وقيل القائل يهود والذين كرهوا المنافقون وقيل قول المنافقين لقريظة والنضر واحد الفريقين للمشركين والوجه هو الاول كما اشير اليه مرارا سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وهم المهم الذى يجتاج الى التظاهر والتعاون كمعاونة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاتفاق على تكذيبه والتكذيب بالتوحيد وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فان هذه من تلك الاسرار وقراءة الكسائى وحفص اسرارهم بكسر الهمزة مصدر اسر وهذا ابلغ وذاك اظهر وانسب بالفواصل فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم اى حال لهم حال كونهم يضربون اشرف اعضائهم واحسنها ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وكرهوا رضوانه اتبعوا الطاغوت وكرهوا الكلام المنزل وسماه رضوانه مبالغة لانه سبب رضوانه اَوالاسلام اَو رسول الله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ اسقطها عن درجة الاعتبار وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ اى بلى كان حسبانهم ذلك اذ لو علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين سيطلعون على ما هم فيه من النفاق لم يتركوه ولو نشاء لأَرَيْنَاكَهُمْ لعرفناك ذواتهم وسيماهم فلعرفتهم بسيماهم بتلك العلامات التى اعلمناك وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ جوابا بقسم محذوف لحن القول اسلوبه ونحواه واصله امالة الكلام من ظاهره الى نحو من الايحاء قال ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا واللحن بعرفه ذوا الالباب

ومنه اللحن في الاعراب لانه عدول عن الصواب وعن ابن عباس رضي
الله عنهما هو قولهم ما لنا من الثواب اذا اطعنا ولم يقولوا ما علينا من
العقاب ان عصينا وعن عثمان رضي الله عنه ما اسر احد سريرة الا ابداها
الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم
بالاوامر والنواهي الدالة على التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين على مشاقها علما متعلقا بوقوعها ونبلو اخباركم
اي اعمالكم فان الخبر على وفق المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح
واذا تميز الخبر الحسن عن الخبر القبيح فقد تميز المخبر عنه كذلك فصح ان يكون
بلاء الاخبار كناية عن بلاء الاعمال وقرأ ابو بكر الافعال الثلثة بالياء
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم
الهدى قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا
لا ينقص ذلك من ملكه شيئا او رسول الله عليه الصلوة والصلوة والسلام
وتعظيم الجلالة مفخم وسيحبط اعمالهم يبطلها ولا يثيب عليها ومكايدهم
وحيلهم التي يبنونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فلا يصلون
الى مقاصدهم منها يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم كالمنافقين بالنفاق او كالذين ارتدوا بها على وجه لا
يثاب عليها او تفرقوها بالعجب والمن والاذى عبر عن ذلك بالاحباط تجعل
ما كان يصدق التقوى كالثابت مبالغة في التحذير وعن ابن عمر كنا معشر
اصحاب محمد عليه السلام نرى كل حسنة مقبولة حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ولا
دليل فيه لمن يقول الكبيرة يحبط العمل ولذلك رد قوله بقوله ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
لدعمهوميه ان من لم يمت على تلك الحالة يجوز ان يغفر له كاينا ما كان من
ذنوبه فلا تهنوا اي بعد ما علمتم ان الغرض من الامر بالقتال وسائر
التكاليف تعلق علمه بالمجاهدين الصابرين فلا يكن منكم وهن بل تجلدوا
لتنالوا اجر الصابرين وتدعوا الى السلم الصلح وتلك القتال ابتداء
فانه يطمع العدو ولا يناقض ما صالح عليه في الحديبية اذ لم يكن ذلك الا
بسؤال المشركين وقرأ حمزة وابو بكر بكسر السين وانتم الاعلون
والحال انكم الغالبون في العواقب والحروب والله معكم بالنصر والاعانة
فلا وجه للوهن ولن يترككم اعمالكم ينقص من ثوابها شيئا دفع لما يتوهم
من ان النصر اذا كان منه تعالى فاي اجر لهم يقال وتر الرجل اذا قتل له

قتيلا قريبا كالولد والاخ فانك افردته عن قرينه فشبه به الافراد
عن العمل في عظم المصيبة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته
صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولا يدمن تضمين معنى التسلب
ليتعدى الى المفعول الثاني انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اللعب ما
يجلب السرور والهو ما يدفع به الغموم والهموم وان تؤمنوا
تداوموا على الايمان وتتقوا مخالفة اوامره ونواهيه يؤتكم
اجوركم كاملة ولا يسئلكم اموالكم عطف على الجزاء وفيه مقابلة
حسنة بين اعطاء الاجور كلها واخذ بعض المال وهو العشر او ربعه
ان يسئلكموها فيحفكم يجهدكم الاحفاء المبالغة في السؤال
من احفيت الشارب اذا استأصلته تبخلوا باعطاء جميع المال
ويخرج اضغانكم يظهر كراهتكم ومقتكم لمحمد ولدينه لذهابه
باموالكم والضمير في يخرج لله تعالى او للبخل فانه سبب الاضغان
ها انتم هؤلاء هذا شانكم ايها المخاطبون وصفتكم تدعون استينافا
كانهم قالوا ما وضعنا ويجوز ان يكون هؤلاء موصولا تدعون صلته
لتنفقوا في سبيل الله في الجهاد والفقراء يشمل الزكوة فمنكم من يبخل
فانما يبخل عن نفسه اذ ضرره لا ينعداها والبخل لتضمنه المنع و
التضييق يعدى بعن نظرا الى الاول وبعلى في الثاني ثم قرر ذلك بقوله
والله الغني وانتم الفقراء اي كما ان الغني لذاته لا يفارقها
كذلك الاحتياج لكم قال الفقر وصف لذاتي دائم ابدا كما ان الغني
ابدا وصف له ذاتي وان تتولوا تعرضوا عطف على تؤمنوا يستبدل
قوما غيركم كقوله ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد ثم لا يكونوا
امثالكم بل يكونوا سامعين مطيعين روى ابن جرير باسناده الى ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية
قالوا من هؤلاء يا رسول الله فضرب بيده على كتف سلمان وقال هذا وقومه
ولو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من الفرس تمت سورة القتال والحمد
لمولى النعم والنوال والصلوة على سيد المفضال وآله وصحبه خير صحب وآل

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا نزلت بعد صلح الحديبية
بكراع الغميم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد زيارة
البيت قبل الفتح سنة ست قبل الهجرة فحالت كفار قريش بينه وبين

البيت واجتمعوا بالحديبية وهي بئر بقرب مكة فوقع بينهم الصلح على ان
يدخل في العام القابل مكة ويطوف بالبيت ويقيم بها ثلثة ايام فلما تلاها
على الناس قال عمر بن الخطاب او فتح هو يا رسول الله قال اي والذي
نفسي بيده وانما كان فتحا لانه تسبب لفتوح كثيرة لانه تفرغ لقتال سائر
العرب وفتح في تلك السنة خيبر وامن الناس واجتمع المؤمن بالكافر
والصديق بالصديق وسمعوا القران واسلم بشر كثير وانتشر العلم ولهذا
وقيل هو فتح مكة والتعبير بالماضي على ذا باخباره تعالى وفيه فخامة حيث
جعل المترقب كالمتحقق وان الازمنة كلها عنده على السواء فاذا اخبر
عن حادث فهو كائن لا محالة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
علة للفتح من حيث انه مسبب عن الجهاد والسعي في ازاحة الكفر وتكميل
التفوس واعلاء كلمة الله او مع ما بعده مفعول الفتح من حيث المجموع
فانه علة للنصر العزيز والذنب المغفور له مما لا يخلو البشر عنه من خلاف
الاولى وقيل ما تقدم تحريم مارية وما تاخر اخفاء قصة زينب وفيه
ان قصة زينب متقدمة ويتم نعمته عليك نعمة الاسلام واعلاء
كلمته ويهديك صراطا مستقيما موصلا لا عوج فيه وهي الملة
الحنفية وشرعه الغرا وينصرك الله نصرا عزيزا عليه على العدو
مع العز اذ النصر قد يخلو عنه وذلك صلح الحديبية لانه كان بسوء لهم
لما القى الله في قلوبهم من الرعب او الغلبة للمنصور فالاسناد مجازي هو
الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين لما اضطلموا امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بخ اهدى انكم اصحابه ذلك وقالوا كان يعدنا انا نطوف
بالبيت حتى قال لهم ثلث مرات لم يبرح منهم احد فدخل على ام سلمة و
شكى اليها ما راى منهم فقالت اخرج هديك واحلق راسك حتى يتبعوك
ففعل فاتبعوه فالسكينة هي الطمانينة التي كانت بعد القلق والاضطراب
او انزل السكون الحما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرايع
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اذ لم يكن في بدو الاسلام الا التوحيد ثم نزلت
الصلوة والزكوة وسائر الشرايع قالت عايشة رضي الله عنها لو نزلت
الفرايض جملة لم يؤمن احد منهم ولله جنود السموات والارض لو اراد
اهلاكهم اعدائه لاهلكهم طرفة عين ولكن اجرى الامور على وفق حكمته
ومن ذلك قضية الحديبية وما كان في ذلك من الحكم وكان الله عليما
كامل العلم حكيما في كل ما دبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها معللة محذوف اي دبر ما دبر وقضى ما قضى

ليعرف المؤمنون نعمه عليهم فيشكروها وسئلوا بها هذه الرتبة او بدل اشتمال
ليزدادوا ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما
اذ هو منتهى المطالب وغاية الغايات عند حال عن المستكن في عظيما
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على ليدخل
الا انا جعل بدلا فعطف على المبدل وتقديم المنافقين لان عز الاسلام
واهله كان اغبط لهم الظانين بالله ظن السوء وهو ان الله لا ينصر
رسوله والمؤمنين او ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون والسوء الفساد والذم
والاضافة فيه كرجل صدق والمعنى ظن الشيء الفاسد عليهم دائرة السوء
دائرة ذلك الفساد الذي يظنونه بالمؤمنين الدائرة ما احاط بالشيء من جميع
جهاته خيرا كان او شرا غلبت في الشر كغلبة الدولة في الخير فالاضافة للبيان
كشمس النهار وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم السين وهو الشر والعذاب والبلاء
وهو ابلغ واصرح وغضب الله عليهم اراد الانتقام منهم لان المصاف
قد لا يكون مغضوبا عليه ولعنهم طردهم عن رحمته اذ الغضب ربما
لا يؤدي الى الطرد ثم اشار الى مآلهم في الاخرة بقوله واعد لهم جهنم
وساءت مصيرا ولم يعطف الاخيرين بالفاء مع ان كل واحد مسبب عن
سابقه اشارة الى استقلال الكل بالوعيد ولله جنود السموات والارض
قلوشاء لانتقم منهم واستاصلهم كما فعل بعاد وثمود وكان الله عزيزا حكيما
غالبا لا يغالب حكيما في تاخير العذاب لما فيه من المصالح انا ارسلناك شاهدا
على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله
اي المرسل اليهم وتعزروه التعزير النصر القوي وتوقروه يعظموه
وتسبحوه تنزهوه بكرة واصيلا دائما او في هذين الوقتين لانهما
اشرف الاوقات وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد صلوة الصبح والظهر
والعصر لتضمنها لذكر الله وقراء الكوفيون ونافع وابن عامر بتاء الخطاب في
الافعال الاربعة والمخاطب رسول الله وامته لانه مؤمن بما جاء به قبل
كل احد فغلب على الغالب ان الذين يبايعونك المضارع لتصوير الماضي
بصورة الحالي انما يبايعون الله لانك رسوله والواسطة بين الله و
بينهم يد الله فوق ايديهم اراد يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
المبايعة والله منزه عن الجارحة بل هو سبيل التخييل وان العقد والميثاق
مع رسوله انما هو معه تعالى وهذه البيعة هي بيعة الرضوان واهلها كلهم
في الجنة وهم الف وثلث مائة او اربع مائة او خمس مائة وسببها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب ليرسله الى كفار قريش ويسبر

أبو سفيان ليخبرهما انه انما جاء زايرا لا يريد حربا فقال عمر يا رسول الله
قد علمت كفا قريش مما كان مسني من الغلظة وليس بمكة من بني عدي من يحميني
ولكن ادلك على من ترسله عثمان بن عفان فانه من بني امية فارسله رسول
الله صلى الله عليه وسلم فارجف الناس ان الكفار قتلوا عثمان فعند ذلك
دعاهم الى البيعة واختلفت الرواية في كيفية البيعة عن سلمة بن الاكوع
انهم بايعوه على الموت وعن جابر انهم بايعوه على ان لا يفروا ولما بايع الحاضرين
رفع يده وقال هذه يد عثمان ووضعها على الاخرى ثم قال كلكم في الجنة
الا صاحب الجمل الاحمر قال جابر فابتدرنا اليه فقلنا تعال بايع رسول الله وكان
فاضل جمله فقال لان اصيب جملي خير لي من ان ابايع صاحبكم فمن نكث فانما
ينكث على نفسه اذ لا يعود ضرره الا اليها قال جابر ولم ينكث احد منا
ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما لا يحاط به قرا حفص
بضم الهاء عليه وقرا نافع وابن كثير وابن عامر بالنون التفاتا وهو ابلغ
في الترغيب سيقول لك المخلفون من الاعراب هم المنافقون منهم بنو
لحيان وغطفان وعصية والديل وعدغفار واسلم ومزينة وجهينة غير
سديد لانهم خلصا استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الحديبية
حذرا من قريش ان يحاربوه او يصدوه عن البيت فاعتذروا بالاموال والاهل
ولما رجع رسول الله قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا لم نجد من يقوم مقامنا
فاستغفر لنا قالوه نفاقا واستهزاء يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان
اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا اي قل لا احد يدفع ضره ولا لنفعه فليس
الشغل بالمال والاهل عذرا اذ لا يرد ذلك من الضر شيئا ولا مما قضه
العدو ويمنع النفع ان اراده وام اللام امالة للبيان كما في هيت لك او صلة وقرا
حمزة والكسائي بضم الضاد على انهما لغتان او هو للاذى وسوء الحال
وبالفتح ضد النفع مصدر وهو اوفق واخصر ثم ترقى الى التهديد بقوله
بل كان الله بما تعملون خبيرا بما كنتم في انفسكم ثم كشف الغطاء عنه
بقوله بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وذلك
انه عليه السلام لما استنفرهم قالوا غزوه في المدينة وقتلوا اصحابه
وشارفوا على قتله كيف يذهب اليهم وزين ذلك في قلوبكم المزين هو
الله حقيقة والشيطان سبب وظننتم ظن السوء الفاسد وهو ان
لا ينصر الله رسوله وكنتم قوما بورا هلكى وصف بالمصدر مبالغة
او جمع بائر كحائل وعوذ قال كعب عوذ مطافيل ومن لم يؤمن بالله ورسوله

انا اعتدنا للكافرين سعيرا ومن لم يؤمن بالله ورسوله ظاهرا وباطنا
فانا اعتدنا لهم وضع الظاهر موضع المضمر وتنكير سعيرا لانها نار
مخصوصة كانا تلظى وبلله ملك السموات والارض ينصرف فيه كيف
يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا علة لصنعه وفيه ترغيب لمن تاب
وتخلف في التوبة وكان الله غفورا رحيما كثير الغفران والرحمة سيقول
المخلفون عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها هي غنايم
خيبر وعدا الله رسوله والمؤمنين ان يعوضهم عن غنايم قريش بشرط
ان لا يشاركهم فيها احد والتعبير بالمغانم والاخذ اشارة الى سهولة
حصولها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله حكمه السابق
لاهل الحديبية بان يكون غنايم خيبر لهم دون شريك الا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعطى جعفر بن ابي طالب ومن قدم معه من الحبشة
فانهم جاؤا ورسول الله على خيبر قرا حمزة والكسائي كلم الله جمع كلمة
وقراءة الجمهور اولى اذ لا بد من تاويل هذا الكلام قل لن تتبعونا
كذلكم قال الله من قبل هو ذلك الوعد فسيقولون بل تحسدوننا
بكذبون كلام الله كما هو دابهم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اضراب
عن اضافة الحسد الى المؤمنين الى ما هو اقبح منه وهو الجهل وعدم الفهم
الذي كل داء دونه ولذلك نسبوا الحسد الى من طلق الدنيا وضرتها
ما زاغ البصر الى شيء دون جنابه القدس وما طغى قل للمخلفين من الاعراب
كرر هذا الاسم للبشاعة تنفيرا للسامعين ستدعون الى قوم اولي
باس شديد فحمزة ابو بكر قيل هم هوازن وثقيف قاتلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد الفتح وقيل فارس والروم وعن الضحاك هم
بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب قاتلهم خالد بن الوليد في خلافة
الصديق تقاتلونهم او يسلمون مستانف وليس بصفة قوم لانهم
دعوا الى قتال قوم لا الى قتال قوم موصوفين بالمقاتلة والا لم يراد بانه
لا بد من تاويله بالامر اذ قد يتركوا سدى وهو نهد غير قادح اذ الكلام
في قوم مخصوصين وقد وقع الاتفاق على ان تفسير فستدعون لقوم اما ايمانا
او جزية او للتنويع والحصر اذ الاثالث فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا
حسنا الغنيمة في الدنيا والجنة في العقبى وان تتولوا كما توليتم
من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما ليس على الاعمى حرج ولا
على الاعرج حرج ولا على المريض حرج استثنى المعذورين عن المخلفين
ووعيدهم ومن يطع الله ورسوله كالنا من كان يدخله جنات

تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما قرأ نافع وابن عامر
ندخله ونعذبه وهو ابلغ ترغيبا وترهيبا لقد رضى الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة هى السمرة نوع من شجر الطلح عن سعيد بن
المسيب لما اتاه اخبره انهم خرجوا فى العام القابل ففتشوا عليها فلم
يظفروا بها وكان ذلك حكمة من الله لئلا يضل بها اقوام فعلم ما فى قلوبهم
من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة الى قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عمر لما عاهد قريشا على ان يرد اليهم من جاءه
مسلما قلت السنت رسول الله حقا قال بلى قلت السنت تعدنا ان تطوف
بالبيت قال بلى قلت فلم يعطى الدنيه فى ديننا قال انى رسول الله ولن
يضعنى الله هل قلت لك انك تطوف بالبيت فى هذا العام قلت لا قال فانك
اتيه ومطوف وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان
الله عزيزا غالبا حكيما راى حاجتكم واخلافكم وعدكم الله مغانم
كثيرة هى ما يفتى الله على المؤمنين يوم القيمة تاخذونها ذكر الاخذ
فى الموضعين للدلالة على سهولة الحصول فعجل لكم هذه غنايم خيبر
كانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم وكف ايدى الناس عنكم
اهل خيبر وحلفائهم اسد وغطفان جاؤا لنصرهم فقذف الله فى قلوبهم
الرعب فنكصوا خاذلين اياهم مكة بالحديبية حين سالوا الصلح ولتكون
اية للمؤمنين اى هذه الكفة ليعلموا انهم بمكان من الله وعين كالشه
والعطف على علة محذوفة مثل ليشفعكم بها او وليكون الكفة اية للمؤمنين
فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما انا وجدتم وعدا لله ورسوله صادقا
ازددتم ايقانا وتفويضا اليه لانه العالم بعواقب الامور واخرى لم
تقدروا عليها قد احاط الله بها عن ابن عباس رضى الله عنهما هى الفتوح
التى تفتح الى يوم القيمة اخرى مجرور برب او مرفوع على الابتداء وقد احاط
الله الجملة خبره وقيل عطف على هذه والمراد بها غنيمة هوازن يوم حنين
ومعنى لم تقدروا عليها انهم ثبتوا والمعنى غنمكم الله من غير حول وقوة
وفى جعلها من الغنيمة المحللة وهى بعد فتح مكة وهذا بعد اذ لم يكن فيها
غنيمة سواء قلنا فتحت صلحا او عنوة وعن ابن ابى ليلى انها الروم وفارس
وكان الله على كل شئ قديرا لاستفاوت نسبة الممكنات الى قدرته ولو
قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله
مصدر مؤكد اى سن غلبة انبيائه التى قد خلت من قبل فى الامم الماضية
ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا كتب الله لاغلبن انا ورسلى تشجيع لهم

ليثبتوا فى مواطن الحرب بعد ان علموا ذلك وهو الذى كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم ببطن مكة روى انس بن مالك ان ثمانين رجلا من المشركين
نزلوا من جبل التنعيم يوما الحديبية يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذهم المسلمون واتوا بهم رسول الله فقال هل نزلتم على عهد
احد من اصحابى قالوا لا وكذا عن سلمة بن الاكوع وعكرمة مولى ابن عباس
الا ان فى رواية سلمة سبعين وفى رواية عكرمة اربعين فعفا عنهم وقبل
دعوهم يكن بدء الفجور منهم وتناوه وقيل ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى
خمسمائة فارس يريد قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه
خالد بن الوليد فهزمه حتى ادخله حيطان مكة وفيه ان خالدا لم يكن اسلم
يوم الحديبية بل كان طليعة للمشركين كما رواه البخارى وقيل كان ذلك
يوم الفتح مع رسول الله هدى بل جاء فى جيش كثيف محاربا من بعد ان اظفركم
عليهم وكان الله بما تعملون من اعمال البر ومحاسن الاخلاق بصيرا
لا يخفى عليه وقرا ابو عمرو يعملون بياء الغيبة والخطاب اوجه لان الكلام
فى منافقى المؤمنين هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى
معكوفا ان يبلغ محله الهدى ما يهدى الى الكعبة من الانعام معكوفا
محبوسا عن البلوغ الى محله المعهود وهو منى لقوله صلى الله عليه وسلم
نحرت هنا ومنى كلها منحر واستدل به الشافعى رحمه الله على ان المحصر ينحر
حيث احصر كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وقال ابو حنيفة
رحمه الله يبعثه الى الحرم لان الاراقة قربة فلا يقع موقعها الا فى زمان
ومكان اعتبره الشارع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاج مكة
كلها منحر وكان مضارب رسول الله فى الحل ومصلاه فى الحرم فدل على انه
نحرها فى الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطئوهم
اى تهلكوهم وتستاصلوا اصله الدوس بالقدم عبر به عن الاهلاك لان
من وطئ برجله على شئ فقد استقصى فى هلاكه قال شعر ووطئتنا وطا على
صيق وطاء المقيد نابت الهرم وفى حديث خولة بنت حكيم انه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخر وطاة وطاها الله بوج فتصيبكم منهم معرة
بغير علم مشقة وكراهة من العرة وذلك انهم لو قاتلوا القتل من بمكة من
المستضعفين وكان يجب بقتلهم الدية والكفارة ولاشاع المشركون انه
محمدا قتل من امن به فى الحرم والجار والمجرور متعلق بان تطئوهم على انه حال
من ضمير المخاطبين ولا تكرار سواء جعل ان تطئوهم بدل اشتمال من رجال
ونساء او من المنصوب فى لم تعلموهم لان عدم العلم فى الاول بالايمان

وفى الثانى بالاهلاك وجواب لو محذوف دل عليه الكلام وفى حذفه اشارة الى شدة غضب الله اى لو لاحق المؤمنين ومكانتهم عند الله لاوقع بمن صدكم عن بيته ما لا يدخل تحت الوصف ليدخل الله فى رحمته من يشاء كان ذلك الكف وذلك بان يسلم المؤمنين من القتل ويدخل فى الاسلام من وفقه ممن كان مشركا لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما لو تفرقوا وامتاز بعضهم عن بعض من زال يزيل كما زيمن لفظا ومعنى ومنه قوله تعالى فزيلنا بينهم وجوز ان يكون لو تزيلوا تكرارا لقول لولا رجال مؤمنون لان مآل المعنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية ظرف لعذبنا او صدوكم او نصب باذكر حمية الجاهلية التعصب الباطل لاكمية الاسلام من المحافظة على حرمات الله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين اذ الوقار والطمانينة وقد تقدم ما كان من عمر واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامتناع عن نحر الهدى ولما كتب على كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله اهل مكة فقال سهيل بن عمرو اما الرحمن فلا نعرفه اكتب باسمك اللهم ولو عرفناك انك رسول الله ما قاتلناك اكتب محمد بن عبد الله فقال لعلى امح رسول الله قال والله لا امحاه ابدا فاخذ منه ومحاه وكتب محمد بن عبد الله والزمهم كلمة التقوى الوفاء بالعهد وذلك انه لما وصل الى الحديبية بركت ناقته فقالوا اخلأت القصواء فقال والله ما خلأت وليس ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل والله لا يسالونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم فكل ذلك كان وفاء بما عاهد الله عليه وقيل كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم اختارها له والمؤمنين وان ابى المشركون والاضافة الى التقوى لانها سببها وكانوا احق بها واولى من غيرهم لا من غيرها كانوهم واهلها ومستاهلها وكان الله بكل شىء عليما علم استحقاقهم لها وانهم اهل الهداية لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحديبية فى المنام انه دخل هو واصحابه المسجد الحرام وطافوا وسعوا وقصروا فقصها على اصحابه ففرحوا بذلك وابشروا انه يكون ذلك فى تلك السنة فلما كان من امر الصلح ما كان تغيرت خواطرهم ووسوس اليهم الشيطان حتى قال عمر ما قال واجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اجاب فانزل الله ان ذلك المنام حق ولا بد من وقوعه على الوجه الذى رآه وما قيل ان عبد الله بن ابى وعبد الله بن هبل ورفاعة بن الحرث قالوا والله

ما حلقنا وما قصرنا ولا انبنا المسجد الحرام لا يستقيم لانه لم يكن معه فى الحديبية منافق الا صاحب الجمل الاحمر كما تقدم بالحق صفة مصدر اى صدقا ملتبسا بالحق اى الحكمة البالغة من الابتلاء او حال من الرؤيا اى لم يكن من اضغاث الاحلام او قسم اما باسمه تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخل المسجد الحرام جوابه وعلى الاول جواب قسم محذوف ان شاء الله امنين محلقين رؤسكم ومقصرين كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تبدل ولا انفصال والتقييد بالمشية تعليم للعباد فى العزم على المترقب واشارة الى ان ذلك بمجرد مشيته تعالى لا بحلا وتهم او هو حكاية ما قاله ملك الرؤيا او رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قص الرؤيا وقيل المعنى بأسركم ان لم يمت منكم احد ويغيب ويرد غلبة ان علمه تعالى بنا فى ذلك لا تخافون اى بعد الدخول حالة مقيدة لان الاحوال المتقدمة احوال مقدرة فعلم ما لم تعلموا من الحكمة الفاء للتعقيب فى الذكر فجعل من دون ذلك فتحا قريبا صلح الحديبية لما تقدم ان عمر رضى الله عنه قال او فتح ذلك قال اى والذى نفسى بيده وقيل فتح خيبر هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ملتبسا بالهداية ودين الله الذى ارتضاه له او الدين الحق اضيف اليه مبالغة كرجل صدق ليظهره على الدين كله بجعله غالبا بحيث لا يبقى لتلك الاديان بقاء واذا كان عناية الله معه فى هذه المرتبة فكيف يستبعدون فتح مكة ودخول المسجد الحرام امنين وكفى بالله شهيدا على نفسه فى اخبار هذه المواعيد محمد رسول الله صرح باسمه العلم دفعا لتوهم غيره من لفظ الرسول اى ذلك الرسول الموصوف محمد رسول الله عطف بيان ولا يكون تركيبا بلغ مثله ويجوز ان يكون مبتدأ ورسول الله خبره والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بكمال الرجولية والحكمة حيث وضعوا كل شىء موضعه وفى الحديث المؤمنون فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر جسده بالحمى والسهر ولما حمشتى ابو دجانة الى القتال يتبختر فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم يختال فى مشيته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مشية يكرهها الله الا فى هذه الموطن تراهم ركعا سجدا هذه معاملتهم مع الله وتلك معاملتهم مع الناس يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا الذى هو على المطالب وفيه تعريض بالمنافقين الذين يراؤون الناس سيماهم فى وجوههم من اثر السجود السيما العلامة من السوء والياء بدل من الواو ومن بيانية اى سيماهم التى هى اثر السجود وقد روى

ابن ماجه باسناده من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار واليه اشار صلى الله
عليه وسلم في قوله الصلوة نور ولذلك ترى تارك الصلوة على وجهه ظلاً
ولو فعل من البر ما فعل وعن منصور سألت مجاهدا فقال هو الخشوع فقلت
ما ارى الا الاثر في الوجه فقال ربما كان ذلك بين عيني من هوا قسى قلباً
من فرعون ذلك الوصف العجيب مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل
في الكتابين اللذين لم ينزل قبل القران اعظم منهما ثم ابتداء فقال كزرع
اى هم كزرع وقيل تم الكلام في قوله مثلهم في التورية ثم ابتداء بقوله
ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فرخه والجمع اشطاء ما يخرج
حول الشتلة من الفروع وقرأ ابن كثير وابن عامر في رواية ابن ذكوان
بفتح الطاء لغة منه فآزره قواه واعانه من الازر او من المؤازرة وقرأ
ابن ذكوان ازره كنصره لغة والمد اشهر واكد فاستغلظ صار
من الدقة الى الغلظة او استحكم غلظه فاستوى على سوقه على قصبه
جمع مبالغة في استحكامه وقرأ ابن كثير في رواية قبل بالهمزة على انه مفرد
مهموزه كالكاس يعجب الزراع بقوته وحسن منظره اى مثل محمد وقيامه
وحده في مكة ودعواه الرسالة ثم تأيده بالصحابة كسنبلة هذا شانها
ليغيظ بهم الكفار تعليل لما دل عليه الكلام اى كونهم بهذه الصفة
لغيظ الكفار وشجو حلقهم او لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما من بيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
التقديم جعل الشيء متقدما فامتا ان يجعل مفعوله محذوفا فالمعنى
كل مذهبا ونسيا كحيي وميت وجاء بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش و
الاول ابلغ واشهر يقال فلان بين يدي زيد اذا كان قريبا منه بين الجهتين
المسامتتين ليمينه وشماله وذكرهما مع الله على سنن المجاز المستمر تمثيلا
وفيه تصوير لشناعة ما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا دينيا ولا تحكموا
به من دون اذن الله ورسوله والاولى ان يجعل ذكر الله توطئة من قبيل
اعجبني زيد وكرمه لان الكلام مسوق لاجلاله رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي ذلك من قوة الاختصاص والمكانة ما لا يخفى وهو الموافق لقوله
تعالى فما اتيكم الرسول فخذوه ثم اذا علم شان التقديم بين يديه علم شان

التقديم بين يدي الله من باب الاولى واتقوا الله فان التقوى ملاك الامر
ومن تمسك بها جاز كل اوب وجانب كل شبهة وريب ان الله سميع
لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي اذ من كان مقامه ومكانته عند الله
من القرب والحظوة ما تقدم كان خفض الصوت والتخافت بالكلام بين
يديه ادنى ما يجب اليه من التوقير والاجلال ولذلك اعاد النداء حثا
على الاستبصار وايقاظا عن سنة الغفلة تذكيرا واعتبارا روى البخاري
باسناده الى ابن ابي مليكة قال كاد الخيران ان يهلكا ابو بكر وعمر رفعا
اصواتهما عند رسول الله لما قدم عليه ركب بني تميم اشار الصديق
بان يؤمر القعقاع بن معبد عليهم واشار الفاروق الى الاقرع بن حابس
فاراد تفعت في ذلك اصواتهما فنزلت فقال ابو بكر والله لا اكلمك بعد هذا
الا كاخي السرار وكان عمر اذا خاطب رسول الله لا يسمعه حتى يستفهمه
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فضلا عن رفع الصوت
فوق صوته ان تحبط اعمالكم فان الاستخفاف به كفر محبط للعمل
والمعنى انهوا عن ذلك خشية من حبوط العمل على ان المنهي معلل او
الفعل لاجل الحبوط منهي على ان المعلل منهي لانه لما ادى اليه فكانه
فعل لاجله ولما نزلت اقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس
الانصاري فذهب اليه عاصم بن عدي فوجده يبكي في بيته فاخبر بذلك
رسول الله فدعاه فقال ما يبكيك يا ثابت فقال قد خفت ان يكون قد
حبط عملي وكان جهوري الصوت قال لست هناك تعيش حميدا وتموت
شهيدا قال انس لما كان يوم قتال مسيلمة الكذاب تحنط ولبس كفنه فقال
حتى قتل في كفنه وانتم لا تشعرون بذلك وعنه صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي لها ما لا يكتب له بها الجنة و
ان الرجل ليتكلم بكلمة من سخط الله لا يلقي لها ما لا يهوى به في النار ابعد
ما بين السماء والارض ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
يحفظونها كل شيء كفعته فقد غضبت اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى اى علم انها افوياء على احتمال التكاليف والمشاق لان الامتحان
سبب المعرفة الجار والمجرور حال اى كائنة للتقوى خليقة بها كقولك انت
لهذا الامر اى مختص به لا يتجاوزك واخبر بها بانواع المحن ليظهر تقواها لان حقيقة
التقوى لا تعلم الا عند الابتلاء او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا بالغ
وخلصه ابريزه وعن عمر اذهب شهواتها ثم في جعل اسم ان المؤكدة موصولا

مشيرًا بصلته الى وجه بناء الخبر وتعريفه والاتيان باسم الاشارة باللام
الى الاختصاص والاستيناف فى لهم وابهام الجزاء وتنكيره فى مغفرة
واجر عظيم احماد وارتضاء لمن تادب بهذا الادب وسلك مع رسوله
سبيل التوقير والاجلال وتعريض باضدادهم نزلت فى الشيخين ايضًا ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات ناس من بنى تميم مقدمهم الاقرع بن عابس نادوه
باسمه وهو فى حجرة الحجرات بيوت ازواجه جمع حجرة فعلة بمعنى المفعول
من الحجر وهو المنع والوراء وان كان حقيقة فى الخلف والقدام الا انهما
لم يرانا يخصوصهما لان مناط الانكار ندارة على الوجه المذكور فى اى جهة
كان وللجمع لانها كانت متصلة فالمنادى من وراء احديها منادٍ من وراء
الكل او نفر قوا فيها او على التعاقب وانما علم انه كان داخلًا الحجرات من
زيادة من اذ لابد ان يختلف المبتدء والمنتهى اكثرهم لا يعقلون اى كلهم
واطلاق القلة على النفى والعدم غير عزيز او يكون فيهم من لم يرتض ذلك
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرًا لهم فى الدنيا لان الاداب
مقناطيس القلوب والاخرة فان توفيرك من اجل الطاعات والقربات وفى
التقييد باليهم اشارة الى ان خروجه لو لم يكن اليهم بل لامر اخر لم يكن لهم
ان ينادوه بالخطاب فضلًا عن ندائه على ذلك الوجه والله غفور رحيم
وافر الغفران والرحمة ترغيب لهم فى التوبة ولما ارشدهم الى طريق السلوك
معه وشيدا ركان اجلاله بما لامزيد عليه شرع يبين مقابلة المؤمنين بعضهم
مع بعض بقوله يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا نزلت
فى الوليد بن عقبة بن ابى معيط ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى
المصطلق ليأخذ صدقاتهم فاستقبلوه اكرامًا له لانه رسول رسول الله
وكان بينه وبينهم محاسنة ظن انهم مقاتلوه فكر راجعًا واخبرانهم منعوا
الزكوة وارادوا قتله فبعث اليهم بعثًا فلما كانوا بالطريق نادوا الحرث
ابن ضرار وهو ابو جويرية زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه
فسألوا البعث فقالوا اجئنا لك مقاتلين ارتدت قبل الوليد ومنعت الزكوة
فقال معاذ الله فورد مع قومه الى رسول الله وحلف له فنزلت وروى
انه بعث بعد الوليد خالدًا فراهم موا لطين على الطاعات فاتى بصدقاتهم
وقصد بتنكير فاسق وبناء العموم اى فاسق كان باى نباء كان فان النكرة
فى الشرط تعم والفسق الخروج عن الطاعة باتيان الكبيرة والاصرار على
الصغيرة وفى تركيب هذه الحروف معنى الخروج كيف ركبت وقرا حمزة والكسائى
فتثبتوا بالثاء وقراءة الباء اوفق لانه المقصود من التثبت ولما روى انه

قال بعد نزولها الا ان التبين من الله فتبينوا وفيه دلالة على رد خبر الفاسق
وقبول خبر العدل ان تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين
كراهة اصابتكم قومًا بمكروه وهم برآء عن موجبه حال كونكم جاهلين
بحقيقة الحال فتصيروا ذوى ندم وهو الغم اللازم اما لفوتة او لعدم
غيبة موجبه او لكثرة تذكره كالتائب الصادق فى توبته وتركيب الحروف
يدل على الدوام ومنه الندیم والدمنه والادمان واعلموا ان فيكم
رسول الله نفى عليهم ما فرط منهم من الوليد وما كان من بعض المؤمنين مزحة
رسولا لله على الايقاع ببنى المصطلق قبل التثبيت ونزلهم منزلة من
لم يعلم انه بين اظهرهم وهذا وقد تقدم لهم النهى عن التقديم بين يدى
الله ورسوله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم نصب على الحال من
المستكن فى الفعل او البارز المجرور اى هو فيكم على حاله يجب تغييرها
وهى ارادتكم اتباع رايه لما يظهر لكم فى كثير من الامور وذلك مما
يوقعكم فى المشقة وفى ايثار لو اشارة الى ان ما اراده حقه ان يكون
مفروضًا كالمستحيل وايده بالمضارع تصويرًا لاستمجاء ما كانوا عليه
من ارادة الاستمرار فيما حقه ان يكون مفروضًا وبالفت الذى هو الكثير
بعد الجبر الى اشد المحذورين مع الرمز الى انه ليس باول بادرة منهم وتعميم
الخطاب ليكون تعريضا وهو ادوع لمرتكبه وازجر لغيره فان قلت اذا نزلوا
منزلة الجاهل كان قوله واعلموا ان فيكم رسول الله كلامًا مفيدًا وكان
الاستيناف فى لو يطيعكم ظاهر كان قالا قال ما اذا فعلوا حتى نسبوا
الى ذلك التفريط ويجاب بانهم يريدون ما يوقعهم فى العنت بسبب استتباع
من يخطئ على المحرة فى الكمال وانتضاء ل الشمس رد وكرايه لدى الظهيرة
قبل الزوال قلت ذاك وجه حسن لولا ارتباط الكلام بما تقدم من شان
الوليد ومبادرة البعض الى تصديقه وحث رسول الله على الايقاع فبقوة
التعريض وينفك التظلم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو
ان فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر وما يخالف طاعة ورسوله
حملهم على ذلك او بصفة من لم يفعل ذلك منهم اجمالًا له ودمًا لغيره
تعريضا اولئك هم الراشدون يؤيد الثانى والكفر عدم الايمان
والفسوق الكبائر والعصيان الصغائر وكل ما انكره الشرع والرشد
الاستقامة على الحق من الرشادة وهى الصخرة فضلًا من الله ونعمة
منتصبان كائنا الاول بالنظر الى المنعم عليه ونصبه على المصدر لان الرشد

فضل او مفعول له لمقدر اى جزى ذلك فضلا او لحبب وما عطف عليه واولئك
هم الراشدون اعتراض او للراشدين لان الرشد لما كان بتوفيقه فكان فعله
ولا يخلو عن تعسف والله عليم باحوال الناس حكيم يتفضل وينعم
على من اقتضت حكمته وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الجمع باعتبار
المعنى فان كل طائفة جمع وايثار ان مع كثرة الاقتتال اشارة الى ان الايمان
حليق بان لا يوجد معه الاقتتال الا نادرا فاصلحوا بينهما بين الطائفتين
فان بغت احديهما على الاخرى تعدت فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله
يرجع الى حكمه وايثار المضارع لان المقاتلة باعتبار البغى الحالى فان
فاءت رجعت فاصلحوا بينهما بالعدل قيده بالعدل دون الاول اشارة
الى ان الباغى بعد الفىء حكمه حكم العادل والتائب من الذنب كمن لا ذنب له
لا سيما وكانت لهم شبهة فاقسطوا فى سائر الامور او تاكيد للاصلاح
بالعدل ان الله يحب المقسطين يثيبهم على فعلهم وفى الحديث المقسطون
على منابر من نور يوم القيمة يقال قسط ظلم مصدره القسط بالفتح واقسط
ازال القسط من القسط بالكسر العدل نزلت فى الاوس والخزرج ركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم حمارا يعود سعد بن عبادة فمر على مجلس فيه الاخلاط
وابن ابى المنافق فاخذ بانفه وقال لا تؤذنا بنتن حمارك فقال عبد الله
ابن رواحه ان حماره اطيب ريحا منك فوقع بين الطائفتين القتال بالايدى
والنعال انما المؤمنون اخوة فى الدين اتى بالحصر اهتماما لشانها و
اشارة الى انه مع الايمان ذاتا لا اجنبية وهى اشرف من اخوة النسب لانقطاع
الانساب يوم القيمة واخوة الدين باقية ابدا صافية لا كدر فيها بخلاف
اخوة النسب اذ قلما يخلو عن كدورة ومحاينة فاصلحوا بين اخويكم
ان وقع شنآن وايثار المثنى لان اكثر ما يكون بين الاثنين ولانه اذا
وجب الاصلاح بينهما فى الاكثر اوجب والزم واتقوا الله فى مجامع
امورکم او فى ترك الاصلاح بين الاخوين فانه كثيرا ما يتساهل فيه
لعلكم ترحمون حال كونكم راجين رحمة الله يا ايها الذين امنوا لا يسخر
قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن
خيرا منهن القوم الرجال خاصة ولذا قوبل بالنساء ولانهم قوامون
على النساء ولقوله تعالى ما اغنى قوم الحصن ام نساء وقوم نوح ونظائره تغليب
اولا انهن توابع مصدر فى الاصل لقولهم اذا اكلت اخيك لوما وابعصت
قوما اى قياما او جمع قائم كزور فى زائر والتنكير لارادة البعض او
التسبوع ولم يقتصر على التوحيد لان السخرية اكثر ما يكون فى المحافل

والراضى بها كالساخر ولم يعطف عسى بالفاء لكونه مستانفا جوابا عن سؤال
الموجب للنهى ولا تلمزوا انفسكم اى لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين
كنفس واحدة كقوله ولا تقتلوا انفسكم او لا تفعلوا ما تلمزون بسببه كقوله
صلى الله عليه وسلم لا يسبن احدكم اباه قالوا وهل يسب احد اباه قال
نعم يسب ابا احد فيسب اباه واللمز فى الاصل الاشارة بالعين شاع فى القول
كالهمز فى الفعل ولا تنابزوا بالالقاب التنبز بالتحريك اللقب والمراد به
ما يسوء الانسان وفى الحديث على المؤمن ان يدعو اخاه باحب اسمائه وقد غير
رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من الاسماء بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان المراد بالاسم الذكر يقال طار اسمه فى الافاق اى ذكره والفسوق
مصدر فصح الحمل والمعنى ذم الاجتماع فان الايمان يابى ذلك كما يقول بئست
الصبوة بعد الكبر او ذكر المرء بالفسق بعد ما اتصف بضده كما لو قيل لمن
اسلم من اليهود يا يهودى او بئس الاسم الفسوق بدل الايمان تغليظا كانه
بذلك يخرج عن الايمان والآية نزلت فى الانصار كانوا يتنابزون بالالقاب
رواه ابو داود وقيل فى نساء النبى عليه السلام عيرن زينب الهلالية بالقصر
او صفية شكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نساءك يقلن لى يا يهودية
بنت اليهودى فقال هلا قلت ان ابى هرون نبى وعمى موسى نبى وانا زوجة
نبى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الكاملون فى الظلم لاستمرارهم
على الباطل بعد العلم به يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اى كونوا
فى جانب منه وذكر كثيرا للاشعار بان كل ظن كان بعد التامل ولو عرفه لكان
المنهى عنه الظن الموصوف بالكثرة هو ان بعض الظن اثم الاثم ذنب يستحق
العقاب به من الوثم وهو الكسر لهمزة بدل من الواو وعن مالك عن ابى هريرة رض
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فانه اكذب الحديث وعن عمر
رضى الله عنه لا تظن بكلمة تسمعها من اخيك سوءا وانت تجد لها محملا
ولا تجسسوا ولا تفتشوا على عورات المسلمين من الحس وهو الاحتباث
باليد شاع فى الشر كالتحسس بالحاء فى الخير كقوله فتحسسوا من يوسف واخيه
وعن عتبة بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ستر على مسلم
عورته فكانما احيا موءودة من قبرها ولا يغتب بعضكم بعضا الغيبة
ذكر المسلم بما كان فيه مما يكرهه وان لم يكن فيه فبهتان وعن عايشة رضى
الله عنها ذكرت صفية عند رسول الله بالقصر فقال لقد قلت كلمة لو مزجت
بالبحر لمزجته وعنه عرض المؤمن كدمه الا ان كان المغتاب مجاهرا بالفسق
كما روى عن الحسن لما مات الحجاج قال اللهم امته فاقطع سنته اخيفش

اعيمش لامن الله تبقى ولا من اخفش الناس يسجى او احتيج اليه للجرح او التشهير
فيه وما لم يبلغ المغتاب انا تيب عنه سقط الاثم أيحب احدكم ان يأكل
لحم اخيه ميتا تصوير وتمثيل لما ينالة المغتاب من عرض اخيه على اشنع وجه
يا بلغ طرق استيفائها والتقرير الذى لا يكون الا فى كل مسلم عند كل سامع
وجعل اكره الاشياء محبوبا وتخصيص لحم الانسان الذى تنفر عنه الطباع
حال كونه ميتا من غير ذكوة وكون ذلك من اخيه واسناد الفعل الى احد دلالة
على ان احدا من الاخاد لا يرضى بذلك وقرا نافع مشددا فكرهتموه لامحالة
انتم قائلون به فقد تم الالزام والفاء فصيحة مثل فقد جئنا خراسانا وعن
ابى هريرة لما رجم ماعز فقال رجلان قد ستر الله عليه فلم يستر على نفسه
حتى رجم رجم الكلب فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسرنا معه حتى مر
بجيفة حمار فقال اين فلان وفلان فقالا ها نحن يا رسول الله فقال انزلا فكلا
من لحم هذا الحمار فقالا يغفر الله لك يا رسول وهل يؤكل لحم هذا فقال ما
نلتما من عرض اخيكما اشد من هذا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان سلمان
كان يخدم رجلين من الصحابة فنام يوما عن شانه فبعثناه الى اسامة وكان
على طعام رسول الله يطلب لهما ادما فقال ما عندى شئ فقالا لو بعثناه
الى بئر سميحة لغار ماؤها فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اذى حضرة اللحم فى افواهكما قالا ما اصبنا طعاما منذ نزلنا قال قد
اغبتما سلمان وفى لفظ الحضرة زيادة تبجين لانه من خواص لحم الجيفة
فنزلت واتقوا الله ان الله تواب رحيم شديد الاغتناء بقبول التوبة
وافرا لرحمة بعد الاسراف دهرا طويلا اذا تاب قبل الغرغرة بلحظة تبدل
معاصيه طاعات يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ادم وحوا
او كلا منكم من اب وام فلا وجه للتفاخر وجعلناكم شعوبا وقبائل
للعرب فى الانتساب مصطلح حصروه فى ست مراتب الشعب والقبيلة والعمارة
والبطن والفخذ والفصيلة على هذا الترتيب اعلاها الشعب فجرثمة شعب
وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة
لتعارفوا الانساب فلا يعترى احدا لى غير ابيه وتسهيل نقل الاخبار فلان
ابن فلان ورعاية الاصول فى صلة الارحام ومراعاتها الاكفاء فى الازواج
وتحمل الدية ان اكرمكم عند الله اتقاكم لا دخل للانساب فى امر الاخرة
من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه روى البخارى باسناده الى ابى هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن اكرم الناس عند الله قال انقاهم
وعنه لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى ان الله عليم خبير يعلم حقيقة

التقوى تحذير عن شوب الرياء بعد حضر الكرامة فيها قالت الاعراب امنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا لما ذكر ان ملاك الامر هو التقوى اشار
الى ما به قوامه وهو الايمان الذى لا يعتد بعمل دونه وساق الكلام لهذا
الغرض مساقا بديعا حيث اد مجه فى عرض آخر وهو توبيخ من يزعم انه احاط
بهذا المطلب الشريف وهو عنه بمراحل ولم يصرح بتكذيبهم لئلا يقلبوا
حمالية عليهم ويلبسوا جلد النمر وليرشد المنزل عليه فى سلوك هذا المنهج مع الجاهلين
وكون احدى الجملتين خبرية والاخرى انشائية ونفى الايمان مقابلة اشهاد
الاسلام دون الامر به لا يقدح فى العرض بعد وجود المطابقة المعنوية مع
ما فيها من الفوائد والزوائد ولما يدخل الايمان فى قلوبكم فى موقع الحال
من واو قولوا اى قولوا اسلمنا والحال ان الايمان غير داخل محله وكون لما
للتوقع لا يستلزم وقوع ما دخله وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم
من اعمالكم شيئا لا ينقصكم من لاته تقصه ومنه الحمار لله الذى لا يفات و
لا يلات لغة اسد والحجاز وقرا ابو عمرو فى رواية الدورى يالتكم من
التالسلطان حقه وهى لغة غطفان ان الله غفور لما فرط منكم من
الدعوى المجردة رحيم حيث ارشدكم الى طريق الصواب انما المؤمنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فى هذا الحصر تعريض وكشف عن
حقيقة الايمان ومعنى ثم انهم استمروا على ذلك ولم يعتروهم ما ينافى الايمان
من الارتياب بل هم على ثلج الصدر دوام حياتهم او هو من عطف جبر ائل
على الملائكة وابتاثم لله لابه على ان حالهم فى الايمان على الترقى والازدياد
اما فى الكمال او فى الايقان عند القائل بالزيادة والنقصان ومن لم يقل به
فبالتضام العيان الى البيان وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله
يشمل سائر العبادات لانها اما مالية او بدنية او مركبة ثم اما ان يتوى
بجاهدها كالشيطان والهوى او يكون فاعل بمعنى فعل جئ به على صيغة المبالغة
ليكون ابلغ وافوى وفى تاخير الانفس رعاية الترقى اولئك هم الصادقون
اى الذين لم يكذبوا او الذين ازعاتهم ايمان جد وثبات على ان الصدق فى العمل
للقول والفعل والعقد وعلى الوجهين تعريض بالاعراب والثانى اخص واقوى
بقوله لم يرتابوا لانه فى معنى كذبتم قل اتعلمون الله بدينكم توبيخ لهم
على تلك الدعوى المجردة اى هب ان دعواكم اشتبهت علينا لان الاعتقاد
محله خفى فكيف شانكم مع الله تعلمونه ما لا يعلم والله يعلم ما فى السموات
وما فى الارض والله بكل شئ عليم اعاد لفظ الجلالة مبالغة فى احاطة
علمه لاقتضاء الالوهية ذلك ودل على الخارج السموات والارض

اشياء لايحيط بها الاعلمه يمنون عليك ان اسلموا اى ذلك الايمان الذى
ليس شيأ وراء الاسلام الذى هو الانقياد يمنون عليك به قل لاتمنوا علىّ
اسلامكم باسلامكم على نزع الخافض وفى اضافته اليهم اشارة الى خسته
وانه شئ يليق بامثالهم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ذلكم على
ما هو ايمان حقيقة ولم يضفه اليهم لعدم الملابسة ولذلك اكده بقوله
ان كنتم صادقين دلالة على ان ذلك كذب واختلاف والجواب محذوف
لدلالة ما قبله عليه ان الله يعلم غيب السموات والارض يطلعك
على ما يحق عليك ويفيض من المعارف والحكم ما يسلك به سبيل والله
بصير بما تعملون عيان عنده سركم وعلانيتكم وقرأ ابن كثير يعملون
بيان الغيبة مسندا الى ضمير المائتين تمت سورة الحجرات والحمد
لخالق الارض والسموات والصلوة على المبعوث بانهر المعجزات
واله وصحبه ذوى المكارم والمكرمات

بسم الله الرحمن الرحيم ق حرف الهجاء او اسم السورة مقسم به والجواب
محذوف اى لانذارك به لصادق والقرآن المجيد عطف على القسم او قسم
والمجد الشرف المتبع من مجدت الابل اذا رعيتها فى مرعى واسع فهو ابلغ
من قوله ذى الذكر ولذلك عقبه بقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم
انكارا لتعجبهم دالا على جهلهم التعجب يكون من شئ خفى سببه وكونه بحيدا
اما لانافيه على سائر الكتب او وصف بنعت منزله او لان من احاط به علما
مجدا فقال الكافرون هذا شئ عجيب فاضمار ذكرهم ثم اظهاره اشارة
الى ان اقدامهم على هذا القول ناش من الكفر وهذا اشارة الى الرجع الدال
عليه الانذار اثباتا وكارتيا مستانف لبيان موجب تعجبهم وعولوا
على المنذر به دون التعرض للمنذر لانه ادخل فى الانكار لاستقصارهم
القدرة بخلاق كون واحد منهم رسولا فانه محل استبعاد ذلك رجع
بعيد من كلامه تعالى مصدر بمعنى المفعول تخطئتهم فى المناظرة اى
مرجوع كلامهم ومحصل جوابهم بعيد عن الصواب لكون ما انكروا هو
مما يشاهدونه خلوا للسموات والارض اكبر من خلق الناس ويجوز ان يكون
من كلامهم وذلك اشارة الى ابتداء متناول التاصب لاذا البعث الدال
عليه قد علمنا ما تنقص الارض منهم تاكل من اجسادهم والقدرة على
الانشاء مستلزمة عندهم للاعادة لما فانا وعندنا كتاب حفيظ ضابط

للحوادث ما كان وما يكون فلو فرض خروج شئ من علمنا بناء على جهلهم لم يخرج
من ذلك الكتاب او محفوظ عن التبدل وفيه كابدانا اول خلق نعيده وعدا
علينا بل كذبوا بالحق لما جاءهم بالنبوة راسا فان انكارها انكار المنبأ به
الذى البعث وما يتبعه من جزياته او الاخبار بالبعث فان التكذيب به اسوء
من التعجب منه او القرآن فان قوله بل عجبوا اضراب من حديث القرآن ومجده
وما يدل عليه اعجازه من صدق من اتى به فانكار حقيقته ادخل فى الانكار
من انكار ما يلزم منه من النبوة والبعث وعلى كل تقدير الاضراب الثانى
ابلغ ذماهم من الاول فهم فى امر مريج مختلط تارة يسمون الموتى
بالمعجز الباهر ساحرا وتارة شاعرا الى غير ذلك من خرافاتهم افلم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها من غير سبق مثال فيدلهم ذلك النظر على
ان اعادة امثالهم اهون شئ اى قد نظروا ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور
وزيناها ببرجه الكواكب ومالها من فروج فطور وفتوق بان خلقت
ملساء ولاشك ان هذا الصنيع اتقن من ذى خشونة وشقاق والارض
مددناها بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت شامخات وانبتنا
لها وانبتنا فيها من كل زوج بهيج من كل صنف بهيج به لحسنه ورواه
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى الله فى التدبر فى بدايع صنعه علينا
للافعال المذكورة الاولى للاخيرين والثانية للعاصرين ونزلنا من السماء
ماء مباركا كثير الخير والمنافع فانبتنا به جنات اشجار ذوات ثمار و
حب الحصيد ما شانه ان يحصد مما يقتات واخره لقلته عند العرب فان
اكثر ما يعيشهم الماء والتمر ولذلك عقبه بقوله والنخل باسقات طالعات
نضيد بعضها فوق بعض اذا طلع اباسق طويل والطلع ثمر النخل والنضيد
المنضود اما لتراكمه لكثرته او لكثرة ثمره رزقا للعباد علة للانبات
او مصدر لانه بمعناه واحيينا به بلدة مكانا ارضا يابسة بايجاد
النبات والنضارة فيها ولم يؤنثه باعتبار المكان او البلد كقوله والبلد
الطيب كذلك الخروج اخرجوا من القبور مثل ذلك على انه مصدر
والكاف خبر وقع عكسه والاول اظهر والثانى ابلغ كانه قال مثل هذا
المحسوس الخروج الذى يشهدونه والمعتاد اليه خروج النبات لا الاحياء
كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس قوم شعيب وثمود وعاد وفرعون
اى قومه وانما ذكره دلالة على كونه اشبه لتكذيبهم والداعى اليه واخص
قومه فاطاعوه واخوان لوط اى قومه كقوله واذكرا اخا عاد والاخلاف
للتفنن واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل اى كل فرد او كلهم

وافراد الضمير باعتبار اللفظ فحق وعيد حل بهم واستقر فعيينا بالخلق الاول اى عدم الاهتداء الى وجه المطلوب ضمن معنى الارتباك فعدى بالباء والمعنى انهم معترفون بالاقتدار على الخلق الاول لا ينكرونه ومن اعترف بذلك لزمه الاعتراف بالثانى بل هم فى لبس من خلق جديد مستغرقون فى الحيرة لاجل ذلك انكروا وتنكير الخلق ووصفه بالجديد تنبيه على مكان شبهتهم الناشية من اوهام الحاكم باستحالة العظم الرميم انسانا فى احسن تقويم ولذلك قلع شاءفه شبهتهم بقوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به من الهواجس من وسوسه الجلى الصوت الخفى ومن علمه بخفايات المعقولات هكذا فباجزاء الاجسام اجلى اصغرها يكون والقدرة قد شاهدوا آثارها فى الآفاق والانفس ويجوز ان يكون ما مصدرية والباء للتعدية والمعنى لدنا النفس بجعل الانسان قائما به الوسوسة فالانسان هو المحدث والوسوسة حديثه كقول لبيد واكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب اليه من حبل الوريد تمثيل لغاية او من اطلاق السبب وارادة المسبب لان القرب من الشئ سبب العلم به والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق سميا بذلك لانهما يردان من الرأس والدان الروح يرد فيهما واضافة الحبل اليه بيانية كشجرة الاراك او هو فى الاصل للعاتق اضيف اليه للمجاورة اذ يتعلق المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد اذ ظرف لاقرب وان لم يكن افعل التفضيل عاملا فى المظهر فعاملا او مقدرا للاتساع فى الظرف والمعنى نحن اقرب منه الينا فى تلك الحالة فليس توكيل الملكين لاستفادة علم بل لطفا بالانسان فانه اذا علم بذلك وان ما يعمله ملزم فى عنقه تحرج ان يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا كان ازجر له واكبح لعنانه الا يرى انه اذا اريد ان تكتب معصية يتستر من الناس مع علمه بان الله تعالى يراه ولذلك كان ظلوما جهولا ويجوز ان تعلقه باذكر والعامل بمعنى المقاعد كالجليس بمعنى المجالس لحذف احدهما لدلالة الآخر عليه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد حافظ حاضر لا يفوته شئ وخصيص القول مع ان المراقبة عامة لان التلفظ فى جديد الانسان نفسه ولفظ ما مع زيادة من يدلان على كمال التعميم وبه قال الحسن وقتادة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كان من خير وشر وصاحب اليمين على صاحب الشمال فاذا ادب الانسان ادبا لا يمكنه من كتابته الى سبع ساعات لعله يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لقد ما انثبت ما انكروه من امر المعاد يدل على شمول جملة بالجزئيات واحاطة قدرته بالممكنات

اشار الى ان هذا المنكر انتم لا قوة عن قريب فحذوا حذركم والباء للتعدية كقولك جاء زيد بعمرو اى احضرت الامر الذى بعثت الرسل لاجله او جليه الحال من السعادة والشقاء او من ان كل نفس ذائقة الموت او للملابسة اى ملتبسة بحقيقة الامر وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل ذلك ما كنت منه تحيد اشارة الى الموت والخطاب للكافر لان الكلام معه وفى احواله او للانسان التفاتا والحيد الميل والنفرة وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فك النظم وركاكة النظم ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد اى وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه او ملك واحد جامع للوصفين ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لكونه فى معنى كل النفوس لقد كنت فى غفلة من هذا مستغرقا فيها لا يرى شيئا فكشفنا عنك غطاءك ازلنا الستار بينك وبين الحق فبصرك اليوم حديد شديد الرؤية نافذ وقال قرينه الملك الموكل هذا ما لدى عتيد صفة ما ان كانت موصوفة وبدل ان كانت موصولة وفيه ابدال النكرة من المعرفة او خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف اى هذا الذى من اعماله محفوظ عندى حاضر بلا زيادة ولا نقصان او الشيطان الذى قرن به تقول هذا الذى هو ملكى اعددته لجهنم باغوائى ولا ينافيه قوله ربنا ما اطغيته لانه مثل قول ابليس وما كان لى عليكم من سلطان بعد قوله ووعدتكم فاخلفتكم القيا فى جهنم كل كفار عنيد خطاب للسائق والشهيد فان كان واحدا فالالف بدل نون الخفيفة اجراء للوصل مجرى الوقف كقول الحجاج يا حرسى اضربا عنقه او نزل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لدلالته على تعدده فى قام الزيدان لما بينهما من شبه الاتحاد لفظا ومعنى كانه قيل القوا القوا ولان العرب كثيرا فى خطاباتها لفظ المثنى خليلى صاحبى الى غير ذلك فتسمع هذا على ذلك المنوال كقوله فالقين يا ابن عفان ازجرا ان تتركا فى اجم عرضا ممتنعا مناع للخير كثير المنع من المال والمعروف او الاسلام على ما روى انها نزلت فى الوليد بن المغيرة منع اخيه عن الاسلام والوجه الاول لتناوله الاسلام لانه رأس الخير معتد متجاوز مريب شاك فى دين الله تعالى الذى جعل مع الله الها آخر رفع او نصب على الذم فالقياه فى العذاب الشديد من ذكر الخاص بعد العام او الذى جعل مبتداء تضمن معنى الشرط فالقياه خبره او بدل من كل كفار فالقياه توكيد للاول والقاء للدلالة على ان الالقاء

لتلك الصفات المذكورة قال قرينه ربنا ما أطغيته جواب للكافرين ادعى القرين انه السبب في ضلاله كقوله لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ولذلك لم يعطفه بخلاف الاولى فان العطف فيها لازم للدلالة على الجمع بين مجيء كل نفس وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد حيث ترك الحق بعد ظهوره بوسوستي ووعد كاذب قال لا تختصموا لدي استيناف كانه قيل ماذا قال تعالى في جوابه والمعنى ان دار الجزاء ليس محل الخصام لعدم الجدوى وقد قدمت اليكم بالوعيد والحال التي لم يبق لاحد حجة وقد صح عندكم ذلك الباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او صلة قدم على انه بمعنى تقدم والجار والمجرور حال من الفاعل او المفعول مقدما عليه والفعل واقع على قوله ما يبدل القول لدي اي بينت لكم مضمونه وما انا بظلام للعبيد اني لاحد منا من الظلم والمبالغة اما بالنظر الى الافراد واما لانه لو ظلم لكان كسائر صفاته وافعاله في غاية الكمال يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد يوم ظرف ظلام او نصب باذكر او انذر او بنفخ واشار بذلك الى اليوم كانه قيل ذلك اليوم اي ذلك القول يوم الوعيد وفيه بعد لوقوع الفصل بما لا يصلح اعتراضا على ان زمان الفتح ليس يوم القول الاعلى فرض الامتداد وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء التفاتا والنون ابلغ تهويلا روى البخاري عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى في النار من يلقى وهي تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط بعزتك فعلى هذا الاستفهام على اصله وما روى عن ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة هل من مزيد هل بقي بي من مكان اي لم يبق في موضع ابرة وذلك لما روى مسلم عن ابي سعيد ان الله تعالى وعد لكل من الجنة والنار ملأها فمحمول على ما بعد وضع القدم ولا ضرورة من صرف السؤال والجواب عن الحقيقة وقيل هو من التخييل الذي يقصد به التصوير والتبيين وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد يصح على الظرف او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالقديد والوجيء او على حذف الموصوف اي شيئا وعلى كل تقدير توكيد لازلفت معنى هذا ما توعدون جملة اعترضت بين الموصوف وصفتيه وقرأ ابن كثير لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ على حدوده من خشي الرحمن بدل بعد بدل او من موصوفا وايا ما كان حذف المبدل ولا يجوز ابداله من اواب لانه من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها بسلام او منادى حذف حرف النداء منه جملة بما قبله اعتراضا حاضر عنايته ورقيب على خطرات قلبه وايثار الرحمن من

بين اسمائه تعالى وجعله مقرونا بالخشية للاشعار على الخاشي بانه يخشاه مع علمه بسعة رحمته او لعلمه بشدة عقابه فلم يأمن ولم يغتر بكثرة رحمته بالغيب زيادة في الثناء اي يخشاه وهو غائب عنه حال من المفعول او من الفاعل او خلوانه غائبا عن اعين الناس او بسبب الغيب الذي اوعده به وجاء بقلب منيب تائب والاقتصار على القلب لان الجسد وسائر الجوارح لا تزاول الا بتوجه القلب وفي الحديث ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ادخلوها بسلام امنين سالمين من العذاب او من زوال النعم او مسلما عليكم ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود لان ذلك اشارة الى زمان الدخول ويجوز ان يشار به الى ما بعده نحو هذا اخوك او يجعل يوم الخلود مبتدأ من حين الدخول فيستغني عن التقدير لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد الذي لم يخطر ببالهم روى مسلم عن صهيب انه النظر الى وجه الله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي قبل قومك هم اشد منهم بطشا كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد اي نقروا في البلاد وجالوا في الارض من كل مجال حذرا هل من محيص من مهرب او منجا من عقاب الله واهلاكه ويجوز ان يراد اهل مكة وتنقيبهم اسفارهم ومشاورتهم على دياة المهلكين كقوله فسيروا في الارض والغرض منه انهم وان عميوا عن دلائل البعث فكان عليهم الحذر من العقاب العاجل لما شاهدوا من حال امثالهم ان في ذلك فيما ذكر من حال الامم او مما ذكر في السورة لذكرى موعظة واعتبارا لمن كان له قلب فاهم عن الله او القى السمع الى من له ذلك الاستعداد وهو مستفيد منه وهو شهيد اي حاضر بقلبه منهيء للتفطن اذ غير ممتاية الغائب ويجوز ان يكون من الشهادة اي القى السمع والحال انه مؤمن بما يتلى عليه او من الذين قال الله فيهم ليتكونوا شهداء على الناس والاول اوجه والصق بالمقام ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اذ نفى تعب كذب اليهود في قولهم ابتداء خلق العالم يوم الاحد ووقع الفراغ يوم الجمعة واستراح يوم السبت فاصبر على ما يقولون اي المشركون او اليهود والاول اوجه وسبح بحمد ربك نزهه حامدا قبل طلوع الشمس وقبل الغروب لشرف الوقتين ومن الليل فسبحه فجزء من الليل ايضا وهو الثلث الاخير وقيل المراد بالصلوة قبل طلوع الشمس الصبح وقبل غروبها العصر والظهر ومن الليل العشاء وادبار السجود وخلف الصلوة روى مسلم

باسناده انه صلى الله عليه وسلم قال من قال فى دبر كل صلوة ثلثا وثلثين تسبيحة وثلثا وثلثين تحميدة واربعا وثلثين تكبيرة غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعن علي رضي الله عنه ركعتان بعد المغرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما الوتر وقرأ نافع وابن كثير وحمزة وادبار بكسر الهمزة مصدر ادبر اذا نقضى بتقدير مضاف اى وقت انقضاء السجود واستمع يوم ينادى المناد اى استمع لما اخبرك به من احوال يوم القيمة وفيه تهويل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الملك الذى يستمع ثم اخبر بعد سبعة ايام والمنادى اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى اينتها العظام البالية والاوصال المنقطعة والشعور المتفرقة هلم لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ فى الصور وجبرائيل ينادى قرأ ابن كثير ينادى باثبات الياء فى الوقف لانها جزء الكلمة وحذفها الباقون اتباعا للرسم من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى اقرب ارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض او من تحت اقدامهم او من منابت شعورهم يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادى وانتصابهما بما دل عليه الخروج اى يخرجون من القبور يوم ينادى المنادى بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والصيحة النفخة الثانية ذلك يوم الخروج من اسماء يوم القيمة انا نحن نحيى ونميت والينا المصير للجزاء جرده عن الدليل لما تقدم من الادلة مستوفات يوم تشقق الارض عنهم بدل بعد بدل او ظرف للمصير او نصب بما دل عليه حشر علينا وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين لان اصله تتشقق والباقون مخففا بحذف احدى التائين سراعا مسرعين حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير قدم الظرف للاختصاص اى لا يتيسر ذلك الا لمن امره بين الكاف والنون نحن اعلم بما يقولون منك تسلية له وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار يقهرهم على مرادك انما انت منذر لا غير وقد وفيت بما ارسلت به فذكر بالقرآن من يخاف وعيد اى لا ينتفع به غيره فان الدواء لا يجدى الا اذا صادف محلا قابلا للشفاء تمت سورة ق والحمد لمن لا يحق بحمده الا اوصافه والصلوة على خير خلقه والده وصحبه اولى المكارم والانصاف والاسعاف

سورة والذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا الرياح التى تذرو التراب وغيره ادغم ابو عمرو وحمزة التاء فى الذال فالحاملات وقرا السحاب لانها

تحمل المطر فالجاريات يسرا السفن الجارية فى البحر جريا ناشئة فالمقسمات امرا الملائكة تقسم الامور كل واحد منهم كل بشأن جبرائيل بالوحى واهلاك المكذبين وميكائيل بالارزاق واسبابها وملك الموت بالارواح واسرافيل بالنفخ وملك الجبال بالجبال وملك البحار بالبحار الى غير ذلك مما لا يحيط به الا علمه الشامل هذا هو المروى عن عمر بن الخطاب وعلى والترتيب باعتبار ما سيق له الكلام من الدلالة على كمال القدرة المحقق لما اقسم عليه من صدق الوعد بالبعث لا ظهر فالاظهر لان الكلام مع الجاحد وقيل الكل صفات الرياح لانها تثير السحاب وتحمله وتجرى به فى الجو وتقسمه على الاماكن على ما امرت به فالعطف باعتبار الصفات انما توعدون من البعث لابهمه لتعينه لصادق مطابق للواقع والوعد الصادق كعيشة راضية وان الدين الجزاء لواقع والسماء ذات الحبك ذات الطرائق وهى طريق النجوم فى مسيرها او اراء النظار الذين يتفكرون فيها من حبك الريح الرمل والماء اذا اثرت فيه بالتجميد والتكسير قال زهير يصف غديرا كل اصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى ماء حبك وللماء فى ذلك التكسير حسن منظر قال الحسن الحبك النجوم لانها زينة السماء وقيل صفاقها من جعد النسج اذا احكم التسج وعن ابن الاعرابى كل شئ احكمته فقد حبكته جمع حبيكة كطريقة وطرائق وجاك كمثال ومثل انكم لفى قول مختلف فى الرسول منكم مكذب ومنكم مصدق او منكم من يقول شاعر ومنكم من يقول ساحر او فى القرآن كذلك وقد روعى فى القسم اولا وثانيا ملائمة المقسم عليه وذلك ان المقسم عليه اولا لما كان البعث وما بعده جعل المقسم به ما سلف من الآثار والاطوار وثانيا كونهم مختلفين فيما لا يقبل الاختلاف جعل المقسم به ظرائق مختلفة يؤفك عنه من افك يصرف عنه من صرف الضمير للرسول او للقرآن ولما اسند الفعل الى الموصول وبه جاء المبالغة اى صرفا لا يمكن اشد منه كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم او المعنى يؤفك عنه من افك فى علم الله لا يمكن عنه الادعواه فيكون اشارة الى الختم ويجوز عود الضمير الى ما توعدون او الدين اقسم او لا على وقوعه لم على كونهم مختلفين فيه وقيل الضمير للقول المختلف اى يصد افكهم عن القول المختلف وفيه تعسف وقوات تلك المبالغة قتل الخراصون لعن الكذابون اى هؤلاء المكذبون بالدين والعدول الى اللفظ للاذن بكذبهم من جملة الكذب اصله الدعاء بالقتل ثم شاع فى اللعن لانه فوق القتل الذين هم فى غمرة فى جهل عظيم غارقون فيه اصله الماء الذى يغمر ما يحله

ساهون غافلون عما امروا به يسألون أيان يوم الدين تكذيبا به واستهزاء والمعنى اى زمان زمانه أو فى اى زمان وقوعه بأن يجعل الزمان لكونه مرتقبا منتظرا زمانيا ملحقا بالزمانيات وهذا شايع فى كل زمان له شأن كيوم العيد والنيروز يوم هم على النار يفتنون يحرقون يقال للحرة فتن لان حجارتها السود كأنها محرقة ويوم منصوب بما دل عليه السؤال اى يقع أو مفتوح لاضافته الى الجملة والعامل فيه ذلك الفعل المدلول عليه او خبر مبتدا اى هو يوم هم وعلى اى تقدير كان قائم مقام الجواب ذوقوا فتنتكم عذابكم بتقدير القول هذا الذى كنتم به تستعجلون ويجوز أن يكون بدلا من فتنتكم والموصول صفته إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم اى قابلين لكل ما أعطاهم راضين به من أخذت اخذ فلان سرت سيرته الحسنة والمعنى ان كل ما أعطاهم حسن مرضى إنهم كانوا قبل ذلك محسنين تعليل لاستحقاقهم كانوا قليلا ما يهجعون بيان لاحسانهم ما مزيدة وقليلا صفة مصدر محذوف اى هجوعا قليلا ومن الليل صفة اى هجوعا منه أو لغو متعلق بيهجعون أو موصولة أو مصدرية فاعل قليلا ومن الليل حال مقدم على الاول بيان على الثانى لان معمول المصدر لا يتقدم ولا يجوز ان يكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لفظ الهجوع الذى هو قليل من النوم وتأكيده بالقلة وذكر الليل الذى هو محل الراحة ولفظ كان الدال على الاستمرار وبالاسحار هم يستغفرون يستقصرون عملهم كانوا مع ما فعلوه من الطاعات فى تهجدهم جرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بأنهم الاحقاء بالاستغفار دون غيرهم لكمال خشيتهم وعنه صلى الله عليه وسلم اذا بقى الثلث الاخير من الليل ينزل ربنا الى السماء الدنيا ويبسط يده ويقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له الى طلوع الفجر وذلك كل ليلة وفى أموالهم حق للسائل والمحروم المتعرض والذى لا يسأل اما لعدم قدرته على السؤال او يمنعه الحياء وعنه صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه وعن الحسن ابن على رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق وان جاء على فرس وفى الارض آيات للموقنين عطف على انما توعدون لصادق وقصة المنافقين معترضة وفى تخصيص الموقنين مع ان الكلام مع الجاحدين لانهم الذين تجدى عليهم الايات والنذر وليست الارض

ما فيها من الصفات وما عليها من النبات والحيوان وما اشتملت عليه من الاشكال والالوان والخواص التى يفوتها الحصر وفى أنفسكم من الآيات أفلا يبصرون فى العالم شئ الا وفى الانسان نظيره بل هو الذى اختصر به من بدايع الاوصاف وغرايب المعانى والمعقولات ولذلك افنى بعض العارفين العمر فى التأمل فى قوله افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ولم يقض منه الوطر أفلا تبصرون تنظرون نظر اعتبار والتعبير بالابصار اشارة الى غاية الظهور وفى السماء رزقكم اسبابه من الامطار والثلوج والكواكب وما توعدون ثواب اعمالكم والجنة فانها فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن فورب السماء والارض انه لحق كما انفقدم من اول السورة وقيل الضمير لما توعدون مثل ما انكم تنطقون كما لا يشك احدكم فى نطقه فكذلك لا يجوز له أن يشك فى حقيته وقرا حمزة والكسائى وابو بكر بالرفع صفة حق والباقون بالفتح لبنائه بالاضافة الى المبنى محله الرفع على الوصف او نصب صفة مصدر اى حقا مثل نطقكم أو حال عن مستكن حق وعن الاصمعى ان بدويا سمعنى اقراها قال من ذا الذى اغضبه حتى حلف له بذاته لم يصدقوه حتى ألجأه الى اليمين فحلفها ثلثا وخرجت روحه هل أتيك حديث ضيف إبرهيم لما استوفى ادلة المعاد بما دل على كمال اقتداره بحيث لم يبق ريب لذى عينين مهد لاثبات نبوته وفخم شأن الحديث اشارة الى انه من العلم الذى لا يمكن الوصول اليه الا بالوحى فعلى من يتلى عليه الاتباع لمن اتى به لانه صادق مؤيد بهذا المعجز الباهر وضمن فيه تسلية المنزل عليه من تكذيب من ارسل اليه بان له اسوة حسنة فى قدوة الانبياء وسيد الموحدة خليل رب العالمين قيل كانوا اثنى عشر وقيل ثلثة والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الجمع وسموا ضيفا لانهم كانوا فى صورة المكرمين عند الله او عند ابرهيم حيث خدمهم واخدمهم زوجته او عجل لهم القرى اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او للضيف او نصب باذكر او مناف المكرمين من الاكرام ان فسر باكرام ابرهيم فقالوا سلاما اى نسلم سلاما قال سلام اى تحيتكم بأحسن من تحيتهم لما فى الرفع من الدلالة على الدوام بعونه المقام قوم منكرون اى انتم لم تكونوا على اشكال التأنى المعهود او لان السلام تحية الاسلام ولم يكن بارضه كقول الخضر لما سلم عليه موسى وانى بارضك السلام أو كان على طريق السؤال اى عرفونى فانى لا اعرفكم فراغ الى أهله ذهب اليهم خفية من الضيف اذ ليس من الفتوة اعلام المضيف ضيفه انه يسعى فى قراه فجاء بعجل سمين وكان عامة

مَالِهِ ٱلْبَقَرَ وَقِيلَ لَحْمَهُ خَيْرُ ٱللَّحْمِ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ لَا تَأْكُلُونَ لَمَّا رَأَاهُمْ
لَمْ يَتَنَاوَلُوهُ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ أَوِ ٱلْهَمْزَةُ لِلْعَرْضِ عَلَى مَا هُوَ دَأْبُ ٱلْمُضِيفِ فَأَوْجَسَ
مِنْهُمْ خِيفَةً اضْمَرَهُ يُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ وَكَذَا قَوْلُهُ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ
قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ كَامِلِ ٱلْعِلْمِ إِذَا بَلَغَ فَبَلَغَ ٱلرِّجَالَ وَ
هُوَ إِسْحَقُ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ لَمَّا سَمِعَتْ حَدِيثَ ٱلْغُلَامِ فِي صَرَّةٍ فِي صَيْحَةٍ
مِنْ صَرِيرِ ٱلْقَلَمِ وَٱلْبَابِ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا قِيلَ لَطَمَتْ وَجْهَهَا عَلَى دَأْبِ ٱلنِّسَا
عِنْدَ سَمَاعِ أَمْرٍ غَرِيبٍ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا ٱلْوَلَادُ فَكَيْفَ وَأَنَا
فَكَيْفَ تَلِدُ بَعْدَ سِنِّ ٱلْيَأْسِ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ لَيْسَ هَذَا مِنْ عِنْدِنَا
إِنَّهُ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْمُتْقِنُ فِي صُنْعِهِ ٱلْعَلِيمُ بِٱلْأَشْيَاءِ وَأَوْقَاتِهَا فَلَا اسْتِبْعَا
وَلَا وَجْهَ لَهُ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ أَيْ فَمَا ٱلْأَمْرُ ٱلْعَظِيمُ ٱلَّذِي
جِئْتُمْ بِسَبَبِهِ فَإِنَّ ٱلْإِجْتِمَاعَ وَهَذِهِ ٱلْهَيْئَةَ لَيْسَتْ إِلَّا لِذَلِكَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا
إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ أَرَادُوا قَوْمَ لُوطٍ لِقَوْلِهِ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
حِجَارَةً مِنْ طِينٍ طِينٍ طُبِخَ حَتَّى تَحَجَّرَ وَهُوَ ٱلسِّجِّيلُ مُسَوَّمَةً مُعَلَّمَةً مِنَ ٱلسِّيمَةِ
مَكْتُوبًا عَلَى كُلِّ حَجَرٍ ٱسْمُ مَنْ يُهْلَكُ بِهِ أَوْ عَلَامَةً أَنَّهَا حِجَارَةُ ٱلْعَذَابِ أَوْ أَنَّهَا لَيْسَتْ
مِنْ حِجَارَةِ ٱلدُّنْيَا عِنْدَ رَبِّكَ يُعَلِّمُهُ وَأَذِنَ فِيهِ تَهْوِيلٌ لِلْمُسْرِفِينَ ٱلْمُجَاوِزِينَ ٱلْحَدَّ
سَمَّاهُمْ مُجْرِمِينَ وَمُسْرِفِينَ وَتَارَةً عَادِينَ وَأَشْعَارًا بِٱسْتِحْقَاقِهِمُ ٱلْعَذَابَ
فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنَاهُمْ بِٱلْخُرُوجِ لِقَوْلِهِ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ
فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَيْ أَهْلِ بَيْتٍ هُوَ وَبِنَاتُهُ وَفِيهِ دَلَالَةٌ
عَلَى ٱتِّحَادِ ٱلْإِيمَانِ وَٱلْإِسْلَامِ صِدْقًا لَا مَفْهُومًا لِأَنَّ ٱلْمَعْنَى أَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ
فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَلَمْ يَكُنِ ٱلْمُخْرَجُ إِلَّا أَهْلَ بَيْتٍ وَفِي إِيرَادِهَا وَٱلْإِتْيَانِ بِمَا يَدُلُّ
عَلَى ٱسْتِقْلَالِ كُلٍّ بِسَبَبِ ٱلنَّجَاةِ ٱلْمَوْصُوفِ بِهِمَا كَلَامٌ مَنْ كَانَ أَيْنَ كَانَ وَتَرَكْنَا فِيهَا
آيَةً عَلَامَةً مَاءً أَسْوَدَ مُظْلِمًا لَا يَنْتَفِعُ بِهِ بَعْدَ إِنْ كَانَتْ أَرْضَاتٍ ذَاتَ أَشْجَارٍ
لِلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ لِأَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَتَدَبَّرُ وَلَا يَعْتَبِرُ وَفِي مُوسَى
عَطْفٌ عَلَى وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً أَوْ عَلَى وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ وَٱلْأَوَّلُ أَوْلَى لِقُرْبِهِ وَلِدُخُولِهِ
فِيمَا يُسَلِّي بِهِ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي سَالِمًا لِسُوءٍ مَعَ أَنَّ ٱلثَّانِيَ
لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا عَلَى تَقْدِيرٍ وَجَعَلْنَا فِي مُوسَى كَقَوْلِهِ عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا
إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ مُعْجِزٍ ظَاهِرٍ وَلَمْ يُذْكَرْ إِلَّا فِي
مُعْجِزَةِ مُوسَى وَلَعَلَّ ٱلْحِكْمَةَ فِيهِ أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلسَّلَاطَةِ وَهُوَ ٱلْقَهْرُ نَاسَبَ
لِمَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ كِنَايَةٌ عَنِ ٱلْإِعْرَاضِ كَأَنَّهُ جَانَبَ
وَثَنَّى عِطْفَهُ وَٱلْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ أَوْ بِمَعْنَاهُ وَجُنُودِهِ لِأَنَّ ٱلرُّكْنَ ٱلشَّدِيدَ جَانِبُهُ
ٱلْأَقْوَى وَمَا بِهِ قِوَامُهُ فَٱلْبَاءُ لِلْمُصَاحَبَةِ وَقَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَيْ

مَا بِهِ مِنَ ٱلْجِنِّ أَمَّا تَعَلُّمٌ أَوْ إِصَابَةٌ دُونَ ٱخْتِيَارٍ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ
فِي ٱلْيَمِّ فِي ٱلْبَحْرِ وَهُوَ مُلِيمٌ أَتَى بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْآثَامِ ٱلرَّجُلُ فِي مَا يُلَامُ
عَلَيْهِ قَالَ وَمَنْ يَخْذُلْ أَخَاهُ فَقَدِ ٱلْأَمَاوِ وَفِي ٱلْمَثَلِ دَبَّ لَايِمٌ وَهُوَ مُلِيمٌ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ
أَخَذْنَاهُ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ هِيَ ٱلدَّبُورُ عَلَى مَا رَوَاهُ
ٱلْبُخَارِيُّ نُصِرَتْ بِٱلصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِٱلدَّبُورِ سُمِّيَتْ عَقِيمًا لِأَنَّهَا لَا تُلَقِّحُ
سَحَابًا وَلَا شَجَرًا أَوْ لِأَنَّهَا غَيَّرَتْ دِيَارَهُمْ وَأَعْدَمَتْ آثَارَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمُ ٱلْمَلِكُ
عَقِيمٌ وَيَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ عَقِيمٌ لِأَنَّهُ لَا يَوْمَ بَعْدَهُ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا
جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ كُلَّ مَا بَلِيَ وَتَفَتَّتَ مِنْ عِظَامٍ وَنَبَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ رَمِيمٌ
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِقَوْلِهِ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ٱسْتَكْبَرُوا وَمَرَّ تَبَ عَلَى تَمَامِ ٱلْقِصَّةِ لَا عَلَى تَمَتَّعُوا لِقَوْلِهِ
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ ٱلنَّارُ ٱلنَّازِلَةُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ
وَقَرَأَ ٱلْكِسَائِيُّ ٱلصَّعْقَةُ مَصْدَرًا وَهِيَ ٱلصَّوْتُ ٱلَّذِي مَعَ ٱلنَّارِ لِقَوْلِهِ وَمِنْهُمْ
مَنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ لِأَنَّهَا جَاءَتْ مُعَايَنَةً بِٱلنَّهَارِ وَلَا يَقْدِرُونَ
عَلَى دَفْعِهَا فَمَا ٱسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ أَيْ قِيَامًا مِنْ صَلَةٍ بَلْ مَاتُوا جَاثِمِينَ
مَكَانَهُمْ أَوْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى دَفْعِهِ مَنْ قَامَ بِٱلْأَمْرِ إِذَا نَهَضَ بِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَلَا تُؤْتُوا ٱلسُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ
بِوَجْهِ لَا بِمُبَاشَرَةٍ وَلَا مُعَاوَنَةٍ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ قَبْلَ هَؤُلَاءِ ٱلْمَذْكُورِينَ
عَطْفٌ عَلَى مَفْعُولِ فَأَخَذَتْهُمْ مَعْنَى أَهْلَكْنَاهُمْ وَأَهْلَكْنَا قَوْمَ نُوحٍ أَوْ عَلَى
مَفْعُولِ نَبَذْنَاهُمْ أَيْ أَغْرَقْنَاهُمْ وَأَغْرَقْنَا قَوْمَ نُوحٍ وَفِيهِ لُطْفٌ أَوْ نُصِبَ
بِٱذْكُرْ وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَٱلْكِسَائِيُّ وَأَبُو عَمْرٍو بِٱلْجَرِّ عَلَى تَقْدِيرِ ٱلْجَارِّ أَيْ وَفِي
قَوْمِ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ عِلَّةٌ لِلْإِهْلَاكِ وَٱلسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا
بِأَيْدٍ بِقُوَّةٍ مَصْدَرُ آدَ إِذَا ٱشْتَدَّ وَقَوِيَ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ذُو وُسْعٍ وَٱسْتِطَاعَةٍ وَ
قُدْرَةٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَضْلًا عَنْ بِنَاءِ ٱلسَّمَاءِ مِنْ أَوْسَعَ صَارَ غَنِيًّا وَسِعَ طَاقَتَهُ
وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ أَحَالَ ٱلْإِعَادَةَ أَوْ لَمُوسِعُونَ ٱلرِّزْقَ أَوِ ٱلْمَطَرَ ٱلنَّازِلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَوْ
لَمُوسِعُونَ مَا بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ
نَحْنُ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ صِنْفَيْنِ لَيْلٍ وَنَهَارٍ ظَلَامٍ وَضِيَاءٍ
شَمْسٍ وَقَمَرٍ بَرٍّ وَبَحْرٍ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ سَعَادَةٍ وَشَقَاءٍ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ وَقِيلَ
مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ ذَكَرٍ وَأُنْثَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ بِٱلتَّدَبُّرِ فِيهَا وَتَعْلَمُونَ أَنَّ
مُوجِدَهَا وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى هَذَا لَا يَعْجِزُ عَنِ ٱلْإِعَادَةِ
فَفِرُّوا إِلَى ٱللَّهِ أَيْ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ بَعْدَمَا عَلِمْتُمْ مِنْ كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَمَا أَحَلَّ
بِمَنْ تَقَدَّمَكُمْ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱعْتَصِمُوا بِهِ وَٱلْجَأُوا إِلَيْهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ

بسم الله الرحمن الرحيم والطور وطور سينين جبل كلم الله موسى عليه
ما الحاء من عالم الغيب الى عالم الشهادة من المعارف والاشتقاق
لا يساعده وكتاب مسطور مكتوب في رق منشور الجلد الذي
يكتب فيه اي والقرآن او التوراة او ما في اللوح او ما في قلب الغار ومن المعاد
والحكم او صحيفة الاعمال والبيت المعمور بالعبادة هو الذي كان في الارض
يا قوتة حمراء رفع في الطوفان الى السماء السابعة يدخله سبعون الف ملك
كل يوم لا يا تيهم التوبة الى آخر الدهر والسقف المرفوع والبحر المسجور
المملوء او الموقد به كذا فسره باب العلم كرم الله وجهه ان عذاب ربك
لواقع لا محالة اقسم عليه بامور متعلقة بالمبداء والمعاد كلها دالة
على كمال اقتداره مع اشارة الى ان ذلك لاقامة العدل لانه مدون في الكتاب
كما تدون الحقوق ماله من دافع قط اذ غيره لا يقدر وهو لا يريد يوم
تمور السماء موراً تدور من مار يمور جاء وذهب وقيل المور تحرك في تموج
وتسير الجبال سيراً سريعاً تمر مر السحاب فويل يومئذ للمكذبين يوم
وقوعه الذين هم في خوض يلعبون اصله دخول الماء ثم غلب على الشروع
في الباطل كالاخضاد في العذاب يوم يدعون الى نار جهنم دعاً يدفعون
اليها بعنف يوخذ بالنواصي والاقدام ويلقون فيها على وجوههم زخا في
اقفائهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم توبيخا وتوقيراً
لحظة الاسماع من العذاب افسحر هذا كما انتم تقولون للوحي ام انتم
لا تبصرون ما انتم فيه وهذا كما تقول لمن يجادلك في مسئلة بعد ظهورها
فاوردت عليه ما لا مجال له لدفعه افتذكر هذا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
لابد من صلاها سواء عليكم مبتداء حذف خبره او بالعكس انما تجزون
ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء لما كان واجب الوقوع فالصبر
وعدمه سيان ان المتقين في جنات ونعيم اي جنات ونعيم او
جنات مخصوصة بهم ممتازة من غيرها ولذا نكرت فاكهين ناعمين متلذذين
بما اتيهم ربهم بالذي او بالايتاء ووقيهم ربهم عذاب الجحيم اعاد
الموصول لدلالته على استقلال كل نعمة عطف على جنات او اتيهم ويقدر في
المعطوف عليه اي ان كانت ما موصولة او حال باضمار قد من المستكن في الظرف
او من فاعل اتى او مفعول له او منهما كلوا واشربوا يقال لهم هنيئاً
اكلاً وشرباً هنيئاً او طعاماً وشراباً وهو الذي لا غصة فيه او مصدر
اي هنأكم هنيئاً كقول كثير هنيئاً مريئاً غيرها محامرة مزاعر اصيلها
استحلت وقيل فاعله بما كنتم تعملون على ان الباء زائدة وفيه ان زيادتها

واضح امره ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين كرره لاختلاف
الاول بالامر والثاني بالنهي وقيل الاول انذار بترك العمل والثاني بالتوحيد
كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ولا تدل على عدم نفع المجرد كذلك
الامر مثل ذلك تقرير وتوكيد لما تقدم او فصل خطاب اي مثل اختلافهم
فيك على ان ذلك اشارة الى القول المختلف في الرسول عليه السلام ثم بينه
بقوله ما اتى الذين من قبلهم من قبل هؤلاء من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون فاختلفوا فيه اتواصوا به اي اوصى الاولون الاخرين
استفهام انكار ولذلك اضرب عنه بقوله بل هم قوم طاغون اي ليس
الجامع التواصي بل الطغيان والعناد فتول عنهم لان المناظرة لا تجدي
مع المكابرة فما انت بملوم بعد الابلاغ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
المستعدين للايمان او الراسخين فيه زيادة وتثبيتا وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون اتى بحيث يتاتى منهم العبادة بسلامة الاسباب
والدلالة على انها غاية بكمالية وراءها غاية الغايات وعدم وصول البعض
لعائق لا يقدح وقيل ليقروا بعبادتي طوعا او كرها ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وقيل المراد منهم المؤمنون ويرده
ما اريد منهم من رزق لاختلال مفهومه وابعد منه الالهام بالعبادة
وما اريد ان يطعمون كما هو شان السادات مع العبيد وتقديم الرزق وتاكيده
وتاخير الاطعام وتخصيصه به تعالى فيه ترق اي لا اريد منهم تحصيل الرزق
ولا تقديم الحاصل الى كما هو شان الملوك مع خواص خدمهم ان الله هو
الرزاق حقيقة وغيره اسباب واعادة المظهر لدلالة لفظ الجلالة
على الالوهية المستلزمة لذلك ذو القوة القدرة التامة المتين
من المتانة وهي الصلابة تاكيد بعد تاكيد فان للذين ظلموا رسول
الله بالتكذيب ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم الذين قدموهم في تكذيب
الرسل والذنوب الدلو ملان تمثيل لتوفر حظهم من العذاب فلا يستعجلون
بقولهم معنى هذا وقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون
يوم القيمة او يوم بدر فالموصول معهود تمت سورة الذاريات
والحمد لمن الالوهة ممتنع الايات والصلوة على المؤيد بالبينات

سورة الطور

أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون أم منقطعة دلت على أن هذا هو الراجح عندهم والمنون الدهر لأنه مقطع الاعمار من المن وهو القطع قال الاعشى إن رأيت رجلا أعشى أضرته ريب المنون ودهر مسبل خبل أو الموت لانه يقطع العلائق والاسباب قل تربصوا فإني معكم من المتربصين بكم ما يتربصون بي من الدوائر من باب مجاراة الخصم أم تأمرهم أحلامهم بهذا عقولهم وكانت سكان مكة بين العرب تدعى أولى الاحلام لورود أهل الآفاق عليهم واكتسابا لأخلاق والآداب منهم وفي الكلام تهكم بهم لتناقض كلمانهم أم هم قوم طاغون مجاوزون حلوم العقل عتاة أم يقولون تقوله افتريه بل لا يؤمنون بشئ ولذلك اضطربت أقوالهم فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين أنه شاعر أو كاهن جواب عن كل ما تقدم أو عن التقول فانه أوغل في الانكار لاشتهاره عندهم بالصدق والامانة فالافتراء منه أبعد شئ والاول أوجه أم خلقوا من غير شئ أحدثوا من غير خالق موجد لهم والا لاهتموا البحث عنه وعن صفاته وافعاله أو المعنى أم خلقوا سدى من غير خطاب ولا تكليف أم هم الخالقون ولذلك علموا أنك شاعر أو كاهن أو متقول أم خلقوا السموات والأرض إذ خالهم في الكبر والعلو يشبه شان من يكون هذا فعله كاية عن غاية عنادهم وتماديهم في الاستكبار والا لم تصدر عنهم هذه المقالات صريحا بل لا يوقنون أمر فلذلك في ريبهم يترددون لا يقولون على شئ كل يوم في محال أم عندهم خزائن ربك خزائن رحمته ليختاروا للنبوة من شاؤا أو يعلموا أنه متقول لأنهم لم يرسلوك رسولا للتاجر والاول أوجه لما سيشير الى خزائن العلم في قوله أم عندهم الغيب أم هم المصيطرون الارباب الغالبون الذين يدبرون امر العالم كيف شاؤا يقال سيطر عليه وصيطر وبالسين على الاصل وخلص بالوجهين وحمزة في رواية هشام وقنبل بالسين على الاصل وخلص بالوجهين وابن عامر في رواية هشام وقنبل بالسين على الاصل وخلص بالوجهين وحمزة في رواية خلف باشمام الصاد وفي رواية خلاد بطنا خالصة والرسم بالصاد ولما أبطل مقالتهم بالدليل العقلي ولم ينفعهم الا المشاهدة والعيان اشار الى بطلانه على وجه التهكم بقوله أم لهم سلم يصعدون به الى السماء يستمعون فيه كلام الملائكة وما يوحى اليهم فليأت مستمعهم بسلطان مبين بدليل واضح على ذلك اذ مثل هذا الامر العظيم لا يثبت الا بمثل ذلك أم له البنات ولكم البنون ومن لم يكن هذا حاله في الجهالة حتى جعل لرب الارباب ما لا يرضاه لنفسه

لا تسمع في غيرها تكلما على سرر متكئين على طريقة المتنعمين مصفوفة ليقع الموا جهة مع الاخوان والاحباب وزوجناهم بحور عين ببعض بخل العيون والذين آمنوا عطف على حور ان فتزوجناهم بقرنائهم والالتفات بناء خبره الحقنا بهم واتبعتهم ذريتهم اعتراض لتعليل الحكم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وهو ابلغ وأوفق بالسابق واللاحق بإيمان الحقنا بهم ذريتهم اي بايمان رفيع المحل وهو ايمان الاباء أو بايمان يسير ولولا كرامة الاباء لم يكونوا اهلا لتلك المنزلة فان قلت هذا حال الذرية فما حال الاصول ان قصرت عن رتبة الفروع قلت هم بذلك أولى لزيادة استحقاق الكرامة وكثرة الحقوق واليه يشير قوله وكم اب قد علا بابن له شرفا كما علت برسول الله عدنان وقد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرفع المؤمن في الجنة درجة فيستقصر نفسه دونها فيقول يا رب انى لي هذا فيقول بدعاء ولدك واستغفاره وقرأ الكوفيون وابن كثير ذريتهم بالتوحيد لدلالة الكلمة على الكثرة وما ألتناهم من عملهم من شئ اي ما نقصنا الآباء أدنى شئ بل كان ذلك تفضلا واكراما لهم كل امرئ بما كسب رهين مرهون عند الله بكسب ما افترض عليه فان أداه اليه فك رقبة كقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فانهم فكوها وامددناهم بفاكهة زدناهم وقتا بعد وقت ولحم مما يشتهون يستلذون يتنازعون فيها كاسا يتعاطون متغالبين فيه كما هو دأب اهل الشرب يتناهون بكثرة الشرب لا لغو فيها ولا تأثيم لا يتكلمون بسقط الكلام ولا بما يورث اثما مما يقع امثاله في الدنيا من متعاطي الخمر بل يشكرون الله على ما خولهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو والاشمين بالفتح غير ممدود ويطوف عليهم غلمان لهم سقاة مخصوصون بهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف في غاية الصفاء والطراوة أو مخزون محفوظ لكماله وشرفه وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم في الدنيا كما يفعله السكارى اذا اخذت منهم الخمر قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين خائفين استيناف لبيان تساءلهم فمن الله علينا بما نحن فيه من اللذة والسرور ووقانا عذاب السموم النار التي تدخل في المسام انا كنا من قبل ندعوه قيل هذا في الدنيا انه هو البر الرحيم المتفضل بالنعم قراءة نافع والكسائي بالفتح بتقدير اللام والكسر ابلغ فذكر قدم على التذكير فان الذكرى تنفع المؤمنين ولا تبال فما أنت بنعمة ربك بحمد الله بكاهن ولا مجنون كما يزعم من يحسدك اذ حالك مباين لحال الكهنة والمجانين

لايبعد منه تلك الخرافات وكانه قال انا هيك بذلك تسلبا ولما لم يكن مقالة
اشفع منها ولا محال اجلى منه التفت اليهم فى مقام التسخط مكافحا بها صارفا
فى وجوههم المسودة اَمْ تَسْـَٔلُهُمْ اَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ فلذلك
زهدوا فيك واعرضوا لمغرم التزام ما لم يلزم وفيه تقريع بجسدهم لان
من برئت ساحته عن لوث الطمع فلا وجه لابهامه اَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ
خزائن علمه تعالى فَهُمْ يَكْتُبُونَ منه ما شاؤا وابن غيرها نع فاستدلوا بذلك
على عدم نبوتك ولما كان العلم اشمل مورد اخره جريا على سنن الترقى ثم اضرب
عن الانكار الى الاخبار عن حالهم بقوله اَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا بك حين يحتلون
الرای فى دار الندوة فَالَّذِينَ كَفَرُوا اى هم هم الْمَكِيدُونَ المصلحون
بوبال كيدهم ويجعل الموصول لعموم ثم حقق ذلك بقوله اَمْ لَهُمْ اِلٰهٌ غَيْرُ
اللّٰهِ ينجيهم من عذابه سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ به او عن اشراكهم
وَاِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا جواب لقولهم اسقط علينا كسفا
من السماء اتفق السبعة على امكان سينه يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ركم بعضهم
فوق بعض وليس ما سألناه لفرط عنادهم فَذَرْهُمْ اذ لا مناظرة مع المكابرة
حَتّٰى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ يموتون فيعرفون ما اعدلهم وقرئ
ابن عامر وعاصم يُصْعَقُونَ على بناء المفعول اما مِنْ اَصْعَقَهُ او صَعَقَهُ
يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا من الاشياء بدل من يومهم وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
من عذاب الله بوجه آخر وَاِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا بالتكذيب عَذَابًا دُونَ ذٰلِكَ
قبل عذاب القيمة بالقحط والقتل والاسر وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَ
قيد الاكثر لان بعضهم كان يعلم ذلك واختار اللام على العار وَاصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ مترقبا له فانه وعده كائن فَاِنَّكَ بِاَعْيُنِنَا جمع العين مبالغة
فى العناية بكلاءته فان الكلام على التمثيل لا يرى كيف افرده فى قوله لتصنع
على عينى فى قصة موسى ليمتاز بذلك مقام الحبيب عن مقام الكليم وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ اى حين ما كان تقوم منه او حين تقوم من منامك فان النوم
شاغل ومقامك وعلو شانك يقتضى استيعابا لازمان بذكره او للصلوة
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ فى بعضه فان العبادة فيها اشق واحلى وابعد عن الرياء
واقرب الى القبول وَاِدْبَارَ النُّجُومِ بمطلوع الفجر فانه وقت شريف لانه
قرآن الفجر كان مشهودا وانفرد السبعة على كسر الهمزة تمت سورة الطور
والحمد لله على فضله الموفور والصلوة على رسوله واله وصحبه الى يوم النشور

بسم الله الرحمن الرحيم وَالنَّجْمِ اِذَا هَوٰى اقسم بالثريا فانه ابدع الكواكب
صنعا والنجم علم غالب له عند العرب وفى امثالهم اذا طلب النجم عشاه طلب
الراعى كساه وقيل جنس النجوم لانها زينة السماء ورجوم الشياطين وهوى
من الهوى بفتح الهاء وهو السقوط او بضمها وهو الطلوع لانه ادل
على كمال الاقتدار كقوله والليل اذا عسعس او نجم القران لانه نزل منجما
وهذا اوفق لوجود نظائره والصق بقوله مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوٰى
الضلال ضد الاهتداء والغواية ضد الرشد وهما جواب القسم اى
ليس هو تزعمون ضالا غاويا فى ترك دين ابائه وفى لفظ الصحب واضافته
تنبيه لهم حيث عرفوا امانته وصدق لهجته ثم نسبوه الى الضلال وَمَا
يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى فى امر الدين والدعوة اليه وفى الاتيان به مضارعا
بعد قوله ما ضل وما غوى اشارة الى انه اذا لم يكن له سابقة ضلال قبل
النبوة فبعدها ابعد اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْىٌ يُوحٰى استدل به من منع اجتهادهم
وليس بتام لانه اذا قال تعالى وتقدس ما ظننت فهو حكمى يكون اجتهادا
ووحيا لا بالوحى وغيره ليس كذلك عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوٰى جبريل والاضافة
لفظية اى قواه الجسمانية من البطش والبصر ذُو مِرَّةٍ عقل
كامل ورای وافر اتى به فى اسلوب الترقى فَاسْتَوٰى على صورته الحقيقية
وَهُوَ بِالْاُفُقِ الْاَعْلٰى مطلع الشمس وانما ظهر له فى تلك الصورة لينبقر
انه ذلك اذا اتاه فى غير تلك الصورة ثُمَّ دَنٰى فَتَدَلّٰى قربه من محمد فتعلق
به فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ اَوْ اَدْنٰى اى كان البعد بينهما مسافة قوسين او اقرب
فى مراكم لو رايتم القاب والقيب كالقاد والقيد هو المقدار وقيل القاب
ما بين المقبض الى السيه فلكل قوس قابان او ادنى على تقديركم كقوله او
يزيدون وهذه الرؤية كانت بعد مجيئه بحراء اول ما بعث لما افترى الوحى
على ما رواه الثقات انه لما اشتد به الكرب من تكذيب قريش حتى قالوا مجنون
شيطانه قال فاردت ان القى نفسى من شواهق فلما خرجت فاذا هو جالس على
كرسى بين السماء والارض وقال لا تفعل فانك رسول الله حقا فرجعت عنه
فرجعت الى اهلى فقلت دثرونى فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر فهذا معنى الدنو
والتدلى والقرب لا انه تمثيل للعروج به فَاَوْحٰى اِلٰى عَبْدِهِ الموحى هو جبريل
وضمير عبده لله ولا لبس فيه والقول بان الضمائر لله فالدنو والتدلى
على التاويل خلاف بعيد عن المساق مَا اَوْحٰى لم يبن بالضمير تفخيما لشان
المنزل وانه مما يجل عن الوصف انى توهم التباسه بالشعر والكهانة
وكما فخم شان المنزل كذلك شان المنزل اليه بايثار لفظ العبد المضاف اليه

اشارة الى انه العبد الحقيق الكامل الذى لا يذهب الوهم منه وايماء الى
انه حقيق بالخطوة والاصطفاء ما كذب الفؤاد ما رأى اى ما رآه
من صورة جبرائيل اى لم يكن قلبه منكرا له اذا رآه مرة اخرى فى غير صورته
وقيل ما رآه من جلال الله تعالى لما روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين والحق ان ذلك
ليس تفسيرا للآية وان صح افتمارونه على ما يرى تجادلونه من المراء
اصله المرى يقال مريت الناقة اذا جذبت ضرعها للدر وقرأ حمزة والكسائى
افتمرونه على المغالبة من ماريته فمريته ولقد رآه نزلة اخرى فعلة
من النزول اى مرة اخرى ولذلك نصبت على الظرف عند سدرة المنتهى
ليلة الاسراء وهى شجرة النبق كل نبقة كقلة من قلال هجر واورافها
كآذان الفيلة وقد غشيها من الانوار ما لا يقدر على نعتها الا الله وسميت
بالمنتهى لانتهاء علم الخلائق اليها وهى فى السماء السابعة كذلك رواه
البخارى عندها جنة المأوى الجنة التى تأوى ارواح الشهداء او
المتقون اذ يغشى السدرة ما يغشى من الانوار والالوان ما يجلى
عن الوصف وقيل ملائكة كالغربان على كل ورق ملك يسبح ما زاغ البصر
ما مال عن سنن الاستقامة وما طغى وما تجاوز عن المرئى لما قرر
ان الفؤاد لم يكذب ما رأى نال شبهة من يتوهم ان آله الادراك قد
تخطى فى الادراك كما بين فى موضعه أو ما مال البصر لاتجاوز عن مطلبه
وهو الحق تعالى وهذا مقام مخصوص لم يتيسر لفرد من البشر لقد رأى
من آيات ربه الكبرى استيناف يؤكد ما تقرر اى قد رأى من عجايب الملكوت
ما لا يمكن وصفه فضلا عن رؤيته جبرائيل ويجوز ان يكون الكبرى مفعول
الرؤية اى رأى كبراهن وبه يتمسك من اثبت الرؤية اذ لا اكبر منها أية
افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هذه اصنامهم كانوا اهل
الجاهلية يعبدونها اللات كان بالطائف يعبده ثقيف والعزى سمرة بحذاء
يعبده غطفان ومناة صنم كان على الساحل بعبده هذيل وخزاعة وقد
همزه ابن كثير جعله مفعلة من النوء لانهم كانوا يستمطرون عنده بالانواء
ومن لم يهمزها اخذها من منى اذا راق فانهم كانوا يريقون دماء النسايك
عليها والعزى تأنيث الاعز قطعها خالد بن الوليد فخرج منها شيطانة
ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها خالد بالسيف وقال كفرانك يا عزى
لا سبحانك فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى
ولن تعبد تعبدا ليوم ابدا واللات قيل اسم رجل كان يلت لهم السويق

وعن مجاهد اسم رجل كان يلت السمن ويطعمه فلما مات اتخذوا وثنا على
قبره هذا البيان تستمرون على الضلال فيرون هذه الاصنام آلهة يستحق
العبادة ويجعلونها شركاء الله الاخرى صفة ذم اى الوضيعة فانهم
كانوا يرون التقدم للاله والعزى الكم الذكر وله الانثى وانتم تقتلون
الاناث ولا ترضونها تأنفون منها عارا فكيف تجوزون ان يكون اولادا
لله شركاء فى الالوهية واذا كان شأنكم فى الجاهلية والضلال هذا
حسب تضللون من يدعوا الى التوحيد والى عبادة من له الخلق والامر
تلك اذا قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه اذا ظلمه اصله ضيزى
لان فعلى صفة لم يثبت على ما ذكره سيبويه الا مع الثاء كعرهان فكسر
الفاء ليسلم الثاء كما فعل ببيض وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه ظلمه
ان هى اى الاصنام الا اسماء سميتموها اى لا حقيقة لها باعتبار
الالوهية انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان برهان يدل على
جواز اطلاق اسم الاله عليها وفيه تهكم بهم بأن العقل لا يجيز اطلاق
الاله على الجماد لو فرض ذلك لم يكن الا تعبدا محضا من الله ان يتبعون
الا الظن يقلدون آباءهم ولا اعتبار للظن فى العقايد ولا تقليد
وما تهوى الانفس انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول
او الكتاب الذى هو مناط الايقان ام للانسان ما تمنى ام منقطعة
ومعنى همزتها الانكار اى ليس للانسان ما يتمناه حاصلا له وهو طمع
هؤلاء فى شفاعة تلك الجمادات او ما كانوا يقولون لئن كان هناك بعث
نحن احسن حالا من محمد واصحابه كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده
للحسنى ولو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم او هو قول عامر
ابن وايل لاوتين مالا وولدا فلله الاخرة والاولى يعطى ما يشاء لمن
يشاء ليس لاحد فيهما شرك وقدم الاخرة لان الكلام فيها وكم من ملك
فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا ادنى شئ مع مكانتهم وقربهم عنده
تشفع هذه الجمادات التى هى احسر الكائنات والمراد اشراف الملائكة ليلة
باولوية على انتفائها من غيرهم ولذلك نكر الملك وخصه بمن فى السموات
الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ان يشفع ويشفع له ويرضى بذلك
الشفاعة اى يكون مقبولة لان الاذن فى الشفاعة لا يستلزم القبول
ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى حيث
قالوا هم بنات الله قالوا تزوج سروات الجن فولدت له الملائكة والتقييد
بالاخرة اشارة الى فرط جهلهم بانهم يعتقدون ان الانسان يترك سدى

وَمَنْ كَانَ هٰذَا شَانُهُ لَا يَبْعُدُ مِنْهُ تِلْكَ الْمَقَالَةُ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِدْ فِي عِلْمٍ
اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ لِمَا سَمِعُوهُ مِنْ اٰبَائِهِمْ وَاِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
الَّذِي لَا يُمْكِنُ تَبَدُّلُهُ بِاخْتِلَافِ الشَّرَائِعِ وَتَبَدُّلِ الْاَعْصَارِ وَهِيَ الْمَسَائِلُ
الْاَصْلِيَّةُ وَالْمَبَاحِثُ الْاِلٰهِيَّةُ شَيْئًا اَدْنٰى شَيْءٍ فَاَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلّٰى عَنْ
ذِكْرِنَا اَعْرِضْ عَنْهُ وَلَمْ يُبَالِ مَثَلَهُ وَالْمُرَادُ بِهِ الْقُرْاٰنُ وَفِي اِضَافَتِهِ اِلٰى نَفْسِهِ
اِشَارَةٌ اِلٰى اَنَّهُ كَانَ حَقِيقًا بِالْاِقْبَالِ وَلَمْ يُرِدْ اِلَّا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا اَلَّا
هٰذَا الْخَسِيسَ لِاَنَّ ذٰلِكَ كَانَ لِغَايَةٍ اُخْرٰى ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ اِعْتِرَاضٌ
يُؤَكِّدُ الْاَمْرَ بِالْاِعْرَاضِ لِاَنَّ السَّعْيَ فِي الْاِرْشَادِ اِنَّمَا يُجْدِي لِمَنْ لَهُ قَابِلِيَّةُ التَّرَقِّي
اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ اَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدٰى يَعْلَمُ مَنْ يُجِيبُ
وَمَنْ لَا يُجِيبُ وَقَدْ عَلِمَ اَنَّ هٰؤُلَاءِ اَهْلُ الطَّبْعِ وَفِي اِعَادَةِ الْعِلْمِ ثَانِيًا مُبَالَغَةٌ
دَالَّةٌ عَلٰى كَمَالِ تَمَايُزِ الْحِزْبَيْنِ عِنْدَهُ وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ
خَلْقًا وَمُلْكًا نَفْيٌ بِهِ تَوَهُّمُ الْاِهْمَالِ وَتَرْكِهِمْ سُدًى مِنْ قَوْلِهِ فَاَعْرِضْ وَلِذٰلِكَ
عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا بِجَزَاءِ اَعْمَالِهِمْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
اَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى غَيَّرَ النَّظْمَ لِلدَّلَالَةِ عَلٰى اَنَّ جَزَاءَهُمْ لَيْسَ عَلٰى قَدْرِ اَعْمَالِهِمْ
وَيَجُوزُ اَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ وَقَوْلِهِ وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ اِعْتِرَاضٌ
يُؤَكِّدُ حَدِيثَ الْجَزَاءِ بِاَنَّهُمْ تَحْتَ مُلْكِهِ اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْاِثْمِ بَدَلٌ
مِنَ الَّذِينَ اَحْسَنُوا اَوْ صِفَتُهُ اَوْ نَصْبٌ اَوْ رَفْعٌ عَلَى الْمَدْحِ اَيِ الْكَبَائِرَ مِنَ الْاِثْمِ
فَاِنَّهُ جِنْسُ الذُّنُوبِ وَالْكَبِيرَةُ مَا تُوُعِّدَ عَلَيْهِ الشَّارِعُ بِخُصُوصِهِ كَالْقَتْلِ
وَالزِّنٰى اَوْ كَانَ قُبْحُهُ اَزْيَدَ مِنْهُ اَوْ مُسَاوِيًا وَقَرَاَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِالْاِفْرَادِ
عَلٰى اِرَادَةِ الْجِنْسِ وَالْفَوَاحِشَ مَا زَادَ قُبْحُهُ مِنَ الْكَبَائِرِ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ
عَلَى الْعَامِّ اِلَّا اللَّمَمَ مَا قَلَّ قُبْحُهُ فَاِنَّهُ مَعْفُوٌّ عَنْهُ اِذَا اجْتُنِبَ الْكَبَائِرُ وَهُوَ
مَا دُونَ الْكَبِيرَةِ كَمُقَدِّمَاتِ الزِّنٰى وَالسَّرِقَةِ وَالْقَتْلِ قَبْلَ الْوُقُوعِ وَاَصْلُ
التَّرْكِيبِ يَدُلُّ عَلَى الْقَتْلِ وَمِنْهُ اَلَمَّ لِشَعْثِهِ اِذَا لَاذَ وَالْمَامُ الضَّيْفِ
قَالَ لِقَاءُ اِخْلَاءِ الصَّفَاءِ لِمَامٌ وَهُوَ اِسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ اَوْ صِفَةٌ كَاَنَّهُ قِيلَ
كَبَائِرَ الْاِثْمِ غَيْرَ اللَّمَمِ لِاَنَّ الْمُضَافَ اِلَى الْمُعَرَّفِ يَجْرِي فِي حُكْمِ النَّكِرَةِ اِنَّ رَبَّكَ
وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ حَيْثُ تَجَاوَزَ عَنِ الصَّغَائِرِ لِمَنْ قَلَّ اَنْ يَخْلُوَ عَنْهُ الْاِنْسَانُ
وَاِلَيْهِ اَشَارَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَنْ يَغْفِرَ اللَّمَمَ تَغْفِرْ جَمًّا وَاَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا اللَّمَمُ
هُوَ اَعْلَمُ بِكُمْ مِنْكُمْ اِذْ اَنْشَاَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ لِمَا خَلَقَ اَبَاكُمْ اٰدَمَ وَاَخْرَجَكُمْ
مِنْ ظُهُورِ ذُرِّيَّتِهِ وَاِذْ اَنْتُمْ اَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ اُمَّهٰتِكُمْ فَعِلْمُهُ بِكُمُ الْاٰنَ
وَبِمَا يَصْدُرُ مِنْكُمْ اَجْلٰى وَاَظْهَرُ فَاِنْ قُلْتَ اِذَا كَانَ عِلْمُهُ لَا يَتَفَاوَتُ بِحَلَاءِ
الْمَعْلُومِ وَخَفَائِهِ كَمَا هُوَ شَاْنُ الْعِلْمِ الْحَادِثِ فَلَا تُزَكُّوا اَنْفُسَكُمْ هُوَ

اَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقٰى فَاِنَّ مَحَلَّ التَّقْوٰى هُوَ الْقَلْبُ وَالْوُقُوفُ عَلٰى اَحْوَالِهِ وَاَسْرَارِهِ
يَنْقَطِعُ دُونَهُ الْقُوٰى وَالْمُنْتَهٰى تَزْكِيَةُ النَّفْسِ مَدْحًا لَا شُكْرًا وَتَرْغِيبًا لِلْغَيْرِ
وَيَجُوزُ اَنْ يُرَادَ مَدْحُ الْمُؤْمِنِ اَخَاهُ لِمَا رُوِيَ اَبُو بَكْرٍ اَنَّ رَجُلًا عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ
فَقَالَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ فَاِنَّا كَانَ اَحَدُكُمْ مَادِحًا اَخَاهُ فَلْيَقُلْ اَحْسِبُهُ
كَذَا وَلَا اُزَكِّي عَلَى اللّٰهِ اَحَدًا اَفَرَاَيْتَ الَّذِي تَوَلّٰى اَيْ اَبْعَدْ عِلْمِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ
هُوَ اَعْلَمُ بِحَالِ الْاِنْسَانِ مِنْهُ بِنَفْسِهِ اَخْبِرْنِي عَنْ حَالِ مَنْ اَرَادَنِي بِسُلُوكِ سَبِيلِ
الْاٰخِرَةِ وَالْوُصُولَ اِلَى اللّٰهِ اِسْتِقْلَالًا لَا تَعْجِيبًا مِنْهُ وَاَعْطٰى قَلِيلًا وَاَكْدٰى
وَاَمْسَكَ بَعْدَهُ عَنِ الْخَيْرِ اكْتِفَاءً بِذٰلِكَ الْقَلِيلِ اَصْلُهُ اَكْدَاءُ الْحَافِرِ وَهُوَ
اَنْ يَبْلُغَهُ كُدْيَةٌ اَيْ صَخْرَةٌ فَيُمْسِكَ عَنِ الْحَفْرِ وَالْاٰيَةُ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ
اَنَّا دَاَنْ يَتَّبِعَ رَسُولَ اللّٰهِ فَعَيَّرَهُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ تَرَكْتَ دِينَ الْاَشْيَاخِ فَقَالَ
اِنِّي اَخَافُ عَذَابَ اللّٰهِ فَقَالَ اَعْطِنِي بَعْضَ مَالِكَ وَاَنَا اَحْمِلُ عَنْكَ الْعَذَابَ فَفَعَلَ
مُعْتَقِدًا ذٰلِكَ وَنُزُولُهَا فِي عُثْمَانَ وَتَفْسِيرُ التَّوَلِّي بِالْفِرَارِ يَوْمَ اُحُدٍ بَاطِلٌ لِاَنَّ
السُّورَةَ مِنْ اَوَّلِ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ اَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ مَا فِيهِ الْعِلْمُ بِالْمُغَيَّبَاتِ
وَهُوَ اللَّوْحُ فَهُوَ يَرٰى يُشَاهِدُ مَا فِيهِ فَلِذٰلِكَ اكْتَفٰى بِهِ وَاسْتَغْنٰى عَنِ اتِّبَاعِ
الرَّسُولِ اَمْ لَمْ يُنَبَّاْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسٰى وَاِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفّٰى وَفِي الْاَثَرِ وَارِدَةٌ
وَزَرَاخْرٰى وَالْمَعْنٰى اَنَّ هٰذَا شَرْعٌ قَدِيمٌ لَيْسَ مِنْ خَوَاصِّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ فَهَلَّا
اسْتَغْنٰى فِي ذٰلِكَ عُلَمَاءُ اَهْلِ الْكِتَابِ لِيُخْبِرُوهُ بِجَلِيَّةِ الْحَالِ وَتَقْدِيمُ مُوسٰى لِكَوْنِ
كِتَابِهِ اَشْهَرَ وَالْاِطِّلَاعِ عَلٰى مَا فِيهِ اَبْيَنَ وَلَا يُنَافِيهِ قَوْلُهُ اِنَّ هٰذَا لَفِي
الصُّحُفِ الْاُولٰى صُحُفِ اِبْرَاهِيمَ وَمُوسٰى لِاَنَّ الْعَرْضَ هُنَاكَ تَقْرِيرُ كَوْنِ الْاٰخِرَةِ
خَيْرًا وَاَبْقٰى وَذٰلِكَ مِمَّا سُطِّرَ فِي صُحُفِ اِبْرَاهِيمَ فَضْلًا عَنِ التَّوْرٰيَةِ الَّذِي هُوَ
اَعْلٰى وَاَجَلُّ وَلِمَا تَاَخَّرَ ذِكْرُهُ زَادَهُ وَصْفًا وَهُوَ التَّوْفِيَةُ الْمُبَالَغَةُ فِي الْوَفَاءِ
وَاَطْلَقَهُ لِيَتَنَاوَلَ كُلَّ وَفَاءٍ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالْقِيَامِ بِسَائِرِ الْمَكَارِمِ مِنْ
ذَبْحِ الْوَلَدِ وَالصَّبْرِ عَلٰى نَارِ نُمْرُودَ وَقِيلَ كَانَ عَاهَدَ اللّٰهَ اَنْ لَا يَسْاَلَ غَيْرَهُ فَلَمَّا
اُلْقِيَ اِلَى النَّارِ لَقِيَهُ جِبْرَائِيلُ فَقَالَ لَهُ هَلْ مِنْ حَاجَةٍ يَا خَلِيلَ اللّٰهِ فَقَالَ اَمَّا اِلَيْكَ
فَلَا فَقَالَ سَلْ رَبَّكَ قَالَ عِلْمُهُ بِحَالِي يُغْنِينِي عَنْ سُؤَالِي وَرُوِيَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ اَبِي ذَرٍّ
اَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اَلَا اُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمّٰى اللّٰهُ اِبْرَاهِيمَ الَّذِي
وَفّٰى كَانَ اِذَا اَصْبَحَ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ سُبْحَانَ اللّٰهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ اٰخِرَ
الْاٰيَةِ وَلَيْسَ مَعْنَى الْحَدِيثِ اَنَّهُ لِمُجَرَّدِ هٰذَا الذِّكْرِ بَلَغَ تِلْكَ الرُّتْبَةَ بَلْ اِشَارَةٌ
اِلٰى اَنَّهُ كَانَ يُحَافِظُ عَلَى مَحَاسِنِ الْاَعْمَالِ وَاَنْ لَيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلَّا مَا سَعٰى
اَلَّا سَعْيَهُ اَيْ كَمَا لَا يُؤَاخَذُ اَحَدٌ بِذَنْبِ غَيْرِهِ كَذٰلِكَ لَا يَصِلُ اِلَيْهِ ثَوَابُ عَمَلِ غَيْرِهِ
وَمَا يَصِلُ اِلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ ثَوَابِ دُعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِغْفَارِ الْمَلَائِكَةِ وَالصَّدَقَةِ لَهُ

وهو ايضا من سعيه لانه اعم من المباشرة والسبب واليه يشير قوله صلى
الله عليه وسلم من دعا الى هدى فله اجر فاعله وان سعيه سوف يرى
يوم القيمة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يجزاه يجزى العبد سعيه
اى على سعيه نصب على نزع الخافض الجزاء الاوفى الاوفر من استحقاقه
ولذلك يرى عمله الحقير نصب على المصدر ويجوز ان يكون البارز المنصوب ضمير
الجزاء المدلول عليه والجزاء الاوفى بدل منه وان الى ربك المنتهى
انتهاء الخلائق كلهم هذا وما بعده ايضا من جملة ما فى الصحف وانه
هو اضحك وابكى اى خلق الضحك والبكاء واسبابهما وانه هو اماتا
واحيا خلق الموت والحيوة وفيه مراعات النظر مع اللف والنشر وانه
خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق يقال امنى وامنى
او يقدر من منى الما فى اى قدر واكد فى الاولين بضمير الفصل لمظنة وهم
الغير الا يرى الى قول من حاج ابراهيم انا احيى واميت وقولهم اضحكنى الدهر
دون هذه افلا مجال لذلك الوهم وان عليه النشأة الاخرى وفاء
بوعده وقرا ابو عمرو وابن كثير بالمد كلاهما مصدر نشأه وانه هو
اغنى بالمال واقنى اى اعطاه ما تقنيه زيادة على قدر حاجته من
القنية وهو المال المحفوظ لا للتجارة او ارضاه من القنا وهو الرضاء
وعن ابى زيد تقول العرب من اعطى ماله من المعز فقد اعطى القنا ومن
اعطى ماله من الضان فقد اعطى العنا ومن اعطى ماله من الابل فقد اعطى
المنا وعن ابى عبيدة اقناه الله اعطاه ما يقتنى من المال والنسب وانه
هو رب الشعرى كوكب معروف يتبع الجوزاء وهو كوكب وقاد يقال له
مرزم الجوزاء كانت الخزاعة تعبده اول من عبدها احد اجداد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جهة امه يسمى ابا كبشه ولهذا ما ادعى رسول
الله النبوة وفارق دين اباله سموه ابن ابى كبشة كما جاء فى حديث هرقل
من قول ابى سفيان وفيه اشارة الى رد قولهم الباطل فانه وان وافق جده
فى مخالفة دينهم فقد خالفه ايضا فى عبادتها وانه اهلك عادا الاولى
والكلام فى تاكيدا لاولين بضمير الفصل وتركه فى الاخير كما تقدم انفا
وعادا الاولى قوم هود والثانية ادم وقيل الاولى لقدماء لانهم اولى
الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون الاشراف وثمودا عطف على
عادا لا مما بعدها لتافيه لا يعمل فيما قبلها فما ابقى اى من الفريقين
احدا كقوله فهل ترى لهم من باقية وقرا عاصم وحمزة وثمود بغير تنوين
والوقف بالالف لمن قرا بالتنوين وقوم نوح من قبل من قبل عاد

وثمود نصب بما نصبا به انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم
وان لم يؤمنوا بنبيهم فلم يؤذوه كما اذى قوم نوح نوحا اذ قد توا ترانهم
كانوا يشجونه ويضربونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اغفر
لقومى فانهم لا يعلمون والمؤتفكة قرى قوم لوط ايتفكت انقلبت بها
عليهم جبرائيل جعل عاليها سافلها اهوى اسقطها بعد ان رفعها
الاسناد الى الله لانه الامر فغشيها ما غشى فبأى الاء ربك تتمارى
المذكور ان بعضها وان كانت نقما لاقوام فهى نعم للانبياء واتباعهم
قال ابو الطيب بذا حكم الايام ما بين اهلها مصاب قوم عند قوم
فوائد تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهابا
وتهييجا وتعريضا بالغير او للانسان على الاطلاق وهذا اوفق هذا
نذير من النذر الاولى اى من هذا القران من الانذارات الاولى او من جنس
الكتب المنزلة فذلكة لما عدد من الايات والاحكام التى اشتمل عليها الصحف
اولما افتتح به السورة او الرسول قل ما كنت بدعا من الرسل ازفت
الازفة قربت القريبة وهى الساعة المخبر عن قربها فى قوله اقتربت الساعة
وافترب للناس حسابهم ليسرلها من دون الله كاشفة لا يعلمها غيره
لقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لنفس بقدر على كشفها اذا وقعت الا
هو لكنه لا يكشفها او ليس احد يقدر على كشفها الان بالتاخير لو وقعت
ويجوز ان يكون كاشفة مصدرا كالعافية افمن هذا الحديث تعجبون
اى من القران وتضحكون استهزاء ولا تبكون وكان الواجب عليكم
ذلك كما يفعله الموقنون يخرون للاذقان يبكون وانتم سامدون
مستكبرون من سمد رفع راسه تكبرا او لاهون من سمد البعير فى سيره
فاسجدوا لله واعبدوا يعد هذا البيان والترهيب اعبدوه ولا تعبدوا
غيره تمت النجم والحمد لكاشف الغم والصلوة على من فضله اعم

تفسير سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة اى قد قرب قيام الساعة
والشق القمر وانشقاقه من ايا تها روى البخارى ومسلم عن ابن مسعود
رضى الله عنه ان اهل مكة سالوا رسول الله ان يريهم اية فاراهم القمر
شقتين حتى راوا الحراء بينهما وان يروا اية اهل مكة وان يسبوهم
ذكر للعلم بهم كقوله زارت عليها للظلام رواق يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر دائم اى ليس هذا وحده من سحر محمد بل كله من هذا يريدون

ما سبقه من المجرات او مخكم من استمر مريده او مرغاية لا تقدر على اشاعته
من استمر الشيء قويت مرارته او عار لا بقاء له يسلون بذلك انفسهم ويمنونها
وكذبوا واستمروا على التكذيب ودفع الحق واتبعوا اهواءهم ما سولت
لهم انفسهم وكل امر مستقر اى كل امر له نهاية يثبت فيه كالام مستقل
جار مجرى المثل كقوله كل شيء اخر والضير نعم الناصر اى كل امر ينتهي اما
الى السعادة او الى الشقاوة او كل من امره وامرهم يستقر على حاله من خذلان
او نصر وقرأ ابو جعفر مستقر مجرورا عطفا على الساعة اى اقترب كل امر
مستقر على ان الشق القمر حال بتقدير قد وان يروا آية اعتراض وفي قراءته
زيادة تسلية وتهويل ولقد جاءهم من الانباء في القرآن مما تزل بامثالهم
ما فيه مزدجر ازدجارا افتعال من الزجر قلبت تاؤه دالا لتناسب الدال
والزاء حكمة بالغة غايتها في الاحكام بدل من ما او خبر مبتداء محذوف
فما تغني النذر بعدها نفي واستفهام انكاري اى غناء تغني النذر بعد
وصول الامر الى الغاية فتول عنهم اعرض يوم يدع الداع اسرافيل
تصب يخرجون او باذكر اثبت ياء الداع البزي عن ابن كثير في الحالين وابو عمرو
ووزش وصلا الى شيء نكر منكر تنكره النفوس لفظاعته قراءة ابن كثير
بضم الكاف خشعا ابصارهم كناية عن الذل لان العز والذل يظهران
اثارهما في العيون واسناد جمع التكسير الى المظهر فاشر نصيع وقرأ ابو عمرو
وحمزة والكسائي خاشعا وهو المختار ولم يؤنث لعدم الفاصل وانتصابه
على الحال من فاعل يخرجون من الاجداث وقرئ خشع بالرفع على الخبرية
فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتفرق مهطعين
الى الداع مسرعين حادين اعناقهم اثبت ابن كثير ياء الداع في الحالين ونافع
وابو عمرو في الوصل يقول الكافرون هذا يوم عسر يشاق كذبت قبلهم
قوم نوح تسلية وترهيب فكذبوا عبدنا تفصيل لما اجمل وكذبوه تكذيبا
اثر تكذيب كلما مضى قرن تبعه اخر او كذبوا الرسل راسا فكذبوه لانه من
جملتهم وقالوا مجنون اصابه الجنون وازدجر زجروه شتما وضربا
عطف على قالوا او في بناء المفعول تظهيرا للاسنة عن ذكرهم ودلالة
على ان فعلهم اسوء من قولهم ولتوافق الفواصل او هو من قولهم انه مجنون
وقد ازدجر به الجن والاول اوجه واوفق لقوله فدعا ربه اني مغلوب
بعدما ايس وجربا الاولاد والاحفاد فانتصر انتقم ففتحنا ابواب
السماء اى بعذا لامرا باتخاذ السفينة والفراغ منها وركوبه بمن معه
بماء منهمر منصب بكثرة وتتابع مطاوع همر قيل لم ينقطع اربعين يوما

وفجرنا الارض عيونا جعلنا الارض كلها كانها عيون اصله فجرنا عيون
الارض عدل الى المنزل مبالغة فالتقى الماء على امر قد قدر اى ماء الارض
وماء السماء التقيا على مقدار سواء بسواء او على امر قدر في اللوح من
هلاك قوم نوح او على امر قدره الله تعالى واقتضته حكمته وحملناه
على ذات الواح ودسر اى السفينة عبر بالوصف عن الموصوف كناية كقولهم
في الانسان حي مستقيم القامة عريض الاظفار وفيه فخامة ليس في
الاصل واشارة الى كمال الاقتدار ليعد حال الخشب والحديد عند دفع ذلك
الطوفان العظيم والدسر جمع دسار وهي المسمار من الدسر وهو الدفع
تجري بأعيننا محفوظة بكلاءتنا جزاء لمن كان كفر علة للفتح
وما بعده والذي كفر نوح لان كل نبي نعمة من الله او على حذف الجار وايصال الفعل اى كفر به ولقد تركناها اية اى الفعلة او السفينة او
خبرها فاقطار الارض في الاعصار كلها الى اخر الدهر فهل من مدكر
معتبر يتعظ بها فكيف كان عذابي ونذر وانذار جمع نذير بمعناه استفهم
تعجيب وتهويل ولقد يسرنا القرآن للذكر للاتعاظ لاشتماله على بناء
الاولين والاخرين وبيان ما اصاب من كذب الرسل او سهلناه للتلاوة
لانه عربي مبين يتلوه اهل كل لسان او حفظه دون سائر الكتب او بانا
انزلناه على سبعة احرف بحسب لغة القبايل تيسيرا على العرب اراحة
لعذرهم والاول اوفق بالمقام ولذلك اعاده مرارا فهل من مدكر
متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم قبل نزول
العذاب وبعده لمن بعدهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا من
الصر بكسر الصاد او تشديد الصوت من الصرير في يوم نحس مشوم
مستمر شؤمه او اليوم على ارادة الحين لانه كان سبع ليال وثمانية
ايام او على شحاصهم لم يدع صغيرا ولا كبيرا او شديد مرارته تنزع
الناس تقلعهم بيان لشؤمه كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل
منقلع من مغارسها وتذكير الصفة باعتبار لفظ النخل وتانيثه في
قوله اعجاز نخل خاوية باعتبار المعنى روي انهم كانوا يصطفون اخذا
كل واحد يدا لاخر فيدخلون في الشعب ويحفرون فتزعجهم وتدق رقابهم
وقيل تقلع رؤسهم وتبقى الجثث ساقطة على الارض فكيف كان عذابي
ونذر كرره للتهويل او الاول للحاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيط به
في الاخرة لقوله في شانهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الاخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود

بالنذر بالانذارات او بالايات او بالرسل فقالوا ابشرا منا واحدا
نتبعه انكروا ان يكون الرسول بشرا لا سيما وهو ليس من طائفة اخرى
ليكون له المزية موصوفا بالوحدة والانفراد فكيف يتبعه الجم الغفير
ونصب بشرا بمضمر على شريطة التفسير وفي مثله يختار النصب لمكان
الاستفهام انا اذا لفي ضلال وسعر وجنون يقال ناقة مسعورة
اى مجنونة او عكسوا عليه لما دعاهم الى التوحيد لئلا يقعوا في سعر
قالوا لو اتبعناه وقعنا فيها على ان السعر جمع سعير ءالقي
الذكر عليه من بيننا وفينا من هو اكثر منا مالا واسبابا كقول قريش
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم بل هو كذاب شديد
الكذب حتى اخترع هذا الكتاب البديع اشر بطر حمله عليه بطره
سيعلمون غدا من الكذاب الاشر اى يوم القيمة فان الدنيا والاخرة
يومان وقرا ابن عامر وحمزة بالياء على حكاية قوم صالح او التفات
من الله تعالى اليهم كانهم حضور ينعى عليهم جناياتهم ثم حكاه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم دلالة على انهم كانوا احقاء بذلك الوعيد انا
مرسلوا الناقة فتنة لهم امتحانا وذلك بعد ان سألوها فارتقبهم
فانتظرهم مراقبا احوالهم مع الناقة واصطبر على اذاهم ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم ذو قسمة لهم شرب يوم ولها شرب يوم معلوم
وفي الضمير تغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه خاصة
فنادوا صاحبهم قدار بن سالف اشقى الناس نطق به القران وقال
رسول الله اشقى الناس رجلان عاقر الناقة وقاتل علي فتعاطى
اجترأ على تعاطي الامر العظيم من ناب يعطي ويمنع او تعاطى قتل الناقة
او السيف والتعاطي تناول الشيء بتكلف فعقر اى الناقة فكيف
كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح بهم جبرائل
فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر المنكسر اليابس الذي مر عليه زمان طويل
والمحتظر من يعمل الحظيرة لماشيته او هو الحشيش الذي يجمعه ليعلفها به
في الشتاء ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر لم يعد حديث الانذار
كما اعاده في قصة هود اكتفاء به وكنا لم نعده في قوم نوح لانهم بذلك اولى
اذ هم اظلم واطغى وتركه راسا في قصة لوط لتكرر مرارا وترك ذكر التدمير
والادكار في ال فرعون لانها اخر القصص فاختصر ليدل الاختصار على الاقتضاء
فهذا من اسرار التنزيل لله دره كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم
حاصبا ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحجارة وقد جمع الله عليهم انواعا من العذاب

قلب الارض وامطار الحجارة عليهم والرمي بالحصباء الا ال لوط نجيناهم
بسحر هو قبيل الصبح صرف لانه لم يرد به معين والا فعلم وعدل وقيل طلوع
على ما بعد انصداع الفجر فبقيدا الاول بالا على ومنه حديث عايشة رضي الله
عنها ما الفاه السحر الا على عندي الا نائما وذلك ليكون في صلوة الصبح
على نشاط بخلاف ما اذا واصل بين التهجد وبينها نعمة من عندنا انعاما
عليه تفضلا كذلك نجزي من شكر بالايمان والطاعة كاننا من كان
ولقد انذرهم بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر كذبوا بها
متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه جبرائل ومن معه من الملائكة
فطمسنا اعينهم مسحناها بحيث لم يبق لها اثر يدل بقيت كسائر اجزاء
الوجه طمسها جبرائل لما دخلوا بيت لوط فقبلوا يتردون في الازقة لا
يهتدون الى ممتازهم وشرعوا يتهددون لوطا ان اصبحنا لنفعلن بك كذا
وكذا فكانوا وقت الصبح في مهم اخر فذوقوا عذابي ونذر على تقدير القول
من الملائكة ولقد صبحهم بكرة اول طلوع الفجر عذاب مستقر بهم
لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر الاول قيل لهم
عند الطمس وهذا عند قلب الارض ولقد يسرنا القران للذكر فهل من
مدكر اعاده في كل قصة تجديدا للايقاظ وحثا على الاتعاظ للابستولي
عليهم الغفلة وهذا شان كل تكرير في القران ولقد جاء ال فرعون النذر
الانذارات واكتفى بالال للعلم بانه شر منهم كذبوا بايانتا كلها مع كثرتها
وهي الايات التسع لم يعطفه بالفاء اكتفاء بالاتصال معنى واشارة
الى شدة كفرهم كان تكذيبهم كان مع مجيء تلك الايات فاخذناهم اخذ عزيز
مقتدر بان طبق البحر على ذلك الجيش الكثيف في لمحة طرف كان لم يكونوا
اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم المهلكين زينه واموالا او قوة
واسبابا او لين شكيمة وعنادا اني لبسر الامر كذلك بل هو لاء اقل استيصالا
واكثر كمرا وعنادا ام لكم براءة في الزبر بان لا عذاب عليكم الزبر
الكتب السماوية جمع زبور من زبره كتبه ام يقولون نحن جميع منتصر
افرد الضمير باعتبار لفظ الجميع وعدل عن الخطاب كانه يحكي جهلهم
لغيرهم كما يقول المولى بعد استيفاء عبده او به جنون سيهزم الجمع و
يولون الدبر الادبار افرده لارادة الجنس او باعتبار كل واحد روى
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج يوم بدر من القبة يثب في درعه وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون
الدبر وعن عكرمة ان عمر قال كنت اقول اي جمع سيهزم فلما رايت

رَسُولُ اللهِ يَوْمَ بَدْرٍ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ وَهُوَ يَتْلُوهَا عَرَفْتُ تَأْوِيلَهَا يَوْمَ السَّاعَةُ
مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالدَّاهِيَةُ دَاءٌ لَا دَوَاءَ
لَهَا وَإِنَّمَا أَعَادَ لَفْظَ السَّاعَةِ تَهْوِيلًا وَلِئَلَّا يَتَوَهَّمَ عَوْدُ الضَّمِيرِ الْمَرْفُوعِ
بَدْرٍ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ فِي الدُّنْيَا وَسُعُرٍ وَنِيرَانٍ فِي الْآخِرَةِ أَوْ فِي
ضَلَالٍ وَجُنُونٍ نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ أَيْ مَجْنُونَةٌ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ ظَرْفٌ لِسُعُرٍ أَوْ بَدَلٌ اشْتِمَالٍ مِنْهُ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ أَيْ يُقَالُ
لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ تَعْرِيعًا وَإِيقَاءً لِحَقِّ السَّامِعَةِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْمَسُّ مُسْتَعَارٌ لِلْإِيلَامِ كَمَا يُقَالُ ذَاقَ طَعْمَ الْمَوْتِ وَسَقَرُ عَلَمٌ نَارُ الْآخِرَةِ مِنْ
سَقَرَهُ وَصَقَرَهُ إِذَا لَوَّحَهُ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ أَنَاخَ بِيَ الشَّمْسَ تَوَى سَقَرَانِهَا بِأَفْنَادِ
مَرْبُوعِ الصَّرِيمَةِ مُعْبِلِ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ مَنْصُوبٌ بِمُضْمَرٍ مُفَسِّرٍ
أَيْ خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَأَوْجَدْنَاهُ مُتَلَبِّسًا بِمَا سَبَقَ مِنَ التَّقْدِيرِ فِي الْأَزَلِ وَسَطَّرَ
فِي اللَّوْحِ رَوَى مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْقَدَرِ وَعَنْ زُرَارَةَ أَنَّ
رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَلَاهَا قَالَ هَذِهِ فِي أُنَاسٍ مِنْ أُمَّتِي يَكُونُونَ
فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ الْأَفْعَلَةٌ وَاحِدَةٌ
دَفْعُهُ بِلَا آلَةٍ وَأَسْبَابٍ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ فِي سُرْعَةِ التَّكَوُّنِ كَقَوْلِهِ كُنْ فَيَكُونُ
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ أَشْبَاهَكُمْ وَمَنْ شَايَعَكُمْ فِي الِاعْتِقَادِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ
مُتَّعِظٍ بِمُصِيبَةِ أُولَئِكَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ثَابِتٌ فِيهِ مَسْطُورٌ
فِيجَازَوْنَ بِهِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ قَوْلًا كَانَ أَوْ فِعْلًا أَوِ اعْتِقَادًا مُسْتَطَرٌ
مَكْتُوبٌ لَا مَحَالَةَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ وَضِيَاءٍ وَسَعَةٍ أَوْ فِي أَنْهَارٍ
وَاكْتُفِيَ بِاسْمِ الْجِنْسِ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ بَدَلٌ مِنْ فِي جَنَّاتٍ سُمِّيَتْ بِهِ لِأَنَّهَا
مَنْزِلُ الصَّادِقِينَ أَوْ لِأَنَّهَا مَكَانٌ مَرْضِيٌّ كَمَا يُقَالُ رَجُلٌ صِدْقٌ أَيْ مَرْضِيُّ
الْخِصَالِ مَحْمُودُ الْفِعَالِ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ حَالٌ مِنَ الْمُسْتَكِنِّ فِي الْخَبَرِ
أَيْ مُقَرَّبِينَ ذَوِي رُتَبٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ كَامِلِ الِاقْتِدَارِ وَلَا ذُلَّ لِلنَّفْسِ
مِنْ قُرْبِ الْمُلُوكِ وَلَا يُبْذَلُ الْأَمْوَالُ وَالْأَرْوَاحُ دُونَهُ مَعَ مُلُوكِ
الدُّنْيَا تَمَّتْ سُورَةُ الْقَمَرِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْأَصَالِ وَالْبُكَرِ وَالصَّلَاةُ
عَلَى صَفْوَةِ عَدْنَانَ وَمُضَرَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ مَنْ هَاجَرَ وَآوَى وَنَصَرَ

سورة الرحمن

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ هَذِهِ السُّورَةُ مَقْصُورَةٌ
عَلَى بَيَانِ نِعَمِ الدَّارَيْنِ الَّتِي لَهَا شَأْنٌ لِأَنَّ إِحْصَاءَ الْكُلِّ مُحَالٌ فَلِذَلِكَ صَدَّرَهَا
بِالِاسْمِ الدَّالِّ عَلَى جَلَائِلِ النِّعَمِ بِرَاعَةً لِلِاسْتِهْلَالِ وَبَدَأَ بِأَجَلِّهَا

وَهُمْ يَعُمُّ الدِّينَ ثُمَّ اخْتَارَ أَعْلَاهَا شَأْنًا وَأَسْنَاهَا مَكَانًا وَهُوَ الْقُرْآنُ الْحَاوِي
لِأُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ الْمُوضِحُ لِلسَّبِيلِ الْمُصَدِّقُ لِسَائِرِ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ
وَلَمَّا كَانَ كَمَالُ الْإِنْسَانِ فِي تَكْمِيلِ قُوَّتِهِ النَّظَرِيَّةِ وَهُوَ الْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ
مِنْ خَلْقِهِ قَدَّمَ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ ثُمَّ أَرْدَفَهُ بِمَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الْمَنْطُوقَ الْفَصِيحَ الْمُعْرِبَ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ الَّذِي
لَا يَكَادُ تَعَلُّمُ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمُهُ إِلَّا بِهِ وَأَتَى بِأَجْمَلِ الثَّلَاثِ عَلَى نَمَطِ
الْإِشَارَةِ إِلَى تَقَاعُدِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْوَفَاءِ بِشُكْرِهَا كَمَا نَقُولُ فِيمَنْ
نَصَرَ فِي مُكَافَاةِ مَعْرُوفِكَ يَا هَذَا كُنْتَ صَغِيرًا رَبَّيْتُكَ مُحْتَاجًا أَعْطَيْتُكَ
ضَائِعًا أَوَيْتُكَ ثُمَّ بَعْدَ قَضَاءِ الْوَطَرِ مِنْ هَذَا الْأُسْلُوبِ أَفَاضَ فِي تَعْدَادِ
النِّعَمِ فَأَجْرَاهَا عَلَى النَّمَطِ الْمَعْرُوفِ بِحَذْفِ النَّسَقِ مُرَاعِيًا التَّفَاوُتَ
وَالتَّنَاسُبَ بِقَوْلِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ يَجْرِي كُلٌّ مِنْهُمَا فِي مَنَازِلَهُ
وَبُرُوجِهِ بِلَا اخْتِلَالٍ لِيَضْبِطَ بِذَلِكَ أَحْوَالَ الْكَائِنَاتِ وَيَتَمَيَّزَ بِهِ الْفُصُولُ
وَالْأَوْقَاتُ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ يَنْقَادَانِ لِأَمْرِهِ فِيمَا خَلَقَا لَهُ
شُبِّهَ ذَلِكَ بِسَجْدَةِ الْمُكَلَّفِ النَّجْمُ نَبْتٌ لَا سَاقَ لَهُ وَالشَّجَرُ مَا لَهُ سَاقٌ وَارْتِبَاطُ
الْجُمْلَتَيْنِ بِمَا قَدَّمَ مَعْنَوِيٌّ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَمَزَ إِلَى تَقَاعُدِهِ فِي الشُّكْرِ أَخَذَ فِي
تَعْدَادِ نِعَمٍ أُخَرَ حَتَّى أَتَى عَلَى مَا طَلَبَ مِنْهُ وَلَوْ عَطَفَ لَمْ يُفِدْ هَذَا الْغَرَضَ وَ
فِيهِمَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَا فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ قَائِمٌ بِمَا خُلِقَ لَهُ وَالْإِنْسَانُ
مَعَ كَوْنِهِ الْمَقْصُودَ مِنَ الْكَوْنِ خَسِيسَ بِذَلِكَ وَكَانَ ظَلُومًا جَهُولًا وَالسَّمَاءَ
رَفَعَهَا شَرَفًا وَرُتْبَةً لِأَنَّهَا مَنْشَأُ أَحْكَامِهِ وَمَصْدَرُ قَضَايَاهُ وَمَنْزِلُ
أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ أَوْ مَكَانًا فَوْقَ الْأَرْضِ كَقَوْلِهِ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا
مَحْفُوظًا دَلَّ بِهِ عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ وَعِظَمِ كِبْرِيَائِهِ وَسُلْطَانِهِ مَعَ كَوْنِهِ مَبْدَأَ
جُودِهِ وَإِحْسَانِهِ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ قَانُونَ الشَّرْعِ الَّذِي بِهِ النِّظَامُ وَ
الْوِفَاقُ بَيْنَ الْأَنَامِ الَّذِي هُوَ لِأَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ كَالْمِكْيَالِ وَالْمِقْيَاسِ الَّذِي
يُعْرَفُ بِهِ الْأَشْيَاءُ وَالْأَمْثَالُ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ لَا تَتَجَاوَزُوهُ بِالزِّيَادَةِ
وَالنُّقْصَانِ فَيَفُوتُكُمُ النَّدَمُ وَالْخُسْرَانُ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
اجْعَلُوا وَزْنَ أَعْمَالِكُمْ قَوِيمًا لَا عِوَجَ بِهِ بِالْعَدْلِ السَّوِيِّ وَهُوَ مَا قَنَنَهُ الشَّارِعُ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ لَا تَنْقُصُوا مَا وَجَبَ عَلَيْكُمْ عَنْ حَقِّهِ إِعَادَةٌ مِبَالَغَةٌ
فِي التَّوْصِيَةِ بِهِ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ بَسَطَهَا مَدْحُوَّةً لِئَلَّا يَشُقَّ عَلَيْهِمُ
التَّصَرُّفُ وَالتَّرَدُّدُ فِي اكْتِسَابِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ وَالْأَنَامُ الْأَنْسُ وَالْجِنُّ كَنَاهُ عَنِ
الْحَيَوَانِ أَوْ كُلِّ ذِي رُوحٍ فِيهَا فَاكِهَةٌ ضُرُوبٌ مِمَّا يُتَفَكَّهُ بِهِ وَالنَّخْلُ ذَاتُ
الْأَكْمَامِ جَمْعُ كِمٍّ بِالْكَسْرِ وَهُوَ وِعَاءُ الطَّلْعِ أَوْ رِيدَ بِهِ كُلُّ مَا يَقْطَعُ مِنْ لِيفِهِ

وَسَعفه وكفراه وبالجملة لبس فى شجر النخل ما ينتفع به ولذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم ثم انها
النخلة وعلى هذا ذكرها بعد الفاكهة ليس كذكر جبريل بعد الملائكة
والحب ذو العصف كالبر وسائر الحبوب والعصف ورق التبن والريحان
لب الحب وما يؤكل منه ولذلك فسر بالرزق استوعب اقسام ما يتناول
فى حالة الرفاهية لانه امتن للتلذذ وهو الفاكهة اوله وللتعذى وهو
ثم النخل او للتعذى وحده وهو الحب وفى ذكرها على هذا الاسلوب ترق من
الادنى الى ما هو ادخل فى الامتنان وقرا ابن عامر الثلثة بالنصب عطفا
على الفعلية بتقدير خلق وعليه رسم الشام ونافع وابن كثير وابو عمرو
وعاصم برفعها عطفا على الاسمية اى فيها فاكهة وفيها الحب وعليه
بقية الرسوم وقرا حمزة والكسائى بجر الثالث ورفع الاولين اى ذو العصف
والريحان اصله روحان قلبت واوه ياء تخفيفا او ريوحان حذف واوه
بوزنه فيلان فباى الاء ربكما تكذبان والخطاب للثقلين لما تقدم
ذكرهما فى الانام ولقوله ايها الثقلان عن جابر قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم علينا سورة الرحمن الى اخرها ثم قال قراءتها على الجن كانوا
احسن ردا منكم كلما اتيت الى فباى الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشئ من
الائك نكذب ربنا خلق الانسان من صلصال من طين يابس له صلصلة
اى صوت كالفخار كالخزف وعبر عنه بالطين اللازب والحمأ المسنون
والتراب ايضا باعتبار انقلابه فى الاطوار وخلق الجان ابا الجن
وهو ابليس من مارج من نار اى من نار صافية او مختلطة بالدخان
ومنه الامر المريج من بيان او من نار مخلوطة ممتازة عن هذه النيران
فلذا انكره فين ايسا لية فباى الاء ربكما تكذبان اذا فاضة الوجود
اجل الانعامات واولاها رب المشرقين ورب المغربين مشرق الشتاء
والصيف ومغربهما فباى الاء ربكما تكذبان لما فى ذلك من الفوايد
التى لا تحصى مرج البحرين يلتقيان ارسلهما متلاقيين من مرجت
ارسلتها بينهما برزخ لا يبغيان حاجب من قدرته يمنع احدهما من
التعدى على الاخر بالاختلاط فباى الاء ربكما تكذبان اى فى ذلك من
الايات ما يدل على كمال اقتداره الموصل الى الايمان الذى كل نعمة دونه
وتفسير الالتقاء بما مر لسطوح ثم تفسير البرزخ بحاجب عن الادراك
البحرين على بحر فارس والروم غير بعيد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
احدهما ابيض يقوى والاخر احمر قانى وهما من خواص الملح دون العذب

وانما حال بينهما لا تصالهما فى المراء والقول بانهما يخرجان من مجمع البحرين
يرده المشاهدة قرا نافع وابو عمرو بضم الياء وفتح الراء والباقون
بالعكس والاولى الاصل والثانية التعبير باللازم فباى الاء ربكما تكذبان
وكونهما عن فواخر النعم غنى عن البيان وله الجوار السفن الجارية فى
البحر المنشئات المرفوعات الشرع وقرا حمزة بالكسر اى رافعات
الشرع او الموج او السير انشاءا او المبتدئات فى الفعل من انشا شرع
فى الفعل كالاعلام كالجبال الشامخة قالت الخنساء كانه علم فى رأسه
نار فباى الاء ربكما تكذبان لما فى ذلك من الدلائل الدالة على كمال علمه
تعالى واقتداره وما فى ضمنه من منافع العباد كل من عليها فان اى على
الارض من الموجودات ومن لتغليب العقلاء كقوله كل شئ هالك الا
وجهه والاقتصار على من على الارض لانه فى تعداد النعم واشارة الى العموم
بقوله ويبقى وجه ربك اى ذاته تجوز به او لا عن الجملة كاليد والعين
ثم اشتهر حتى صار حقيقة فاستعمل فيمن تنزه عن الاجزاء ذو الجلال
والاكرام اى الذى يحله الموجدون وينسبونه الى الكرم او الذى
جدير بان يقال ما اجله وما اكرمه قيل او لم يقل وتقديم صفة السلب لانه
فى مقام الجلال وقهر الخلق بالفناء فباى الاء ربكما تكذبان لما فى ذلك
من العلم بكمال الصانع وكبريائه مع الوصول الى الجزاء والحيوة الابدية
يسئله من فى السموات والارض لافتقارهم الكل اليه ابتداء وبقاء روى انه
تعالى لما لعن ابليس وطرده من جواره وكان من الحافين بالعرش يكى جبريل
وميكائيل فسألهما الرب تعالى وهو اعلم بهما لم تبكيان قالا يا ربنا من يامن
فقال هكذا كونوا راهبين كل يوم هو فى شان يسعد ويشقى يحيى ويميت
ويعنى ويفقر شؤن يبدئها الا شؤن يبتدئها فباى الاء ربكما تكذبان
لما فى ذلك من دفع الضر وجلب النفع والاعتبار والتذكير المنجى من عقابه
سنفرغ لكم ايها الثقلان كناية عن التوفر للانتقام وتوجه الارادة اليه
او تمثيل بان تمثل حاله تعالى بعد انتهاء الشؤن الى واحد وهو الاحد بالجزا
بحال من له شغل يقبله اشتغال عن شئ ثم فرغ له وانتقلان الانس والجن لان
الارض لهما كما يحمله قرا حمزة وابو بكر فى وجه ستفرغ بالتاء فباى الاء
ربكما تكذبان لما فى هذا الترهيب من الحث على الطاعة يا معشر الجن و
الانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
لتخلصوا بذلك من قهرى فانفذوا امر تعجيز وفى معناه ام حسب الذين
يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون وقيل المراد به يوم الحشر

فان الملائكة يحدقون بهم سبعة صفوف يقول الاسنا يهم هذا ابن المقرى وتقديم
الجن لانهم اعز واشد قوة لا تنفذون الا بسلطان وانى لكم ذلك
فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ لهب مركب من النار والدخان
وعن ابن عباس نار لا دخان فيه وقرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين من نار ونحاس
نحاس صفر هذا يحشر الناس الى الموقف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالجر
عطفا على المجرور اى من نار ومن نحاس على ان المراد به الدخان وانشد
يضئ كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا والرفع ابلغ وليه
ذهب ابن عباس فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان فان في التهديد
كح عنان العاصى وحث الطايع على المزيد فاذا انشقت السماء فكانت
وردة قطعة حمراء كلون الورد وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوردة
اديم احمر كالدهان كالزيت المذاب الذى يدهن به كقوله يوم تكون
السماء كالمهل والمعنى انها تذوب من حر نار جهنم والدهان كل ما يدهن به
كالحرام والشام والختام كالزيت المذاب فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان هذا فى اول الحال قبل شفاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم للفصل والقضاء فلا ينافيه فوربك لنسألنهم اجمعين
والهاء للانس والجان لتقدمهما رتبة فبأى آلاء ربكما تكذبان لما فى ذلك
الوقت من النعيم فى ظل عرش الرحمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعرف
المجرمون بسيماهم بعلامتهم سواد الوجه وزرقة العين فيؤخذ
بالنواصى والاقدام مجموعا بينهما او على التعاقب فبأى آلاء ربكما تكذبان
هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينهم وبين حميم ان بلغ
نهاية الحرارة يحترقون بالنار ويشربون من ذلك الحميم فبأى آلاء
ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه الموقوف بين يديه يوم الناس لرب العالمين
كقوله ذلك لمن خاف مقامى او لفظ المقام بمعنى اى لمن خاف الله كقولك
الشمال وقفت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان فبأى آلاء ربكما
تكذبان اى لكل واحد للاصقاد احديهما والاخرى للعمل او احديهما للتزيد
المأضى والاخرى لفعل الطاعات وجعل احديهما للخائف من الانس والاخرى
للخائف من الجن بعيد مخالف للاحاديث ذواتا افنان جمع فنن وهو
الغصن خصتها بالذكر لانها التى ينتفع بظلالها ولثمارها وحسن المنتظر
باوراقها او جمع فرّ اى انواع من الثمار فبأى آلاء ربكما تكذبان حيث
اعد لكم هذا وانتم بعد فى العدم فيهما عينان تجريان كيف شاؤا احديهما
السلسبيل والاخرى التسنيم روى انهما ينبعان من جبل من مسك والوصف

بالجريان التوفير حظا الباصرة فان النظر الى الماء الجارى اجلب شئ للسرور
فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان مما تعلمون
ومما لا تعلمون او رطب ويابس لف وعلى فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتى
نعيم افضل من هذا التنوين متكئين على فرش بطائنها من استبرق من جنس
غليظ وظهائرها من سندس نصب على المدح او حال من فاعل خاف لانه فى
معنى الجمع وجنا الجنتين دان قريب ينالة القاعد والمتكئ اسم بمعنى المجنى
فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن اى فى الجنان التى لكل واحد منها جنتان
او فى الجنتين لاشتمالهما على الاماكن او فى الآلاء المعدودة قاصرات
الطرف على ازواجهن لا ينظرن لغير لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
فهى ابكار كما خلقن وقرأ الكسائى فى رواية الدورى هنا بضم الميم وكسرها
فى الثانية وفى رواية الليث عنه بالعكس وفى رواية خير الكسائى بين ضم
احديهما وكسر الاخرى على التعاند وهذا احسن جمعا بين اللغتين بلا ترجيح
من غير مرجح فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فى صفاء
الياقوت وبياض المرجان روى مسلم عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكل واحد زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وقد روى
ابن مسعود رضى الله عنه من وراء سبعين حلة فبأى آلاء ربكما تكذبان
هل جزاء الاحسان الا الاحسان اى لا يكون الا ذلك فبأى آلاء ربكما
تكذبان ومن دونهما جنتان دون الجنتين الاوليين فى الشرف وهما للمقربين
وهاتان لاصحاب اليمين روى البخارى عن عبد الله بن قيس عن ابيه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان
من فضة انيتهما وما فيهما وفى اللفظ دلالة على مزية الاولين فبأى آلاء
ربكما تكذبان مدهامتان سوداوان من الرى فى مقابلة ذواتا افنان
فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فى مقابلة عينان تجريان
والنضخ اقل من الجرى فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة
ونخل ورمان افردهما بالبيان شرفهما على سائر الفواكه كأنهما اجناس
اخر او لاشتمالهما على غير التفكه كالتغذى فى التمر والتداوى فى
الرمان ولذلك ذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان من حلف لا ياكل الفاكهة
لا يحنث باكل احدهما والوجه هو الاول اذ هذا انما يتصور فى فاكهة
الدنيا لان كل ما يتناول فى الجنة لا يتناول لا على وجه التفكه فبأى
آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان جميلات حسان الاخلاق
تخفيف خيرات صفة لا اسم تفضيل اذ ذاك لا يجمع هذا الجمع

فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام مخدرات لا يخرجن
أو مقصورات طرفهن على أزواجهن فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن
إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر و
سايد من حرير اخضر لانه لون مفرح ويقال ايضا للبساط ولاطراف الخيمة
وكل ثوب اخضر وعبقري حسان بساط حسن منسوب الى عبقر يزعم
العرب انه اسم بلد للجن ينسبون اليه كل شيء عجيب ومنه في وصف عمر فلم ار
عبقريا يفري فريه والمراد به الجنس ولذلك جمع وصفه فبأي آلاء ربكما
تكذبان تبارك اسم ربك كثر خيره وازداد ادا لفظ الرحمن الذي يعقبه
هذه النعم أو كل اسم له فانه لا يبتداء به شيء الا صار ذا بركة ومن ذي
الجلال والاكرام تقدم الكلام فيه وقرأ ابن عامر ذو مرفوعا صفة للاسم
وفيه مبالغة حسنة تمت سورة الرحمن والحمد لله لمنزله الفضل والاحسان
والصلوة على المبعوث الى الانس والجان واله وصحبه ذوي الرتب والشان

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم إذا وقعت الواقعة اي القيمة عبر عنها بالواقعة
دلالة على تحقق وقوعها لا محالة كقولك حدثت الحادثة وإذا ظرف للبس أو
نصب باذكر أو لمقدر اي إذا وقعت يكون كيت وكيت وهذا أجزل ليس لوقعتها
كاذبة نفس تكذب في الاخبار عن عدم وقوعها كاليوم كقوله لما رأوا بأسنا
قالوا آمنا بالله أو من كذبته تعتسه عند الخطب إذا شجعته على امر لا طاقة
له به كأنه قال هذا الخطب ليس من الخطوب التي تقدر نفس على الكذب مع صحبها
في احمالها وعلى الوجهين اللام للوقت مثلها في قدمت لخمس خلون أو هو كلام
على طريقة التمثيل اي تعدد وقوعها ليس نفس تكذب بشأن الحال أو المقال
وتقولها لم تكن أو مصدر بمعنى الكذب كالعاقبة بمعنى التكذيب
اي لا تكاد تصدق خافضة لاقوام رافعة لاخرى لقوم ويل ولقوم سهل
إذا رجت الارض رجا حركت تحريكا عنيفا كقولك إذا زلزلت الارض
وبست الجبال بسا سيرت وفي الحديث إذا فتحت العراق يأتي قوم يبسون
بأهلهم أو فتت لقوله فكانت هباء منبثا منبثا منتشرا وكنتم
أزواجا أصنافا ثلثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة اي اصحاب
الجنة هل تدري ما صفتهم وما هو فيه أقام المظهر مقام المضمر بما فيه من
الفخامة والميمنة الجهة التي تسامت أقوى الجانبين من اليمين وهو البركة
والعرب يتيامن باليمين وتتشاءم بالشمال وليسموها السوحى فلانة

أهل السعادة يؤخذ بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة ذات الشمال وأصحاب
المشأمة ما أصحاب المشأمة اي ما هم وما صفتهم سيق للتعجيب والسابقون
السابقون مبتداء وخبرا اي السابقون الى الايمان هم الذين بلغك خبرهم
في علو الرتبة ودفعه الشان كقوله انا ابو النجم وشعري شعري وتخصيصهم
بالانبياء مما لا وجه له أولئك المقربون في جنات النعيم اي الموصوفون
بالسبق هم الذين قربت درجاتهم من الله تعالى واعلنت منازلهم في الجنة
استيناف لبيان ذلك الابهام ثلة من الأولين جماعة كثيرون من السلل
وهو الصب والهدم خبر محذوف اي هم وقليل من الآخرين وفي تفسير
الاولين وجهان قيل السابقون على هذه الامة من لدن آدم الى محمد عليه
السلام فالسابقون من اولئك اكثر من سابق هذه الامة وروي هذا
عن الحسن وهذا قول لا سند له بل السابقون واللاحقون من هذه الامة
وذلك لما صح ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون من هذه الامة
واربعون من سائر الامم وقد نطق القرآن بان هذه الامة خير الامم روى
البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال نحن آخر الامم عملا وأكثرها أجرا
فكيف يكون السابقون من اربعين اكثر من السابقين من ثمانين مع ان
هؤلاء اكثر اجرا وخيرا من اولئك بنص القرآن والحديث بل الاولون
هم اوائل هذه الامة الذين اشار اليهم بانهم خير القرون السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار على سرر موضونة منسوجة بالدر
واليواقيت داخلا بعضها في بعض كحلوا الدرع وقيل متداينة أدنى بعضها
من بعض متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على سرر يطوف
عليهم ولدان مخلدون مبقون على تلك الهيئة ابدا لا يعتريهم تغير وتبدل
من كبر سن أو في اذانهم الخلدة وهي القرطة وعن الحسن هم أولاد الكفار
أو الحق انهم اهل الجنة وقيل هم الاولاد والاطفال الذين ماتوا من غير عمل
بأكواب قداح بريق متعلق بيطوف والكوب ما ليس له عروة ولا خرطوم
والابريق عكس ذلك وهذا التنوع على طريقة اهل التشريف في الدنيا وكأس
من معين هو القدح الذي يشرب به والمعين الجاري اي ليس مثل خمر الدنيا
توخمت من مجاورة الدن لا يصدعون عنها لا يحصل لهم بشربها صداع
ولا ينزفون يسكرون يقال انزف سكر قال لعمري لئن انزفتم او صحوتم
لبئس اللذاميٰ كنتم آل ابجرا او لا ينفد شرابهم من انزف نفد والمعنى لا تنفد
عقولهم ولا شرابهم وقرأ غير الكوفيين بفتح الزاء على بناء المفعول من انزفه
اسكره وهذا أوفق بقوله لا يصدعون وفاكهة مما يتخيرون يرتصون

والجم طير مما يشتهون يستلذون وحور عين بيض تجلو العيون عطف على ولدان معنى أي لهم ولدان وعندهم حور او على فاعل متكئين لوجود الفاصل كقوله ما أشركنا ولا آباؤنا وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات أي بجنات وبمعاشرة حور عين وعن الزجاج عطف على بأكواب أي يطوف عليهم الولدان بالحور كما هو دأب الملوك يأتي الخادم بخطابهم الى ما كان انيسهم وعن الفراء الجر على الجوار كأمثال اللؤلؤ المكنون في الصدف في الصفاء والطراوة أو الحرون لشرفه وبهائه جزاء بما كانوا يعملون مفعول له أي هذا الذي اتحفناهم به جزاء اعمالهم لا يسمعون فيها لغوا كلاما باطلا ولا تأثيما ولا شيئا لو كان في الدنيا أوجب اثما كما يقع من أهل السكر في مجالسهم إلا قيلا قولا سلاما سالما عن ذلك سلاما بدل منه أو الا سلاما أثر سلام تحيتهم فيها سلام وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين أي لهم شأن وأي شأن ثم شرع يفصله في سدر مخضود عن الشوك كأنه خضد وقيل هو موقر بالحمل من خضده اذا اثناه وأماله وطلح منضود نضد بالثمر من أسفله الى أعلاه هو شجر الموز أو أم غيلان وقيل شجر في البادية والظاهر انه انما خصا بالذكر لكثرتهما في أرض العرب وليس لهما ثمر فاخر فاشار الى انهما في الجنة ليسا على ما كانا عليه وقيل انما ذكر المعنى التظليل دون الثمر وليس بوجه تذكر الظل بعده ولكون الوصف بالخضد والنضد غير ملايم وقيل هذا الكلام مع أهل الوبر وام غيلان له رائحة طيبة وله شوك فاشار الى ان ما في الجنة لا شوك له مع كونه موقرا بالثمر وظل ممدود لا فرج فيه ولم يتقلص كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب على الدوام كيف شاؤا وفاكهة كثيرة الانواع لا مقطوعة في وقت كفاكهة الدنيا ولا ممنوعة من الوصول اليها وفرش مرفوعة على السرر أو نضد بعضها فوق بعض فارتفعت روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تفسير فرش مرفوعة ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام او هو كناية عن الحور انا انشأناهن انشاء اي خلقناهن خلقا جديدا امتا ابتداء وهن الحور او نساء الدنيا والضمير للفرش اذ كان كناية عن النساء او لما دل عليه ذكر الفرش وان لم يسبق له ذكر وعن ام سلمة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله انا انشأناهن قالهن اللاتي كن في الدنيا شمطا رمصا عميا فجعلناهن ابكارا عربا جمع عروب محببات الى ازواجهن قرأ ابو بكر بسكون الراء مخففا اترابا لدانهن والازواج

في سن واحد ثلثين وطول ادم ستين ذراعا في عرض سبعة اذرع لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او صفة اخرى لابكارا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين خبر مبتدأ محذوف واصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سوء الحال في سموم في نار سقر في المسام وحميم وماء تناهت في الحرارة وظل من يحموم دخان اسود من رائحة وهي السواد لا بارد ولا كريم ليس فيه برد وروح كسائر الظلال اثبت لهم الظل ثم نفى برده وروحه تهكما وتعريضا بان ذلك انما يستحقه اضدادهم انهم كانوا قبل ذلك مترفين متنعمين اذهبوا طيباتهم في الحيوة الدنيا من اترفه النعمة اطغته وكانوا يصرون على الحنث العظيم الكفر بالله وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون منكرين ذلك مكذبين للرسل نافين لقدرة المقتدر أو آباؤنا الأولون مع نقادم العهد هذا اشد بعدا او لعطف على المستكن في مبعوثون لوجود الفاصل او على محل إن وأن عامر وقالون بسكون الواو وبتعيين العطف على المحل قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ميقات ما يوقت به الشيء ومنه ميقات الاحرام اي الى وقت معين من يوم معلوم الاضافة بمعنى من ثم إنكم أيها الضالون المكذبون بالبعث قدم الضلال لانه منشأ الكذب لآكلون من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية بيان فمالئون منها البطون لغلبة الجوع فشاربون عليه من الحميم الماء المتناهي في الحرارة او تانيث الضمير او لانه ذكره ثانيا باعتبار اللفظ والمعنى وحمل التذكير على الاكل يفك الضمائر فشاربون شرب الهيم جمع هيماء وهي التي لا تروى من العطش لداء بها قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها أو جمع هيام وهو الرمل الذي لا يمسك الماء والعطف باعتبار الصفة لان شربهم الحميم لدفع العطش بديع كما ان شربهم كشرب الهيم عجيب قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي بفتح الشين وهما لغتان والضم اشهر هذا نزلهم يوم الدين هو ما يعد للضيف النازل وانى كان هذا النزل مما بعده اطم نحن خلقناكم لا تشكون في ذلك فلولا تصدقون بالاعادة فانها أوضح من البدء أفرأيتم ما تمنون تلقون في الارحام من النطف ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون هي انكم لا تعلمون خلق انفسكم ألستم شاهدون ما تولد منكم نحن قدرنا بينكم الموت قضينا بذلك وسويناكم فيه مع الاختلاف في الاعمار

كالارزاق وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ يقال سبقت على كذا غلبت عليه وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ ما هو وما عهدتم مثله قدرتنا على الامرين سواء وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فلولا تذكرون فانها فى غاية الظهور لا يحتاج الى ترتيب مقدمات أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ تشقون الارض وتلقون فيها من البذر ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ تنبتونه وتوصلونه الى الكمال أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ الفاعلون لذلك لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا متكسرا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ قضيتم نهاركم تتعجبون أو تندمون على تعبكم فيه أو على المعاصى التى تسبب له وعن أبى هريرة رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم زرعت وليقل حرثت إِنَّا لَمُغْرَمُونَ لذهاب رزقنا من الغرام أو ملزمون بغرامه ما انفقنا فيه من الغرامة وقرأ ابو بكر بالاستفهام تعجبا والاخبار أبلغ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ مصابون بالحرمان والشقاء أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ عَذْبًا فُرَاتًا أَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ جمع مزنة السحاب الابيض فان ماءه اعذب أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أجاجا مرا زعاقا لا يسوغ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ هذه النعمة وانما حذف اللام لتقدمها قريبا مع اشتهار لوبها ولان المشروب تبع للماكول ليدل على ان فقده اهم والاهتمام به اتم أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ يقدحون بالزند والزندة ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ المودعة فيها النار أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً تدل على قدرتنا على الاعادة والانموذج من نار الاخرة وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ النازلين بالقواء ممدود ومقصور من القى وهو المكان القفر وخص بالذكر لفرط الاحتياج فيه أو من القوى وهو الجائع فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ نزهه عما لا يليق بجلاله بذكر اسمه العظيم شكرا لانه او اذكره باسمه العظيم تعجبا ممن يرى هذه النعم ثم يكفر الباء للاستعانة او للملابسة فَلَآ أُقْسِمُ بمواقع النجوم بمساقطها أو فى ذلك الوقت يزول سلطانها فيكون ادل على وجود الصانع وعن الحسن انتثارها يوم القيمة وقيل منازلها وقيل أوقات نزول القرآن ولا مزيدة وقرأ حمزة والكسائى بموقع النجوم لا زيادة الجنس وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ اعتراض فيه اعتراض لما فى المقسم به من كمال القدرة او نهاية الرأفة إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ شريف نيط به امر المعاش والمعاد او كريم عند الله وانما يالغ فى القرآن وجعل القرآن مقسما به لكون السورة مصدرة بامر المعاد وقد استوفى فيها ادلة الآفاق والانفس على وجه يحار فيه الالباب ولا يبقى

لذى العينين ارتياب فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ مصون عن يد الاغيار لم يقع فيه شائبة تبديل لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ من دنس الاثام وهم السفرة الكرام البررة والمطهرون من الاحداث رواه مالك وابو داود والنسائى بمعنى النهى تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ مصدر نعت به صفة اخرى للقرآن أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ متساهلون من الدهن فان المتساهلين يجامله وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ شكر ما رزقتم من فهمه أو رزقكم الذى فى السورة من نعم الدارين أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ به وقيل الرزق المطر وتكذيبهم به نسبته الى الانواء فَلَوْلَآ إذا بلغت الحلقوم اى النفس والخطاب للذى حول المحتضر وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ نظر المحتاج العاجز وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ذلك فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ مربوبين مملوكين من دان السلطان رعيته ساسها تَرْجِعُونَهَآ النفس الى البدن إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ فى أن لا صانع وانكم تتركون سدى وهؤلاء وان لم يصرحوا بنفى الصانع الا ان تكذيبهم الرسل وانكار البعث والجزاء مؤد اليه ثم استطرد ذكر الازواج الثلثة التى صدر بها السورة زيادة فى الترغيب والترهيب وليتحاوب طرفاها ارتفاقا للعجز على الصدر قال فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ راحة ورزق ومقام كريم قدم الاهم فالاهم وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ فسلام لك من اصحاب اليمين اى من اخوانك المؤمنين من اهل الجنة وقيل مسلم انت منهم وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ اى من اصحاب الشمال عبر عنهم بالوصف دلالة على ان ذلك الوصف اورثهم الشقاء فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وتصلية جحيم فى ذكر النزل تهكم بهم إِنَّ هَٰذَا مَا ذُكِرَ فى السورة او فى شان الازواج هُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ حق اليقين لا يقين فوقه كقولك امين حق امين فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ اى بعد ما بلغت هذا البلاغ المبين نزه ربك عما لا يليق بجلاله مستعينا باسمه الاعظم وذدهم فى خوضهم يلعبون تمت سورة الواقعة والحمد لمن رحمته واسعة والصلوة على من شفاعته شافعة وعلى اله وصحبه قامة متتابعة

بسم الله الرحمن الرحيم سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جاء بلفظ الماضى فى مواضع والمضارع اخرى دلالة على ان شان من اسند اليه الفعل الاستمرار فى جميع الازمان وحيث كانت هذه اطول ما صدرت بلفظ التسبيح لم يعد الجار فى المعطوف بخلاف سائرها ولم يغلب العقلاء

اشارة الى انهم في القلة محصورون في جملة لا يحصى كثرة في كل شيء له اية
تدل على انه واحد وهو العزيز الغالب القاهر الحكيم المتقن في صنعه
فهو حقيق بالتسبيح له ملك السموات والارض يحيي ويميت مرفوع خبر
مبتداء او منصوب حال من المجرور او استيناف مقرر لما تقدم وهو على
كل شيء قدير كامل القدرة احياء واماتة وغيرهما هو الاول قبل كل شيء
والاخر الباقي بعد فناء كل شيء والظاهر في كل شيء والباطن عن
كل شيء لا تحيط به شيء علما ولا دليل فيه لنا في الرؤية وتفسير البطون
بعدم ادراك الحواس قصور بل بطونه عدم ادراك كنهه ازلا وابدا حسا
وعقلا تعالى عن ذلك علوا كبيرا والواو الاولى والثالثة لعطف المفرد
على المفرد والوسطى لعطف المركب على المركب والمعنى انه جامع لهذه الصفات
ازلا وابدا وانما اوهم بطونه عن الاشياء بطونها عنه كما في الشاهد رفعه
بقوله وهو بكل شيء عليم يستوي في علمه الظاهر والباطن هو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش لتدبير
الكائنات تمثيل يعلم ما يلج في الارض من ماء وحب وما يخرج منها
من نبات وزرع وما ينزل من السماء من مطر وثلج وبرد واقدارا حكما
وما يعرج فيها من الملائكة والارواح والاعمال وهو معكم اينما كنتم
والله بما تعملون بصير شاهد لا يخفى عليه الاخلاص والرياء والاعادة
لاجل الدلالة على ان ذلك من لوازم الالوهية له ملك السموات
والارض اعاده ليقرن به امر المعاد كما قرن به المبداء والى الله ترجع الامور
فيجازي كلا على حسبه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو
عليم بذات الصدور يضمرانها ابلغ من قوله بما تعملون بصير امنوا
بالله ورسوله اذ لم تبق لكم شبهة وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه من الاموال التي بايديكم اذ هي في الحقيقة لله تعالى وانتم بمنزلة الوكلاء
والخزان فانتم تحت امره فكما يامركم به يجب عليكم الامتثال ولا ينبغي ان
يشق عليكم اذ لا احسن ممن يشح بمال الغير فالذين امنوا منكم وانفقوا
لهم اجر كبير مع كونكم غيرهما لكن لكم اجرا لا يحاط به ترغيب ووعد فيه
مبالغات بناء الخبر على الموصول واعادة الايمان والانفاق وتنكير الاجر
والوصف بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله ما تصنعون غير مؤمنين بالله
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون وهو من ضمير
تصنعون حالان متداخلان وقد اخذ ميثاقكم حال من احد ضميري
يدعوكم او حال من ضمير تؤمنون والحال انه قد اخذ عليكم الميثاق في ازل

عارك فيكم من العقل ونصب الادلة فقد زاح الشبهة عنكم من كل وجه وقرا
ابو عمرو وقد اخذ على بناء المفعول ان كنتم مؤمنين بموجب الايمان
فقد بان لكم الموجب بما لا مزيد عليه كقولك لتارك الصلوة هذا الماء والمحراب
ان كنت تصلي والعتاب عام لمن يؤمن ومن امن ولم ينفق هو الذي ينزل
على عبده ايات بينات واضحات الاعجاز والدلالة على الاحكام ليخرجكم
اي الله او الرسول والاول اولى لقوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم
حيث بين لكم واوضح ومالكم الا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه
من الجهاد والصدقة على المحاويج ولله ميراث السموات والارض هو
الباقي بعد فناء من في السموات والارض فاني فائدة في الامساك هلا يقدم
العاقل ماله بين يديه ويشتري بالفاني الباقي عنه صلى الله عليه وسلم يقول
ابن ادم مالي مالي وهل لك مال الا ما اكلته فافنيت او لبسته فابليت
او تصدقت به فابقيت لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح فتح مكة
وقيل حديبية في حال شدة الاحتياج ومن بعده حذف لوضوح الدلالة عليه
وقاتل بيان لتفاوت الانفاق وحث على طلب المحل القابل وتقديم الاولى
والاخوج اولئك المنفقون اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد
وقاتلوا بعد فتح مكة وكلا وعد الله الحسنى اي من المنفقين السابقين
واللاحقين موعود بالجنة وان تفاوت حالهم وقرا ابن عامر وكل بالرفع على
الابتداء والفعلية خبر بحذف العايد والنصب احسن لعدم التقدير والله
بما تعملون خبير يعلم نية المنفق اخلاصا ورياء قيل نزلت في الصديق لما انفق
ماله في سبيل الله حتى تحلل بعباه فجاء جبريل فقال لرسول الله يقول الله لعلك
قد لابي بكر هل هو راض عني في فقره وسلم عليه مني من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا مثل حال المنفق في سبيل الله بحال من اقرض انسانا يؤديه اليه
وقت احتياجه والقرض الحسن ما لا يجر نفعا ولا يطلب فيه رياء
فيضاعفه له اضعافا لا يعلمها غيره قراه بالنصب ابن عامر وعاصم بان
مضمرة بعد الفاء جوابا للاستفهام معنى وقرا ابن كثير وابن عامر يضعفه مشددا
وكاذا كما فكذلك عظم كيفا لقوله وله اجر كريم شريف لا كسائر
الاجور يكون مع مهانه يوم ترى المؤمنين والمؤمنات مقدرا باذكر فانه
يوم عظيم او ظرف ليضاعفه وله اجر كريم يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم اي يسرع نورهم قدامهم وعن ايمين والشمائل على قدر
سيرهم منهم من سيرهم كالبرق الخاطف ومنهم كالريح ومنهم كاجاويد الخيل

وكذلك أنوارهم على قدر اعمالهم حتى أن فيهم من يقوم ويقع لضعف نوره
ولفظ الايمان لتغليب بشراكم اليوم اى يقول لهم الملائكة الذى
بشرتم به اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين خبر بشراكم
ذلك هو الفوز العظيم اى الفوز الذى بشروا به من كلامه تعالى
يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا
نقتبس من نوركم بعدا لقضاء بين العباد يوخذ بالكفار الخلص الى النار
وبالمؤمنين الى الجنة ويتبعهم المنافقون كما كانوا فى الدنيا يعدون انفسهم
منهم ويعطون نورا مجازاة لخداعهم فاذا توسطوا الصراط انطفى نورهم
نادوا المؤمنين انتظرونا او انظروا الينا نأخذ قبسا اى شعلة من نوركم
كما يفعله الاصحاب فى الدنيا اذا انطفى مصباح احدهم قيل ارجعوا وراءكم
الى الدنيا القابل المؤمنون او الملائكة فالتمسوا نورا اخر لانه محل الاعمال
التى صارت اليوم انوارا وقرا حمزة انظرونا بهمزة القطع اى امهلونا
وهو قريب من الاول فضرب بينهم بسور هو الاعراف خايط الجنة له
باب يدخل منه المؤمنون الجنة باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
العذاب وتغيير الاسلوب للدلالة على ان داخله كله نعيم بخلاف ظاهره
لبعدا لنار عنه ينادونهم الم نكن معكم فى الدنيا متفقين فى الدين قالوا
بلى ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين
الدوائر وقلتم يجئ الاسلام تهب ساعة ثم تسكن وارتبتم فى امر الساعة
وقلتم ما الساعة ان نظن الا ظنا وغرتكم الاماني الكاذبة وقلتم
ان كان بعث ستغفر لنا حتى جاء امر الله فيأس الساعة او امره بدخول النار
وغركم بالله الغرور الشيطان بوعده الكاذب فاليوم لا يوخذ منكم
فدية ان لو كان لكم ما تفدون قرا ابن عامر بالتاء والتذكير احسن لوجود
الفصل ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا ماويكم النار مقامكم
هى مولاكم اى اولى بكم من غيرها لما معكم مما يلائمها من الاعمال او هى تتولى
امركم او ناصركم تهكما وبئس المصير مصيركم الم يأن للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق اى القرآن من عطف العام
على الخاص او عطف باعتبار الصفة وقرا نافع وحفص نزل بتخفيف و
التشديد ابلغ يأن منى اتى فى الامر اذا جاء اناه اى وقته والهمزة للاستيطا
كقولك ألغلام الم ادخل والمعنى ليس للمؤمنين عذر فى عدم خشوع قلوبهم
وما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه لم يكن بين اسلامنا وبين
ان عاتبنا الله الا اربع سنين وما رواه قتادة عن ابن عباس رضى الله عنهم

ان الله عاتب المؤمنين على رأس ثلث عشرة من نزول القرآن يدل على ان
السورة مكية فان قلت ان كانت السورة مكية فما وجه قصة المنافقين
والنفاق انما نجم بالمدينة قلت اخبار بما يقع كسائر الاخبار عن المغيبات
ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع ويجوز ان يكون
نهيا لهم عن مماثلة اولئك فطال عليهم الامد الزمان فقست قلوبهم
فغلب عليها القسوة والجفاء لتراكم الذنوب وظلمات المعاصى فاخذوا
التحريف والبدع وكثير منهم فاسقون خارجون بالكلية عن دينهم
لفرط قسوتهم اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها مثل حال القلوب
الناشبة عن الخشوع ثم تأثرها من ذكر الله وما نزل من الحق بحال ارض
غلب عليها اليبس ثم اصابتها الغيث فاخضرت قد بينا لكم الايات لعلكم
تعقلون فى تصدير الكلام بما علموا وختمه بلعلكم تعقلون نوع عتاب
اذ كان الاولى بهم التدبر بدون هذا الكلام الحال ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على المصدقين لكونه فى معنى الذين
صدقوا وفيه تغليب لئلا يقع فصل بالاجنبى والمعنى الذين تصدقوا واخلصوا
فى ذلك واخرجوه من مالهم الطيب وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد
من التصديق اى امنوا بالله ورسوله والتشديد اولى لذكر الايمان بعد
يضاعف لهم ولهم اجر كريم فقدم تفسيره انفا والذين امنوا
بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اى
بمنزلة هؤلاء وان كانوا قاصرين تنزلوا منازلتهم لهم اجرهم ونورهم
اى مثل اجرهم ونورهم لا فى الاضعاف اى جميع ما يحصل لهم من الاجر
والاضعاف بل مثل مجرد اجر الصديقين وحده فان قلت فاى ترغيب فى ذلك
قلت كل ترغيب لان احاد المؤمنين اذا جعل ثواب عمله مثل ثواب عمل الصديق
فاى احسان فوق ذلك واما الاضعاف فذلك ليس راجعا الى الاعمال بل ذلك
فضل الله يوتيه من يشاء ويجوز ان يكون والشهداء مبتداء ولهم اجرهم
خبره وليس بقوى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم
الذين لا يفارقونها لافادة الكلام الحصر اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو لما ذكرما للفريقين فى الاخرة حقر امر الدنيا بان حصرما فيها فى امور
خالية قليلة النفع ترغيبا فيما عنده وتحذيرا عن الاغترار بها واللعب ما يجلب
السرور والله وما يدفع الهم وزينة بالاموال والبنين وتفاخر بينكم
انا ابن فلان وانت ابن فلان وتكاثر فى الاموال والاولاد انا اكثر منك مالا
وولدا وانت لا تملك ما املك كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم تهيج فتراه

مصفرا ثم يكون حطاما مثل حال الدنيا فى قلة حدودها وسرعة تقضيها
بحال نبات انبته الغيث فاستوى على سوقه اخضر ناضرا وزراقا واعجب الزراع
شانه او الكفار بالله لقصور نظرهم الى الدنيا والمؤمن اذا رآه علم ان ما
عند الله هو الباقى وان هذا عن قريب زائل ثم اصفر بعد ذلك النضارة
وتبدل حاله ثم تكسر وذهب كان لم يكن وفى الاخرة عذاب شديد تنفير
عن الركون اليه ومغفرة من الله ورضوان حث على العمل المثمر ذلك
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور الا شئ يسير ونفع قليل يغتر به
سابقوا الى مغفرة من ربكم مسابقة الفرسان الى احراز قصب السبق
وجنة عرضها كعرض السماء والارض انما ذكر العرض لانه اقصر الامتدادين
فاذا كان حاله كذلك فما ظنك بالطول والمراد جنس السماء لقوله عرضها
السموات والارض فان قلت ايهما ابلغ قلت الثانى لحذف اداة التشبيه
والتصريح بما يدل على العدد فان قلت لم اختص كل بموقعة قلت لان الثانى
فى ال عمران وهو متأخر نزولا فلو عكس لم تبق فائدة فى ذكره اعدت
للذين امنوا بالله ورسله الاستدلال به على ان محرد الايمان كاف وليس بناهض
لقوله فى ال عمران اعدت للمتقين نعتهم كيت وكيت ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء من عباده من غير ايجاب لان العبد لا يستحق على المالك اجرة والله
ذو الفضل العظيم لا يحاط بفضله خلق وهدى واعطى ما لم يخطر على قلب
من غير وجوب ولا استحقاق ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم
الا فى كتاب قال نوح من قبل ان نبرأها بخلقها اى الانفس او المصيبة
والاول اوجه لما روى مسلم ان الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السموات
والارض بخمسين الف عام وكان عرشه على الماء ان ذلك على الله يسير
لعلمه بالاشياء قبل وقوعها كعلمه بها حال وقوعها ثم اشار الى الحكمة
فى ذلك بقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم فان من علم
ان ما اصابه من الضر كان مقدرا عليه فى الازل لم يحزن الحزن الشديد لانه
قد وطن نفسه على ذلك وكذا فى جانب الخير لانه كان مترقبا والمراد بهما
ما يخرج الى الجزع وعدم الصبر والفرح المطغى المفضى الى البطر لا ما يعترى
الانسان من الهم والسرور شكر النعمة الله وقرا ابو عمرو اتاكم مقصورا
اى جاءكم وهى قراءة حسنة فسرها لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
والله لا يحب كل مختال فخور متكبر فخور على الناس بكثرة المال واكتفى باحد
الشقين لدلالته على الاخر واثر الثانى لانه اشد تكبرا الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال واو فى منه لدلالته على ان عزا

وجنه بلغ حدا يشح بمال الغير وقرأ حمزة والكسائى بالبخل بفتح الباء وهما
لغتان كالرشد والرشد ومن يتول يعرض ولم ينته عما نهى الله فان
الله هو الغنى لا يحتاج الى انفاق المنفق الحميد محمود فى ذاته وان
تولوا عن شكره وقرأ نافع وابن عامر بحذف ضمير الفصل وعليه رسم
مصحف المدينة والشام والاثبات اكد وعليه بقية الرسوم لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات اى المعلومة الى الانبياء لا الانبياء الى الناس لقوله
وانزلنا معهم الكتاب والميزان قانون الشرع يشمل الميزان الذى به
تعامل الناس وكل ما يعرف به الانتصاف من امور المعاش والمعاد ولذلك
علله بقوله ليقوم الناس بالقسط بالعدل وانزلنا الحديد فيه باس
شديد يتخذ منه آلة الجهاد والقتل وفيه اشارة الى ان امر الشرع لا
يستقل بدون السيف والسنان الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة
فلعله لا يظلم وعنه صلى الله عليه وسلم رزق تحت ظل رمحى ومنافع للناس
اذ لا صنعة الا والحديد فيه مدخل وليعلم الله من ينصره ورسله
عطف على محذوف دل عليه السياق اى لينفعهم وليعلم الله وفى الحذف
اشارة الى ان الثانى هو المطلوب بالذات بالغيب حال من المستكن فى
ينصره اى غائبا عنه عن ابن عباس رضى الله عنه ينصره ولا يبصره
ان الله لقوى ذو قدرة بالغة عزيز غالب على كل شئ وانما انزل الحديد
وامر بالقتال ليتوسلوا بذلك القربة عنده والزلفى ولقد ارسلنا نوحا
وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب اى الوحى المتلو اشارة
الى ان قانون الشرع والامر بالقسط بين الناس قديم من لدن نوح الى
محمد عليهما السلام واقتصر على نوح لانه ابو البشر ثانيا ليسر فى الدنيا
الا ذريته فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون غير الاسلوب للدلالة
على ان الغلبة لاهل الضلال ثم قفينا على اثارهم برسلنا اى اتاد
نوح وابراهيم والجمع للتعظيم او هما ومن عاصرهما من الرسل او من ارسلا
اليه وقفينا بعيسى بن مريم اى انهى ارسال الرسل اليه وآتيناه
الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية
مصدر رهب وهو شدة الخوف والمراد تعبدهم فى الجبال والمغاير والكهوف
وذلك ان بنى اسرائيل بعد صعود عيسى افترقوا اثنين وسبعين فرقة ثلث
فرق على الحق والباقون على الضلال فدعوا الملوك والجبابرة الى دين عيسى
وقاتلوهم حتى لم يبق منهم الا قليل فلم يقدروا على المقاومة فلفروا فى الجبال
ابتدعوها اخترعوها من عند انفسهم ما كتبناها عليهم ما

مَا فَرَضْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ أَيْ لَكِنْ
ابْتَدَعُوهَا طَلَبًا لِمَرْضَاتِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا مَا قَامُوا بِهَا
حَقَّ الْقِيَامِ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّعَمُّقَ فِي الْعِبَادَةِ فَوْقَ مَا سَنَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مَذْمُومٌ وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ
أَحَدٌ الدِّينَ إِلَّا غَلَبَهُ فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَهِيَ بَانِيَتُهُ ابْتَدَعُوهَا وَانْتِصَابُهَا بِمُضْمَرٍ مُفَسِّرٍ وَجُمْلَتُهَا
مِنَ الْمَجْعُولَاتِ عَدُولٌ عَنِ الظَّاهِرِ مُخَالِفٌ لِلْأَحَادِيثِ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ
أَجْرَهُمُ الَّذِينَ وَفَوْا بِمَا نَذَرُوا وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ لَمْ يَحَافِظُوا عَلَى مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا آمِنُوا بِالْإِيمَانِ اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ
وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ
وَذَلِكَ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ رَحِمَهُمَا اللَّهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى
حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ مَوَالِيهِ وَرَجُلٌ لَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا
وَالْكِفْلُ الْحَظُّ أَلْوَافُ وَالنَّصِيبُ الْكَامِلُ كَأَنَّهُ تَكَفَّلَ بِالْكِفَايَةِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَبِأَيْمَانِكُمْ أَوْ نُورًا يَنْفُذُكُمْ بِهِ
عَنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ مَا سَلَفَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ
جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا افْتَخَرَ مُؤْمِنُوا أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَنَّ لَهُمُ الْأَجْرَ مَرَّتَيْنِ فَأَنْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى لِمُؤْمِنِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَزَادَهُمُ النُّورَ وَالْمَغْفِرَةَ وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ
مَثَلُ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى الظُّهْرِ وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ فَعَمِلُوا إِلَى الْعَصْرِ
ثُمَّ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا فَأَكْمَلُوا بَقِيَّةَ الْيَوْمِ فَأَعْطَاهُمْ مِثْلَ أَجْرِ الْفَرِيقَيْنِ فَغَضِبُوا وَ
قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ أَجْرًا فَقَالَ هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِمَّا شَرَطْتُ لَكُمْ قَالُوا لَا
قَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ شِئْتُ وَمَا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَرْسَلَ جَعْفَرًا يَدْعُو النَّجَاشِيَّ إِلَى الْإِيمَانِ فَآمَنَ بِهِ وَأَرْسَلَ سَبْعِينَ رَجُلًا إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءُوا وَرَسُولُ اللَّهِ قَدْ بَهَتَهُ لِوُقُوعَةِ أَحَدٍ
كَلَامٌ لَا أَصْلَ لَهُ وَجَعْفَرٌ إِنَّمَا قَدِمَ مَعَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ
فِي مُحَاصَرَةِ خَيْبَرَ بَعْدَ أَحَدٍ بِثَلَاثِ سِنِينَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُكَرَّرًا فِي مَوَاضِعَ
لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ لَا مَزِيدَةٌ وَالْمَعْنَى
عَلَى الْأَوَّلِ إِنَّمَا وَعَدْنَا مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِنَا لِيَعْلَمَ الَّذِينَ
لَمْ يُؤْمِنُوا مِنْهُمْ أَنَّ إِيمَانَهُمُ السَّابِقَ لَا يُورِثُهُمْ شَيْئًا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ قَطُّ وَعَلَى

الثَّانِي اثْبُتُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَى إِيمَانِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ يُؤْتِكُمْ مَا وَعَدَ مَنْ آمَنَ
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ أَجْرَيْنِ وَيَزِيدُكُمْ النُّورَ وَالْمَغْفِرَةَ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَقِيلَ لِأَغْيَرَ مَزِيدَةٍ وَالْمَعْنَى إِنَّمَا فَعَلْنَا كَذَا وَكَذَا لِئَلَّا يَعْتَقِدَ
أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى حَصْرِ فَضْلِ اللَّهِ فَيُمْنَعُ
بِمُحَمَّدٍ وَقَوْلُهُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ عَطْفٌ عَلَى لَا يَعْلَمُ وَلَا يَحْوِي بَعْدَهُ
تَمَّتْ سُورَةُ الْحَدِيدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْعَتِيدِ وَنَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ الْمَزِيدَ وَالصَّلَاةُ
عَلَى الْمَاجِدِ الْفَرِيدِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَلَقُوا بِالْحَدِيدِ هَامَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي
إِلَى اللَّهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ لَقَدْ جَاءَتِ
الْمُجَادِلَةُ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ زَوْجَةُ أَوْسِ بْنِ صَامِتٍ لِأَنْصَارِيٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
تَشْتَكِي زَوْجَهَا وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ يَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُ كَلَامِهَا وَكَانَ أَوْسٌ
وَلَاجَ الْخُوَّالِفِ وَكَانَ بِهِ حِدَّةٌ فَدَعَاهَا إِلَى الْفِرَاشِ فَأَبَتْ فَظَاهَرَ عَنْهَا فَأَسِفَتْ
فَقَالَ حَرُمْتِ عَلَيْهِ فَقَالَتْ إِنَّ لِي مِنْهُ صِبْيَةً إِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا فَقَالَ قَدْ حَرُمْتِ
فَقَالَتْ أَشْكُو إِلَى اللَّهِ فَاقَتِي فَذَلَّتْ رَوَى أَنَّهَا اسْتَوْقَفَتْ عُمَرَ فِي الْخِطَابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا زَمَانًا طَوِيلًا فَدَنَا مِنْهَا وَأَصْغَى إِلَيْهَا فَقَالَ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ جَلَسْتَ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ قَالَ وَيْحَكَ هَذِهِ خَوْلَةُ الَّتِي
سَمِعَ اللَّهُ تَعَالَى شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ لَوْ لَمْ تَنْصَرِفْ لَوَقَفْتُ مَعَهَا
إِلَى اللَّيْلِ وَفِي قَدَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَالْمُجَادِلَةَ كَانَا يَتَوَقَّعَانِ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى سَيُنْزِلُ فِي شَأْنِهَا مَا يُفَرِّجُ كُرْبَتَهَا وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا تَرْجِعُكُمَا
فِي الْكَلَامِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ لِلْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمُ الظِّهَارُ كَانَ طَلَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُؤَكَّدًا بِالْيَمِينِ وَفِي
الْإِسْلَامِ مِنْكُمْ تَوْبِيخٌ لِلْعَرَبِ وَتَصْوِيرٌ لِزِيَادَةِ التَّهْجِينِ لِأَنَّهُ كَانَ مَخْصُوصًا بِهِمْ
وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْهَاءِ وَالتَّشْدِيدِ مِنْ ظَاهَرَ وَعَاصِمٌ
بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْهَاءِ وَالتَّخْفِيفِ مِنْ ظَاهَرَ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ حَقِيقَةً
بِكَسْرِ التَّاءِ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَلَى أَنَّ مَا عَامَلَهُ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي
وَلَدْنَهُمْ وَالْمُرْضِعَاتُ وَأَزْوَاجُ الرَّسُولِ مُلْحَقَاتٌ بِهِنَّ إِحْتِرَامًا وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ
وَابْنُ عَامِرٍ اللَّائِي بِالْهَمْزَةِ وَالتَّاءِ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةٍ قُنْبُلٍ
بِالْيَاءِ سَاكِنَةً وَنَافِعٌ فِي رِوَايَةٍ وَرْشٍ كَالْيَاءِ مَكْسُورًا وَفِي رِوَايَةٍ قَالُونَ
وَابْنُ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةِ الْبَزِّيِّ بِالْهَمْزَةِ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ

وزورا باطلا منحرفا عن الصواب اذ بين الزوجات والامهات ابعد مما بين النصب والبنون فان قلت الظهار كالطلاق فكيف يوصف بالزور الذي هو من خواص الخبر قلت باعتبار ما تضمن من الحاقها بالام
وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا الظهار قول الرجل لزوجته انت علي كظهر امي او كاختها او كجسدها وسائر المحارم كالام الاية الاولى في ذم المظاهر وهذه في بيان حكمه ثم العود عند الظاهرية ان يعود الى لفظ الظهار فيكرره وعند ابي حنيفة رحمه الله باستباحة ما حرم ولو بالنظر بشهوة وعند الشافعي رحمه الله بان يمسكها زمانا يمكنه ان يفارقها وعند الامام احمد رحمه الله ان يعود الى الجماع او يعزم عليه وعند مالك العزم على الوطئ او الامساك فتحرير رقبة اي كفارته تحرير رقبة قيده الشافعي رحمه الله بالمؤمنة بناء على اصله من حمل المطلق على المقيد والفاء للسببية وفائدتها الدلالة على تكرر الكفارة بتكرر الظهار من قبل ان يتماسا يستمتع كل من المظاهر والمظاهر بالاخر لعموم اللفظ او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم التكفير على هذا الوجه توعظون به تزجرون به لان المظاهر اذا علم بوجوب الكفارة وهي اعتاق رقبة ينزجر والله بما تعملون خبير حث على الاتيان به على الوجه الاكمل فمن لم يجد ما لا يعتق به رقبة ومن ماله غاب واجد فلا يعدل عن العتق فصيام شهرين متتابعين فان افطر يوما لغير عذر او نسي النية او مرض بطل تتابعه دون الحيض والغرباء بالليل يقطعه عند ابي حنيفة ومالك دون الشافعي رحمهم الله من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع لفرط سبق او هرم او لمرض لا يرجى زواله فاطعام ستين مسكينا وهو نصف صاع من بر او صاع من شعير اعتبارا بالفطرة وعند الشافعي رحمه الله مد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث وكل خمسة ارطال وثلث ستة امناله درهم وثلثة وتسعون درهما وثلث درهم والدليل للشافعي حديث الاعرابي الذي جامع في رمضان وانما لم يعد التماس لتقدمه مكررا او لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة رحمه الله وايراء بعضهم على الظاهر ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فيما شرعا من الاحكام وتتركوا ما كنتم عليه في الجاهلية وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة فلا تتجاوزوها وللكافرين الذين لم يصدقوا عذاب اليم جزاء لكفرهم ان الذين يحادون الله ورسوله يشاقونهما من الحد لانه كلا من المتعاديين في حد او يقابلونهما في شرع الحدود

وفي خلاف ما شرعا كبتوا كما كبت الذين من قبلهم اخزوا او اهلكوا امثالهم قبل الضمير في كبتوا للنبي في ربطه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم وسيذلهم او لاعدائهم بعد الخندق ومن قبلهم المشركون يوم بدر وقد انزلنا اي ايات بينات واضحات لا لبس بها وللكافرين بتلك الايات عذاب مهين لاستكبارهم عن الايمان بها يوم يبعثهم الله جميعا ظرف لمهين لان الخزي في الجمع الكثير اشق او منصوب باذكر فينبئهم بما عملوا من التكذيب وسائر المعاصي على رؤوس الاشهاد وتكميلا للخزي والاهانة ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم احصاه الله عليه مفصلا ونسوه لتهاونهم والله على كل شيء كل ما يطلق عليه اسم الشيء من الذرات شهيد حاضر يعلمه عيانا لما اقام البرهان عليه بقوله الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض من الاجزاء والجزئيات والخطاب عام ما يكون من نجوى ثلثة اسم من النجو وهو القطع لان السر منقطع عن الغير او من النجوة وهي الارتفاع لعدم وصول العين اليه والمعنى ما يكون شيء من نجوى ثلثة نفر على ان نجوى مضاف الى الثلثة او موصوف بها اي من اهل نجوى فحذف الاهل وجعلوا نفس النجوى مبالغة الا هو رابعهم في العلم ولا خمسة الا هو سادسهم كذلك وتخصيص العددين امتا نظرا الى الواقع وهو ما روي انها نزلت في حبيب وربيعة بن عمرو وصفوان بن امية كانوا يتناجون ما خوال المؤمنين وذكر معه الخمسة لتناسب الوتر ان والا لان النجوى انما يكون من ذوي الاحلام والنهى وهم قليلون في الاغلب لا يعدون عشرة فذكر الوترين لان الله وتر يحب الوتر ثم اشار الى الطرفين بقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر على انه لو ذكر الاربعة لم يبق ولا لادنى الاثنين الا على التوسع الا هو معهم اينما كانوا اذ علمه بالاشياء لا يتفاوت والقرب والبعد منه محال ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة اي يجازيهم عليه او يوبخهم به تفضيحا ان الله بكل شيء عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه تعجيب للسامع لوقاحتهم عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المنافقين وعن مجاهد في اليهود كانوا اذا رأوا المؤمنين ساروا بعضهم بعضا وغمزوهم فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم فلم ينتهوا ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول فنهاهم فلم ينتهوا ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول بالكذب والظلم ومخالفته الرسول بيان وكشف عن حال نجواهم بما يؤكد ذمهم اذ لو كان تناجيهم بما فيه خير كان امر الرسول موجبا للانتهاء والامتثال وقرأ حمزة ينتجون مقصورا عن الفراء كلاهما بمعنى

وَاِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللّٰهُ يَقُولُونَ اَلسَّامُ عَلَيْكَ وَاَلسَّامُ هُوَ
اَلْمَوْتُ وَيَقُولُ اَللّٰهُ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ اَلَّذِينَ اصْطَفَى رَوَى اَلْبُخَارِيُّ اَنَّ يَهُودِيًّا
مَرَّ بِرَسُولِ اَللّٰهِ صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهَا عِنْدَهُ فَقَالَ
اَلسَّامُ عَلَيْكَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ وَعَلَيْكُمُ اَلسَّامُ وَاللَّعْنُ فَقَالَ رَسُولُ اَللّٰهِ لَا
تَكُونِي فُحَّاشَةً قَالَتْ اَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ قَالَ اَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ قُلْتُ وَعَلَيْكَ
فَيُسْتَجَابُ لِي وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ وَيَقُولُونَ فِي اَنْفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اَللّٰهُ بِمَا نَقُولُ
اِنْ كَانَ نَبِيًّا كَمَا يَزْعُمُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ كَافِيهِمْ فِي اَلْعَذَابِ يَصْلَوْنَهَا
يَدْخُلُونَهَا فَبِئْسَ اَلْمَصِيرُ جَهَنَّمُ وَاَلْفَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ لِمَا لَغَةٌ فِي اِسْتِحْقَاقِهِمْ
وَلَيْسَ فِي اَلْقُرْاٰنِ غَيْرُهُ يَا اَيُّهَا اَلَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْاِثْمِ
وَاَلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ اَلرَّسُولِ صَرَّحَ بِمَا عُلِمَ ضِمْنًا لِيُرَتِّبَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ وَتَنَاجَوْا
بِالْبِرِّ وَاَلتَّقْوٰى بِمَا فِيهِ اَلثَّوَابُ وَالِانْتِهَاءُ عَنْ مَعْصِيَتِ اَلرَّسُولِ وَاتَّقُوا
اَللّٰهَ اَلَّذِي اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ فِي مَجَامِعِ اُمُورِكُمْ اِنَّمَا اَلنَّجْوٰى مِنَ اَلشَّيْطَانِ
اَيِ نَجْوَى اَلْمُنَافِقِينَ لِيَحْزُنَ اَلَّذِينَ اٰمَنُوا اَلشَّيْطَانُ اَوِ اَلنَّجْوٰى وَقَرَأَ نَافِعٌ
يُحْزِنُ بِضَمِّ اَلْيَاءِ عَلَى اَنَّهُمَا لُغَتَانِ وَقَالَ اَلْخَلِيلُ اَحْزَنَهُ اَدْخَلَ فِيهِ اَلْحُزْنَ فَهُوَ اَبْلَغُ
وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا اِلَّا بِاِذْنِ اَللّٰهِ فَعَلَى اَلْمُؤْمِنِ اِذَا رَأَى شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ اَنْ
لَا يَحْزَنَ وَعَلَى اَللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ لِعِلْمِهِمْ بِاَنَّ لَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ غَيْرُهُ
يَا اَيُّهَا اَلَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي اَلْمَجَالِسِ تَوَسَّعُوا وَتَبَاعَدُوا عَنْ
اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُ نَزَلَتْ فِي مَوَاضِعِ اَلْحَرْبِ كَانُوا يَتَثَاقَلُونَ فِيهَا وَعَنْ
مُقَاتِلٍ كَانَ رَسُولُ اَللّٰهِ صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اَلصُّفَّةِ يَوْمَ اَلْجُمُعَةِ فَجَاءَ
اَلْبَدْرِيُّونَ وَاَلصُّفَّةُ خَاصَّةٌ بِالنَّاسِ فَلَمْ يَجِدُوا مَوْضِعَ اَلْجُلُوسِ فَوَقَفُوا فَقَامَ
رَسُولُ اَللّٰهِ صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَائِفَةً حَتَّى جَلَسَ اَلْبَدْرِيُّونَ فَنَزَلَتْ رَوَى
اَلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ اَنَّ رَسُولَ اَللّٰهِ صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُقِمِ اَحَدُكُمْ اَخَاهُ
ثُمَّ يَجْلِسُ مَكَانَهُ وَلٰكِنْ تَفَسَّحُوا وَقَرَأَ غَيْرُ عَاصِمٍ اَلْمَجْلِسِ مُفْرَدًا وَعَلَيْهِ اَلرَّسْمُ
فَاِفْسَحُوا يَفْسَحِ اَللّٰهُ لَكُمْ اَلْمَجْلِسَ قِيلَ لَمْ يَضِقِ اَلْمَكَانُ قَطُّ عَمَّنْ جَاءَ بَعْدَ
اَلتَّفَسُّحِ اَوْ فِي اُمُورِكُمْ كُلِّهَا بِبَرَكَةِ اَلِامْتِثَالِ وَاِذَا قِيلَ اُنْشُزُوا فَانْشُزُوا
عَنْ اَلْحَسَنِ اِنْهَضُوا اِلَى اَلْحَرْبِ وَعَنْ قَتَادَةَ اِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ وَعَنْ اَبِي زَيْدٍ
اِرْتَفِعُوا عَنْ مَجْلِسِهِ وَقَرَأَ نَافِعٌ وَاِبْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ بِضَمِّ اَلشِّينِ وَاَبُو بَكْرٍ
بِخِلَافٍ عَنْهُ وَهُمَا لُغَتَانِ وَاَلْكَسْرُ اَخَفُّ يَرْفَعِ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ اٰمَنُوا مِنْكُمْ جَزْمٌ
عَلَى اَلْجَوَابِ اَيْ اِمْتَثَلُوا اَمْرَ اَللّٰهِ يَرْفَعِ اَللّٰهُ لَهُمُ اَلْمَنْزِلَةَ لِاَجْلِ تَوَاضُعِهِمْ
وَاَلَّذِينَ اُوتُوا اَلْعِلْمَ خَاصَّةً دَرَجَاتٍ لِلْجَمْعِ بَيْنَ اَلْعِلْمِ وَاَلْعَمَلِ وَفِي اَلْحَدِيثِ
فَضْلُ اَلْعَالِمِ عَلَى اَلْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى اَدْنَاكُمْ وَاَللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ اَلِامْتِثَالِ

خَبِيرٌ فَلْيَكُنْ ذٰلِكَ عَنْ اِخْلَاصٍ وَصَفَاءِ قَلْبٍ يَا اَيُّهَا اَلَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا نَاجَيْتُمُ
اَلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰيكُمْ صَدَقَةً كَانَ يُخَاطِبُهُ اَلْمُؤْمِنُ وَاَلْمُنَافِقُ
وَاَلْحُلَفَاءُ اَلْبَوَادِي وَاَلْاِمَاءُ وَاَلْعَبِيدُ وَيُبَرْمُونَ فِيمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ فَاَرَادَ
اَللّٰهُ اِظْهَارَ كَرَامَتِهِ فَاَوْجَبَ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُنَاجِيَهُ اَنْ يَتَصَدَّقَ اَمَامَ نَجْوَاهُ
بِشَيْءٍ فَبَقِيَ اَلْاَمْرُ عَلٰى ذٰلِكَ عَشَرَةَ اَيَّامٍ وَقِيلَ سَاعَةً ثُمَّ نُسِخَ بِاَلَّذِي بَعْدَهَا
وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ اَبِي طَالِبٍ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا غَيْرِي كَانَ مَعِي دِينَارٌ فَصَرَفْتُهُ وَكُنْتُ
اِذَا نَاجَيْتُ تَصَدَّقْتُ قَبْلَهُ بِدِرْهَمٍ وَعَنِ اِبْنِ عُمَرَ كَانَتْ فِي عَلِيٍّ ثَلَاثٌ لَوْ كَانَتْ
لِي وَاحِدَةٌ كَانَتْ اَحَبَّ اِلَيَّ مِنْ جَمِيعِ اَلنَّعَمِ صِهَارَةُ رَسُولِ اَللّٰهِ بِفَاطِمَةَ
وَاَلنَّجْوٰى وَاَلرَّايَةُ يَوْمَ خَيْبَرَ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ اَيْ اَلتَّصَدُّقُ مِنَ اَلْاِمْسَاكِ
وَاَطْهَرُ فَاِنَّ اَلصَّدَقَةَ طَهْرَةٌ اَلذُّنُوبَ لَا سِيَّمَا فِي مُنَاجَاتِ رَسُولِ اَللّٰهِ
فَاِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اَبَاحَ اَلْمُنَاجَاتِ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيمِ صَدَقَةٍ
ءَاَشْفَقْتُمْ اَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ اَيْ خِفْتُمْ مِمَّا اُمِرْتُمْ بِهِ
مِنَ اَلصَّدَقَةِ بَيْنَ يَدَيِ اَلنَّجْوٰى وَاَلْجَمْعُ بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ اَلْمُخَاطَبِينَ اَلْهَمْزَةُ لِلتَّقْرِيرِ
وَلَمْ يَرِدْ نَصٌّ عَلَى اِظْهَارِهِمُ اَلْخَوْفَ وَلٰكِنَّ اَللّٰهَ اَخْبَرَ عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ اَنْفُسُهُمْ فَاِذْ لَمْ
تَفْعَلُوا وَتَابَ اَللّٰهُ عَلَيْكُمْ بِاَنْ رَخَّصَ لَكُمْ تَرْكَ اَلصَّدَقَةِ اَمَامَ اَلنَّجْوٰى اَلْمَجْهُودِ
عَلَى اَنَّ هٰذَا نَاسِخٌ لِوُجُوبِ اَلصَّدَقَةِ وَقِيلَ نُسِخَتْ بِوُجُوبِ اَلزَّكٰوةِ فَاَقِيمُوا
اَلصَّلٰوةَ وَاٰتُوا اَلزَّكٰوةَ مُسْتَأْنَفٌ عَمَّا قَبْلَهُ كَاَنَّهُ قَالَ لَا تُقَصِّرُوا فِي اَدَائِهِمَا
كَمَا قَصَّرْتُمْ فِي اَلصَّدَقَةِ وَفِيهِ نَوْعُ تَعْيِيرٍ لَهُمْ وَاَطِيعُوا اَللّٰهَ وَرَسُولَهُ
فِي سَائِرِ اَلْاُمُورِ وَاِنْ كَانَتْ شَاقَّةً عَلَيْكُمْ وَاَللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ظَاهِرًا
وَبَاطِنًا فَيُجَازِيكُمْ عَلٰى حَسَبِ ذٰلِكَ اَلَمْ تَرَ اِلَى اَلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اَللّٰهُ
عَلَيْهِمْ تَعَجُّبٌ مِنْ حَالِ اَلْمُنَافِقِينَ يَتَوَلَّوْنَ اَلْيَهُودَ اَلَّذِينَ غَضِبَ اَللّٰهُ عَلَيْهِمْ
مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ اَيِ اَلْمُنَافِقُونَ لَيْسُوا مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ وَلَا مِنَ اَلْيَهُودِ
وَيَحْلِفُونَ عَلَى اَلْكَذِبِ اَلَّذِي هُوَ اِدِّعَاءُ اَلْاِسْلَامِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ اَنَّهُمْ
كَاذِبُونَ فَيَتَعَمَّدُونَ اَلْكَذِبَ وَهِيَ اَلْيَمِينُ اَلْغَمُوسُ اَعَدَّ اَللّٰهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
نَوْعًا مِنْهُ مُتَفَاقِمًا اِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي اَلْاَزْمِنَةِ اَلْمُتَطَاوِلَةِ
اَوْ هُوَ حِكَايَةُ مَا يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيٰمَةِ اِتَّخَذُوا اَيْمَانَهُمْ جُنَّةً يَسْتَتِرُونَ
بِهَا وَيَدْفَعُونَ اِطِّلَاعَ اَلْمُؤْمِنِينَ عَلٰى حَالِهِمْ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ اَلَّذِينَ
يُرِيدُونَ اَلْاِسْلَامَ يَوْهِنُونَ اَمْرَ اَلْاِسْلَامِ وَاَنَّهُ لَا بَقَاءَ لَهُ عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اَللّٰهِ صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فِي نَفَرٍ مِنْ اَصْحَابِهِ
رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ فِي ظِلِّ حُجْرَةٍ مِنْ حُجَرِهِ فَقَالَ سَتَاْتِيكُمُ اَلْاٰنَ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ
فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اَللّٰهِ بْنُ نَبْتَلٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اَللّٰهِ عَلَى مَا تَشْتِمُنِي اَنْتَ وَاَصْحَابُكَ

فجاء اصحابه فحلفوا انهم لم يفعلوا فنزلت فلهم عذاب مهين لكفرهم
وصدهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغنى عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من عذاب الله او شيأ من الاغناء
وذلك انهم كانوا يقولون لنا الاموال والاولاد ان كان لقول محمد
اصل نفتدى بها يوم القيمة اولئك اصحاب النار الملازمون لها
هم فيها خالدون ابدا يوم يبعثهم الله جميعا مجتمعين فيحلفون له
انهم مؤمنون حقا كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون انهم على شئ
ان تلك الايمان تروج عنهم كما راجت في الدنيا جاهلين بعلم علام الغيوب
الا انهم هم الكاذبون العالون في الكذب كان من عادتهم ليس بكاذب
استحوذ عليهم الشيطان استولى على قلوبهم بيان لذلك الكذب الملفوظ
فانساهم ذكر الله فلا يتأملون في صفاته ليتميز لهم ما لا يليق بكبريائه
اولئك حزب الشيطان جنده الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
الكاملون في الخسران ان الذين يحادون الله ورسوله اعاده ليفصل
احوالهم المجملة في كبتوا ويفرد بها احوال اضدادهم المؤمنين حزب
الرحمن اولئك في الاذلين في زمرتهم اذ خلق الله كتب الله
في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالسيف والبرهان وذكر الله ليبين ان الرسول
عنده بمكان كانه معهم في المناظرة والمحاربة ان الله قوى ذو قدرة
كاملة عزيز غالب قاهر لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله لانه جمع بين الضدين قال توده عدوه
تزعم انني صديقك ليسر لتوك عنك يعازك والمعنى لا ينبغي الوجدان
وانما عبر عنه به مبالغة فان الواقع عدم الابتغاء لا الوجدان فضلا عن
صدوره ابدا لما لا يمتنع ممتنعا ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او
اخوانهم او عشيرتهم كما فعل ابو عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم بدر
وكان اسيرا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لا يليق به فضرب
عنقه وابو بكر دعا ابنه على البراز يوم بدر ومصعب بن عمير قتل اخاه
يوم بدر ولما استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في الاسرى قال هؤلاء رؤس الكفار ومكنى من فلان لقريبه
ومكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ليعلم المشركون ان لا هوادة في
قلوبنا اولئك كتب في قلوبهم الايمان الرقم فيها الزام المكتوب في الرق
وايدهم قواهم بروح منه بقوة من عنده حتى اجترؤا على قتل اعزتهم او بنور
الايمان فانه حيوة للقلوب او من كان ميتا فاحييناه وفيه دليل على ان

الايمان فعل القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها رضي الله عنهم قبل طاعاتهم ورضوا عنه بما اثابهم به اولئك
حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون اولئك هم الفائزون في الدارين
بالغلبة في الدنيا والجنة في العقبى تمت المجادلة والحمد لمن الاوه شاملة
والصلوة على سيد الزمرة الكاملة واله واصحابه دائمة متواصلة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو
العزيز الحكيم سبق الكلام عليه هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم لاانتم والمراد بنو النضير وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما جاء الى المدينة ودعاهم الى الايمان وابوا عاهدهم
لان لا تكون له ولا عليه حتى قتل عمرو بن امية رجلين من بني عامر خطأ
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير يستعين بهم في دية
الرجلين وكان بنو عامر حلفاء بني النضير فقالوا نفعل ذلك يا ابا القاسم
واجلسوه في ظل جدار واخذوا في المشاورة وقالوا ما ترى فرصة احسن
من هذه فانتدب عمرو بن جحاش لقتله بان يصعد ويلقي عليه صخرة فاتاه خبر
السماء بكيدهم فكر راجعا وكان معه ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم
فنهجر لقتالهم وسار اليهم وكانت لهم حصون منيعة فتحصنوا بها
على ما يفصل بعد كان بعد احد وقيل بعد بدر سنة اشهر لاول الحشر
اللام للتوقيت مثل قمت لخمس بقين ومعنى اوليه الحشر انهم لم يكن اصابهم
جلاء واول مجيئهم من الشام الى ارض العرب كان باختيارهم او انهم
اول من اخرج من جزيرة العرب او ان هذا اول حشر اهل الكتاب والثاني
اجلاء عمر اهل خيبر او اخر حشرهم يوم القيمة حاصرهم ستة ايام ثم القوا
على ان لهم ما حملت الابل فاجلاهم الى الشام وبحق بعضهم بخيبر واسلم
منهم رجلان يامين بن عمرو وابو سعد بن وهب واستدلال عكرمة بالاية
على ارض الشام هي المحشر غير تام ما ظننتم ان يخرجوا ايها المؤمنون
لكثرة عددهم وعددهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله
كان الظاهر وظنوا ان لا يخرجوا فالعدول الى المنزل لما في تقديم الخبر ثم
اسناد الجملة الى الضمير من الدلالة على ان ظنهم قارب اليقين لاكذ المؤمنين
فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اى باسه ولم يكن ذلك في حسابهم
لاعتمادهم على شدة باسهم وحصانة حصونهم وقذف في قلوبهم الرعب

الخوف الذى يملأ الصدور وأكده بلفظ القذف الدال على القوة يخربون
بيوتهم بأيديهم عن قتادة كانوا يخربونها ليضلموا به ما انهدم من السور
وكانوا يفعلون ذلك لئلا يبقى للمسلمين جنة وأيدى المؤمنين لانهم
لنسبتهم الذلك فاعتبروا يا أولى الأبصار ولا تخالفوا امر الله ورسوله
ولا تعتمدوا على قواكم واتكلوا على الله فى اموركم وفيه دليل على جواز القتال
فيما لا نص فيه بشرائطه المعلومة فى موضعه وقرأ ابو عمرو بالتشديد
وهو ابلغ لدلالته على التكثير ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء الذى
هو اشق لعذبهم فى الدنيا بالقتل وسبى الذرارى كما فعل ببنى قريظة
ولهم فى الآخرة عذاب النار الذى القتل والجلاء عنده أهون شئ
ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله اى ذلك العضب الذى أورثهم عذاب
النار بن لأجلهم انهم عادوا رسول الله وكذبوه وذكر الله تعالى للدلالة
على ان مشاقة رسوله مشاقته ولذلك اكتفى به فى قوله ومن يشاق الله
فإن الله شديد العقاب وفيه تهديد لغيرهم ما قطعتم من لينة هى
النخلة ما عدا العجوة والبريقة من اللون سميت به لاشتمالها على الالوان
قلبت الواو ياء للكسرة والجمع لين أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن
الله لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعها وتحريقها وقع فى قلوب
المؤمنين وسوسة وقيل ارسلت قريظة يقول يا محمد كنت تنهى عن الفساد
فنزلت وفيه يقول حسان بن ثابت وهان على سراة بنى لوى حريق بالبويرة
مستطير وانما ابقوا العجوة والبريقة لانهما احسن وليخزى الفاسقين
اليهود اذا شاهدوا ذلك والمعلل محذوف اى اذن لكم وما أفاء الله على
رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب لقلة حصونهم ولم
يقع منهم قتال الايجاف الاسراع والركاب الابل التى يسار بها لا واحد
له من لفظه ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بإلقاء الرعب فى قلوب
عدوهم نزلت حين طلبوا منه قسمة اموالهم كما قسم اموال المشركين
ببدر والله على كل شئ قدير لنصره بالملائكة وبدونها ما أفاء الله
على رسوله من اهل القرى لم يدخل العاطف لانه بيان الاول شامل لمال
بنى النضير ولسائر اموال الفىء الى يوم القيمة فلله وللرسول ولذى القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل هذه مصارف مال الفىء وهى مصارف
خمس الغنيمة فلما قطع عنه مطامع انظار اهل الغزو امره أن يضعها هذه
المواضع فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ من ذلك قوت سنته
واهله ثم يصرف الباقى فى هذه المصارف وكذلك فعلت الخلفاء مع امهاء

المؤمنين وذكر الله للتعظيم وفعل يصرف سهمه فى عمارة الكعبة شرفها الله
ولسائر المساجد وذهب الشافعى الى أن المصروف فى هذه المصارف فى
زماننا كان اربعة اخماس الخمس واما الاخماس الاربعة مضافا اليها خمس
الخمس كانت خالصة رسول الله يأخذ منه نفقة اهله ويصرف الباقى فى الكراع
والسلاح وهى الآن تصرف الى المرتزقة واستدل بحديث رواه البخارى عن
عمر بن الخطاب كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم انما بينا
مصارف الفىء كيلا يكون جدا وحظا بين الاغنياء يتكاثرون به والدولة
ما يدول مع الانسان من الحظ اى يدور فعله بمعنى الفاعل وكيلا يكون
دولة جاهلية وكان أهل الشوكة يختصون بها ويقولون من عز زال
بمعنى المفعول اى بدا ولونه يتعاورونه كالغرفة لما يغرف وقرأ هشام
فى احد الوجهين بتانيث الفعل ونصب دولة على ان كان ناقصة وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا لا تخالفوه فى شئ ولا تتهموه
فى افعاله واقواله غير الحق واتقوا الله بطاعة رسوله إن الله شديد
العقاب حقيق بان يتقى للفقراء المهاجرين بدل من ذوى القربى باعادة
الجار لامن الرسول وما عطف عليه لخروجه عنهم بقوله ويبصرون الله
ورسوله ولكونه اجل من ان يطلق عليه اسم الفقير ولان المبدل فى حكم
الساقط وذلك محل بتعظيم الله لان الاسم الاعظم وان كان مذكورا توطئة
وتمهيدا الا انه لا يليق ان يقال انه فى حكم الساقط الا ترى انه لا يقال له علاة
لمكان التاء الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم استولى عليها المشركون
يبتغون فضلا من الله الجنة ورضوانا ورضاه حال مقيدة وينصرون
الله ورسوله دينهما اولئك هم الصادقون فى دعوى الايمان لتنور
دعويهم بالبرهان والذين تبوؤا الدار والايمان هم الانصار عطف
على المهاجرين اى دارا الهجرة ودار الايمان فاللام فى الاول يغنى عنها الاضافة
وحذف المضاف من الثانى أو أخلصوا الايمان لكقوله علفتها تبنا وماء
باردا أو جعل الايمان مستقرا ومقوطنا على انه استعارة مكنية وهذا
ابلغ الوجوه واطلاق الدار حينئذ للتنوين كانها الدار التى يحق لها ان
تسمى دارا من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل سبقوا المهاجرين
بالتبوء والايمان اذ سبق الانصار على كل من هاجر غير مسلم ولا يستقيم
الا بتقدير الاضافة يحبون من هاجر اليهم ولا يعدونه كلا قال سعد بن
الربيع لعبد الرحمن بن عوف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا
بينهما كما اخا بين المهاجرين والانصار اشاطرك مالى وانظر اى زوجتى

اعجبتك اطلقها فتزوجها ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
مما اعطى المهاجرون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعط
من مال بني النضير الا نصارا شيا الا بادجانة وسهل بن حنيف والحارث
ابن الصمة وقد بالغ في مدحهم حيث نكر الحاجة وذكر الصدر والوجدان
لم يخطر ببالهم ما يسمى حاجة فضلا عن توجه النفس الى طلبها ولذا اوثر
الوجدان دون العلم ويؤثرون على انفسهم اى يختارون المحتاج على
انفسهم بما لهم فكيف يطمع الى شئ ليس لهم ولو كان بهم خصاصة
فقر وحاجة من خصاص الاثاث في الغرج بين اجحارها روى البخاري عن ابي هريرة
رضي الله عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد
فارسل الى نسائه فلم يجد شيا فقال الا رجل يضيف هذا فقام رجل من الانصار
فقال انا يا رسول الله فذهب به فقالت امرانه ما عندنا الا قوت الصبية
قال نومي الصبية وقدمي الطعام واطفئي السراج فاطفئيه
ليأكل وحده فاتاه ضيف رسول الله فعلت فلما اصبح جاء الى رسول الله
فقال لقد عجب الله منك فنزلت ومن يوق شح نفسه الشح البخل مع الحرص
واضافة الى النفس لانه غريزتها اى ومن تحفظ عن هذه الرذيلة فاولئك
هم المفلحون الفائزون بالثناء من الله عاجلا والثواب اجلا والانصار
داخلون اول دخول والذين جاؤا من بعدهم اى من بعد الفريقين وهم
الذين اتبعوهم باحسان الى يوم الدين وقيل الذين هاجروا بعد السابقين
الاولين وفيه انه لا يستوعب مستحق الفيء ويرده قوله يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان لان اللاحق يجوز ان يكون
اسبق ايمانا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا غشا وحقدا من الغل
وهو الماء بين الاشجار وعن مالك ان سابّ السلف لا يستحق من الفيء شيا
لعدم اتصافه بما في الاية ربنا انك رؤف رحيم تحقيق باجابة دعائنا
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
ابن ابي رأس المنافقين ومن تبعه وسوا الى اهل الكتاب بما اخبر الله به رسوله
والمراد بالاخوة توادهم وائتلافهم في الكفر فلا ينافيه قوله ما هم منكم
ولا منهم لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم اذ لا عيش لنا بدونكم
ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا ابدا محمدا وغيره وان قوتلتم لننصرنكم
لا محالة والله يشهد انهم لكاذبون في كل ما قالوه ثم رد مقالتهم بفصله
بقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
فرضا وتقديرا ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون اى المنافقون

بل يقتلون لظهور نفاقهم وقيل الضمير لليهود وليس بوجه لان سوق الكلام
لذم المنافقين لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله اى مرهوبيتكم والمعنى
يخافونكم في السر اكثر من تخوفهم من الله او من اظهارهم الخوف من الله لكم
اذ لم يكن لهم خوف من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون عظمة الله ليعلموا
انه تحقيق بان يخاف لا يقاتلونكم جميعا المنافقون واليهود الا في قرى
محصنة لضعف قلوبهم واستيلاء الجبن عليها او من وراء جدر
جمع جدار كحمر وحمار وقرا ابن كثير وابو عمرو جدار مفرد القصد الجنس
او ارادة السور الجامع والجمع اظهر واوفق بالقرى باسهم بينهم
شديد اذا تقاتلوا واما اذا حاربوا الله ورسوله اجبن من صافر فتخسبهم
جميعا ذوي الف واتحاد ظاهرا وقلوبهم شتى جمع شتيت متفرقة
هؤلاء عبدة الاصنام واولئك اهل الكتاب بانهم قوم لا يعقلون
ان تشتت القلوب والاراء مما يورث الفشل والوهن كمثل الذين من قبلهم
اى مثل اليهود في محاربة رسول الله كمثل المشركين يوم بدر عن ابن عباس
بنو قينقاع اجلاهم رسول الله قبل هؤلاء قريبا اى في زمان قريب و
انتصابه على الحال اى وجد مثلهم ولا مثل وجود مثل اولئك قريبا لم ينظم
بعد اثره فكان لهم عبرة فيهم ذاقوا وبال امرهم بيان للمشبه به يقرره
وفيه زائدة تجهيل لليهود والوبال سوء العاقبة من قولهم مرعى وبيل
اى وخيم ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل الشيطان لما مثل حال
اليهود بحال اهل بدر مثل المنافقين بحال الشيطان يوم بدر جاء هم في
صورة سراقة سيد كنانة وقال للمشركين اني جار لكم فلما تراء الجمعان
نكص على عقبيه هاربا وقال اني بريء منكم اذ قال للانسان اكفر فلما
كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين والمراد بالانسان
الجنس او اها رفريش وقيل راهب حمله على الفجور بامراة وله قصة يرويها
القصاص فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها نصب على الحال و
الظرف خبر كان وفيها تاكيد وذلك جزاء الظالمين كل كامل في الظلم
وهم الكفار يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
يوم القيمة سماه غدا لقربه او لان اليوم يومان وتنكيره لاستقلال
الانفس ليتواظبوا كانه قال ولتنظر نفس واحدة او للتعظيم وهي لنفس
المطمئنة كانه قال ولتنظر النفس التي لها قدر وانما جعله من قبيل علمت
نفس ما احضرت اما لان المقام لذلك سوق الكلام لبيان ابتلاء العقلاء والقسوة
على الانسان وتنكير الغد للتعظيم اى غد اى غد واتقوا الله اعادة

لان الاول فيما قدم من الاعمال وهذا جار مجرى الوعيد ولذا عقبه بقوله
إن الله خبير بما تعملون وفي محبتها مطلقين من الفخامة ما لا يخفى ولا
تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم حيث لم يرشدهم
الطريق الهدى او انا هم يوم القيمة ما نسوا انفسهم اولئك هم الفاسقون
الكاملون في الفسق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة كان التاسر
لاستيلاء الغفلة عليهم لم يفرقوا بين الفريقين فاحتاجوا الى الاعلام
كقوله وما يستوي الاعمى والبصير واستدل الشافعي بالاية على
ان المسلم لا يقتل بالذمي وذلك لانه لما نهى المؤمنين ان يكونوا كالذين
نسوا الله اشار الى عدم مساواة الحربين في احكام الدارين وان كان الملحوظ
بالقصد الاول احكام الاخرة ولذلك عقبه بقوله اصحاب الجنة هم
الفائزون بما لم يخطر على قلب بشر لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتصوير لزواجر القران وما فيه
من الوعيد والايات الدالة على شدة سخطه على من كفر ان لو كان في الجبل
فهم وكان المكلف والمخاطب لتكسر وتفرقت اجزاؤه من الخوف وتلك
الامثال هذا المثل ونظائره نضربها للناس لعلهم يتفكرون وفيه
من الدلالة على قسوة قلبه وعدم تدبره ما لا يخفى هو الله لا اله الا هو
لما اثنى على القران واعلى شانه بما لا مزيد عليه اقام البرهان على ذلك بانه
كلام من هذه اوصافه ونعوته عالم الغيب والشهادة ما غاب عن البصر
وما شاهدوه او الموجود والمعدوم او الدنيا والاخرة او السر والعلن
هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام
المنزه عن وصمة النقص والزوال واختلال ملكه كسائر الملوك السلام
ذو السلامة عن الافات كانه عينها المؤمن الجاعل غيره امنا المهيمن
الرقيب الحافظ من الامن الا انه ابلغ منه وهاؤه منقلبة من همزة وقيل
من الامانة لان الامين هو الحافظ العزيز الغالب الجبار الذي جبر
الخلق على ما اراد او كثير الجبر للمنكسرين ما كسر الا وجبر المتكبر البليغ
الكبرياء كلت العقول عن ادراك ذاته سبحان الله عما يشركون ليس كمثله
شيء فكيف يكون له شريك هو الله الخالق المقدر للاشياء على وفق حكمته
البارئ الموجود لها برية عما لا يريده بل جاءت كما اراد المصور المفيض
المصور للصور والاشكال على المواد القابلة له الاسماء الحسنى
الدالة على صفات الجلال ونعوت الكمال وهذه نبذة منها عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة وقيل انما

يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا لانه لم يعرف الله بهذه الاسماء
ولم يؤمن بها يسبح له ما في السموات والارض من الاجزاء والجزئيات
وان من شيء الا يسبح بحمده وهو العزيز الغالب الحكيم المتقن في
صنعه فذلكه للسورة ورمز الى اجلاء اليهود وايراث اموالهم لرسول
الله والمؤمنين روى الامام احمد بن حنبل عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قال حين يصبح اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
ثلث مرات ثم قرا ثلث ايات من اخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون
عليه الى ان يمسي وان مات في يومه مات شهيدا تمت سورة الحشر والحمد لله
البر والصلوة على المؤيد بالعز والنصر واله وصحبه الى اخر الدهر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
كان رسول صلى الله عليه وسلم هاون قريشا سنة الحديبية ثم نقضوا العهد
فاراد ان يغزوهم وكان وقتا لفتح الموعود فقال اللهم اعم عن المشركين
شاننا فكتب حاطب الى بلتعة وهو رجل من المهاجرين ولم يكن من قريش بل
كان حليفا لعثمان رضي الله عنه وكان قد تخلف عنه اهله وماله كتابا الى
اهل مكة يخبرهم بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصدهم واعطاه
لعجوز من مزينة وقيل لساره مولاه ابي المطلب فلما توجهت اخبر جبرئيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشانها فارسل عليا والزبير وابا مرثد و
المقداد بن الاسود وقال انتوا روضة خاخ فان بها ضعينة معها كتاب خذوه
منها قال علي رضي الله عنه فذهبنا تعادى بنا خيلنا فاذا نحن بالمراة فقلنا ليس
معي كتاب فقلت ما كذب رسول لتخرجن الكتاب او لاجردنك فاخرجته من
حجزتها وكانت محتجرة بكساء وفي رواية اخرجته من عقاصها فاتوا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب حاطبا وقال ما هذا الكتاب قال
يا رسول الله لا تعجل فوالله منذ اسلمت ما ازددت الا ايمانا ولكن كان من ظهرانيك
من اصحابك لهم قرابات يحمون بها اهليهم وكنت لصيقا فيهم فاردت اذا
فاتني ذلك ان اصطنع يدا عندهم يحمون بها قرابتي قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد صدقكم فلا تقولوا له الا خيرا فقال عمر يا رسول الله منافق
دعني اضرب عنقه فقال يا عمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على اهل بدر و
قال افعلوا ولا حرج قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر فنزلت والعدو فعول
من عداه جاوزه ولكونه على زنة المصدر كالقبول يطلق على الجمع وفي تقديم

عَدُوًّا شَارَةٌ الى انه الْمُهِمّ وَإِنْ فَرْضًا لَمْ يَكُنْ عَدُوًّا لَهُمْ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمَوَدَّةِ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ لَا تَتَّخِذُوا أَوْ صِفَةٌ أَوْلِيَاءَ جُرَّ عَلَى غَيْرِ مَنْ هِيَ لَهُ مِنْ نَبْذِ
الْإِبْرَازِ لِكَوْنِهَا فِعْلًا أَوْ اسْتِئْنَافٌ وَالْبَاءُ مَزِيدَةٌ لِلتَّوْكِيدِ كَمَا فِي وَلَا تُلْقُوا
بِأَيْدِيكُمْ أَوْ لِلسَّبَبِيَّةِ وَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ أَيْ اخْتِيَارَ رَسُولِ اللهِ بِسَبَبِ الْمَوَدَّةِ
وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ تُلْقُونَ إِنْ جُعِلَ مُسْتَأْنَفًا وَإِلَّا
جَازَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ أَوْ مِنْ فَاعِلِ لَا تَتَّخِذُوا يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا
بِاللهِ رَبِّكُمْ اسْتِئْنَافٌ جَارٍ مَجْرَى التَّفْسِيرِ كَأَنَّهُ قِيلَ كَيْفَ كَفَرُوا فَقِيلَ كَفَرُوا بِاللهِ
الْكُفْرَ لِأَخْرَاجِهِمُ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ لِإِيمَانِهِمْ بِاللهِ مَوْلَاهُمْ خَاصَّةً لَا لِغَرَضٍ
آخَرَ وَهَذَا إِمْلَاءٌ فَائِدَةُ تَقْيِيدِ جَعْلِهِ حَالًا مِنْ فَاعِلِ كَفَرُوا إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا
فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي حُذِفَ جَوَابُ الشَّرْطِ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ تُسِرُّونَ
إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ جَوَابُ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ كَأَنَّهُ قِيلَ مَاذَا فَعَلُوا حَتَّى عُوتِبُوا بِمَا عُوتِبُوا
وَلِذَلِكَ أُوثِرَ أَنْ عَلَى إِنْ وَيَجُوزُ إِبْدَالُهُ مِنْ تُلْقُونَ وَالْبَاءُ فِيهِ كَمَا فِي تُلْقُونَ
وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ مِنْكُمْ وَاطِّلَاعُ رَسُولِي عَلَيْهِ فَأَيُّ فَائِدَةٍ
فِي الْإِسْرَارِ بَعْدَ عِلْمِكُمْ بِهَذَا وَإِيمَانِكُمْ بِهِ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ الطَّرِيقَ الْقَوِيمَ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً أَنْ يَظْفَرُوا بِكُمْ
يُظْهِرُ لَكُمْ مِنْهُمْ نَتِيجَةَ الْعَدَاوَةِ مِنَ الْإِضْرَارِ بِمَا يُمْكِنُهُمْ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ بِالْقَتْلِ وَالشَّتْمِ جَارٍ مَجْرَى تَفْسِيرِ الْعَدَاوَةِ
وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ يَرُدُّونَكُمْ كُفَّارًا وَإِيثَارُ الْمَاضِي هُنَا وَإِنْ كَانَ الْمَاضِي
وَالْمُضَارِعُ لَا يَنْتَفَاوَتَانِ بَعْدَ وُقُوعِهِمَا جَزَاءَ الشَّرْطِ لِلْإِشَارَةِ الَى أَنَّ وِدَادَهُمْ
لِكُفْرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهَمُّ لَانْخِرَامِ مَادَّةِ الْعَدَاوَةِ وَارْتِفَاعِ الْمُشَاقَّةِ حِينَئِذٍ وَالْمُرَادُ
وِدَادُهُ مُقَارَنَتُهُ لِلْقُدْرَةِ عَلَى رَدِّهِمْ كُفَّارًا فَلَا يَرِدُ أَنَّ وِدَادَهُمْ مُسْتَمِرَّةٌ فَلَا
يُفِيدُ التَّقْيِيدُ بِالشَّرْطِ لَوْ لَمِ الْعَطْفُ عَلَى الشَّرْطِيَّةِ لَا الْجَزَاءِ كَمَا فِي ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ
فِي سُورَةِ الْحَشْرِ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ قَرَابَاتُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمُ الَّذِينَ
تُوَالُونَ الْكُفَّارَ لِأَجْلِهِمْ خَطَأٌ هُمْ أَوْ لَا فِي مُوَالَاةِ مَنْ هُوَ خَالِصُ الْعَدَاوَةِ
لَهُمْ ثُمَّ فِي مَنْ يُوَالُونَ لِأَجْلِهِ ثُمَّ بَيَّنَ وَجْهَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ
بَيْنَكُمْ يُفَرِّقُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي
مُوَالَاةِ أَعْدَاءِ اللهِ لِمَنْ لَا بَقَاءَ وَلَا نَفْعَ فِي وُدِّهِ قِرَاءَةُ غَيْرِ عَاصِمٍ بِضَمِّ الْيَاءِ
وَكَسْرِ الصَّادِ وَيُشَدِّدُهُ حَمْزَةُ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ وَهُوَ أَبْلَغُ وَأَوْفَقُ
بِالْمَقَامِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ مُشَاهِدٌ لَهُ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ الْأُسْوَةُ اسْمٌ لِمَا يُؤْتَسَى بِهِ كَالْقُدْوَةِ لَفْظًا
وَمَعْنًى كِسْرُهَمْزَتِهِ عَاصِمٌ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ ظَرْفٌ لِخَبَرِ كَانَ وَهُوَ لَكُمْ

إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ جَمْعُ بَرِيءٍ كَظُرَفَاءَ جَمْعِ ظَرِيفٍ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كُفْرًا
بِكُمْ أَيْ بِكُلِّ شَيْءٍ يَلْتَبِسُونَ بِهِ مِمَّا يُدَانُ بِهِ وَالْكَلَامُ عَلَى الْمُشَاكَلَةِ وَالتَّهَكُّمِ
إِنَّ الْكُفْرَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْحَقِّ وَمَا أُتِيَ بِهِ الرُّسُلُ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ
وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ فَحِينَئِذٍ يَنْقَلِبُ الْعَدَاوَةُ مُوَالَاةً
وَالْبَغْضَاءُ حُبًّا إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مُسْتَثْنًى مِنْ أُسْوَةٍ
حَسَنَةٍ لِأَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ قَوْلِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ إِلَى آخِرِهِ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ
مِنْ شَيْءٍ هَذَا وَإِنْ صَحَّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأُسْوَةِ لِكَوْنِهِ كَلَامًا حَقًّا إِلَّا أَنَّهُ
جُعِلَ تَابِعًا لِلِاسْتِغْفَارِ مُبَالَغَةً فِي تَحْقِيقِ الْوَعْدِ كَأَنَّهُ قَالَ أَبْذُلُ جُهْدِي وَلَوْ
مَلَكْتُ غَيْرَ الِاسْتِغْفَارِ لَفَعَلْتُهُ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ لِتَجَاءِ الْمَرْءِ إِلَى اللهِ بَعْدَ ظُهُورِ الْعَدَاوَةِ وَالتَّبَرِّي
عَنْهُمْ فِي كِفَايَةِ شَرِّهِمْ أَوْ تَعْلِيمٌ مِنَ اللهِ لِلصَّحَابَةِ بَعْدَ النَّهْيِ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ
وَالْأَمْرِ بِالِاقْتِدَاءِ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَتْمِيمًا لِلْوَصِيَّةِ كَقَوْلِهِ انْتَهُوا
خَيْرًا لَكُمْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَحَلُّ فِتْنَةً بِأَنْ تُسَلِّطَهُمْ
عَلَيْنَا فَيَفْسُدُوا عَلَيْنَا دِينَنَا وَاغْفِرْ لَنَا مَا فَرَطَ رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ تَحْقِيقٌ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَتَحْقِيقُ رَجَاءِ الْمُتَوَكِّلِينَ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ كَرَّرَهُ مُبَالَغَةً فِي الْحَثِّ عَلَى الِائْتِسَاءِ وَلِهَذَا أَكَّدَهُ
بِمَا هُوَ غَايَةٌ فِي التَّوْكِيدِ وَهُوَ الْقَسَمُ وَأَبْدَلَ عَنْ قَوْلِهِ لَكُمْ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا
اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ إِشَارَةٌ الَى أَنَّ مَنْ تَوَقَّفَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ بِالْآخِرَةِ وَعُقْبَاهُ
بِقَوْلِهِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فَلَا يَضُرُّهُ تَوَلِّيهِ بَلْ ضَرَّ نَفْسَهُ
عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً تَوْكِيدٌ لِلْأَمْرِ
بِالتَّصَلُّبِ وَتَهْوِينٌ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ عَنْ قَرِيبٍ سَيَنْقَلِبُ مَوَدَّةً وَسَبَبًا لِسُهُولَةِ
أُولَئِكَ بِدُخُولِهِمْ فِي الْإِيمَانِ عَكْسَ مَا كَانُوا يَوَدُّونَهُ مِنْ كُفْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُظْهِرُ
أَنَّ حُزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ وَلَفْظُ عَسَى عِدَةٌ بِالْمَلُوكِ فِي الْمَوَاعِدِ لِتَحَلِّ
يَحْلِفُونَ فِي انْجَازِهَا وَاللهُ قَدِيرٌ عَلَى ذَلِكَ وَاللهُ غَفُورٌ لِمَا فَرَطَ مِنْ
مُوَالَاتِكُمْ سَابِقًا رَحِيمٌ يَجْمَعُ بَيْنَكُمْ فِي الْإِيمَانِ عَنْ قَرِيبٍ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ
عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ كَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ
أَنْ تَبَرُّوهُمْ بَدَلٌ مِنَ الَّذِينَ بِتَقْدِيرِ مُضَافٍ أَيْ مِنْ مَبَرَّةِ الَّذِينَ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ
قِيلَ أُمِرُوا بِالْعَدْلِ فِيمَا بَيْنَكُمْ مِنَ الْحُقُوقِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ رَوَى
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَتَتْهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ
وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا قَالَ نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ وَأَنْزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِعُمَرَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ فَكَسَاهَا إِخًا مُشْرِكًا لَهُ بِمَكَّةَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ

عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم
يتسى بعضهم في الإخراج وعاون عليه البعض أن تولوهم بدل اشتمال
من الذين ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم إذ لا
عذر له بعد هذا البيان يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن عن ابن عباس رضي الله عنه كان الامتحان أن يقول لا إله
إلا الله محمد رسول الله ثم تقول بالله ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة
في أرض عن أرض بل حبا لله ولرسوله وكان الذي تولى الامتحان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه الله أعلم بإيمانهن منكم وإنما أمركم بالامتحان
لاجراء الحكم وعدا للبس فإن علمتموهن مؤمنات بالامارات أراد الظن
واطلاق العلم عليه شايع وفائدته الامتحان في الامتحان فلا ترجعوهن
إلى الكفار لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرط في صلح الحديبية أن
جاءه مسلما يرده إليهم فجاءت نساء مؤمنات وهو باسفل الحديبية على ما
رواه الزهري فنزلت فكانت ناسخة للسنة وقيل كان ذلك منه اجتهادا
واجتهاده الخطاء لا يقر روعن عروة والضحاك ان الشرط كان في الرجال
خاصة لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن اي لحل مرتفع من الجانبين
لا كالكتابية مع المسلم وآتوهم ما أنفقوا ما دفعوا إليهن من المهور وكان
هذا مخصوصا بتلك الواقعة في المهاجرات وبعدا لفتح لا هجرة فانتهى الحكم
بانتفاء سببه ولا جناح عليكم أن تنكحوهن المهاجرات لوقوع البينونة
وعدم حلهن لازواجهن إذا آتيتموهن أجورهن مهورهن لان المهر
أجر البضع وانما تعرض له لئلا يظن ان ما اعطى الازواج بدل ما انفقوا
يغني عن المهر وبه استدل ابو حنيفة رحمه الله على ان من اسلمت من الحربيات
وتخلف زوجها في دار الحرب وقعت الفرقة ولا عدة واجابا الشافعي رحمه الله
بان عدم التعرض للعدة ليس تعرضا لعدمها وعدم العدة يؤدي الى اختلاط
الماءين ولا تمسكوا بعصم الكوافر اللاتي تخلفن في دار الكفر جمع عصمة
وهي النكاح يقال هي في عصمة الزوج اي في نكاحه عن المسور بن مخرمة ان
عمر طلق يومئذ قريبة بنت امية فتزوجها معاوية وام كلثوم بنت علقمة
فتزوجها ابو جهم واسألوا ما أنفقتم من مهور المشركات وليسألوا
ما أنفقوا من مهور المهاجرات اعادة توكيدا لئلا تهاونوا به من حيث انهم
مشركون ولذلك امرهم بالسؤال فانه حق من حقوقهم ذلكم حكم الله
الذي ما ذكر يحكم بينكم مستانفا أو حال والله عليم بأحوال العباد
حكيم فيما شرع وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار راجعة

عن الاسلام كان في صلح الحديبية ان من ذهب اليهم لا يردونه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جاءكم منا سحقا له ولذلك نكر الشيء استهانة
بالراجعة وقيل لزيادة العموم فعاقبتم جاءت عقبتكم اي نوبتكم
فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا عن الزهري ان المؤمنين
لما سألوا ما انفقوا ابى المشركون فكان الحكم ان ما كان يعطى زوج المهاجرة
من المهر يعطى زوج المرتدة وعن ابن عباس رضي الله عنه غنمتم امروا بان
يعطوا زوج الراجعة ما انفق من الغنيمة وهو الوجه واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون فان الايمان به حامل على التقوى يا أيها النبي إذا جاءك
المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا من الاشياء ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن كما كان الوائدات يفعلن ذلك ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن كانت إحداهن تلتقط لقيطا وتقول
لزوجها ولدته منك وما بين ايديهن وأرجلهن البطن والفرج ولا
يعصينك في معروف هذا القيد مع ان امره لا يكون الا بمعروف للدلالة
على أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولو فرض أن يكون انت فبايعهن
على هذه الشرائط روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه خطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر ثم شق الرجال وأتى النساء فقراء
عليهن هذه الاية ثم قال انتن على ذلك فاجابته واحدة ثم قال بصدقن فشرعن
يلقين الخواتم والاقراط في ثوب بلال وعن ام عطية لما قال ولا يعصينك
في معروف قالت امرأة ان فلانة اسعدتني تريد النياحة فانا اريد ان اجزيها
فذهبت ثم عادت فبايعت وعن عايشة رضي الله عنها والله ما مست يده
يد امرأة قط وانما يبايعهن بهذه الاية وأستغفر لهن الله سالف
ذنوبهن إن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله
عليهم روى ان بعض فقراء المؤمنين كانوا يوالون اليهود لعل ان يصيبوا
منهم بعض ثمار قد يئسوا من الاخرة لعنادهم بنبوة محمد عليه السلام
مع علمهم انه الموعود في التورية كما يئس الكفار من اصحاب القبور
من بيان اي كما يئس من مات على الكفر من رحمة الله او كما يئس الكفار من الموتى
لعدم اعتقادهم الحشر تمت سورة الامتحان ولله المن والاحسان
والصلوة على المبعوث من عدنان وآله وصحبه الى انصرام الزمان

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز
الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون الاستفهام للانكار
ولما صار المجاز والمجرور لشدة الاتصال كشيء واحد حذف منه الالف
مثله عم وبم ويوقف عليه بالايكان وبهاء السكت عن مقاتل لما تمنوا احب
الاعمال فنزلت ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فلما ولوا يوم
احد عوتبوا بهذه الاية وعن قتادة كانوا يقولون قتلنا ضربنا ولم يكونوا
فعلوا ذلك روي ان صهيبا قتل كافرا شديد الشكاة في المسلمين فرآه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اخر قتله فقال عمر ذلك لصهيب فقال انما
قتله لله وليشمل كل قول مالف الفعل وبه استدل مالك على ان الوعد ملزم
وحمله الجمهور على مر الاخرة كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
بالغ في تبجينه لما في كبر من معنى التعجيب المراد منه تعظم الجناية واسناده
الى القول اولا ثم تميزه بالمقت وتقديمه وجعله عند الله مع كون المقت اشد
البغض ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا صافين فانهم اهيب
في عين العدو واشد تقوية لقلب القاتل كانهم بنيان مرصوص محكم
من الرصاص وهو الابلغ حال من المستكن في الحال واذ قال موسى لقومه يا قوم
لم تؤذونني اي اذكر للمؤمنين ذلك الوقت وقد تعلمون اني رسول الله
اليكم والذي مع العلم اشد فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم صرفها عنه
والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يوفقهم لانهم اهل الذين خلقوا للنار
واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل لم يقل يا قوم تذكيرا لهم بانهم اولاد
اسرائيل الذي وصى بنيه ان لا يعبدوا الا الله لانهم ليسوا من قومه لانه
لا نسب له فيهم لدخوله في ذرية اسرائيل كما تقدم في الانعام اني رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد اتى على ما عليه سائر الرسل من تقدم ومن تاخر هذا كقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما كنت بدعا من الرسل وانتصاب مصدقا ومبشرا على الحال
والعامل فيه معنى الرسالة في رسولا لا في اليكم لان حروف الجر اذا وقعت
صلة ليس فيها معنى الفعل اسمه احمد قيل كذا كان مكتوبا في الانجيل
ولعل ذلك لما فيه من الاشارة الى انه اكمل الرسول روى البخاري عن جبير بن
مطعم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لي اسماء انا محمد
وانا احمد وعن ابي اسحاق انا دعوة ابي وبشرى عيسى ورؤيا امي فلما
جاءهم بالبينات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص قالوا هذا
سحر مبين اي ما جاء به او عيسى مبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي

ساحرا والرسم على الاول ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى
الى الاسلام اي لا احد اظلم منه اذ لا جناية فوقه مع عدم العذر وزوال
الاشتباه والله لا يهدي القوم الظالمين الكاملين في الظلم يريدون
ليطفئوا نور الله بافواههم هم اليهود الذين حرفوا الكلم وبدلوا نعته
مثال حالهم بمن يريد اطفاء نور الشمس بنفخ ينفخه في الهواء والاصل يريدون
ان يطفئوا كما في سورة براءة واتما جيء باللام توكيدا للارادة لما في اللام
من معناها والله متم نوره لا محالة وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر
وابو بكر منونا ناصبا ما بعده ولو كره الكافرون الساترون نعمة الله
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الذي لا يتطرقه نسخ ولا تبديل
ليظهره على الدين كله اذ لم يات احد بما جاء به وضع الاصر والاغلال
بالحنيفية السمحاء ولو كان موسى وعيسى حيا لما وسعهما الا اتباعه
ولو كره المشركون عبادة الاوثان واليهود القائلون عزير ابن الله و
النصارى المثلثون يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم قرأ ابن عامر بتشديد النون والجيم وهو ابلغ تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بامواليكم وانفسكم استيناف
كانهم قالوا كيف نعمل قال تؤمنون وايثاره على امنوا مبالغة في الحث
عليه كانهم امتثلوا فهو يخبر عنهم وهذا سبيل كل دعاء اتى بصيغة الاخبار
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم اي لو علمتم لسعيتم في تحصيله
يبدل الاموال والانفس يغفر لكم ذنوبكم ما بينكم وبينه جزم جوابا
للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او شرط مقدرا اي ان تؤمنوا واستغفرها
اي هل تجزون بالايمان يغفر لكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك المذكور الفوز العظيم الذي
لا يحيط به الوصف واخرى تحبونها اي ولكم النعمة الاخرى الدنيوية
بالنسبة الى الاولى وفي الوصف بالمحبة بعد الدلالة على انها دون الاولى
نوع يعتبرهم وقد ايثارا لا ميتة مع العطف على الفعلية وهي يغفر لكم
دلالة على ان هذه الدنيه امكن في نفوسهم وهي اليها اميل نصر من الله
بدل او بيان وفتح قريب فتح مكة وعن الحسن فارس والروم وبشر
المؤمنين عطف على تؤمنون لانه بمعنى امنوا وما في البين ليس بأجنبي
كانهم قالوا دلنا يا ربنا على تلك التجارة فقال امنوا وبشر انت يا محمد
وفيه تنويع الخطاب وايقاع المظهر موقع المضمر فهو املاء فائدة من
تقدير فابشر يا محمد وبشر والعطف على فعل مقدر او القول بان ذاك انما

يحسن انا اعيد حرف النداء لاسند له ولو سلم فلعدم تعين المخاطب يلزمه
واما انا تعين فذكره وطيه سيان يا ايها الذين امنوا كونوا انصار
الله انصار دينه كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله
من جندي متوجها الى نصرة دينه وقرا نافع وابن كثير وابو عمر وانصارا
منونا والمعنى كونوا من جملة من ينصر الله والاضافة اقوى معنى واخف
لفظا ولذلك اتفقوا عليه في ال عمران قال الحواريون نحن انصار الله
الاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين والثانية اضافة الفاعل الى
المفعول والتشبيه بحسب المعنى اى قل لهم كقول او كونوا ايها المؤمنون
انصار الله كالحواريين وقت قول عيسى عليه السلام كانوا اثنى عشر رجلا
قصارين يقصرون الثياب ولذا قيل لهم حواريون وعنه صلى الله عليه
وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير فامنت طائفة من بني اسرائيل
وكفرت طائفة بعيسى فايدنا الذين امنوا على عدوهم على الكافرين
وايثار لفظ العدو لاشعاره بالتشقي فاصبحوا ظاهرين غالبين بالسيف
والحجة عليه لاخفاء بها تمت السورة والحمد لمن الاوه منشورة
والصلوة على من سيره مشكورة واله وصحبه الذين اثارهم مشهورة

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس
البليغ التنزه عن وصمة النقص والشين العزيز الحكيم الغالب البالغ حكمه
توطئة لقوله هو الذي بعث في الاميين رسولا لغرض احتياجهم اليه
لانهم لا يكتبون ولا يقرؤن منهم يعرفون صدقه وامانته ولكونه
اشفق بهم وارفق يتلو عليهم ايابه مع كونه اميا مثلهم اشارة الى
معجزته الموثوقة بنوته عليها ويزكيهم من الاخلاق الذميمة او عند الله
حيث يشهد لهم بالايمان يوم القيمة ويعلمهم الكتاب والحكمة
الشرايع فان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ظاهر يعبدون الحجر ويأكلون
الحيف ويطوفون بالبيت عراة واخرين منهم عطف على الاميين اى
وفي اخرين من الاميين لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون لما في لما من معنى
التوقع روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنهما لما نزلت سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم من هم هؤلاء وفينا سلمان فوضع يده عليه وقال لو كان
قوم هذا لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء وليس فيه مدغم الغين
فينا ول كل من ياتي بعدا لصحابة رضي الله عنهم الى اخر الدهر وهو العزيز

الحكيم في تمكينه من هذا الامر العظيم واختياره له ذلك فضل الله كونه
رسولا ولا اولين والاخرين وفي ايثار اسم الاشارة بلفظ البعيد و
اضافة الفضل الى كلمة الجلالة اشارة الى ان كل فضل دونه بون بين
من يشاء تفضلا والله ذو الفضل العظيم الذي لا يحاط به مثل
الذين حملوا التورية تعملوها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولا احملوها
على محاملها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا كثيرا من كتب العلم مثل جاهلهم
وحمل التورية بحال الحمار الحامل لاسفار من الكتب والجامع الحرمان من الانتفاع
ابلغ نافع مع الكد والتعب والجملة في محل النصب على الحال او الصفة اذ
لم يرد بالحمار معينا وهذا ابلغ ذما واتصاله بما قبله انهم علموا في التورية
نعت المبعوث في الاميين رسولا وكتموه بئس مثل القوم الذين كذبوا
بايات الله اى مثل الذين كذبوا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
او حذف المخصوص اى هو او الضمير لمثل اليهود او بئس مثلا مثل الذين على
حذف المفسر وهذا قليل والله لا يهدي القوم الظالمين اى اليهود الذين
لم يحملوا التورية قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء
لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في زعمكم لان من علم انه
ماويه جنة عدن تمنى الخلاص من دار الفناء وانما خوفا لانسان من علم بحاله
وانما اتى بان مع الزعم اشارة الى ان الاولى بحال المحق على طريقتهم الشك والدعوى
الباطلة ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من الكفر وتحريف ايات الله وهو
واختصاص اية البقرة بلن لان دعواهم هناك ان اختصاصهم بها امر محقق
فبولغ في الرد عليهم والله عليم بالظالمين ظاهرا وباطنا قل ان الموت
الذي تفرون منه ولا تجترؤن على تمنيه فانه ملاقيكم ودخول الفاء
في خبر الموصوف بالموصول للسببية باعتبار الوصف كانه قيل ان الفرار الذي
تظنونه سببا النجاة بسبب الملاقاة مبالغة في عدم الفوت ثم ترددون الى
عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه يا ايها
الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله امضوا
على اليهود فيما يتمنون به انفسهم من الاماني الباطلة امر المؤمنين بالسعي
ما فات اليهود من ادراك فضيلة يوم الجمعة لما روى البخاري ومسلم ان يوم
الجمعة هو اليوم الذي فضل على سائر الايام واختلف فيه اهل الكتابين
فلم يهتدوا اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدانا الله اليه فهم لنا
تابعون يوم القيمة هو سيد الايام فيها ساعة يستجاب فيها الدعاء لا يوافقها
انها من وقت خروج الامام الى الفراغ من الصلوة وقيل بعد العصر وكانت الجمعة

تسمية يوم العروبة فسماه الله يوم الجمعة والمراد النداء بين يدي الخطيب
فان الاول شرعه عثمان على الزوراء عند كثرة الناس والبيع والشراء وسائر
الاشغال حرام اتفاقا والمراد بالسعي القصد والاهتمام لا الاسراع لورود
النهي عنه والمراد بذكر الله الخطبة لانها موعظة وتذكير ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون ايثاران على اذا مع علمهم بذلك تعييبا لما بدا منهم من الخروج
وتركه قائما لاشعاره بعدم علمهم فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض
وابتغوا من فضل الله من رزقه حبر الما فاتكم روى ابن ابي حاتم عن بعض
السلف ان من باع او اشترى بعد الجمعة يارك الله له سبعين مرة وكان عراك
ابن مالك اذا صلى الجمعة وقف على بابه المسجد وقال اللهم اني اجبت دعوتك
وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني وانت خير الرازقين وقيل
المراد به الطاعة كعيادة المريض وتشييع الجنازة وزيارة الاخوان في الله
واذكروا الله كثيرا في الاحوال كلها لعلكم تفلحون تفوزون بمرضاته
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روى البخاري ومسلم عن جابر انه
صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يخطب فقدمت عير من الشام بميرة فخرجوا
الا اثني عشر رجلا وقال مقاتل العير كانت لدحيه قبل اسلامه وكان معها
طبل وهو الذي اريد باللهو والضمير للتجارة لان الانفضاض اليها اذا كان
مذموما فالى اللهو اولى وتركوك قائما فيه غاية التعيير اذ لو لم يكن الا تركه
على هذه الحالة دون ان يكون خطيبا كان شنيعا قل ما عند الله من الكم
خير من اللهو ومن التجارة لكونه باقيا صفوا بلا كدر والله خير الرازقين
هو الرزاق حقيقة وابواب وسائل اليه توجهوا في طلب الرزق تمت
السورة ولله المنة والصلوة على رسوله واله وصحبه السابقين الى الجنة

سورة المنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
الشاهد جار مجرى القسم ولذلك اكدبان واللام يتضمن ادعاء المواطاة
بين القلب واللسان والله يعلم انك لرسوله وان ما قالوه كلام مطابق
للواقع قطعا والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في ادعاء المواطاة
لانهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم او كاذبون في انفسهم لم يعتقدوا
صدق مقالتهم ومطابقتها للواقع وانما اعترض بقوله والله يعلم انك
لرسوله ليميط رجوع التكذيب الى قولهم انك لرسول الله اتخذوا ايمانهم
جنة وقاية استيناف لبيان فائدة تلك الشهادة التي هي بمثابة اليمين

او كلام مستقل لعد قبايحهم وان من ذا بهم الاعتقاد بالايمان الكاذبة كما
استجنوا بالشهادة الكاذبة فصدوا عن سبيل الله اعرضوا او منعوا
غيرهم عن سلوكها انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق انشاء كانه قيل
ما اسوء ما ارتكبوه ذلك كله بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم
منع دخول نور الحق فيها فهم لا يفقهون شيئا من الحق فلذلك جسروا
على تلك العظايم وانما قال امنوا ثم كفروا مع انهم لم يؤمنوا طرفة عين
لانهم نطقوا بالشهادة ثم ظهر كفرهم او نطقوا بها عند المؤمنين وكفروا
عند شياطينهم والحمل على اهل الردة بعيد ناب عنه المقام واذا رأيتهم
تعجبك اجسامهم هيأكلهم لرواه منظرهم وجسامتهم وان يقولوا
تسمع لقولهم لفصاحة كلامهم وحلاوة الفاظهم قيل كان ابن ابي رأس
المنافقين وبعض اتباعه جساما وسامة فصحاء بلغاء والخطاب ورايتهم
اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او عام والاول اوجه لتقدم اذا
جاءك ولانه اذا اعجبه فغيره اولى كانهم خشب مسندة الى الحيطان
لعدم الانتفاع بها بوجه او كالاصنام المسندة الى الحيطان في حسن الصور
وبهجة المنظر قرأ ابو عمرو وقنبل والكسائي باسكان الشين اما مخفف
خشب او جمع خشباء وهي الخشبة المجوفة وهذا اخف واقوى شبها
وناهيك بسفالة النفاق خللا حيث شبه اهله بهذا شانه وشبه
الكفار بالانعام يحسبون كل صيحة عليهم واقعة عليهم وقيل كانوا خائفين
من ان ينزل فيهم ما يهتك استارهم ويظهر اسرارهم وينتج دماءهم
وديارهم هم العدو لا غيرلان اعدى العدو من يلقاك بوجه الصديق
لوقوفه على اسرارك وتمكنه من اشاعة اخبارك وقيل عليهم صلة وهم
العدو المفعول الثاني والتذكير باعتبار الخبر وليس بوجه فاحذرهم
خذ حذرك منهم ولا تغتر قاتلهم الله لعنهم الله دعاء منه تعالى ينبئ
عن فرط السخط او تعليم للمؤمنين انى يؤفكون يصرفون عن الحق
تعجيب عن العدول بعد موجبات الاقبال والقبول وإذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله لوفاروسهم اماتوها ولم يلقوا السمع اليه
قرأ نافع لووا مخففا وقراءة القوم ابلغ ورأيتهم يصدون يعرضون
فضلا عن الاستماع وهم مستكبرون رافعون انفسهم فوق حدها
اتفق الثقاة على ان السورة نزلت في ابن سلول كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك او بني المصطلق فاقتتل على الماء جهجاه بن
سعد الغفاري وكان اجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد وكان حليفا

لابن سلول فبلغ ذلك ابن سلول وكان عنده جمع من الانصار فقال أوفعلوها
والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فقال كلامه زيد بن ارقم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله الى ابن سلول فحلف انه لم يقل شيئا
من ذلك فقال عمر زيد له ما اردت الى ان اكذبك رسول الله ومقتك فقال
فبت في شر ليلة فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيني في الطريق
ضحك في وجهي وقال اذني فلقيني عمر فقال ما ذا قال لك رسول الله
قلت ما زاد على ان ضحك في وجهي وقال اذني وكذلك سألني ابو بكر فلما
نزل قراء عليهم السورة وقال ان الله قد صدقك يا غلام ثم ارسل اليهم
ليستغفر لهم لوقارؤسهم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
لا يؤمنون بك ولا يعتدون باستغفارك لن يغفر الله لهم لعلمه
بانهم اهل الدرك الاسفل ومن الذين ذرأ هم لجهنم ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين المتهمكين في الكفر والنفاق هم الذين يقولون لا
تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا قاله ابن سلول ذلك اليوم
ولله خزائن السموات والارض قادر على اغناء محمد واصحابه عن انفاق
الانصار وانما وفق الانصار لذلك ليبتلوا به القربة والزلفى ولكن
المنافقين لا يفقهون ذلك يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل يريد بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين مختصة بهم لاحظ لغيرهم فيها ولا ينافيه ان العزة لله جميعا
لان عزة الرسول والمؤمنين عزة الله تعالى ولكن المنافقين اعاد المظهر
لئلا يفارقهم هذا الوصف لا يعلمون ليسوا من ذوي العلم ليدركوا هذا
الامر الجلي ولما كان في امر الرزق نوع خفاء في بادئ الرأي جعل الفاصلة
الفقه المنبئ عن نوع تعمل وعن قتادة ان ابنه عبد الله لما بلغه ذلك جاء
الى رسول الله وقال ان كنت قاتلا اني فمرني به لاحمل اليك رأسه والله لقد
علمت الخزرج ان ليس فيهم ابر بوالديه مني واخاف ان يقتله غيري فلا احتمله
فادخل النار فقال لا نقتله بل نحسن صحبته وعن عكرمة وابن زيد انه وقف
بباب المدينة وسل سيفه فلما جاء ابوه قال له وراءك حتى جاء رسول الله
وهو حابسه فشكى اليه فقال له خل سبيله وقيل لم يمكنه حتى قرأ انه الاذل
ورسول الله هو الاعز فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين
امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لما كان اغترار المنافقين
بالحطام الفاني وانهم اذا لم ينفقوا على المؤمنين يتلاشى امرهم ورد الله

عليهم بانه مالك خزائن السموات والارض وكان فيه اشارة الى انه سيغني
المؤمنين ويفيض عليهم من خزائنه بما ليس في حسابهم نهاهم عن الاشتغال
بما عن ذكر الله قيل وجودها ليوطنوا انفسهم على ذلك والمنهي التوجه
اليها بحيث يفوت القيام بحق العبادة الا ترى الى قوله في معرض المدح رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
لا سيما الهم الحسيس بالشريف وانفقوا مما رزقناكم بعض ما رزقناكم
من قبل ان يأتي احدكم الموت امارأته ومخايله فيقول رب لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين فعلى العاقل المبادرة الى التصدق
اذ كل لحظة يصدد الموت ولا يغتر بالصحة اذ كم صحيح مات وكم سقيم عاش
قال نجيبين من سقمي صحتي هي العجب وقرأ ابو عمرو اكون بالنصب عطفا على
لفظ فاصدق وهو الاظهر لاجتياح الجزم الى التقدير اي ان اخرتني اصدق
واكن ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها انتهاء عمرها والله خبير
بما تعملون فاختاروا لانفسكم ما شئتم وقرأ ابو بكر بياء الغيبة نظرا
الى اولئك هم والخطاب كقوله لا تلهكم وهذا اشد تهديدا تمت سورة المنافقين
والحمد لله رب العالمين والصلوة على صفوة المرسلين واله وصحبه اجمعين

الا ترى انها للذين امنوا الى آخر الثلاث وهي ثمان في عشر ما بعدها
بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم
الكلام في مثله له الملك وله الحمد قدم الظرف لتأكيد الاختصاص
وقاية الشبهة يا سبا فان قلت اذا اختصت المحامد به فما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله قلت الكلام في حقيقة
الحمد واما احد غيره فلجريان نعمة الله على يده فهو حمد لله حقيقة وهو
على كل شيء قدير كامل القدرة لا يعاوقه عاوق ولا يستعصي عليه شيء
دليل على الاختصاص هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن
بالتخيير اي كلكم لا بخير فمن رأى خيرا فليحمد الله ومن رأى شرا فليستغفر الله
والله بما تعملون بصير مشاهد فيجازي عليه خلق السموات والارض
بالحق بالحكمة البالغة مرتبا اسبابها على مسبباتها وصوركم فاحسن
صوركم خصكم بالحسن الصوري بين المخلوقات ليس فيها اشاقه قداه
ولا اصباحه خلقه وانظر ان شئت العجب في تركيب بنانه وجواهر اسنانه
وقوس حاجبه وبنات اهدابه بديعا اودع من القوى المدبرة ولذلك كان

نسخة عالم الملك والملكوت وإليه المصير فيسئلكم عن التقصير والتقطير
فاشكروا نعمه واحذروا عذابه ونقمه يعلم ما في السموات والأرض ويعلم
ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور بمضمراتها فضلا
عن السر والعلن فاستعملوا في عباده نكم ظواهركم وطهروا سرائركم و
اخلصوا ضمائركم لتحمدوا عواقبكم ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل
قبلكم اي كفار مكة بلى قد أتيكم فذاقوا وبال أمرهم وخامة كفرهم
في الدنيا بالاستيصال ولهم عذاب أليم في الآخرة ذلك المذكور
من عذاب الدارين بأنه بان الشان كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
فقالوا أبشر يهدوننا ينكرون كون البشر رسولا لامتكم يطلق على الواحد
والجمع فكفروا بالرسل وتولوا اعرضوا واستغنى الله بليغ الغناء
عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني في ذاته وصفاته وافعاله
حميد ذاتا وصفة وفعلا دلت على ذلك ذات الكون زعم الذين كفروا
أن لن يبعثوا اي كفار مكة أو هم ومن حملوا على الاعتبار بهم الزعم بمعنى
العلم وان مع ما في حيزها قائم مقام المفعولين قل بلى تبعثون وربي
لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله
يسير لغناه عن الآلات ودورانه بين الكاف والنون فامنوا بالله و
رسوله اليكم والنور الذي أنزلنا القرآن والله بما تعملون خبير
لا يخفى عليه منه شيء يوم يجمعكم لميعاد يوم القيامة ليوم الجمع
على الله يسير وقوله فامنوا اعتراض لا محل له لتأكيد القدرة والثاني مما
سيق له الكلام من الحث على الايمان به وبالقرآن وبمن جاء به وبما تعملون
خبير من تتمة الثاني او نصب باذكر لتوفر الجمع ليوم تجمعكم
فيه والاولان اللام للتعليل كقوله أعدد لذلك لهذا اليوم ذلك يوم
التغابن هو الذي يغبن المأجور فيه بزيادة والكافر بمضاعفة العقاب
وكل الاشقياء وكان لا يغبن الا ذلك فقد ذلك عرفي واطلق لكونه هائلا
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قرأ نافع وابن عامر
الفعلين بالنون التفاتا وهو ابلغ في الترغيب والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها غير لا محل لها من الاعراب اشارة الى سبق
رحمته وبئس المصير مصيرهم الا بإذن الله بتقديره كقوله الا في كتاب من قبل أن
نبرأها ويدخل فيها كفر الكافر اولا اذ لا مصيبة اعظم منها ومن يؤمن

بالله يهد قلبه بشبهة ان ابتلاه صبر وان اعطاه شكر وان ظلمه احد غفر
ومن كان قابلا مستعدا للايمان يوفقه يؤيده والله بكل شيء عليم
يعلم من هو اهل للهداية واطيعوا الله واطيعوا الرسول لان عصيانهما
اعظم المصايب فان توليتم اعرضتم فانما على رسولنا البلاغ المبين
الواضح وقد وفى به الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لعلمهم ان لا مؤثر في الكون غيره وفيه حث لرسول الله والمؤمنين على
التشمير لما ينصبهم من اذى الكفار يا أيها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم لانه يتلهى به عن امر الدين كقوله لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم وفي الحديث الولد محبنه مبخله فاحذروهم خذوا حذركم
ولا تغفلوا عن العدو وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في اناس اردوا
الهجرة منعهم نساؤهم واولادهم فلما هاجروا بعد بررهة وجدوا الناس
قد فقهوا في الدين تعاضبوا وهموا بالانتقام منهم فنزلت وان تعفوا
وتصفحوا وتغفروا العفو محو الجريمة عن الخاطر والصفح الاعراض والغفران
الستر كان لم يكن ولما كان الصبر على اذى من احسنت اليه اشق وابعث
على الانتقام جمع بين الثلثة فان الله غفور رحيم انما اموالكم و
اولادكم فتنة ابتلاء لينظر هل تؤثرون محبتهم على طاعة الله
والله عنده اجر عظيم حث على ايثار طاعته فاتقوا الله ما استطعتم
ما بلغه جهدكم اذ لا تكليف فوق ذلك فنسخت قوله اتقوا الله حق تقاته
واسمعوا الاولى لامر واطيعوا اوامره ان لم يكن معصيته اذ لا
طاعة لمخلوق في معصية الخالق وانفقوا خيرا لانفسكم نصب خيرا بكن
اي ان تنفقوا يكن خيرا لكم او صفة مصدر او بفعل مقدر اي ائتوا والقرينة
كون السوق كلها في ايتيان الخير ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
الفائزون ان تقرضوا الله قرضا حسنا عن طيب نفس خالصا لوجه الله
والتعبير عن الصدقة بلفظ القرض تلطف في الطلب يضاعفه لكم
بالواحد عشرة الى سبعمائة الى ما لا يعلمه غيره ويغفر لكم ما فرط لان الحسنات
يذهبن السيئات والله شكور يقابل القليل بالكثير حليم لا يعاجل
بالعقاب عالم الغيب والشهادة على سواء حث على الاخلاص وهو العزيز
الغالب لا مانع لعطائه الحكيم في كل ما دبر ومن والحمد لمن اعطى وشكر
والصلوة على المبعوث من مضر وآله وصحبه ذوي العلى والخطر

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن
ناداه أولا لأنه سيد القوم وإمامهم وفيه إجلال له وإشارة إلى أنهم لا
يقدرون الأعن رأيه والمعنى إذا أردتم الطلاق كقوله إذا قمتم إلى الصلوة
وله نظائر تنزيلا للمشرف على الشيء منزلة المباشر والطلاق المأمور به أن
يكون في طهر لم يجامع فيه أو حامل استبان حملها واللام للتوقيت فالذي
يقول إن الأقراء الأطهار فلا إشكال عنده والذي يقول بالحيض يقدر
مستقبلات كقولك جئتك لليلة بقيت في الشهر روى البخاري عن ابن عمر
أنه طلق امرأته وهي حائض فسأل عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فغيظ منه وقال مره فليراجعها فإذا طهرت ثم حاضت ثم طهرت
فليطلقها إن شاء فإن قلت إذا كان الغرض إيقاع الطلاق في الطهر فما معنى
تكرار الطهر في الحديث قلت أن لا يكون الرجوع للطلاق ولان طول المدة
عسى تؤثر في تبدل الحال والطلاق أنكر المباحات فاحتيط لذلك وقوله مره
فليراجعها دل على وقوع الطلاق في الحيض وإطلاقه دل على أن الثلث في دفعة
لا بدعة فيها وما روى أن رجلا طلق امرأته ثلثا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتلعبون بكتاب الله لا أصل له ولا ذكر الثلث في كتاب الله في معترض
الذم واحصوا العدة واحفظوها واتقوا الله ربكم في التطويل في العدة
والاضرار بالنساء لا تخرجوهن من بيوتهن مساكنهن إلى انقضاء العدة
ولا يخرجن أيضا استقلالا وإن اذن الأزواج لان ذلك حق الشارع ليس
لأحد إسقاطه إلا أن يأتين بفاحشة مبينة هي الزنا أو النشوز بأن طلقت
وهي ناشزة لان النشوز يسقط الحق حال الوفاق فأولى أن تسقطه حال الفرقة
فالاستثناء راجع إلى الامرين أو البذاء وإيذاء الزوج فيرجع إلى الأول
وتلك حدود الله الأحكام ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه عرضها
لسخط الله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا الرغبة في المطلقة و
الندم على فراقها واستدل الامام أحمد على أن المبتوتة والمتوفى عنها زوجها
لا سكنى لها فإذا بلغن أجلهن شارفن آخر العدة فأمسكوهن راجعوه
إن شئتم بمعروف بحسن عشيرة لئلا يؤدي إلى فراق آخر أو فارقوهن
بمعروف بإيفاء حق وانقضاء ضرار بأن تراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة
وأشهدوا ذوي عدل منكم عند الفراق والرجعة لانه أبعد عن الريبة
وأقطع للنزاع أو ندب وعن الشافعي رحمه الله قول بالوجوب في الرجعة
وأقيموا الشهادة لله أدوها من غير ميل ولا غرض إياها الشهود ذلكم
المذكور من إيقاع الطلاق على وجه السنة وإحصاء العدة والكف عن

الاخراج وإقامة الشهادة وقيل إشارة إلى الاخير والاول أوجه لقوله
يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر سيما وأنا جعل ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب اعتراضا مؤكدا لتلك الأمور
وإن كان الأوجه أن يكون استطرادا لا على أن التقوى ملاك الأمر به
بسط سعادة الدارين ويتناول أمر الزوجين أول تناول عن ابن إسحق أن عوف
ابن مالك الاشجعي أسر ابنه فشكى إلى رسول الله الفاقة فأمره بالصبر وكثرة
قول لا حول ولا قوة إلا بالله فلم يلبثا بوشك الا وهو بالباب يناديهما ومعه
شرح القوم وقد اساقها فنزلت ومن يتوكل على الله في أموره فهو حسبه
كافيه إن الله بالغ أمره الذي يريده ولا يفوته قرأ حفص بالاضافة
قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا وتوقيتا لا يتقدمه ولا يجاوزه وفي
الحديث يستجاب لاحدكم ما لم يتعجل ويقول دعوت فلم يجب لي واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم روى ابن جرير عن أبي بن كعب أنه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن عدة النساء التي لم تذكر في الكتاب فنزلت
والآيسة هي التي انقطع دمها لكبر السن واختلف القراء في اللائي يقدم
في الاحزاب إن ارتبتم جهلتم وشككتم في عدتهن فعدتهن ثلثة
أشهر واللائي لم يحضن من الصغر وأولات الأحمال طلقن ونوعها
زوجها أجلهن أن يضعن حملهن ذهب علي وابن عباس رضي الله عنهما
إلى أن عدة المتوفى زوجها أبعد الاجلين من أربعة أشهر وعشر ومدة الحمل
للتعارض من غير بيان آخر أحدهما وذهب ابن مسعود رضي الله عنه إلى أن هذه
الآية ناسخة لآية البقرة في قد رمانتا وأولته من الحوامل وقال من شاء
باهلته أن سورة النساء القصرى بعد التي في البقرة والعام المتأخر
ناسخ للخاص المتقدم فأولى إذا كان العموم من وجه ويؤيد قول ابن مسعود
رضي الله عنه ما روى البخاري أن سبيعة الاسلمية كانت تحت سعد بن
خولة توفي زوجها وهي حامل فوضعت بعده بأربعين يوما فأنكحها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأما كون العموم هنا بالذات وهناك بالعرض
وكون الحكم معللا مما لا يجدي مرجحا ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا
ييسر عليه أمره ذلك أمر الله أنزله إليكم لتعلموا بموجبه ومن يتق
الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا يوم الجزاء ولقد بالغ في أمر النساء
بالحث على التقوى مرارا وذلك لضعفهن ونقصان عقلهن وما يبدو منهن
مما يوجب التفرة والغضب وفي آخر خطبة خطبها رسول الله صلى الله
عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا خلقن من ضلع اعوج إن ذهبت تقيمه

كسرته اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ما تعدون عليه الوجد
الوسع ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن فيخرجن الى الخروج وان
كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن تعميم الاسكان
وتخصيص الانفاق باولات الاحمال دليل ظاهر للشافعي رحمه الله على
ان المبانة لا نفقة لها وللحنفية ان هذا مفهوم لا يعارض ما روى
عثمان وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها السكنى والنفقة
وفائدة التقييد دفع وهم من يذهب الى ان المدة اذا زادت على اربعة اشهر
وعشر لا يستحق الزيادة فان ارضعن لكم بعد انقطاع النكاح فاتوهن
اجورهن على الارضاع معتد بغير للبناء الذي به البقاء غالبا وائتمروا
بينكم بمعروف اتفقوا على امر الولد بلا مشاقة ولا تضار والدة بولدها
ولا مولود له بولده وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امراة
وفيه معاتبة للام وحث على المسامحة لينفق ذو سعة من سعته ومن
قدر عليه رزقه فلينفق مما اتيه الله كل من الموسر والمعسر على قدر حاله
لا يكلف الله نفسا الا ما اتيها من المال سيجعل الله بعد عسر يسرا
وعد للفقراء بان الحال تتبدل كقوله ان مع العسر يسرا وحث على الانفاق
بقدر الطاقة وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحل بهم باس
الله تعالى فحذركم بعد بيان ما حمل من الاحكام اشار الى ان اهل قرى كثيرة
عاندوا واشتغلوا عن امتثال اوامره فرأين كثيرا كاء على وزن فاع فاشتد
حسابا شديدا اهلكناهم لقوله صلى الله عليه وسلم من نوقش في الحساب
هلك وعذبناها عذابا نكرا كالخسف والغرق فذاقت وبال امرها
وخامة الامر الذي خالفته وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه
اعد الله لهم عذابا شديدا يوم القيمة وقيل الحساب والعذاب يوم القيمة
والتعبير بالماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة لان المترقب من وعده و
وعيده كالكائن وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد فاتقوا
الله بعد هذا البيان يا اولي الالباب العقول الخالصة الذين امنوا
قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا الذكر القرآن ورسولا بدل منه بدل
الاشتمال والمراد به جبرائيل او الشرف فيدل كل وجه ان يراد محمد عليه
السلام او نصبه باضمار رسل مقدرا دل عليه الانزال وهذا هو المناسب ويدل
ويدل عليه قوله يتلو عليكم ايات الله مبينات لان تلاوة جبرائيل
عليهم تجوز وجعل الخطاب شاملا له وللمؤمنين تكلف ليخرج الذين
امنوا وعملوا الصالحات اي ليخرجكم والاتيان بالظاهر للاشارة

الى فائدة الارسال من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا قرا نافع وابن عامر بالنون وهو ابلغ في الوعد قد احسن الله
له رزقا اي رزق فيه تعجيب الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن سبع ارضين ايضا روى البخاري عن سعيد بن زيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من غصب شبرا من الارض طوقه من سبع ارضين
وفي الحديث ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة
في فلاة وحملها على الاقاليم باطل يتنزل الامر بينهن اي قضاء الله
بالاماتة والاحياء وسائر احكامه لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او لتنزل او لمقدر يعمها
فان كل واحد يدل على كمال القدرة تمت سورة الطلاق والحمد لملك الخلاق
والصلوة على الكامل بالاتفاق وآله وصحبه الى يوم التلاق

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اضطربت الرواية
في سبب نزولها وما الذي اوجب تحريم ما احل وما المحرم روى البخاري عن عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على زينب فشرب
عندها عسلا فتواطئت انا وحفصة على ان ايتنا دخل عليها فلتقل له نجد منك
ريح مغافير وكان يكره الرائحة الكريهة فدخل على حفصة فقالت له ذلك
فقال شربت عسلا عند زينب وقد حلفت لا اعود اليها فلا تخبري احدا وفي
رواية عن عائشة رضي الله عنها ايضا ان التي سقته هي حفصة وعائشة
وسودة رضي الله عنهما اللتان تواطاتا وروى النسائي عن ابن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصاب مارية في يوم حفصة في بيتها فقالت
ان رسول الله في يومي وفي بيتي فقال قد حرمتها فلا تكولي لاحد فذكرته لعائشة
تبتغي مرضات ازواجك حال او تفسير يفيد زيادة تبجين او استيناف كانه
قيل ما وجه العتاب وقد تقدمه في ذلك الانبياء كقوله الا ما حرم اسرائيل
على نفسه فقيل يجل مثله عن طلب مرضات النساء في ترك ما اباحه الله
فالمنكر هو الباعث لا التحريم والله غفور رحيم اعطاك ما لم احدا من العالمين قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم بينها
لكم بشرعية الكفارة فانا حلف احدكم على فعل ورأى غيره خيرا فليأته وليكفر
او شرع استثناء اليمين بان يقول في حلفه ان شاء الله واستدل به الامام

احمد على ان من حرم شيئا ثم فعله يلزمه الكفارة وليس فيه دليل لما قد رواية
البخارى حلفت والله مولاكم متولى امورکم وهو العليم باحوالكم
الحكيم المتقن فى احكامه فبادروا الى ما امرتم به واذ اسر النبى الى بعض
ازواجه هى حفصة او سودة حديثا تحريم العسل او مارية وما قيل
من ان الخلافة بعدى لابى بكر وعمر منكر فلما نبأت به واظهره الله عليه
اطلعه على افشائه عرف بعضه واعرض عن بعض عرفه غدار ما علمت
اطلاعه واعرض عن الاستقصاء على ما هو ذاب الكرام وقرأ الكسائى عرف
مخففا اى جازاها على البعض اطلاقا للسبب على المسبب كقوله وما تفعلوا
من خير يعلمه الله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا تعجبا لبناء الامر
على الكتمان بينهما قال نبأنى العليم بالاشياء الخبير ببواطنها ان
تتوبا الى الله عايشة وحفصة او سودة فقد صغت قلوبكما انحرفت لكما
التوبة لوجود موجبه وهو مثل قلوبكما الى مخالفة الرسول والتفت اليهما
مكافحا زيادة توبيخ وان تظاهرا عليه مرة اخرى وقرأ الكوفيون بالتخفيف
بحذف احدى التائين فان الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين اى فلن يعدم
مظاهرا من هذا نعته وهو الله ورؤس الكر وبيت الذى ينبا شر عقاب المخالف
وصالح المؤمنين الذين هم اعوانه واتباعه والملائكة بعد ذلك ظهير
عطف على قوله ان الله مولاه وما عطف عليه وفى بعد ذلك دلالة على ان
وجود نصرة الله له وان تنوعت اقواها نصرة الملائكة وفيهم جبريل
لان افراده بالذكر ولعلو شانه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا
خيرا منكن عن انس رضى الله عنه ان عمر رضى الله عنه اجتمعت نساء النبى
فى الغيرة قلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا منكن فنزلت وقرأ
نافع وابو عمرو ان يبدله بالتخفيف والتشديد يبلغ مسلمات منقادات
اوامره مؤمنات بان مخالفته عصيان قانتات طايعات تائبات
عن الذنوب عابدات مذللات الاخلاق سائحات صائمات لما فى
الحديث سياحة امتى الصيام وقيل مهاجرات ثيبات وابكارا ادخل الواو
هنا دون سائر الصفات لانهما متنافيان فلا بد من العاطف يا ايها
الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصى واهليكم ايضا بان مروهم
بالطاعات وتنهوهم عن المعاصى وفى الحديث كلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته نارا وقودها الناس والحجارة حجر الكبريت يتقد بهما كما يتقد
غيرها بالحطب عليها ملائكة الزبانية تسعة عشر غلاظ الاخلاق
شداد القوى لا يناخذهم فى تعذيب اعداء الله رافة لا يعصون الله ما

ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فى المستقبل او يقبلون الاوامر
ويأتون بموجباتها يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم يقال لهم حين
يساقون الى النار اذ لا عذر لهم او لانه لا يقبل الاعتذار انما تجزون
ما كنتم تعملون جزاؤه يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله بالاقلاع عن
الذنب والندم على الماضى توبة نصوحا النصح لغة خلوص كل شئ يقال
عسل ناصح صاف والنصوح صيغة مبالغة منه اى بالغ فى الصفاء عن
شوب الذنوب ويجوز ان يكون من النصح بفتح النون اصلاح الثوب بعد الخرق
وفى الحديث من اغتاب خرق ومن استغفر رفاه فهى ينصح صاحبها او تدعو
غيره الى التوبة لظهور اثارها على الاسناد المجازى وفسرها خيرا الامة
باليقين بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالجوارح والاستمرار
على الترك وقرأ ابو بكر بضم النون مصدرا بمعنى ذات خلوص عسى ربكم
ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار اردف
التوبة التصوح بعسى على تاب الملوك واشعارا بان لا وجوب بل تفضل منه
يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه ظرف ليدخلكم ومعنى المعية
الاجتماع فى الايمان لا فى الزمان نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
استيناف للتعريض بمن نافاهم وقيل خبر للذين امنوا وليس بوجه يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا اذا طفئ نور المنافقين قد انطفى يعتريهم الخوف
على ما هو مقتضى البشرية وان كانوا جازمين بالاتمام والنجاة او هو قول
من يكون نوره ضعيفا فان الانوار على قدر الاعمال فيسئلون اتمامه
تفضلا او يقولون ذلك على وجه التقرب والتلذذ كسائر الاذكار فى
الجنة يؤيده قوله واغفر لنا انك على كل شئ قدير اذا عطف النور
انما هو بعد الغفران يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
بالحجة والسيف لان الرفق قد بلغ مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير
مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط مثل
الله حال الكفار فى عدم الانتفاع بما لهم مع الانبياء والمؤمنين من العلاقة
ضمها وسببا بحال المرائين كانتا تحت عبدين من عباد نا صالحين من عبادنا
عن سائر العباد بالصلاح والرقى فخانتاهما فى الدين لا فى الفجور لانها
فاشت النبى ولا عار عليه فى كفرها فلم يغنيا عنهما من الله شيئا بسبب
من الاغناء وقيل ادخلا النار مع الداخلين الذين لا علاقة بينهم وبين
الانبياء وفيه تهديد للتين تظاهرا على رسول الله لا سيما التى افشت
سره كامراة لوط حين دلت على ضيافه واشارة الى ان شرف صحبته

إنما تفيد زيادة الكرامة اذا نصحت لله ولرسوله وضرب الله مثلا للذين
آمنوا امرأة فرعون اعدى عدو الله هي آسية بنت مزاحم إذ قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ومعنى عندك مرتفع الدرجة كقوله عند ملك
مقتدر ونجني من فرعون وعمله من عذابه والابتلاء بعمله قيل لما علم
بإيمانها هدد ها لترجع فابت وتدلها أوتادا فربطها وارسل عليها الحيتان
ونجني من القوم الظالمين هم القبط اتباع فرعون ومريم ابنت عمران
التي احصنت فرجها عطف على امرأة فرعون جمع في المثل بين ذات الزوج
والتي لا زوج لها تسلية للاراملة وحثا لهن على المحافظة وتحصين الفروج
فنفخنا فيه في الفرج هو نفخ جبرائيل والاسناد اليه للتشريف من روحنا
مخلوق بلا واسطة وصدقت بكلمات ربها باحكامه أو الصحف المنزلة
عبر بها عنها لقصرها وكتبه وقرأ غيرابي عمرو وحفص وكتابه مفردا على
ارادة الجنس أو الانجيل والمؤمن به حقا مؤمن بسائر الكتب وكانت من
القانتين من جملة العابدين غلب التذكير اشارة الى ان طاعتها لم تقصر
عن طاعة الرجال الكمل ويجوز ان يكون من ابتدائية لانها كانت من اعقاب
هرون ليكون مدحا لها بشرفا لنسب بعد مدحها بكرم الحسب وروى مسلم
والبخاري رحمهما الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال
كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة
بنت خويلد وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وفيه
دليل ظاهر على ان عايشة افضل النساء على الاطلاق ولان الرفعة وعلو
الشان انما هو بالعلم ولهن بذلك كثير من الرجال فضلا عن النساء تمت
سورة التحريم ولله الحمد من فضله عميم والصلوة على النبي الكريم واله وصحبه ذوي الفضل الجسيم

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك تعالى وكثر خيره ودام
من في قبضته الملك المطلق ذكر اليدمعه مثل لاستيلائه عز الكل وافتقار
الكل اليه وهو على كل شيء قدير مما يصح ان يكون كذا او لم يكن مما يطلق
عليه اسم الشيء كالدليل على تلك الاحاطة والاستيلاء والافتقار
الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة واعدمها وقدم الموت
لانه اقوى شيء دعا الى العمل وفي الحديث كفى بالموت واعظا وفيه اكثر وقد
اذكرها هادم اللذات ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعاملكم معاملة من
يبلو ويختبر وايكم احسن عملا الجملة في محل النصب مفعول ثان للبلوى

المتضمن معنى العلم وليس من باب التعليق لانه مشروط بايقاع الجملة
موقع المفعولين وقد تقدم المفعول الاول لاستفهام فانتفى الشرط
روى مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احسن عملا اتم
عقلا من الله واورع عن محارمه واسرع طاعته وهو العزيز الغالب
الغفور للذنوب ترهيب وترغيب للعاصي في التوبة الذي خلق سبع
سموات طباقا بعضها فوق بعض مصدر طابق النعل او وصف
بعضها فوق بعض ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي في خلقهن صفة
مفوية لطباقا وانما اقام الظاهر مقام المضمر تعظيما ودلالة على ان
سبب سلامتها صدورها من الموصوف بنهاية الرحمة واشارة الى ان
كونها مبدعة على تلك الصفة كما دل على كمال الاقتدار يحتمه من جلايل النعم
ما لا يحصى وقرأ حمزة والكسائي من تفوت عن سيبويه وابي زيد انهما بمعنى
كتعاهد وتعهد فارجع البصر ثانيا لان النظرة الاولى جمعاء هل
ترى من فطور من شقوق جمع فطر كسبد وبدور ثم ارجع البصر كرتين
ثم بعد النظرة الثانية داوم على النظر متفحصا اخواتها ملتمسا حللا
التثنية للتكرير مثل لبيك ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير
بعيدا كالمطرود عن وجدان الخلل كليلا اذا تعب في الطلب ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح هذا دل على كمال الاقتدار من كونها ملساء مستوية
والمصابيح النجوم المضيئة في الشفيف المرفوع كالسرج في سقوف البيت
والدنو بالنسبة الى من في الارض وكونها زينة لها لا يقتضي ان يكون مركوزة
فيها وجعلناها رجوما للشياطين بانفصال الشهب منها كما تشاهد
المقتبسة وعليه يحمل انقضاض الكوكب في الحديث واشعار العرب لا بكونها
رسية السماء يقتضي استمرارها وقيل معناها رجوما اي ظنونا للشياطين الا بد
اي سببا لظنونهم التي يرمون بها الغيب جمع رجم بالفتح مصدر سمي به ما يرجم
واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة مستطرد لذكر الشياطين والذين
كفروا بربهم بعد هذه الدلائل النيرة عذاب جهنم وبئس المصير
جهنم او عذابه اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمار
اما منها او ممن تقدمهم وهي تفور فوران المرجل تكاد تميز من الغيظ
تمثيل لشدة اشتعالها واشتمالها بالنار او بخلق الله فيها ادراكا كما يدل
عليه ظاهر النصوص كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير
ينذركم عذابي اليوم سؤال توبيخ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا الذين
وقلنا ما نزل الله من شيء قط ان انتم الا في ضلال كبير كلام الكفار

للنذير لانه مصدر وصف به الجمع مبالغة فى إنذارهم كرجل عدل أو يقدر مضاف أى أهل إنذار أو من كلام الخزنة على طريق حكاية ما كانوا عليه أو الضلال الهلاك او سمى عقابه باسمه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل سماع تفهم وتدبر او نعقل نتأمل آيات الآفاق والانفس ونستدل بها على ان الانسان لم يخلق سدى ما كنا فى أصحاب السعير فى جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفع الاعتراف فسحقا لاصحاب السعير بعدا لهم اى سحقهم الله اسحاقا حذف منه الزائد كانبت نباتا وقرئ بضم الحاء على انها لغة إن الذين يخشون ربهم ذكر الكفار كان بالعرض لان الذى سيق له الكلام بيان حال من هو احسن عملا كأنه قيل ما حال من سيق له الكلام فاثبت لهم كمال العلم الذى اشير اليه بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وكمال التقوى بقوله بالغيب بالغاب عنهم او غائبين عنه او بالغايب المحفى وهو القلب لهم مغفرة لما فرط منهم وأجر كبير لا يسعه تصورهم وأسروا قولكم او اجهروا به خطاب عام كما فى ليبلوكم اى تعبوه فى السر والعلن لا يستوا بهما فى علمه حث للخاشى على الاستدامة والترقى الى حق الخشية وللغافل المغير على الانابة ويجوز ان يكون التفاتا الى اصحاب السعير لما روى ان المشركين كانوا يقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فيخبره إنه عليم بذات الصدور بضمائرها فضلا عن الصادر عنها سرا وجهرا ألا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من خلق الاشياء كلها وهو اللطيف الدقيق فى صنعه دقت حكمته فى كل شئ الخبير ببواطن الاشياء وحذف المفعول من خلق للتعليم ولا يجوز ان يكون من قبيل يعطى ويمنع لارتباطه بما تقدم من حديث السر فلا بد من ملاحظة المفعول ويجوز ان يكون من مفعولا وفى يعلم ضمير الرب اى لا يعلم الله مخلوقه وهذا شانه والاول اوجه لاقامة الظاهر مقام المضمر ولكونه ادل على المحذوف ولعموم المقدر المتناول له تناولا اوليا هو الذى جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم سلوكها فامشوا فى مناكبها فى جوانبها مثل فى فرط التذلل لان منكب البعير ارق شئ فيه وابناه عن وطئ الراكب بقدمه فاذا ذل ذلك فقد بلغ التذليل غايته وقيل مناكبها جبالها فالاستعارة فى لفظ المنكب وكلوا من رزقه ما اخرج منها قواتا وثمارا واليه النشور فاجتهدوا فى الشكر فانه يسألكم عنها ءامنتم من فى السماء ملكوته وسلطانه او نفسه على زعم جهلة العرب وقيل الملك الموكل للعذاب وليس بوصين

أن يخسف بكم الارض كما خسف بقارون مقابل لقوله فامشوا بدل اشتمال من من فاذا هى تمور تضطرب فى ذهاب ومجئ من هيبة الله وشدة غضبه أم امنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا ريحا فيه الحصباء والاحجار كقوم لوط مقابل لقوله وكلوا من رزقه ولقوله وفى السماء رزقكم فستعلمون كيف نذير انا شاهدنا المنذر به ولقد كذب الذين من قبلهم قبل قريش فكيف كان نكير انكارى بالاتلاف قد شاهدوا آثاره وتواتر عندهم خبره ما لم يشاهدوه أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن فى الجو فانها انما بسطت الاجنحة صفت القوادم ويقبضن لم يقل قابضات لان الطيران كالسباحة الاصل فيه المد والقبض تارة وتارة والفعل دال على التجدد والحدوث ما يمسكهن إلا الرحمن بليغ الرحمة بأن خلقها على وضع وهيأة يتمكن بها من الطيران بأن جعل لها القوادم تشق بها الريح والذوانب يشدها والاذناب يقيمها كما فى السفن إنه بكل شئ بصير عليم عيانا لا يخفى عليه شئ مما يدهش الفطن وفى ذكر غقيب الخسف وارسال الحاصب اشارة الى ان من هذا شانه ذاك اهون شئ عنده وايماء الى ان دافع العذاب عن هؤلاء مع موجباته وتكامل اسبابه منهم انما هو تأليل الرحمة البالغة التى امسكت الطير فى الهواء أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن متعلق بحديث الخسف لان قوله ولقد كذب اعتراض ليشد من عضد التحذير وكذا قوله أولم يروا تصوير لقدرته الباهرة والمعنى أم الذى يقال فيه هذا الذى هو جند لكم امنكم من عذاب الله على ان أم منقطعة والاستفهام للتهكم والمشار اليه لفظ جند مقدرا واصنامهم من مبتداء وهذا خبره والموصول صفة هذا او ينصركم وصف جند محمول على اللفظ إن الكافرون إلا فى غرور مستمرون فى الغفلة أمن هذا الذى يرزقكم اى أم الذى يقال فيه هذا الذى يرزقكم إن امسك رزقه اى الله تعالى بامساكه اسبابه من المطر والانبات متعلق بارسال الحاصب بل لجوا فى عتو تمادوا فى العناد ونفور واعراض وهذا ادل على غرائبهم فى الكفر من قوله الا فى غرور كما ان توهم الرزق من الاصنام اومن جند من تخيل النصر منها أفمن يمشى مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وعدوه من التواد لان القياس كون المجرد مطاوعا للمزيد وقيل ليس من ذلك بل المعنى صار ذا كب كاغد البعير ومعنى مشيه مكبا على وجهه يقع تارة ويقوم اخرى على

ماشيا فى غير الطريق او لكونه اعمى لا يبصر امن يمشى سويا على صراط
مستقيم هذا مثل ضربه للكافر والمؤمن فان الكافر فى ظلمات الشبه
والشكوك كمن لا يرى جهة قصده او يسلك مكانا وعرا فهو بين قيام
وسقوط والمؤمن فى نور ايمانه كمن يرى مواطئ قدميه او كمن سلك طريقا
جادة سهلة السلوك وان شئت شبهت الدينين بالمسلكين قل هو الذى
انشأكم من تراب وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الآلات
الادراك واى بعد ابعد مما بين التراب وهذه الامور قليلا ما
تشكرون يصرفها الى ما خلقت له فلا سمعتم سماع تفهم ولا نظرتم
نظر اعتبار ولا تدبرتم فى دلائل الانفس والآفاق قل هو الذى
ذرأكم فى الارض بثكم فيها متمكنين من اى تصرف شئتم واليه
تحشرون للجزاء فتشمروا له ويقولون متى هذا الوعد اى الحشر والعذاب
كالخسف وارسال الحاصب ان كنتم صادقين الخطاب له ولمن آمن به
قل انما العلم عند الله لا يعلم ذلك غيره وانما انا نذير مبين فلما رأوه
زلفة الضمير للموعود وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه سيئت وجوه
الذين كفروا ساءتها رؤية العذاب وغشيها القترة وقيل هذا الذى
كنتم به تدعون تستعجلون من الدعاء الباء صلة او تدعون ان لا بعث
من الدعوى فالباء سببية قل ارأيتم ان اهلكنى الله اماتنى ومن
معى من المؤمنين او رحمنا بتأخير الاجال فمن يجير الكافرين من
عذاب اليم كما تؤمنون هلاكه كما قال الله تعالى نتربص به ريب المنون
اى نهلك الله كما تمنون انتم او رحمنا بالنصر عليكم كما نرجو نحن لا
مجير لكم من عذاب الله او نحن هدانا كم ودعاكم الى النجاة فان اهلك الله
هداكم كما تمنون او رحمهم عكس ما تمنون فمن يجيركم او نحن مؤمنون
وحالنا دائرة بين الاهلاك بالذنب والرحمة بالاغفران فما حالكم مع كفركم
وعلى الوجوه من بقاع المظهر موضع المضمر قل هو الرحمن آمنا به فتجربنا
من عذابه ولم يكفر مثلكم وعليه توكلنا لا على العدد والعدد مثلكم
فستعلمون من هو فى ضلال مبين منا ومنكم من كلام المنصف وقرأ الكسائى
بتاء الغيبة قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا فى الارض فمن
يأتيكم بماء معين جار ظاهر سهل المأخذ فان لم تعبدوه للحيوة الباقية
فاعبدوه للفانية فالكل منه واليه يرجع الامر كله فاعبدوه توكلا عليه
تمت سورة الملك والحمد لمن بيده البقاء والهلاك والصلوة
والسلام على خير الانام وآله وصحبه الى يوم القيام

بسم الله الرحمن الرحيم ن اسم السورة او من حروف الهجاء كما تقدم فى
نظائره وقيل اسم الحوت الذى على الارض المسمى بالبيهوت وقيل اسم
اللوح الذى كتب فيه القلم ما هو كائن وقيل اسم الدواة وفى الكل بعد
اذ الوجه اعرابه على ان ذكر الحوت مع القلم كذكر الضب مع النون فان قلت
اذا كان اسم السورة فلا تنكر سكون آخره فليكن كذلك اذا جعل اسم الدواة
او اللوح قلت قد سبق ان الحكاية فى هذه الحروف انما يصح اذا كانت اسماء
للسور للمح معانيها الاصلية ايقاظا لمن تحدى بها واقرب الوجوه ان تكون
اسما للدواة التى كتب منها القلم الكائنات وسكونه اجراء للوصل مجرى الوقف
والقلم هو الذى خلقه الله اول او جنسه اقسم به لشرفه لانه آلة
الكتابة وحيه وحكمه وما يسطرون ما يكتبه من يكتب من المعارف
او الحفظة من الاعمال ويجوز ان يكون ما مصدرية وان يراد بالقلم
اصحابه وهم كتاب وحيه وجملة شرايعه اقسم بهم وبمسطوراتهم او بسطرهم
وكتابتهم ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون
منعما عليك بما انعم من رزانة الرأى وحصافة العقل على ان الجار والمجرور
حال من المستكن فى بمجنون وهو العامل فيه والباء فيه زائدة فلا يمنع
العمل فيما قبله وان لك لأجرا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير
مجذوذ او خاليا من المنة والمعنى ان لك عندنا من الزلفى والمكانة زيادة
على اجر صبرك على اذاهم ما لا يستحق الا جران يمن به عليك وقيل ممنون
من الناس لانه من عطاء ربك وانك لعلى خلق عظيم وبه استوجبت
تلك الرتبة العظمى وعن قتادة رحمه الله قلت لعايشة رضى الله عنها
اخبرنى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن
وكذا عن سعيد بن هشام رحمه الله تعالى اشارت الى قوله خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين وروى البخارى عن عبد الله بن عمرو ان نعته
فى التوراة محمد عبدى سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا يجارى السيئة
بالسيئة ولكن يعفو ويغفر وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه كان رسول الله
اجود الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة
من رآه بديهة هابه ومن خالطه احبه فستبصر ويبصرون بأيكم
المفتون اى بأيكم المحن بالجنون الباء زايدة او المفتون مصدر كالمعقول
او الباء بمعنى فى اى فريق منكم يوجد من يستحق هذا الاسم والخطاب

وَإِنْ كَانَ مَعَهُ الْأَنَّ امْتَه دَاخِلَه تَبَعًا وَهٰذَا اَوْجَهُ الْاَوْجُه وَ لَا شِتْمَالِه
عَلَى التَّعْرِيضِ مَعَ سَلَامَتِه عَنْ اِسْتِعْمَالِ النَّادِد اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ اَيْ بِالْمَجَانِينِ وَهُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ الْعُقَلَاءِ اِشَارَةً اِلَى اَنَّ
الْجُنُونَ وَالْعَقْلَ بِهٰذَا الْاِعْتِبَارِ لَا بِمَا تَوَهَّمُوهُ فِي هٰذَا الزَّعْمِ مَجَانِينَ وَيَجُوزُ
اَنْ يَكُونَ وَعِيدًا وَوَعْدًا اَيْ عَلِمَ بِجَزَاءِ الْفَرِيقَيْنِ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ كَانُوا
يَدْعُونَه اِلَى عِبَادَةِ الْاَصْنَامِ وَقْتًا لِيَدْعُوهُ مِنْ غَوَايَاتِهِمْ اَوْ يَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
وَقْتًا وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ تَلِينُ لَهُمْ فَيُدْهِنُونَ فَيَلِينُونَ لَكَ اِلْقَاءُ الْمُدَاهَنَةِ
اَيْ وَدُّوا اِدْهَانَكَ فَيُدْهِنُوا بَعْدَ اِدْهَانِكَ اَوِ السَّبَبِيَّةُ اَيْ وَدُّوا لِوُتُدْهِنَ
فَهُمْ يُدْهِنُونَ حِينَئِذٍ اَوْ وَدُّوا اِدْهَانَكَ فَهُمُ الْاٰنَ يُدْهِنُونَ طَمَعًا فِيهِ
وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ كَثِيرِ الْحَلِفِ وَفِي جَعْلِهِ فَاتِحَةَ الْمَثَالِبِ وَاَمَامَ الْقَبَائِحِ
دَلَالَةٌ عَلَى اَنَّه شَرُّ الْخِصَالِ وَذٰلِكَ لِاَنَّه يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ اِسْتِشْعَارِ عَظَمَتِهِ
تَعَالَى مَهِينٍ حَقِيرٍ هَمَّازٍ عَيَّابٍ مِنَ الْهَمْزِ وَهُوَ الْكَسْرُ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ
اَلنَّمِيمُ وَالنَّمِيمَةُ نَقْلُ الْحَدِيثِ لِاِيقَاعِ الْفِتْنَةِ وَاِفْسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ مَنَّاعٍ
لِلْخَيْرِ شَدِيدُ الْبُخْلِ وَالْخَيْرُ الْمَالُ اَوْ اَهْلُه مِنَ الْخَيْرِ وَهُوَ الْاِيمَانُ ذِكْرُ الْمَمْنُوعِ
مِنْه دُونَ الْمَمْنُوعِ عَكْسُ الْوَجْهِ الْاَوَّلِ لِاَنَّ عَدَمَ ذِكْرِ الْمَمْنُوعِ مِنْه هُنَالِكَ اَوْقَعُ
مُعْتَدٍ ظَالِمٍ مُتَجَاوِزٍ الْحَدَّ اَثِيمٍ كَثِيرِ الْاٰثَامِ عُتُلٍّ جَافٍ غَلِيظٍ مِنْ عُتُلَّ
اِذَا قَادَه بِعُنْفٍ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ بَعْدَ مَا ذُكِرَ مِنَ الْمَثَالِبِ دَعِيٍّ لَا نَسَبَ لَه
وَهٰذَا كَمَا اِذَا عَدَدْتَ مَثَالِبَ اِنْسَانٍ ثُمَّ تَقُولُ وَبَعْدَ ذٰلِكَ لَا يُحِبُّ اَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ
رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا وَالزَّنِيمُ شَاةٌ لَه زَنَمَةٌ وَهِيَ مَا يُقْطَعُ مِنَ اُذُنِ الشَّاةِ مِنْ غَيْرِ اَنْ تَتَّصِلَ
فَيُتَدَلّٰى قِيلَ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ اِسْتَلْحَقَه اَبُوه بَعْدَ ثَمَانٍ فِي عَشْرَةٍ مِنْ مَوْلِدِه
وَقِيلَ بَقِيَتْ اُمُّه فَوَلَدَتْه مِنَ الزِّنَا وَقِيلَ هُوَ الْاَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ كَانَ مِنْ ثَقِيفٍ
وَعُدَّادُه فِي زُهْرَةَ وَلَيْسَ بِصَوَابٍ لِاَنَّه اَسْلَمَ مَعْدُودٌ فِي الصَّحَابَةِ اَنْ كَانَ
ذَا مَالٍ وَبَنِينَ اِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰيَاتُنَا قَالَ اَسَاطِيرُ الْاَوَّلِينَ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِه
وَلَا تُطِعْ اَيْ لَا تُطِعْه بَعْدَ هٰذِه الْمَثَالِبِ لِكَوْنِه ذَا يَسَارٍ وَحَظٍّ مِنَ الدُّنْيَا
اَوْ بِمَا دَلَّ عَلَيْه مَا بَعْدَه مِنْ مَعْنَى التَّكْذِيبِ لَا يُقَالُ لِاَنَّ مَا بَعْدَ الشَّرْطِ لَا يَعْمَلُ
فِيمَا قَبْلَه اَيْ كَذَّبَ بِاٰيَاتِنَا لِاَنْ كَانَ مُسْتَظْهَرًا بِالْمَالِ وَالْبَنِينَ مَغْرُورًا بِهِمَا
قِيلَ كَانَ لَه عَشَرَةٌ مِنَ الْبَنِينَ وَلَه مَالٌ وَافِرٌ وَيَقُولُ مَنْ اَمَنَ بِمُحَمَّدٍ مُنِعَ وَقُدِئَ
وَقَرَاَ حَمْزَةُ وَاَبُو بَكْرٍ بِالْاِسْتِفْهَامِ اِنْكَارًا لِطَاعَتِه لَه لِكَوْنِه ذَا مَالٍ وَكَانَ
ابْنُ عَامِرٍ لَا اَنَّه سَهَّلَ الثَّانِيَةَ بِزِيَادَةِ اَلِفٍ بَيْنَهُمَا لِهِشَامٍ وَلِابْنِ ذَكْوَانَ
بَيْنَ بَيْنَ سَنَسِمُه عَلَى الْخُرْطُومِ اَلْوَجْه اَشْرَفُ الْاَعْضَاءِ وَاَشْرَفُ اَجْزَائِه
اَلْاَنْفُ وَالْعَرَبُ عَلَى اَنَّ الشَّرَفَ يَظْهَرُ فِي الْاَنْفِ يَقُولُونَ فُلَانٌ بِه شَمَمٌ وَالْقَوْمُ

شَمُّ الْعَرَانِينِ وَفِي وَصْفِه صَلَّى اللّٰه عَلَيْه وَسَلَّمَ اَشَمُّ الْعِرْنِينِ فَالْكَيُّ عَلَى الْاَنْفِ
اِهَانَةٌ وَاِذْلَالٌ يَجُوزُ اَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً اَوْ كِنَايَةً عَنِ الْاِذْلَالِ وَالتَّعْبِيرُ
عَنْه بِالْخُرْطُومِ زِيَادَةُ تَسْوِيَةٍ لِاَنَّه لَا يُسْتَعْمَلُ اِلَّا فِي الْفِيلِ اَوِ الْخِنْزِيرِ رُوِيَ
قِيلَ اَنَّه خَطَمَ يَوْمَ بَدْرٍ فِيلًا فِي سِمَةٍ عَلَى خُرْطُومِه سَهْوًا لِاَنَّ الْوَلِيدَ مَاتَ قَبْلَ
بَدْرٍ وَاَبْعَدُ مِنْه مَا نُقِلَ عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ اَنَّ الْخُرْطُومَ هُوَ الْخَمْرُ وَمَعْنَاه سَنَحُدُّه
عَلَى شُرْبِهَا اِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا اَصْحَابَ الْجَنَّةِ اَيْ اَنَا اَحْبَبْنَا اَهْلَ مَكَّةَ بِاِرْسَالِ
مُحَمَّدٍ نَقِمَةً عَلَيْهِمْ فَلَمَّا كَفَرُوا بِه سَلَّطْنَا عَلَيْهِمُ الْقَحْطَ كَمَا اَحْبَبْنَا اَصْحَابَ الْجَنَّةِ
عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ اَنَّ هٰؤُلَاءِ كَانُوا مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا ضَرْوَانُ مِنْ قُرَى صَنْعَاءَ
وَكَانَ اَبُوهُمْ ذَا بِرٍّ وَاِحْسَانٍ عَلَى الْفُقَرَاءِ كَانَ يَاْخُذُ مِنْ غَلَّةِ بُسْتَانِه هٰذِه
قُوتَ سَنَتِه وَيَصْرِفُ الْبَاقِيَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَجَارِيحِ فَقَالَ بَنُوهُ اِنْ فَعَلْنَا مَا كَانَ
يَفْعَلُ اَبُونَا ضَاقَ عَلَيْنَا الْاَمْرُ وَنَحْنُ ذَوُو عِيَالٍ اِذْ اَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا
مُصْبِحِينَ دَاخِلِينَ فِي الصَّبَاحِ قَبْلَ اَنْ يَعْلَمَ بِذٰلِكَ الْفُقَرَاءُ وَلَا يَسْتَثْنُونَ
فِي اَيْمَانِهِمْ لَمْ يَقُولُوا اِنْ شَاءَ اللّٰه بَلْ بَتُّوا الْقَوْلَ وَجَزَمُوا بِه وَاِنَّمَا سُمِّيَ الشَّرْطُ
مَا اسْتَثْنَاهُ لِاَنَّه يُؤَدِّي مُؤَدَّاهُ فِي الْاِخْرَاجِ فَطَافَ عَلَيْهَا عَلَى الْجَنَّةِ طَائِفٌ
بَلَاءٌ مِنَ الطَّوَفَانِ مِنْ رَبِّكَ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰه وَهُمْ نَائِمُونَ لَا عِلْمَ لَهُمْ
بِذٰلِكَ فَاَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ كَالْمَحْدُودِ وَثَمَارُه مِنَ الصَّرْمِ وَهُوَ الْقَطْعُ اَوْ كَاللَّيْلِ
الْمُظْلِمِ مُحْتَرِقًا اَوِ اللَّيْلِ لَا بَيْضَ الْمُقْمِرَ فَاِنَّ الصَّرِيمَ مِنَ الْاَضْدَادِ كَالرَّمْلِ الْمُنْهَارِ
اَوْ كَالَّتِي اَصَابَهَا الصِّرَامُ وَهِيَ الدَّاهِيَةُ فَتَنَادَوْا نَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا
مُصْبِحِينَ اَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ اَنْ مُفَسِّرَةٌ وَاسْتِعْمَالُ الْغَدْوِ بِعَلَى لِتَضْمِينِه
مَعْنَى الْاِقْبَالِ اَوْ لِاَنَّ الْغَدْوَ لِلصِّرَامِ اِسْتِيلَاءٌ وَهُوَ الْاِسْتِيلَاءُ مِنْ وَادٍ
وَاحِدٍ اِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ عَلَى الْوَجْه الَّذِي عَزَمْتُمْ عَلَيْه فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ
يَتَكَالَمُونَ الْخَدِيثَ اَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ اَنْ مُفَسِّرَةٌ وَالْمُرَادُ
بِنَهْيِ الْمِسْكِينِ عَنِ الدُّخُولِ الْمُبَالَغَةُ فِي النَّهْيِ عَنْ تَمْكِينِه كَقَوْلِكَ لَا اَرَيَنَّكَ هُنَا
وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ اَلْحَرْدُ الْمَنْعُ يُقَالُ حَارَدَتِ السَّنَةُ اِذَا مَنَعَتِ الْمَطَرَ
وَاِبِلٌ اِذَا بَخِلَتْ بِالدَّرِّ اَيْ غَدَوْا عَازِمِينَ عَلَى الْمَنْعِ حَالَ كَوْنِهِمْ قَادِرِينَ عَلَى
الْخَيْرِ اَوْ غَدَوْا عَلَى مَحَارِدَةٍ جَنَّتِهِمْ وَمَنْعِ خَيْرِهَا يُدَلُّ كَوْنُهُمْ قَادِرِينَ عَلَى اِصَابَةِ
خَيْرِهَا وَقِيلَ الْحَرْدُ السُّرْعَةُ يُقَالُ قَطَارِ اَيْ سَرَاعٍ اَيْ ذَهَبُوا عَلَى وَجْهِ
السُّرْعَةِ لِئَلَّا يُدْرِكَهُمُ الْمَسَاكِينُ وَقِيلَ الْحَرْدُ الْقَصْدُ اَيْ غَدَوْا قَاصِدِينَ
الصِّرَامَ قَادِرِينَ عَلَى ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ حَالَ مُقَدَّرَةٍ وَقِيلَ الْحَرْدُ اِسْمُ
بُسْتَانِهِمْ فَلَمَّا رَاَوْهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ قَالُوا اِنَّا لَضَالُّونَ طَرِيقَ جَنَّتِنَا
قَالُوه قَبْلَ فَلَمَّا يَتَيَقَّنُوا الْاَمْرَ قَالُوا بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ خَيْرَ جَنَّتِنَا لِجِنَايَتِنَا

على انفسنا قال اوسطهم اى خيرهم رايا الم اقل لكم لولا تسبحون
اى يستثنون ليلا فى الاستثناء والتسبيح فى التعظيم فاستعمل مكانه
وعن الحسن لولا تصلون فان الصلوة تنهى عن الفحشاء اولولا تذكرون
الله وتتوبون اليه كانه نصحهم على خبث نيتهم فلم يطيعوه قالوا سبحان
ربنا انا كنا ظالمين فى القصد الى حرمان المساكين قالوه بعد خراب البصرة
واتساع الحرق على الراقع فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون كل منهم
يقول للاخر انت السبب او لان بعضهم قاله وبعضهم رضى به وبعضهم كره
فلم يطيعوه قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين فلذلك اصابنا البلاء عسى ربنا
ان يبدلنا خيرا منها كما هو شانه مع التائبين انا الى ربنا راغبون فى
العفو ومحو الجريمة وافاضة الخير والظاهر ان الله تعالى قبل توبتهم لوقوعها
فى اوانها كذلك العذاب اى مثل ما بلوناه اهل مكة واصحاب الجنة
العذاب الواقع فى الدنيا وقد ادمج فى التمثيل باصحاب الجنة ان اهل مكة اولى
بالبوار والنكال لان القصد الى حرمان المساكين اذا افضى بهم الى ما ذكر
فكيف بمن عاند الحق وكذب اشرف الرسل وقطع الرحم التى اوصى الله تعالى
بصلتها ولعذاب الاخرة اكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون لو كانوا
من اهل العلم لعلموا ذلك ولاخذوا حذرهم ان للمتقين عند ربهم فى جوار
قدسه جنات النعيم جنات ليس فيها الا النعيم تعريض بجنات الدنيا فان
الغالب فيها التعب والتكد وحسن موقعه بعد ذكر اصحاب الجنة المذكورة
وذكر حالها افنجعل المسلمين كالمجرمين قال مقاتل كانوا يقولون ان لم نكن
فى الاخرة احسن حالا من المسلمين فلا اقل من المساواة قياسا على حظوظ الدنيا
مالكم ما حصل لكم من الخلل كيف تحكمون هذا الحكم الذى لا يصدر
عن ذى مسكة وفى الاستفهام مبالغة فى التعجيب من سفاهتهم ام لكم
كتاب فيه تدرسون لكم بما فيه هم تامر ان لكم فيه لما تخيرون ان تختارونه
وتشتهونه وكان الظاهر فتح ان لانه مدروس وانما كسر لوجود اللام او
هو على الحكاية كقوله وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح ولا يقدح فى
هذا تكرار فيه لكونه على منوال قرات الكشاف ان فى الكشاف لفوايد و
تخيرا الشئ واختاره اخذ خيرة ام لكم ايمان علينا يقال لفلان على يمين
اذا حلفت له على امر تضمنه له بالغة مناهية فى التغليظ جمع اليمين و
اكده لغرط اعتمادهم الى يوم الدين غاية للثبوت المقدر فى الظرف اى
ثابتة الى ذلك اليوم كالاجل للدين فاذا وفينا بالمقسم عليه خرجنا عن
عهدتنا او مبالغة على معنى انها مستمرة الى ذلك اليوم لا تتحلل منها يمين

ولم تبطل حتى يحصل المقسم عليه ان لكم لما تحكمون جواب القسم
لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم
كافل باثبات ما ذكر ام لهم شركاء فى هذه العقيدة فلياتوا بشركائهم
ان كانوا صادقين فى دعويهم ومعلوم انه لا يوافقهم عاقل فقد انحسم
مادة التشبه عقلا ونقلا يوم يكشف عن ساق منصوب بفعل دل عليه
اذكروا او باذكر لا بمقدر اى يكون كيت وكيت الكشف عن الساق والشمر عنها جرى مجرى المثل
فى شدة الامر واستعماله البلغاء حيث لا يتصور ساق قال جرير الا ربما ساجى
الطرف من آل مازن اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا واصل هذا ان الرجل
اذا وقع فى امر عظيم شمر عن ساقه ولا يلزم فى هذا ما دواه البخارى عن ابى سعيد
انه سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد
له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان فى الدنيا يسجد رياء فيذهب يسجد فيعود
ظهره طبقا واحدا عند الاشتداد والفزع الاكبر يتجلى للمؤمنين بصفة الجمال
وهذا انما يكون بعد ذهاب اهل النار ولم يبق الا المؤمنون وبينهم المنافقون
فاراد وا النفاق كما فى الدنيا فاضمحوا وهذا معنى قوله ويدعون الى السجود
فلا يستطيعون لان هناك دعاء صريحا وتكليفا خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة تغشاهم وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون من العوارض
فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث اى كله الى فانا اكفيكه سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون انه استدراج بان يفيض عليهم الرزق والعافية فيحسبونه
ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين فيتمادون فى الضلال والاستدراج استنزال
الشخص درجة بعد درجة حتى يتورط فى الهلاك واملى لهم اى اطيل لهم
المدة ليزدادوا اثما ان كيدى متين قوى فانما سمى احسانه استدراجا
وكيدا لانه فى صورته ام تسالهم اجرا متصل بقوله ام لهم شركاء وما
فى البين اعتراض ترغيبا للسامعين فى البداد قبل فوت فهم من مغرم مثقلون
فلذلك يعرضون ام عندهم الغيب اللوح الذى هو خزانة المغيبات فهم
يكتبون منه فهم يستغنون عنك وعما جئت به فاصبر لحكم ربك وهو
امهالهم الى وقت معلوم ولا تكن كصاحب الحوت هو يونس بن متى اذ نادى
وهو مكظوم فى بطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
والمعنى لا تكن مكظوما اى مملوا غيظا على عدم ايمان قومك مثله فالنهى
مشابهته اياه فى الكظم ولما كان موهما بنوع انحطاط قال لانفضلوا فى
على يونس بن متى اذ كان غضبه لله وان لم يكن من عزم الامور لولا ان تداركه
نعمة من ربه رحمة منه او توفيقه اياه للتوبة لنبذ بالعراء وهو مذموم

أى امتنع نبذه بالعراء مذمومًا لوجود التدارك فالمعتمد فى جواب لولا هو الحال لا النبذ لوجوده والعراء الفضاء الذى لا ساتر له فاجتباه ربه بعد الاباية فجعله من الصالحين من عداد الانبياء وقيل استنباه وهو خطاء فاحش وكذا القول بنزول الاية حين اراد ان يدعو على المؤمنين الذين انهزموا يوم احد لان السورة من اوايل ما نزل بمكة وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم زلقه وازلقه بمعنى ازاله عن مكانه وصفهم بالمبالغة فالعداوة كانها سرت من القلب والجوارح الى النظر فصار يعمل عملها والية اشار من قال بتقارضون اذا التقوا فى موطن نظرا يزيل مواطئ الاقدام وقيل العين كان فى بنى اسد وكان يجوع منهم رجل ثلثة ايام فلا يمر به شئ يقول لمارا كاليوم مثله الا عانه فاراد وا فعله برسول الله فوقاه الله بعنايته وعن الحسن ان هذه الاية رقيه العين من خاف من اصابة العين فليقرأها وروى الامام احمد بن حنبل عن ابن عباس رضى الله عنهم لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين والاخبار فى حقيقة العين متواترة المعنى ومن شاهد تاثير المغناطيس فى جذب الحديد لم يستبعد تاثير العين وقرأ نافع يزلقونك بفتح الياء وهى لغة والضم اشهر لما سمعوا الذكر القران الذى هو شرف لهم ويقولون انه لمجنون ولذلك خالف كلامه اساليب كلام العرب وما هو الا ذكر للعالمين عظة لكل ذى عقل من الملائكة والثقلين او شرف لمن حفظه وعمل بما فيه كائنا من كان وهذا ابلغ من قوله وانه لذكرلك ولقومك تمت سورة نون والحمد لمن اجره غير ممنون والصلوة على خيرة الخلق الى يوم يبعثون

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة من اسماء يوم القيمة اى الساعة الثابتة التى لا ريب فى ثبوتها او التى فيها ثوابت الامور من الحساب والجزاء على الاستعارة المجازية وكذا ان فسرت بما لحق فيها الامور وتعرف على الحقيقة ما الحاقة ما حقيقتها الجملة خبرا لاول والاصل ما هى تعظيم وتهويل لها وفى وضع المظهر مقام المضمر زيادة ومبالغة واكد ذلك بقوله وما ادريك ما الحاقة اى لم تحط علما بكنهها وكل شئ قدرته فى نفسك فهى افظع من ذلك وما الاستفهامية علق عنها الفعل ولما هول امرها بما لا مزيد عليه اردفه بذكر المكذبين بها وما حل بهم وادخر لهم فى الاخرة تحذيرا لاهل مكة كذبت ثمود وعاد بالقارعة من اسمائها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال

والجبال بالدك والسماء بالانفطار والارض بالزلزال وهذا تهويل اخر حيث لم يعبر عنها بالضمير ولا بالمظهر المذكور فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المتجاوزة عن الحد فى الفظاعة وهى الصاعقة لقوله فاخذتهم صاعقة العذاب ويجوز ان يكون معها الصيحة والرجفة كالخاصب مع الخسف فى قوم لوط وقيل مصدر كالعاقبة ولا يلائم قوله واما عاد فاهلكوا بريح لان الاية من قبيل الجمع والتفريق والحدث لا يناسب العتو صرصر شديدة الصوت لها صرصرة فى هبوبها او من الصر وهو البرد كانها التى كرر فيها البرد عاتية على قوم عاد فلم يقدروا على دفعها وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه عتت على خزانها فخرجت بغير حساب سخرها عليهم سلطها سبع ليال وثمانية ايام اسينا فى بيان الحكمية بعد الكيف ليتكامل القول حسوما حاسمات كل خير جمع حاسم كشهود جمع شاهد والحسم ازالة اثر الشئ ومنه الحسم للكى المستأصل للداء او متابعة هبوب الريح حتى استأصلتم كان هبة ويجوز ان يكون مصدر الفعل مقدرا اى يحسمهم حسوما اى يفرق بينهم تفريقا شديدا الاجتماع بعده لكمال التحوسه فترى القوم فيها فى مهابها صرعى ملقى على الارض كالاخشاب البالية قيل كانت من صيحة الاربعاء المغروب الاربعاء وسميت ايام العجوز لان عجوزا توارت فى سرب فوجدها الريح فى اليوم الثامن وقيل ايام العجز وهى اخر الشتاء واسماؤها الضنن والصبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر كانهم اعجاز نخل خاوية اصول نخل منا كله الاجوف فهل ترى لهم من باقية بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله قبل فرعون وقرأ ابو عمرو والكسائى قبله بكسر القاف اى اتباعه والاول ابلغ واشمل اذ ذكر فرعون دل على اتباعه والمؤتفكات قرى قوم لوط والاسناد مجاز بالخاطئة بالخطاء او بالعفلة ذات الخطاء او بالافعال الخاطئة مجاز فى الحكم فعصوا رسول ربهم كل منهم رسولهم فاخذهم اخذة رابية شديدة لعظم جرمهم من ربا الشئ زاد انا لما طغى الماء على الخزان يوم الطوفان او جاوز الحد حملناكم فى الجارية السفينة ذكرها باسم الجارية تصويرا لاظهارا لقدرة اذ لم يكن لها مجرى ولا نوتى بل كان بامر الله مجريها ومرسيها لنجعلها لكم تذكرة تلك العقلة موعظة وتعيها اذن واعية من شانها الوعى يقال وعيت الذا حفظته فى نفسك واوعيته انا حفظته فى وعاء اخر والتنكير للدلالة على قلة الاذن الموصوفة واحدة منها اذا وجدت كانت بمثابة السواد الاعظم

وقرا نافع بسكون الذال وعن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سالت الله ان يجعل اذنك واعية قال فما نسيت بعد ذلك
شيئا وما كان لي ان انسى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهي النفخة الاولى
نفخة الفزع ويعقبها نفخة الصعق وبعدها نفخة القيام وابتداء خراب
العالم وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ضربت احديهما على
الاخرى بالقدرة الكاملة فصارتا كثيبا مهيلا كما تضرب انت احدى
البيضتين على الاخرى فيومئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت
السماء فهي يومئذ واهية مسترخية والملك على ارجائها جنس الملك
على اطرافها جمع رجا مقصور ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فان
الحملة اليوم اربعة فاذا كان ذلك اليوم امدوا باربعة اخرى وقيل ثمانية
صفوف لا يعلم عددهم الا الله وروى ابو داود في سننه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذن لي احدثكم عن ملك من حملة العرش ما بين
شحمة اذنه الى عاتقه سبعمائة عام وانا نطق القران بامر ممكن ووافقه
الاحاديث فلا وجه للتاويل والعدول عن الظاهر يومئذ تعرضون العرض
انما يكون بعد النفخة الاخيرة والكلام في النفخة الاولى لان اليوم اريد
به الزمان الممتد روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعرض
الناس يوم القيمة ثلث عرضات عرضتان جدال ومعاذير وتالثة تطير
فيها الصحف لا تخفى منكم خافية سريرة والمراد من العرض اظهار المعاملة
واخفاء الجاحدين على رؤس الاشهاد وقرا حمزة والكسائي بالياء وحسن
لوجود الفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض روى البخاري
عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله قال يدني الله المومن يوم القيمة فيقرره
بذنوبه حتى اذا راى انه قد هلك يقول له قد سترتها عليك في الدنيا وانا
اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته بيمينه واما الكافر فيقول الاشهاد
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين فيقولون هاؤم اقرؤا
كتابيه يقوله لكل من راه فرحا وهاؤم جمع هاء بالف بعد همزة تصرف
تصريف الكاف ومعناه خذ واعط فعل تنازع هاؤم واقرؤا فاعمل الثاني
لقربه على ما اختاره البصريون ولا لقيل اقروه اني ظننت اني ملاق
حسابيه ايقنت وانما عبر بالظن دلالة على ان هو احسن النفس وخطراتها
مما لا يغفل عنه العلوم النظرية لا يقدح في الاعتقاد فهو في عيشة
راضية ذات رضا كلابن وتامر فاتت النسبة كما يكون بالحرفة يكون بالصنعة
او راض صاحبها على المجاز في الاسناد في جنة عالية فوق السماء السابع

سقفها عرش الرحمن او عالية قصورها واشجارها بدل من عيشة او خبر
بعد خبر قطوفها جمع قطف بالكسر من القطاف وهو تقارب الخطى
في سرعة فانها تجتنى من غير تعب دانية يتناولها القاعد والمضطجع
كلوا واشربوا على تقدير القول هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم
هنيئا بما اسلفتم من الاعمال في الايام الخالية الماضية في الدنيا
واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
يا ليتها الموتة الاولى كانت القاضية القاطعة
فلم ابعث بعدها او يا ليتها دامت لي من الشدة ما بعد مرارة الموت حلاوة
عندها ما اغنى عني ما ليه شيا من الاشياء او اي شي اغنى علي ان ما
استفهامية انكارا هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الاموال
والحشم قرا حمزة في الوصل بدون الهاء في الموضعين وهذا هو الاصل
لانها هاء السكت ولا سكت في الاصل ومن اثبتها اجرى الوصل مجرى الوقف
اتباعا للرسم خذوه امر من الله للخزنة فغلوه اجعلوه في الغل
ثم الجحيم وهي النار العظمى صلوه لاغيرها يقال صليته النار ادخلت
اياها في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا المراد منه الكثرة كقوله ان
تستغفر لهم سبعين مرة فاسلكوه اي لا تسلكوه الا في السلسلة الموثقة
ومعنى سلكه فيها ان تلف عليه مع ذلك الطول المفرط مبالغة في التضييق
عليه وثم في الموضعين للتفاوت بين ما دخله وما تقدمه انه كان لا يؤمن
بالله تعليل على طريقة الاستيناف العظيم اي ذلك العظيم من العذاب
لكفره بالعظيم ولا يحض على طعام المسكين فيه مبالغتان ذكر قرينا الكفر
وترك الحض دون منع الطعام ليعلم من باب الاولى وفيه اشارة الى ان
شر الخصال بعد الكفر البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم
قريب يحميه وقد فر كل امرئ من اخيه وابيه ولا طعام الا من غسلين
غساله اهل النار من دم وصديد فعلين من الغسل لانها كلها الا نخاطون
الكاملون للاثم من الخطام بكسر الخاء ومن الخطاء بفتحها ضد العمد الذي
ذكره الفقهاء فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون اي بجميع الكائنات
التي هي آثار الصنع ولا مزيدة او لا اقسم بهذه الاشياء لظهورها لامر
انه ان القران لقول رسول كريم مبلغ عن الله وما هو بقول شاعر
كما تزعمون قليلا ما تومنون لفرط عنادكم ولا بقول كاهن قليلا ما
تذكرون القلة في الموضعين بمعنى العدم ولما كان عدم التباس القران
بالشعر بينا جعل الفاصلة عدم الايمان عنادا بخلاف الكهانة فانها

تستوقف على تيسر احوال القابل من الصدق والصلاح فذكر معها التذكر
وقرا ابن كثير وهشام يومنون ويذكرون بياء الغيبة مسندا الى ضمير
الخاطئون ولابن ذكوان وجهان تنزيل من رب العالمين رفع لتوهم
ان يكون كلام الرسول لحقيقة الاسناد القول اليه والمراد بالرسول
محمد لا جبرائيل عليهما السلام اذ لم ينسبوا اليه شعرا ولا كهانة ويجوز
ان يكون جبرائيل عليه السلام كانه قيل انه لقول جبرائيل الرسول الكريم
وليس من تلقاء محمد كما تزعمون انه شاعر او كاهن والاول اوجه ولو تقول
علينا بعض الاقاويل اى لو نسب الينا قولا لم نقله من التقول وهو نسبة
القول الى من لم يقله تكلفا ويسمى الاقوال المتقولة اقاويل تحقيرا كالاعاجيب
والاضاحيك كانها جمع افعولة لاخذنا منه باليمين اى بيمينه ثم لقطعنا
منه الوتين كما يفعل الملوك بمن كذب عليهم وصور القتل في اشنع صورة
وهو ان ياخذ الجلاد بيمين المصبور ليرى السيف في يده بخلاف ما اذا اخذ
بيساره والوتين بناط القلب وفي ذكره اشارة الى محل الجناية كاليد للسارق
فان اللسان ترجمان لما نواخذه عليه فما منكم من احد عنه حاجزين عن
القتل او المقتول احدا استعمل جمعا والخطاب للناس كلهم وانه لتذكرة
للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين لما تقوله من
تزكية الرسول وكون القران ليس بشعر ولا كهانة وانه اى التكذيب او
القران لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين وانه لحق اليقين
اى الله اليقين حق اليقين وحاصله عين اليقين كقولك عين الشيء ونفسه
فسبح باسم ربك العظيم اى نزه يذكر اسمه العظيم الدال على تقدسه عن
امكان التقول عليه وشكرا لما اولاك واوحى اليك تمت والحمد لله
الاوه جلت والصلوة على من به الرسالة تمت

سورة سال

بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع السائل هو النضر بن الحارث
الذي قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال اللهم عليك بقريش ويؤيد الاول قوله
انهم يرونه بعيدا وقرا نافع وابن عامر سال بالالف اما مبدلة من الهمزة
تخفيفا او اجوف واوي كخاف يخاف قال ابو زيد سمعت من يقول هما يتسالان
فهمزة سائل بدل عن الواو كهمزة كائن وعلى الوجهين يتعدى الى المفعولين
بنفسه وتعديته بالباء لتضمين معنى الاستعجال او من سال يسيل اجوفيا الى

كاع يبيع والمعنى سال سائل اى جرى واد دو سيل بعذاب واقع ويؤيده
قراءة ابن عباس رضي الله عنه سال سيل للكافرين صفة عذاب واقع
اى كائن او يتعلق بالفعل اى سال للكافرين او بواقع اى نازل لاجلهم وعن
قتادة سال سائل على من ينزل عذاب الله فعلى هذا قوله للكافرين جواب
لذلك السائل والباء للضمن سال معنى اهتم ليسرله دافع من الله جملة
مؤكدة على قول قتادة صفة اخرى لعذاب على الاول وعلى الوجهين من الله
اما متعلق بواقع اى من جهته او بدافع اى لا من غيره ذي المعارج
ذي المصاعد جمع معراج او معرج يصعد فيها الاعمال الصالحة او المؤمنون
في سلوكهم او دارتها بهم تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة بيان وتفصيل لتلك المعارج اظهار لعز شانه وملكوته
والروح جبرائيل وافراده لمزيته وقيل خلق اخر موكلون بالملائكة كالملائكة
بنا واليوم يوم القيمة وصف بغاية الطول اما كناية عن شدته او حقيقة
على ما قيل ان فيه خمسين موطنا يقف الخلق في كل مواطن الف سنة ويؤيد
الاول ما رواه الامام احمد بن حنبل عن ابي سعيد انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اطول هذا اليوم قال والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن
حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة وقيل من اسفل الارضين الى عرش الرحمن
مسافة خمسين الف سنة لو قطعها الانسان وهذا ان صح لا تعلق له بتفسير
الاية لان العرض تهويل يوم القيمة وقرا الكسائي يعرج بياء الغيبة فاصبر
صبرا جميلا لا قلق معه ولا شكوى بعد علمك بوقوع العذاب على اعدائك
انهم يرونه بعيدا عن امكان الوقوع ونراه قريبا منه لكمال قدرتنا
والضمير للعذاب او لليوم فان قلت السائل سواء كان رسول الله او غيره
لو سال الاعذاب الدنيا كما نزل بسائر الامم والسياق يدل على وقوع العذاب
يوم القيمة فكيف طابق السؤال قلت هو من قبيل قوله حسبهم جهنم كانه
قيل العذاب المستعجل به ليس بعذاب حقيقة بل العذاب هو المعد لهم وهم
ينكرونه ويدعون احالته ثم هول شانه بما فصله يوم تكون السماء
كالمهل منصوب بقريبا او بيقع مقدرا لدلالة واقع عليه وبدل عن محل
في يوم ان علق بواقع او يوم يكون السماء كالمهل يكون كيت وكيت والمهل
دردي الزيت وعن ابن مسعود رضي الله عنه الفضة المذابة وتكون الجبال
كالعهن كالصوف الملون لاختلاف الوانها ولا يسئل حميم حميما كيف
فاذا طارت في الهواء اختلطت الوانها ولا يسئل حميم حميما كيف
حالك لكل شان يغنيه ويشغله عنه يبصرونهم استيناف جواب لما

كانه لا يراه أو حال وجمع الضمير لان المعنى على العموم والاصل ببصورتهم
يقال بصرته بالشيء إذا أوضحته له وكانه ضمن معنى التعريف أو حذف الصلة
واوصل الفعل يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ حال من احد الضميرين
أو استيناف يدل على ان الامر اظم من ان يشتغال بالسؤال عن حال احد
ببنيه الذين هم اعز من الروح وصاحبته التي تختار ذهاب مهجته دونها
عشيرة وأخيه الذي هو شقيقه وفصيلته وعشيرته الذين فصل منهم
التي تؤويه نضمه في النسب وعند الشدايد ومن في الارض جميعا كانوا
من كان ثم ينجيه عطف على يفتدي استبعاد لما يتمناه هيهات كلا
ردع له عن ارتكاب ما لا ينفع فيه انها لظى الضمير للنار دل عليه ذكر العذاب
أو مبهم فسره الخبر وهو لظى أو ضمير القصة ولظى علم النار منقول من
اللظى وهو اللهب ويجوز ان يراد بها نفس اللهب مبالغة كان كلها لهب
خالص نزاعة للشوى خبر بعد خبر لان او خبر لظى إن كان الضمير للقصة
ويجوز ان يكون صفة إذا اريد باللظى اللهب لان علم الجنس كالمعرف بلامه
في اجرائه مجرى النكرة وان لم يجعل علم الجنس فحذف التنوين لاجراء الوصل
مجرى الوقف وقرئ نزاعة بالنصب على الاختصاص كانه قيل تلظى
نزاعة والشوى جمع شواة جلدة الرأس أو أطراف الاسنان وكل ما ليس
بمقتل يقال للرامي اذا لم يصب المقتل اشوى تدعوا من ادبر وتولى مجاز
عن جذبها واحضارها من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة أو تدعوهم
بلسان المقال باكافر يا منافق وهذا ابلغ وجمع فاوعى لبخله وحرصه
وحفظه في الوعاء ولم يؤد حق الله منه إن الانسان خلق هلوعا
الهلع شدة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره
بقوله إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا فان جزوعا ومنوعا
وصف كاشف هلوعا إلا المصلين استثناء منقطع لما وصف من أدبر
وتولى بالهلع قال لكن المصلين في مقابلة اولئك أو متصل أي ان الانسان
خلق هلوعا واستثنى ذلك عليه ولم يفارقه الا المصلين الموصوفين
بالصفات الآتية فانهم خلعوا ربقه الهلع عن اعناقهم روى الامام احمد
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما
في الرجل شح هالع وجبن خالع الذين هم على صلوتهم دائمون لا يتركونها
في اوقات الاعذار والضرورات والذين في اموالهم حق معلوم مقدار
معلوم هو الزكوة لان وجوبه كان بمكة وتقدير نصبه مفصلا بالمدينة
للسائل الذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل تعسفا بحا ويفتشون عليه

والذين يصدقون بيوم الدين اخره اهتماما بالصلوة والزكوة وقيل تعبدا
بالاعمال بالابدان والاموال ولذلك ذكر بيوم الدين والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون خائفون إن عذاب ربهم غير مأمون اعتراض دل على
انه لا ينبغي لاحد ان يامن وان كان على قدم راسخ في الطاعة والذين هم
لفروجهم حافظون إلا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
دل على ان المباح لا يمدح عليه فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
للحقوق راعون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون وقراءة
ابن كثير امانتهم على التوحيد لارادة الجنس والذين هم بشهاداتهم قائمون
احياء للحقوق وهي من الامانة افردها دلالة على زيادة فضلها وقرأ حفص
بالجمع مناسبة للمضاف اليه أو لاختلاف انواعها والذين هم على صلوتهم
يحافظون على شرائطها واركانها وواجباتها وسننها وآدابها وكفاها
شرفا حيث ابتداء بها في عد المحاسن وختم بها اولئك الموصوفون
بتلك الصفات في جنات مكرمون بانواع الاكرام فمال الذين كفروا قبلك
حولك مهطعين مسرعين ماذين اعناقهم عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا
شتى جمع عزة اصلها عزوة قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم حذفت الياء
وعوض عنها التاء كانوا خمسة ارهط كل واحدة تعدى الى غير من تعدى اليه
الاخرى يطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كانوا يقولون ان محمدا
محق أو لي بالجنة منا فنحن نعطاها قبله كلا ردع لهم عن هذا الاعتقاد انا
خلقناهم مما يعلمون استدل على امكان البعث بخلقهم اولا والقدرة على
خلق مثلهم ثانيا واشار الى ان استحقاق دخول الجنة انما هو بالاعمال الزاكية
والاعراض لشاتهم من مناء مهين بين المبدأ يستحيي من ذكره صريحا ولذلك
ابهم بقوله يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على
ان نبدل خيرا منهم بان نذهبهم ونأتي بقوم آخرين أو نوفق لهم طائفة
خيرا من اهل مكة وهم الاوس والخزرج وفي التقسيم به دلالة ظاهرة على
القدرة على تحقيق المقسم عليه وما نحن بمسبوقين بمغلوبين على ذلك فذرهم
يخوضوا في باطلهم ويلعبوا كالصبيان حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
اضافة اليوم اليهم لمزيد الاختصاص يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم
الى نصب يوفضون الى مسرعين سراعا يشبه الاسراع الذي كانوا يسرعون
الى محل الذي كان علما لذبح النسايك وعن الحسن كانوا يبتدرون عند طلوع
الشمس الى اصنامهم لا يلوي احدهم على احد وقرأ ابن عامر وحفص نصب بضم
النون والصاد جمع نصب كسقف وسقف ومفرد انصاب والباقون بفتح النون

وايسكان الصاد وسراعا وكانهم حالان من فاعل يخرجون خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة ويجوز ان يكون احوالا متداخلة ذلك اليوم الموصوف
الذى كانوا يوعدون فى الدنيا على السنة الرسل تمت سورة المعارج
والحمد لمن لكل هم فارج والصلوة على المختار عدد رمل عالج

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر حذف
الجار واوصل الفعل او ان مفسرة لاشتمال معنى الارسال على القول قومك
من قبل ان ياتيهم عذاب اليم الطوفان او عذاب يوم القيمة والاول اوجه
قال يا قوم انى لكم نذير مبين لافتران قولى بالمعجزة ان اعبدوا الله بان اعبدوا
الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ما كان لكم من الذنوب او
بعضها وهى التى تقدمت الايمان فان الاسلام يجب ما قبله ويؤخركم
الى اجل مسمى هو اخر الاجال ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر والتوفيق بينه
وبين تاخير الاجل ان القضاء معلق ومبرم فالتاخير بالنظر الى الاول وعدمه
بالنظر الى الثانى اى لو امنوا عاشوا كذا وان لم يؤمنوا فكذا وهذا معنى زيادة
الصدقة والصلة فى العمر وما فى علمه تعالى لا يبدل لو كنتم تعلمون جعلهم
جاهلين بذلك لعدم جريهم على موجب العلم قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا
ابدا دائما فلم يزدهم دعائى الا فرارا عن الايمان واسنادا لزيادة الى الدعاء
اسناد الى السبب وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم اى لتؤمنوا فتغفر لهم
فذكر السبب الذى هو حطهم ليكون ادل على قبح اعراضهم جعلوا اصابعهم
فى اذانهم لئلا يسمعوا كلامى المجعول فى الاذان رؤس الانامل واطلاق
الاصابع مجازا مبالغة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروا فى كراهة
منهم لرؤيتى او لئلا اعرفهم فادعوهم الى الايمان والاتيان بصيغة الطلب
للمبالغة كانهم طلبوا من الثياب ان تغشاهم واصروا على الكفر من اصر الحمار
على الانام اذا تبه يطردها للسفاد وكنى بهذا للقبيه من جرة واستكبروا
عن اتباع الحق استكبارا مفرطا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت
لهم واسررت لهم اسرارا هذا نهاية النصح المفوق ينصح سرا وان لم
ينجع يعلن بنصحه لكى يساعده من له وعى ثم يبالغ بالجمع بين السر والجهر
ونصب جهارا على المصدر من غير فعله او على الحال فقلت استغفروا ربكم
انه كان غفارا تفسير لدعائه وكانهم كانوا يتعللون بما اسلفوا من
الذنوب فوعدهم المغفرة ان اتوا بما يحبها من الايمان يرسل السماء عليكم

مدرارا قيل حبس الله عنهم المطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم
باعادة الخصب ان تابوا والسماء المظلة او السحاب وارسالها ارسال المطر
منها دلالة على كثرته او المطر كقوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار اسم
فاعل كثير الدور كالمضراب يستوى فيه المذكر والمؤنث ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا جمع لهم فى الوعد بين منافع الدارين
روى ان رجلا اشتكى الى الحسن الجدب فامره بالاستغفار والاخر الفقر
فامره به والاخر قلة ريع ارضه فقال استغفر فقال الربيع بن صبيح شكوا اليك
ابوابا وسالوك والجواب واحد فتلا عليه الاية ولما استسقى عمر وخلا به
لم يزد على الاستغفار فقيل له فى ذلك فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء
التى تستنزل بها المطر مالكم لا ترجون لله وقارا اى ما حصل لكم من الصارف
حتى لا يكونوا على حاله ترجون من الله تعظيما وللكلام بيان كانه قيل لهم التعظيم
ايانا فقيل لله ولو اخر لكان صلة الوقار ولا يتوهم ذلك مع التعظيم لان
مفعول المصدر لا يتقدم عليه فى الاكثر والحث على الرجاء على الايمان لانعقاد
اسبابه او لانخافون لله عظمة او حلما لان الوقور معظم فى النفوس والحلم
لا يفارقه وتفسيره بالعاقبة كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنه ماخوذ
من الوقار بمعنى الثبات لان العاقبة حال استقرار الثواب والعقاب
ثم نبههم على النظر فى انفسهم لانها اقرب منظور بقوله وقد خلقكم اطوارا
على طريقة الحال اى خلقكم ترابا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم لحما ثم عظاما
ثم خلقا اخر ثم على النظر فى الافاق على وجه التعجيب من تغافلهم بقوله الم تروا
كيف خلق الله سبع سموات طباقا علم ذلك باخبار القرآن المعجز او بالارصاد
والطباق وهو كون بعضها فوق بعض لا يقتضى المماسة وجعل القمر
فيهن نورا اى فى السماء الدنيا نسب الى الكل لملابسة بينها وجعل الشمس
سراجا كالسراج فى اناحة ظلمة الليل كقوله هو الذى جعل الشمس ضياء
والقمر نورا والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم استعارا الانبات
له لانه ادل على الحدوث والتكوين من الارض والاصل انبتكم فنبتم نباتا
كقولك كسرته فانكسر او نصب بانبتكم لان الفعل والانفعال واحد حقيقة
والاختلاف بالنسبة الى القابل والفاعل ثم يعيدكم فيها بعد الموت ويخرجكم
اخراجا لا محالة ولذلك اكده بالمصدر كالاول واشارة الى اتحاد الرتبة
وكونهما فى قرن والله جعل لكم الارض بساطا منبسوطة لتتقلبون عليها
تقلبا لرجل على فراشه لتسلكوا منها سبلا فجاجا طرقا واسعة ومن
لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصونى فى الامر بعبادة الله

وأتقانه بعد ما تلون عليهم آيات الآفاق والأنفس وصرح باسم نوح لطول الفصل ولم يعطفه لانه تفصيل لقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اى رؤساءهم المتقدمين بالاموال والاولاد واشارة الى ان ذلك وان كان في الظاهر سببا في التقدم والحقيقة ليس سببا للبوار وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ولده جمع ولد كاسد واسد ومكروا عطف على من لم يزد والجمع باعتبار معنى من مكرا كبارا غاية في الكبر بانواع الاذى وتسليط السفهاء عليه ابلغ من الكبار مخففا وهو من الكبير ابلغ وقالوا لا تذرن آلهتكم عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا افردها بالذكر كانها كانت كبار آلهتهم واشرافها اسماء رجال صالحين فلما هلكوا وسوس الشيطان الى قومهم ان صوروا صورهم حتى يتركوا بها وتبقى تذكرة فلما انقرضوا اوحى الى اولادهم ان اباءكم كانوا يعبدونها فعبدوها من دون الله روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاوثان التي كانت في قوم نوح عليه السلام انتقلت الى العرب اما ود كانت بدومة الجندل لكلب وسواع كانت لهذيل ويغوث لمراد ثم لبني عطيف بالجرف ويعوق لهمدان ونسر لحمير لآل ذي الكلاع وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله رب انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا اللام للعهد وهم اولئك الذين ايس من ايمانهم وأل رضا بكفرهم لعدم اتساقها فضلا الى زيادة عذابه لاعزوفيه الا يرى الى قول موسى ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وقيل اراد وترويح مكرهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم اى لاجل خطيئاتهم وبامر به للتوكيد اغرقوا بالطوفان وقرأ ابو عمرو خطاياهم وهذا احسن لانه جمع الكثرة والاولى يحتاج الى التاويل فادخلوا نارا اى تعقب الغرق دخول النار من غير تراخ والمراد عذاب القبر لانها روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران والتنكير للتعظيم او للنوع فلم يجدوا لهم من دون الله دون عذابه انصارا كما كانوا يزعمون ان تنصرهم من الالهة وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا من الالفاظ المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار اى احد من الدور او من الدار فيعال قلبت واوه ياء وادغمت الاولى ولو كان فعالا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك بعد ما اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن وايضا جربهم الف سنة الا خمسين

عاما وكانوا يتواصون بعدم الايمان ويقولون لذريتهم اياكم وهذا الشيخ ومضى على هذا جيل بعد جيل والفاجر الكفار للمولود باعتبار المآل كقوله من قتل قتيلا رب اغفر لي ولوالدي كان ابوه لمالك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش ولمن دخل بيتي مؤمنا اى مسجدي او سفينتي وللمؤمنين والمؤمنات من مضى منهم ومن هوات ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا وبوارا تمت سورة نوح والحمد لمن بيده الخيرات والفتوح والصلوة على السيد النصوح واله وصحبه كل مساء وصبوح

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلثة الى العشرة والجن احد الثقلين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بعث الى الانس فدعاهم الى الله منهم من امن ومنهم من كفر وهؤلاء النفر هم الذين سمعوا القران من رسول الله وهو يصلي الصبح ببطن نخلة كما تقدم في اخبار الاحقاف ولا دلالة فيه على انه لم ير الجن وليلة الجن رواها ابن مسعود رضي الله عنه وروى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قرأت عليهم سورة الرحمن فكانوا احسن مردودا منكم والقول بانها ارواح مجردة او نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها لا يجوز تفسير كلام الله بها ولم يذهب اليه احد من اهل الحق مخالف للنصوص فقالوا بعدما انصرفوا الى قومهم انا سمعنا قرانا عجبا في اسلوبه ومعناه وصفه بالمصدر مبالغة يهدي الى الرشد الحق فامنا به بما فيه من التوحيد ولن نشرك بربنا احدا ولا دلالة فيه على انهم كانوا مشركين بل كانوا يهودا لقولهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وانه تعالى جد ربنا عظمته من جد فلان عظم او غناه مستعار من الجد بمعنى الجدة والغرض وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ان المسبوق بالواو وبفتح الهمزة في اثنى عشر موضعا متواليه والباقون بكسرها وافقهم على في وانه لما قام عبد الله ابن كثير وابو عمرو وانفق الكل على فتح وان المساجد لله والوجه في الفتح العطف على الهاء في امنا به من غير اعادة الجار على المذهب الكوفي او على محل الجار والمجرور او الايصال بعد الحذف او اضمار الجار وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وصف بالمصدر مبالغة والشطط تجاوز الحد وانا ظننا ان لن تقول الانس

وَنُجِلُّ عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا نصب على المصدر لأن الكذب نوع من القول وَلَادَلَالَة
فيه على أنهم الجن سماع القرآن كانوا مشركين وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ
يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ كان الرجل من العرب اذا نزل بأرض نازحة يقول
أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم رَهَقًا فزاد
الانس الجن تكبرا وعتوا بإستعاذتهم بهم أو بالعكس لزيادة اغوائهم الانس
بالإستعاذة وَالرَّهَقُ عشيان المحارم وإطلاق الرجل على ذكر الجن للمشاكلة
وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ القابل الجن بعضهم لبعض والضمير في انهم للانس
والعكس لا معنى له لان السياق في حكاية كلام الجن وقيل لا يه والتي قبلها
من كلام الله جاز مجرئا لاعتراض يؤكد ما حدث منهم من تماديهم في الكفر
وقراءة الفتح بوبدا لاول أَن لَّن يَبْعَثَ اللّٰهُ أَحَدًا سادّ مفعولي ظنوا
وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ اللمس المس مجازا عن الطلب لان الالماس طلبا ليتعرف
والمعنى طلبنا خبر السماء على ما كنا نفعله قديما فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
حراسا اسم جمع كخدم في خدام شَدِيدًا قويا افرده باعتبار اللفظ
وَشُهُبًا جمع شهاب وهو الشهلة من النار وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مِنَ السَّمَاءِ
مَقَاعِدَ خالية عن الحراس للتسمع للاستماع فَمَن يَسْتَمِعِ الآن يَجِدْ لَهُ شِهَابًا
رَصَدًا هو كالحرس اسم جمع أي ذوي شهاب راصدين للرجم وهم الملائكة
ويجوز أن يكون بمعنى الراصد صفة للشهاب كانت الشياطين تسترق السمع
قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرجم بالشهاب لقوله تعالى
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ولما روى
ابن عباس رضي الله عنه كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في هذا في الجاهلية قلنا كنا نقول
يولد عظيم أو يموت عظيم وفي لفظ ملئت ومقاعد اشارة الى ان ذلك
قبل البعثة كان قليلا وَأَمَّا الآن فلا مجال وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي الْأَرْضِ بحرمان السماء أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا امرا ارشد
وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ الابرار المتقون وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ وهم المقتصدون
كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ذوي مذاهب متفرقة جمع قدة كقطع وقطعة وعن
ابي معوية قال سمعت الاعمش يقول قلت لجني فيكم الاهواء التي فينا
قال نعم قلت كيف حال الرافضة قال هم شرنا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللّٰهَ
فِي الْأَرْضِ كائنين في الارض ايما كنا وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا هاربين منها
الى السماء أو ان طلبنا في الارض لم نفته وان هربنا منه لم ينج والظن بمعنى
اليقين لكونه كلام الموقنين وَأَنَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ القرآن كانوا كاملي المعرفة

حيث جعلوا القرآن نفس الهدى آمَنَّا بِهِ من غير توقف فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ
فَلَا يَخَافُ اي فهو لا يخاف أثره على لا يخف لا فادة التقوى والاختصار
كانه قيل فهو ناج لا محالة ومختص بذلك بَخْسًا وَلَا رَهَقًا البخس
النقص والرهق القرب من الشيء ومنه الصبي المراهق والمعنى ان المؤمن
لا يجتنا به البخس وظلم الناس لا يخاف جزائهما وكان اصل الكلام ومن
لا يبخس احدا ولا يرهق ظلمه فوضع قوله ومن يؤمن موضعه اشارة الى ان حق
المؤمن وشانه أن يكون كذلك أو المعنى ان المؤمن لا يخاف نقصان جزائه
ولا أن ترهقه ذلة وغير المؤمن كل ما فيه عين البخس لا بخس حق وَأَنَّا مِنَّا
الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ الجائرون عن طريق الحق فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ
تَحَرَّوْا رَشَدًا واتى رشد وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فكانوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا توقد
بهم كما توقد بكفار الانس وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ عطف على انه
استمع من كلام الله الموحى اليه وأن مخففة حذف منها ضمير الشان والضمير
للانس أو للجن أو لهما وَالطريقة التوحيد والاسلام لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً
غَدَقًا لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء لعزه وجوده في أرض العرب
ولانه أصل سائر الاقوات والثمار والغدق الكثير لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ لنبتليهم
في ذلك التوسيع أيشكرون أم يكفرون وقيل لو استقاموا على ما كانوا عليه
ولم يرتدوا لوسعنا عليهم الرزق استدراجا وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ
عن عبادته لان العرض منها ذكر المعبود يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا اي في عذاب
كقوله واختار موسى قومه أو ضمن معنى يدخله وَالصعد مصدر صعد وصف به
مبالغة في علوه على المعذب كقوله تطلع على الافئدة وقرأ غير الكوفيين بالنون
موافقة لاسقيناهم وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ من الموحى اليه ليس من كلام الجن
فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَدًا خطاب للجن كانه قيل قل للمشركين مكة أو حي الى كذا
وَأَنا قول للجن كذا وفي ضمن الحكاية اثبات الحكم للمشركين ايضا ويجوز ان يكون
الخطاب للمشركين أو عاما للانس والجن عن سيبويه والخليل ولان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا والوجه فيه أن يكون كلاما مستطردا عقيب
وعيد المعرض وعن الحسن المساجد الارض كلها لقوله عليه السلام جعلت
لي الارض مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد فالجمع للتعظيم وقيل
اعضاء السجود وهي سبعة الرجلان والركبتان واليدان والجبهة والانف
وهذا اوجه لان فيه تذكيرا لكونه المنعم بها وان الحكمة في خلقها خدمة
المعبود والتعبير بالمساجد لله اشارة الى ما خلقت له وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللّٰهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا اي لما سمع الجن تلاوة رسول الله يتخلة

كادان يدخل بعضهم في بعض من الازدحام عليه حرصا على السماع منه كل شئ
الصقته الى آخر فقد لبدته او قال الجن لقومهم لما قام عبدا لله كادا صحابه
ان يكونوا عليه لبدا من شدة طواعيتهم وعن الحسن كادت العرب تلبد
عليه لما قال لا اله الا الله وعن قتادة كادت الانس والجن تلبد عليه و
على اطفاء نوره ثم الوجه على قراءة الكسر ان يكون استينافا ابتداء قصة
لبيان حال الرسول مع المشركين كانه قال له قل اوحي الي من حال الجن وايمان
بعضهم وكفر آخرين وفي ذلك حث للسامعين على الايمان ولطف بهم ثم ابتدأ
بقوله انه لما قام عبدا لله يدعوه ويوحده كادا لفريقان يكونون عليه لبدا
عنادا وروما لاطفاء نوره مع ما تلا عليهم من الايات الباهرة والدلائل
النيرة والظاهر لما قامت فدعوه فالعدول الى المظهر وايثار عبدا لله
على الرسول والنبي لانه واقع في كلامه فيؤديه على ما يقتضيه التواضع
او اشارة تعالى الى ان العبادة من العبد لا يستبعد فما لهم ينكرون ذلك
فيقل كلامه تعالى اخفاء لنفسه عن البين اذ لا اعتداد بالا ثر بعد العين و
قرا هشام في وجه لبدا بضم اللام جمع لبدة كقربة وقرب والكسر جمع لبده
اخف قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا فما للانكار وجه على من يعبد
ربه وقرا عاصم وحمزة قال على منوال قام وعليه رسم الامام وهذا ابلغ
في مدحه لقيامه بالجواب بمن غير تعلم قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين
قل اني لن يجيرني من الله احد جملة معترضة لبيان عجزه وتاكيد نفي الاستطاعة
فكيف يقدر من هذا شانه على نفع احد او ضره ولن اجد من دونه ملتحدا
ملاذا وملتجاء من اللحد وهو الميل الا بلاغا من الله كانت منه استثناء
متصل اي قل لا املك شيئا الا بلاغا وان فسر بلا املك انا فسر كم على
الغي والرشد كان منقطعا او من باب ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
وريسا لاته عطف على بلاغا بتقدير مضمر اي بلاغ رسالاته والاصل
الا بلاغ رسالات الله والعدول الى المنزل بذكر التبليغ مرتين مبالغة لاد
كونه من الله وكونه بلاغ رسالاته مما يقتضي التشمير له ومن يعص الله
ورسوله ولم يطع امرهما بالتوحيد فان له نار جهنم لا محالة خالدين
فيها ابدا جمعه على اعتبار الجمع في من حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية
لقوله يكونون عليه لبدا ان فسر بالتلبد على العداوة والا فلمقدر اي
لا يزالون يستضعفون حاله ويستقلون عدده حتى اذا راوا يوم بدر
او يوم القيمة تبين لهم من المستضعف دل عليه جواب اذا وما قبله

لان السورة من فاتحتها تعريض بمشركي مكة وتعيير لهم لقصور نظرهم
عن الجن وفرط تمردهم حيث بادروا بالتكذيب بدل مبادرة الجن
بالتصديق فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم
قل ان ادري اقريب ما توعدون جواب قولهم متى يكون هذا الوعد
ام يجعل له ربي امدا اي هو كائن لا محالة ولا علم لي بوقته والامد يطلق
على القريب والبعيد واريد به الثاني لقرينة المقام كانه قال لا ادري
ايقع في الحال وعن قريب او ضرب له امدا بعيد عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا اي هو عالم الغيوب كلها ولا يطلع على غيبه المختص به
وهو ما يتعلق بذاته وصفاته وافعاله الا من ارتضى من رسول ملكا
او بشرا فانه يطلعه على ما يشاء من ذلك والدلالة في هذا على ان غير
ذلك المختص لا يطلع عليه غير الرسول ولا يجوز حمله على العموم لاستلزامه
ان يكون رسول مطلعا على جميع المغيبات والدلالة في الايه على بطلان
الكهانة والتنجيم ولا على ان كرامات الاولياء يكون تلقيا من الملائكة
ولا تخصيص الرسول بالملك على ان قوله فانه يسلك من بين يديه ومن
خلفه رصدا اي ملائكة يحفظونه من تخاليط الشياطين ظاهر في ان
المراد بالغيب ما هو بطريق الوحي ليعلم ان ابلغوا رسالات ربهم علة
لقوله يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا اي ليتعلق علمه تعالى بابلاغ
الرسل ما اوحي اليهم صانهم عن تخاليط الشياطين او ليعلم الرسول ان
قد ابلغ جبرائيل والملائكة النازلون واحاط بما لديهم لدى الرسل من الشرائع
والاحكام واحصى كل شئ عددا كل ما دخل في الوجود في اي عالم كان ومن هذا
شانه كيف يخفى عليه خافية وكيف لا يحيط بما لدى الرسل تمت سورة الجان والحمد
لله والصلوة على خلاصة الانسان واله وصحبه الى انصرام الزمان

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اي المتزمل وهو المتلفف في ثيابه
ادغمت التاء في الزاء روى ابو بكر البزاز عن جابر ان مشركي مكة لما اختلفوا
شاعرا وساحرا وكاهنا او مجنونا تزمل في ثيابه في بيته حزينا فاتاه
جبرائيل وقال يا ايها المزمل امرا له بان ينهض الى القيام في عبادة ربه
في اشرف الاوقات وهو الليل الخالي عن الشواغل وفيه من لطيف العتاب
المروح بالرأفة لينشط ويستعد لتلقي ما ياتي من قوله انا سنلقي عليك
قولا ثقيلا وما قيل انه كان متزملا في مرط لعايشة نصفه عليه ونصفه

أخر على عائشة رضي الله عنها لا وجه له اذ السورة مزا وائل القرآن نزولا
وعائشة لم تكن موجودة فضلا عن كونها عنده وكذا القول بانه اول
ما اتاه جبرائيل اتى خديجة وقال زملوني فبينا هو كذلك اذ ناداه جبرائيل
فناداه يا ايها المزمل بل كان هذا بعد فترة الوحي لما راى جبرائيل قاعدا
على كرسي بين السماء والارض فرجع الى خديجة فنزل يا ايها المدثر
قم الليل الا قليلا نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء منه اى قم
اقل من النصف على البت او انقص منه قليلا او زد عليه انقص النصف
او زد على التخيير ولما كان الاقل هو الاصل كرر كقولك اكرم زيدا واما
زيدا واما عمرا فان قلت اذا كان التخيير بين الاقل من النصف على البت
وبين احد الامرين الناقصان عن النصف والزيادة عليه فقد خرج النصف
عن الاقسام وقراءة الكوفيين وابن كثير ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه تدل على انه كان تقوم تارة نصف الليل قلت الضمير
في منه وعليه للنصف واذا جاز له الزيادة على النصف فقد جاز له
النصف لانه اذا جاز له الاقل جاز له النصف ليلتزم استدراك ذكر الزيادة
او نصفه بدل من قليلا فالتخيير بين امور ثلثة قيام النصف بتمامه
وقيام الناقص منه وقيام الزايد عليه وعلى هذا وصف النصف بالقلة
بالنظر الى الكل وفيه اشارة الى ان المعمور بالعبادة وذكر الله تعالى
جل الليل والنصف الخالي عنه ندر قليل وان ساواه كما ويجوز ان يكون
الضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث والتخيير بينه وبين الاقل
منه كالربع والزايد عليه كالنصف وعن الاخفش نصفه عطف على الليل
بمقدار اى قم الليل الا قليلا او قم نصفه او ثلثه او ثلثيه فالتخيير بين اربعة
امور روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها ان قيام الليل كان فرضا باول هذه
السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم حولا
حتى انتفخت اقدامهم واصفرت وجوههم فنسخه اخر السورة فصار
تطوعا وعن ابن جبير نسخ بعد عشر سنين وقيل نسخ عن الامة فقط ورتل
القرآن ترتيلا اقرأ على مهل وتوده لتمكن من التامل والتدبر في دقايقه
وحكمه فيكون قيامك في الليل الذي شرف الاوقات على الحمل الاحوال السبة
القراءة المتصلة بالتسم المرتل وهو الفلج الشبيه بالاخوان انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا اعتراض دل به على ان قيام الليل من التكاليف الشاقة التي
وردها القرآن لان الليل محل الراحة فاحياؤه بالعبادة مضاد للطبع وفيه
ايقاظ له على التشمر لتحمله وتوطين النفس على المكابدة في تبليغه وتجميله

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها رايته في اليوم الشديد البرد ينزل عليه
الوحي وان جبينه ليتفصد عرقا وقيل ثقيل في الميزان او على الكفار او على
المتامل لاقتناره الى اتعاب القريحة في استنباط معانيه او ثقيل تلاوته على
الوجه المنزل ولذلك خفف عن هذه الامة بالقراءة على سبعة احرف او على
الراسخين لاشتماله على المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وعلى الاوجه
الجملة تعليل للامر بقيام الليل لانه للتفرغ بعد ما به يعالج ذلك الثقيل
ان ناشئة الليل قيامه مصدر نشاء قام بالحبشية وقيل ساعاته لانها
تحدث واحدة اثر اخرى وقيل النفس التي تنشاء عن المضجع وترتفع من نشات
السحابة اذا ارتفعت عن ابن عباس رضي الله عنه اول الليل وعن ابن عمر من العشاء
الى الصبح اى وقت كان وعن علي والحسن رضي الله عنهما بين العشائين وعن
عايشة ومجاهد رضي الله عنهما الصلوة بعد النوم وهو الاصوب لمداومة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على القيام بعد النوم ولقوله هي اشد وطا
اى موافقة للحواس مع القلب على التوجه لعدم الشاغل وعن الفراء اشق
واكثر علاجا لترك الراحة وعن الاخفش اثبت قياما وقرا الكوفيون ونافع
وابن كثير وطاء بفتح الواو وسكون الطاء من وطا هم وطاء ثقل عليهم ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر والمدا حسن واوفق
بقوله واقوم قيلا انا صح قراءة هدوا الاصوات وعدم الخواطر والالتفات
وان لك في النهار سبحا طويلا فراغا او متقلبا في معاشك فتوفر الليل من
عبادة ربك مستعار من سبح الفرس وهي مدا ليدين في الجري والطول ترشيح
واذكر اسم ربك دم على ذكره في كل الاوقات واستغرق في ملاحظة المذكور
لتخطى بالزلفى والقرب عنده وتبتل اليه تبتيلا وانفصل انقطاعا كليا عن الدنيا
او عن وجودك لتبقى بوجوده الباقي ولما كان المطاوع والمطاوع واحدا في الحال
ذكر التبتيل موضع التبتل مراعاة للفاصلة وقيل لا داعي تبتل تبتل نفسك
رب المشرق والمغرب لا اله الا هو مبتدا وخبرا وخبر مبتدا محذوف ولا
اله الا هو خبرا خر وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة رب بالجر بدلا من
ربك وعن ابن عباس رضي الله عنه جر باضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو
فاتخذه وكيلا متفرعا على التوحيد اى اذا انفرد بالالوهية فاجعل امورك
موكوله اليه او اجعله كفيلا بنصرك واصبر على ما يقولون فيك وفيما
انزل اليك واهجرهم هجرا جميلا اعرض عنهم وجانبهم من غير مقابلة ولا
مقاتلة نسخت بايه السيف وذرني والمكذبين فانا كافيك امرهم كلا ثم
من يكون واثقا بالوفاء منهم كما منه اقصى التمكن ولذلك ابرزه في صورة

المنع عن الاستكفاء اولى التنعم والكسر الانعام والضم المسرة يريد
المترفين من صناديد قريش المغترين بالحظام المانعين اتباعهم عن الدخول
فى الاسلام ومهلهم قليلا امهالا قليلا او زمانا قليلا إِنَّ لَدَيْنَا انكالا
جمع نكل القيد الثقيل وجحيما نارا شديدة الحر والانقاد وطعاما ذا غصة
اخذ بالحلق يشيع لا يسوغ وعذابا أليما نوعا آخر لا يعرف كنهه الا الله
يَوْمَ ترجف الارض والجبال يضطربن ويتزلزلن منصوب بما فى الدنيا من معنى
الفعل وكانت الجبال كثيبا مهيلا رملا مجتمعا من غير مقدار ومقدار
من هلت الدقيق اذا ارسلته من غير كيل إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شاهدا
عَلَيْكُمْ الخطاب للمكذبين التفات حسن الموقع كما أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ
رَسُولًا اى عصيتموه كما عصاه فرعون ولم يسمه لان الغرض عصيان الرسول
كائنا من كان فعصى فرعون الرسول اعاده معرفة لتقدم ذكره ولا يخفى
ان تشبيه عصيانهم بعصيان فرعون ينبئ عن فرط عتوهم وزاد هذا الرسول
كونه شاهدا عليهم ليكون عصيانه ابلغ فى الذم واشاريه الى انهم امنوا
كان شاهدا لهم لا عليهم فَأَخَذْنَاهُ فى الدنيا أَخْذًا وَبِيلًا ثقيلا ومنه
الوابل للمطر العظيم القطر اصله الوخامة يقال مرعى وبيل فَكَيْفَ تَتَّقُونَ
إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا مفعول به اى هبائكم لا تواخذون فى الدنيا اخلة فرعون
فكيف تتقون انفسكم هول يوم يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا كابة عن شدته
اذ عند تفاقم المصاب يسرع الشيب قال ابو الطيب وألهم يحترم الجسم
مخافة ويشيب ناصيه الصبى ويهرم او عن طوله وفى اشارة الى ان مع القطع
بوجود الكفر واستمراره منهم اشارة الى وجود الكفر مع هذا الرسول
الذى هو النور المبين ينبغى ان يكون على الفرض والتقدير والمعنى فكيف تتقون
الله فى ذلك اليوم بعد فوات الوقت ففيه حث على الاقلاع قبل ان لا ينفع
الندم او فكيف يرجى منكم التقوى وانتم جامدون ذلك اليوم والمجازاة فيه
السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ منشق والتذكير باعتبار السقف به اى بذلك اليوم والضمير
وهوله كان وَعْدُهُ مَفْعُولًا لا محالة الضمير لله او لليوم على اضافة المصدر
الى المفعول إِنَّ هذه الايات تَذْكِرَةٌ موعظة بجلابها فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى
رَبِّهِ سَبِيلًا موصلا اليه إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ادنى من ثلثى الليل وَ
نِصْفَهُ وَثُلُثَهُ لما نزل اول السورة كان الرجل يحتاط فى تقدير الاوقات
ولا يدرى متى الثلث والنصف والثلثان فشق ذلك عليهم فنزلت واستعار
الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين إذا قربت قلت الاخيار
وقرأ الكوفيون بنصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وهو المختار لدلالته

على انهم قاموا باقصى ما وقع فيه التخيير وهو الاجدر بجلالة منصبه على
ذاته افضل الصلوة وقرأ هشام بإسكان لام ثلثه تخفيفا وَطَائِفَةٌ مِنَ
الَّذِينَ مَعَكَ من اصحابك وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يعلم تقدير
ساعاتهما وضبط مقدارها غير عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ اى تقديرا لاوقات
لاختصاص ذلك به تعالى فَتَابَ عَلَيْكُمْ رفع عنكم ما كان تركه معصية
فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ فى صلوة الليل واى وقت كان امر ندب عَلِمَ
أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى استيناف لبيان حكمة اخرى قوى من الاولى
يقتضى الترخيص ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ
يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الضرب فى الارض لابتغاء فضل الله المسافرة للتجارة
وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اخبار عما يكون مستقلا بالاعجاز لان
الآية مكية وتسويته بين الضارب فى الارض للتجارة والمجاهدة فى سبيل
الله دلت على ان طلب الرزق اذا قرن بالنية الصالحة له مكان عند الله هو
كيف وقد قدمه على المجاهدة ولذلك روى عن عبد الله بن عمر ما خلق الله
موته اهون عندى بعد القتل فى سبيل الله احب الى من ان اموت بين شعبتى رحالى
فى الارض ابتغاء فضل الله فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ المفروضة
فرضت ليلة الاسرى بمكة بعد خمس من البعثة على الاصح وَآتُوا الزَّكَاةَ
قدرا من المال كان فرضا بمكة وتقرر المقادير بالمدينة وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا انفقوا فى سبيله على وجه الاخلاص بتناول المفروض والمسنون بسائر
اعمال البر بدنية ومالية وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تجدوه عِنْدَ اللَّهِ هُوَ
خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا من تاخيره الى حين الموت والوصية به لقوله الصدقة ان
تتصدق وانت صحيح شحيح ترجو الغناء وتخشى الفقر ولا تمهل ان تبلغ الحلقوم
ثم تقول لفلان كذا ولفلان كذا وعن الزجاج خيرا من متاع الدنيا وبردا اعظم
اجرا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ لما فرط منكم لان الاستقامة متعذرة او
متعسرة إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ للذنوب رَحِيمٌ يجعل عكاتها الحسنات

تمت سورة المزمل والحمد للرحيم المتفضل والصلوة على الكامل المكمل

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر ما يلى الجلد من الثياب يسمى شعارا وما
فوقه دثارا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الناس دثار والانصار شعار
واول هذه السورة اول ما نزل بعد فترة الوحى لما روى مسلم والبخارى
عن جابر انه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحى فبينا انا امشى سمعت

صَوْتًا فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجُئِثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ زَمِّلُونِي
فَأَنْزَلَ اللَّهُ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ إِلَى فَاهْجُرْ وَلَمْ يَقَعْ ذِكْرُ حِرَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَا
فَظَنَّ أَنَّهَا أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذْ قَوْلُ نَاسٍ
قَالَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاعِرٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ سَاحِرٌ تَذَرَّفَ فِي
ثِيَابِهِ حَزِينًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا لِإِمْكَانِ وُقُوعِ الْأَمْرَيْنِ
مَعًا فَإِنْ قُلْتَ إِنْ كَانَ نُبُوَّةً وَأَوَّلُ هَذِهِ كَانَ إِرْسَالًا فَقُمْ فَأَنْذِرْ أَيْ قَوْمَكَ
لِقَوْلِهِ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ أَوْ افْعَلْ الْإِنْذَارَ وَهَذَا أَبْلَغُ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ
صِفَةٌ بِالْكِبْرِيَاءِ وَحْدَهُ وَقِيلَ لَمَّا نَزَلَ كَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَبَّرَتْ خَدِيجَةُ وَأَيْقَنَتْ
أَنَّهُ الْوَحْيُ إِذْ الشَّيْطَانُ لَا يَأْمُرُ بِالتَّكْبِيرِ وَحَمْلُهُ عَلَى تَكْبِيرِ الصَّلَاةِ بَعِيدٌ وَثِيَابَكَ
فَطَهِّرْ قَصْرُهَا وَهَذَا أَوَّلُ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ مُخَالَفَةِ قَوْمِهِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَجُرُّونَ
الثِّيَابَ عَلَى الْأَرْضِ خُيَلَاءَ أَوْ طَهِّرْهَا مِنَ النَّجَاسَةِ لِأَنَّهُ الْوَاجِبُ فِي الصَّلَاةِ
وَالْأَحَبُّ فِي غَيْرِهَا أَوْ أَخْلِقْكَ عَمَّا يُدَنِّسُهَا عَنِ الرَّذَائِلِ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ هُوَ
الْعَذَابُ لِقَوْلِهِ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ أُرِيدَ بِهِ مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ أَيْ دُمْ عَلَى تَرْكِ
الْأَوْثَانِ وَهَجْرَانِ الْآثَامِ وَالْفَاءَاتُ أَجْوِبَةٌ لِلشَّرْطِ كَأَنَّهُ قِيلَ وَمَهْمَا يَكُنْ فَكَذَا
وَقُرِئَ بِضَمِّ الرَّاءِ وَهُمَا لُغَتَانِ وَالْكَسْرُ أَشْهَرُ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ لَا
تُعْطِ شَيْئًا حَالَ كَوْنِكَ تَعُدُّهُ كَثِيرًا لِاسْتِقْلَارِ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَإِنْ جَلَّ وَقِيلَ لَا تُعْطِ
مُسْتَفْزِرًا أَيْ طَامِعًا أَنْ تُعَوَّضَ أَكْثَرَ مِمَّا بَذَلْتَ وَهُوَ مِنْ خَوَاصِّهِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ الْمُسْتَفْزِرُ ثِيَابَكَ مِنْ هِبَتِهِ أَوْ نَهْيٌ تَنْزِيهٌ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ لِوَجْهِهِ
وَانْقِيَادًا لِأَمْرِهِ اسْتِعْمَالُ الصَّبْرِ فِي مَشَاقِّ التَّبْلِيغِ وَإِذَا الْكُفَّارُ فَإِذَا نُقِرَ
فِي النَّاقُورِ نُفِخَ فِي الصُّورِ سُمِّيَ نَاقُورًا لِمَا رُوِيَ أَنَّ فِيهِ يُعْدَدُ كُلُّ رُوحٍ نَقْرَةً بِنَاءُ
مُبَالَغَةٍ كَالْكَابُوسِ وَالْفَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ أَيْ اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ إِلَى زَمَانٍ تُلْقَى فِيهِ
عَاقِبَةُ صَبْرِكَ وَتَلْقَوْنَ فِيهِ عَاقِبَةَ ضَرِّهِمْ وَالْعَامِلُ فِي إِذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ذَلِكَ مُبْتَدَأٌ وَيَوْمٌ عَسِيرٌ خَبَرُهُ وَيَوْمَئِذٍ
ظَرْفٌ أَيْ فَذَلِكَ الْوُقُوعُ وُقُوعُ يَوْمٍ فَالزَّمَانُ لَيْسَ بِمَظْرُوفٍ لِلزَّمَانِ وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ يَوْمَئِذٍ مَرْفُوعَ الْمَحَلِّ مِنْ ذَلِكَ غَيْرُ يَسِيرٍ فَائِدَتُهُ التَّعْرِيضُ بِحَالِ
الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهَا نَقِيضُ حَالِ الْكَفَرَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ لَا يَأْتِي وَلَا كَرِيمٌ وَفِي ذَلِكَ
زِيَادَةُ غَيْظٍ لَهُمْ أَوْ عَسِيرٌ حَالٌ أَوْ مَا لَا بِخِلَافِ عُسْرِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ سَرِيعُ التَّبَدُّلِ
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا اطْبَقُوا عَلَى أَنَّهُ وَلِيدُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ حَالٌ
مِنَ الْفَاعِلِ أَيْ دَعْنِي وَحْدِي مَعَهُ فَأَنَا أَنْتَقِمُ فَفِي كِفَايَةٍ إِذْ خَلَقْتُهُ وَحْدِي
لَمْ يُشَارِكْنِي أَحَدٌ فِي خَلْقِهِ أَوْ لَا حَسَنَ جَعَلَهُ حَالًا مِنَ الْمَفْعُولِ أَيْ خَلَقْتُهُ

مُنْفَرِدًا عَنِ الْمَالِ لِقَوْلِهِ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِقَوْلِهِ
وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا مَبْسُوطًا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ كَانَ صَاحِبُ الضَّرْعِ وَالزَّرْعِ
قَلِيلَ كَانَ لَهُ بُسْتَانٌ فِي الطَّائِفِ لَا يَقْطَعُ ثِمَارُهُ صَيْفًا وَشِتَاءً وَكَانَ يَمْلِكُ
أَلْفَ أَلْفٍ وَبَنِينَ شُهُودًا مَعَهُ الْمَجَالِسَ وَالْمَحَافِلَ وَلَهُ بِهِمْ أَنِسٌ وَرُوِيَ
أَوْ شُهُودًا عِنْدَهُ لِعَدَمِ تَرَدُّدِهِمْ فِي أَسْبَابِ الْمَعَاشِ اسْتِغْنَاءً بِالْخَدَمِ فَهُمْ يَتَمَتَّعُونَ
بِهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا قِيلَ كَانُوا عَشَرَةً وَقِيلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ وَقِيلَ سَبْعَةً وَمَهَّدْتُ لَهُ
تَمْهِيدًا مِنْ سَائِرِ أَسْبَابِ الرِّيَاسَةِ وَالْجَاهِ الْعَرِيضِ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ لَهُ
كَانَ يَقُولُ إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فَالْجَنَّةُ لِي وَيَطْلُبُ أَنْ أَزِيدَهُ فِي الدُّنْيَا فَوْقَ
مَا هُوَ فِيهِ كَلَّا رَدْعٌ لَهُ وَعِلَّةٌ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا كَافِرًا مُكَابِرًا
مِنْ غَيْرِ شُبْهَةٍ وَذَلِكَ مُوجِبٌ لِزَوَالِ النِّعْمَةِ فَكَيْفَ يَجْعَلُهُ سَبَبًا لِلزِّيَادَةِ قِيلَ
بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ لَمْ يَزَلْ فِي نُقْصَانٍ حَتَّى ذَهَبَ إِلَى سَقَرَ قِيلَ أَسْلَمَ مِنْ أَوْلَادِهِ
خَالِدٌ وَعُمَارَةُ وَالْوَلِيدُ وَلَمْ يَصِحَّ الْإِسْلَامُ خَالِدًا مَا عَمَّارَةُ فَقُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَوْ
قَتَلَهُ النَّجَاشِيُّ لَمَّا أَرْسَلَهُ قُرَيْشٌ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بَعْدَ بَدْرٍ لِخِيَانَةٍ نُسِبَتْ إِلَيْهِ
وَالْوَلِيدُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا أُكَلِّفُهُ مَشَقَّةً عَلَيْهِ ظُلُوعُهُ فِي جَبَلٍ
مِنَ النَّارِ طُولُهُ سَبْعُونَ خَرِيفًا إِذَا وُضِعَ يَدُهُ ذَابَتْ وَإِذَا رُفِعَتْ عَادَتْ وَعَنِ ابْنِ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ حَجَرٌ فِي جَهَنَّمَ وَقِيلَ هُوَ مِثْلُ مَا يَلْقَى فِي الشِّدَّةِ إِنَّهُ
فَكَّرَ وَقَدَّرَ بَدَلٌ أَوْ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا أَوْ تَعْلِيلٌ لِإِرْهَاقِهِ
صَعُودًا لِابْتِعَادِهِ فِي التَّكْفِيرِ وَعُوصِهِ عَلَى نَيْلِ مَا يَقْدَحُ بِهِ فِي كَلَامِ رَبِّ الْعِزَّةِ
فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ تَعَجُّبٌ مِنْ فَسَادِ تَقْدِيرِهِ كَقَوْلِهِ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ أَوْ
ثَنَاءٌ عَلَيْهِ تَهَكُّمًا نَحْوَ قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَعَهُ أَوْ حِكَايَةُ مَا قَالُوهُ لَمَّا سَمِعُوا كَلِمَتَهُ
الْحَمْقَاءَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ تَعْجِيبٌ أَبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ صَدَرَ عَنْ رَدِّيَّةٍ
بِخِلَافِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ نَشَأَ عَنِ النَّظْرَةِ الْأُولَى وَهِيَ خَمْقَاءُ وَفِي هَذَا التَّرَقِّي
غَايَةُ تَهَكُّمٍ بِهِ وَبِمَنْ اغْتَرَّ بِمَا تَفَوَّهَ بِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَمْرِ الْقُرْآنِ أَوْ فِي وُجُوهِ
النَّاسِ ثُمَّ عَبَسَ قَطَّبَ وَجْهَهُ لِمَا لَمْ يَجِدْ طَعْنًا شَافِيًا وَبَسَرَ وَكَلَحَ مِنَ
الْبُسُورِ وَهُوَ الْكَلُوحُ مِنْ تَوَابِعِ عَبَسَ أَوْ مِنْ بَسَرَ لِرَجُلٍ طَلَبَ الْحَاجَةَ فِي غَيْرِ
مَوْضِعِهَا حَيْرَةً لَمَّا أَدْبَرَ عَنِ الْحَقِّ وَاسْتَكْبَرَ عَنِ اتِّبَاعِهِ فَقَالَ إِنْ هَذَا
إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يُرْوَى وَيُتَعَلَّمُ وَالْفَاءُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ لَمَّا ظَفَرَ بِهَا لَمْ يَتَمَالَكْ
إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ مِنْ أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ لَمْ يَدْخُلِ الْعَاطِفُ لِلتَّوْكِيدِ
لِلْأَوَّلِ أَوْ بَيَانٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سَمِعَ الْوَلِيدُ الْقُرْآنَ قِيلَ سَمِعَ
مِنْ السَّجْدَةِ يَتْلُوهُ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ إِنَّ لَهُ حَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ
أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا لِأَبِي جَهْلٍ

ابى جهل صبا الوليد فجاء وجلس اليه ولامه على ما بلغه منه فقال فما انا اقول والله
ما منكم اعلم بالاشعار منى اعلم رجزه وقصيده واعلم اشعار الجن ولا يشبه
شيأ من ذلك فقال لا يرضى قومك حتى تقول فيه ففكر وقدر فقال اذهنا الا
سحر يؤثر سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا وما ادريك ما سقر
لا تبقى سالما ولا تذر ولا تدعه بعد اجراقه واعدامه او لا تبقى شيأ
من الاشياء ولا تذره كهذه النيران بل تهلك كل رطب ويابس وهنا اوجه
والصق بقوله وما ادريك ما سقر المسوق للتهويل لوائحة للبشر مسودة
اعالى الجلد كاللبل البهيم من لوحه الشمس غيرته وشففته وعن الحسن لوائحة
للبشر شديدة الظهر كقوله لترونها عين اليقين عليها تسعة عشر يلى
امرها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا او صفا او نقيبا وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة لانهم خلاف جنس المعذب من الجن والانس فلا تأخذهم
رافة لعدم رقة الجنسية ولانهم اطوع خلق الله لتنفيذ امره واشد
غضبا له واقواهم عن عمر بن دينار رضى الله عنه ان واحدا منهم يدفع بالدفعة
الواحدة فى جهنم اكثر من ربيعه ومضر وروى مرفوعا ان لاحدهم قوة الثقلين
فسوق امة الى النار على عاتقه جبل فانا القاهم فى النار الوى الجبل ورا هم
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا لما سمع ابو جهل تسعة عشر قال
تكلمكم امنا كم ايجز كل عشرة منكم ان يبطش بواحد منهم فقال بوالاشد
كلدة بن اسيد بن خلف انا اكفيكم سبعة عشر فاكفونى انتم اثنين وكان ابلغ
من قوته انه يقف على جلد ثور فيجتذبه عشرة فيتمزق الجلد تحت رجليه
ولا يقدرون على اخراجه قال استهزاء دعا رسول الله الى المصارعة وقال
ان صرعتنى امنت بك فصرعه مرارا قلم يؤمن والمعنى ما جعلنا عدتهم
العدد المخصوص الذى قضى فتنتهم واستهزاءهم ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب لتوافق الكتابين فى هذا العدد على حذف العاطف اى وليستيقن
او عبر عن المؤثر وهو تسعة عشر بالاثر وهو فتنة للذين كفروا اشارة
الى ان هذا الاثر من لوازم ذلك المؤثر ويزداد الذين امنوا ايمانا اذا
صدقوا بذلك واذا دادوا تسليم اهل الكتاب لهذا العدد ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون تصريح بما علم ضمنا توكيدا وليقول الذين
فى قلوبهم مرض نفاق اخبار بالغيب عما يكون لان السورة مكية والنفاء
انما نجم بالمدينة او الشك والارتياب وكان اكثر المشركين كذلك والكافرون
غير المنافقين والكافرين على الاستيفاء مع كون المعطوف عليه غرضا دون
المعطوف لان اللام للعلة والعلة لا يلزم ان تكون غرضا كقولك خرجت

من البلد مخافة الشر ماذا اراد الله بهذا مثلا تمييزا وحالا استبعادا للعدد
الحقرة لفظ المثل من المثل المضروب لكونه غريبا عندهم بديعا كذلك
يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء الكاف فى محل النصب اى مثل ذلك
الاضلال المذكور والهدى يضل الله الكافرين ويهدى المؤمنين وما يعلم
جنود ربك الا هو لفرط الكثرة فليس تخصيص الحقرة بهذا العدد الا
لحكمة اقتضته كعدد السموات والارضين وحملة العرش وما هى الا
ذكرى للبشر متصل بوصف سقر وقوله وما جعلنا النار اى وما هى
اعتراض يؤكد بعضه بعضا زيادة فى تهويل جهنم اى وما سقر او وما
صفتها او وما الايات المذكورة فيها الا تذكرة لهم كلا ردع لتذكرهم
اى وان جعلت تذكرة فهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان يكون احدى
الكبر والقمر والليل اذ ادبر تولى قال الزجاج لقول قريش قبل الشتاء
ودبر جاء وذهب ومنه امس الدابر وغيرهما اقبل وادبر وعن يونس ادبر
تولى ودبر انقضى وقراءة نافع وحمزة وحفص اذ بسكون الدال وادبر
بهمزة القطع والرسم لا يختلف لوجود صورة الالف فى القراءتين والمحنا
انا للغة قريش ولقوله والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر
جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض والضمير لسقر والكبر
جمع كبرى والفعل ليس من ابنية جمع فعلى بل فعله كزمرة وزمر الا ان
الالف الحقت بالتاء كالقواصع فى جمع فاصعاء لالحاق الفها بتاء
قاصعة والمعنى ان لسقر من احدى البلايا التى لا توجد لها نظيرة كقولك
هند احدى النساء فى العفات وعلى احدا لرجال فى العلم نذيرا للبشر تمييز
من النسبة اى احدثت الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر وان يتقدم او يتاخر مفعول
شاء او مبتدأ خبره لمن شاء اى التقدم او التاخر ممكنان لمن شاء كقوله فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مصدر كالشتيمة
والشريطة ولو كان وصفا لجرد عن التاء الا اصحاب اليمين فانهم
فكوا رقابهم بالاعمال الصالحة وقيل هم الملائكة او الاطفال فى جنات
حال من اصحاب اليمين والتنكير للتعظيم يتساءلون عن المجرمين ليسئال
بعضهم بعضا او يسئالون غيرهم ما سلككم فى سقر مع جوابه حكاية لما
جرى بين المسئول عنهم وبين المجرمين فاختصر الكلام لعدم اللبس والسؤال
عن حالهم ما سلكهم فى سقر مع كونه معلوما لقصد التوبيخ وليحكى فى الكتاب
لطفا بالسامعين ومن فسر اصحاب اليمين بالاطفال ايده بهذا السؤال لان

الأطفال لا يعلمون موجب ذلك قالوا لم نك من المصلين الداخلين في عدادهم
ولم نك نطعم المسكين المحتاج أني لم تعظم امر الله ولم تشفق على خلق الله
وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وكما نخوض مع الخائضين نشرع
في الباطل مع كل مبطل ونغوى مع كل غاو وكنا نكذب بيوم الدين وبعد ذلك
كله كنا نكذب بيوم الجزاء كقوله ثم كان من الذين امنوا حتى أتانا اليقين
الموت لقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين
لو فرض شفاعتهم اذ لا يشفعون الا لمن ارتضى فما لهم عن التذكرة معرضين
حال من المجرور كقولك مالك قائما والتذكرة القرآن أو هو وسائر المواعظ
كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة حمر الوحش مثل في النفار من أدنى
شيء والقسورة الاسد عن ابن عباس للصايد وابن خبير الرامي فوعلة
من القسر كالحيدرة فيعله من الحذر وكلاهما ملحق بالفعلله وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو والكوفيون مستنفرة بكسر الفاء يقال نفروا واستنفر مثل عجب
واستعجب بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة تنشر وتقرأ
وقالوا لن نؤمن حتى تنزل علينا كتابا نقرأه كلا بل لا يخافون الآخرة
ولذلك يتعنتون ويعاندون ولم يريدوا بقولهم حتى تنزل علينا كتابا الا
عنادا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا
إن هذا الا سحر مبين كلا حقا إنه تذكرة وانما عرضوا والاول ردع
عن اقتراحهم الآيات وهذا عن الاعراض فمن شاء ذكره من الذكر بضم الذال
فعل القلب وما يذكرون إلا أن يشاء الله مشيتهم لقوله وما تشاؤن الا
أن يشاء الله أو ذكرهم وقرأ نافع تذكرون بالخطاب على الالتفات أو قل
لهم هو أهل التقوى وأهل المغفرة حقيق بأن يتقى لعلو شانه وجدير بالمغفرة
لسعة غفرانه روى الترمذي وابن ماجه والامام احمد عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما تلاها قال انا اهل ان اتقى ممن اتقى فمن اتقاني ولم يجعل معي
الها فانا اهل لان اغفر له تمت بحمد الله والصلوة على افضل خلق الله

سورة القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بيوم القيمة لا صلة تزاد لتأكيد القسم مثلها
في قوله لئلا يعلم لتأكيد العلم وقيل هذا انما يكون اذا وقعت في خلال الكلام كقوله
فلا وربك وانما اذا وقعت في صدر الكلام كما في هذه السورة وسورة البلد
فهي للنفي والمعنى نفي أن يقسم بيوم القيمة لان الاقسام بالشيء اعظام له
ليتوسل به الى تأكيد المقسم عليه وحاصله ان يوم القيمة في نفسه أعظم من

أن يعظم بالقسم ويجوز أن يكون لا ردا لقولهم انما أنت مفتر وأن المعنى اقسم
باليوم لا النفس اللوامة وقرأ ابن كثير لا أقسم على أن اللام جواب القسم
ولا أقسم بالنفس اللوامة هي المتقية التي تلوم النفس المقصرة يوم
القيمة على التقصير أو نفس الشاك التي تلوم نفسها ان ترقت الى مقام على
فهي ابدا في اللوم أو نفس آدم لانها بعد الجناية دامت على اللوم والحمل
على الجنس استدلالا بقوله صلى الله عليه وسلم ما من نفس برة وفاجرة
الا تلوم نفسها يوم القيمة لا يلايم الاعظام بالقسم وقيل النفس المطمئنة
لانها تلوم الامارة أني في حال الاطمئنان تلوم نفسها على ما فرط منها
جواب القسم محذوف أي لتبعثن دل عليه قوله أيحسب الانسان
أن لن نجمع عظامه بعد تفرقها قيل نزلت في عدي بن ربيعة بن الاخنس
ابن شريق سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر الساعة فاخبره
فقال والله لو عاينت ذلك لما ومن بك بلى قادرين على أن نسوي بنانه
مع صغر العظام فكيف بكبارها واذا قدرنا على الالطف الابعد عن الاعادة
فعلى الغير اقدر ومآله الى عدم التفاوت بين الاعادة والبدء وقيل معنى
تسوية بنانه جعلها كخف البعير دلالة على كمال القدرة والظاهر أن
تخصيص البنان بالذكر لانه اعجب شيء في الانسان وأخص به من بين
الحيوانات ثم في تصدير الكلام بالقسم بيوم البعث والمبعوث فيه على تعقد
البعث على الوجوب وفي ايراد الانكار انها اعرق بطرق ثم ايثار الحسبان وهمزة الانكار
مسندا الى الجنس والاتيان بحرف الايجاب وايقاع قادرين حالا بعد ما
من المبالغات في تحقيق المطلوب وتبيين حال المعرض عن الاستعداد له مما
يبهر عجائبه وزاده رونقا وحسنا بقوله بل يريد الانسان ليفجر أمامه
عطفا على يحسب ترق في الانكار دلالته على ان ذلك الحسبان الجار ارادة
الفجور أو اضراب عن الانكار عن حاله بما هو ادخل في اللوم كأنه قيل ندع الانكار
عليه اني يرتدع بالانكار وهو يريد الدوام على الفجور وعلى الوجهين فيه
ايماء الى انه عالم بوقوع البعث الا انه يتعامى يسأل أيان يوم القيمة
سؤال تعنت لما تقدم من انكاره فاذا برق البصر تحير فزعا كأنه نظر
البرق فدهش بصره وقرأ نافع برق بفتح الراء أي لمع من البريق وعن الفراء
هما لغتان والكسر افصح وخسف القمر بدهاب ضوئه وجمع الشمس
والقمر في الطلوع من المغرب أو في النار يعذب بهما من عبدهما وتذكير
الفعل لانه احد الحادثين ولموافقه خسف ومقارنه القمر حسن يقول
الانسان يومئذ أين المفر أين الفرار وبكسر الفاء اسم مكان كلا

زجر عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ اصله الجبل لانه يلجأ اليه في الغارات
إلى ربك خاصة يومئذ المستقر لا ملجأ غيره او الى حكمه ترجع امور
العباد او الى مشيته استقر فريق في الجنة وفريق في السعير ينبأ الانسان
يومئذ بما قدم وأخر بما قدم من ماله فتصدق وبما خلفه او بما قدم
من الاعمال وما اخر لم يعمل او بما اخر من سنه حسنة او سنة او بأول عمله
وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة واضحة فلا يحتاج معها الى
ان ينبأ لانه الذي ينبأ بما قدم واخر حين ينطوق جوارحه ولو ألقى معاذيره
اي ولو أتى بكل معذرة لا يقبل لان الشاهد من نفسه لا يقبله الجرح و
عن مجاهد المعاذير الستور والمعنى ولو القى الستور عليه حين عصيانه
لا يغني عنه شيئا لان عليه من نفسه بصيرة لاحظ قوله وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم والمعاذير اسم جمع كالمناكير لان قياسه
جمع المعذرة بدون التاء وجمع معذار على تفسير مجاهد لا تحرك به لسانك
اي بالقرآن عند أخذه من جبرائيل لتعجل به بحفظه مخافة ان يشذ عنك
شيء إن علينا جمعه في صدرك وقرآنه وقراءته على لسانك فإذا
قرأناه قراءة جبرائيل فاستمع له لانه سيقرأه فاتبع قرآنه قراءته اي
اقرأه بعد ذلك ثم إن علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وعزائمه
عباس فاتبع قرآنه فاستمع لقراءته ثم ان علينا بيانه قراءته على لسانك
كان يستعجل الاخذ من جبرائيل مخافة ان يفوته شيء فنهي عنه كلا ردع
له عما كان عليه واستطراده بين حبي العاجلة المدلول عليه بقوله بل يريد
الانسان ليفجر أمامه وقوله بل تحبون العاجلة للدلالة على ان العجلة
اذا كانت مذمومة فيما هو رحمة وشفاء فكيف بما هو محنة وشقاء وفي
تحبون العاجلة تغليب المخاطب كأنه قال وانتم يا بني آدم عادتكم العجلة
في كل شيء لحبكم عليه على ذلك خلق الانسان من عجل فان قلت اذا كانت
العجلة جبلة في الانسان فما معنى الردع في كلا قلت وان كانت من مقتضى
الطبع الا انها قابلة العلاج كسائر الملكات الرديئة ومن كان في اعلى منصب
الرسالة لا ينبغي له الا استيصال شافة تلك الملكات وقرأ ابو عمرو وابن
كثير وابن عامر يحبون ويذرون الآخرة بالياء وهو بليغ لان فيه التفاتا
واخراجا له من صريح الخطاب بحب العاجلة مع الرمز اللطيف الالهي بشأنه
صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة بهية عليها انوار السرور إلى
ربها ناظرة فضلا الى غيره كالطالب رؤية الهلال او ان النظر الى غير
تعالى كلا نظر كما تقدم في ذلك الكتاب والتقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة

والحمل على الانتظار مروي اخر كناية عن الرجاء لا يلائم ما روى الترمذي والامام
احمد بن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكرم الخلق على الله تعالى
من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ الآية ووجوه يومئذ باسرة
عابسة شديدة الكلوح تظن ان يفعل بها فاقرة الداهية الشديدة
كأنها تكسر فقار الظهر وايثار الظن لانها انما تتوقع وتترقب اشد
مما هي فيه كلا ردع عن حب العاجلة وايثار الدنيا على الآخرة بذكر ما هو
اوعظ شيء للانسان وهو الموت وأهواله إذا بلغت التراقي الضمير للنفس
وان لم تتقدم لان قرينتها اظهر من نار على علم الا يرتاب عاقل ان المراد من بلغاء
العرب وهو الذي لا يشق غباره في قومنا الأزواج بحكمه كما جاز فصب السبق
في مضمار قرنا الاشباح بنعمه سلك هذه الطريقة امارة ما يعني التراقي من
الغنى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ويخاطب ماويه بنت عفرو كانت
ملكه تحت خاتم والتراقي العظام المتداخلة عن يمين النحر وشماله وقيل
من ذا في القائل الاحباب والخلان بعضهم لبعض من يرقيه منكم لعل ان يكون
ببركة الرقية نجاه وهذا انما يقال عند اليأس وعجز الاطباء وقرأ حفص
بسكته لطيفة على من للدلالة على ان الادغام فيه غير لازم وخلاصا من
ثقل التقارب وظن انه الفراق اي ظن الحاضرانه الفراق الحقيقي و
التفت الساق بالساق من شدة الالم وسقوط القوى مع خوف المآل
بعض المشايخ جزع جزعا شديدا عند الموت قاله بعض اصحابه على ما هذا
الجزع قال باب ادقه سبعين سنة ولا ادري ما وراءه إلى ربك يومئذ
المساق لا الى غيره وهو عليم بذات الصدور وقد علمتم ان حب الدنيا
كل خطيئة فكيف تؤثرون الحيوة الدنيا على الآخرة فلا صدق ولا صلى
اي الانسان الحاسب أن لن نجمع عظامه لا صدق بقلبه ولا اتى بالاعمال
المصدقة لعقد القلب وعبر عنها بالصلوة لانها رئيسة العبادات أو لا
نصدق بماله يقال صدق اذا اعطى الصدقة ولكن كذب وتولى عن الطاعة
ثم ذهب إلى اهله يتمطى يتبختر ذاهبا الى أهله مفتخرا بما فعل من التكذيب
والتولي من غاية جهله يعتقد أن اشنع المثالب رفع المناقب أولى لك
فأولى اي أولاك ما يكرهه فأولاك مرة بعد اخرى والام مثل اللام
في ردف لكم وقيل فعل من الويل بعد القلب ثم أولى لك فأولى ابلغ فابلغ
أيحسب الانسان أن يترك سدى مهملا لأجزاء ولاحساب اي لا يكون ملحوظا
لان فيه بطلان الحكمة ألم يك نطفة من مني يمنى قرأ حفص بالتذكير
والضمير للمني ثم كان علقة فخلق فقدره وعدله فجعل منه الزوجين

الصنفين الذكور والانثى البشر ذلك الصانع بقادر على ان يجيى الموتى
روى ابو داود عن موسى بن ابى عايشه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ
قال سبحانك بلى قمت والحمد لله على انعامه والصلوة على محمد واله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان هل بمعنى قد مع الاستفهام اى
اقد كقوله اهل ذا وانا بسفح القاع دنى لاكم والمعنى على التقرير والتقريب
حين من الدهر طائفة من الزمن الممتد غير المحدود لم يكن شيئا مذكورا
شيا يعتد به ويذكر بل منقليا فى الاطوار نطفة وعلقة ومضغة والمراد
به بنو ادم لقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة فالمعرفة عين الاولى
وفى ايثار المظهر فضل تقرير وقيل الاول ادم والثانى بنوه امشاج جمع
مشيج كاينام فى يتيم لان ماء الرجل والمراة كل منهما مختلف الاجزاء رقه
وقواما وخواص وما يصلح ماده جزء منه لا يصلح لاخر وعن ابن مسعود رضى
النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار وقيل لفظه جمع ومعناه مفرد
كرمة اعشار وبرد اكاش نبتليه حال مقدرة اى مقدرين ومريدين ابتلاءه
او ناقلين له من حال الى حال فالابتلاء مستعاد لان فى كل ظهور يظهر ظهورا
اخر كظهور الممتحن وقيل على التقديم والتاخير اى فجعلناه سميعا بصيرا
نبتليه وفيه تكلف لوجود الفاء وتخصيص السمع والبصر لانهما اعظم الحواس
وبهما يتلقى الاوامر ويشاهد المعجزات انا هديناه السبيل بانزال الايات
ونصب الادلة اما شاكرا واما كفورا حال من الهاء اى هديناه فى حاليه
لئلا يكون للكفور حجة ومقابلة الشاكر بالكفور اشارة الى علية الكفران
على الانسان انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ذكر الوعد
والوعيد بعد ذكر الشاكر والكفور وقدم الوعيد مع تاخر الكفور لان الانذار
اهم وليكون فتح الكلام وختمه مع المؤمنين قرا نافع والكسائى وابو بكر
هشام وسلاسل منونا ليناسب اغلالا وحمزة وقنبل باسكان اللام فى الوقف
وكنا حفص وابن ذكوان والبزى فى وجه لمتعها من الصرف ان الابرار
جمع بر كارباب جمع رب يشربون من كاس هو الزجاج ما دام فيه الخمر ويطلق
على الخمر وهو المراد لقوله كان مزاجها كافورا اى ماء كافور وهو عين
فى الجنة وقيل يخلق فيه رايحة الكافور وبرده وقيل يمزج خمرهم بالكافور
عينا بدل من كافورا على الاول وعلى الاخيرين من محل من كاس على تقدير مضاف
كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص يشرب بها عباد الله

المقربون اى يمزجون الخمر بمائها ومزاجه من تسنيم هذا ان جعل كافورا اسم
عين والا فالباء مزيدة يفجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا كثيرا
سهلا بلا تعب يوفون بالنذر استيناف لما عسى ان يسال لما ناكان ذلك
الاكرام دينية بذكر النذر على انهم فى واجبات اسعى واوفى ويخافون يوما
كان شره مستطيرا منتشرا اقصى ما يمكن من الانتشار من استطار الفجر
ويطعمون الطعام على حبه اى اخبت الطعام والاحتياج لقوله لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون وقيل على حب الله وفى قوله لوجه الله غنية عن
هذا مسكينا ويتيما واسيرا مدح لهم موضع الصدقة فانها كالبذر لا
تنبت الا فى ارض طيبة ويدخل فى الاسير المسلم والكافر والغريم والمملوك
وفى الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك وكان يوتى بالاسير الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيدفعه الى بعض المسلمين ويقول احسن اليه انما
نطعمكم لوجه الله يقولونه بلسان الحال او بلسان المقال منعا لمن احسنوا اليه
عن المكافاة والثناء لا نريد منكم جزاء ولا شكورا توكيد للاولى انا نخاف
من ربنا يوما عذابا يوهى انما اردنا بالاطعام وجه الله لانا نخاف جزاء
ذلك اليوم ومن خاف ذلك لازم الاخلاص ولم نرد منكم على الصدقة مكافاة
خوفا من عقاب الله على طلب المكافاة عبوسا قمطريرا شديدا العبوس من
القطر والميم مزيدة يقال جمع فلان قطرته اذا اشتد تغيره مغضبا امامحا
حكمى وصف بوصف اهله لما فى الحديث ان الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه
سنه القطران او استعارة بالكناية شبه بالاسد العبوس فى ضراوته
فوقيهم الله شر ذلك اليوم لما قدموا له من البر ولقيهم نضرة بهجة
فى وجوههم وسرورا فى قلوبهم وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا لباكلو
الهتيى به ويلبسوا الديباج وما نقلوه عن علي لا يصح لان السورة مكية
متكئين فيها على الارائك على هياة المترفين نصب على الحال لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا اى لا حر ولا برد لاعتدال الهواء وعن ثعلب الزمهرير
القمر بلغة طى وانشد وليله ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرى ما ذهر
والمعنى لا احتياج الى الشمس والقمر لضياء الهواء ودانية عليهم ظلالها
عطف على الجملة الحالية لانها فى تاويل المفرد والواو للدلالة على اجتماع
الامرين لهم كانه قيل جامعين فى الجنة بين البعد عن الحر ودنو الظلال
عليهم ويجوز ان يجعل متكئين وما بعده صفات لجنة على مذهب من لا يوجب
ابراز الضمير فى صفة جرت على غير من هى له لكون متكئين كذلك او عطفه
على جنة على التهم وعد واجنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وذللت

تطوفها تذليلا اى لا تمتنع على الطواف بل لا يقطعون كما شاؤا عطف على
دانية وايثار الفعلية لقصد التجدد لان الطوف بحسب الحاجة او صفة
مثلها او حال من ضميرها ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب اباريق
بلا عرى كانت قوارير قوارير من فضة القارورة ما يكون من الزجاج استير
لما كان من فضة يجامع الصفاء والشفيف فجاءت حسنة بديعة وقرا ابو عمرو
وابن عامر وحمزة وحفص قوارير الاول غير منون ووقف عليه حمزة بدون
الف وهم مع ابن كثير الثاني ايضا ووقفوا بلا الف سوى هشام قدروها تقديرا
صفة قوارير اى جاءت على مقدار ما صوروها في انفسهم او قدروها بأعمالهم
الصالحة او الضمير للطائفين والمعنى قدروا الشراب الذي فيها على قدر الري
وهو الذي للشارب ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا لان العرب
تستلذ طعمه قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتيا بها واريا مشورا و
عن قتادة يمزج لهم تارة بالكافور اليارد واخرى بالزنجبيل الحار ليعتدل
الامر عينا فيها تسمى سلسبيلا بدل من زنجبيل وقيل يخلق الله تعالى طبعه
فيها وقيل يمزج بالزنجبيل وعلى الوجهين عينا بدل من كاسا والتسلسبيل كالسل
والسلسال سهل لانحداره وان كان فيها طعم الزنجبيل فليس فيه لذاعة ولا
زادة المبالغة جيء به خماسيا وقيل اصله سل سبيلا سمي به لانه لا يشرب منها
الا من يسال السبيل اليها بالعمل الصالح وفيه تكلف وفوات المبالغة بالوصف
ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في الحسن
وصفاء اللون والتفرق في المجالس وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض او كانهم
لؤلؤ نثر من صدفه طريا من تشبيه المفرد واذا رأيت ثم لم يقدر له مفعول
والمعنى اذا كنت ثابصرهناك رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا حيث وقع
بصرك عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة
لمن ينصر في ملكه الف سنة ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه وروى البخاري
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخر اهل الجنة
دخولا له مثل الدنيا عشر مرات عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق
عاليهم نصب على الحال اما من المجرور في عليهم او المنصوب في حسبتهم ولقاسم
او جزاهم وقرا نافع وحمزة بسكون الياء على انه مبتدا مفرد في معنى الجمع
كانه اسم القوم وسامر تهجرون وثياب سندس خبره خضر بالجر صفة سندس
وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص بالرفع صفة ثياب واستبرق
بالجر عطف سندس ورفعه نافع وابن كثير وعاصم عطفا على ثياب والسندس
ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ معرب استبرك عن ابن عباس رضي الله عنه

كما ترى لرجل يكون عليه الثياب يعلوها الافضل ويجوز ان يكون الاستبرق
يطانه لقوله بطائنها من استبرق وحلوا اساور من فضة ولا ينافيه
قوله اساور من ذهب لاحتمال الجمع والمعاقبة وقيل الفضة للابرار والذهب
للمقربين وسقاهم ربهم شرابا طهورا طهرا باطنهم عن الغل والحسد كما
زين ظاهرهم بالثياب والحلى وقيل هذا نوع اخر فوق الاول ولذلك اسنده
الى ذاته ووصفه بالطهور فانه يذهب عن خاطرهم سوى الاستغراق
بمطالعة جماله وهذا نهاية درجاتهم ولذلك ختم به حديث السؤال ان هذا
كان لكم جزاء على اعمالكم والمشار اليه الثواب المذكور وكان سعيكم
مشكورا مجاز عن الاعتداد به وفائدة هذا القول ابراز الفضل في صورة
الاجر المستحق اخراجا له عن صورة المنوط به انا نحن نزلنا عليك القران
تنزيلا كرر الضمير واكده بان مع ايثار التنزيل الدال على التفريق الذي هو
مقتضى الحكمة ليدل على ان قوله فاصبر لحكم ربك صادر عن حكمة بالغة
وان تاخير نصره لما فيه من الحكم الخفية ولا تطع منهم اثما او كفورا
اى كل واحد منهما ولذلك اثر او لئلا يتوهم الجمع وهم وان كانوا كلهم
كفرة الا ان منهم من كان يدعوه الى الاثم ومنهم من يدعوه الى الكفر وقيل
الاثم عتبة والكفور الوليد لان ذلك كان غالبا في الفسوق وهذا في الكفر
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا طرفي النهار ليتال به تحلاوة تذهب عناء
مرارة الصبر وخص طرفي النهار لشرفهما وقيل دم على صلوة الفجر والظهر
والعصر فان الاصيل بيتنا وفيها ومن الليل بعض الليل فاسجد له فانه
وقت الاقتراب اليه لدنو رحمته وخلو الوقت للتهاجد وقيل صلاتي المغرب
والعشاء ويؤيده وسبحه ليلا طويلا اى نوافله وصل له تطوعا
ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا استعارة له
لشهل من الحمالة والمراد شدته يحتمل خلقنا هم وشددنا اسرهم الاسر
الربط بالوثاق بالاسار والمراد توصيل اطرافهم بعضها مع بعض وتوثيق
مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اى اهلكناهم
وانشانا هم نشاة اخرى فالتبديل في الصفات لان المعاد هو المبتدا او
بدلنا مكانهم قوما اخرين كقوله ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين
وانما مع ان ذلك امر فرضي للدلالة على تمام الاقتدار ان هذه تذكرة
السورة او الايات القرانية فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا موصلا اليه
بالطاعة وما تشاؤن الا ان يشاء الله مشيتكم لانها المعلولة
المحذوف هو ما دل عليه المذكور كقولك لو شئت لقمت زيدا اى لو شئت

فتله وفي اثبات المشيتين بطلان الجبر والاعتزال والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل وقرأ نافع والكوفيون تشاؤن بالخطاب إن الله كان عليما
بكنه الاشياء حكيما لايشاء الا ما اقتضته الحكمة يدخل من يشاء في رحمته
بالهداية والتوفيق والظالمين اعد لهم عذابا أليما نصب الظالمين على
شريطة التفسير بما يلابسه المفسر نحوا وعده كافا تمت سورة الانسان والحمد
للواحد المنان والصلوة على صفوة الانسان وآله وصحبه الماخرا لزمان

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلن
لامضاء اوامره حال كونها كعرف الفرس في الاجتماع والتتابع فالعاصفات
عصفا يعصفن عصف الرياح مبادرة الى امتثال امره أو العرف ضد النكر
مفعول له اي المرسلة لانفاذ الانبياء وإهلاك الكفار نعمه لاولئك ونعمة
لهؤلاء والناشرات نشرا نشرن اجنحتهن فالجو ناذلين بالوحي او ناشرات
الشرايع او النفوس الموتى بافاضة الجهل فالفارقات فرقا بين الحق والباطل
فالملقيات ذكرا وحيا الى الانبياء فان قلت الالقاء مقدم على الفرق
فما وجه العطف بالفاء قلت الالقاء مقدم على العلم بالفرق لا عليه وقيل
على تقدير الارادة أو اقسم بريح ارسلت للعذاب متتابعة عاصفا وباخرى
تنشر السحاب في الجو فتفرق بين كسفه وتجعله كسفا او تنشر الموتى
ففرق بين المؤمن للقابل مطرنا بفضل الله تعالى والكافر القابل بالانواء
والقاء الذكر منها لكونها سببا له اذا شكرت النعمة عذرا او نذرا مصدر عذر
محى الاساءة او نذرا اسم مصدر هو الانذار او مصدر نذر بمعنى انذر
او جمع عذير بمعنى المعذرة وانتصابهما على العلية اي عذرا للمحقين او نذرا
للمبطلين واو للتنويع لا التردد او البدل من ذكرا ويجوز ان يكون ناصبهما
والمعذرة والنذر على النصب على الحال وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص نذرا
بالتخفيف انما توعدون لواقع لامحالة وهو قيام الساعة فاذا النجوم
طمست محيت واعدمت او ذهب نورها واذا السماء فرجت فتحت
فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت نسفا الحب والرمل فكانت كثيبا مهيلا
اصله القلع بسرعة واذا الرسل اقتت بلغت وقتها الموعود وهو وقت
الحضور للشهادة على الامم وقرأ ابو عمرو بالواو وهو الاصل لانه من الوقت
الا ان الرسم على الهمزة لانه وان كان اثقل من الواو والياء ان الضم عليه احق
منه على الواو لاي يوم اجلت الرسل ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل

وما ادراك ما يوم الفصل بالغ في تهويله بابهامه أو لانه بيان انه يوم الحكم
والقضاء ثم هول شانه بانك لم تحط علما بكنه ذلك ويل يومئذ للمكذبين
به الويل الهلاك اصله النصب على المصدر لغير فعله لعدم استعماله والعدول
الى الرفع لكونه ابلغ في الدعاء لدلالته على الدوام الم نهلك الاولين من تقدم
كفار مكة من الامم المكذبة ثم نتبعهم الاخرين نحن نتبع اولئك في الاهلاك
اهل مكة كذلك نفعل بالمجرمين بكل مجرم في كل عصر ويل يومئذ للمكذبين
اي يوم اهلاكهم فليس فيه تكرير لان الاول لعذاب الاخرة وهذا لعذاب الدنيا
مع ان التكرير للتهويل له موقع حسن الم نخلقكم من ماء مهين هي النطفة
القذرة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم نفصيل لكيفية الخلق الى قدر معلوم
له تعالى وهو وقت الولادة فقدرنا على ذلك فنعم القادرون نحن على الاعادة
وقرأ نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد اي ذلك المولود شقيا او سعيدا الى
غير ذلك من حال النطفة علقة ومضغة وعظاما والقادرون بمعنى مقدورون
من قدرة الشيء اقدره قال الشاعر وقد قدر الرحمن ما هو قادر وهذا أوفق
لقوله من نطفة خلقه فقدره ولان حديث القدرة قدم في قوله الم نخلقكم
لكون الاستفهام للتقرير ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا اسم
لما يكفت اي يجمع كالضمام اسم لما يضم او مصدر نعت به لاجمع كافت كصيام
في صايم لاسناده الى ضمير الارض احياء وأمواتا نكرهما لان احياء الانس
وامواتهم بعض الاحياء والاموات ولا ينافيه التفخيم لدلالته على كثرة
لا تحصى وانتصابهما على المفعولية او الحالية من مفعوله المحذوف وجعلنا
فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتعظيم والتبعيض
لكون بعض الجبال في السماء لقوله من جبال فيها من برد واسقيناكم ماء
فراتا عذبا واي عذب ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا
على تقدير القول الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا الى ظل
من حر الشمس ذي ثلث شعب يحيط بهم من فوقهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير معزز من
الحر كقوله لا بارد ولا كريم وهذا الظل وهو الدخان الذي هو سرادق النار
احاط بهم سرادقها يقعون فيه الى الفراغ من الحساب بدل ونوفو المؤمنين
في ظل عرش الله انها ترمي بشرر كالقصر في العظم كانه جمالة صفر
جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت اولا بالقصور ثم بالجمال فان الوهم تشبه
الابل بالقصور قال كاطيتت بالعدن الشيا غاشبه الشرر حين ينقض
من الناس بالقصر في العظم وحين ياخذ في الارتفاع والانتشار عن اعدائه

محصورات فى الحركات الشريعة فى الجهات بالجمال وعن ابن عباس رضى الله
عنه كالرفع خشبة للشتاء طولها ثلثة اذرع او اقل تسميه القصر وعند
الجمالات جبال السفن تجمع حتى تكون كاوساط الرجال والاول هو الوجه
وقد روى عنه ايضا وقرا حمزة والكسائى وحفص جمالة وجمالات ابلغ
واوفق بالمقام ويل يومئذ للمكذبين بذلك اليوم هذا اى الذى قضى
عليكم يوم لا ينطقون يوم القيمة ذو مواطن دون اخر او لا ينطقون
بما يحق ان يسمى نطقا لعرائه عن الفائدة ولا يؤذن لهم فيعتذرون
عطف على يؤذن اى لا اذن ولا اعتذار مطلقا ولو جعل جوابا للدل على ان
عدم الاعتذار لعدم الاذن واوهم ان لهم عذرا يعتد به لكن لم يؤذن لهم فيه
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين للحكم بين المحق و
المبطل فان كان لكم كيد فكيدون توبيخ لهم على ما كانوا يكيدون به المؤمنين
وتسجيل عليهم بالاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين من الشرك لانه
فى مقابلة المكذبين فى ظلال متراكمة وعيون جارية وفواكه مما يشتهون
كثرة الانواع كلوا واشربوا هنيئا على تقدير القول بما كنتم تعملون فى
الدنيا من الصالحين انا كذلك نجزى المحسنين المخلصين ويل يومئذ للمكذبين
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون تذكير لما كان يقال لهم فى الدنيا وتحسير
لهم بايثار الحقير على الخطير ويل يومئذ للمكذبين به واذا قيل لهم اركعوا
لا يركعون متصل بقوله للمكذبين كانه قيل ويل يومئذ للذين كذبوا والذين
اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وعجوزا تصاله بالمجرمين كانه قيل هم احقاء
بان يقال لهم كلوا وتمتعوا لكونهم مجرمين ولكونهم اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون
ويل يومئذ للمكذبين به فباى حديث بعده يؤمنون اى بعد القران فانه
لا حديث بلغ بيانه فضلا عن ان يساويه وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ فباى حديث بعده يؤمنون فليقل امنت بالله وبما
انزل تمت المرسلات والحمد لواهب البركات وعلى المختار افضل الصلوات

سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عن ما فاتصلت فى الخط وحذف
الالف فرقا بينها وبين الجارة وابدانا بسدة الاتصال وكثرة الدوران
وقرأ ابن كثير فى رواية البزى عمه بهاء السكت فى الوقف ليكون حيرانا عن
الذاهب وهو احد حرفى الثنائى كادمشركوا مكة يسال بعضهم بعضا عن امر
القيمة او رسول الله والمؤمنين استهزاء على ان التساؤل بمعنى السؤال

وابو عمرو على انه مبتدا خبره الرحمن او هو بدل خبره لا يملكون وقرأ الرحمن
بالجر ابن عامر وعاصم على البدل ومن جرا لاول ورفع الثانى ابدل الاول
وجعل الثانى مبتدا خبره لا يملكون او خبر محذوف منه خطابا اى من الله
والمعنى لا يملكون من جهته شيئا من الخطاب لان المملوك لا يملك شيئا على ما هو
وهذا لا ينافى الشفاعة بعد الاذن يوم يقوم الروح والملائكة صفا
ظرف لا يتكلمون او لما بعده والروح جبريل وافراده لشرفه وقيل نوع اخر
من المخلوقات وقيل ملك لم يخلق الله بعد العرش اعظم منه لا يتكلمون الا
من اذن له الرحمن وقال صوابا اى من تكلم من هؤلاء الاشراف انما يتكلم
بشرط الاذن وقيل الصواب ففيه تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون منه خطابا
ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مابا منن لاوماوى
بالايمان والعمل الصالح انا انذرناكم عذابا قريبا اذ كل ات قريب ولان
ابتداءه من الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اى كل امرئ ينظر عمله خيرا
كان او شرا لقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وقيل المرء هو الكافر لقوله انا
انذرناكم وضع المضمر موضع المظهر وعن قتادة هو المؤمن لقوله ويقول
الكافر وقرأ لاول هو الاوجه لقوله ان يوم الفصل ولقوله فمن شاء اتخذ
الى ربه مابا ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا فى الدنيا لم اخلق او فى هذا
اليوم لما يرى من تراب الحيوانات والوحوش تصير ترابا بعد جريان القصاص بينها
تمت والحمد لله على الدوام والصلوة على خير الانام وآله وصحبه الى يوم القيام

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسم بالملائكة الموصوفة بطوائف
يدل على كمال قدرته وبقائه امره فالنازعات هم ملك الموت واعوانه الذين
ينزعون ارواح الكفار من اعماق ابدانهم والغرق اسم الاغراق كالسلام اسم
التسليم او مصدر بحذف الزوائد والناشطات الذين ينشطون ارواح
المؤمنين برفق من نشط الدلو اخرجها من البئر ونشط البعير حله برفق والسابحات
الذين يسرعون فيما امروا به فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح
المؤمنين الى الجنة فيدبرون امرها وعقبها او النجوم تنزع من المشرق
الى المغرب واغراقها قطع الفلك بتمامه الى الافق تغرب او ان تنشط من برج الى
اخر من نشط الثور اذا خرج من بلد الى اخر فتسرع فى السير فيسبق بعضها
بعضا فتدبر بما نيط بها من الفوائد او خيول الغزاة تنزع فى اعنتها اغراقا

لطول اعناقها لانها عراب فيخرج من دار الاسلام الى دار الكفر فيسبح فى بحرها
فيسبق بعضها بعضا فتدبر امر الظفر على المجاز او تغوص لسالكين تنزع عن
الشهوات رأسا وتنشط الى عالم الملكوت فتسبح فى بحر المعارف فتسبق
بعضها بعضا بقدر المقابلات فتدبر سائر النفوس بالارشاد والتكميل و
المقسم عليه محذوف دل عليه ذكر القيمة بعدا لتبعثن يوم ترجف
الراجفة نصب ذلك المحذوف والراجفة الواقعة وصفت بما يحدث بحدوثها
من رجف الارض والجبال مبالغة وهى النفخة الاولى وانما صح ان يكون وقتها
ظرفا للبعث مع انه لا يكون الا بعد الثانية لاتساع الوقت على ان تتبعها
الرادفة وهى النفخة الثانية حال منها فلا بد من الامتداد الى وجودها
وقيل الراجفة الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب فلوبئ يومئذ
واجفة شديدة الاضطراب الرجيف والوجيف اخوان ابصارها خاشعة
خبر قلوب لانها نكرة موصوفة كقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
او خبر بعد خبر لان تنكيرا لتنويع قائم مقام الوصف يقولون ائنا لمردودون
فى الحافرة يريدون الحيوة الدنيا بعد الموت والحالة التى كانوا عليها فى الدنيا
انكارا للمعاد والحافرة الطريقة التى حفرها وارفيها بمشيه والقياس محفورة
فاما على تقدير ذات حفر او على الاسناد مجازا نحو عيشة راضية وعن ابن
السكيت حافرة الشئ اوله واستشهد بما انشده ابن الاعرابى احافرة على
صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار ائذا كنا عظاما نخرة انى يكون ذلك
والنخرة البالية من النخير وهو صوت الريح والقلم انا بلى نخر فيه الريح لصيرورته
اجوف وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر ناخرة بالمد والقصر ابلغ وانما نصوب
بمقدر اى نرد ونبعث قالوا تلك اذا كرة خاسرة اى رجعة ذات خسران
او خاسر صاحبها ان صح ما يقوله محمد قالوه استهزاء فانما هى زجرة واحدة
لا استبعاد ولا استصعاب بل هى فى غاية السهولة على الله لا توقف لها
الا على صيحة واحدة وهى النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة احياء كقوله
فاذا هم قيام ينظرون والساهرة الارض البيضاء المستوية لان السراب
يجرى فيها من قولهم عين ساهرة اى جارية او على المجاز لان ساكنها لا ينام
خوفا وعن قتادة اسم جهنم ولما كان الكلام من مفتتح السورة الى ههنا
مسوقا للتهديد مذ مجاقيه تسلية رسوله عقبه بقصة موسى وفرعون لعراقتها
فى هذا الباب هل اتيك حديث موسى اى ليس قد اتاك حديثه المشتمل على نصره
وقهر عدوه ففيه ما يسليك ثم فصله بقوله اذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى عطف بيان او بدل ونونه الكوفيون وابن عامر بناء على المكان اذهب

كالتداعى والتراءى بمعنى الدعوة والرؤية والمراد تفخيم شان المسئول عنه مجرما
عن الاستفهام لوقوعه فى كلام من لا يخفى عليه خافية عن النبإ العظيم
بيان لشان المفخم او متعلق بيتساءلون وعم بما فسره الذى هم فيه مختلفون
منهم المنكر له ومنهم الشاك او الضمير للفريقين المؤمنون يسالون زيادة
الايقان والاستعداد له والكفار استهزاء وعنادا كلا سيعلمون ردع
للمتسائلين هزوا ووعيد ثم كلا سيعلمون كرره مبالغة واثر دلالة على
ان الثانى اشد من الاول وكما فخم شان البعث فخم ما يقع بعده وقيل الاول
عند النزع والثانى فى القيمة او الاول للبعث والثانى للجزاء الم نجعل الارض
مهادا والجبال اوتادا وانتم لا تنكرون شيئا من ذلك فانكار البعث لما ذا
وهل ذاك الا على منوال هذا او من ابدع هذه الاشياء انما ابدعها لحكمة لا
عبثا فلا بد من البعث والجزاء وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا
نومكم سباتا موتا من السبت وهو القطع والنوم احد الموتين وجعلنا
الليل لباسا ساترا عن العيون يمكن اخفاء ما لا يراد اظهاره من بيات العدو
او الفرار منه الى امور شتى وجعلنا النهار معاشا وقت معاشكم تتقلبون
فيه لحوايجكم استدل بخلقهم ذكرا وانثى واستوفى احوالهم مفترقين ومفترنين
وبنينا فوقكم سبعا شدادا محكمة لا يوثر فيها مرور الدهور وجعلنا
سراجا وهاجا اى الشمس التى لا اعظم من وهجها النار التهبت واضاءت
وانزلنا من المعصرات من السحاب التى شارفت ان يعصرها الرياح للمطر من
اعصرت الجارية قاربت عصر الحيض او من الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب
وعن الحسن وقتادة رضى الله عنهما من السموات وان الماء ينزل من السماء
الى السحاب فكان السموات لما يعصرن اى يمكن من المعصرات ماء ثجاجا منصبا
بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث الحج عج وثج اى رفع الصوت بالتلبية
والذكر واكثر به دماء القرابين لنخرج به حبا للانسان ونباتا للدواب
وجنات الفافا ملتفة جمع لف كفف وخفافا وجمع لفيف كشريف واشراف
لخضراء او مختلف بحذف الزوائد وفيه ان هذا لا نظير له لان تصغير الترخيم
ثابت دون تكسيره ان يوم الفصل كان ميقاتا فى علم الله والميقات ما يوقت
به الشئ والمراد به حلول الدنيا وفنائها او حد الخلائق وما ينتهون اليه
يوم ينفخ فى الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات
يوم ندعو كل اناس بامامهم والحديث المروى ان امته عليه السلام يحشر
عشرة اصناف موضوع مختلق وفتحت السماء فكانت ابوابا عطف على
فتاتون واتى بالماضى لكونه محقق الوقوع او حال اى فتاتون والحال

انها قد فتحت والمراد كثرة الطرق والشقوق كقوله وفجرنا الارض عيونا
وقرأ الكوفيون مخففا وسيرت الجبال في الهواء ثم مر السحاب فكانت
سرابا اى كالسراب بحسب ماء ولاما لان شان الجبل الثبات والقرار
ان جهنم كانت مرصادا مكانا يرصد فيه خزنة النار للكفار او خزانا لجنة
المؤمنين يحرسونهم اذا مروا عليها للطاغين مآبا مرجعا وماوى لابثين
فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا الاحقاب
جمع حقب وهي ثمانون سنة وقيل دهر طويل كقوله او امضي حقبا والمعنى
يلبثون احقابا كثيرة لا يذوقون فيها الا الماء الحار وغساله اهل النار
وصديدهم ثم ينقلون الى نوع اخر من العذاب وان جعل لا يذوقون استينافا
فالمراد باحقابا دهور غير متناهية كلما مضى حقب تبعه اخر الا ترى كيف
دفع وهم الانقطاع بقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقرأ حمزة لبثين
مقصورا وهو اقوى وعليه الرسم وحمزة والكسائي وحفص غساقا مشددا
جزاء وفاقا اى جوزوا جزاء ذا وفاق لاعمالهم او وصف بالمصدر انهم
كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا يقال كذب تكذيبا وكذابا قال
سيبويه الاصل كذابا والبناء عوض عن التضعيف والياء عن الالف وكل شيء
احصيناه كتابا نصب على المصدر اى احصاء او احصيناه بمعنى كتبنا لتلاقي
الاحصاء والكتبة الضبط او على الحال اى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة
فذوقوا اى العذاب التفت اليهم في مقام التسخط زيادة في العذاب فلن نزيدكم
الا عذابا استثناء من الاعم اى شيئا من الاشياء وعن ابي برزة الاسلمي
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشد اية في كتاب الله على الكفار
فتلاها ان للمتقين مفازا مكان فوز هي الجنة كما ان جهنم للطاغين مآبا
ثم فسره بقوله حدائق جمع حديقة وهي روضة ذات شجار وقيل روضة
احاط بها حائط واعنابا افردها لقلة وجودها في ارض العرب وكواعب
جمع كاعب ناهدة الثدي اترابا لدات وكأس دهاقا ممتلئة متتابعة من دهقه
الحوض فهو داهق لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا اى لا يتادون من سماع
اللغو وتكذيب بعضهم بعضا وقرأ الكسائي كذابا مخففا انما مصدر كاذب
او كذب بمعنى كتب كتابا كقولك لاعشى فصدقها وكذبه والمراد بنفعه كذابه
اى لا يصدر منهم كذب حتى يسمعهم السامع جزاء من ربك نصب على المصدر
عطاء بدل من جزاء او مفعول به له او لنا صبه المحذوف حسابا صفة
بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم
رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك ورفعه نافع وابن كثير

الى فرعون انه طغى على ارادة القول فقل هل لك الى ان تزكى اى هل لك رغبة
في ان تتطهر من رجس الكفر والطغيان ارشده الى طريق الدعوة بالطف طريق
وذلك ان يعرض عليه ليوامر نفسه ويرى رأيه كما تقول للضيف الا تنزل بنا وهذا
نحو قوله فقولا له قولا لينا وقرأ نافع وابن كثير تزكى بتشديد الزاء على
ادغام احدى التائين في الزاء وحذفها الاخرون تخفى وأهديك الى ربك
الى معرفته فتخشى لان الخشية على قدر المعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء وروى الترمذي عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية
فاراه الاية الكبرى اى فذهب اليه فدعاه فابى فاراه المعجزة العظمى من
معجزاته وهي قلب العصا ثعبانا او كل معجزاته لانها كانت لواحدة فالدلالة له
فكذب موسى وعصى ربه ثم ادبر يسعى اى قبل يسعى في دفع موسى كما يدل
من قولهم اقبل يفعل كذا وعبر عنه بالادبار اشارة الى ان ذلك الاقبال كان ادبارا
وعليه دعاؤه او ادبر هاربا بالماء انقلب العصا ثعبانا فحشر فنادى اى حشر
السحرة او جنوده فنادى بنفسه السحرة او جنوده فنادى بنفسه او من امره
به على انه اسناد الى السبب فقال انا ربكم الاعلى اى اعلى من كل رب لما تقدم
في الاعراف انه كان امر قومه باتخاذ الاصنام يتقربون بها اليه فاخذه الله
نكال الاخرة والاولى النكال كالسلام اسم للتنكيل اى نكل الله به في الدنيا
بالاغراق وفي الاخرة بالاحراق وعن ابن عباس رضي الله عنه نكال كلمته الاولى
هي قوله ما علمت لكم من اله غيري والاخرى انا ربكم الاعلى ان في ذلك اى فيما جرى
عليه وعن مآله لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية انتم اشد خلقا
الخطاب للمشركين من مكة ام السماء ولا شك ان الثاني اصعب ثم مشرحا بين كيفية
ايجادها من غير الة ومقدمين ليدل به على ان انكارا لبعث امر عادي او تمام او
تصام بناها خلقها على صورة القبة المبنية رفع سمكها اى جعل مقداره
ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا لمقدار خمسمائة عام فسواها فعدلها
مستوية الاجزاء مزينة بالكواكب على ما اقتضته الحكمة واغطش ليلها
اظلمه يقال اغطش الليل واغطشه الله كظلم واظلم ويقال اغطش الليل ايضا
كاظلم لازما واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها وانما اضاف الليل والشمس
الى السماء لان الليل ظل السماء فالمراد بالسماء وان كان ظل الارض حقيقة او لانهما
يحصلان بغروب الشمس وطلوعها والارض بعد ذلك دحاها بسطها
وقد سبق الكلام في سبق خلق الارض في اوائل البقرة في قوله ثم استوى الى
السماء مما لا مزيد عليه اخرج منها ماءها ومرعيها اى دعيها تفسير للدحو

بما لابد لثاوٍ لسكنى مِنه من المأكل والمشرب أو حال بإضمار فدود لَّ بالماء و
المرعى على كل ما يُرتفق به من أمر المعاش والجبال أرسيها اثبتها كالاوتاد
لتستقر الأرض متاعًا لكم ولأنعامكم لسائر الحيوانات ففيه تغليب فإذا
جاءت الطامة الكبرى الداهية العظمى التي تطم على سائر الدواهي من طم الشيء
علاه وعليه فالوصف للتأكيد والمراد النفخة الثانية أو الساعة التي يساق
الفريقان الى دار الخلود يوم يتذكر الانسان ما سعى بدل من اذا جاءت اي يتذكر
أعماله المسيئة اذا رأى الكتاب منشورًا أو التي له الذكرى وما موصولة أو مصدرية
وبُرزت الجحيم لمن يرى لكل راءٍ لا يخفى على أحد فأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا
فإن الجحيم هي المأوى اما مع جواب اذا جاءت انما اذا جاءت الطامة
فالطاغي ما رآه الجحيم وجواب اذا محذوف وأي كان كيت وكيت والمذكور بعد
اما تفصيل له وأما من خاف مقام ربه اي يديه للحسنا وتهى النفس عن الهوى
لعلمه بانه بجانب الهدى فإن الجنة هي المأوى هي مأواه لا غير يسألونك
عن الساعة تعنتًا أيان مرساها اي قيامها من أرسيت الشيء اثبته أو متى
ايستقرها كما ان مرسى السفينة ايستقرارها انتها وها فيم أنت من ذكراها
أي في أي شيء انت من ذكرى الساعة لهم فان علمها من امهات الغيوب لا يفيد
فيه الا علمه تعالى أو فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها ابتداء كلام والمعنى
في أي شيء هم من سؤال الساعة انت من علاماتها فالك بعثت في نسل الساعة
واسمك بني آخر الزمان فقد دنت الساعة إلى ربك منتهاها انتهاء علمها
إنما أنت منذر ما انت الا منذر من يخشاها من يخاف هولها ولست
مبعوثًا لتعليمهم بوقت الساعة وعن ابي عمرو منذر يا الثقيلين كأنهم يوم
يرونها لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور الا عشية أو ضحاها عشية
يوم أو ضحاه كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى ولو قطع
لاحتمل عشية يوم وضحى آخر فيستوعبهم الاستمرار وفي ذلك الزمان الى مثله
من اليوم الآخر واحتمل ايضًا ان يراد بالعشية أو الضحى كل اليوم تجوزًا

سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الأعمى انفعوا على انها نزلت
في ابن ام مكتوم عادون رسول الله واسمه عمرو بن قيس أو عبد الله بن عمرو
واسم امه عاتكة بنت عبد الله المخزومية جاء الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الله باهتمام فقطع عليه كلامه
وكرر عليه يقول يا رسول الله علمني مما علمك الله ولم يعلم تشاغله فعبس

في وجهه وأعرض عنه والمعنى عبس لأن جاءه وأعرض لذلك على تنازع الفعلين
وفي الوصف بالاعمى دون اسمه أو وصف آخر تأكيد للعتاب فان ذلك يناسب
الاقبال والتعطف دون العبوس والاعراض وايماء الى ان كل ضعيف في
معناه كقوله لا يقضي القاضي وهو غضبان فكان بعد ذلك يكرمه ويقول
مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي وما يدريك لعله يزكى بما يسمعه منك من
أوزار الاثام والمراد نفي دراية بما هو مترقب له والرجاء امارة راجع الى
الاعمى أو الى الرسول وايثاره للدلالة على ان رجاء التزكي كاف في منع
العبوس والاعراض كيف وهو في نفسه زكي حقيقة وقيل الضمير للكافر أي وما
يدريك ان ما طمعت فيه من تزكيته كائن حتى تهتم به فالترجي لرسول الله
أو يذكر فتنفعه الذكرى أو يتعظ فتنفعه موعظتك وقرأ حمزة وعاصم
بالنصب جواب لعل المحمول على التمني ولهذا يؤيد رجوع الضمير الى الكافر إلا
أن يحمل في الوجه الاول على المبالغة أي كان الاعمى جديرًا بالاقبال لضعفه
وإن كان بعيدًا حصول تزكيه أما من استغنى فأنت له تصدى تتعرض بالاقبال
اليه وما عليك الا يزكى اي وليس عليك عتب في أن لا يتزكى بالايمان
أن عليك الا البلاغ هذا وامثاله وان كان عتابًا في الظاهر لكن فيه كمال
مدح له لاهتمامه بشان ما ارسل به وبذل جهده وأما من جاءك يسعى
يسرع الى تعلم شرايع الاسلام وهو يخشى يخاف الله بقلبه فأنت عنه تلهى
وهو التشاغل عمن لهى بلهى وقدم الضمير في الموضعين للتقوى ويجوز التخصيص
على معنى ان التصدي والتلهي انما ينكر منه دون غيره لعلو مقامه كلا ردع
عن المعاتبة عليه والعود الى مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره الضمير للقرآن
والتأنيث لانها بمعنى الموعظة والمعنى ان القرآن موعظة فمن شاء
حفظها فلا حاجة في الموعظة الى المبالغة وفيه توكيد لما تقدم في صحف
مكتوبة فيها خبر ثان أو خبر محذوف أو صفة لتذكرة مكرمة عند الله لانها
أو عية كلامه مرفوعة في السماء أو مرفوعة المقدار مطهرة عن ايدي
الشياطين بايدي سفرة كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ جمع سافر وهو
الكاتب أو من السفر وهو الكشف لاظهارهم المكتوب ومنه الاسفار لانه يكشف
عن الاخلاق كرام عند الله تعالى بررة اتقياء روى البخاري عن عائشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة
قتل الانسان ما أكفره القتل أعظم ما يخافه الانسان من الشدايد دعاء
على الانسان لتكميل عظم القبايح والدعاء منه تعالى اظهار لغاية استحقاقه
من أي شيء خلقه تحقيرًا له ولذلك فسره بقوله من نطفة خلقه فقدره لا

اقدر منه فقدره فسواه مهيئا معدا بالقوى والآلات لمصالح التكليف
ثم السبيل يسره اى طريق خروجه من بطن امه بان فتح له فم الرحم والهمه
بان ينتكس فانه فى البطن جالس ووجهه الى ظهر امه فاذا حان وقت خروجه قدم
راسه واخر رجليه على صفة الغواصر او ذلل له سبيل الخير ولم يكلفه مما لا طاقة
له به وفى هذا اشارة الى ان الدنيا طريق الاخرة كسبيل المادة وانتصاب
السبيل بما يفسره الظاهر ثم اماته فاقبره عد الموت من النعم لانه وسيلة
الى النعيم فالجملة والاقبار تشريف له لئلا يلقى كسائر الجيف يقال قبر الرجل
اذا دفنه واقبرته اذا امكنه من ان يقبر ثم اذا شاء انشره للجزاء كلا
ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره الله به من الايمان به بعد هذه
النعم وعن مجاهد لم يفرض احد من لدن ادم الى هذا الاوان ما امره الله به اذ لم
يخل احد من نوع تفريط ووجه ذلك ان الضمير عائد الى مطلق الانسان المذكور
فى ضمن المقيد ولذلك اعاد ذكر الانسان فى قوله فلينظر الانسان الى طعامه
لان المذكور بعده يعم الكل انا صببنا الماء صبا استيناف لبيان كيفية
ايجاد الطعام وقرأ الكوفيون انا بفتح الالف بدل الاشمال ثم شققنا
الارض شقا بالنبات او المحراث واسنده الى ذاته لانه السبب فانبتنا
فيها حبا جنس الحبوب وعنبا وقضبا مصدر اقضب قطع سمى به الرطبة
وهى المسماة بالقت لانها تقطع وغلبا متكاثفة الاوراق والغروب مستعار من وصف
الرقاب بغلظ الاوداج واستفاح الاعضاء مع تداخل بعضها فى بعض
وفاكهة وابا هو للدواب كالفاكهة للانسان وعن ابن عباس رضى الله
عنه كل ما رعى الدواب وروى ابو عبيد القاسم بن سلام ان الصديق رضى الله
عنه سئل عن الاب فقال اى سماء تظلنى وكيف اصنع فى كتاب الله ما لا اعلم وعن انس ان عمر قرأ
تلا هذه الاية فلما وصل الى قوله وابا قال هذا قد عرفنا فما الاب ثم حاد وقال لعمر الله يا عمر
ان هذا لهو التكلف يدل على انهم كانوا الفا بين لمقاصد كلام الله تعالى والعمل
بمقتضى ما علموا وانهم عن طلب اللغات شغل شاغل وقد علموا ان الاية مسوقة
للامتنان على الانسان فهم كانوا ساعين فى القيام بشكر تلك النعم متاعا لكم
ولانعامكم اى المذكورات فاذا جاءت الصاخة اى النفخة الثانية يقال
صخ الحديث واصاخ اذا استمع له وصفت النفخة به مجازا لان الناس يصيخون
عندها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله
بحاله او نحوفا من مطالبتهم اياه بما قصر فيه من حقوقهم ونوديت الاولى قوله
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وقول الرجل نفسى ونفسى وتاخيرا لاحب

فالاحب للترقى كانه قيل يفر من اخيه من ابويه من صاحبته من بنيه ووجوه
يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح اضاء لسرور القلوب وقيل من الصلوة
بالليل فان من تهجد استنار وجهه وقيل من اثار الوضوء وقيل من طول ما
اغبرت فى سبيل الله ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها
قترة يعلوها سواد كالدخان ولا ترى اقبح من سواد الوجه اذا علاه الغبار
اولئك هم الكفرة الفجرة اى الموصوفون باغبرار الوجوه واسوداها هم الذين
ضموا الى الكفر الفجور فالجزاء على وفق العمل تمت سورة عبس والحمد لله عز كل
مكروب نفس والصلوة على رسوله بالليل عسعس وآله وصحبه ما اصبح تنفس

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت روى الامام ابن حنبل عن ابن عمر رضى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان ينظر الى القيمة راى عين
فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت والتكوير
من كورت العمامة اذا لففتها والمراد ذهاب ضوءها او عينها لان الثواب
اذا اريد رفعه لف وطوى او من طعنه فكوره اى القاه لما روى ان الشمس
والقمر يكوران فى جهنم لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
واذا النجوم انكدرت انتثرت لقوله واذا الكواكب انتثرت وقيل اظلمت من كدرة
الماء فانكدر وهو تفسير باللازم واذا الجبال سيرت عن وجه الارض ثم من استحا
الماء واذا العشار عطلت اهملت جمع عشراء وهى الناقة التى على حملها عشرة
اشهر وابقى هذا الاسم بعد حملها ايضا ولذلك فسر تعطيلها بعد الحلب وقيل
هى السحاب عطلت عن المطر واذا الوحوش حشرت من كل اوب كما يحشر الانس
والجن واذا البحار سجرت ملئت بان يفجر بعضها الى بعض حتى تصير بحرا واحدا
او احميت من سجرت التنور عن ابن عباس رضى الله عنه اوقدت فصارت
نيرانا وقرأ ابن كثير وابو عمر وسجرت مخففا والتشديد ابلغ وابلغ واوفق
بقوله زدناهم سعيرا واذا النفوس زوجت كل نفس بشكلها فى الموقف
الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل او زوجت باعمالها
وقيل نفوس المؤمنين بالحور والكفار بالشياطين واذا الموءودة سئلت بالبناء
ذنب قتلت الوءد دفن الحى فى القبر والغرض من سئوالها تبكيت الوائد على
فعله وليس فى الاية دليل على انها فى الجنة ولكن دلت الاحاديث على ان اطفال
المشركين فى الجنة فهى من باب الاولى فان قلت روى سلمة بن يزيد انه سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امه قد وادت اخاله فى الجاهلية فقال

الوائدة والمؤودة في النار قلت معارضما روت خنساء بنت معاوية ان عمها
اخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤودة في الجنة ويحمل قوله
المؤودة في النار على ان تلك المعنية كانت بالغة فانهم كانوا يدفنون اذا صاقامتها
ستة اشبار وإذا الصحف نشرت عند الحساب فانها تطوى بعد الموت وقيل
هي غير صحف الاعمال بل صحف تطير من تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن في يده
في الجنة وصحيفة الكافر في يده في النار وقرا ابو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي
نشرت مشددا لكثرة الصحف او لشدة التطاير وإذا السماء كشطت كما
يكشط الجلد من المسلوخ وإذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقراء
نافع وابن ذكوان وحفص بتشديد العين والابلغية فيه كما في سجرت وإذا
الجنة ازلفت قربت من المؤمنين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذه
اثنتا عشرة خصلة ستة منها في الدنيا وستة في الاخرة علمت نفس ما
احضرت جواب اذا الشمس كورت وما عطف عليه وهو العامل فيها والمعنى علمت
كل نفس لقوله يوم تجد كل نفس ما عملت وانما نكره لان الكلام صادر عن مقام
الكبرياء اشارة الى ان من يكون يعتبر هذه الاجرام العظام فعله يستقل التفوه
الانسانية في جنب قدرته فهي كنفس واحدة فلا اقسم بالخنس هي الكواكب
لانها تخنس اي تتاخر في المغيب او يختفي ومنه سمي الشيطان خناسا لانه يتاخر
اذا ذكر الله وقيل هي السيارة دون الثوابت وقال القراء هي الخمسة زحل والمشتري
والمريخ والزهرة وعطارد الجواري الكنس التي تكنس اي تستتر من كنس الظبي دخل
في كناسه وقيل تظهر بالليل بعد الخنس بالنهار والليل اذا عسعس ادبر لقول العجاج
حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل اقبل وهو من الاضداد
وكلا المعنيين حسن والصبح اذا تنفس النهار يغشيان الليل تصير كالمكروب
فجعل تخلصه منه بانكشاف الليل عنه كتنفس المكروب بعد زوال الكرب وجعل
نسيم الصباح لاشتماله على الروح كالتنفس المفرج عن القلب انه اي القران
لقول رسول كريم عند الله وهو جبريل وكونه قول القران لملابسة التبليغ
ذي قوة اي قوة كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين ذي مكانة وعز
مطاع بين الملاء الاعلى والكروبيين ثم امين اي عند الله موصوف بالامانة
على وحي الله وتبليغ اوامره وما صاحبكم اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمجنون كما تزعمون وليس الكلام مسوقا للمواربة والمغافلة بين جبريل
ورسول الله عليهما السلام حتى يستدل بتلك الاوصاف المفاضلة على افضليته
على المرسل اليه بل مسوق لبيان حقية المنزل ولا شك ان وصفا لاتي به بتلك
الصفات الكوامل يشده من اعضاده ابلغ شد لا يرى الى مقام البحث على اتباعه

كيف جعله سراجا منيرا ورحمة للعالمين ولقد راه بالافق المبين بمطلع
الشمس الاعلى وما هو على الغيب اي محمد في اخباره عن المغيبات بضنين
بمتهم ولذلك تعدى الى مفعول واحد اي لا يتهم فيما يوحى اليه بنقطة وزيادة
وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بالضاد وعليه الرسم اي ليس بمبخيل في
تبليغ ما اوحي اليه والاول اوفق بقوله وما صاحبكم بمجنون وقوله افترى
على الله كذبا امر به جنة ونظائرها وما هو اي القران بقول شيطان رجيم
مطرود تصريح بما علم ضمنا ونفي للكهانة والتنجيم وليقابل به رسول كريم
فاين تذهبون شبه عدولهم عن الحق واتباعه بالعدول عن الجادة والذهاب
عنها الى المهالك من الفيافي والمفاوز ان هو الا ذكر موعظة للعالمين
من الثقلين لمن شاء منكم ان يستقيم بدل من العالمين لانهم المنتفعون
بالتذكير وما تشاؤن الا ان يشاء الله مشيتكم حذف لدلالة الفعل عليه
رب العالمين مالكهم والمتصرف فيه فلا يكون شيء الا بارادته ومقتضى مشيته
تمت سورة التكوير والحمد لله الواحد الخبير والصلوة على البشير النذير واله وصحبه كل صغير وكبير

بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انفطرت انشقت وإذا الكواكب انتثرت
تساقطت وإذا البحار فجرت بعضها الى بعض بازالة البرزخ فصير بحرا
واحدا ثم تنشق الارض فتبقى مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا وإذا
القبور بعثرت بعثت موتاها والتاء زائدة للالحاق مبالغة مثله بحثر
لفظا ومعنا علمت نفس ما قدمت واخرت ما قدمت من الاعمال الصالحة
وما ضيعت او ما اخرت من سنة حسنة او سيئة او ما قدمت في اول عمرها
وما اخرت في اخره يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء جرأك
على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار وللاشارة الى ان الباعث
على ذلك انما كان تسويل الشيطان يا ان ربك كريم يتفضل ويغفر وقيل انما ذكر
وصف الكريم من كرمه تلقينا له ليقول غرني كرمك وهذا باطل لان الانسان
المذكور خاص بالكافر لقوله كلا بل تكذبون او عام له وللمؤمن لقوله ان
الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ولا وجه لتلقين الكافر حجته الذي
خلقك فسواك فعدلك الذي اوجدك سويا تام الخلق معتدل الاعضاء
فلا يد اطول من اختها ولا عين اوسع من نظرتها وكذا ما تقابل من سائر الاطراف
وقرا الكوفيون عدلك مخففا من العدل وهو الميل فكالمشدد الا في المبالغة
من المبالغة او الصرف اي نحابك عن خلق سائر الحيوانات او الى شبه الابوين

أو الى الطول والقصر او الذكورة والانوثة في اى صورة ما شاء ركبك اى ركبك في اى صورة اقتضتها مشيته فما زائدة واى للصفة ولما اريد التعميم حذف موصوفها ويجوز تعلقه بعدلك اى عدلك في صورة واى صورة كقولك مررت برجل اى رجل وحذف الموصوف لزيادة التفخيم والتعجب ثم قال ما شاء ركبك اى ركبك ما شاء اى تركيبا بديعا كلا ردع عن الاغترار بكرمه بل تكذبون بالدين اضراب الى ما هو السبب الاصلي في الاغترار وهو تكذيب القرآن والرسل لوقوع الجزاء فان قلت هذا انما يستقيم اذا اريد بالانسان الكافر اما اذا كان عاما فلا قلت اذا كان عاما يكون خطابا للكل بما وجد بينهم وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون جملة حالية اى انكم تكذبون بالجزاء والحال ان شانه امر خطير مع عمله الشامل قد وكل بكم من يحفظ عليكم النقير والقطمير واثنى على الكتبة اشارة الى عظم امر الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم اللام للعهد وهم الذين يكذبون بيوم الدين لقوله هذا الذي كنتم به تكذبون يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم عنها بمخرجين صريح في سرمدية العذاب ثم فخم شان الجزاء بتفخيم يومه بقوله وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين ايهم امره وخاطب العلم الخلق بانه لم يحط بكنه ذلك اليوم وكرر ذلك وازدحم للتراخي رتبة اشارة الى انه مهما ترقى في العلم لم يبلغ ذلك ثم اجمل بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره وقرا ابن كثير وابو عمرو ويوم بالرفع خبر مبتدا اى يوم الدين يوم لا تملك او بدل من اى يوم ومن قرا بالفتح بناه لاضافته الى غير المتمكن كقول علي رضي الله عنه من اى يومي من الموت افر يوم لم يقدر ام يوم قدر ثم سورة انفطرت والحمد لمن الالوهة توالت والصلوة على من اياته بهرت وآله وصحبه ما غارت النجوم وما لمعت

سورة التطفيف

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف نقص الكيل والوزن من الطفف وهو القليل لان السارق من كيل او وزن واحد لا يكون الا قليلا وعن الزجاج مأخوذ من طفف الشيء جانبه روى النسائي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهو اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وروى انه لما قرا الآية عليهم قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا سلط عليهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت

ولا طففوا الكيل الا اخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اذا اخذوا لانفسهم ما لهم على الناس ياخذونه كملا واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اى كالوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل او مكيالهم فحذف المضاف وقيل الضمير للفصل راجع الى المطففين وليس كذلك لان الغرض بيان اختلاف حالهم في الاخذ والاعطاء لا بيان المباشرة وعدمها ولا ستدعائه اثبات الالف بعدا لوا وكما في نظائره ولم يذكر الاتزان مع الاكتيال اكتفاء به وقيل كانهم كانوا ياخذون الموزون بالمكيال ليتمكنوا من الاستيفاء والسرقة لاحتمال ان يزعزع الكيل ويحتال في الماء بخلاف الميزان لانه لا يقبل ذلك الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم صدرا الكلام بحرف التنبيه ايقاظا وذكر الظن دلالة على ان الظن كاف في الكف عن التطفيف كيف والفاعل قاطع متيقن ووصف اليوم بالعظم لمعظم ما يقع فيه واسم الاشارة للتهكم نحو ذلك اللعين وكل هذه التشديدات ليس من حيث التطفيف بل لان الميزان قانون العدل الذي به قامت السموات والارض يوم يقوم الناس لرب العالمين نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه كلا ردع عن التطفيف ان كتاب الفجار لفي سجين عقب ذكر التطفيف حديث الفجار زيادة تنفير عنه والسجين فعيل من السجن وهو الضيق سمي به الكتاب الجامع لاعمال الشياطين والكفرة لانه سبب للتضييق او لانه مطروح في مكان مظلم تحتا لارض السابعة فيقدر مضاف اى ان موضع كتاب الفجار ونقل الواحدي باسناده ان السجين بئر مفتوح في جهنم والغرض من وصف كتابهم بالوصف الشنيع تقبيح حالهم وسفالة محلهم وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم معلوم يعلم من راه انه لا خير فيه او مسطور بين الكتابة وان كان الرسم موضح فالتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم حذف منه المضاف ويدل عليه الكتاب ويحتمل ان يراد بالمرقوم الحكم الذي لا يبدل ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وصف موكدا وذامر لان اللام في المكذبين للعهد وما يكذب به الا كل معتد في الشر مجاوز عن الحد حيث تقلد فيما لا يصح فيه وقطع النظر عن الايات والنذر اثيم كثير الاثم منهمك في الشهوات حبث شغله ذلك التفكر اذا تتلى عليه ايات القرآن اساطير الاولين من فرط جهله وعدم تامله لا ينفعه شواهد التنزيل كما لا ينفعه دلائل العقل كلا ليس الامر كما قالوا من انه اساطير بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون الرين صدا يعتري القلب من تكاثر الذنوب عن الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب روى

النسائى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اذنب العبد
ذنبا كانت نكتة فى قلبه فان هو نزع واستغفر صقل قلبه وان عاد ازداد
حتى يعلو القلب فهو الرين الذى قال الله تعالى بل ران على قلوبهم كلا ردع
عن الكسب الرين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون تمثيل لمحاهم فى الاهانة
بحال من استأذن على ملك فلم يؤذن له ثم انهم لصالوا الجحيم للداخلون
النار لا محالة ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون تقريعا لهم وزيادة فى العذاب
كلا تكرير للاول ليعقب به وعدا للابرار كما عقب بوعيد الفجار ردع
عن التكذيب ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادريك ما عليون علم كتاب الابرار
او موضوع يكون فيه الكتاب جمع على فى الاصل من العلو والارتفاع فى الجنة
او لانه مرفوع الى السماء السابعة يشهده المقربون الكروبيون يحفظون
منه المعارف او ليشهدوا على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفى نعيم على الارائك
ينظرون على الاسرة فى الحجال ينظرون الى ما شاؤا مد ابصارهم مما يستلذه
الاعين تعرف فى وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم ورونقه كما ترى وجوه
اهل الثروة والملوك فى الدنيا يسقون من رحيق من اسماء الخمر مختوم
يتبدل الايدى ختامه مسك مكان الطينة فى اوانى الملوك وهذا غاية
الاكرام وقرأ الكسائى وخاتمه بفتح التاء وهو ما يختم به كالاول وقيل معنى
الاول ان المسك يرى فى اخره وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فليرغب
المرغبون ومزاجه من تسنيم اسم عين فى الاصل مصدر سنمه اذا رفعه امتا
لانها ارفع شراب فى الجنة او لانها تجرى فى الهواء منسنمة فتنصب فى اوانيهم
عينا يشرب بها المقربون صرفا لانهم لم يلتفتوا الى غير طاعة الله تعالى
ولم يشغلوا سرهم بغيره وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم وانما
فى بها من زيدة او يمعنى من ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون
هم ابو جهل وامثاله كانوا اذا رأوا صهيبا وبلالا وعمارا وسائر الفقراء
يضحكون استهزاء بهم واذا مروا بهم يتغامزون يشير بعضهم الى بعض بالعين
والحاجب استحقارا واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين مستلذين بذكرهم
وبطرا بما هم فيه من الخطام وما فيه فقراء الصحابة رضى الله عنهم من النعيم
واللاواء وقرأ حفص فكهين مقصورا والمد اولى لوجود ذلك وقتا لانقلا
والرشم على القصر واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون طريقا لرشا
فى اتباع محمد وتركهم دين الاشياخ وما ارسلوا عليهم حافظين
موكلين بهم حتى يقولوا فيهم بالضلال والرشد ردّ منه تعالى عليهم او هو كلام
الكفار لهم اذا دعوهم الى الايمان وكان الظاهر وما ارسلوا علينا حافظين

الا انه سلك طريقة الغيبة كقولك قال زيد ليفعلن كذا فاليوم الذين امنوا
من الكفار يضحكون بدل ما كانوا يضحكون منهم فى الدنيا على الارائك ينظرون
حال من يضحكون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون المخاطب هم المؤمنون
على الارائك اذا نظروا الى الكفار فى جهنم زيادة فى سرورهم وان الله تعالى
قد كافاهم والتثويب الاثابة استعمل فى العذاب تهكما والاستفهام للتقرير
تمت سورة التطفيف والحمد لله الكريم اللطيف والصلوة على الرسول الشريف وآله وصحبه ذوى الفضل المنيف

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت اى بالغمام وتنزل فيه ملائكة
العذاب كقوله يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وعن على
رضى الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له من الاذن وهو
الاستماع والمعنى اطاعت لما اريد منها من الانشقاق اطاعة المأمور اذا اورد
عليه امره من الامر المطاع وحقت وكانت محقوقة جديرة بالاطاعة لوروده
امر القاهر المقتدر الذى لا يتأتى عليه مراد والجواب يحذوف ليذهب المقدر
كل مذهب واكتفاء بما علم فى سورتى التكوير والانفطار وقيل الجواب ما قول
عليه فملاقيه اى اذا وقع ذلك لاقى الانسان كدحه او فملاقيه على ان يا ايها
الانسان انك كادح الى ربك كدحا اعتراض واذا الارض مدت عن ابن عباس
مثل الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا امتا او هو من المد اى زيد فى سعتها
وبسطت والاول اظهر اذ يعاد اجزاء اجزم اضافة لم يشهد له خبر ولا اثر
والقت ما فيها من الاموات والكنوز وتخلت غاية الخلو لدلالة التفعل
على التكلف كانها كلفت ان تبلغ فى ذلك غاية الجهد واذنت لربها وحقت
اى فى القاء ما فى بطنها وتخليها ولا تكران لان الاول فى السماء وهذا فى الارض
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه الكدح الجد والجهد فى العمل
والضمير فى ملاقيه للربّ اى لا مفر لك عنه او للكدح اى ملاق جزاءه كما فى الحديث
انما هى اعمالكم ترد اليكم ثم فصل ذلك بقوله فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا سهلا من غير مناقشة يسوق عليه دون الشدائد وابو داود
والترمذى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس احد يحاسب الا عذب قلت اوليس الله يقول فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض ومن نوقش فى الحساب هلك وعنها سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حاسبنى حسابا يسيرا قلت يا رسول الله
ما الحساب اليسير قال ان ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه وينقلب الى اهله

أى عشيرته أو الى فريق المؤمنين أو الى ما هلّه فى الجنة من الحور والولدان مسرورا فرحا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره تغل يمناه الى عنقه وتثنى شماله الى وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا اى يدعوا بالويل والهلاك ويصلى سعيرا وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام من التصلية كقوله وتصلية بجحيم معدى الى مفعولين إنه كان فى أهله مسرورا سرور بطر بالمال وانجاه لا يخطر بباله امر الآخرة إنه ظن أن لن يحور تعليل لذلك السرور بلى ايجاب بعد النفى بلن اى ليحورن لا محالة والحور هو الرجوع وفى الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى الرجوع عن الدين بعد الدخول فيه إن ربه كان به بصيرا فيجازيه على اعماله فلا أقسم بالشفق وهى الحمرة بعد مغيب الشمس وعن ابى حنيفة هى البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عن ذلك ماخوذ من الشفقة لرقته والليل وما وسق وما احاط به الليل من الكائنات من الوسق وهو الجمع والقمر إذا اتسق انتظم واجتمع نوره اذا كان بدرا لتركبن طبقا عن طبق اى حالا متجاوزا عن الاخرى الشدة وهى الموت وما بعده من الاهوال والطبق ما طابق غيره اى وافقه ومنه اطباق الثرى والطبق الغطاء وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بفتح الباء على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدله بالاسراء اى لتسلكن اطباق السموات فى المعراج أو لكل احد من الانسان فرادا الانسان نظرا الى لفظه أى لفظ الانسان فانه مفرد فما لهم لا يؤمنون بالبعث بعد ظهور دلائله وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون اكراما له لدلالة اعجازه على انه كلام الله واستدل به ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجود لان الذم لا يكون الا على ترك الواجب روى مسلم والبخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه سجد فيه وقال سجد خلفا ابى القاسم فلا ازال اسجد بها حتى القاه قيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد وسجد معه المؤمنون فصفق المشركون وتضاحكوا فنزلت بل الذين كفروا بالقرآن والدليل انما ينفع المسترشد والله اعلم بما يوعون بما يصرونه من الكفر والتوائل او بما يجمعونه فى صحائفهم على اهلهم فبشرهم بعذاب اليم لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل بتقدير الضمير اى منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او منقوص بالمنة تمت سورة الانشقاق والحمد لله الواحد الخلاق والصلوة على الكامل بالاتفاق وآله وصحبه الى يوم التلاق

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج هى البروج الاثنى عشر المشهورة والاقسام بها لان سير الشمس فيها وبه نيط نظام العالم السفلى أو منازل القمر لان تلك البروج منقسمة الى ثمانية وعشرين منزلا أو الكواكب العظام أو ابوابا للسماء فان النوازل يظهر منها واصل التركيب للظهور ومنه تبرج المرأة واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود عن ابى هريرة وابى مالك الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وكذا عن سعيد بن المسيب وعن ابن عباس رضى الله عنه الشاهد محمد والمشهود يوم القيمة وعن سعيد بن جبير الشاهد هو الله والمشهود يوم القيمة قتل اصحاب الاخدود دليل جواب القسم انى اقسم ان قريشا ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلوا كما قتل اصحاب الاخدود وقيل المذكور هو الجواب والاول هو الوجه لان الكلام مسوق لنصر المؤمنين وتهديد المشركين كما دل عليه اخر السورة والاخدود جمع خد وهو الشق وفى الحديث انهار الجنة تجرى فى غير اخدود والقصة على ما رواها مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر انه كان فيمن كان قبلكم ملك كان له ساحر فلما كبر سال الملك ان يدفع اليه غلاما ليعلمه السحر فدفع اليه غلاما وكان فى طريق الغلام راهب على ملة عيسى فسمع الراهب واعجبه كلامه فانقطع من الساحر الى الراهب فكان يضربه الساحر لانقطاعه فقال له الراهب اذا قال لك الساحر ما حبسك عنى قل حبسنى اهلى واذا سالك اهلك قل حبسنى الساحر فمر يوما على دابة عظيمة فى الطريق قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة فرماها فقتلها فاخبر الراهب فقال انك افضل منى وستبتلى فلا تدل على فشرع الغلام يبرئ الاكمه والابرص وكان جليس الملك قد عمى فاتى الغلام باموال وقال اشفنى قال انى لا اشفى احدا انما يشفى الله فان امنت به دعوت الله فشفاك فامن فدعا الله فشفاه الله فجاء الى الملك فقال من رد عليك بصرك قال ربى قال انا قال لا ربى وربك الله فاخذه يعذبه حتى دل على الغلام فجئ به قال يا بنى قد بلغ من سحرك انك تبرئ الاكمه والابرص قال انى لا اشفى احدا انما يشفى الله قال انا والله ربك غيرى قال ربى وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ففال للراهب ارجع عن دينك فلم يرجع فوضع المنشار على رأسه فشقه ودفع الغلام الى جماعة فقال اذهبوا به الى ذروة شاهق فالقوه فلما علوا به الجبل قال اللهم اكفنيهم فرجف بهم الجبل فهلكوا وعن اخرهم فرجع الغلام سالما فاتى الملك عن القوم فقال هلكوا فدفعه الى نفر وقال اجعلوه فى قرقور فاذا

فاذا توسطتم البحر فالقوه فى البحر فلما توسطوا البحر قال اللهم اكفنيهم فرفوا
ورجع الغلام الى الملك فقال ما فعلوا صحابك قال غرقوا ثم قال للملك انت لا
تقدر على قتلى الا اذا فعلت ما امرك به اجمع الناس فى صعيد واحد واصلبنى
وخذ سهما من كنانتى وقل بسم الله رب الغلام فانك اذا فعلت على قتلى ففعل
ذلك فقتل الغلام فقال الناس امنا برب الغلام فامر باخواه الشكك
فخدت اخاديد واضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه فكانوا
يتعادون ويتلاقعون الى النار رغبة فى الموت على الدين فجاءت امراة
يحمل رضيعا فتقاعست فتاداها الرضيع يا امّاه اصبرى فانك على الحق
فالقت نفسها مع الصبى وعن على انهم حين اختلفوا فى احكام المجوس
قال هم اهل كتاب وكانوا ممتسكين به فسكر بعض ملوكهم الخمر ووقع على اخته
فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت اخته المخرج ان تخطب وتقول فى الخطبة
ايها الناس ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم بعد ذلك تخطب وتقول ان
الله قد حرم ذلك فخطب فلم يقبلوا منه فبسط فيهم السوط فلم يقبلوا
فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامرته بالاخدود وايقاد
النار والقاء من ابى فيها وروى ابن اسحاق ان رجلا عالما من غالب النصارى
وقع بنجران فدعاهم الى دين عيسى فامنوا به فسار اليهم ذو نواس اليهودى
من بلاد اليمن فخيرهم بين النار واليهودية فاتوا فاحرق منهم اثنى عشر
الفا وقيل سبعين ونجا منهم رجل فلحق بقيصر فكتب قيصر الى ملك الحبشة نجه
على قتال ذى نواس ونصر دين عيسى فارسل النجاشى جيشا امير هم ارياط فهزم
ذا نواس اليهودى حتى دخل البحر فى سفينة وغرق فيها واستمر ملك اليمن فى يد
الحبشة سبعين سنة حتى استنقذه سيف بن ذى يزن من ابناء تبع وهو الذى
اخبر عبد المطلب بشان رسول الله وصفاته النار ذات الوقود النار
بدل اشتمال وذات الوقود وصفه لها بالعظمة وكثرة الوقود من الحطب
والناس قيل كان طول الاخدود اربعين ذراعا فى عرض اثنى عشر اذ هم عليها
قعود ظرف لقتل اى لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه سعى فى اخراقهم ولم يقصر
او يشهدون يوما القيمة على انفسهم يوم تشهد عليهم السنتهم وما نقموا
منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد اى وما عابوا منهم الا افضل المناقب
واحسن الخصال وهو الايمان بمن هذه صفاته من كونه غالبا على كل شئ
منعما محمودا على نعمه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتايب الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد اعاد المظهر

للدلالة على ان شمول العلم شان الالوهية ومن لوازمها ان الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا يشمل اصحاب الاخدود وغيرهم فلهم
عذاب جهنم لكفرهم ولهم عذاب الحريق نارا اخرى عظيمة تشتمل بهم كما
تشتمل الحريق لفتنتهم وقيل هم اصحاب الاخدود لما روى ان النار انقلبت عليهم
فاحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها
الانهار ذلك الفوز الكبير الذى يستحقر ملك الدنيا دونه ان بطش
ربك لشديد البطش هو الاخذ بالشدة والعنف فالوصف بالشدة زيادة
مبالغة ثم قرر ذلك بقوله انه هو يبدئ ويعيد ومن هذا شانه يكون
بطشه وانتقامه من اعدائه فى نهاية الشدة وقيل يبدئ البطش فى الدنيا
ويعيده فى الاخرة وهذا يلائم ما قيل ان النار انقلبت على اصحاب الاخدود
وهو الغفور للذنوب الودود لمن تاب ذو العرش خالق العرش وكنى به
عن الملك المجيد خبر رابع لهو ومجد الله عظمته وكبرياؤه وقرأ حمزة
والكسائى بالجر صفة العرش والمراد به عظمة جرمه او اتساع الملك دلالة
على كمال الاقتدار والرفع اولى لكونه غالبا فى صفاته تعالى فعال لما يريد
لا يتأتى عليه مراد خبر مبتدا محذوف دلالته على تحقق الوصفين البطش
بالاضداء والمغفرة والود للاولياء ولو جعل خبر هو المذكور فاتت ولا يخفى
ما فى التنكير وزيادة اللام من الفخامة هل اتيك حديث الجنود فرعون
وثمود ابدلهما عن الجنود لان المراد فرعون وملاءه وثمود اليه ودون
غيرهم لقرب بلادهم ومزاولته للقاصلة والمعنى قد اجطت علما بتكذيبهم
وما حاق بهم تسلية له وتهديد لقومه بل الذين كفروا فى تكذيب
الاضرار بدلالة على ان حال هؤلاء اعجب من ان ذلك فانهم سمعوا اخبارهم
وشاهدوا اثارهم وهم مستمرون فى التكذيب والله من ورائهم محيط
قيل وقدره لا تقوته احد جملة معترضة بل هو قران مجيد اى ماكد بوابه
قران شريف مخترع فى الاضراب ترق واشارة الى ان تكذيبه خارج عن سائر انواع
التكذيب فى لوح محفوظ عن جميع الملائكة لا يطلع عليه الا المقربون فكيف يوكد

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم
وهو الثريا والدق اطلق على الاتى بالليل لانه يحتاج الى الدق الباب والمراد به الكوكب
الظاهر بالليل النجم الثاقب ابهمه اولا ثم فسره اظهارا لفخامة شان
المقسم به والثاقب المضئ كانه يثقب الظلام بنوره ان كل نفس لما عليها

حافظ إن هي المخففة واللام الفارقة وما مزيدة أي ان الشأن كل نفس
عليها حافظ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم بمعنى الا على
ان إن نافية والجملة جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق اي لما
ثبت ان عليه حافظا فلينظر في نفسه فانها اقرب الاشياء اليه وكيفية
تكونها فان ذلك النظر يوصله الى الحافظ الحقيقي ويعرفه انه لم يخلق
سدى خلق من ماء دافق دني دفق نسبه كلابن وتامر واستعمل مجازي
وصف يوصف صاحبه يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل
وترائب المرأة موضع القلادة او ما بين ثدييها كذا عن ابن عباس رضي
الله عنه جمع تربية ولا ينافي قولا لاطباء انه يتولد من جميع اجزاء البدن
بعد الهضم الرابع فيأخذ من كل عضو ما يستعد لان يكون عضوا خر مثله
لانه نبه مع الاختصاص على الاعضاء التي هي اصول في التولد وذلك
ان الترائب يشمل القلب والكبد والكلى والصلب الدماغ لاتصال النخاع بالدماغ
وينزل من الدماغ بشعبة الى مقدم البدن وهي الترائب على ان كلامهم مناه على
الاوهام والظنون وكلام الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
إنه اي الله تعالى فحم او لا بدأ الفاعل ثم خلق وثانيا بالاضمار لعدم
ذهابا لوهم الى الغير على رجعه لقادر اي على اعادة الانسان وقيل الضمير
للماء اي يقدر على رجعه الى محرمه يوم تبلى السرائر منصوب برجعه والفاصل
ليس بأجنبي لانه متعلق بجاز اي تكشف وتظهر جمع سريرة وهي ما اخفي من
العقايد والاعمال فما له من قوة ولا ناصر من منعه من تفضله ولا من غيره
والسماء ذات الرجع ذات المطر سمي رجعا لانها او لان الله يرجعه وقتا
وقتا او لان العرب تزعم ان السحاب يحمل من بحار الارض ثم ترجعه الى الارض
والارض ذات الصدع النبات او الشق بالنبات والحيوان انه اي القرآن
او ما اخبرتم به من الافناء على الاحياء والاول اولى لشأوله هذا وغيره
لقول فصل حد فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل شيء بل جد كله
إنهم اي اهل مكة يكيدون كيدا يجتهدون في نصب المكايد واطفاء نوره
يسمونه شعرا وسحرا وكهانة وأكيد كيدا بافاضة النعم عليهم والعافية
في مقابلة ذلك استدراجا لنزدادوا فمهل الكافرين امهلهم رويدا اي امهالا يسيرا
كرر تعليمه في التسكين والتصبير وجاء على لانه اوكد من كرر الكرار عمت سودة الطارق والحمد
للخالق والصلوة على الكامل الصادق وآله وصحبه ما لمع نشارق

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الخطاب عاما وله وامته تبع وكما يجب
ان ينزه ذاته عما لا يليق من الاوصاف فكذا الاسماء الدالة عليه تحمل على
معاني الكمال والجلال وتصان عن اللثاوبلات الزايغة وان لا تذكر الا على وجه
التعظيم تأديبا بادابه الا ترى الى قوله ولله الاسماء الحسنى كيف يرشد
الى ذلك الاعلى الاولى جعله صفة للاسم ويجوز ان يكون وصفا للرب
عن عقبة بن عامر لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها
في سجودكم الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسواه بان جعل له ما يتأتى كماله
به ويتم معاشه والذي قدر الاشياء اجناسا وانواعا واشخاصا فهدى
بنصب الدلائل والارسال الرسل وانزال الايات قرأ الكسائي قدر مخففا
من القدرة والتشديد ابلغ واوفق بسائر الايات والذي اخرج المرعى
النبات الذي يرعاه الدواب فجعله غثاء احوى حطاما اسود بعد خضرته
ورفيفه والاولى جعل احوى حالا من المرعى اي اخرجه اسود من شدة الخضرة
والفاصل بين الحال وصاحبها ليس اجنبيا وفي تقديمه اشارة الى سر طريان
الجفاف كانه قبل ان يتم رفيفه يصير غثاء سنقرئك فلا تنسى كانت التاء من
ينتزه اسمه خالج قلبه خوف النسيان فبشره تعالى باكمال قوته الحافظة بان لا
ينسى شيئا الا ما شاء الله نسيانه ولا بأس عليه في ذلك وفي الحديث انما
انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني او الا ما شاء الله نسيانه
برفع تلاوته وحكمه وقيل نفي النسيان اساسا وقيل نهي والالف للفاصلة
إنه يعلم الجهر وما يخفى وقد علم خوفك من النسيان ولذلك ازاله عنك او عالم
بالاحوال ولذلك تنسى ما فيه حكمة ومصلحة او يعلم جهرك في القراءة مع
جبريل مخافة فوت شيء منه فلذلك ضمن لك حفظه ونيسرك لليسرى
نوفقك للطريقة التي هي ايسر الطرق وهي شريعته التي لا اصر فيها ولا اغلال
كما قال عليه السلام بعثتكم بالحنيفية السمحاء لو كان ابن عمران حيا لما وسعه
الا اتباعي عطف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض
فذكر استثقل بعدا منك من النسيان ان نفعت الذكرى كان مأمورا بالتبليغ
والدعوة نفعت الذكرى او لم تنفع فلما دعاهم وبلغ فذلك اقصى جهده
حتى قال له لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين اشار الى استبعاد النفع
فيهم كانه قال افعل ما امرت به لتوجر وان كانوا اهل الطبع او المعنى ذكر
المؤمنين واعرض عن هؤلاء فان الذكرى تنفع المؤمنين بؤيده قوله سيذكر
من يخشى يخشى الله فانه يتفكر في الايات ويتعظ بالمواعظ ويتجنبها

الاشقى اى الكامل فى الشقاوة وهو الكافر وافعل للزيادة المطلقة لدخول
الفاسق فى السعداء فى قوله فمنهم شقى وسعيد الذى يصلى النار الكبرى
نار جهنم فى مقابلة النار الصغرى وهى نار الدنيا او الدرك الاسفل ثم
لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة طيبة ثم للدلالة على ان كونه لا
ميتا ولا حيا افظع من دخول النار روى مسلم عن ابى سعيد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اهل النار الذين لا يريد الله اخراجهم لا يموتون
فيها ولا يحيون والذين يريد اخراجهم يميتهم فيها اماتة ثم يخرجون
فيلقون فى انهار الجنة فاذا فلح من تزكى لتطهر من اوزار الشرك والمعاصى
او تكثر من صفات التقوى او تطهر للصلوة او اتى الزكوة والرواية عن على
ان المراد زكوة الفطر لا تصح لان السورة مكية ولا عيد بها ولا فطر
والاوجه حمله على التزكى فى الاعمال والاخلاص فيها لقوله ومن تزكى فانما
يتزكى لنفسه وذكر اسم ربه فصلى ولا دلالة فيه على تكبيرة الافتتاح
ليستدل به على خروجها عن الصلوة وجواز قيام سائر الاذكار مقام التكبير
بل تؤثرون الحيوة الدنيا الخطاب عام او خاص باهل مكة والمضرب عنه قد
افلح او ذكر اى تؤثرون الحيوة الدنيا على الفلاح او الذكر وقرا ابو عمرو بالخيبة
باعتبار الاشقى اذ لم يرد به معين والخطاب اولى لقول ابن مسعود رضى الله
عنه عجلت لنا الدنيا فاثرناها وقراءة ابى بل انتم تؤثرون الحيوة الدنيا وفيه
اشارة الى علة النفوس الكمل على سلوب وقليل من عبادى الشكور والاخرة
خير وابقى اذ نعم الدنيا لا تشارك نعم الاخرة الا فى الاسم مع سرعة زوالها
ان هذا لفى الصحف الاولى المشار اليه جميع ما فى السورة او قد افلح من تزكى
او خير وابقى والاول اعم واصح لما روى النسائى عن ابن عباس رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلها صحف ابراهيم وموسى
روى عن ابى ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزل الله تعالى مائة
واربعة كتب على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين وعلى ادريس ثلثين وعلى
ابرهيم عشرا والتوراة والزبور والانجيل والفرقان ثمت سورة الاعلى والحمد لله
الاسماء الحسنى والصلوة على صاحب المعراج والاسرا واله وصحبه اولى الفضائل والتقى

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية اى القيمة لانها يغشى
الناس باهوالها وافزاعها وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة
عملت فى الدنيا وتعبت بلا نفع وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه منثورا

او عاملة فى النار تجر السلاسل والاغلال ناصبة فى الصعود والهبوط
فى جبال النار او دينها وقيل هؤلاء نساك اليهود والنصارى اصحاب
الصوامع كانوا يحسبون انهم يحسنون صنعا تصلى نارا تدخلها وقرا
ابو عمرو وابو بكر بضم التاء على بناء المفعول من اصليه اذا دخلته النار وهو
ابلغ واوفق بقوله تسقى حامية فى غاية الحرارة لان النار لا تكون الا
حارة تسقى من عين انية متناهية ليس لهم طعام الا من ضريع جنس
من الشوك يرعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تجافاه وهو سم قاتل ولا ينافيه
الا من غسلين لاختلاف طبقات الاكلة لبعضهم الغسلين ولبعضهم
الضريع ولبعضهم الزقوم او بحسب الاوقات كما كولات الدنيا فى كل فصل
يوكل ما يلائمه جزاء على ما كانوا فيه من التنقل فى اللذات - لا يسمن ولا يغنى
من جوع مرفوع المحل او مجرورة على وصف طعام او ضريع اى مع ما يقاسون
منه فى التناول لم تترتب فائدة الاكل لان الفرض منه احد الامرين وجوه
يومئذ ناعمة ذات بهجة ورونق كقوله تعرف فى وجوههم نضرة النعيم
ولم يعطف الوجوه على الوجوه عطف احد الضدين على الاخر لان الاتيان
بها على وجه الاعتراض استطرادا لسعيها راضية لما رات من ثوابها
فى جنة عالية علو المكان او المقدار لا تسمع فيها فى المخاطبة او الوجوه
لاغية كلمة ذات لغو ولغوا او نفسا تلغوا فان كلام اهل الجنة ذكر وحكم
فيها عين جارية اى عيون كثيرة كقوله علمت نفس وقيل التنكير للتعظيم
فيها سرر مرفوعة سمكا او قدرا واكواب اباريق لا عرى لها موضوعة
عن حد الكبر اى وساط معتدلة او موضوعة بين ايديهم لا يحتاجون الى
الطلب او على ما فات العيون لانها للاستطراد كما يتعاطاه اهل الشرب فى
مجالسهم ونمارق جمع نمرقة بضم النون والراء وكسرهما وهى الوسادة
مصفوفة بعضها الى بعض ليجلس عليها احتشاما كما يفعل الملوك فى قصورهم
لئلا يحتاجوا الى التحمل وذرابى بسط عراض فاخرة وقيل ما فيه حمل وقيل
جمع زربية مبثوثة منثورة او معرفة فى المجالس افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت عادا لما افتخر به السورة من ذكر نقمه واهوالها والتاكان
الكلام مع العرب وجل مالهم هى الابل ولم يزل بحيث منهم مشهودة بحيال الماء
والمرعى فكانت تظلم خيالهم الابل والمطر النازل من السماء المنبت فى الجبال
والاراضى لكلاء انتظم الذكر على نحو ما انتظمه ذلك الخيال وفى خلق الابل
واعطافها واخلافها من التحمل على المشاق وسرعة الانقياد مع عظم الجثة
ما يقضى منه العجب حكى بعض الثقات ان قطارا منها افتقدت فوجدوها

قد اخذ فارة يحمل خطامها فدخلت به بيتها فتبعتها قال بعضهم لا دما اردت ان اؤلف كتابا في شرح خلقها فتصورت ان لو فعلت جاء محلا والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت نصبا رسخا لا تميل ولا تزول في تلك المدد المتطاولة والى الارض كيف سطحت حتى صارت مهادا تسهل التقلب عليها فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى ثم قرأ انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر فراخلف عن حمزة باشمام الصاد زايا والخلاد وجهان الصاد الخالصة والاشمام وهو السين وهو الاصل والباقون بالصاد وعليه الرسم الا من تولى وكفر استثناء منقطع اى لكن من اعرض وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر عذاب الحريق في جهنم وقيل متصل فان الجهاد مع الكفار تسلط عليهم وقيل استثناء من فذكر اى فذكر الا المعرض الكافر وما بينهما اعتراض ان الينا ايابهم رجوعهم ثم ان علينا حسابهم لا محالة سيق به الوعد وفيه تسلية له وتهديد لهم تمت سورة الغاشية والحمد على نعمه الوافرة والصلوة على من شفاعته كافية وعلى اله وصحبه صلوة زاكية

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر هو الصبح اقسم به كما اقسم به في قوله والصبح اذا اسفر وعن عكرمة ومحمد بن كعب هو فجر يوم النحر وقيل بتقدير المضاف اى وصلوة الفجر وليال عشر عشر ذي الحجة قاله ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما روى البخاري عن ابن عباس مرفوعا ما من ايام العمل الصالح احب الى الله فيهن من عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد يا رسول الله قال ولا الجهاد الا رجل خرج بماله ونفسه ثم لم يرجع بشيء من ذلك اقسم بهما وانما لم يعرف الليالي العشر لانها ليال مخصوصة فلو عرفت كانت اللام للعهد فلم يجانس السابقة واللاحقة والشفع والوتر الاشياء كلها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين وقد اكثروا القول في المحتملات والاطال تحته وقرأ حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو وهما لغتان والفتح احق ومصدر وتر حقه بالكسر لغير والليل اذا يسر اذا انقضى ومضى كقوله والليل اذا ادبر اثبت ياءه ابن كثير في الحالين ونافع وابو عمرو في الوصل وحذفه الباقون اكتفاء بالكسر هل في ذلك قسم لذي حجر اى هل في الاشياء المذكورة ما يحق عنده ان يكون مقسما به او هل في الاقسام بها اقسام وعلى الوجهين اريد تعظيم المقسم به

ويلزم منه توكيد المقسم عليه والاستفهام للتقرير والحجر العقل لانه يمنع صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهيه لذلك وجواب القسم محذوف اى ليعذبن دل عليه قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد الم تعلم والخطاب عام وكان هذا متواترا عند العرب وعاد هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح سميت اولاده عادا كما يقال لبني هاشم هاشم ارم ذات العماد ارم عطف بيان لعاد وذلك ان اولاد ارم سموا عادا الاولى وقيل ارم بلدتهم وعلى الوجهين منع الصرف للعلمية والتانيث وانما وصفوا بذات العماد لكونهم اهل خيام يسكنون البادية او لطول قامتهم روي ان الرجل منهم كان اربعمائة ذراع فشبهت قدودهم بالاعمدة والظاهر ان ارم اسم بلدة وذات العماد صفتها لما تواتر وكثر في الاشعار ذكرها وقضتهم ان عادا كان له ابنان شداد وشديد ملكا الارض وقهرا الملوك ثم مات شديد واستغل شداد بالملك ملك الدنيا بأسرها بلا منازع فسمع بذكر الجنة وكان عمره اذ ذاك ستمائة سنة فبنى مدينة عظيمة قطورها من الذهب والفضة واساطينها من اليواقيت والزبرجد في مدة ثلثمائة سنة وقيها الاشجار والانهار المطردة وكان بأرض عدن فلما تم بناؤها سار اليها بعسكره ليتمتع بتلك القصور والانهار فلما كان منها وبين المدينة مسيرة يوم وليلة صاح بهم ملك صيحة هلكوا عن آخرهم وحكان عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل له فمر بها فحمل ما قدر عليه واتى به معاوية واخبرهم الخبر والله اعلم التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم وهذا ايضا على وجه تسمية البلدة اذ لو كان اسم القبيلة كان المناسب لم يخلق مثلها في العباد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد قطعوا الصخور واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين وسيجيء مدينة بالوادي وادي القرى اثبت الالف بعد الدال وقبل الف احد وجهين الباء في الحالين والوصل والوقف وقبل في الوجه الاخر في الوصل وحذفها في الحالين ووقف وقبل في الوجه الاخر في الوصل وحذفها في الحالين وفرعون ذي الاوتاد سمي به لكثرة جنوده كما لا وتاد للمقر على التشبيه او لكثرة مبانيهم او لانه كان يعذب بالاوتاد وهذا اظهر الذين طغوا في البلاد صفة اخرى للمذكورين من عاد وثمود وفرعون او منصوب باذكر فاكثروا فيها الفساد بتفسير طغيانهم فصب عليهم ربك سوط عذاب الاضافة تعني من اى سوط كان منه والمراد تقليل ما اصابهم في جنب عذاب الاخرة ولذلك روي عن الحسن انه لما نالها قال ان عذاب الله لشيء يسير وقيل ما غلظ منه وذكر السوط كناية عنه والاول اوفق

بساير الايات واشد تهويلا إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ مفعال من رصده اذا ترقبه كاية عن عدم الفوت فامّا الانسان متعلق بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله تعالى يرصد العصاة بالعقوبة والانسان لايهمه الا العاجلة إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ اخبره بالغنى فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ بالمال والجاه فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ مفتخرا بذلك مدعيا استحقاقه ولم يتلقه بالشكر وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ضيقه عليه وقرأ ابن عامر قدر مشددا والمخففا خفف واوفق بقوله ومن قدر عليه رزقه فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ لقصور نظره الى الحظام ولم يدر ان الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضه وان التقتير قد يكون اكراما للدين ولذلك زواها عن اكثر اصفيائه اثبت نافع في الوصل والبزي في الحالين ياء اكرمن واهانن ولابي عمرو وجهان الحذف والاثبات وحذفها الباقون اكتفاء بالكسرة كَلَّا ردع للانسان عن هذا القول ثم اشار الى انه مرتكب ما هو شر من هذا القول بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ لا تتفقدون اليتيم بالاحسان ولا تحثون انفسكم ولا غيركم على طعام المسكين من غاية الشح وقلة الشفقة وقرأ الكوفيون بفتح التاء والحاء ولا الف بعده من التفاعل حذف منه احدى التاءين اى لا يحث بعضهم بعضا وهذا ابلغ لدلالته على انهم لا يفعلون المعروف ولا يامرون به وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ اللبراث اصله وراث قلبت الواو تاء كما في تجاه اكلا لما تاتي جمعا بين الحلال والحرام لانهم كانوا لا يورثون النساء ويقولون المال لمن يحمي الحريم او ياكلون ما جمعه المورث من الحلال والحرام لا يميزون بينهما او لا يتورعون في انواع المواكيل والفواكه كما يفعله الاكلة الواردات لا اندفع يتلطف في تحصيله او يخلون المال حراما حَبًّا كَثِيرًا شديدا مع الشره والحرص ومنع الحقوق وقرأ ابو عمرو والاقوال الاربعة بالتاء غيبة والخطاب ابلغ تقريعا كَلَّا ردع لحثهم واشكالهم لفعلهم اذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دكا دكا بعد الاخرى بصير هباء منبثا وعيد لهم على تلك الافعال التي يجترئون على تركها حين لا ينفع وَجَاءَ رَبُّكَ مثل مجاله في ظهور آثار قدرته وتمانع طاعته لوجوده او اتيانه الى الالتقام من الخلق بحال تليق بعظمته لا نعلمها نحن فلم يكتف بالمجيء والعساكر ولم يأت نفسه والْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا تحف به الملائكة كلهم صف بعد صف على قدر بحسب تفاوتهم في الاشراف والجلالة وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ روى مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك

يَوْمَئِذٍ بدل من اذا ذكت والعامل فيهما يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ ما فرط منه او تعظ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ استبعاد لها من حيث انتفع لتلاشينا فصر ما يتقدمه ومن استدل به على عدم وجوب قبول التوبة فقد ابعد عن الصواب لان عدم قبولها ليس بناء على عدم وجوب القبول بل لفوات الوقت بانقطاع التكليف يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي هذه وهي حياة الاخرة او وقت حياتي في الدنيا كقوله جئت لعشر خلون من رجب وهذا من تمني المحال وفيه دلالة على ان للانسان اختيارا في افعاله فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ الضمير لله اى لا يتولى عذاب الكافر ولا ايثاقه احد غيره تعالى ففيه تهويل نعوذ بالله من غضب الحليم او للانسان اضافة للمصدر الى المفعول اى لا يعذب الزبانية احدا من خلق الله مثل تعذيب هذا الانسان وقرأ الكسائي بفتح الذال والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق كالسلام بمعنى التسليم والعطاء بمعنى الاعطاء والضمير للانسان والمعنى كالوجه الثاني في قراءة الكسر يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ المؤمنة التي اطمأنت في الدنيا الى ذكر الله تعالى او بذكر الله تطمئن القلوب او الامنة من الخوف والحزن القائلة يا ليتني قدمت لحياتي تحزنا وتحسرا وهذا اما عند الموت او البعث او دخول الجنة ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ راضية بما اوتيت مالا عين رأت مرضية عند الله فَادْخُلِي فِي عِبَادِي في زمرة عبادي الصالحين وَادْخُلِي جَنَّتِي دار كرامتي ومقر اوليائي نعمت والحمد لمن نعمه تتم والصلوة على من به الرسل تختم

سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ اقسم تعالى بالبلد الحرام الذي هو اشرف الاماكن حرمه يوم خلق السموات والارض على ان الانسان مخلوق في كبد مستمر في الشدايد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ دلالة على ان من المكابد كون مثلك حلا اى مستحلا حرمته في مثل هذه البلدة التي لا يحل التعرض لتياتها فضلا عن صيدها وفيه تسكين له واشارة الى ان سوء صنع المشركين قد بلغ الغاية القصوى فيقع الدم الاتي لهم في خلق موقعه او وعد له بفتح مكة تسلية له بان ما يقاسيه من الاذى والمكابدة عاقبته الظفر وحل البلد الذي لم يحل لاحد قبله ولا لاحد بعده يفعل فيه ما يشاء قتلا ونهبا وفيه من اجلال قدره ما ترى ونظيره في الاستقبال انك ميت وقولك لمن تعد ما ثمت مكرم وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ وادم وذريته او ابراهيم وبنوه البلد واسمعيل او محمد وذريته الطاهرة والعدول الى ما للدلالة على الوصفية فيفيد فخامة كقوله والله اعلم بما وضعت لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ

اى فى شدة ومشقة لان اول احواله ضيق الرحم واخره الموت وضيق القبر
وما بعده من كبد الرجل اذا وجع كبده ثم اتسع فيه فاطلق على كل مشقة
أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ايظن هذا الشديد القوى ان لن تقوم
القيمة ولا يقدر احد على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم يقول
اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشىء اذا اجتمع بعضه على بعض ما كان ينفقه رياء
وسمعة مما كانوا فى الجاهلية ينفقونه مفاخرة والمعنى على العموم وان
نزلت فى ابى الاسدين كلدة فانه كان قويا يبسط لاديم العكاظى تحت قدميه
ويقوم عليه ثم يقول من ازالنى عنه كذا فيقطع ويبقى ما تحت قدميه وقيل
نزلت فى الوليد أيحسب أن لم يره أحد حين ينفق ما ينفق رياء وفخرا اى
ان الله كان رقيبا عليه ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به
ويعبر به عن مقاصده وشفتين زينة ويستعين بهما على النطق والاكل
والشرب وهديناه النجدين طريقى الخير والشر كقوله انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا والنجد ما ارتفع ففيه اشارة الى غاية الايضاح
والبيان وقيل هما الثديان فان العرب يقسم بهما ويقولون ونجديها
فالبطن كالغور وهما نجدان فلا اقتحم العقبة بعد هذه النعم وما
ادريك ما العقبة ابهمه على وجه الاعتراض ثم فسره بقوله فك رقبة
او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة العقبة
ما صعب من طرق الجبال كنى به عن صعوبة هذه الاعمال على النفس ولذلك
عبر عن الاتيان بها بالاقتحام الذى هو الدخول فى الشىء عنفا من القحمة وهى
الشدة والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب
فى النسب والقرابة وترب افقر كانه لصق بالتراب والمعنى ان الانفاق
عند الله هو هذا لا الفخر به ذلك المرائى وقدم فك الرقبة لانه اقرب الى القربة
روى مسلم والبخارى عن عمرو بن عنبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اعتق رقبة مسلمة كانت له فكاكا من النار عضوا بعضو وقرأ نافع
وابن عامر وعاصم وحمزة فك واطعام مصدرين مضافين الى المفعول بالرد
على الجبرية والباقون بالفعل بدل لا من اقتحم ولا مكررة تقديرا اى لا فك
ولا اطعم على ان تكررها غير لازم ونحو فلا صدق ولا صلى انما يدل على الوقوع
دون اللزوم ثم كان من الذين امنوا عطف على اقتحم اى لا اقتحم ولا امن
ولا يلزم كونه خارجا منه بل لكونه اشرف الاجزاء وآخر سائرها خص بالذكر
مع ثم دلالة على انافة محله وتواصوا بالصبر عن المعاصى وعلى مشاق الطاعات
وتواصوا بالمرحمة الشفقة على خلق الله تعالى اولئك اصحاب الميمنة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها اقسم بالشمس وضوئها لان كلا
منهما من بدايع صنعه الضحوة وقت ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء
بالفتح والمد قرب نصف النهار والقمر اذا تلاها تلا الشمس فى النور
والكمال لليلة البدر فانه يظهر سلطانه كوقت الضحى للشمس او تلا الشمس
اخذا من نورها وذلك فى النصف الاول من الشهر واما فى النصف الثانى
فلا تلو لانه مفارق او تلا طلوعه طلوعها والنهار اذا جلاها اى الشمس
على التقابل كما جعل الليل غاشيا الشمس جعل النهار مجليا لها فانها تظهر غاية
الظهور اذا انبسط النهار وقيل الضمير للظلمة او لليل او للارض والليل
اذا يغشيها يغشى الشمس بستر ضوءها بظلامه ولما كانت واو العطف
نوابت للواو القسمية الجارة بنفسها قائمة مقام الفعل سادة مسده
بحيث طرح ذكره نادرا بخلاف الباء جاز ان يكن عوامل عمل الفعل والجار
معا كقولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا من غير عطف على عاملين مختلفين هذا
ويرد عليه والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس فانه عطف على المجرور بالتاء
والحق ان الظرف ليس متعلقا بفعل القسم لان التقييد بالزمان غير مراد
اصلا ولا استقبالا لابل المعنى وعظمة الليل وقت غشيانه لان الاقسام بالشىء
اعظام له والسماء وما بناها ما ليست مصدرية لقوله فالهمها لان
الهام الفجور لا يليق ان يكون مقسما به ولذلك غير الاسلوب بدخول الفاء
بل موصولة وايثارها على من لارادة الوصف فتفيد فخامة كانه قال والسماء
والقادر العظيم الذى بناها وكذا يقدر ما يناسب فى غيرها والقول باضمار
العائد اليه تعالى للفخامة جنوح لتلك الفخامة والارض وما طحيها
دحاها وبسطها ونفس وما سواها هى نفس آدم او التنكير للتكثير
اى كل نفس وتسويتها خلقها فى احسن تقويم فالهمها فجورها وتقواها
ارشدها الى طريق الخير والشر وتقديم الفجور للدلالة على انه يقدره
واراده ايضا ولا يناسى مدخلية قدرة العبد كسبا فان قلت التسوية
خلق الاعضاء وتعديلها وافاضة الروح والقوى والهام الفجور و

والتقوى انما يكون بعد البلوغ وتوجه التكليف والقاء يقتضى التعقيب
من غير تراخ قلت التعقيب امر عرفى ولما كان تكامل القوى وقت البلوغ فكان
لا تسوية قيله قد افلح من زكيها طهر من دون الاخلاق الذميمة وانما
بالاعمال السنية جواب القسم حذف منه اللام لطول الفصل وقيل مستطرد
لذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف اى ليدمدمن الله على كفار مكة كما
دمدم على ثمود وقد خاب من دسيها اخفاها واطفاء نور الفطرة بظلمات
المعاصى اصله دسس قلبت الثانية ياء كما فى امليت وتقضى البازى واسناد
التزكية والتدسية الى العبد انما يقتضى القيام به لا الاستقلال ولا الايجاد
فلا دليل فيه للقدرية على ان الارجح عود المستتر اليه تعالى والبارز المنصوب
الى من بتاويل النفس لما روى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اللهم آت نفسى تقويها وزكها انت خير من زكيها كذبت ثمود بطغويها
اسم بمعنى الطغيان ولذلك قلبت ياؤه واوا فرقا بينه وبين الصفة اى كذبت
بسبب طغيانها او بعقابها الموعود دى الطغوى كقوله فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية فالباء صلة اذ انبعث اشقيها اشقى ثمود قدار بن سالف او هو
ومن وافقه لان اسم التفضيل اذا اضيف صلح لما فوق الواحد فقالهم رسول
الله ناقة الله نصب على التحذير ولما اضاف الناقة اليه تشريفا ذكر صالحا باسم
الرسول واضافة ايضا لانه اولى بالاجلال وسقياها لا تذودوها عنه
فكذبوه فيما حذرهم به من نزول العذاب فعقروها فدمدم عليهم ربهم
اطبق عليهم العذاب وعمهم به تكرير دم الشئ كبسه نحو كبكب فى كب وقيل
غضب من الدمدمة وهو الكلام المرجع وقيل ارجف الارض بهم بذنبهم
بسبب ذنبهم فسواها اى العقوبة بينهم عموما او سوى ثمود بالارض
ولا يخاف عقباها عقبى الدمدمة او التسوية الواو للحال اى فعل ذلك
والحال انه غير خائف من عاقبة فعله كبعض الملوك وقرا ابن عامر ونافع
بالفاء والواو ابلغ روى البخارى ومسلم عن عمار بن ياسر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه الا اخبرك باشقى الناس
قال بلى قال احمر ثمود عاقر الناقة والذى يضربك على هذا واشار
الى قرن راسه حتى تبتل منه هذه يريد لحيته تمت والحمد لله الاوه عمت

سورة والليل

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى يظلامه كل ما يواريه او انتهاره او
النهار اذا تجلى تبين ويكشف بانسلاخ الليل عنه وما خلق الذكر

والانثى والقادر الذى خلق الزوجين من كل نوع او آدم وحواء ويجوز ان تكون
ما مصدرية وقرا ابن مسعود وابو الدرداء رضى الله عنهما والذكر والانثى
ان سعيكم لشتى جمع شتيت جواب القسم اى ان مساعيكم مختلفة الاغراض
متباينة الجزاء ثم فصل بما على اثره فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
اعطى الطاعة فى حقوق الله تعالى واتقى المعصية وصدق بالتوحيد او الجنة
فسنيسره لليسرى فسنوفقه للخلة التى تؤديه الى اليسر والراحة واما من
بخل بحقوق الله واستغنى بالحطام الفانى وكذب بالحسنى بالتعيم
الباقى او التوحيد فسنيسره للعسرى فسنخذله وندله على الطريقة التى
اختارها واطلاق التيسير للمشاكلة وما يغنى عنه ماله اذا تردى سقط
فى حفرة القبر او فى قعر جهنم او مات من الردى وهو الموت نفى واستفهم
انكار ان علينا للهدى الدلالة والارشاد الى طريق الصواب بشرع الاحكام
وبيان الحلال والحرام وان لنا للاخرة والاولى نعطى ما نشاء لمن نشاء
اولنا الغنى المطلق لا ينفعنا طاعة ولا يضرنا معصية فانذرتكم نارا تلظى
تلتهب لا يصلينها لا يدخلها الا الاشقى الذى كذب بالحق وتولى
واعرض عنه وسيجنبها الاتقى الحصر فيه ادعاى كان غيرهذا الاشقى
لا يصليها وغير هذا الاتقى لا يجنب لاتفاق الكل على انها نزلت فى ابى بكر
وامية بن خلف حين اشترى منه بلالا ببردة وعشر اواق وقيل ابى جهل امية
وابى بكر فالاشقى لم يرد به واحد واما تفسير الصلى بالكرون فلا يدل عليه
اللفظ ويلزم منه ان الشقى لا يلزم بها وينافيه واما الذين شقوا ففى النار
خالدين فيها الذى يؤتى ماله فى مصارف الخير يتزكى من الزكاء اى يطلب
ان يكون عند الله زكيا لا رياء او من الزكاة بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة
او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى قيل لما اشترى بلالا قالوا
ما اشتراه الا ليد له عليه وعن ابن الزبير ان ابا بكر رضى الله عنه كان يشترى
الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه لو اشتريت الاقوياء لامتنعوا عنك فقال انما
الاعلى منقطع اى لكن ابتغاء وجه ربه او متصل مفعول له على حذف فعل اى لا يؤتى
ماله الا لابتغاء وجه ربه ولسوف يرضى ما يقربه عينه وعد جميل وفى ابهامه ما لا يخفى

سورة والضحى

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى اى وقت الضحى وهو حين ارتفاع الشمس وظهور
سلطانه وقيل اقسم به لانه وقت غلبة موسى فرعون لقوله وان يحشر الناس
ضحى وقيل جميع النهار لقوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى فى مقابلة بياتا او

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجٰى ستر متعدّ من سجيته أو سكن من فيه أو سكن ظلامه واستغرق
قدّم اللّيل تارة باعتبار الأصل فانّ اللّيالى عرفا الأيام والنّهار اخرى
باعتبار الشّرف مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ جواب القسم اى ما تركك تركا لموقع
وَمَا قَلٰى ما ابغضك من القلى بكسر القاف مقصورا روى البخارى عن جندب
البجلى انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلثا فجاءت
امرأة فقالت يا محمّد انّى لارجو انّ يكون شيطانك قد تركك فانزل الله تعالى
وَالضُّحٰى وَلَلْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْاُولٰى اى الاوقات المستقبلة خير لك من
الايام الماضية فانّه يعلو شانك فيها ويظهر دينك على سائر الاديان وترى
النّاس يدخلون فى دين الله افواجا وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى
بحيث لا يبقى لك طلب بعد تلك العطيّة وانّما حذف المفعول لغرض العموم فيشمل
مقام الشّفاعة وسائر المزايا الّتى يختصّ به واللّام للابتداء دخل الخبر بعد حذف
المبتداء والتّقدير لانت سوف يعطيك لا للقسم فانّها لا تدخل على المضارع
الّا مع النّون وجمع مع سوف للدّلالة على انّ العطاء كائن لا محالة وانّ تاخّر
لحكمة اَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَاٰوٰى من الوجود بمعنى العلم والاستفهام للتّقرير
اى قد كنت يتيما أويك مات ابوه وهو جنين انّى عليه ستّة اشهر فمات وولد
كان فى حجر امّه ويحوطه عبد المطلب جدّه الى ان بلغ عمره ثمان سنين مات
عبد المطلب وامّه فعطف الله تعالى عليه عمّه ابا طالب وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدٰى قيل اضللته طفلة حليمة عند ياب مكّة وقيل ضلّ فى بعض شعاب مكّة
فردّه ابو جهل الى عمّه ابى طالب وقيل ضلّ فى طريق الشّام اضلّه ابليس حتّى
ناحلته فردّه جبرئيل الى الرّاكب أو كنت ضالا عن علم الشّرايع والاحكام وما
طريقة السّمع ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَاَغْنٰى
كنت صديم المال فاغناك بمال خديجة رضى الله عنها أو احلّ لك الغنايم ولم
يحلّها لاحد قبلك أو كنت مبعوثا الى الاحمر والاسود فاغناك بكنز المعارف
وهو القرآن فسيخرج امّتك من فرائد دثره الى اخر الدّهر عدّد عليه بعض
نعمه السّابقة تقريرا لقوله وللاخرة خير لك من الاولى لانّه اذا كانت هذه
عنايته معه ولم يكن لابسا خلعة رسالته فكيف به وقد ارسله للنّاس كافّة
بشيرا ونذيرا فَاَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ لا تظلمه وحقّه ويعطف عليه واذكر
حالك فى اليتيم وَاَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ لا تزجر يشمل الفقير والمسترشد
فى دينه وَاَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ فانّ اشاعتها شكرها روى ابو داود عن
جابر رضى الله عنه انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال من اعطى عطاء
فوجد فليكافئ فانّ لم يجد فليثن به فمن اثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر

ولمّا منّ الله عليه بثلث خلال ارشده وحثّه على ثلث فى مقابلتها ليكون
مختلقا باخلاق الله ويقتدى به فى ذلك امّته تمّت سورة الضّحى
والحمد لمن له العطاء والصّلوة على المجتبى آله وصحبه الاتقياء

بسم الله الرّحمن الرّحيم اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ اى شرحناه لانّ انكار النّفى
اثبات والمعنى نوّرنا صدرك بنور النّبوّة حتّى وسع علم الاوّلين والاخرين
روى البخارى عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه انّ رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم اخبر عن ليلة اسرى به قال فجاء جبرائيل بطشت من ذهب ملئ حكمة وايمانا
فشقّ من ثغرة نحره الى مراق بطنى فاخرج قلبى وشقّه ثمّ غسله بماء زمزم
فحشاه حكمة وايمانا أو نرفيه الاجمال والتّفصيل مبالغة فى الايضاح وَوَضَعْنَا
عَنْكَ وِزْرَكَ ما كان يثقل عليك من عدم العلم بالحكم والاحكام أو ما كنت
ترى من ضلال قومك مع عدم الاهتداء الى ما ترشدهم اليه أو ما كنت يلقى من
الشّدّة تلقّى الوحى خوفا من فوت شئ منه فضمنّا لك حتّى سكن روعك الَّذِي
اَنْقَضَ ظَهْرَكَ من النّقض وهو صوت الرّحل من ثقل الحمل مثّل حاله به كناية
عن غاية الشّدّة وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فى الدّارين بانك سيّد المرسلين وخاتم
النّبيّين ونعتك فى زبر الاوّلين واسمك مقرون باسمه رب العالمين براءة من
الله ورسوله اطيعوا الله ورسوله ومن يطع الله ورسوله عدّد عليه بعض
جلائل نعمه ثمّ قال فَاِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا كانّه قال اذا كنت بهذه الرّتبة عندنا
فلا تبال بقول من قصر نظره على حطام الدّنيا معتبرا لك ولاصحابك يضيق
اليد فانكم سترون عن قريب يسرا واىّ يسر وادلّ على القرب بلفظ مع الدّالّ
على المقارنة والمصاحبة اِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا استيناف والتّنكير فى غير
الاوّل على فاتحة النّكرة المصادة وترجيحا للتاسيس على التاكيد وحملا للكلام
الله تعالى على ابلغ الاحتمالين مع اقتضاء المقام زيادة التّسلية والتّفسير
ولما روى مرفوعا انّه قال لن يغلب عسر يسرين فان قلت فما يقول فى معنى الحديث
من حمل الثّانى على التّاكيد وجعله مثل قولك انّ زيدا قايم انّ زيدا قايم قلت
يحمل اليسرين على يسر الدّنيا والاخرة فان قلت كان الواجب تعريفه لانّ الاول
كالعلم قلت ذلك ليس بواجب بل اكثرى عدل عنه للتّفخيم فَاِذَا فَرَغْتَ
فَانْصَبْ فاذا فرغت من عبادة اتبعها باخرى ليكون شكرك على وفق النّعم
واشار بلفظ النّصب وهو التّعب الى التّرقى كما فى جانب النّعم بقوله وللاخرة
خير لك من الاولى وعن ابن عبّاس رضى الله عنه اذا فرغت من الصّلوة فاجتهد

في الدعاء وذلك لان الصلوة عماد الدين والدعاء مخ العبادة وعن الحسن انا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وكانه لاحظ قوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ في مطالبك لا الى غيره لعلمك بتفرده بالتاثير لا يشاركه احد الكل منه وبه واليه فتوكل عليه تمت بحمد الله والصلوة على افضل خلق الله

سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ اقسم بجبال الارض المقدسة والاول لان سميا باسم الشجرتين الثابتتين بهما والطور هو الجبل الذي كلم تعالى عليه موسى وسينين وسيناء اسم البقعة التي بها الجبل قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقيل اراد الشجرتين لكثرة منافعهما وليس بقوي لان النخلة اشرف لا شجار حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدحها مثلها مثل المسلم ولعدم الملاءمة بين المعطوف والمعطوف عليه وهذا البلد الامين الحافظ داخلة هي مكة شرفها الله كانه قال والارض المباركة دينا ودنيا والبلد الذي من دخله كان امنا في الدارين وفيه نهج الترقي اذ لا مطمح وراء امن الدارين لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ تعديل شكلا وصورة لا ترى في الكائنات احسن منه حتى تبلغ منه سر الملاحة حدا يعجز الواصف عن ابرازه نطقا ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ وهو الكافر فرق الناد ستة مثل احد ويجر شفته على الارض فالوجه اسود مظلم وما بين كتفيه ما بين مكة والمدينة عافنا الله او رددناه في الدنيا بعد ذلك الحسن والجمال اسفل من تسفل تقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده وكل سمعه وبصره وتناقصت قواه وعقله وانقه من كان يحبه إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ استثناء متصل على الاول ظاهر لان الاتصال منقطع على الثاني اي لكن الذين آمنوا كانوا صائرين مآلهم الى فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ غير مقطوع بل يجري عليهم ثوابا لاعمال التي كانوا يعملونها وهم افوياء فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ الخطاب للانسان اي بعد هذه الدلائل المشاهدة اي شيء يجعلك كاذبا بالاعادة فان مكذب الحق كاذب والباء للسببية او لرسول الله صلى الله عليه وسلم الهابا له او تعريضا بالمكذبين اي بعد هذا البيان لا يكذبك شيء كهؤلاء الذين لا يبالون بايات الله تعالى وعلى الاول استفهام توبيخ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ اي ليس ذلك الموصوف بما ذكر من كل قادر فما وجه انكارهم بعد اخباره وان لا يسم الاعظم دلالة على ان ذلك من خواص الالوهية تحت

سورة التين والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين واله وصحبه اجمعين

سورة اقرأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الجار في محل النصب على الحال اي اقرأ حال كونك مفتتحا قراءتك باسم الله الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ اثر خلق كل شيء خصص الانسان لانه اشرف البرية والمقصود بالانزال والمراد خلق الانسان او فيه الابهام والتفسير وفيه اشارة الى انه مخلوق للقراءة والدراية مِنْ عَلَقٍ جمع باعتبار الافراد اقْرَأْ تكرير للاول وهو محزه لانه اول ما ورد بالقراءة ولانكاره القراءة بقوله ما انا بقارئ وقيل الاول لنفسه والثاني للتبليغ او الاول خارج الصلوة والثاني فيها وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ على الاطلاق اذ كرم غيره تكلف في جزئي لغرض الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ دليل على اكرميته لان كل عطية دون العلم والمعرفة كنقطة من المحيط وقل ربي زدني علما ورمز في ضمن ذلك الى فضل الكتابة لانها آلة التعليم وضابطة الحكم وفي المثل العلم صيد والكتابة قيد عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ما لا يمكنه علمه الا بالتعليم كَلَّا ردع للانسان الذي قابل هذه النعم بالكفران وَالطغيان إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ليتجاوز عن حده أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ لان رأى نفسه غنيا اي علم ولذلك جاز ان يكون الفاعل والمفعول ضميرين لشيء واحد وذلك من بعض خصائص القلب إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ خطاب لذلك الانسان الطاغي التفاتا لكونه ابلغ تحذيرا والرجعى مصدر كالبشرى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ روى الترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ابا جهل قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال واللات والعزى لئن رايته لافعلن عنقه فمر به وهو يصلي فزعم انه يطأ على عنقه فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك فقال رايت بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ او امر بالتقوى اذ الايات تكرير للاول والشرط مفعول ثان حذف منه الجواب لدلالة قوله الم يعلم عليه وصدق المفعول الاول لظهوره او رايت ان كذب وتولى مقابل للاول ليقابل الشرطين والمعنى اخبرني يا من له اذن تمييز عن حابل من ينهى عبدا يصلي ان كان ذلك الناهي على طريق الرشاد او امرا بالتقوى في امره بعبادة الاوثان اخبرني ان كان مكذبا معرضا الم يعلم بان الله يرى

ويشاهد وسوق الكلام على طريقة المنصف والتهكم لان الناهي عن الصلوة
ليس على الهدى قطعا وكذا كونه مكذبا معرضا مجزوم به كلا ردع للناهي
لئن لم ينته لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنجرنه الى النار
والسفع القبض على الشئ وجره بعنف قال عمرو بن معدي كرب قوم اذا
يقع الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهره او سافع ناصية كاذبة خاطئة
بدل مرا لاول وحسنه الوصف وكان اوفى بالمقصود لدلالته على علة السفع
واسناد الكذب والخطاء الى الناصية مجاز حكمي وتخصيصها لانها اشرف
الاعضاء فليدع ناديه عن ابن عباس رضي الله عنه ان ابا جهل لما لم يقدر
ان يقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم توعده بالكلام فاغلظ له رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال تهددني يا محمد وانا اكثر اهل الوادي ناديا اراد
عشيرته فسماهم باسم مجلسهم ومجتمعهم سندع الزبانية عن قريب
ليجروه الى النار يجمع زابن او زبانى او زبنيه كعفرية قال الاخفش العرب
لا يكاد تعرف هذا بل يجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل ابابيل واصل الزبن
الدفع كلا ردع للناهي ايضا لا تطعه الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اي دم على عصيانه واسجد ودم على الصلوة ولا تبال بالناهي
واقترب بها فانها المعراج اليه او بالسجود لما روى مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد تمت سورة العلق والحمد لمن خلق والصلوة
على من في مضمار السعادة سبق واله وصحبه ما الليل وسق

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر فخم شان القران بانوخر
انزاله وبالاضمار لانه العلم الذي لا يذهب الوهم الى غيره وبرهان نزوله
التعرفوا على ان القران نزل به جبرائيل في ليلة القدر الى بيت العزة في السماء الدنيا
فكتبه السفرة ثم نزل منجما في ثلث وعشرين سنة وسميت ليلة القدر لان
الامور المتعلقة بذلك العام واقدارها تكتب من اللوح فيها وتدفع الى الملايكة
وما ادريك ما ليلة القدر لم تبلغ درايتك كنه فضلها ثم بينه بقوله
ليلة القدر خير من الف شهر اي القيام بالعبادة فيها خير من القيام بالعبادة
في الف شهر خالية عنها عن مجاهد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
في بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون فنزلت وروى
البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له من ذنبه ما تقدم والاكثر
على انها في اوتار العشر الاخير من رمضان ومن علامتها ان ليلتها ساكنة
لا حر ولا برد ولا يرمى بكوكب وهي صافية كانها قمراء وتطلع الشمس في
صبيحتها ليس لها شعاع وروى الترمذي عن حسن بن علي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه راى بني امية على منبره فنزلت وعدوا ايام بني امية
فوجدوها الف شهر فاهل الحديث ينكرونه تنزل الملائكة والروح فيها باذن
ربهم بيان لما فضلت به والروح جبرائيل وقيل خلق لا نراهم الملائكة الا
تلك الليلة من كل امر اي تنزل لاجل كل امر وقضاء قدر في تلك السنة
وانما تنزل تعظيما لها وتشرفا لخيرها وبركتها سلام هي مثل انما تميمي اي ما
هي الا سلامة اي لا يقضى فيها الا السلامة والخير وعن مجاهد لا يستطيع
الشيطان في تلك الليلة على عمل السوء وقيل سميت سلاما لكثرة سلام
الملائكة على المؤمنين والمؤمنات حتى مطلع الفجر غاية للسلامة او السلام
والمطلع مصدرا او زمانا وقراءة الكسائي بكسر اللام والفتح اخف

وهو القياس تمت سورة القدر ولله الحمد

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
حتى تاتيهم البينة حكاية مقالة اهل الكتاب والمشركين كانوا قبل البعثة
يقولون لا ننفك عما نحن فيه حتى ياتينا النبي الموعود رسول من الله
بدل من البينة يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة الصحف صحائف المصاحف
والكتب القيمة القضايا والاحكام القويمة المستطورة فيها وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة توبيخ لهم والزام بان
ما كانوا يعدونه سببا للوفاق والوام جعلوه سببا للافتراق والاختلاف
ونظيره قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وانما افرد اهل الكتاب بعد جمعهم مع المشركين اولا لانهم اذا تفرقوا
مع علمهم فالمشركون اولى بذلك وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
استدل على وجوب النية في العبادات حنفاء مائلين عن الباطل والعقائد
الزايغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة دين الملة القويمة
ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها
اولئك بعدوتهم لان قبورهم حفر النيران والاشتراك في مطلق الدخول لا في مقدار
العذاب والدركات اولئك هم شر البرية الخليقة ان الذين امنوا وعملوا

الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا اطنب في اوصافها الجنة وقيد الجزاء بانه عنده
واكد الخلود بالتابيد اشارة الى سبق رحمته رضي الله عنهم فوق ذلك الجزاء
ورضوان من الله اكبر ورضوا عنه بما منحهم مما لا مزيد عليه ذلك لمن خشي ربه
ذلك المذكور لكل من خشي ربه وقرا نافع وابن ذكوان البرية بالهمز وهو الاصل من برأ
خلق قال يونس حالفت مكة العرب فهمزوا البرية والنبي وكنا عن سيبويه تمت والحمد على نعم عمت

سورة الزلزال

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها الزلزلة تحريك بعنف ومنه
الزلزال للشدائد واضافته الى الارض للمبالغة اي ما يمكن لها من الزلزال له
والمراد النفخة الثانية لقوله واخرجت الارض اثقالها ما في بطنها من
الاموات والكنوز روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه تبع الارض افلاذ كبدها
كالاسطوان من الذهب والفضة فيقول القاتل في هذا قتلت ويقول القاطع
في هذا قطعت ويقول السارق في هذا قطعت ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا
وقال الانسان مالها حتى اخرجت هذه الاثقال يقولون تعجبا وقيل القائل
الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث واما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او انتصبا باضمر
ويومئذ بحذف تحدث اخبارها اي تحدث كل عبد وامة بما عمل على ظهرها
رواه الترمذي والنسائي واحمد وقيل بلسان الحال وهي الاحوال التي احدثها
الله تعالى فيها من الزلزلة ولفظ الاموات والدفائن بان ربك اوحى لها
الباء للسببية اي بسبب ايحاء ربك اليها بالتحديث ويجوز ان يكون بان ربك
اوحى لها بدلا من اخبارها يقال اوحى له واليه كذا وبكذا يومئذ يصدر الناس
اشتاتا متفرقين كل شيعة مع امامها كانوا في الدنيا يوم ندعو كل اناس
بامامهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي يوما بين ابي بكر وعمر رضي الله
عنهما اخذا بيد كل منهما فقال وهكذا نبعث ان شاء الله تعالى ليروا اعمالهم
ويخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اي يرى جزاءه تفصيل لقوله اشتاتا وحسنات
الكافر لها مدخل في التخفيف كالزيادة سيئاته توجب ضعف العذاب ولا يبعد
حبوط عمله لان ذلك معنى اخر روى البخاري بسنده ان رسول الله قال ليس في القرآن
اية اشمل منها واعم لكل عمل تمت السورة والحمد لله على الاله الموفقة

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة العاديات في الكر
والفر والضبح صوت انفاسها حين العدو وعن ابي عبيدة هو السير نصبه
على المصدر اما من فعله المحذوف او بالعاديات لانه يلازم العدو والحال
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انها الابل اذا لم يكن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم بدر سوى فرسين فرس المقداد وفرس ابي قتادة ولا
اظن صحته لان الخيل اله الجهاد لقوله من رابط فرسا في سبيل الله فله اجر
ابوالها وارواثها رواه البخاري وناهيك قوله من رباط الخيل وعدم
وجدان الخيل في غزوة بدر لا تمنع الاقسام بها وادل من ذلك قوله
فالموريات قدحا فالمخرجات نارا من الحجارة بصدك حوافرها قادحات
فالمغيرات صبحا وقت الصباح كان رسول الله ينزل نعزب العدو حتى يصبح
فان سمع الاذان كف والا اغار وقال انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين فاثرن به نقعا بذلك الوقت او المكان غبارا كما ترى في مواقع
الحروب كان مثارا لنقع فوق رؤسنا واسيافنا فنا ليل تهاوى كواكبه وقيل
اصوات الذين اغير عليهم فوسطن به جمعا من جموع الاعداء او اقسم
بالنفوس العادية في طلب الكمال المتاومة على الفرطات الموريه باقدامها
الافكار من صخور المسالك انوار المعارف المغيرات على جيش الهوى بالاستغفار
في الاسحار فاثرن به غبار الشوق فوسطن به جمعا من جموع الملاء الاعلى
ان الانسان لربه لكنود لكفور جحود وعن الحسن هو الذي يذكر المصايب
وينسى النعم وعن ابي امامة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قال
من ياكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده وانه على ذلك لشهيد يشهد
على كونه كنودا حاله وعن الثوري الضمير لله وانه لحب الخير لشديد
شديد الحب للمال لكثير لوكان له وادیان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملاء
عين ابن ادم الا التراب افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور من الموتى اي بعث
وفي زيادة الراء مبالغة كبحث مع بحثر وحصل ما في الصدور
ابرز ما فيها من السرائر والضمائر ان ربهم بهم يومئذ لخبير
باعمالهم والاخلاص فيها وازما اقل لائم قال بهم لانهم حال البعث
تراب ورفات تمت ولله الحمد والصلوة على رسوله واله وصحبه

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة
القرع الضرب بشدة والقارعة من اسماء الساعة لانها تقرع الناس

بالاهوال والافزاع او تفزع اعداء الله بالعذاب او لاصطكاك الاجرام العلويه والسفليه فيها وقد بالغ في التهويل بابهام امرها مرتين ولفظ القارعة ابلغ من الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث يوم نصب بما دل عليه القارعة شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار مثله قوله كانهم جراد منتشر وهذه ابلغ لما في المثل اضعف من فراشه واذل واجهل وتكون الجبال بيض وحمر وغرابيب سود فاما من ثقلت موازينه ترجحت مقاديرها حسناته روى البخاري بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينشر للمؤمن صحائف سيئاته ثلثمائة صحيفة كل منها مد بصره ثم يخرج له بطاقة فيها كلمة لا اله الا الله ويقال احضر وزنك فيقول ما ذا يفعل هذه البطاقة مع تلك الصحائف فتوضع البطاقة في كفة والصحايف في اخرى فيطيش صحائف السيئات ولا يوازن اسم الله تعالى شيء فهو في عيشة راضية مرضية الاسناد مجازي او ذات رضى واما من خفت موازينه وهو الكافر الذي ليست معه كلمة الاخلاص فامه هاوية من اسماء النار لانها تهوي بالداخل فيها سبعين خريفا وسميت امه على التشبيه لان الام تاوي الولد وعن قتادة ام رأسه هاوية لانه يسقط فيها منكوسا ويرده قوله وما ادريك ماهيه نار حامية لانه شرح للهاوية فان قلت كل نار حامية قلت معناه حامية و اي حامية كان سائر النيران بالنسبة اليها ليست حامية روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار كم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وروى الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها حتى اسودت فهي الان سوداء مظلمة عافانا الله منها تمت والحمد لله على الدوام وعلى رسوله افضل الصلوة والسلام

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر تشغلكم التباري والتباهي بالكثرة عن طاعة الله لهى عن الشيء غفل عنه حتى زرتم المقابر اي الى حين الموت لم ترجعوا عنه وقيل تفاخر بنو عبد مناف وبنو سهم بكثرة القبيلة فنزلت عن قتادة نزلت في طائفتين من الانصار تكاثروا حتى عدوا الاموات كلا ردع لهم عن مثله سوف تعلمون خطاء كم في ذلك ما لابن ادم و للفخر واول له نطفة مذرة واخره جيفة قذرة بين الحجر والتراب ثم كلا

سوف تعلمون كرره تاكيدا او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ كلا لو تعلمون علم اليقين تكرير للتنبيه والجواب محذوف اي لو علمتم ما قدامكم من العقبة الكؤدة كما تستيقنون من سائر الامور لجهدتم غاية الجهد وفي الحديث لو علمتم ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا لترون الجحيم جواب قسم محذوف ولا يصلح ان تكون جوابا لو لكونه محققا لوقوع قرأ ابن عامر والكسائي لترون الجحيم بضم التاء ثم لترونها عين اليقين مشاهدة ولا علم فوقه ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذي كنتم فيه هل شكرتم ام لا روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضي الله عنهما دخلوا حديقة ابي الهيثم ايام الرطب فذبح شاة واطعمهم من الرطب والبسر وسقى ماء باردا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي تسالون عنه يوم القيمة وقيل الخطاب خاص بمن الهاه النعيم والتكاثر بالاسباب عما يعنيه من الشكر لمولينها تمت والحمد لمن الاوه جمت

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر وصلوة العصر فانها افضل الصلوات لانها الصلوة الوسطى او بالليل والنهار وهو الدهر عظمه لانهم كانوا يسبون الدهر او بوقت العصر لانه وقت شريف كما اقسم بالضحى او بالعصر الذي انت فيه فانه اشرف الاعصار بوجودك ان الانسان لفي خسر لانه عمره وهو شيء لا عوض منه يشتري به النعيم المقيم فاذا ضيعه لا يكون احسر منه الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم ربحوا ما لا عين رات ولا خطر على قلب في جوار رب العالمين وتواصوا بالحق وصى بعضهم بعضا بالدين الثابت مرشدا له تكميلا كما كمل في نفسه وتواصوا بالصبر على فامه الحق بكثرة المبطلين اعداء الدين او بالصبر عن اتباع الشهوات

سورة همزة

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة اهمز الكسر والمز الاشارة بالعين قال ومنهم من يلمزك في الصدقات والمراد الطعن في الاعراض قولا وفعلا صريحا واشارة والبناء لقيد الاعتياد والاشعار كالضحكة واللحنة نزلت في امية او في الوليد كان اذا لقي احدا همزه ولمزه وقد اراه الصحابة الحكم عام ولذلك صرح بلفظ الكل الذي جمع مالا اي كثيرا او مذموما يعذب به

يؤمئذ القيمة بدل كل أو رفع أو نصب على الذم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد وهو أبلغ ذما وعددته احصاءه وضبطه كما هو شان البخلاء ليلا ونهارا تراهم في أحسابهم أو جعله عدة وذخيرة يقال اعددته وعددته بمعنى روي أن الاخنس قال لموسى ما يقول في الوف لو اقتديها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لما قال لجنوده السلطان ونوائب الزمان قال اذا تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك يحسب أن ماله أخلده لجهله وغروره وأشغاله عما أمامه من فوادح الآخرة أو بفعل فعال من بطن اذا خلده من تشديد الاركان وتشييد البنيان وفيه تعريض بالعمل الصالح بانه المخلد كلا ردع له عن حسبانه لينبذن في الحطمة من أسماء النار لانها تحطم أي تكسر ما يلقى فيها قابل كسر الاعراض بكسر الاعضاء واستحقاره بالتبذ الدال على غاية الحقارة وما أدريك ما الحطمة لم يحط به علما نار الله الموقدة التي أوقدها لانتقام والاضافة فيه كما في ناقة الله التي تطلع على الافئدة يستولي عليها بالاحراق بعد احراق الاعضاء والفؤاد ألطف الاجزاء يتأذى بأدنى شيء فكيف بنار جهنم أو تطلع على الافئدة أي تنظر فيها وتطالعها لانها معادن الذنوب ومصادرها ليكون العذاب على قدر ما تولد منها انها عليهم مؤصدة مطبقة واختلاف القراء كما في سورة البلد في عمد ممددة حال من ضمير مؤصدة والمعنى يغلق عليهم ابوابها النار وتوثق بالاعمدة توكيدا لياسهم من الخروج أو من المجرور في عليهم أي يغلق عليهم الابواب حال كونهم مسلسلين في العمد كالصوص في المقاطر لانهم مبرقاء للاعراض وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عمد بضمتين والباقون بالفتح وكلاهما جمع تمت ولله الحمد والصلوة على رسوله محمد

سورة فيل

بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل هم ابرهة الاشرم والي يمن من قبل النجاشي ملك الحبشة وليس باصحمة الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصته انه قتل ارياط من أمراء النجاشي فغضب عليه فتدارك ابرهة ذلك بان بنى له كنيسة بصنعاء اليمن لم ير مثلها وأراد أن يصرف حج العرب اليها وارسل بخبر بذلك النجاشي فاعجبه ذلك ورضي عنه فشق ذلك على العرب فاحتال رجل من كندة فدخلها ليلا واحدث فيها فاخبروا بذلك ابرهة فاشتد غضبه وعزم على تخريب الكعبة الشريفة نادها الله شرفا فاصطحب فيلة ليهدم البيت بها فلما توجه

عارضه ذو نفر من قومه من بني شمطان فلم يقدر عليه فاسره فلما بلغ ارض خثعم قاتله نفيل بن حبيب الخثعمي فاسره ايضا ولم يقتله ليدله على الطريق ولما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة فارس حناطة حميري ليخبرهم بان الملك لم يات لحربهم وانما قصده تخريب البيت وياتيه باشرف البلد فجاء عبد المطلب فخرج معه الى ابرهة فلما رآه اكرمه وكان عبد المطلب وسيما حسن المنظر فقام له ابرهة واجلسه على سريره وسأله عن حاجته فقال ان جيشك قد اغار على سرح مكة واخذوا لي ابلا وكانوا اخذوا له مائتي بعير فقال لترجمانه قل له اني اجللت في تخريب بيت هو شرفك وشرف ابائك فلم تذكره وتطلب الابل فقال عبد المطلب انا رجل مضياف ولا اقدر على قيام الضيافة الا بالابل وانا رب البيت له حام يذب عنه فرد ذلك فرد ابله وذهب فلما اصبحوا هيأ الفيلة وكان اكبرها اسمه محمود فقدموه فبرك فضربوه ضربا شديدا لم يتحرك فوجهوا نحو اليمن فهرول ثم نحو الشام فهرول ثم نحو مكة فبرك هذا وعبد المطلب اخذ بخلعة الكعبة وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك ان يتركهم وكعتبنا فامر اما يدا لك جرؤا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا حريمك عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك فلم يتم كلامه الا والطير اقبلت ألم يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وأرسل عليهم طيرا أبابيل جماعات متفرقة كشرا وبل لا واحد له وقيل جمع ابالة وهي الجماعة وقيل بول كجول وقيل أبيل كقنديل كانت في خثعم الخطاطيف ترميهم بحجارة من سجيل معرب من سنك وكل وقيل من السجل فانه كان مكتوبا على كل حجارة اسم من قتل بها فجعلهم كعصف ما كول كورق زرع اكله الدود أو كروث الدواب وانما عدل الى اللفظ على نمط قوله ايات القرآن قيل كان كل طير يحمل احجارا ثلثة يرمي بكل واحدة انسانا لا يرد شيء من الحديد ففر ابو يكسوم وذريه حتى بلغ النجاشي فاخبره فلما اتم حديثه كان فوق راسه طيرا فرماه بحجر فقتله واما ابرهة فتساقطت اعضاؤه وتصدع صدره وقلبه وجمع عبد المطلب واهل الحرم اموالهم وما نقل عن عائشة رضي الله عنها انها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه مقعدين يطلبان القرآن يخالفه وأتفق المؤرخات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في ذلك العام بعد وقعة الفيل بخمسين يوما وقيل بثلاثين وقيل ما سئل يقطع تمت ولله الحمد والمنة والصلوة على كاشف الغمة

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش متعلق بآخر الأولى كأنه قيل انما جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش أو بما عجبوا أو بقوله فليعبدوا أو ألف جواب شرط اتحاد إن لم يعبدوا الله لنعم الدارين فليعبدوه لايلافهم إيلافهم رحلة الشتاء الى اليمن والصيف الى الشام بدله على المفعولية الايلاف يقال ألف الشئ والفه بمعنى وقرأ ابن عامر الاول بحذف الياء جمعا بين اللغتين أو هو أيضا مصدر الف روى ان قريشا وهم أولاد النضر بن كنانة والقرش دابة عظيمة في البحر يلعب في السفن ولا يدفعها غير النار والتصغير للتعظيم كانوا سكان الحرم وكان اذا اصابهم مجاعة خرجوا الى البلدان وضربوا الاخبية متفرقين ريما مات طالفة جوعا فقام هاشم يوما خطيبا وحثهم على الرحلتين فاثروا بعد ذلك وحسن حالهم ولما أهلك الله اصحاب الفيل امنوا من تعرض الناس فمن الله عليهم بذلك أولم نمكن لهم حرما آمنا فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ثم الحمد لمن الآوه نعمت والصلوة على المختار من هاشم

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت الذي يكذب بالدين أي بالجزاء لاعتقاده عدم البعث الاستفهام للتعجيب وقرأ الكسائي بحذف الهمزة الخا قالله بالمضاع ولما كان التعجيب تشوقا الى التعرف حال المكذب رتب عليه قوله فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه عنفا هو أبو جهل كان وصيا على يتيم فجاءه عريانا سأله عن مال نفسه فدفعه وقيل الوليد وقيل ابو سفيان سأله يتيم وكان مخرجوا فدفعه بالعصا واسم الاشارة للتحقير وفي الصلة اشارة الى أن المكذب بالجزاء لا ينفك عن هذه الرذائل ولا يحض على طعام المسكين غيره فهو محل بكلام الواجبين لا يفعل الخير ولا يأمر به فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون تاركون لها غير مبالين الذين هم يراؤن لاعمالهم ويمنعون الماعون الزكوة فاعول من العون لكونه معوانا للفقراء والمحاويج وفي الكلام ترق ولذلك زاد لفظ الويل اي اذا كان دع اليتيم وترك الحض على الاطعام من سمات التكذيب ومعرفاته فالويل لمن ترك عماد الدين فكيف بمن لاه والزكوة الذي هو قنطرة الاسلام وليس بالرياء الذي هو الشرك الخفي فاشار الى العقيدة

بالتكذيب والى الافعال بهذه الخصال ولما كان دليلا على كونه مخاطبا بالفروع فعلى المؤمن بالدين البعد عنها بمراحل فان قلت عن ابن مسعود ان الماعون محقرات المتاع كالفاس والقدر والملح فما وجه ذلك قلت المراد تجريد المكذب عن الخير رأسا والوصف بكمال الخسة وعدم المروة تمت والحمد لله على نعم عمت والصلوة على محمد واله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فوعل من الكثرة وهو الافراط في الخير من العلم والعمل وشرف الدارين روى البخاري ومسلم عن انس ان رسول الله قال ليلة اسري بي اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ فقلت ما هذا يا جبرائيل قال هذا الكوثر وفي رواية ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ ماؤه أحلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج أنيته اكثر من نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعده ابدا أول من يرد عليه فقراء المهاجرين فصل لربك اي اذا خصك الله بذلك فخصه بالصلوة والنحر وانحر له القرابين والبدن مراغما للمشركين الذين يسجدون للاوثان ويحرون لها وقيل ضع يدك على النحر في الصلوة وفيه بعد ويؤيد الاول قوله ان صلوتي ونسكي ان شانئك عايبك ومبغضك هو الابتر الذي لا عقب له مات له ابن عابه بذلك العاص بن وايل قال محمد ابتر اذا مات انقطع ذكره وقيل العاقل ابو لهب وقيل كعب بن الاشرف والمعنى ان الابتر من انقطع ذكره عقوبة والفضل يكون سببا للذكر وانت مرفوع الذكر على المنابر الى آخر الدهر بيد مما اخفى لك من الشرف والمقام المحمود وشانئك عليه اللعن من كل مؤمن ومما وبه جهنم مفروغا مع الشيطان فلينظر من الابتر تمت سورة الكوثر ولله الحمد على الحظ الاوفر والصلوة على خير البشر

سورة الكافرين

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا أيها الكافرون الخطاب لرهط من قريش وهم الذين ماتوا على الكفر دعوه الى عبادة الهتهم ليعبد والهه لا أعبد ما تعبدون في المستقبل لان لا النفيه كما ان ما لنفي الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد ايضا ولا انا عابد ما عبدتم في الماضي اذ لا اكون مرسلا فكيف وانا رسول رب العالمين ولا أنتم عابدون ما أعبد اي ما عبدت فانا مستمر على عبادته ولذلك لم يقابل الماضي بمثله وقيل انما عدل عنه

لانه لم يكن موسوما بعبادة قبل البعثة ولا عبادته على نمط التكليف ولما طوافه وتحنثه كان على جري العادة دون التعبد وهذا كلام باطل بل كان متعبدا قطعا اما بشرعمن شرايع من قبله او إلهاما كيف وقد صح في البخاري تعبده بحراء وكان قريش في موسم الحج يقفون بمزدلفة وهو بعرفات فاين اقتضاء العادة لكم دينكم ولي دين كل منا لا بيجا وزد ينه الى ان يموت وليس فيه نسخ كما ظن ولا منع عن القتال معهم بعد الاذن والله اعلم تمت سورة الكافرين والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه الكرام الغر المحجلين

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله دينه والفتح فتح مكة نزلت في حجة الوداع فعلم رسول الله تمام الامر فركب ناقته القصواء في المسجد الحرام وخطب الناس الخطبة المشهورة وودع فيها وقال ليبلغ الشاهد الغايب فلذلك سميت حجة الوداع وكان بين حجته واجابته داعي الحق ثلثة اشهر ونيف فان قلت فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وحجة الوداع سنة عشر فكيف يصح نزولها في حجة الوداع فانا يدل على الاستقبال قلت قد روى انها نزلت قبل بسنتين وعلى تلك الرواية يحمل اذا ولما كان فتح مكة ام الفتوح جعله مترقبا باعتبار ما دنا وقربه من الفتوح وان كان متحققا في نفسه يدل عليه قوله ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيرة فوجا بعد فوج كانت العرب والاعراب ينتظرون فتح مكة ويظنون ان من قصد مكة يصيبه مثل ما اصاب اصحاب الفيل فلما فتحها قهرا وتمكن من رقابهم ثم اعتقهم وسموا مسلمة الفتح طلقاء لذلك فبادروا الى الاسلام قبيلة قبيلة فسبح بحمد ربك نزهه عن خلف الوعد الذي سبق معك بالنصر وفتح مكة بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين واستغفره لما عسى فرط منك من خلاف الاولى الذي لا يليق بجلاله قدرك او لامتك لما روى عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان عندي في ليلة فلما ظن اني نائمة قام الى الباب ففتحه خفية وذهب فتلفعت بحادي وذهبت وراءه فجاء الى البقيع فوقف ودعا زمانا طويلا ثم انصرف فاسرعت واسرع وداني حتى دخلت البيت فدخل فوجد في الهث فقال مالك قلت لا شيء قال اخبريني او ليخبرني اللطيف الخبير قلت خرجت فظننت انك ذهبت الى بعض ازواجك فقال لي انت ذاك السواد الذي رايته قلت نعم قال فجاءني جبريل ودنا مني من وراء الباب ولم يدخل لانك وضعت الخمار وقال لي تعالى استغفر

لاهل البقيع فذهبت ثم قال وارى ساءك ذلك ابتداء مرضه صلوات الله عليه انه كان توابا لمن استغفر تمت سورة النصر ونسال الله النصر على الاعادي بحق افضل العباد

سورة تبت يدا ابي لهب

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب التباب الهلاك والمراد جملته لان اليدين للانسان كالجناحين للطاير فمن عدمت يداه فهو والهلاك سواء وقيل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا بيديه روى البخاري عن ابن عباس رضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الجبل ثم نادى واصباحاه فاجتمعت اليه قريش فقال ارايتم ان حدثتكم ان العدو مصبحكم هل انتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابولهب تبا لك الهذا جمعتنا فنزلت واسمه عبد العزى وانما سمي ابا لهب لاشراق وجهه وكان احول العين وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابن كثير ابي لهب بسكون الهاء وتب اي كان ذلك وحصل فالاول دعاء والثاني اخبار كما في قوله جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ما اغنى عنه ماله وما كسب استينا في رد الما كان يقول انا افتدي بمالي ان صدق محمد والمراد من الكسب الربح او ما حصله من مال ورثه او ما عمله من اعمال البر او اولاده وفي الحديث ولد العبد من كسبه سيصلى نارا ذات لهب تصوير للهلاك بما يظهر معه عدم اغناء المال والولد وجمع بين طريقي التاكيد بقوله وتب اولا ماضيا للتحقيق والسين ثانيا للتاكيد الوعيد وامرأته حمالة الحطب اسمها اروى بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان كانت مع زوجها في الكفر شنا وطبقه عدل عن كنيتها لاتصافها بالضد عن ابن عباس رضي الله عنه كانت تحمل الشوكة على ظهرها فتضعه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج للصلوة وقيل مجاز عن المشي بالنميمة وحمل الخطايا وقرا عاصم حمالة بالنصب على الذم والشتم وقد طبق فيه المفصل في جيدها حبل من مسد المسد الليف او شجر باليمن وعن ابي عبيد حبل مفتل من اخلاط حقر شانها بان صورها بصورة بعض الخطايات الاتي لا يحد حمولة فيجعل الحبل في العنق الذي هو اشرف الاعضاء هذا وهي من الزوة وشرف النسب كانا وهذا حالها في جهنم صورها الله لاهل النار بما كانت متصفة به في الدنيا جعل الحبل وعنقها وعلى ظهرها حزمة من حطب الزقوم والضريع وكذا كل مجرم يعذب بما مثل عمله تمت سورة تبت والحمد لله على نعم عممت والصلوة على سيد الرسل وموضح السبل

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد روى الترمذى والامام احمد ان المشركين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصف لهم الاله الذى يدعوا الى عبادته فنزلت فضمير هو لما سالوه مبتداء والجملة خبر ولا حاجة الى العايد لان الجملة اذا كان احد جزئيها عين المبتداء كقوله ولباس التقوى ذلك خير لا يحتاج الى رابط وكذا ان جعل ضمير الشان لان الشان الله احد نفسه وعلى الاول يجوز ان يكون الله بدلا وكذلك قرئ الله احد بدون هو واما جعل احد بدلا فلا لان النكرة لا تبدل من المعرفة والاحدية توحيد الذات بانتفاء انحاء جهات التركيب عقلا وخارجا والموصوف بهما هو الواحد الحقيقى والواحدية عدم المماثلة فى الصفات وكل منهما يجوز انفكاكه عن الاخر وفى ذاته تعالى يتلازمان ولذلك وصف بالواحد الاحد وقدم وصفا الواحدية لانه محل الاشتباه فى الجملة واما كونه احدى الذات جلى لا يخفى الله الصمد فعل بمعنى المصمود وهو السيد الذى يقصد فى الحوايج من الصمد وهو المكان المرتفع اخلاه عن العاطف لانه نتيجة الاولى اذ من كان احدى الذات واحدى الصفات لا يكون الا غنيا مطلقا ودليل لها لان من كان مقصودا للكل فى الاحتياج ولا يحتاج الى شئ فهو المتوحد ذاتا وصفة لم يلد ولم يولد لاقتضائهما التجانس والتماثل وقد دل التوحد على انتفائهما اذ لا يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولانه لو ولد اما ولد لم يكن غنيا مطلقا ولم يكن له كفوا احد كفوا الشئ ما يماثله ذاتا او وصفة فالمتوحد المطلق الغنى عن كل شئ لا يماثله احد فى شئ والاشتراك فى الشيئية ليس الا فى الاسم ولذا يقيد بكونه شيئا لا كالاشياء وقرا حمزة كفوءا بالاسكان الفاء وناقلوا وقفا وكذا حفص وقفا ووصلا بالابدال لاستثقال الهمزة بعد الضمتين روى البخارى عن ابى سعيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القران فى ليلة فشق ذلك عليهم فقال قل هو الله احد ثلث القران وذلك لاشتماله على التوحيد ومباحث المبداء والمعاد ومقاصد القران ثلث عقايد واحكام وقصص وروى مالك واحمد والترمذى والنسائى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقراء قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة وروى الامام احمد عن تميم الدارى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحدا احدا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد عشر مرات كتب له اربعون الف الف حسنة وعن بريده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد

فسمع رجلا يقول اللهم انى اشهد ان لا اله الا انت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال والذى نفسى بيده لقد ساله باسمه الاعظم الذى اذا سئل به اعطى واذا دعى به اجاب تمت وفضائلها لا تستم والحمد للواحد الاحد والصلوة على لاوحدى فى جمع الرسل واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق فلق الشئ شقه قال تعالى فالق الحب والنوى والمراد به الصباح فعل بمعنى المفعول لان الليل يفلق عنه او لان الله تعالى اخرجه من جيب الليل لقوله فالق الاصباح وفى المثل فلق الصبح فالقه وعن الضحاك هو الخلق كله لانه فلق من ظلمة العدم وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه جب فى جهنم اذا فتح صاح اهل النار من شدة حره واصل الفلق المطمئن من الارض من شر ما خلق من شر مخلوقاته كلها ذوى العقول وغيرهم يعم شر النار فى العالم السفلى والعلوى ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر الليل اذا دخل ظلامه من الغسق وهو الظلام لقوله الى غسق الليل يقال غسقت العين اذا امتلاءت دمعا وخص بالذكر لان انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه اشق روى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الظلام اجيفوا الابواب وكفوا الصبيان حتى يذهب فحمة العشاء لان الشياطين تنتشر بعد المغرب وقيل هو القمر اذا خسف لقول عايشة رضى الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى القمر وقال تعوذى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب والمعنى انه يغسق الليل بوقوبه فالاسناد مجازى واضافة الشر اليه للملابسة لانه يحدث بسببه والوقوب الدخول من وقب العين وهو النقرة التى يكون فيها العين ومن شر النفاثات فى العقد من شر النفوس الساحرة التى يعمد الى عقد الخيط وتنفث فيها لعمل السحر ولعل ذلك اكثرى اذ قد يكون بدونه والنفث فوق التف يجوز ان يكون معه ريق والتفل لا يكون الا مع ريق والتعوذ من اكثر ذلك العمل والاتصاف به او من الاحتراز لتلك الاباطيل او مما يصيب الله به المسحور فانه صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه فعل شيا ولم يكن فعله سحر ليدين الاعهم اليهودى فان قلت اذا صح انه سحر فكيف كذبهم فى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا قلت هذه مقالة المشركين بمكة وانما سحر بالمدينة وعايشة رضى الله عنها عندها وايضا لم يكن قصدهم فى تسميته مسحورا ذلك المعنى بل المجنون بواسطة التسحر

ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده بالقول او الفعل واحسن
نعمة الغير وحصولها للحاسد والاغتباط هو تمنى حصول مثله من غير طلب
زوال عنه وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنين العلم
الذى يعمل به والمال الذى ينفق فى سبيل الخير وانما عبر عنهما بالحسد
مبالغة فى الحرص عليهما وانما عرف النفاثات دون غاسق وحاسد لوصفهما
بالظرف بعدهما وقيل لان كل النفاثات شر بخلاف الفاسق والحاسد استدلالا
بالحديث وليس بناهض لما اشير اليه من الفرق بين الحسد والاغتباط ولقوله
عليه السلام اذا دخل الظلام اجيفوا الابواب وكفوا الصبيان من غير تفرقه
بين غاسق وحاسد وفى دعائه صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من شر كل ما انت والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس بسيدهم المتولى امورهم المتصرف
فيهم ملك الناس اله الناس عطف بيان على طريقة الترقى لان الرب قد لا يكون
سلطانا وهو اعم من ان يكون الها يستحق العبادة وتكرير الناس مظهرا لانه
اكمل فى البيان من شر الوسواس الموسوس اسم المصدر اطلق على الفاعل
مبالغة والوسوسة حديث النفس بالشر اضله صوت الحلى قال الاعشى تسمع
للحلى وسواسا اذا انصرفت روى الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للشيطان بابن ادم لمة بوعده بالشر
وتكذيب الحق والخناس المنسوب الى الخنوس وهو التاخر لانه كلما سمع
ذكر الله تاخر الذى يوسوس فى صدور الناس روى البخارى ومسلم عن
ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تجاوز الله
عن امتى ما وسوست به صدورها ما لم يتكلم او تعمل به ويجوز فى محل الموصول
الجر كاتى الثالث الجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم من الجنة والناس
بيان للذى يوسوس على ان الشيطان يعم القبيلين لقوله شياطين الانس
والجن يوحى بعضهم الى بعض ويجوز ان يكون من ابتدائية اى من جهة هذين
النوعين فان قلت الوسوسة حديث النفس وذلك مختص بشيطان الجن فكيف
اسند الى الانس قلت المراد بالوسوسة الدلالة على الشر والقاؤه فى الفكر
فهى تحدث به سواء كان بطريق ظاهر او خفى ولذلك قيل شيطان الانس اشد
اغواء من شيطان الجن لانه يخنس عند ذكر الله تعالى دون شيطان الانس
ولما كان شان الالتباس اهم واولى فرد الاستعاذة له بعد ما كان داخلا
فى عموم شر ما خلق روى مسلم عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الم تر ايات انزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ
برب الناس وروى البخارى ومسلم عن عايشة رضى الله عنها كان اذا اوى
الى فراشه كل ليلة جمع كفيه وقرا فيهما قل هو الله احد والمعوذتين ونفث
فيهما ثم مسح بهما ما استطاع من جسده هذا وانا اعوذ بهما من شر نفسى
كل ماذ وبراء واستغفر من خطرات الاوهام وعثرات الاقلام واسأله
العفو والمغفرة لى ولوالدى ولمشايخى الكرام ولكافة المسلمين
هذا ما اوردته من تفسير كلام الملك العلام مع انحطاط رتبتى عن
هذا المقام ولكن للمجتهد الاجر وان حرم اصابة المرام وقصر عن شاء
والكرام والحمد لله المفضل المنعم اولا واخرا والصلوة على اكمل
خلقه ترغيما للشيطان ناخرا وعلى اخوانه من المرسلين وسائر
الانبياء والصالحين من اله وصحبه ومن تبعهم الى يوم الدين

فرغ مؤلفه من تاليفه يوم الخميس الثالث
من رجب الفرد الواقع فى سنة
سبع وستين وثمان مائة
وكان الابتداء به فى اواخر
سنه ستين وثمان مائة
فى المسجد الاقصى تجاه
باب الجنة تفاءلا
والله خير مامول
ومسئول

الحمد لله الذى اكرمنى بالقران العظيم ويسر اتمام كتابته بلطفه الكريم الذى
انزل القران جملة على وجه التعميم وافاض لطفه واحسانه على الحادث والقديم
وبفضله رفع الخطاء عن الامة عامة وبتكوينه كانت افعال العباد تامة
والصلوة والسلام على محمد الذى لا فناء لشريعته وعلى اله واصحابه
الذين تشرعوا بطريقته وعلى علمائه الذين كانوا كالدرر فى خيمته
واتباعهم وانصارهم يكونون فى غيمته ثم الحمد لواهب العطية والصلوة
على غير الولية واله ذوى النفوس الطاهرة لما كان تمام هذا التفسير
الشريف فى يوم الاثنين قبل الظهر فى شهر واخر جمادى الاخر
لسنه تسع وستين ومائة والف وانا الفقير
صالح الامام زاده من تلاميذ ابراهيم
الخطيب زاده